

إيليا أبو ماضي
(الأعمال الشعرية الكاملة)

جمع الشعر وقدم له

د. عبد الكريم الأشر

الكويت

2008

راجعہ الباحث بالمؤسسة
محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفید
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة
تصميم الفلاف
محمد عبدالوهاب

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

811.9566 الأشر، عبدالكريم.

إيليا أبو ماضي: حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة) جمع الشعر وضبطه وشرحه وقدم له
د. عبدالكريم الأشر. - ط 1. - الكويت : مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع
الشعري، 2008.

1167 ص؛ 24 سم

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978

1 - الشعر العربي - دواوين وقصائد - لبنان - العصر الحديث.

2 - إيليا أبو ماضي - دواوين وقصائد. أ - العنوان

ردمك: 8 - 55 - 72 - 99906 - 978 ISBN :

رقم الإيداع : 2008 / 251 Depository Number :

حقوق الطبع محفوظة

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail : kw@alabtainprize.org

التصدير

رأى مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن يتم اختيار عدد من الشعراء الذين وردوا في «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» لإعادة إصدار إبداعاتهم وإنجازاتهم الشعرية كاملة... فوق الاختيار على الشعراء عبدالغفار الأخرس (القرن التاسع عشر) من العراق، وإيليا أبي ماضي (الذي ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥٧) من الشعراء المهجريين، وصقر الشبيب (القرن العشرين) من الكويت ليمثلوا شعراء القرنين التاسع عشر والعشرين.

يُعد إيليا أبوماضي من رواد الشعر المعاصر وهو أحد أعلام النهضة الأدبية العربية في المهجر، فلقد أبصر النور في وطنه لبنان حيث الطبيعة الساحرة الخلابة ونشأ في أحضان سهول وجبال بلدته «المحيدثة» الجميلة، فألهمته التفكير والتأمل في الحياة وفلسفتها، ثم ارتحل يافعاً إلى مصر، وهناك التقى بالمتقنين اللبنانيين الذين لجأوا إلى مصر هرباً من بطش السلطة العثمانية، وفيها نشر قصائده في المجالات والصحف اللبنانية الصادرة في مصر، كما أصدر فيها أول دواوينه الشعرية «تذكار الماضي» عام ١٩١١، وبعد ذلك حطّت به عصا الترحال في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تعرف هناك إلى عدد من المفكرين والشعراء في المهجر وأسس مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ونسيب عريضة «الرابطة القلمية» التي ذاع صيتها ومن خلالها كانت له ولزملائه شهرة واسعة.

لقد كان لمنشأ أبي ماضي وترحاله وهجرته أكبر الأثر في إبداعه الشعري من حيث المبنى والمعنى، ولقد صقلته تجربة المهجر الطويلة، وأثر عليه الموطن الجديد الذي اختاره وشهد من خلاله أهم أحداث العالم وراقب منه ما يحدث في وطنه العربي

الكبير، واهتم أبوماضي في مجمل شعره بوطنه لبنان معبراً عن شوقه وحبّه، لكنه لم ينسَ قضايا أمتّه، فتفاعل معها في شعره فهاجم الاستعمار والاحتلال مهما كان مصدره، وظلّ في قصائده محافظاً على شوقيته وعروبتّه رغم حياته في الغرب وتأثره بمجريات الحياة فيه اجتماعياً وأديباً.

عزيزي القارئ

يسر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تقدم لمحبي هذا الشاعر الكبير كل ما وصلت إليه من أعماله الشعرية من دواوينه المعروفة («تذكار الماضي بجزئيه» و«الجدول» و«الخمائل» و«تبر وتراب») إضافة إلى ما لم تجمع هذه الدواوين، وهي القصائد التي وردت في كتاب (إيليا أبوماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة) للدكتور جورج ديمتري سليم، وبذلك فإن المؤسسة تقدم لأول مرة أعمال الشاعر كاملة في سفرٍ واحد، ويسعدني أن أقدم بالغ الشكر للأستاذ الدكتور عبدالكريم الأشتر الذي أعد هذا الكتاب ليكون متاحاً للجميع، والشكر موصول لكل من ساعد في إعداده ومراجعته.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في 7 شعبان 1429هـ

الموافق 7 أغسطس 2008م

إيليا أبو ماضي

حياته وشعره

(الأعمال الشعرية الكاملة)

« دراسة »

قدّم بها لمجموع شعره في دواوينه الستة

الدكتور عبد الكريم الأشر

إيليا أبو ماضي.. حياته وشعره

الأعمال الشعر الكاملة

دراسة

(١)

لم تُؤلِّ الدراسات، التي تناولت شعر الشاعر المهجري إيليا أبي ماضي، الاهتمام الكافي بالجوانب المأساوية الحزينة، من حياته، وما خلفت من أثر في مواقفه وشعره، من الحياة وأحداثها، ومذاهبه في تصويرها وتفسيرها، ومواقفه من الأحياء ومسالكمهم التي اختاروها لأنفسهم فيها، في حدود تكوينه الخاص من ناحية، وظروف نشأته وأدوار نموه النفسي والفكري، في البيئات التي خالطها وخضع لملاساتها في الوطن والمهجر، من ناحية أخرى.

فتح الطفل إيليا عينيه في لبنان سنة ١٨٨٩ - وكان في نهاية القرن التاسع عشر، ما يزال جزءاً من سورية - في قرية اسمها (المحيثة)، من قرى المتن الشمالي فيه، قريبة من بكفياً، في سفح جبل صنيّ، غارقة في الخضرة، منتشية بجمال الطبيعة الممتدة من حولها.

ولكن يد السلطة العليا فيها، منذ سنة ١٩٠٧، كانت للسلطنة العثمانية التي كان المتصرف (يوسف باشا فرنكو) يمالئها، فيما يقول معاصرو تلك المرحلة.

كانت الأوضاع السياسية مضطربة، والدولة العثمانية على وشك الانهيار، حتى لقد اصطلح، في معجم السياسة الدولية، على تسميتها بـ«الرجل المريض»، فكانت ترقب فيه نشاط العناصر المسيحية بخاصة، على اختلاف مذاهبها، بحذر بالغ، يفسر إعجاب أبنائها المستمر بثورة يوسف بك كرم الذي مثّل في أعينهم إرادة التحرر الوطني^(١).

(١) في شعر إيليا أبي ماضي نص يجيي فيه هذا «البطل» لحنه أحد الموسيقيين من المهاجرين اللبنانيين في أمريكا، وجعل (١٩٢٥) منه نشيداً ينشدونه في بعض المناسبات (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٢٧ «نشيد يوسف بك كرم»).

ففي هذه الظروف انفتح باب الهجرة إلى أمريكا التي كانت تستدعي إليها الراغبين في تأسيس حياة جديدة لأنفسهم، بعيداً من أوطانهم التي ضاقوا بأوضاعهم فيها، أو طمحو إلى كسب فرص جديدة يجنون من خيراتها ما لم يتح لهم جنيّه في أوطانهم.

ولكن الهجرة إليها من لبنان كانت تحكمها رقابة صعبة، فلجأ فريق من أهله إلى جعل مصر مرحلة من مراحل الهجرة إلى أمريكا. ويبدو أن أسرة الصبي إيليا، الذي لم يجاوز الحادية عشرة (١٨٨٩-١٩٠٠)^(١). لم تكن ميسورة. وكان أحد أقربائه (عمه «نعم»^(٢)) ينوي الرحيل إليها، فلم يجد الصبي ما يمنعه من صحبته. ثم إن أخاه (مراد) بكر الأسرة، كان قد سبقه إلى الهجرة^(٣)، وحلّ في أمريكا في مدينة سنسِناتي Cincinnati، من ولاية أوهايو، وزاول فيها مهنة تجارة السمّانة.

ولسنا ندري، على التحقيق: هل كان الصبي، وهو في الإسكندرية، يتطلع إلى متابعة الهجرة إلى أمريكا، والالتحاق بأخيه فيها، فقد التحق به حقاً بعد أن جاوز العشرين (١٨٨٩- أواخر ١٩١١)^(٣). ولكنه خُلف، على الحالين، في الإسكندرية، مرحلة غنية من مراحل نشاطه، في ميدان السياسة والشعر، لا يمكن تجاوزها، ولا يسهل الفصل معها في الحكم على ما كان نواه.



نقف عند نهاية هذه المرحلة الأولى من هجرته، قبل أن يغادر الإسكندرية، نستخلص فيها حقائق نشأته: طفلاً في لبنان، وصبياً في الإسكندرية، وقد بلغ فيها مرحلة الشباب الأولى، قبل أن يتابع هجرته إلى العالم الجديد.

(١) تضطرب المراجع التي في أيدينا، في تحديد سنة ولادته في (المحيطة)، ابتداءً من سنة ١٨٨٤ إلى ١٨٩٠ ! ولكنها تجتمع، في آخر الأمر، على اعتماد سنة ١٨٨٩ .

(٢) يبدو أنه سبق إيليا في الرحيل إلى مصر (الإسكندرية) لأن إيليا، بعد أن عمل في بيع الدخان والسجائر في دكان أبي الياس بمينا البصل، ثم في دكان أخرى، انتقل إلى العمل معه في حي العطارين، بالإسكندرية.

(٣) بعض المراجع تجعل رحيله إلى أمريكا سنة ١٩١٢، إذ زار لبنان قبل رحيله إليها، فمكث فيه بضعة أشهر، وقف فيها إلى جانب المعارضة للمتصرف العثماني (يوسف باشا فرنكو)، هرب بعدها، وفي جعبته واحدة من قصائده السياسية (انظر الديوان الثاني «وداع وشكوى» النص ٩، وسنعود إليها من بعد).

كان الطفل - وقد نشأ في وسط يفيض بجمال الطبيعة وقوتها، في الجبال المكسوة بالأشجار - يتردد على مدرسة القرية الصغيرة، ويدّخر من غنى ما يطالعه، من حوله، صوراً أخصبتُ بها نفسه، وجد فيها - بعد أن استوى عوده، وأخذ يتمرس بالتعبير عما يحس، وهو في الإسكندرية - مشاهد حية من سحر الطبيعة وألوانها: زهراً وعطراً وندى وطيلاً وجدولاً وخريراً.

يقول في ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي طبعه في الإسكندرية ١٩١١، من قصيدة بعنوان «قصيدة الطبيعة»^(١) التي نسجها على منوالٍ لا بدّ يحفظه، من «ديوان العرب»:

روضٌ إذا زُرَّتْهُ كئُيُوباً
نَفْسٌ عَنْ قَلْبِكَ الْكُروبا
إذا بكاه الغمامُ شَقَّتْ
من الأسى، زهره الجُيوباً
وشأه قَطُرُ الندى فأضحى
ردأؤه مُعَلِّماً قَشِيباً
فمن غصونٍ تَمِيسَ تِيهاً
ومن زهورٍ تَضُوعُ طِيباً
ومن طيورٍ إذا تَغَنَّتْ
عاد المغني بها طُروباً
ونرجسٍ كالرقيب يرنو
وليس ما يقتضي رقيباً
وأقحَّوانٍ يُـرِيكَ دُرّاً
وجلّ نارٍ حكى اللهيباً
وجدولٍ لا يزال يجري
كأنه يقتفي مُريباً

(١) النص ٢٣.

تَسْمَعُ طَوْرًا لَهُ خَرِيرًا
وتارةً في التُّرى دبَّيبًا
وكلُّ معنًى به جَمِيلٌ
يُعلِّمُ الشَّاعِرَ النَّسِيبَا
أَرْضٌ إِذَا زَارَهَا غَرِيبٌ
أَصْبَحَ عَنْ أَرْضِهِ غَرِيبَا

ويقول، في المرحلة نفسها، يصف النيل، من قصيدة جعل عنوانها (يا نيل)^(١)، فافتتح وصفه على هذا النحو الفخم القوي الجزل:

فثَمَّ جَلالٌ يَمَلُّ النَّفْسَ هَيْبَةً
وَتَمَّ جَمالٌ يَمَلُّ العَيْنَ بَاهِرَةً
وَالْحَظُّ شَمْسَ الأفقِ، وَهِيَ مُطَلَّةٌ
تَسايرُ فِيهِ ظِلُّهَا إِذْ تَسايرُهُ
إِذَا هِيَ أَلَقَتْ فِي حَواشِيهِ نَوْرَهَا
رَأَى التَّبَرَّ يَجْرِي فِي حَواشِيهِ نَاضِرَةً
يَرُوحُ النَّسِيمُ الرُّطْبُ فِي جَنَبَاتِهِ
يَداعِبُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يَحاورُهُ
وَتَقْبِضُ مِنْ مَبْسُوطِهِ نَفحاتُهُ
كَمَا قَبِضَ الثَّوبَ المَطَرُزَّ نَاشِرُهُ
كَأَنِّي بِهَا سِفْرٌ تَدانَتْ سَطَوْرُهُ
أَوائِلُهُ قَدْ شُكِّلَتْ، وَأَوَاخِرُهُ

ومن هنا نجد، في دلالة مستمرة، يسمي ديوانه الثالث (الجدول)، وديوانه الرابع (الخمائل). ومن هنا أيضاً تتدخل الطبيعة في أغراض شعره، تعينه على تدفق خاطره الشعري فيه. فإذا بكى حجب الليل قمره، وإذا ضحك أضحك الدراري معه.

(١) النص ٥٢ من الديوان نفسه.

يقول يصف حال المحزون، في الديوان نفسه^(١).
وأعوزة على البلوى مُعينٌ
وأعوز ليّله القمرُ التّمَامُ
فضاقَ فؤاده بالهم ذرعاً
وضاق بهممه وبه الظلامُ
كأن نجومه أجفانُ باكٍ
كأن الليل صبٌّ مستهَام
وبالأقمار ما بي، فهي مثلي
تحاول أن تنام فلا تنام
كأنني قارئٌ والليل سِفْرٌ
له بدءٌ وليس له اختتام



أعدى غرامي النجومَ حتى
أسهرها من الدجى غرامي^(٢)



بدأ الفتى، وهو بعد في الإسكندرية، في أول تفتّحه - كما تقول بعض أخباره الأولى -
يدرس قواعد النحو والصرف لنفسه، وفي بعض الكتاتيب القائمة في الإسكندرية يومذاك،
وأخذ يقرض الشعر، وقد تحركت له نفسه، بحكم تكوينه، قبل كل شيء، ينسج قصائده،
على مثال ما يقرأ من شعر العرب، كما رأينا، يلتزمه ويحاكيه، ويقف عند بعض قصائده
وأعلامه، في المواقف التي اختار أن يقفها، منحازاً، ضمن الحزب الوطني الذي يرأسه
مصطفى كامل، إلى الحركة الوطنية^(٣)، في ظل المقاومة التي أخذت تنشط، للاحتلال

(١) تذكّار الماضي: النص ٤٩، وسيأتي الكلام على دواوينه الأخرى من بعد.

(٢) النص ٣٢ (أنا إمام الذين هاموا).

(٣) من اللافت: وقوفه إلى جانب الحركة التعليمية فيه (سميت باسم: مدارس الشعب) والحركة العمالية. وفي شعره
ما يمثل لهذا التأييد ويجهر به بالرغم من ظهور خلافات جرائها، داخل الحزب.

الإنكليزي الذي أطبق على مصر منذ سنة ١٨٨٢، ورجاله وأتباعه، مهنئاً من يُفرج عنه من رجالها (عبد العزيز جاویش)^(١)، ومرحباً بمن يعود منهم من منفاه (محمد فريد)، وراثياً من يقضي من زعمائهم (مصطفى كامل)، إلى جانب رثائه رجال الفكر والإصلاح (الشيخ محمد عبده) والأدب (جرجي زيدان)، ومندداً بالسلطات العثمانية و«باستبدادها» بقومه، تنديداً ضارياً، معلناً شماتته بانكساراتها وهزائمها، محيياً خصومها، مشيداً ببطولاتهم، وبمن يرجع إلى الحق والدستور من رجالها^(٢).

وتقع، إلى جانبه، في الإسكندرية (١٩٠٩) فاجعة مبكرة: وفاة أخيه (طانيوس)^(٣)، مفتتحاً بمأساته مأساة أخويه الآخرين من بعد: واحدٍ إلى جانب أبي ماضي أيضاً، في مدينة سنسِناتي، في المهجر الأميركي، سنة قدومه إليها من مصر (ديمتري ١٩١٦)، منتحراً برصاصة أطلقها على نفسه، قبل أن يتجاوز العقد الثاني من عمره، وأخته (أوجيني - جيني) في لبنان، إثر ولادتها الأولى (١٩٢٣)^(٤)، فضلاً عن موت فريق من أهل زوجته (دوروثي نجيب دياب) في سن مبكرة.

وقد أُتيحَ له، وهو بعدُ في هذه المرحلة من حياته في الإسكندرية، أن يصل صوته إلى بعض صحف المهجر، فنُشرت فيها بعض قصائده التي كانت بعضُ الصحف المصرية تنشرها «اللواء» و«الهداية» و«الشعب» و«القلم»، وهي قصائد تحمل شكواه الاجتماعية أو السياسية، ضمّها، من بعد، إلى (تذكار الماضي)، وتشير إلى ما تحمل نفسه من هموم الغربة وأوجاع الأحداث التي تقع من حوله، في الوطن الذي غادره (لبنان) والوطن الذي يعيش فيه (مصر)، وتحمل شكواه من بعض الوقائع العامة، ومن المعاناة الذاتية التي تضطرب بها نفسه.

(١) نشر سنة ١٩٠٩ في جريدة اللواء (وهي جريدة الحزب) كلمة عنيفة، في ذكرى واقعة (دنشواي)، فحكم عليه بالسجن. اندفع أبو ماضي، مخالفاً نصيحة الكثيرين، فنشر في (اللواء) قصيدةً، هنأ فيها بالإفراج عنه.

(٢) تراجع الأمثلة، في هذا كله، في ديوانيه: الأول (تذكار الماضي) والثاني (الجزء الثاني من ديوان إيليا أبي ماضي)، إذ لا فائدة في إيراد نماذج منها هنا، أو في تحديد نصوصها.

(٣) في (تذكار الماضي) قصيدة بعنوان «البرد الأقل» يبكيه فيها بكاءً مرّاً: النص ٣٧.

(٤) في المراجع، بين أيدينا، نبأ عن موت أخ آخر له، سمته (إبراهيم)، لم أجد تفصيلاً عنه.

يقول، مثلاً، من قصيدة تحمل عنوان «شكوى فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في السن»، فسور بلسانها عجزها عن الرضا بما كُتب لها، وتطلّعها إلى الحياة التي ترى نفسها أهلاً لها، حتى كأنه كان يحكي حكاية فُرقتة عن أهله، وما كان يتطلع إليه ويرى نفسه قادراً على تحقيقه، بموهبته التي أصبح يسعى أن يلفت إليها الناس:

زَعَمُوا أَنَّ الْغَوَانِي لُعَبٌ
إِنَّمَا اللَّعْبَةُ، طَبْعاً، لِلصَّبِي
وَأَنَا مَازَلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا
فَلِمَاذَا فَرَطَ الْأَهْلُونَ بِي؟
لِي قَدْ وَجُمَالٌ يَزْدَرِي
ذَاكَ بِالْغُصْنِ، وَذَا بِالْكُوكَبِ
قَدْ جَرَى حُبُّ الْعَلَا مَجْرَى دَمِي
فَهِيَ سَوْلي، وَالْوفا مِنْ مَشْرَبِي
أَنَا، لَوْ يَعْلَمُ أَهْلِي، دَرَّةٌ
ظُلِمْتُ فِي الْبَيْعِ كَالْمُخْشَلَبِ^(١)

على هذا النحو، نحسب عمله في الحقل السياسي، ودفاعه عن مصر وحقوقها، ونشره شعره في صحفها، واتصاله برجالها^(٢)، موصولاً باختيار السبيل إلى تعريف المصريين به، وبموهبته التي أصبح، من بعد، يعتزُّ بها غاية الاعتزاز^(٣)، ويرفعها، أحياناً، فوق مستواها الإنساني^(٤).

(١) تذكّار الماضي: النص ٥، والمخشَلَب: الخز، والحجر المزيف المصنوع.
(٢) في أخباره، عن هذه المرحلة اهتمامه بقضية المرأة، وقضية الإصلاح الديني ورجاله (الشيخ محمد عبده) والدعوة إلى الدستور، والانتصار للواقفين في وجه تمديد الترخيص لشركة قناة السويس البريطانية، أربعين عاماً (على حين أيد أغلب الضيوف «الشوام» ضدّ الترخيص). ومن أخباره أيضاً، امتداحه ديواناً من الشعر كتبه علي الغاياتي، باسم (وطنيتي) صادرت سلطات الاحتلال البريطاني التي كان على رأسها المعتمد (سير الدون غورست). وفي شعر أبي ماضي ذكر له وتنديد به : ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥٢ (مصر والاحتلال).
(٣) انظر الأبيات الأولى من قصيدته «١٩١٠» (من : تذكّار الماضي) والأبيات الأخيرة من النص ٤٤ «مريض بالغرور».
(٤) انظر النص رقم ٥١، «إنّه الشاعر» (ما لم تجمعه الدواوين ص ١١٢٥).

على أنه وصل، في نهاية هذه المرحلة، إلى أن أوصل صوته، عن طريق الصحف في الوطن والمهجر، إلى الناس من المحررين وأصحاب الصحف ومن يقرؤها، وأن يجد في نفسه القدرة على تكوين ديوانٍ من مجموع قصائده التي أجازها الرقيب، ودّع به هذه المرحلة من حياته، وأدّخر في جعبته قصائد أخرى سياسية لم يُجِزْ له الرقيب نشرها. وقال في آخر الديوان: إنه ينوي نشرها في «الجزء الثاني.. وإن نشرها لقريب»^(١).

فهكذا نرى أن صوته الخاص، في هذه المرحلة، لم يكن غائباً عنها، كما توحى بعض الدراسات التي تناولت شعره فيها، وإن كان صوت الآخر هو الغالب عليه، في اختياره قوالب التعبير الفني لقصائده، على نحوٍ يذكّرنا، ونحن نقرؤها، بقصائد معينة لكبار شعرائنا القدامى.

ففي (تذكار الماضي) أصواتٌ يمكن أن نصل في تتبع أصداء مواقفها، إلى دواوينه الأخرى التي نشرها، في مراحل عمره التالية، مثل موقفه الشائع في شعره، من الإنسان وتعالیه على الطينة التي خلق منها^(٢):

قالوا: ترقى سليل الطين، قلت لهم:

الآن تم شقاء العالم الآن

إن الحديد إذا ما صار مدي

فكن على حذر منه إذا لانا

والمرء وحش، ولكن حسن صورته

أنسى بلاياه من سماء: إنسانا

وموقفه من قيمة الإنسان الروحية، وتقديمها على صورته الظاهرة: «فالسّر في الأرواح»، كما صار يقول من بعد^(٣):

إذا كان حسن الوجه يدعى فضيلة

فإن جمال النفس أسمى وأفضل

(١) ملاحظة وردت في آخر ديوانه (تذكار الماضي) ص ٢٣١.

(٢) تذكار الماضي: النص الأول (الإنسان والدين) وانظر فيه أيضاً النص رقم ٤٧ «الكبرياء خلّة الشيطان». ونعود إلى الوقوف عليه، من بعد.

(٣) النص ١٢ في (الديوان الثاني) ص ٢٩٦.

وموقفه من رجال الدين الرهبان، في خطابه إلى لبنان وأهله^(١):
إِنَّ الْأَبَالِسَ حِينَ أَعْيَا أَمْرُكُمْ
جَاءَتْكُمْ فِي صُورَةِ الرَّهْبَانِ
فَحَذَارِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ
فَهُمُ الضَّوَارِي فِي لِبَاسِ الضَّانِ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ
أَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلَا غُفْرَانِ
أَوْ كُنْتُ فِي النَّيْرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ
مِنْهَا النِّجَاةُ، رُضِيتُ بِالنَّيْرَانِ

فإذا رجعنا إلى النظر في اختيار أساليب التعبير، وصوغ الجمل فيها، طغى صوت الآخر، وبدأت تتوارد على الذاكرة أسماء كبار شعراء تراثنا الشعري(المتنبي، أبو العلاء، بشار، أبو نواس، وغيرهم) على نحوٍ يشعرون بمطالعات إيليا الجادة لدواوينهم، واختيار القصائد السائرة، من شعرهم، في جمهور المتأدين^(٢)

والذي ننتهي إليه أن الشاب، في أولى مراحل، كان يستكمل عدته، ويستعرض أسس ثقافته الشعرية، قبل أن يرتقي بها، من بعد انتقاله إلى العالم الجديد، وتأثره، في مراحل المقبلة، بأجوائه، وانتظامه عضواً في(الرابطة القلمية)، والتقاءه بكبار أعضائها: جبران ونعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة.

(١) انظر النص ٣٩ «في سبيل الإصلاح» (تذكار الماضي) .

(٢) نلاحظ، من بعد، أن أبا ماضي تعدى، في مطالعاته، شعراء العصر العباسي، إلى شعراء العصور المتأخرة (العصر الأيوبي والمملوكي، لاحقاً بشعراء مرحلته الزمنية: شوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل). وربما كان تأثيره بكل واحد منهم يحتاج إلى درس خاص، حتى في اقتباس بعض معانيه!

(٢)

ولكنه قطع شوطاً آخر، مهدّ له الطريق، نجد معالمة المتقدمة في ديوانه الثاني الذي نشرته له، في نيويورك جريدة (مرآة الغرب اليومية) سنة ١٩١٩ . ففيه نستطلع المقدمات الحقيقية التي انتهى إليها في ديوانه الثالث (الجدول)، وشكّلت عالمة الشعري الرحب الذي دخل به تاريخ الشعر العربي من بابه الخاص، وأصبح معه معلماً متقدماً من معالم التجديد في حياتنا الأدبية.

ولهذه المعالمة، من هذا الجانب وحده، في هذا الديوان (الثاني)، رضي جبران أن يقدم له بمقدمة حفظ لأبي ماضي فيها قدرته على تخطي عالم الحس، وقربه من مفهومه الخاص للشعر، بأسلوبه المجازي المعروف: «الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف، وتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي غير المدرك، فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم... فالشعر يصعد إلى الملأ الأعلى على سلّم أقوى وأبقى من الجبال ! يصعد بعزم الروح ويتمسك بحبال غير منظورة... يتمسك بحبال الفكر، ويملاّ كأسه من عصير أرقّ من ندى الفجر، يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح... وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه سلالمة بين المنطق وغير المنطق، وبحبال تربط مظاهر الحياة بخفاياها...».

وقد كان الفاصل الزمني بين الديوانين، الأول والثاني، ثماني سنوات (١٩١١-١٩١٩)، وهو عين الفاصل الزمني بين ديوانه الثاني هذا وديوانه الثالث (الجدول: ١٩١٩ - ١٩٢٧).

فأما الفاصل الفكري والنفسي والفني بين هذين الديوانين (الأول والثاني) فأبعد كثيراً من هذا الفاصل الزمني، وكان لانتقاله إلى العالم الجديد، لاشك، والتقاءه بعض

أعضاء الرابطة أثر فيه، بالرغم من أن انتقاله من سنسِنَاتِي^(١) إلى نيويورك ١٩١٦^(٢) حين التقى بجبران ونعيمة وزملائهما، واختلط بهم، ثم في سنوات قليلة، قبل ظهور هذا الديوان، أعني قبل أن يعاد تشكيل الرابطة القلمية^(٣)، وتعلن عن برنامجها وتصدر مجموعتها سنة ١٩٢١ .

على أن الديوان الثاني اشتمل أيضاً على قصائد كان كتبها في الإسكندرية، ولم يتح له نشرها، لأسباب سياسية. وفيه، لاشك، قصيدة أو أكثر كتبها في زيارته لبنان، لبضعة أشهر، قبل أن يركب البحر إلى أمريكا، هارباً، على ما تقول بعض المراجع، من وجه السلطة العثمانية القائمة فيه آنذاك، بعد أن انضم إلى صفوف معارضيها^(٤). منها قصيدته التي سماها «وداع وشكوى»^(٥)، شكا النوى في أولها، ووصف موج البحر الهائج الذي أحاط بمركبه، حتى ظن الموت قريباً منه. ثم قال، كأنه يخاطبه من الحال التي نعرفها في لبنان اليوم:

نيويورك يابنت البحار، بنا اقصدي
فلعلنا في الغرب ننسى المشرقاً
وطنُ أردناه على حب العُلا
فأبى سوى أن يستكين إلى الشُّقا
أو كلما جاء الزمان بمُصلحٍ
في أهله، قالوا طغى وتزندقا

(١) انضم في سنسِنَاتِي إلى أخيه (مراد) في عمله التجاري، ولم يصدر له شيء خلال عمله معه، إلا أن يكون ما نشر في بعض الصحف والمجلات.

(٢) دعي، في انتقاله، إلى الإشراف على مجلة تُصدرها مجموعة من الشباب الفلسطينيين، باسم (المجلة العربية). ثم انتقل إلى العمل مع شكري بخّاش في المجلة التي كان يصدرها باسم (الفتاة)، إلى أن استقر أخيراً في العمل مع نجيب موسى دياب، في جريدته (مرآة الغرب اليومية)، وفيها تم طبع ديوانه الثالث (الجداول) أيضاً.

(٣) ظهرت (الرابطة) في منتصف عام ١٩١٦، ثم أعيد تشكيلها من بعد، لإبعاد (نجيب موسى دياب) صاحب (مرآة الغرب) عنها.

(٤) (إيليا أبو ماضي، دراسات عنه وأشعاره المجهولة) لجورج ديمتري سليم، ص ١٧٧، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧ .

(٥) النص ٩ (الديوان الثاني) ص ٢٧٩.

هذا جزاءُ ذوي النُّهى في أمةٍ
أخذ الجمودُ على بنيتها مَوثِقاً
وطنٌ يضيق الحرَّ ذرعاً عندهُ
وتراه بالأحرار ذرعاً أضيقاً
شعبٌ كما شاء التخاذل والهوى
متفرقٌ، ويكاد أن يتمزقاً
لا يرتضي دينَ الإله موقفاً
بين القلوب، ويرتضيه مفرقاً
لم يعتقد بالعلم، وهو حقائقُ
لكنه اعتمد التمايم والرقي
وحكومةً ما إن تزحزح أحمقاً
عن رأسها، حتى تولى أحمقاً
بيننا الأجانبُ يعبثون بها كما
عبث الصُّبا سحرأً بأغصان النُّقا
(بغداد) في خطر، و(مصر) رهينةُ
وغداً تنال يدُ المطامع (جِلِّقا)؛

ثم التفت يصف الحياة في مغتربه الجديد، في ردة الفعل لما وقع له في لبنان:
أصبحتُ حيثُ النفسُ لا تخشى أذىً
أبدأ، وحيثُ الفكرُ يغدو مُطلقاً
هذي هي «الدنيا الجديدة» فانظري
فيها ضياءُ العلم كيف تألقا
إني ضمنتُ لك الحياةَ شهيدةً
في أهلها، والعيشَ أزهرَ مُونقاً
نفسى! اخُلدي ودعي الحنينَ فإنما
جهلٌ بُعيد اليوم أن نتشوّقاً

وفي الديوان نصوص أخرى - نُشر بعضها في عدد (السائح) الممتاز التي كان عبد المسيح حداد يصدرها، وفي (الفنون) لنسيب عريضة - من نتاج هذه المرحلة التي سبقت مجيئه إلى نيويورك.

ثم تم، في آخر الأمر، انتقاله محرراً في جريدة (مرآة الغرب) أوائل سنة ١٩١٨، وتمت خطبته لابنة صاحبها «نجيب موسى دياب»: «دوروثي - دورا». لكن حادثاً آخر لاحقه، وقع في السنة نفسها لأخت خطيبته (أولغا)، اذ دهمتها سيارة، في بروكلن، ذهبت بحياتها.

هذه جملة مقدمات هذا الديوان، توحى بأن كثيراً من قصائده كانت كتبت، كما أشرنا، في المرحلة الأولى من حياته، في الإسكندرية، وجعلته يسميه باسم (الجزء الثاني)، كانه لاحق بالجزء الأول (تذكار الماضي).

وهذا إذن تفسير ما اتصفت به جملة قصائد هذا الديوان بما اتصفت به قصائد ديوانه الأول (تذكار الماضي)، من النزوع إلى تقليد الشعراء الكبار القدامى^(١): التمسك بالجزالة في الصياغة، والقوة في المطالع، وطغيان الحسية، والذهاب إلى النهايات في مواقف النفس مما تشاهده أو تعانيه: الكلف بالمبالغات، والتزام مذهبهم في الوصف والتصوير واختيار التشابيه، بما يعني، في آخر الأمر، اقترابه منهم، في موقفه من صورة الحياة والإنسان في أنفسهم.

ولعل ما نقلناه هنا، قبل قليل، من قصيدته (وداع وشكوى) يمثل لما نقول. فالأبيات فيها وحدات مستقلة، تنفرد بمعانيها. والتراكيب تقريرية ذات خط بياني واحد، تدل على تماثل الرؤية، وإملاء الأحكام إملاءً يجعل المتلقي يتلقاها بفتور. ثم إن الصورة التشبيهية الوحيدة في الأبيات مقحمة، أملاها التزام التقفية، بل هي لا تخلو من التنافر، فعبث الأجانب المرذول بوطنه لا يُسيغ الإحساس السليم تشبيهه «بعبث الصبأ، المرغوب سحراً، بأغصان النقا»!

(١) الرجوع إلى كتاب (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، يزود الباحث بأمثله كافية، تمثل لهذا النزوع في شعر أبي ماضي، وترده إلى المتنبي حيناً، وإلى أبي العلاء حيناً، وإلى آيات من القرآن الكريم حيناً.

ومن نصوص الديوان المنتقاة قصيدته «أنا وأخت المهابة والقمر»^(١) المصوغة على نحو يذكر المتلقي بقصيدة معروفة لبشار بن برد، إذ البناء في القصيدة واحد، والروح واحد، والموقف النفسي واحد. وقد اقتضى أن يتقارب فيها سياق المعاني والصور، وإن اختلفت المفردات.

وقصيدة «بلادي»^(٢) تفوح منها ريح خطابية وصياغات وأبنية تصلنا رأساً بالمناخ التقليدي في شعرنا القديم:

رويدك أيها اللّاحي رويداً
لك الويلات، ليت سواك لاما
رجالَ التركِ ما نبغي انتقاصاً
لعمركم، ولا نبغي انتقاما

وفيها ما يذكرنا بقصيدة عمرو بن كلثوم وأسلوب التفاخر فيه:

السننا نحن أكثرهم رجالاً
إذا عُدّوا، وأرفعهم مقاما

وبالمعاني التقليدية، في مثل المواطن التي كانت تقال فيها:

وعِلْمُ المَرءِ أَنَّ المَوْتَ أَتِ
يُهوّنُ عنده الموت الزؤاما

(١) النص ٥ من الديوان الثاني.

(٢) النص ٢٢ .

(٣)

بعد سنتين من صدور الديوان الثاني (١٩١٩ - ١٩٢١)، أصدرت (الرابطة القلمية) مجموعتها الأولى، من نتاج أعضائها العاملين (وقد سمّتهم: «عمّالاً»)، وفيها خمس قصائد مختارة لأبي ماضي، ثلاث منها كانت صدرت في هذا الديوان الثاني «فلسفة الحياة» و«لم أجد أحداً» و«ابنة الفجر»^(١) واثنان تضمّنهما ديوانه الثالث الذي صدر بعد ست سنوات من صدور المجموعة (الجدول ١٩٢٧)، وهما: «المساء» و«نحن»^(٢).

يعدّ اختيار هذه القصائد في مجموعة الرابطة، بمثابة براءة انتساب إلى الحركة الأدبية الجديدة التي «تتخذ من الأدب رسولاً بين نفس الكاتب ونفس سواه، لا معرضاً للأزياء اللغوية، والبهرجة العروضية»، على حد ما جاء في مقدمة المجموعة التي صاغها مستشارها وأمين سرها ميخائيل نعيمة، «يرى القارئ من نفسه [فيه] ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عيباً عن النطق به، فيقترب من نفسه، ويقترب من العالم»^(٣).

ضمن هذه المقدمات صدرت مجموعة أبي ماضي الشعرية الثالثة، (الجدول)، بعد أن مضى على صدور المجموعة الثانية، ثماني سنوات (١٩١٩-١٩٢٧) كما ذكرنا، أمضاها أبو ماضي في أجواءٍ أشاعتها قصائده المختارة التي أقبل القراء في الوطن العربي^(٤) على قراءتها، وطلبة المدارس على حفظها.

وقد اختلطت الأحداث السارة في حياته، خلال هذه السنوات، بالأحداث الحزينة، فأمدته كلتاها بالزاد الوجداني والفكري، وبالحافز الفني، في تأمل الحياة وتفسيرها

(١) انظر فيه، على التتابع، للنصوص التالية: ٣ و ١١ و ٧٩.

(٢) النص ١٥ و ١٩. وقد صدر النص الثاني «نحن»، في (الجدول)، بعنوان مغاير «العميان».

(٣) مجموعة الرابطة القلمية ص ١٨.

(٤) كانت المجالات والصحف، في الوطن، تنقل نتاج المهجريين المختار إلى قرائها، على نحو ما كانت تُنقل في المهجر. وتقف (المقتطف) و(الهلال) في مقدمتها.

وتصوير معانيها وعبرها، والنفوذ إلى حقائقها، في ضوء ما حاق به وأُتيح له معاً:

فقد ماتت خلالها (١٩٢١) حماته (كاترين) بالسرطان، في أول العقد الرابع من حياتها، ورزق بعدها بسنتين (١٩٢٣) بأول أولاده (ريتشارد). ولكنه أصيب بعدها، بأشهر قليلة، بموت أخته (أوجين) في لبنان، في ولادتها الأولى، كما أشرنا، ووصل والداه إلى نيويورك، بعد وفاتها بأشهر. ورزق، في السنة التالية (١٩٢٤)، ولده الثاني المعوق (إدوارد)، وصار خلالها وكيلاً لمجلة (المقتطف)، وخاض بعدها حرباً هجائية قاسية نعود إليها من بعد^(١).

وكان ديوان (الجدول) نتاج ما خلفته هذه الوقائع وتأمّل الحياة في أضوائها المتعاقبة، ومع ما اكتسب خلالها من قدرات فنية جديدة أرهفتها حقائق الحياة، في المحيط الجديد، وما أشاعه الرابطيون فيه، وبتأثيره، من حقائق العمل الأدبي ومعانيه الجديدة عندهم. فأبو ماضي، في هذا الديوان، طلق الفكر، طلق الإحساس، طلق العاطفة، طلق التعبير.



وامتد الزمن، بعد (الجدول)، ثلاثة عشر عاماً، غادر خلالها عمله في (مرآة الغرب)، بعد أن أمضى فيه أكثر من عشر سنوات (١٩١٨-١٩٢٨). ثم تتابعت الأحداث: ففي الأخبار: أن خلافاً مالياً شب بينه وبين حميه (صاحب: مرآة الغرب) استوجب، سنة ١٩٣٣، اللجوء إلى المحاكم^(٢). وفي الأخبار أن والده رجع إلى لبنان ١٩٢٨، بعد أن أمضى في أمريكا خمس سنوات، وخلف زوجه (أم أبي ماضي: سلمى) فيها، حيث أمضت بقية حياتها! مما قد يعني أن خلافاً شديداً دب بين الزوجين، ماتا بعده، خلال هذه المدة، منفصلين (مات أبوه سنة ١٩٣١ وماتت أمه، بعد وفاة زوجها باثني عشر عاماً ١٩٤٣)!

وفي أخبار هذه المرحلة أيضاً ما يشير إلى مكان جبران من نفسه، فقد كان في اللجنة التي هيأت لحفل يوبيل جبران الفضي (١٩٢٩) في بروكلن - نيويورك. والخبر يعني

(١) نجد آثارها في الشعر الذي أغفله أبو ماضي وجورج صيدح، فلم يُجمع في الدواوين (انظر: مالم تجمعه الدواوين، النصّان المتتابعان: ٤٢ و ٤٣).

(٢) انظر كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٨٠.

أن تأثره بفكر جبران ينبغي أن يرد في تقييم نتاجه، مهما بدا محدوداً عند بعض دارسيه. على أن الحدث العريض، في هذه المرحلة، هو إنشاؤه مجلة (السمير)، وصدورها (١٩٢٩) نصف شهرية، قبل أن تتحول إلى جريدة يومية، بعد سبع سنوات من إنشائها (١٩٣٦)^(١).

ولكن أباه توفي في لبنان، في بلدته (المحيثية)، بعد إصدار (السمير) بسنتين (١٩٣١)، وأعلنت، بعد وفاته، بأقل من أسبوعين، وفاة جبران (١٠/٤/١٩٣١)، فخصصت (السمير) عدداً لذكراه. وتوفيت أخت زوجه (أولغا) في عقدها الثالث (١٩٣٢)، إثر عملية الزائدة المعوية. ولكنه رزق، في العام الذي تلا وفاتها (١٩٣٣)، بابنه (روبرت) ثالث أولاده.

خليط من الأحداث السارة والوقائع الحزينة، سنّة الحياة التي تُظِلُّ الناس جميعاً، ولكنها، في حياة أبي ماضي، تبدو، في الجملة، أشدّ كثافة وأكثر قتامة.

على أن الأخبار تتوارد أيضاً بتكريمه، في حفل خاص (١٩٣٥) رعته الجالية السورية. ويُطبع (الجداول)، في العالم العربي، من غير استئذان، في سورية والعراق، بما يفيد امتداد شهرته امتداداً لعل شاعراً آخر لم ينافسه فيه.

ومع هذه المقدمات أيضاً صدر ديوانه (الرابع: الخمائل ١٩٤٠)، وطبع في مطابع جريدته (السمير)، وأقيمت له حفلة نشرت (السمير) الكلمات التي ألقى فيها. وتبع صدوره انتشار بعض قصائد (الجداول) على ألسنة كبار المطربين في العالم العربي: فقد غنى محمد عبد الوهاب (١٩٤٤) مقاطع من قصيدة (الطلاسم)، واختارت أسمهان، في العام نفسه، أجزاءً من قصيدة (المساء) لتغنيها، لحنها لها رياض السنباطي، ولكنها ماتت قبل تسجيلها^(٢).



(١) أدرجنا، في آخر هذه الدراسة، عدداً من صفحاتها المصورة، تنقل بعض ما كان يكتبه فيها أبو ماضي.

(٢) خطوط هذه الأخبار كلها، وكثير غيرها، استقيت من المصدر السابق. وحيثما أغفل ذكر المصدر، لوقائع من حياة أبي ماضي، فالمرجع فيها: كتاب جورج ديمتري سليم.

ثم عاد أبو ماضي فواجه، بعد صدور (الخمائل)، أيام الأحزان وأيام المسرة التي حفلت بها حياته كلها، على النمط المختلط نفسه: فقد توفيت والدته (سلمى) بعد صدور الديوان بثلاث سنوات (١٩٤٣)، وشارك في تأبين بعض أصدقائه، ودشن، في السنة نفسها، المبنى الجديد لجريدته (السمير)، وشارك أيضاً في بعض حفلات الزفاف، ورأس، في الوقت نفسه، حفلة أقيمت لتأبين زميله في (الرابعة) الشاعر الحمصي: نسيب عريضة، ورثى، زميله الحمصي الآخر: ندره حداد.

وأتيح له أن يزور وطنه لبنان في مؤتمر اليونسكو الذي عقد في بيروت (١٩٤٨)، مع صدور الطبعة الثانية، من ديوان (الخمائل) فيها، فزار (المحيثية) وأقيمت له حفلة تكريم في نادي مدرستها. وأذاعت الإذاعة مقتطفات من شعره كانت دعتة إلى تسجيلها. وصدر، في هذه الأوقات السارة، مرسوم بمنحه وسام الاستحقاق الفخري المذهب. وأقيمت حفلة علّق على صدره فيها وسام الأرز الوطني اللبناني، من مرتبة ضابط.

وزار سورية أول عام (١٩٤٩)، فأقيمت له في الجامعة السورية (جامعة دمشق) حفلة تكريم رعاها رئيس الجمهورية، وعلق على صدره فيها وسام الاستحقاق بدرجة ممتاز^(١).

ثم مضى ما يقرب من ثماني سنوات بعدها، أمضاها أبو ماضي في رعاية جريدته (السمير). ولكنه مرض في نهايتها. ولم يلبث أن توفي بالسكتة القلبية سنة ١٩٥٧، بعد أن باع مطابع الجريدة وتخلّى عنها، فأقيمت، في ذكراه، حفلات في سورية ولبنان ومصر والمهجر.



وكان قد ترك، في الصحف والمجلات، نصوصاً شعرية، قيل: إنه جمع بعضها، قبل وفاته، فنهض صديقه جورج صيدح باختيار ما يرضيه منها، وكوّن منها ديواناً سمّاه (تبر وتراب)، نشرته دار العلم للملايين في بيروت، في طبعته الأولى سنة ١٩٦٠، بعد عشرين

(١) كان كاتب هذه السطور في جملة من حضرها من طلبة الجامعة، ولكن القصيدة التي كتبها لهذه المناسبة لم يلقها هو، فألقاها بالنيابة عنه، وهو يسميها، الشاعر الزركلي. وربما خشي أن يبين في إلقائه أثر الغربة الطويلة التي كان أمضاها في المهجر (١٩١١-١٩٤٩).

سنةً من صدور (الخمائل)، وحوالي خمسين سنة من صدور ديوانه الأول، لم يحتجب ذكر أبي ماضي خلالها عن ضمير القراء العرب في الوطن والمهجر.

وقد ضم هذا الديوان الخامس تسعة وخمسين نصاً شعرياً لم تُضف لأبي ماضي شيئاً لم يُقل فيه قبل صدوره، أو شيئاً لم نصل إليه.

وأكثر نصوصه قيل في مناسبات محدّدة، بعضها ذو قيمة نفسية أو قيمة إنسانية ساطعة، مثل «وطن النجوم»^(١)، في مخاطبة وطنه (لبنان)، وقد رأى النجوم (في زيارته له ١٩٤٨) تتلأل في سمائه، بعد أن غادر سماء أمريكا التي تحجبها الأضواء المصنوعة، ومثل «تحية الشام»^(٢) التي ألقى في دمشق (١٩٤٩) في حفلة التكريم التي أشرنا إليها، ومثل قصيدته «الشاعر والكأس»^(٣) التي تصوّر، حالاً من أحوال النفس، يرى صاحبها من حوله كل ما يتطلع إليه، ولكنه لا يعبأ به، كأنه لا يراه ولا يريده:

كالتمائيل حوله	من نحاسٍ ومن رُخامٍ
لا اكتئابٌ ولا رضا	لا بكاءٌ ولا ابتسامٌ
فإذا الكون عنده	جدتْ كله رِمامٌ

ومثلها، في أغلبه، مقطوعات قصيرة. أما قصائد المناسبات فطويلة، ولكنها مصروفة إلى غاياتها التي كتبت من أجلها. وربما جاء فيها بما كان يشغله ويصرف همه إليه. ففي قصيدته «تلك السنون»^(٤) التي ألقاها في حفلة اليوبيل الفضي لجريدته «السمير» (١٩٥٤) وصف لما عانى في متابعة إصدارها:

إني أراني بعد ما كابدته
كالقُلك خارجةً من الأنواء
وكسائحٍ بلغ المدينة بعدما
ضلَّ الطريق وتاه في البیداء

(١) النص ١ ص ٨٤٩.

(٢) النص ٢ ص ٨٥١.

(٣) النص ٣ ص ٨٥٦.

(٤) النص ٩ ص ٨٦٩.

وشكرُ لمن عاونه في رفع شأنها، وتقديرُ لقيمة ما بذلوه في رَفدها. ثم انعطف بعدها
يقول، على عادته في خطاب من يسميهم «الأعداء» أو «الحساد»:

شكراً لأعدائي، فلولا عيْنُهم
لم أدْرِ أَنهم من الغوغاء
نهشَ الأسي، لما ضحكتُ، قلوبهم
عرسُ المحبة مائِم البغضاء
ذنبي إلى الحساد أَني فُتُّهم
وتركتهم يتعَثِّرون ورائي

...

عفوُ المروءة والرجولة، إنني
أخطأت حين حسبْتُهم نظرائي!

وفي الديوان، من مثل هذه المناسبات، عدد كبير، لحظَه بعض الدارسين، فعدَّ الديوان
به خطوةً إلى الوراء: شغلَه الانصراف فيه إلى المناسبة، عن تأمل الحياة في معانيها
العميقة ومجاليها الطلقة، واستجابة الفكر في تفسيرها وتصويرها وجلالها.

على أن هذا الحكم لا يصح، على إطلاقه، ففي الديوان قصائد كتبها أبو ماضي في بعض
المناسبات، فكانت المناسبة فيها فرصة أتاحت له الوصول إلى عالم جديد، أو فكرة مبدعة^(١).



ولو لم يندب جورج ديمتري سليم نفسه لجمع ما لم تجمعه الدواوين، من شعر أبي
ماضي، لبقي جانب منه مطوياً عنَّا. صحيح أن الصورة، في جملتها، لن تتغير علينا،
ولكنها، في بعض أطرافها، لن تكتمل. ولن تكتمل صورة الحياة آنذاك، من جانبيها
الاجتماعي والثقافي، في أوساط المهاجرين العرب. يكفي أن نذكر أن مجموع ما جمعه في

(١) انظر قصيدته التي كتبها في قدوم أحد الأعياد «الغبطة فكرة»، فانتهى فيها إلى أننا قادرون على استجلاب
الإحساس بالغبطة عن طريق الفكر، باستذكار ما نحن فيه من نعمة الوجود والتمتع بقدرات الحواس وسلامتها -
(الخمائل) : النص ٤٤ ص ٧٩٣. وسنقف أيضاً، من بعد، على قصيدته (إنه الشاعر) التي ألقاها في حفلة تكريم
زميله في (الرابطة)، الشاعر نسيب عريضة (ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١) وساقه الرد على أصحاب
«الكشاكيل» إلى صوغ مثاله (العين المتنكر).

كتابه هذا يزيد على خُمس مجموع شعر أبي ماضي، وأنه يغطي أيام إقامته في الوطن (في مقامه في مصر ولبنان) وفي المهجر.

فقصيدته «مصر والاحتلال»، مثلاً، كتبها أيام إقامته في الإسكندرية (١٩١٠)، ولكنه لم ينشرها في ديوانه الأول الذي أصدره فيها، ونشرتها جريدة (الشعب)، وكانت تنطق بلسان الحزب الوطني الذي اتصل به أبو ماضي، كما علمنا، إلى حد الظن بانتسابه إليه^(١). ومثلها قصيدته في تهنئة الشيخ عبد العزيز جاويش بخروجه من السجن، وقصائد أخرى تتصل بالسلطة العثمانية ودستورها المعلن سنة ١٩٠٨، ويلزم أن تكون كلها مما كتبه أبو ماضي خلال إقامته في الإسكندرية، فهي تنتسب إلى الدور الأول من حياته، دور التقليد والمشي على خطا حافظ إبراهيم وأحمد شوقي والبارودي والأخطل الصغير وبدوي الجبل، وصوتهم فيها واضح تماماً.

ومثلها قصائد حنّ فيها إلى وطنه لبنان، وجرى فيها على بساط التقليد نفسه، مثل «نفثة مصدور» التي شكا فيها من الأوضاع القائمة فيه:

ولا أدري وقد طال اغترابي

لمن أشكو وقد طال انفرادي

.....

فيألهفي على لبنان يُمسي

وأهلوه على وشك الحِداد

يسوم الساكنيه الخسف غرّ

غويّ ضلّ عن نهج الرشاد^(٢)

وقصيدته (نجوى لبناني)^(٣) التي طلع فيها طلعة تقليدية خالصة! ودعا فيها قومه إلى النهوض:

(١) كتاب جورج ديمتري سليم ص ٩٦.

(٢) يعني سياسة المتصرف (يوسف باشا فرنكو) الذي قيل: إنه كان يمالئ العثمانيين.

(٣) النص ٦ ص ١٠٠٩.

لا الغِيدُ تُصْبِينِي ولا الأقداحُ
مهما تغالى فيهما المَدَّاحُ
إني امرؤُ كَلِفٌ بإدراك العِلا
دأبي الجِهادُ وغايَتي الإصلاحُ
أهوى بلادي دانيّاً أو نائيّاً
أعليّ في حب البلاد جُنّاح؟



وفي المجموعة، بعد هذه، قصائد تنتسب إلى المهجر، هاجم فيها مَنْ سماهم (حاملي الكشاكيل)^(١) ممن يسعون إلى جمع المال باسم التبرعات الخيرة، وفيهم رجال كانوا يحملونها باسم الدين:

كذا الذي طاف عليكم يستدر الصدقة
ويستثير الدين فيكم وهو ربُّ الزندقة
فما تراءى شبحٌ منكم إلا لحقه
وما رأى مائدةً إلا أَمالَ عنقه

وفيه تفصيلات صغيرة من مجتمع المغتربين المتعلمين في المهجر. فعدا عمن سماهم «أصحاب الكشاكيل»، أناس ندبوا أنفسهم للطعن على مَنْ تقدمهم، باتهامهم بالسرقة، أو بارتكاب الأخطاء في اللغة. وقد رد عليهم أبو ماضي، من قصيدة طويلة عنوانها (ماذا؟)^(٢).

تبُّ النُّحاة وتبُّ المؤمنون بهم
أهلُ السُّخافات والتضليل والكذب

....

(١) انظر النصين ٨-٩ (ص ١٠١-١٠٢). والكشكول : جعبة يحملها صاحبها ليجمع فيها ما يحصله من الآخرين..

(٢) النص ١٠ ص ١٠٢٤.

النحوُ والصَّرْفُ والإعرابُ أجمعُها

سفسافٌ لم تكن من قبلُ في العَرَبِ

وربما اتسعت أوقاتهم للتطرُّف أيضاً، وإنشاء المواقف الضاحكة، والغمز، عن طريقها، ممن أساء إليهم من أهلهم، أو من آلهم، على مثال قول أبي ماضي في أبياتٍ ملحقة بقصيدةٍ وصف فيها كلبه^(١):

وَأَنْتَ يَا وَائِمْرُ	حَتَّامَ تَتَّبِعَ عَمْرًا
وَلَسْتَ تَجْلِبُ نَفْعًا	وَلَسْتَ تَدْفَعُ ضُرًّا
إِنَّ الْبَلِيَّةَ غَرٌّ	أَمْسَى يَنَاصِرُ غِرًّا
لَا تَعْذِلُ الشَّعْرَ إِمَّا	جَنَى عَلَيْكَ الْأَمْرًا
قَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْقَوَافِي	أَقْلَّ عَقْلًا وَقَدْرًا

وقد يشتدُّ أوار الخصام فيدخل حقل المَهَاجَةِ المُرَّة. وهذا الذي دعا أبا ماضي، إلى ألاَّ ينقل ما جاء في ردوده منها، في الدواوين التي أصدرها. وقال بعضهم: إنه كفَّ عنها، وفضل أن تبقى حبيسة الصحف التي نشرتها، سماحاً منه لأصحابها، وترفعاً عن إيرادها في دواوينه. وتبعه، صديقُه جورج صيدح الذي جمع نصوص ديوانه الخامس (تبر وتراب)، فأغفلها.

قال مثلاً، من قصيدة عنوانها «أيا عجل اليهود»^(٢):

تَوَعَّدَنِي مَقْلَدُ نِفْطُويهِ
كَمَا تَتَوَعَّدُ الْأُنْثَى الرَّجَالَا
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ دُونِي مَقَامًا
وَلَكِنْ يَنْبِجُ الْكَلْبُ الْهَلَالَا

.....

(١) النص ١١ ص ١٠٢٩ «حكاية»، والأبيات في ص ١٠٣٢.

(٢) النص ١٢ ص ١٠٣٣.

ويكذب آدمٌ إمّا ادّعاءً
فإنّ الناس لا تلدُ البيغالا

.....

ويا لهفَ الصحافةِ يدّعيها
حمارٌ طالما لبس الجِلالا

....

أتنهق والغضنفرُ قيدُ باعٍ
وتحسّبه وما عاف القتالا
فلستُ بِنابغِ الشعراءِ إن لم
أردُ عليك جُلّك والسّحالا^(١)

....

زعانفُ لست أرضاها مطايا
ولا أرضى رؤوسهمُ نعالا؛

وقد شهّر من خصومه شاعر كان يعمل في الصّحافة (وأغلب الظن أنه هو من وجّه إليه قصيدته السابقة)، واسمه أسعد رستم. وقد ختم بالرد عليه أبياته التي عنوانها «دعّه ينيح»^(٢) بقوله:

قل لمن سبّه لئيمٌ كهذا
شبّ بل شاب وهو في اللؤم يسبحُ
عرّف الكلب أنه الكلبُ لنا
س، ودّعّه، من بعد ذلك، ينيحُ

ووجه إليه، في الرد على قصائد كان أسعد رستم نشرها في جريدة (الهدى)،

(١) الجلّ للدابة كالثوب للإنسان، والسحال: اللجام.

(٢) النص ٤٣ ص ١١١٤.

(٣) النص ٤٢ ص ١١٠٩، وقد رد أسعد رستم عليها، من بعد، بقصيدة جعل عنوانها: «ها ها .. الدور لي»!

قصيدة بعنوان «إلى النابح العاوي»^(٣).

يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ
أما لنفسك ذودٌ فينهاها
إن كان غرك أن الحِلْمَ شيمتُنا
فربما خالفتُ نفسٌ سجاياها

.....

يا كلبَ سوقٍ ويا خنزيرَ مزبلةٍ
يا جيفةً ما تحامي الناس إلهها
على الدروب كلابٌ مالها عددٌ
لا شك أنك أعداها وأغواها

.....

إن السفالة لو تأوي إلى سكنٍ
كالخلق لم يك إلا أنت مأواها
أعيالك أن ترتقي حتى ترى بشراً
فصرت كالتيس نطاحاً وتياها



على أن في المجموعة طائفة أخرى من القصائد التي غنى فيها أبو ماضي جمالات الطبيعة، وجعل منها أمثلة للعتاء السخي المكتوم، مثل «الجدول الطروب»^(١)، وإطاراً لتكريم بعض النابغين من الشعراء من أصحابه، وسما بهم، في قدرتهم على الافتتان بجمال الطبيعة، إلى أن جعلهم من نسل الآلهة^(٢).

وطائفة أخرى من قصائد المناسبات (رثاء، خطبة، عرس، توديع، تعميق، امتداح).

(١) النص ٤٥ ص ١١١٦.

(٢) النص ٥١ ص ١١٢٥ من قصيدته: «إنه الشاعر»، ونعود إليه بعد: انظر ص ٥١ - ٥٣ من هذه الدراسة.

(٣) النص ٤٧ ص ١١١٨ من قصيدته: «يا ليتني»!

وطائفة من أبيات الغزل الرقيق^(٣)، تبدو العودة فيه، إلى شعراء الغزل العرب لا معنى لها،
فقوة الانفعال في موقفٍ مثله يمسُّ القلب، تظهر الطبيعة فيه ناطقة:

إذا أطلَّ البدرُ من خِدره
فإنما يطلُّ كي تنظريه
وإن شدا البلبل في وكِّره
فإنما يشدو كي تسمعيه
وإن يَفُحَّ عطرُ زهورِ الربا
فإنما يعبِّق كي تنشقيـه
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين!
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين
أواه لو تصدق «يا ليتني»!

فقد حول الطبيعة وكائناتها إلى توابع لمن يحب، وحشد لها أجمل ما فيها نوراً
وشدواً وعطراً، ونوع في إيقاع الجمل والمفردات والقوافي استجابة لغنى الإيقاع النفسي.

ومثلها مقطوعته التي نهج فيها النهج نفسه^(١):

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدَيْكَ
وَشَقَائِقَ النِّعَمَانِ فِي شَفَتَيْكَ
وَنَشَقَّتْ مِنْ قَوْدِكَ نَدَاً عَاطِراً
لَمَّا مَشَتْ كَقَاكَ فِي قَوْدِكَ
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مَتَوَجِّاً
وَالْفَلَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدَيْكَ
أَيَقَنْتُ أَنَّكَ جَنْةٌ خَالِبَةٌ
فَحَنَنْتُ، مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِبِ إِلَيْكَ

(١) الخمائل: النص ٣٠ (يا جَنَّتِي).

ولذاك قد صيّرْتُ قلبي نحلةً
يا جنّتي، كيما يحوم عليكِ
روحي فداؤك، إنها لو لم تكن
في راحتك هوتُ على قدميكِ!

لكنه هنا مشى على خطوات شعراء مرحلته في الوطن، الأخطل الصغير، مثلاً، فإن
صوته يتردد فيها. ولكنه احتفظ لها بالطعم الذاتي، في إشارته إلى المشيب مع الحنين.

وطائفة من شعر المواقف السياسية والوطنية التي اعتاد أبو ماضي أن يقفها في
أدوار حياته كلّها، منذ أيامه في الإسكندرية، مثل «توديع رستم بك: السفير العثماني في
واشنطن»، و«عيد الحرية العثماني»، و«النكبة في سورية»^(١) وغيرها.

وطائفة تصور جلسات السمر في مجالسهم وبيوتهم، وهي المجالس التي كانوا
يتبادلون فيها شعراً خفيفاً يجري على نغمة «انقر يا دف على الطارة»^(٢).

(١) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٤ ص ١٠٤٣ والنص ٤ ص ١٠٠١ والنص ٢٥ ص ١٠٧٦، على التتابع.

(٢) (ما لم تجمعه الدواوين) النص ١٦ ص ٢٧ والنص ٢٦ ص ١٠٥٠.

(٤)

على أن السؤال الكبير الذي يلزم أن تطرحه هذه الدراسة هو: بِمَ اكتسب شعر أبي ماضي مكانته في حياتنا الأدبية؟ ما هي خصائصه وصفاته الأولى؟ وما الجديد الذي جاء به ؟ وما الذي أضافته إليه الإقامة في المهجر؟

للإجابة عن هذا السؤال الذي يجمع ما كنا أشرنا إليه في الفَقْرَ السابقة، نعود إلى المرحلة التي تخطاها أبو ماضي بسرعة، وهي مرحلة التمرس والتقليد والمران التي يمثل لها أكثر ما أورده في ديوانه الأول (تذكار الماضي) وكثير مما أورده في ديوانه الثاني.

ففي هذه المرحلة يطغى، كما كنا أشرنا من قبل، صوت تراثنا الشعري، بسماته الكبرى: جَهارة الصياغة، وحسية الصورة، والكلف بالمبالغة، على صوت أبي ماضي الخاص. ولكن هذا ينبغي ألا يذهب ببوادر توحى بالقدرة على النماء والتفتح. منها الميل إلى القص والاسترسال العفوي في الحوار:

سفرت فقلت لها: أهذا كوكب؟

قالت: أجل! وأين مني الكوكب؟

وتبسّمتُ فرأيتُ رؤماً ضاحكاً

عن لؤلؤ، لكنه لا يُوهب

وتمايلتُ فالسمهريُّ مصمّم

ورنّتُ، فأبصرتُ السهامَ تصوّب

قد كلّمتُ قلبي، ولم ترفُقْ به

واللحظُ، لو درتِ المليحةُ، مِخلَب^(١)



(١) تذكار الماضي: النص ٣١، من قصيدته، «الحسن لا يُشرى ولا يُستجلب» ص ١٦٩.

وقائلةٍ ماذا لقيتَ من الحب؟
فقلتُ: الردى والخوفُ في البعدِ والقربِ
فقالت: عهدتُ الحبَّ يُكسِبُ ربُّهُ
شمائلَ غُرّاً لا تُنالُ بلا حُبٍّ
فقلتُ لها: قد كان حُبّاً، فزاده
نفورُ المها «راء» فأُسيئتُ في «حرب»
لقد كان لي قلبٌ وكنتُ بلا هوى
فلما عرفتُ الحبَّ صرتُ بلا قلب^(١)!

ومنها: سهولة النظم ويسر خاطر عليه، حتى كأن اختيار الوحدات اللغوية وبناءها يتمان دون جهد، وهي صفة يدركها قارئ شعره على الفور، وهي وإن لم تخلُ من إحساسه بضعف شحنها بانفعال كاتبها، تقربيه، في الوقت نفسه، من الإحساس بامتلاء خاطره بها، بحكم التكوين. وإنما يكون الاكتساب لإغناء الأداة وصقلها والتمرسُ بها، وشحن خاطر بالرؤى.

ومنها التلاعب بموسيقا الشعر، مستوحياً تلاعب الوشّاحين القدامى بها، على الصورة التي تطالعنا في قصيدته «طبيبي الخاص»^(٢)، وقد جعلها في مقاطع^(٣): يشتمل كل مقطع منها على أربعة أبيات، والرابع فيها يجيء على الروي الذي صاغه في البيت الأول وأفرده في مطلع النص^(٤)، مع انتهاء صدور الأبيات، في كل مقطع، بروي واحد:

بِتُّ أرعى في الظلام الأنجُما
ليس للعشاق حظ في الكرى



(١) المصدر نفسه: النص ٢٥ ص ١٥٢ من قصيدة «بلا قلب».

(٢) تذكّار الماضي : النص ٢٩ ص ١٦٠.

(٣) يسميها الوشّاحون: الأبيات.

(٤) هو المطع في الموشح أيضاً، ثم هو القفل من بعد.

صرعتني نظرة حتى لقد
كِدْتُ أَنْ أَحْسُدَ مِنْ لَا يَبْصُرُ
نظرة قد أُوْرثتْ قلبي الكمدُ
ما بلاءُ القلبِ إلا النظرُ
لا رعاكَ اللهُ يا يومَ الأحدِ
لا ولا حياءَ عني المطرُ
أنت من أطلعتَ هاتيكَ الدُّمى
سافراتٍ فتنَةً للشُّعرا

والنص طويل يمتدّ فيه النفسُ على أربعة عشر مقطعاً، على النحو الذي نراه. وقد
أنهـاه بهذا المقطع:

وجعلنا بعد أن طال العناقُ
نتناجى بأحاديثِ القلوبِ
بينما نحن على هذا الوفاقِ
قُرِعُ البابُ فأوشكنا نذوبُ
فأشارتُ لي: قد حان الفراقُ
فانقطعنا وارتدتْ ثوبَ الطبيبِ
أقبل القومُ فقالت: كلُّ ما
كان يشكو منه، عنه قد سرى!



فأما في (ديوانه الثاني) فتبدأ تتجلى، في بعض نصوصه، حركة الفكر، والنزوع إلى
التفلسف، وتناول موضوعات متصلة بمعنى الحياة، وتأمل مكان الإنسان منه، وكيف ينبغي
أن يفهمه ويرعاه في مسلكه الذي يلزم أن يختاره بمقتضاه. ويقرب أن يكون (لِلرَابطة)
ورجالها، - وقد ظهرت، كما أشرنا، سنة ١٩١٦ في الوقت الذي غادر فيه أبو ماضي
سِنْسِنَاتِي إلى نيويورك، بعد أن خالطهم طوال هذه السنوات الثلاث التي سبقت صدور

الديوان - أثر في التفاته إليها . وهو ، في ظني ، ما جعل جبران يقدم له على هذا النحو الذي وقفنا عنده من قبل ، وجعل نعيمة يقدم للديوان الثالث (الجدول) من بعد .

وكنْتُ سمعت من نعيمة - في الحوار الطويل الذي أجريته معه سنة ١٩٥٨ - ما يذهب هذا المذهب^(١) . وقد أعاد نعيمة يومها الفضل فيه إليه ، ونسب إليه المنحى الذي نحاه أبو ماضي في شعره ، من بعد ، صفة «التجديد»^(٢) .

والحق أن استعداد أبي ماضي للذهاب في شعره مذهب المفكرين والمتفلسفين يكاد أن يكون نزعة من نزعاته المفطورة ، فهو ، بحكم التكوين ، لا ينقطع عن التأمل والتفكير في مظاهر الحياة والطبيعة ومكان الإنسان منها . وقد بدا هذا النزوع في شعره منذ بدأ تفتحه في الإسكندرية .

ثم إن صبيّاً تضطره الحياة إلى مفارقة أبويه والهجرة إلى أرض جديدة يمارس فيها عملاً يقعده في بعض الحوانيت ، يرقب منه الوقائع والأحداث ، ويستقبل ما تنتهي إليه بعد أن بدأ يعي معانيها ويتتبع أثرها في الواقع القائم من حوله ، ويجد نفسه ، من بعد ، على الدوام ، عرضة للمصائب المقيمة والوافدة : موت أخوته الثلاثة واحداً إثر واحد ، وبينهم المنتحر ، إضافة إلى موت أخته وهي تضع مولودها ، الأول ، ووضع زوجته مولودها الثاني (ادوار) مريضاً معوّقاً حياته كلها^(٣) ، يطالع إيليا وجهه صباح مساء ، لا بد أن تجتذبه إلى التفكير وتوسّع من مساحته في العقل .

وما نستطيع أن ننكر ، مع هذا ، أن تأثره بجبران ونعيمة ونسيب عريضة ، بعد هجرته إليهم ، عمّق فيه هذا النزوع إلى التأمل في آفاق الحياة ، وفي مجالي الطبيعة الساحرة التي نشأ في أحضانها ، في سفوح جبل صنّين بלבنا ، والتفكير في معنى الوجود وغايته ، حتى جعل منه ، في النهاية ، مذهب الأول في شعره ، وهو المذهب الذي وقف عنده دارسوه ، ووجدوا فيه مزيتة الكبرى ، وأعادوا إليه فتح صفحة التجديد في الشعر العربي الحديث .

(١) ينكر مراد أبو ماضي ، أخو الشاعر ، تأثر أبي ماضي بنعيمة ، بحجة اختلاف الدربين والنزعتين ، يؤيده في إنكاره صديق أبي ماضي : جورج صيدح (أوراق مهجرية : رسائل جورج صيدح إلى الكاتب ، ص ١١٩ - ١٢١) .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٨

(٣) كتاب جورج ديمتري سليم : انظر فيه خلاصة لوقائع حياة أبي ماضي ص ١٧٦ وما بعدها .

ولعل قصيدته المشهورة، التي سماها (فلسفة الحياة)^(١)، تمثل الطلعة الأولى لذهابه هذا المذهب الذي لامس قضايا الإنسان الكبرى، وتولى فحص نظريته إلى الوجود، وكيف ينبغي أن يجعل موقفه منه. وقد كان يمكن، بعد هذه الوقائع التي ذكرناها في حياته، أن ينكفى إلى عالمه الداخلي، أو يسرح فيما وراء الحس. ولكنه حاول أن يرجع إلى عقله وإدراكه في فهمها، ويسعى وراء المعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحدس، ويفلسف ما يهديه إليه تأمله في الطبيعة التي تحتويها، فوقع على أسلوب في مخادعة النفس، لفتها عن الرسوف في الإحساس بالعجز عن كشف أسرار الوجود، انتهى معه إلى التمثل بالكائنات الأخرى من حولها، وسلوك مسلكها في تقبل الحياة والعمل على اختطاف حلاوات التمتع المباشر بما تعرض الطبيعة من صور الجمال في ألوانها ومشاهدها، متناسياً عن قصد وتصميم، ما ستصير إليه بعد وقت قصير، وملاحظة ما يفرق بينه وبين كائناتها الأخرى من الوعي والإدراك، يغفلهما في حرارة رغبته في إحكام الخديعة، والتستر على حقائق العملية الأولى:

أَحْكَمْ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ أَنْاسٌ
عَلَّوْهَا فَأَحْسَنُوا التَّعْلِيلَا
فَتَمَتَّعَ بِالصَّبْحِ مَا دَمَتْ فِيهِ
لَا تَخَفْ أَنْ يَزُولَ حَتَّى يَزُولَا
وَإِذَا مَمَّا أَظْلَ رَأْسَكَ هَمٌّ
قَصَّرَ الْبَحْثَ فِيهِ كَيْ لَا يَطُولَا
أَدْرَكْتَ كُنْهَهَا طَيُورُ الرُّوَابِي
فَمَنْ الْعَارُ أَنْ تَظْلَ جَهُولَا
تَتَغَنَّى وَقَدْ مَلَكَ الْجَوُّ
عَلَيْهَا، وَالصَّائِدُونَ السَّبِيلَا
فَاطْلُبِ اللّهُوَ مَثَلَمَا تَطْلُبِ الْأَطْيَارُ،
عِنْدَ الْهَاجِرِ، ظِلًّا ظَلِيلَا!

(١) الديوان الثاني: النص ٣ ص ٢٥٥.

ولكنه، في هذا كله، لم يستطع آخر الأمر أن يبرح إحساسه بالعجز عن الوصول إلى
الطمأنينة المبتغاة، وإسكات الصوت العميق المنبعث من الأعماق:

لا خلودٌ تحت السماءِ لحيٍّ
فلماذا تُراود المستحيلاً؟

فالواضح أن أبا ماضي يطلب أن يغمض الإنسان عينيه عن مأساة الموت ويتجاهلها.
الدواء عنده أن يتناسى الإنسان سيف القدر المسلط! فكيف يتهياً للإنسان هذا النسيان؟
كيف يتهياً له أن يكفَّ عقله عن السؤال وقلبه عن الإحساس بالمأساة المنتظرة؟ أو ليس
السعي إلى معرفة الجواب هو منشأ الفلسفات والأديان؟.

إنَّ ما يطلبه أبو ماضي من إشاعة التفاؤل في الناس، والنظر إلى الوجود من وجهه
الباسم، لا يكون إلا مع الإيمان بجدوى الحياة، ومعايشة الموت بصفته وجه الحياة الآخر
الذي تتم به دورتها.... فحينذاك قد تكتسب أبياته معناها المقنع، وينتفي التفاؤل الكاذب
الذي تستريح إليه البهائم والأشياء وحدها، ويصبح لليل وللرياح السَّموم التي تسفي
التراب معناها في جدلية الوجود والعدم، ويقع بيته الأخير في القصيدة موقعه الصحيح،
إذ يجعل الجمال ينبع من داخل النفس المطمئنة:

أي هذا الشاكي وما بك داءٌ
كن جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً^(١)

على أنه استقلّ، وحده، بإعلانه العجز الصريح عن الوصول إلى الطمأنينة المطلقة،
فجعله الإقرار يبدو أقرب إلى الحقائق الإنسانية، وأدخَلَ إلى حدود قدراتها. وجعل شعره
قريباً من فهم القارئ العربي، إلى اليوم، وزاده قريباً من وضوح مقاصد شعره.

وما قلناه، حتى الآن، يثبت أن انصراف أبي ماضي إلى جلاء هذه المعاني في
شعره، ونحوه فيها المنحى التأملّي الفلسفي، ومحوره: الخروج إلى الطبيعة الحية، وخلط
النفس بها لتفكيك الكآبة عنها، والتماس العزاء في الاستكانة إلى اليأس من قدرة العقل

(١) انظر كتابنا (في ديوان العرب - أحاديث في الشعر والشعراء، من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث) الجزء
الثالث ص ٢٢٦.

على فهم كنه الوجود، وفي التمثل بكائنات الطبيعة الأخرى^(١)، قائم أساسه في النفس، أعانت، على تفتيحه وتقويته، عوامل متعددة استقوى أثرها، من بعد، في وقائع حياته العميقة الأثر من ناحية، وتأثره، في اتباع منهجه فيه، ببعض زملائه الذاهبين إلى ما وراء الحس، من أعضاء الرابطة، وفي رأسهم جبران ونعيمة من ناحية، وحياته في المجتمع الأميركي الجديد المنصرف، في ثقافته العامة يومذاك، إلى هذه الآفاق التي ورثوها عن كتّابهم وأدبائهم المعروفين بانتحاءهم هذا المنحى في أدبهم (ويتمان، وإمرسون، وثورو)^(٢).

كانت هذه صورة ما حاط بالديوان الثاني، وما استقبل به في العالم العربي، فقد أقبل تلامذة المدارس على حفظ (فلسفة الحياة) في استظهاراتهم، وتناسدها الناس في محافلهم وندواتهم. لقد كانت على رأس محفوظاتنا، في الثلاثينيات من القرن الماضي. هذا ولم يمض على أبي ماضي في مغتربه الجديد زمن طويل (١٩١١ - ١٩١٩) أضيفت إليه ثماني سنوات أخرى (١٩١٩ - ١٩٢٧)، قبل أن يصدر ديوانه الثالث، وفيه قصيدته التي أوشكت أن تتحول إلى «ملحمة نفسية» اختار لها عنواناً ذا رنين يرنُّ في أسماعهم (الطلاسم)، وختم مقاطعها بقرار واحد (لست أدري)، وشبَّح نفسه فيها على حيطان الوجود، حائراً، ملثاعاً، مغمض العينين، يكاد يجهل من لغز الوجود والخلق والتكوين كل شيء، فهزت سوق الشعر يومذاك، حتى سماها أحد الباحثين «إحدى معلقات العصر»^(٣)، وراجت معها سوق الديوان، فأقبلت بعض دور النشر على معاودة طبعه، دون إذن من الشاعر.

والغريب أن الناس قبلوها من زاوية الصدق في خطابها وخطاب النفس معها، والتوفيق بين الفلسفة والشعر، وهزتهم نغمة الإقرار بجهل حقائقها في مقاطعها التي زادت على السبعين. وتماسك الشاعر أمامها، واحتفاظه معها بالنزوع إلى التفاؤل، وإن صرفه ذلك عن الانفعال، فبقي حديثه فاتر العاطفة، معوضاً، قدرأً من التعويض، بالوصف وبغناء الطبيعة، وبالتقرير في بعض الأحيان.

(١) المصدر السابق: الجزء نفسه ص ٢٢٧ .

(٢) انظر بعض التفصيل في دراسة صغيرة لصالح عبد الصبور منشورة آخر طبعة دار العودة، من ديوان أبي ماضي (تذكار الماضي) - دار العودة بيروت ١٩٧٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩ .

اتسع إذن، في (الجداول) أفق الشاعر، في التفاته إلى الإنسان، في شعره، وتناول قضايا وجوده الكبرى. ونحسب أن ما لقيتُ بعض نصوص ديوانه الثاني من الرعاية، مثل «فلسفة الحياة» التي وقفنا عندها، وهي في الرأس، وقصيدة «الخلود»^(١) و«١٩١٤»^(٢)، حفزه إلى تعميق هذا الخط، وجعل صوت العقل والفكر والتأمل أعلى الأصوات في تناول هذه القضايا الكبرى في شعره، وهو الفتح المبين الذي كتبه لنفسه، وكتبه له دارسوه، وأعلوا من ذكره فيه، وزها به الشاعر، من بعد، زهواً شديداً^(٣).

ففي مطوّلته «الطلاسم» التي نحن في ذكرها، حيرة فلسفية، يحكيها أبو ماضي ببساطة وحميمية، بلغة سهلة بعيدة تماماً عن الرغبة في اختيار المفردة ذات الوقع الخاص، وهي اللغة التي تميز بها شعره، أحياناً كثيرة، ووصمها بعض دارسيه «بالعقم» و«النثرية»، وبميل الشاعر فيها، إلى «العامية الساقطة»^(٤).

والذي نراه: أنه يجنح في لغته، على العموم، إلى التعامل مع المفردة السائرة، حتى ليبدو، في هذا الموطن بعينه (الطلاسم)، رجلاً من عامة الناس، يشكو لمن يسمعه، ما هو فيه من الجهل بحقائق قائمة بين السمع والبصر، ولكنه لم يَمُرَّن على تأملها ومراجعة العقل فيها:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

لست أدري

(١) النص ١٩ ص ٣١٦.

(٢) النص ٣٠ ص ٣٦٣.

(٣) انظر في كتاب جورج ديمتري سليم ص ١٠٥ وما بعدها، رسالة بخطه، أرسلها، أو كان يزعم إرسالها إلى طه حسين الذي نقد (الجداول)، في (حديث الأربعاء)، من الجانب اللغوي، نقداً حاداً، وجاء فيها قوله: «هل رأيت، في كل ما رأيت، من الدواوين الحديثة التي صدرت باللغة العربية، قبل (الجداول)، ديواناً (كالجداول)، يحوي فكراً وشعراً وفلسفة، في قصائد لم يسبق أن نزل مثلاً في ديوان الشعر العربي كله؟»

(٤) إيليا الحاوي: (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل)، ص ٨٠ وما بعدها.

أ جديداً أم قديماً أنا في هذا الوجودُ
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مَقود
أَتَمَنَّى أنني أدري، ولكنْ

لست أدري

على هذا النحو المفطور يأخذ الشاعر يتساءل، كأنه يشير بيديه، عن حل معضلات الوجود الكبرى، لا يريد ممن يسمعه شيئاً على الإطلاق، بل هو لم يَسْعَ إلى من يسمعه، ولكنْ يريد أن يحكي حكاية هذه «الطلاسْمُ» التي يعذبه الوصول إلى فهمها، بلغته البسيطة التي تجري كما يجري الماء بطبيعته في الأرض. هكذا وقف يخاطب البحر ويسأله عن سر بقاءه، على حين يمضي الشاعر إلى الفناء:

فيك مثلي أيها الجبار أصدافٌ ورملٌ
إنما أنت بلا ظلٍ، ولي في الأرض ظلٌ
إنما أنت بلا عقلٍ ولي يا بحر عقل
فلماذا يا ترى أمضي وتبقى؟

لست أدري

ويمضي: فيقف على الدير، فيرى عقول رجاله أسنة، ويرى قلوب نسائه تموت في ظلمة الدير، فيسأله عن سر ما هم فيه. ثم يزور المقابر يسأل أهلها: هل وجدوا الراحة في حفائره؟ وهل، بعد هذه الحياة، حياة أخرى؟ وهل يَصْدُقُ ما يسمعه عن دعوى البعث والخلود، أم هو الفناء لا شيء بعده؟

أ وراء القبر بعد الموتِ بعثٌ ونشورٌ؟
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ ودفنٌ؟
أ كلام الناس صدق أم كلام الناس زُورٌ
أ صحيحٌ أن بعضَ الناس يدري؟

لست أدري!

ويمضي، بعدها، في جولته التي تعمّ مملكة الإنسان حيث يكون، فيقف على الكوخ والقصر، فيرى صاحبيهما يتماثلان، على اختلاف نصيبيهما من الدنيا، في الشك واليقين، وفي رسوفهما في قيود الزمان والمكان. ويسائل نفسه عن حركة الفكر: أين يذهب بعدها؟ وكيف يبحث عنه وهو معه داخل نفسه؟ ويطرح، في نهاية القصيدة، سلسلة طويلة من الأسئلة عما يتبدل في نفسه، ويتصارع من حوله، ينتهي بعدها إلى اليأس والحيرة من جديد، فيتراءى له أن الجهل بما يسأل عن حله، واليأس من الوصول إليه، ربما تستريح النفس إلى عجزها فيه، فتجد نعيم الراحة عنده:

كلما أيقنتُ أنني قد أَمَطْتُ السِّتْرَ عني
وبلغتُ السرَّ، سرِّي، ضحكتُ نفسيَ مني
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجدني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ؟

لست أدري

ويختم مقاطع القصيدة بقوله:

إنني جئتُ وأمضي، وأنا لا أعلمُ
أنا لغز، وذهابي كمجيئي طُلُسم
والذي أوجد هذا اللُّغزَ لَغْزُ مبهم
لا تجادل! ذو الحِجَا مَنْ قال: إنني

لست أدري



كان يمكن الإخفاق في التماس الرد على هذه الأسئلة، أن يلجئ أبا ماضي إلى الانكفاء والانسحاب إلى عالمه الداخلي. ولكن الحياة العملية اجتذبتة إليها، فلم ينقطع ما بينه وبينها، ولم يستسلم معها للعوالم الصوفية التي استسلم لها زميلاه جبران ونعيمة، وإن لامسها أحياناً. فبقي القلق والشك (بحكم تكوينه، وبحكم الضغوط التي أشرنا إليها، من قبل، في وقائع حياته، وبحكم التأثر بأجواء الثقافة الشائعة، قريباً من (الرابطة) وبعيداً

عنها، تعترض حياته، ويغالبا أبو ماضي مغالبة ظاهرها الرغبة في الانتصار عليها،
وحقيقتها رسوفه في قيودها، على نحو ما قلناه في قصيدته «فلسفة الحياة».



وإلى جانب هذه القصيدة «المطوّلة» تناقل الناس، في وطنه، قصائد أخرى سلك فيها
المسلك نفسه، في الجمع بين الفكر الفلسفي والشعر عن طريق الأمثال التي تقرّبها من
الناس، مثل قصيدة «العنقاء» و«الحجر الصغير» و«الطين» و«الغدير الطموح» و«الضفادع
والنجوم» و«التينة الحمقاء» و«العير المتنكر» وغيرها^(١).

وتناقلوا في (الخمائل) قصائد أخرى، تقف على رأسها قصيدة طويلة اقتدى أبو
ماضي، في اختتام الديوان بها (بالجدول) في «الطلاسم» هي قصيدة «الأسطورة الأزلية»
صاغها على أبيات متسلسلة في مقاطع، يشمل المقطع منها من يمثل دوراً من أدوار
العمر، أو صفة من الصفات التي تمثل هويته (الفتى، والشيخ، والحسناء، والجارية،
والفقر، والغني، والأبله، والأريب)، وصاغ على ألسنتهم أبياتاً يعلنون فيها سخطهم على
ما هم فيه من حدّ السن، أو الصفة، أو الغنى. ويختتم الأسطورة بقوله:

لما وعى الله شكايها الورى
قال لهم: كونوا كما تشتهون!
فاستبشر الشيخ، وسرّ الفتى
والكاعب الحسناء، والحيّزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى
لم يجدوا غير الذي كانا!

(١) نقصد بالأمثال هنا: المعنى الذي يقربها من الخرافات ذات المغزى التربوي أو التعليمي (Les Fables) على مثال
خرافات لا فونتين (la Fontaine) مثل: «خرافة الطيرين» و«الحمار والكلب» و«الحصان والحمار» (ونعتقد أن
أبا ماضي اطلع عليها قبل أن يكتب قصيدته «العير المتنكر») و«الأرنب والسلحفاة» الخ... وخرافات الحكيم
اليوناني القديم (إيزوب Aisopos). ولكنها، في شعر أبي ماضي، تعدّت عالم الحيوان (على نحو ما فعل شوقي
وإيزوب) إلى عالم النبات «التينة الحمقاء» و«الجماد الحجر الصغير» و«الطين»، وعالم الطبيعة «الغدير الطموح»،
وعالم الإنسان («في الأسطورة الأزلية»). ونرى أن دراستها، في شعره، تستوجب الدراسة.
(انظر الحاشية ١ ص ٤٨). وفي تراثنا، في الموضوع نفسه، رسالة «الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري،
ونظم «كليلة ودمنة» لابن المقفع، شعراً، لوزير السلاجقة (ابن الهبارية - ت ٥٠٩ هـ).

إذ تتساوى الأمور في آخر المطاف، في الصفة والحدّ والمرتبة، أمام حقائق الحياة:
هم حدّوا القُبْحَ فكان الجمالُ
وعرّفوا الخيرَ فكان الطلاحُ
وليس من نقصٍ ولا من كمالٍ
فالشوكُ، في التحقيق، مثلُ الأقاح
وذرةُ الرَّمْلِ ككلِّ الجبالِ
وكالذي عرّى الذي هانا!

وإذن فالحياة وحدة تتساوى فيها المتناقضات، وتتكامل الأضداد، وتتوحد الثنائيات من قبح وجمال، وخير وشر، ونقص وكمال. وما تناقضها، في أعيننا، إلا من صنع الوهم. ولكنّ هذه الثنائيات والمتناقضات التي يجمعها حيناً ويفرقها، حيناً، ويوحدها حيناً، ويقربها حيناً، ويبعدها حيناً، لم تصل به إلى الحقيقة التي تفسرها وتستريح نفسه إليها، ولم تذهب بحيرته أمام لغز الوجود وقضاياه الكبرى، وما زالت حياته نهباً للوساوس والأسئلة الحارة التي تذهب به في كل اتجاه، حتى يجد ألاً مفراً أمامها إلا بالاستسلام إلى الرؤى التي تولدها والفكرة التي تبدعها:

سرُّ السعادة في الرؤى، إنَّ الرؤى
لا كفَّ تُثبِتُها ولا تمحوها^(١)

(١) الجداول: «الكمنجة المحطّمة»: النص ١٦. وانظر قصيدته: «الغبطة فكرة» (الخمائل: النص ٤٤) والتي أنهارها بقوله:

أيها الشاكي الليالي إنما الغبطة فكرة
ربما استوطنت الكوخ وما في الكوخ كسرة
وخلت منها القصور الشامخات المشمخة
تلمس الغصن المعرّى، فإذا في الغصن نُصرة
وإذا رفّت على القفر استوى ماءً وخُضرة
وإذا مست حصاة صقلتها فهي درة
لك، ما دامت لك، الأرض وما فوق المجرة
وإذا ضيّعتها فالكون لا يعدل ذرة!

ثم تعود نفسه إلى الشك في رؤاها التي ظن أنها أراحته من عذاب الحيرة، فيراها، بدورها، وهماً من الأوهام، وينتهي إلى أن للأقدار غايات تحققها فيما ينفعنا وما يضر بنا، ولكن النفس تظل في ظمئها الحار وتطلعها الدائم إلى شدة اليقين.

وفي تصوير هذا الصراع القائم في النفس الذي يجلوه شعره وفي تناوله وتأمله والتفكير في مآثيه ومعانيه وفي مداخله ومخارجه حيناً بعد حين، كتب أبو ماضي أجمل شعره، وأحفظه بالإثارة، وأقدره على مزج الفلسفة بالشعر، والفكر بالوجدان، وكسب به شهرته الواسعة، حتى جعله بعض شعراء المرحلة (فدوى طوقان ونازك الملائكة) من أقدر شعرائها، وجعله آخرون (فدوى طوقان) أقدر الشعراء في قديم الشعر العربي وحديثه، بصرف النظر عما قالوه في دور العاطفة فيه ومكانها منه، بجانب قوة الفكر ودور العقل ومكانه منه.

وقد كان عالم الصوفية الذي يعتمد العرفان (المعرفة عن طريق الحدس الداخلي) قريباً منه، عالم جبران ونعيمة ورشيد أيوب، ولكنه كان، بحكم التكوين، وحكم الانغماس في الحياة العملية، كما ذكرنا، أقرب إلى العالم الآخر، عالم الفكر الحي والاتصال المباشر بالواقع القائم من حوله. وهذا الذي جعله يطمح إلى المعرفة، عن طريق المحاكمة العقلية والتأمل الواعي في الأشياء.

ولو استعرضنا حياته، منذ بدأ يعي الأشياء في عهد الصبا الأول في الإسكندرية، وانحيازه إلى جانب المعارضة ومدافعة الاحتلال والاستبداد بحقوق الشعب (على الجبهة العثمانية والجبهة الغربية)، بدت لنا رغبته في المجاهرة برأيه والقتال دفاعاً عنه، في وضوح النهار، وفي ضوء الحقائق المعلنة.

وفي ضوء هذا الذي نقوله اكتسبت قصيدته وحدتها، إذ لا يمكن أن تتم المكاشفة إلا عن طريقها، ووردت فيها الأمثال المنتزعة من الواقع القائم من حول قارئها، فقربته منها مثل «التينة الحمقاء» و«الحجر الصغير» و«الضفادع والنجوم» و«العير المتنكر». واتجه فيها إلى السرد، فكسب شعره به سمة القصّ الموحى، إلى جانب خروجه الدائم إلى

الطبيعة: زهرها وشجرها وسمائها ونجومها وقمرها، وخط النفس بها، بغية تفكيك الكآبة عنها، والتخفف من عبء القلق والحيرة، وإعمال العقل في فهم كنه الوجود.

وقد نجى، ذلك كله، شعره التأملّي، من أن يقع في حبال الجفاف الذهني الذي يصيب الشعر المتجه إلى الفلسفة والتفكير، والطموح إلى كشف الأستار عن وجوه الأشياء والكائنات، فوصل بالقارئ إلى تذوق جمال الموقف الشعري الذي وقفه منها، وتقبل حيرته قي فهم أسرارها، وربما استجاب له في دعوته إلى الفرح بها والاستجابة لمفاتها.

ونقف هنا عند قصيدته «التينة الحمقاء»، ومقطوعته «العير المتنكر» اللتين سلك فيهما مسلك المثل المضروب: ففي «التينة الحمقاء» يقول: إن الإنسان ينمو بالعطاء (مماشاة سنة الطبيعة) لا بالمنع (مخالفة سنتها). فهذا معنى العطاء وجدواه.

وفي «العير المتنكر» يدعو إلى أن يلتزم الإنسان حقيقته التي خلق لها، فلا يتعدّاها. ويعزز في قصيدة «المساء» دعوته إلى التفاؤل، على غير المسلك الذي سلكه في قصيدته «فلسفة الحياة»^(١) التي عرضنا لها من قبل.

ففي «التينة الحمقاء»^(٢) تقول التينة، في آخر الصيف، لأترابها:

بئسَ القضاء الذي في الأرض أوجدني
عندي الجمال، وغيري عنده النظرُ
كم ذا أكلفُ نفسي فوق طاقتها
وليس لي بل لغيري الفيء والثمرُ

فتهزها هذه الحقيقة، وتقرر أن تكون لنفسها وحدها:

إنّي مفصّلةٌ ظلّي على جسدي
فلا يكون به طول ولا قصرُ

(١) الديوان الثاني : النص ٣ ص ٢٥٥.

(٢) الجداول: النص ١٢ ص ٥٨٥.

ولست مثمرةً إلا على ثقةٍ
أنّ ليس يطرُقني طيرٌ ولا بشرٌ!

فلما جاء الربيع واكتست الأشجار بخضرة أغصانها، في هذه الصورة الحية التي
يرسمها الشاعر:

عاد الربيعُ إلى الدنيا بموكبهِ
فأزّينتُ واكتستُ بالسُّندسِ الشجرُ
وظلت التينةُ الحمقاء عاريةً
كأنها وتدٌ في الأرض أو حجرٌ

كانت نهايتها على هذه الصورة البائسة:
ولم يطقُ صاحبُ البستانِ رؤيتها
فاجتثها، فهوتُ في النار تستعر
من ليس يسخو بما تسخو الحياةُ به
فإنه أحمقٌ بالحرصِ ينتحر

فهي لو أعطت لم تختنق بما قصرته عن نفسها وكسبت بما أعطته لا بما حفظته.

وفي «العير المتنكر»^(١)، بصفته مثلاً من الأمثال، يقربُ فيها ممن يقرؤه بعض
الحقائق الإنسانية، لتكون، كما أشرنا من قبل، أفعَل في نفسه، إذ تشخّصُ بها الفكرة،
وينهض بها موقفٌ يَصوّرُ أو حدثٌ يُسرِد. وتستحق، كما أشرنا منذ قليل^(٢)، درساً خاصاً
إذ أدخل، عن طريقها، أيضاً، عنصر الحركة والتحليل وتصوير الشخصيات:
زعم المؤدّب أن عَيراً ساءاً
ألا يُسارَ به إلى الميْدان^(٣)

(١) الجداول: النص ٧ ص ٥٧ استُلت هذه الأبيات الستة من قصيدة طويلة بعنوان «يا نوح! أين دلائل الطوفان؟» (ما
لم تجمععه الدواوين : النص ١٣ ص ١٠٣٧).

(٢) الحاشية رقم ١ ص ٤٨.

(٣) كما يسار بالحصان.

فمَضَى فقصَّرتِ القواطعُ ذيلَهُ
وسَطَّتْ مواضيها على الأذانِ
حتى إذا جاء المروُّضُ واعتلى
مثنَّيه رابِ الفارسِ الكشَّحان^(١)
لكنه ما زال غيرَ مُصدِّقٍ
حتى علا صوتُ كصوتِ الجانِ
فاستلَّ صارمَهُ فطاحَ برأسه
ورمى بجثثته إلى الغربانِ
مادام يصحبُ كلَّ حيِّ صوتهُ
فالعَيرُ لا يُخفيه جلدُ حصانِ

وفي قصيدة «المساء»^(٢) يخاطب الإنسانَ عبْر فتاة سماها سلمى^(٣) وبدأها على نحوِ
أخاذٍ يجمع مظاهر الرهبة في الطبيعة:

السُّحْبُ تركزُ في السماءِ الرحبِ ركضَ الخائفينِ
والشمسُ تبدو خلفها صفراءَ عاصبةَ الجبينِ
والبحرُ ساجٍ صامتٌ فيه خشوعُ الزاهدينِ
لكنما عيناكِ باهتتانِ في الأفقِ البعيدِ
سلمى بماذا تُفكرين؟
سلمى بماذا تحلمين؟

جعل فيها المساء رمزاً للغروب والفناء، وصوّر، على هذا النحو الذي وصفه فيه،
خوف الإنسان من فكرة العدم الزاحف قدره على الروح: اختفاء النور، وانتشار الصمت،
وانطفاء مظاهر الحياة في الكون، بما يعكس ما يحسُّ الشاعر نفسه من رهبتها، ثم خرج
منها على ما نعرف من تهوين الموقف مما يخافه الإنسان وما يأسى له، إلى دعوته إلى

(١) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

(٢) الجداول: النص ١٥ ص ٥٩٢.

(٣) اسم أمه التي كان أبو ماضي، كما تقول أخباره، يحبها حباً جماً.

تجاهل هذا الوجه الكئيب من وجوه الحياة، والتعلق بالوجه المستبشر الآخر، قبل أن يطويه ضباب العدم. ذلك أن الليل الذي يطمس ملامح الكائنات على الأرض، يوقظ، في الوقت نفسه، الأحلام المرغوبة، وتنتشر في سمائه الكواكب النيرة، فلنتملّ إذن من الليل هذا الوجه، ولنحاول أن ننسى وجهه المعتم الآخر! ثم إن مظاهر أخرى من مفاتن الطبيعة ما تزال حية في الليل:

إن كان قد ستر البلاد سهولها ووعورها
لم يسلب الزهر الأريج ولا المياه خريرها
كلا ولا منع النسائم في الفضاء مسيرها
ما زال في الورق الحفيف وفي الصبأ أنفاسها
للعنديل صدأه
لا ظفره وجناحه

ولكن الشاعر لم يستطع أن ينسى، مع هذه الدعوى التي تتردد في شعره، كأنه ما يفتأ يسكن بها روعه هو وهواجسه، أن الفناء بالمرصاد، وأن الموت بالباب، ومن ثم لا يجد في يديه غير دعوته التقليدية التي سُميَ بها: شاعر التفاؤل: أن ندير ظهورنا له، ونقصر همنا على التمتع باليوم الذي نحن فيه، فينعطف يتابع خطابه لسلمي:

فاصغي إلى صوت الجداول جاريات في السفوح
واستنشقي الأزهار في الجنات^(١) مادامت تفوح
وتمتّعي بالشهب في الأفلاك ما دامت تلوح
من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان
لا تبصرين به الغدير
ولا يلد لك الخير

ثم يختم النص بما اعتاد أن يختم دعوته إلى الفرح بالحياة: بالدعوة الصريحة إلى أن نعيش الحياة، بدل أن نرجع البصر في بعض حقائقها، وأن نكفّ من غرب^(٢) العقل، وننشد الاستراحة إلى اليأس من كشف المجهول:

(١) البساتين.

مات النهار ابن الصباح فلا تقولي: كيف مات؟
إن التأمل في الحياة يزيد آلام الحياة
فدعي الحكاية والأسى واسترجعي مرح الفتاة
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللاً
فيه البشاشة والبهاء
ليكن كذلك في المساء

حاول أبو ماضي أن يكسب لنفسه لقب «شاعر التفاؤل» في فلسفته للحياة، ودعوته الإنسان العربي إلى مواجهة ما يعتاده من الكآبة بالابتسام، وقصره البحث في معنى الحياة وقضاياها وثنائياتها الكبيرة: للموت والحياة، والخير والشر، والجمال والقبح، والحرب والسلام، والإنسان والآخر. وسلك في هذه السبيل مسلكاً يقوم على اعتماد بعض قوى النفس، من مثل عمل الإرادة والقدرة على صنع النسيان، برغم حقائق تكوينه التي تقفه موقف التساؤل الدائم من معرفة الحقيقة في خلق الكون والكائنات، واستخلاص عبرها عبر صورها المختلفة، وهو ما سماه، في الجملة «فلسفة الحياة».

وقد يذهب من يقرأ شعره في هذه الدعوة والسير على بساطها الممدود، إلى أن أبا ماضي يحاول أن يخرج من أزمتة النفسية التي حاكتها الأحداث المأساوية التي وقعت في حياته. فدعوته نوع من «المناجاة» عن طريق تحويلها إلى «حوار بينه وبين الآخرين»، ينتهي دائماً إلى التعلل باليأس والوقوف على حده.

وقد استطاع أبو ماضي أن يستميل كثيراً من الناس بدعوته هذه برغم ما تستبطنه من الرغبة في تحويل خط العجز الذاتي، إلى وهم الرضا بالواقع والاستكانة له، إذ وجدوا فيها صوتاً أفادوا من صدهاء في أنفسهم، ورأوا فيه الخلاص السهل مما يعجزهم تغييره، فتغنّوا به وردّدوه وحفظوه، وحفظوا للشاعر به ذكراً جميلاً.

وربح الشعر بما حقق من التوفيق بين الفكر والشعر، عن طريق الرموز المستوحاة من الطبيعة، وسلوك الكائنات الأخرى فيها، بما جعله يمتلك أيضاً قدرة التمثيل والتخييل والإثارة الجمالية، وهو أقصى ما يعمل له الشعر في كل أحواله.

ثم إن الشاعر، وإن لم يستطع النفوذ في شعره إلى استيعاب ما تعنيه دورة الحياة الأبدية التي تبدأ بالولادة وتنتهي بالموت، حتى يتعذر تصور الحياة دون الموت الذي هو البداية دورتها الجديدة ليقيم تفاؤله على هذا الأساس المكين الذي قد يستريح إليه العقل في آخر المطاف. قد استطاع في كل حال أن يحوّل الشعر العربي في عصره إلى الاحتفال بقضايا الإنسان الكبرى واستطاع من ناحية أخرى أن يصل بهذا الشعر إلى تحقيق وحدة القصيدة عن طريق رسم الدورات النفسية والانتهاء بها إلى نقطة المركز التي تتشعب عنها حين تتجلى في آخر النص الحقيقة الكبيرة التي تجمع خيوطه المتفرقة فيها.



وينبغي ألا ننسى، في النهاية، أن أبا ماضي رَفَدَ تكوينه الموهوب^(١)، وقد طالعه في وقت مبكر من حياته حارَ بعض الدارسين في تصديقه^(٢)، كما أشرنا، في الإسكندرية، على الدرس، لنفسه، في الليل، وفي بعض الكتابيب، كما تقول الروايات. وشعره يُنبئ بأنه لم ينقطع أبداً عن الاطلاع المكين المتصل بتراث العربية شعراً ولغةً، إلى حد الوصول بتقليب بعض مواد اللغة العربية في المعاجم، على معانيها الدقيقة، للإفادة منها في تركيب جملته الشعرية واستكمالها. أعانه في ذلك - لا شك - ذاكرة قوية قادرة، أحياناً كثيرة، على إشاعة الحياة في التعبير الذي يواتيه، بما تملك من دقائق المعاني وألوان الظلال التي ترخيها عليها، وإيقاظ الإحساس بغنى الرجوع النفسي الذي تثيره وبجماليّاته العميقة.

وعلى من يقرأ شعره ألا ينسى، إلى جانب هذا، أن أبا ماضي لم يستكمل مراحل تعلمه الأولية في مدرسة القرية (المحيطة)، وأن ظروف الأسرة اضطرتّه إلى مغادرتها، والعمل في بلد بعيد، في بعض الدكاكين. فما وصل إليه، في تعلمه، هو نتاج الصبر العظيم، والرغبة القوية، والطموح العريض، والثقة العميقة بالنفس.

(١) لا يبعد أن يكون هذا الأمر متصلاً بحساسية موروثه تعدت أبا ماضي إلى بعض أفراد الأسرة الآخرين، فأخوه الأكبر (مراد) أصدر في مرحلة متأخرة (١٩٥٢)، ديوان شعر سمّاه (السنابل)، وكان له شعر في تأبين أخيه إيليا.

(٢) يجسّد هذه الحيرة خلافهم في تحديد سنة مولده على مدى خمس سنوات ! إذ لم يصدقوا أن يصل هذا الفتى إلى ما وصل إليه، في أكثر ما وصل إليه، في (تذكّار الماضي)؟

ولعلنا نجد تصديقاً لهذه الصفات في الشعر نفسه، ففيه قدرة نفسية هيأته، برغم ما حاق به، للاستمرار في الصعود إلى الدرجات العالية التي وجدناه يذكرها لنفسه^(١). ونجد إشارة بالغة إليها في الرسالة التي كتبها إلى الدكتور طه حسين،^(٢) في أعقاب نقده الحاد لديوان (الجداول).

ويعود أكثر ما حصل أبو ماضي، في هذا الجانب الثقافي، إلى الطموح الحار الذي عُرف به، وصدقه انخراطه في الحياة السياسية المصرية، وهو في هذه السن الصغيرة، أملاً في الحصول على مكانٍ يحفظه لنفسه في مغتربه الأول، ونشره قصائد من شعره في الصحف والمجلات (اللواء) و(العلم) و(الشعب) و(الزهور)، إضافة إلى ما كانت (مرآة الغرب) و(الهدى) في الوقت نفسه، تنشرانه له في المهجر!

ومازلنا، إلى اليوم، نعدُّ أبا ماضي صفحة مفردة في تاريخنا الأدبي، نتجاوز فيها، على الأغلب، شعره الوطني والاجتماعي والسياسي إلى شعره الإنساني وحده، تقريباً، إذ فيه يقع تميّزه في الدعوة إلى جبر الروح المكسورة في الإنسان، والاستعلاء على الخوف والضعف، من خلال وقوفه أمام قضاياها الكبيرة القائمة، وثنائيات حياته المقلقة، عن طريق الفكر الشعري الحار الذي تحمله لغته السهلة القريبة من الحس، تأكيد إرثه، في الجانب الموروث من ثقافته الأدبية، مكّنه من يسر التعبير، ويسر التأليف بين الوحدات، ومن الرهافة العاطفية (إرث التكوين المفطور المتأثر بظروف حياته في المغتربات)، ومن الغنى الذي وفّرت له ثقافته معجمية جادة، مما يمكن أن يُعدَّ الجمع بين عناصره، توفيقاً بين صوت الأصالة وصوت العصر، في التجديد المعتدل الذي يقبله الناس، ويألفونه ويحبونه، ولا يحسون بالغربة معه.

وقد لا يصحّ أن يعني التحديث الواعي، في رأيه، تجاوز تراثنا الشعري والإفادة من طاقاته الإبداعية، الفكرية واللغوية، وكان المتنبي والمعري ركيزتيه فيه، بما ضمّن له قدرة

لو شئتُ لاستنزلتها كَلِّماً

(١) انظر قوله مثلاً: إن الكواكب في منازلها

الديوان الثاني: النص ٦٤.

(٢) انظر الحاشية ٣ من الصفحة ٤١ من هذه الدراسة.

التأثير الدائمة في القارئ العربي الذي ألف مراجعة التراث الشعري (إذ إن كلاً منهما ينحو، بطريقته التي تتفق وتكوينه وظرفه، نحو العقل: يجمع المتنبي إليه عاطفته القوية، في حين يلجأ المعري إلى السخرية المبطنة والظاهرة، في التعليل لعجزه عن فهم أمور الخلق).

فالانصراف عن هذا التراث العظيم، والإزاء به، طمعاً في كسب صفة الحداثة لذاتها، فيما نكتبه، فهمٌ خاطئٌ لمعنى التحديث، يغربّه في عيون الأجيال، ويقطع حركته الواعية عن امتصاص روح التراث والتعبير عنها، في تناول قضايانا التي نعيش همومها، ونتطلّع إلى الفوز بفهمها وجلاء مكانها من حياتنا.

إن أول ما يتطلبه هذا الفهم العميق لحركة التحديث في الأدب عامةً: امتلاك اللغة امتلاكاً سليماً ينفذ بنا إلى أعماق المفردة العربية، ويضع في يدنا زمامها، ويقربنا من القيم التي تكوّن جوهرها، فتجعلنا أقدر على مخاطبتها وإعادة تشكيلها في نتاجنا الإبداعي الذي تظل الموهبة «الموهوبة في التكوين» هي الأساس فيه، وفي كل عملٍ إبداعي.

والمعنى الذي يكرره الحداثيون في كتاباتهم، فيما يطلقون عليه «تفجير اللغة» يلزم أن يشرب من هذا النبع، حتى لا تتطاير أشلاء الكلمات من حولهم، في غير نفع، وتتحول النصوص التي نكتبها إلى مقابر أشباح وهياكل عظمية، تغرينا بحفرها الرغبة في أن نطلع فيها طلعةً لافتة على حساب القيم الصحيحة الأخرى. وإن من يقرأ شعر أبي ماضي الباقي في ضمير الأجيال العربية، في ضوء هذا الفهم لحركة التجديد والتحديث، يدرك تماماً مبلغ ما وعى من حقائقها، وهو ما قرّبه من نتاج المهجريين الباقي أثره في النفس العربية إلى اليوم.

ولعل هذا هو الذي حبّب إليه الاحتفاظ بموسيقا الشعر الموروثة، في نظامه العمودي، ومن المحافظة على وقع القافية فيها، حتى لقد كرر القافية في صدر البيت وعجزه معاً، في بعض الأحيان. على أنه أفاد من التلاعب بموسيقاه الشعرية مقتدياً بالموشح الأندلسي. وجرّاه النجاح فيه على التلاعب بموسيقا الأبيات في القصيدة، على نحوٍ مميزٍ، ينفرد فيه بيت واحد، أحياناً، بمكانه في النص، أو يُترك شطر من شطريه طلقاً في أواخر المقاطع.

ومكّن هذا الناس، من ناحيةٍ أخرى، من حفظ شعره وتناقله، فأعان على مدِّ شهرته وتأثيره. ومكّن طلبة المدارس من إنشاده. وقد رجعت إلى نفسي، فوجدتني أحفظ من شعره الذي حكى فيه بعض الحكايات، أو ضرب فيه بعض الأمثال، أكثر مما أحفظه للآخرين، منذ أيام التلمذة.

وما نستطيع، مع هذا، أن نُغفل حبه للموسيقا وتعلقه بسماعها في جلساتها وحفلاتها، وسعيه إليها في البيوت التي شُهرت برعايتها. ولهذا انتُخب، في أوساط المهاجرين العرب في أميركا، رئيساً لنادي الموسيقا العربية (١٩٣٣). ولم ينس، وهو في دمشق سنة ١٩٤٩، أن يسهر في بيت النائب يومذاك، فخري البارودي، المعروف برعايته للموسيقا والموسيقيين^(١). وله، في سهرته تلك، أبياتٌ أصرّ فيها على أن تظل السهرة عامرة إلى الصباح:

لتنعس الأنجم في أفلاكها

سنسهر الليل ولا ننعس^(٢)

فمما يمكن قبوله إذن أن يجد في إيقاع القوافي المتتابعة، في القصيدة الواحدة، ما يدعوه إلى الحرص عليها. ثم إن ما انتهت إليه حركة التحديث الشعرية اليوم، في شعر التفعيلة، من إغفال القوافي المتتابعة، لم يكن منتشرأً آنذاك، ولعله لم يكن، على نحو ما، مقبولاً. وقد كان يسعه إغفالها، تأثراً بالشعر الغربي الذي لا بد أن يكون قرأ أو سمع أطرافاً منه، ولكنه لم يفعل، مكتفياً بالتلاعب بها، على نحو قريب مما فعل الوشّاحون في الأندلس. لقد غلب عليه، في أدوار حياته كلّها، تأثره العميق بالشعر العربي، قديمه وحديثه على السواء، لدى الكبار منهم في الجانبين، وأرضته، في صوغ تعبيره عن فكره، جمالياته في البناء والتركيب والإيقاع المنتظم. وامتدّ هذا الشعور إلى حدّ المساس، في شعر المرحلة الأولى، بمن سماهم «الشبان المتفرنجين» من قومه، وهو يعيش إلى جانبهم، معهم، في دارٍ واحدة^(٣).



(١) يلزم أن نشير إلى تلحين بعض قصائده وإنشادها في أوساط المهاجرين العرب، من اللبنانيين وغيرهم، مثل قصيدته التي ذكرناها من قبل «نشيد يوسف بك كرم»، وقصيدته «بين الضحك واللعب»، وقد أُلحنت سنة ١٩٢١، وصدرت، مع لحنها، في ثماني صفحات.

(٢) (ما لم تجمعوه الدواوين): النص ٦١.

(٣) تذكّار الماضي : النص ٦.

ليس معنى هذا الذي قلناه ونقله، أننا لم نقف في لغته عند مفردات ممسوحة تبدو كأنها منقولة مباشرة عن المعجم، لم ينفخ فيها أبو ماضي من روحه. وهو ما التفت إليه بعض دارسيه، ورمّوه بالجمع بين الشعرية والنثرية في بعض صياغاته ومفرداته^(١). والسبب يعود، في رأينا، إلى أن حصيلة أبي ماضي من الثقافة اللغوية عامة، وثقافة المفردات خاصة، حصلها بالمطالعة والجمع لا بالمعيشة الحية. فقد يقع القارئ، في لغته، على مفردات مقهورة، أدخلها في مواضع لا تريدها، فطغت فيها صفة النظم وخفت صفة الشعر، أو انعدمت أحياناً.

ولكن الذي طغى على هذا كله، يقظة الفكر في شعره، ونجاحه، أحياناً كثيرة، في التوفيق بين الفكر والشعور، أعني بين العقل والقلب، فبقي الفكر حينها، وتحصيل المعرفة عن طريقه، هو سيّد المواقف وتعليلها في شعره، وخفت مكانة العاطفة والسؤال عنها، إذ خفف الفكر وتوهّجه، مكان الالتفات إليها، كما خطف مكان المفردة الحية.



وقد كتب أبو ماضي الشعر في أغراض مختلفة، في الاجتماع والسياسة والتاريخ. تغنى بالوطن، وصوّر بعض الوقائع في حياته وحياة أصحابه، وردّ على منتقديه و«حساده». ولم ينقطع، في الوقت نفسه، عن عمله الصحفي، منذ هبط نيويورك ١٩١٦، وبعد أن تفرّد بإنشاء جريدته (السمير)^(٢)، عن كتابة افتتاحياتها، كل ليلة، وتحرير بعض مقالاتها وردودها.

وهو، في هذا كله، لم يبلغ ما بلغه في تناول قضايا الإنسان الكبرى، من حيث الارتفاع إلى مستوى الشعر الذي يقرب الإنسان من نفسه، ويحرك، عن طريق الإيحاء،

(١) إيليا حاوي: (إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل) ص ١٠ وما حولها، وانظر الأمثلة التطبيقية التي وردت فيها.
(٢) في آخر الدراسة، كما أشرنا في الحاشية ١ ص ١٦ من هذه الدراسة، نماذج مصوّرة من الجريدة، تضم بعض افتتاحياته، ومقالاته وردوده. ومن المؤسف أن دور الكتب العامة عندنا لا تحتفظ بنسخة كاملة منها. وقد اضطررت أن أرجع إليها يوماً، فوجدت أعداداً منها في مكتبة مجلس النواب اللبناني ببيروت. انظر كتابنا (النثر المهجري- الجزء الأول) - المقدمة.

جذوة الروح فيه، ويبعث قلق الرغبة في المعرفة، والإجابة عن أهم أسئلة الوجود الغامضة، ويعدّ صوته، في هذا الاتجاه، أحد أهم الأصوات وأعلامها في أدب المهجر الشمالي (الأمريكي) الذي عني بمدّها حتى أصبحت سمةً من أبين سماته، منذ انطلاقته الأولى، وأكثرها وضوحاً في نتاجه. وقد يمكن أن تُعدّ تعبيراً عما أحس المهاجرون من أوجاع الغربة والضياع عن الذات المهاجرة القلقة المتشوّفة، في مخاضها العنيف الذي تعرضت له عبّر الصراع، بين قيم الحضارة الجديدة وقيم المهاجرين القديمة، حتى شبّه بعضهم نيويورك ببابل القديمة التي «تبلبلت» فيها أصوات الشعوب^(١).

يمكن أن نقول في الإجمال: إن أبا ماضي وسّع من مساحة الفكر في شعره، وكساه ثوباً لغوياً شفّ، في أسلوب طرحه، عن جماليات الطبيعة التي لم يبعد عنها حياته كلها، وقربه من وجدان القارئ في وقت واحد، وهياً للتفكير في قضاياها واتخاذ موقفه منها. فبقي شعره، لهذا الذي نقوله، محتفظاً، في ساحة الشعر العربي، بقدرته على التأثير ومحتفظاً بخصائصه معاً.



أمّا الأغراض العامة التي تناولها في شعره، فكثيرة، يطغى عليها، إلا في المختار منها، التقليد، يغيب فيها صوت الشاعر الخاص، ويعلو صوت الجماعة، لإحساسه بأنه يتحدث إليهم، أو نيابة عنهم. ولكنه يلطف في المختار منها، لدنوّها من نفسه.

قصيدته «بنت الدوالي»^(٢) من هذا المختار الذي يبين فيه صوته، وإن ظللنا نذكر معه، على نحوٍ ما، بشار بن برد وأبا نواس معاً. وقد تلاعب بموسيقاها، في مقاطع تجتمع وتنفرد.

(١) انظر كتابينا (الأول والثاني) في درس النثر لدى أعضاء (الرابطة القلمية) في المهجر الشمالي. وانظر بخاصة ص ١٦ من الكتاب الأول.

(٢) الديوان الثاني: النص ٣١ ص ٣٦٧.

هاتِ اسقني بالقَدَحِ الكبيرِ
صفراءَ لونَ الذهبِ المصهورِ
كأنها في أكْؤُسِ البَلُورِ
شعلة نارٍ في بقايا نور



عجبتُ للكأسِ التي تحويها
كيف استقرَّتْ والحياةُ فيها
لو لم يُدرِّها بيننا ساقِها
دارتْ على القومِ بلا مُدير



بهذه اللغة السهلة الجارية التي يحملها الحسُّ على أجنحة الخيال، يصور ساعة من ساعات النشوة، يزيد الإيقاع السريع، واختيار المفردات والرويِّ المكرور، من قدرتنا على تذوق نشوتها معه، وهو غاية ما يستطيع الشعر رفعُ المتلقي إليه، وضمُّه، من الداخل، إلى تجربة الشاعر.



ومنه قصيدته «موميات»^(١) وقد اختار لها أيضاً إيقاعاً سريعاً وروياً طلقاً مكروراً. فقد حركت فيه رؤية الفندق الفخم الذي لم ير فيه إلا عجائزَ فانيات، رؤية شعرية تقوم على الجمع بين المتناقضات، وهو المعنى الكبير الذي وقف عنده في قصائد أخرى، وخرج منه إلى، رؤية فلسفية توحد بينها. ولكنه هنا، غاب عنها:

لمن يغني الطيورُ؟	لمن يَضوعُ العبيرُ؟
لمن تُصَبُّ الخُمورُ؟	لمن تُصَفُّ القناني؟
ولا شبابٌ نضيرُ!	ولا جمالٌ أنيقُ!
أطالسُ وحريرُ!	بل مومياتُ عليها

(١) الخمائل: النص ١١ ص ٧٠٢ .

اللغة هنا تكررّ على اللسان، كأنما يكلم الشاعر فيها نفسه، دون أن يسعى إلى
تحصيلها . وترد معانيها على خاطر فور أن تقع العين على المشهد .



ومنه، من شعر المناسبات، في تكريم أصحابه، قصيدة (سماها: «إنه الشاعر»)^(١)،
ارتفع فيها، من حدود المناسبة، إلى حدود الشعر الكونية، بل تعداها إلى خالق الكون
نفسه، إذ هو صانع الجمال الذي يرضيه أن يتعبده الشاعر فيه . وقد لزمه، في مطلع
القصيدة، أن يصوّر بعض حواشي جماله:

عندما أنشأ الوجودُ اللهَ
في زمانٍ في الدهر، ما أقصاهُ!
وبدتْ في النَّباتِ والماءِ والأحْدِ
يَاءِ والصخرِ يقظةً وانتباهُ
فأطلتْ من السماءِ الدُّراري،
وتجارت على الصعيدِ المياه
وترامى النسيم، في صفحةِ النهْ
ر، بأسرارٍ وجُده وهوأُ
وسرى الفجرُ يوقظُ الروضةَ الوسْ
نى ويُذري على المروجِ نداءُ
ومشى الليلُ بعده يطمسُ الأشْ
ياءَ إلا أحلامَه ورؤاه
والورودَ الحسناءَ إلا شذاها
والغديرَ الطروبَ إلا صده
نظر الله في السَّماءِ وفي الأرْ
ضِ طويلاً، فتمتتْ شفّتها:

(١) ما لم تجمعه الدواوين: النص ٥١ ص ١١٢٥ .

«إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه
غيرَ أني نسيتُ أخلق شيئاً
لازماً لا يُستتمُّه إلاهُ
وهو عينُ ترى الوجودَ كعيني
ولسانٌ يقول: ما أحلاه»!

مقدمة لا يظن قارئها أنها مرتبطة بتكريم صديقه الشاعر (نسيب عريضة)، وتكشف
عن شعرية مفطورة، كأنما تجري معها كتابة الشعر دون إجهاد خاطر، ويجري اختيار
المفردات اللغوية وتشكيل الجمل، من أقصر الطرق، بالاستجابة الطبيعية لديه. وقد عُرف
عنه أنه كان يُدعى، في بعض الحفلات، فيكاد يرتجل الشعر الذي يلقيه فيها ارتجالاً.

وإذن فقد «تمنى» الله أن يتدارك سهوه:
فإذا كائنٌ له هيكلُ الطَّيِّ
ن، وفي هيكل الترابِ إله!
كل من يعشق الجمالَ أخوه
كلُّ أرضٍ فيها الهوى مغناه!
ويتساءل كأنه يريد أن يفجأ من يتتبعه:
من تُراه هذا الذي صاغه الله كما يشتهيهِ لما اشتهاه؟

ويجيب على الفور:
إنه الشاعرُ الذي كلُّ دنيا
تنطوي قبلَ تنطوي دنياه

ويأخذ يصفه كأنه يصف نفسه:
وجد المال عاتياً مستبداً
فأبى أن يكونَ من أسراه

لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواه؟
أي شيء خياله ما حواه
إنه الشاعر الذي ازدادت الدُّدُ
يا بهاءً لما غدت مأواه
فاشربوا يا رفاقُ سرِّ فتى العا
صي، وحيٍّ ووه، إنه إيَّاه!

ما أراده أبو ماضي، في هذه القصيدة، برغم ما أثارته عند فريق ممن درسوه، من ظن ادعاء الألوهة، هو أن يُفرد الشاعرَ بخلق الرؤى والأفكار، وهو ما نسميه: الإبداع في الفن. والخلق من صفات الألوهة، فبهذا المعنى يكون الشاعر هو خالقَ الفكرة المبدعة، وهو هيكلها الترابي:

إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه
غير أنني نسيتُ أخلق شيئاً
لازماً لا يُتَمِّمُهُ إلَّاه

وليس الاعتداد بقدرة الخلق جديداً على الشاعر في هذا النص، فأبو ماضي شديد الاعتداد بقدراته الفنية. وما يضيفه على نفسه، في شعره، يزيد كثيراً على ما أضفاه الشعراء من قبله على أنفسهم، باستثناء محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) الذي وصل بالفكرة إلى أقصى ما تصل إليه، حتى تعدى بها خلق الله^(١):

نُشاركُ الله، جلَّ الله، قدرته
ولا نضيق بها خَلْقاً وإِتقاناً
وَأين إنسانُهُ المصنوعُ من حَمَأٍ
ممن خلقناه أطياباً وألحاناً

(١) الديوان - دار العودة - بيروت، ص ١٢٩.

ولو جلا حسنه إنسانُ قدرتنا
لو دّ جبريلُ لو صُغناه إنسانا
وأيُّ نُعمى نرجّئها لدى بشرٍ
واللهُ قَرَّبنا منه وأدنانا

وليس يبعد تأثر أحد الشعارين بالآخر. إن ذهب كلُّ منهما، بالفكرة، في اتجاه.

(٥)

ونفضل أن ننهي هذه الدراسة المكثفة ببيان موقف أبي ماضي من وطنه الذي وسع الأرض العربية كلها، وهو موقف كاد أن يمتاز فيه، من زملائه، في (الرابطة القلمية)^(١)، فقد كان دائم التفكير في لبنان وسورية، وفي مصر، وفي أرض الجزيرة العربية. يستجيب لآلامها وأحداثها، فإن من خصائص تكوينه الوفاء للأرض التي نمته، والأرض التي ينتسب إليها، وتذكير المهاجرين معه بوطنهم الذي خلفوه لئلا يناموا عنه (متى يذكر الوطن النوم)^(٢)؟.

وإن مراجعة سريعة لشعره في دواوينه الخمسة، وفي شعره خارج هذه الدواوين، تصلنا بفيض من القصائد احتفظت بعناوينها، أو بإشارات كثيرة وقعت ضمنها، تغنى فيها بالوطن، وحنَّ إليه، وشكا ألمه مما يلقي من مستبديه ومستعمره، منذ غادره إلى أن دفن في مهجره البعيد.

ففي ديوانه الأول (تذكار الماضي) الذي أهداه إلى «الأمة المصرية... لا طلباً للمثوبة ولا ابتغاءاً للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحه من العطف عليها والتعلق بها»، دافع عن مناضليها وشارك في مدافعتهم المحتل ورثى زعمائها الذين قاوموه، وجمع إليها معاناة أهله في الشام وما بات يشكو من وجع الحنين إليهم^(٣):

تحنُّ إلى بلاد الشام نفسي
أقْطِرَ الشام حياءَ الغمام؛
وما غيرُ الشام وساكنيه
لبانئنا وإن بُعدَ الشام

(١) قد يلزم، أن نضيف إليه إلى حد كبير، صديقه الشاعر الحمصي (نسيب عريضة).

(٢) الديوان الثاني : النص ٤٧.

(٣) تذكار الماضي: النص ٤٩.

ولولا أن في مصرٍ مُقامي
لعمرُ أبيك ما طال المُقام
وما مصرُ التي ملكت فؤادي
ولكن أهلكها قومٌ كرام
يودُّ الطامعون بأرض مصرٍ
لو أنهم بها أبداً أقاموا!

ووصف النيل والشمس تنسكب عليه، وصفاً حياً يعجب القارئ أن يصل إلى كتابته
شاب لم يتعدَّ العقد الثاني من عمره. ولكن ذلك يعود، مع قدراته المبكرة، إلى ارتباطه
العاطفي بالنيل، ارتباطاً له دلالاته القوية على ارتباطه بالأرض^(١):

فثمَّ جلالٌ يملأ النفسَ هَيْبَةً
وثمَّ جمالٌ يملأ العينَ باهرَةً
والحظُّ شمسَ الأفقِ وهي مُطلَّةٌ
تساير فيه ظلَّها إذ تُسايره

...

إذا هي أَلقت في حواشيه نورَهَا
رأى التَّبر يجري في حواشيه ناظرُهُ
أطالت به التَّحديقُ حتى كأنما
تحاول منه أن تبين سرائره
كأنني به سِفَرٌ تدانتُ سطورُهُ
أوائله قد شُكِّلَتْ وأواخره

وكانت له، في هذه المرحلة من حياته، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، قصائد نال
فيها من السلطة العثمانية وممثليها منالاً وصل به إلى مواجهة الهلال (رمز الدولة العثمانية)
بالصليب (رمز قوى الغرب التي واجهتها، على إطلاقه) وهي مواجهة قد لا تتفق مع ميوله

(١) (تذكار الماضي) النص ٥٢ ص ٢٢٠.

العلمانية الأصيلة (بصفة الهلال رمزاً إسلامياً) ولكن كرهه للعثمانيين الذين أذلّوا وطنه - فيما كان فريق كبير من الوطنيين مسيحيين ومسلمين يرونه - أوردته هذا المورد.

ووقف موقفاً متشدداً جداً من المحتل الإنجليزي بعدهم، حتى لقد أيقظ النسب الذي يجمعه بأهلها^(١):

خَلَّنِي أَسْتَصْرِخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا
أَنَا لَا أَرْضَى لِمَصْرٍ أَنْ تُضَامَا

.....

قَسَمًا بِالنَّيْلِ لَوْ أَنَّ بِهِ
مَا بِنَفْسِي مِنْ حَوَى سَالَ ضِرَامَا
حَسَبُ مَصْرٍ أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي
أَمَّنَ اللَّهُ بِهَا الْبَيْتَ الْحَرَامَا

.....

لَسْتُ مَصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبُهُ
بَيْنَنَا تَجْمَعُ مَصْرًا وَالشَّامَا

ثم انتنى يخاطب المحتل:

كَبَّلُوا أَقْلَامَنَا جُهْدَكُمْ
وَامْنَعُوا الْأَلْسُنَ وَالصَّحُفَ الْكَلَامَا
وَإِذَا عَزَّ عَلَيْكُمْ أَنْنَا
فِي وِثَامٍ فَانْشُرُوا فِينَا الْخِصَامَا!

وفي ديوانه الرابع (الخمائل) يأسى لموت فيصل «أبي غازي»^(٢) ويرثيه رثاءً أراع معه «البيت والبلد الحرام»، ومجدّد «خُلُقِ الصَّحَارَى وَمَرْوَةِ الْخِيَامِ» التي خرج منها، وخاطب من سكتوا عن إسقاطه عن عرش الشام ورحيله عنها:

(١) ما لم تجمعه الدواوين : النص ٢ (مصر والاحتلال).

(٢) الخمائل: النص ٤٢ وراجع في كتابنا (النثر المهجري) موقفاً لزملاء أبي ماضي في (الرابطة)، من (فيصل)، في مؤتمر الصلح، بعد الحرب العالمية الأولى، ص ١٤٧ وما حولها.

فَقُلْ لِلسَّاطِطِينَ عَلَى اللَّيَالِي
وَمَنْ سَكَنُوا عَلَى يَأْسٍ وَنَامُوا
سَيُنْخَسِرُ الضُّبَابُ عَنِ الرُّوَابِي
وَيَبْدُو الْوَرْدُ فِيهَا وَالْخُزَامُ
وَيُرجِعُ أُمَةٌ تُرجَى وَيُخْشَى
وإن كَرِهَ الزَّعَانِفُ وَالطَّغَامُ

وشغلته مأساة فلسطين وأهلها شغلاً دائماً^(١):

فخَطَبُ فِلَسْطِينَ خُطْبُ الْعُلَا
وَمَا كَانَ رِزْءُ الْعُلَا هِيَّانَا
سَهَرْنَا لَهُ فَكَأَنَّ السِّيُوفَ
تَحَزُّ بِأَكْبَادِنَا هُهُنَا
وَكَيْفَ تَطِيبُ الْحَيَاةُ لِقَوْمٍ
تُسَدُّ عَلَيْهِمُ دُرُوبُ الْمُنَى
بِلَادِهِمْ عُرْضَةٌ لِلضِّيَاعِ
وَأُمَّتُهُمْ عُرْضَةٌ لِلْفَنَاءِ
لَقَدْ دَافَعُوا أَمْسَ دُونَ الْحِمَى
فَكَانَتْ حُرُوبُهُمْ حَرِبَنَا
وَجَادُوا بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَهُمْ
وَنَحْنُ سَنَبْذُلُ مَا عِنْدَنَا
فَقُلْ لِلْيَهُودِ وَأَشْيَاعِهِمْ
لَقَدْ خَدَعْتَكُمْ بِرُوقِ الْمُنَى
فَإِنَّا سَنَجْعَلُ مِنْ أَرْضِهَا
لَنَا وَطَنًا، وَلَكُمْ مَدْفَنًا

(١) المصدر نفسه: النص ٤٣.

كتب هذا الكلام وأصدره في ديوان نشره سنة ١٩٤٠، قبل قيام دولة الاغتصاب
بثمانين سنين، وفيه نستطيع أن نلمس الجرح المفتوح، منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية
القرن العشرين. ثم إنه كتبه وقد أمضى في المهجر الأمريكي ثلاثين عاماً بعيداً عن المنطقة.
ويلمس قارئه فيه حُرقة صادقة هي التي جعلت صلته بها لا تنقطع.

وقد زار لبنان بعدها وخاطبه الخطاب الذي أشرنا إليه في السابق، للرد على من
نسب إليه نسيانه، وذكر معه الفقر الذي عرفه فيه، مباحياً به^(١):

زعموا سكوئك...ليتهم نسبوا إلي الممكنا
فالمرء قد ينسى المسي ع المفترى والمحسننا
ومرارة الفقر المذ ل لبلى، ولذات الغنى
لكنه مهما سالا هيهات ينسى الموطنا!

وكانت تعذبه فيه، حين يذكره، ما حمل معه من ذكرى الفتن الطائفية قبل تقسيم ديار
الشام، وبعده. يقول في (ديوانه الثاني)، داعياً إلى التسامح:

ما كان أحوج سورياً إلى بطل
يردّ بالسيف عنها كل مفترس
ولا يزال بها والسيف في يده
حتى يطهرها من كل ذي دنس
ويجعل الحب دين القاطنين بها
دين يقرب بين «البيت» والقدس
حتى أرى ضارب الناقوس يطربه
صوت الأذنين، وهذا رنة الجرس^(٢)

ولما زار دمشق، كما ذكرنا، مطلع سنة ١٩٤٩، وألقى فيها تحيته، وحيّاً شهيدها
يوسف العظمة الذي استشهد على أبوابها، ونعى على قومه ما وقع في فلسطين، وكانت
نكبتها حلت بهم:

(١) تبر وتراب: النص ١ ص ٨٤٩ (وطن النجوم).

(٢) الديوان الثاني: النص ٤٩ ص ٤٣٦. والأذين: هو الأذان. وارجع في المصدر نفسه (الديوان الثاني) إلى مطوّلته
التي سماها (يا بلادي) النص ٥٦ ص ٤٦٣.

عجباً لقومي والعدوّ ببابهم
كيف استطابوا اللهو والألعاب
وتخاذلت أسياقهم عن سَحَقِهِ
في حين كان النصرُ منهم قاباً

.....

دنياك يا وطنَ العروبةِ غابَةً
حَشَدْتُ عَلَيْكَ أَرَاقِمًا وَذُنَاباً
فالبَسْ لها ماءَ الحديدِ مطارفاً
واجعلْ لسانك مِخْلَباً أو نَاباً

.....

ثم أخذ يصف مجد دمشق:
فاستنطقِ التَّاريخَ هل في سِفْرِهِ
مجدٌ يضاهي مجدَهَا الخالِباً
شابتْ حضاراتٌ، ودالتْ وانطوتْ
أُممٌ، ومجدٌ أُمِيّةٌ ما شاباً

على أن في شعراء المهجر الشمالي مَنْ جارى أبا ماضي في هذا الميدان. ولكن في التاريخ إشاراتٍ لعلها لم تُكتب لغيره ممن زاملوه وعاصروه وغنّوا وطنهم معه^(١). صفحة لعله ينفرد بها في المهجر الشمالي (الولايات المتحدة الأمريكية) خاصة. وقد تستأهل هذه الإشارات، أن تظلّ ريشةً في تاج الدور التاريخي الذي لعبه أبو ماضي في الحركة الشعرية المهجرية، في الشمال، إلى جانب بعض الشعراء المعروفين في المهجر الجنوبي (البرازيل والأرجنتين).

(١) انظر في انفراد أبي ماضي، في موقفه من الانتداب الفرنسي على سورية، بعد الحرب العالمية الأولى، مخالفاً زملاءه من أعضاء (الرابطة) في لجنة سمّيت (لجنة تحرير سورية ولبنان): كتابنا: (النثر المهجري - الكتاب الأول ص ١٥٣ وما قبلها وما بعدها).

الخاتمة

خلاصة ما ننتهي إليه، في هذه الصفحات، ألا شيء يخلدُ معه العمل المبدع غير الصدق الذي يحييه ويشتقه من أضلاع المبدع. وما النصوص الشعرية التي كتبها أبو ماضي، وبقيت إرثاً أدبياً ثميناً في تراثنا الشعري الحديث، إلا التعبير الصادق عن حيرته العميقة، في فهم مرامي الحياة، فيما عرض من صورها وتساءل عن حقائقها ومعانيها.

وقد تهيأ له بهذا أن يغزو ميداناً جديداً في تاريخ الشعر العربي، لم يتهيأ لشاعرٍ قبله، على امتداد عصورنا الأدبية أن يغزوه، أعني: ميدان الفكر والعقل والتفلسف، وصياغة الفكر الشعري الحارّ الذي يتناول أعقد ما يواجه عقل الإنسان ويتحدّاه: لغز الوجود، ومعنى الحياة مع الموت، وما وراء الموت. فغنّى الفكر، في تساؤله عنها، غناءً رقيقاً عذباً فُتن به الناس، وأقبلوا عليه، وتغنّوا به.

وقاده هذا التساؤل، الملحُّ، بدوره، إلى صياغة المطوّلات الشعرية، وما داخلها من تنوع المساءلات، وألوان التعبير عنها واختلاف الإيقاعات، في نظم الحكايات والأمثال، واتباع طرق السرد الشعري المكثف السريع، في وصف الأحداث وتصوير شخصوها، وإدارة الحوار بينها، وتطوير مسالكه إلى النهاية المرسومة.

وحاول أن يتخفف من ضغوطه النفسية، على مدار حياته في لبنان ومصر والمهجر الشمالي، عن طريق التأمل والتفكير، فاتجه إلى دعوة الآخر إلى التفاؤل والابتسام، على ما عانى من قسوة الأقدار التي لاحقته، منذ طفولته إلى خاتمة حياته، وعلى ما كان فيه من الإحساس بالحاجة التي اضطرتّه إلى العمل ليل نهار، في ميدان الصحافة المتعب. وبدت، في دعوته هذه، على إخلاصه فيها، الرغبة في التغافل عن حقائق الواقع الإنساني، وحدود القدرات فيه، فانتهى، أخيراً، إلى التسليم بالعجز عن الوصول إلى أجوبة ما تساءل عنه. واتخذ من هذا التسليم سبيلاً إلى الرضا بما هو فيه، ودعا الناس إلى أن يحذوا حذوه.

عن هذه الطريق، حاول أن يقنع نفسه بنفي التناقضات والثنائيات التي يعذبه التفكير فيها، فليرضَ إذن بما كان يتمنى أن يتغير في حظوظ الخلق والتكوين، إذ لا سبيل، في النهاية، إلى تغييره. ولو تغير لتمنى أن يعود إلى ما كان عليه، فالسعادة في الحياة، والفرح بالوجود، يتدفقان من داخل النفس، عن طريق التأمل فيما وهبَه، وفيما يستطيعه، بما يملك من القدرات والنعم (الغبطة فكرة).

ولم يبخل على قومه، مع هذا، بوصف ما هم فيه من أسباب التخلف والشقاق، فدعا إلى نفيها عن حياتهم. وحثَّهم على التضامن ورصَّ الصفوف، وحمل على مدَّعي الصلاح منهم، ولو كانوا من رجال الدين، فسماهم «أصحاب الكشاكيل»، وحضَّ قومه على ردِّهم والوقوف في وجوههم.

وحملَ اللغة الشعرية هذا العبء كله، فجرت على قلمه ولسانه جرياناً سهلاً، بدت المفردات معه، في كثيرٍ من الأحيان، هامدةً لا روح فيها.



يبقى أبو ماضي، في دوريه: التقليدي والمجدد، ظاهرةً تستحق الالتفات. فهذا رجلٌ خلقه الله، ولكنه صنع نفسه، وأخضع ظرفه، وشقَّ طريقاً، في الشعر، يُنسب إليه. حاول أن يُسعدِ الناس ويفيدهم ويمتعهم، عبر معاناته الذاتية، حتى لقد كاد، وهو يخاطبهم ويدعوهم إلى الفرحة بالحياة، يتخذ من خطابهم سبيلاً إلى خطاب الذات.



المصادر والمراجع

- ١ - تذكّار الماضي: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ١٩٧٤.
- ٢ - إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر (مع دراسة لزهير ميرزا) - دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٤.
- ٣ - الجداول: إيليا أبو ماضي - نيويورك ١٩٢٧.
- ٤ - الخمائل: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣.
- ٥ - تبر وتراب: إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٠.
- ٦ - ديوان إيليا أبو ماضي - بيروت (دار العودة) ٢٠٠٢.
- ٧ - إيليا أبو ماضي (دراسات عنه وأشعاره المجهولة): جورج ديمتري سليم - القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٧.
- ٨ - مجموعة الرابطة القلمية ١٩٢١ - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٤.
- ٩ - إيليا أبو ماضي شاعر التساؤل والتفاؤل: إيليا حاوي - بيروت (دار الكتاب اللبناني) ١٩٧٢.
- ١٠ - إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث: عيسى الناعوري - بيروت (منشورات عويدات) دون تاريخ.
- ١١ - إيليا أبو ماضي: عبد اللطيف شرارة - بيروت (دار صادر) ١٩٦٥.
- ١٢ - إيليا أبو ماضي: جميل جبر - بيروت (دار المشرق) دون تاريخ.
- ١٣ - إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد: طالب زكي طالب - صيدا - بيروت (منشورات المكتبة العصرية) دون تاريخ.
- ١٤ - الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) إحسان عباس ومحمد يوسف نجم - بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٧.
- ١٥ - شعراء الرابطة القلمية: نادرة جميل سراج - القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٤.

- ١٦ - قراءة جديدة لإيليا أبي ماضي: صلاح عبد الصبور - ملحقة بديوان «الخمائل» - بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٣.
- ١٧ - شعر من المهجر: محمد قره علي - بيروت (دار الإنصاف) ١٩٥٤.
- ١٨ - الشعر العربي في المهجر: محمد عبد الغني حسن - القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٥٥.
- ١٩ - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية: جورج صيدح - بيروت ١٩٥٧.
- ٢٠ - أوراق مهجرية: عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر) ٢٠٠٢.
- ٢١ - أدب المهجر: عيسى الناعوري - القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩.
- ٢٢ - الأدب العربي في المهجر: حسن جاد حسن - القاهرة ١٩٦٢.
- ٢٣ - التجديد في شعر المهجر: أنس داود - القاهرة (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) دون تاريخ.
- ٢٤ - في ديوان العرب (أحاديث في الشعر والشعراء من عصر الجاهلية إلى العصر الحديث)، الجزء الثالث (العصر العثماني والعصر الحديث): عبد الكريم الأشتر - حلب ٢٠٠٦.
- ٢٥ - النثر المهجري (المضمون وصورة التعبير): عبد الكريم الأشتر - دمشق (دار الفكر الحديث) ١٩٦٤.

كلمة موجزة

لا يحتاج هذا العمل، بعد الذي قدّمناه في درسه، إلى مقدمة طويلة، ففيه جماع أعمال أبي ماضي الشعرية، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأميركة، واحتوته دواوينه الخمسة التي أصدر أولها (تذكار الماضي)، في الإسكندرية، قبل أن يغادر مصر (١٩١١)، وأصدر الدواوين الثلاثة بعده في نيويورك (الجزء الثاني من ديوانه - وهو «ديوانه الثاني» ١٩١٩- و«الجدول» ١٩٢٧، و«الخمائل» ١٩٤٠). ثم أصدر صديقه الشاعر المهجري جورج صيدح، ديوانه الخامس (تبر وتراب)، بعد وفاته (١٩٥٧) بثلاث سنين (١٩٦٠)، جمعه من الشعر المنشور في الصحف والمجلات، مما لم تجمعه دواوينه الأربعة، في الوطن والمهجر.

ثم تصدّى أحد الباحثين، ممن عاشوا زمناً في المهجر الأميركي، الدكتور جورج ديمتري سليم، لجمع ما لم تجمعه هذه الدواوين الخمسة المنشورة، فجمعه من الصحف والمجلات العربية، في الوطن والمهجر، بعد أن تتبّع ما نُشر من شعر الشاعر فيها، في كتاب سماه: (إيليا أبو ماضي - دراسات عنه وأشعاره المجهولة)^(١).

وإذن، فالذي نقدمه اليوم، كتاب يجمع، للمرة الأولى، شعرَ الشاعر المنشور كله، ما جمعته دواوينه الخمسة، وما لم تجمعه. فيه صورة الشاعر، من وجوهها المختلفة، وفيه نصوص شعره، من جانبها المعروف لنا، وجانبها المحجوب عنا، منذ عرفنا الشاعر.

على أن المعروف من شعر الشاعر، لدى عامة القراء العرب، لم يكن يتعدّى، في الغالب، بعض نصوص شعره ومطولاته المعروفة، الذاهبة مذهب التأمل والتفكير في قضايا الوجود الكبرى، مثل قصيدته «فلسفة الحياة» ومطولتيه «الطلاسم» و«الأسطورة الأزلية»، وبعض الحكايات الرمزية والأمثال المسرودة سرّاً شعرياً، مثل «الحجر الصغير»، و«التينة الحمقاء»، و«الشاعر والسلطان الجائر».

(١) نشرته دار المعارف بالقاهرة (١٩٧٧).

وما تعدّى هذه النصوص، فيلزمه، معها، بعد الجمع، الضبط والشرح، إذ تكررت طبعاته في بعض دور النشر العربية، في لبنان وسورية والعراق، دون أن يُعنى ناشروه بضبطه وشرح معانيه، ومراجعة البعيد، من مفرداته، عن ساحة التداول العام، إذ كان من مذهب الشاعر، أحياناً - وهو الذي لم يجاوز، في نشأته، بعض مرحلة الدراسة الأولية، في مدرسة القرية - أن يلجأ إليها أحياناً، ليدل على اطلاعه على مفردات اللغة البعيدة الساكنة في بطون المعاجم، على مثال «الأذين» «في مكان «الأذان»، و«الكبا» مكان «البخور»، و«السّميدع» مكان «السيد السخي»، و«الرقيع» مكان «الرقعة»، و«الإكدار» مكان «الكدّر» الخ. ثم إن غير المعروف، من نصوص شعره، لم يحظَ بالمراجعة، إلى جانب حجه وحجزه عن النشر في الدواوين. وما قدّمه الدكتور جورج ديمتري سليم، لم يتعدّ حدود الجمع، وإلقاء الضوء على مناسبات نظمه، أو أسباب إلقائه في الحفلات.

وقد رأيت أن أحفظ للدواوين الخمسة، صورتها التاريخية، لأحفظ لها موضعها من حياة الشاعر الإبداعية. ولكنني توجّجت النص برقم يسهل الرجوع إليه. وجعلت المجموع، من شعره، خارج هذه الدواوين، يحمل رقم الديوان السادس بعد الدواوين الخمسة. وبقيت أرقام الصفحات، في كل ديوان، تتسلسل، تعين القارئ على الرجوع إلى النص المطلوب.

ويلزماني، في هذه الكلمة الموجزة، أن أنقل إلى القارئ بعض ما عانيت، في الوصول إلى بعض دواوين الشاعر، في طبعاتها الأولى التي صدرت في حياته («تذكار الماضي»، والجزء الثاني - أعني «الديوان الثاني» - و«الجدول»)، وما وفّقت في تحصيله، وما عجزت عنه فعوّضته بالرجوع إلى مصادر أخرى بديلة.

والخيبة الكبيرة كانت في الوصول إلى «الديوان الثاني»، إذ عانى الدارسون، قبلي، من خيبة الوصول إليه، حتى جعل بعضهم (في دار اليقظة العربية)، قبل رحيل الشاعر^(١)، يفخر بتقديم أكثر مادة هذا الديوان، في طبعته الأولى، لما سمّاه: «إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر»، إذ وفّرهما للقارئ في السوق! وما يزال الوصول إلى هذا الديوان - إذ لم

(١) صدر الكتاب سنة ١٩٥٤، وتوفي الشاعر سنة ١٩٥٧ .

يُطبع بعد طبعته الأولى، في نيويورك (١٩١٩) - متعذراً تماماً. وقد وجدتُ، وأنا أطلب وألحُ في الطلب، بطاقةً تحمل اسمه، في (مكتبة الجامعة الأمريكية)، في بيروت، ولكني لم أجد الديوان!

فلجأتُ، مرة أخرى، إلى كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم، إذ أحصى - وكان الديوان في يده - نصوصه، وسلسلها في صفحة منفردة، بعناوينها وأعداد أبياتها، في المراجع التي رجع إليها، بغية توثيقها، من ناحية، وإعانة الدارسين على الإحاطة بها، من ناحية أخرى. وقد تابعت، في إصدار (دار اليقظة العربية ١٩٥٤)، خطوةً خطوة. وامتنع عليّ، في النهاية، الوصول إلى نصين من نصوص هذا الديوان (نص الإهداء، ونص «معرب» عن الإنجليزية، بعنوان «نشيد التباراري»). فحفظتُ لهما مكانهما في الكتاب^(١)، لعلّي أصل إليهما يوماً، وإن لم يكن لهما، في ظني، قدرٌ في الدرس.

ووجدت النسخة الأصلية من ديوان «الجدال» المطبوعة في نيويورك (١٩٢٧) في مكتبة المقاصد الإسلامية في طرابلس الشام بלבnan، ونجحت في الحصول على صورة لها. أما (تذكار الماضي)، ديوانه الأول الذي نشره في الإسكندرية (١٩١١)، فقد وجدت صورةً له في مكتبة جامعة حلب.

ولا أعرف مصدراً لجملة النصوص التي جمعناها في «ما لم تجمعه الدواوين» من شعره، غير كتاب الدكتور جورج ديمتري سليم الذي أشرت إليه. ويهمني أن يعرف القارئ العربي والدارس والباحث، أن هذا الكتاب يقرب الشاعر منهم، على نحو يلزم أن يُذكر له^(٢) تبقى، بعد ذلك، كلمة في تقويم الشاعر ومكانه من حركة الشعر العربي الحديث، ومن حركة التجديد فيها. فهذا ليس موضعه هنا، وموضعه في الدراسة المكثفة التي تتقدم الكتاب.

(١) أهدى الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك، وقد طبع الديوان على نفقته، واسمه: نعمة تادرس. وفي ديوان (ما لم تجمعه الدواوين) نص، من أربعة أبيات، كتبه الشاعر بعنوان: «توديع نعمة تادرس». (النص ٣٣ ص ١٠٩٢) ورقم النص الثاني: «نشيد التباراري» ٧٥ ص ٥٣٣.

(٢) كان صاحب الكتاب صديقاً لولد الشاعر الثاني (روبرت)، ومكّنه، بعد وفاة أبيه، من الرجوع إلى المخطوطات التي خلفها، وعنها نقل صاحب الكتاب نصاً لم يُنشر أبداً (ص ٢٢ من الكتاب). وفيها شعر آخر له، لم يُنشر من بعد (ص ٩٤ من الكتاب).

جهد أسأل الله أن يجعله في حسنات العمر، ويجزيني به. فإني بدأت العمل لا أقصد به غير الاستجابة لمن ندبني له. فلما بدأتُه أصبح شُغلي الشاغل، وأصبحت أراه، على نحوٍ ما، رسالةً أؤديها، لا عملاً أعمله فحسب.

والله وحده المسؤول أن ينفع به.

د. عبد الكريم الأشر

الديوان الأول

الجزء الأول

(تذكار الماضي)

الطبعة الأولى (المطبعة المصرية - الإسكندرية ١٩١١)

يضم الديوان الأول «تذكار الماضي» - وهو، عند أبي ماضي، الجزء الأول من ديوانه، إذ أتبعه، بعد ثماني سنوات، من هجرته إلى أمريكا، بالجزء الثاني - أربعة وخمسين نصاً شعرياً، بين طويل، ومعتدل، وقصير.

وقد طبعه في الإسكندرية، وكان مضى على هجرته إلى مصر حوالي عشر سنوات (١٩٠٠ - صيف ١٩١١) قبل هجرته، مرة أخرى، إلى أمريكا. فعمره إذن، حين تمّ له طبع هذا الجزء الأول، لا يزيد كثيراً على العشرين (١٨٨٩ - ١٩١١) .

إهداء الديوان

إلى الأمة المصرية

« أيتها الأمة الودود!

هذا ديواني الذي نظمته تحت سمائك، وبين مغانيك، أرفعه إليك، لا طلباً للمثوبة،
ولا ابتغاءاً للشكر، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحي من العطف عليك والتعلق بك..

وهو بحمد الله لا يجمع بين دفتيه سوى ما يرضي الحق، ويرضيك، ويرضي هذا
الفن الجميل..

ولقد يكون لي أن أهديه إلى أحد أفرادك من ذوي الفضل، جرياً مع العادة، ولكنني
رأيت المجموع خيراً وأبقى»

(إيليا)

١ - الإنسان والدين

[البسيط]

إني عرفتُ من الإنسان ما كانا
فلمستُ أحمدُ بعدَ اليوم إنسانا
بلوته، وهو مشتدُّ القوى، أسداً
صعبَ المراس، وعند الضَّعْفِ تُعبانا
تعودُ الشرُّ حتى لو نبتَ يدهُ
عنه إلى الخير سهواً، بات حَسْرانا
خَفَهُ قديراً وخَفَهُ لا اقتدارَ له
فالظلم والغدرُ إما عزٌّ أو هانا
القتلُ ذنبٌ شنيعٌ غيرُ مُغْتَفَرٍ
والقتلُ يغفره الإنسانُ أحياناً
أجلَ قتلِ نفوسِ السَّائِمَاتِ له
والطير، والقتلُ قتلٌ حيثما كانا
أذاقَ ذنبَ الفلا من غدره طَرفاً
فلا يزالُ مدى الأيام يقظانا
ونفَّرَ الطيرَ حتى ما تلمُّ به
إلا كما اعتادتِ الأحلامُ وسَنَانا
سروره في بكاءِ الأكثرينَ له
وحزنُهُ أن ترى عيناهُ جَذْلانا
كأنما المجدُّ ربُّ ليس يعطفهُ
إلا إذا قدَّمَ الأرواحَ قُربانا

هو الذي سلب الدنيا بشاشتِها
وراح يملؤها همًّا وأحزاناً
لا تصطفِ فيه وإن أثقلتْهُ مِننا
يَعْدُو عليك وإن أولاك شُكرانا
قالوا ترقى سليل الطَّينِ قلتُ لهم
الآن تم شقاء العالم الآن
إن الحديد إذا ما لَانَ صار مُدَى
فكن على حذرٍ مِنْهُ إذا لانا
والمرءُ وحشٌ، ولكنَّ حُسْنَ صورته
أنسى بلاياه من سمِّهِ إنساناً
قد حارب الدينَ خوفاً من زواجه
كأن بين الوري والدينِ عُدواناً
وراح يهدم ما الرحمنُ شَيَّدَهُ
وليس ما شَيَّدَ الرحمنُ بنيانا
إني لياخذني من أمره عجبٌ
أكلُّما زاد علماً زاد كُفرانا ؟
وكلُّما انقادت الدنيا وصار له
زمامُها إنقاد للآثام طغيانا
يرجو الكمال من الدنيا وكيف له
نيلُ الكمال من الدنيا وما دانا
إذا ارتدى المرء ما في الأرض من بُردٍ
وعاف للدين برداً عاد عُريانا
هو الحياة التي ما غادرت جسداً
إلا اغتدى الميتُ أحيا منه وجدانا

وهوالضياءُ الذي يمحو الظلامَ فَمَنْ
لا يهتدي بسَنَاهُ ظُلٌّ حيرانا
والمنهلُ الرائقُ العذبُ الورودِ فَمَنْ
لا يستقي منه دَامَ الدهرَ عطشانا
ليس المَبْذَرُ من يَقْلِي^(١) دراهمهُ
إِنَّ المَبْذَرُ مَنْ لِّلْدَيْنِ ما صانا
ليس الكفيفُ الذي أمسى بلا بصرٍ
إني أرى من ذوي الأبصارِ عُميانا

(١) قلاه - يقلية: أبغضه.

٢ - المرأة والمرآة

[الطويل]

أقامتُ لدى مرآتيها تتأملُ
على غَفْلَةٍ مِمَّنْ يَلُومُ ويعذلُ
وبين يديها كلُّ ما ينبغي لِمَنْ
يصوِّرُ أشباحَ الورى ويمثِّلُ
مِنَ الغَيْدِ تَقْلِي كلَّ ذاتِ مَلاحَةٍ
كما باتَ يَقْلِي صاحِبَ المالِ مُرْمِلُ
تَغَارُ إذا ما قِيلَ: تلكَ مَليحةٌ
يَطِيبُ بها للعاشقينَ التَغَزُّلُ
فتحمرُّ غَيظاً ثمَّ تحمرُّ غَيْرَةً
كَأَنَّ بها حُمَى تَجِيءُ وتُقْفِلُ
وتُضْمِرُ حَقْداً للمحدثِ، لودرى
به ذلكَ المسكينُ ما كادَ يَهْزِلُ
أثارَ عليه حِقْدَها غيرَ عامِدٍ
وحِقْدُ الغواني صارمٌ لا يُفْلِلُ
فلو وَجَدَتْ يوماً على الدهرِ غادَةً
لأوشكَ مِنْ غُلُوِّه يَتَحَوَّلُ^(١)
فتاةٌ هي الطاووسُ عَجَباً وذيلاًها
- وَلَمْ يَكُ ذِيلاً - شعرُها المتهدِّلُ

(١) وَجَدَ عَلَيْهِ مَوْجِدَةً: حَقْدَ. وَالْغُلُوُّ: الغلوُّ (يريد: حقد الغواني، في البيت السابق).

سَعَتْ لاحتِكَارِ الحُسْنِ فِيهَا بِأُسْرِهِ
وَكَمْ حَاوَلْتُ حَسَنَاءَ مَا لَا يُؤْمَلُ
وَتَجَهَّلُ أَنَّ الحُسْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
وَإِنْ هُوَ إِلَّا زَهْرَةٌ سَوْفَ تَذْبُلُ
وَأَنْ حَكِيمَ القَوْمِ يَأْنَفُ أَنْ يُرَى
أَسِيرَ طَلَاءٍ بَعْدَ حِينٍ سَيَنْصُلُ
وَكُلُّ فَتَى يَرْضَى بِوَجْهِ مَنْمَقٍ
مِنْ النَاعِمَاتِ البَيْضِ فَهُوَ مُغْفَلُ
إِذَا كَانَ حُسْنُ الوَجْهِ يُدْعَى فَضِيلَةً
فَإِنَّ جَمَالَ النَفْسِ أَسْمَى وَأَفْضَلُ
وَلَكِنَّمَا أَسْمَاءٌ بِالْغَيْدِ تَفْتَدِي
وَكُلُّ الْغَوَانِي فِعْلٌ أَسْمَاءُ تَفْعَلُ
فَلَوْ أَمِنْتُ سُخْطَ الرِّجَالِ وَأَيَقَنْتُ
بِسُخْطِ الْغَوَانِي أَوْشَكَتُ تَتَرَجَّلُ^(١)
قَدْ اتَّخَذَتْ مِرَاتَهَا مُرْشِدًا لَهَا
إِذَا عَنْ أَمْرٍ، أَوْ تَعَرَّضَ مُشْكَلُ
وَمَا تَمَّ مِنْ أَمْرٍ عَوِيصٍ وَإِنَّمَا
ضَعِيفُ النُّهَى فِي وَهْمِهِ: السَّهْلُ مَعْضَلُ
تُكْتَمُ عَنْ يَعْقِلُ الْأَمْرَ سِرُّهَا
وَلَكِنَّهَا تُفْشِيهِ مَا لَيْسَ يَعْقِلُ
فَلَوْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَحْفَظُ ظِلَّهَا
رَأَيْتَ بَعِينِيكَ الَّذِي كُنْتَ تَجْهَلُ
وَزَادَ بِهَا حُبُّ التَّبَرُّجِ أَنَّهُ
حَبِيبٌ إِلَى فَتْيَانِ ذَا الْعَصْرِ، أَوَّلُ

(١) تَرَجَّلَ (في اللغة) : مشى راجلاً. والقصد هنا : أوشكت تكون رجلاً.

أَلَمُوا بِهِ حَتَّى لَقِدَ أَشْبَهُوا الدُّمَى
فَمَا فَاتَهُمْ، وَاللَّهِ، إِلَّا التَّكْحُلُ
فَتَى الْعَصْرِ أَضْحَى فِي تَطْرِئِهِ حُجَّةً
تُقَاتِلُنَا فِيهَا النِّسَاءُ فَتَقْتُلُ
إِذَا ابْتَدَلَتْ حَسَنَاءُ ثُمَّ عَذِلَتْهَا
تَوَلَّتْ وَقَالَتْ كُلُّكُمْ مَتَبَذَلٌ

٣ - المودة

[الخفيف]

مَا لِهِنْدٍ وَكُلُّ حَسَنَاءٍ هِنْدٌ
كُلُّ يَوْمٍ تَبْدُو بِزِيٍّ جَدِيدٍ
تَلْبَسُ الثُّوبَ يَوْمَهَا وَهِيَ تُطْرِدُ
لَهُ وَتُطْرِدُهُ عِنْدَهَا كُلُّ خُودٍ^(١)
فَإِذَا جَاءَ غَيْرُهُ أَنْكَرَتْهُ
فَرَأَيْنَا الْحَمِيدَ غَيْرَ حَمِيدٍ
أُولَعَتْ نَفْسَهَا بِكُلِّ طَرِيفٍ
لَيْتَهَا أُولَعَتْ بِبَعْضِ التَّلِيدِ^(٢)
أَصْبَحَتْ تَعِشُّقُ الْمِشْدَ^(٣) وَلَمْ أَبْ
حَصِرُ طَلِيقاً مَتِيماً بِالْقَيُودِ
رَحْمَةً بِالْخُصُوفِ أَيْتَهَا الْغِيْدُ
دُورُفَقاً رَفَقاً بِتِلْكَ الْقُدُودِ
مَا جَنَّتُهُ الزَّنُودُ حَتَّى يَنْالَ الْ
عُرِّيَّ مِنْهَا، يَا عَارِيَاتِ الزَّنُودِ؟
وَعَلَامَ الْأَذْيَالِ أُمَسْتُ طَوَالاً
كَلِيَالِي الصُّدُودِ أَوْ كَالْبُنُودِ؟^(٤)

(١) الأصل: خُود، وهي الحسناء.

(٢) القديم.

(٣) «الكورسيه».

(٤) الأعلام.

لَوْ تَكُونُ الذُّيُولُ أَعْمَارَ قَوْمٍ
لَضَمْنًا لَهُمْ نَوَالِ الْخُلُودِ
قَصَرَتْ هَمُّهَا الْحَسَانُ عَلَى اللَّهِ
و، وَيَا لَيْتَ لَهَا بِالْفَيْدِ
سَاءَ حَالُ الْأَزْوَاجِ فِي عَصْرِنَا هـ
ذَا، وَسَاءَتْ أَحْوَالُ كُلِّ وَلِيدِ
كُلِّ زَوْجٍ شَاكٍ، وَكُلِّ صَغِيرِ
دَامَعِ الْطَرْفِ كَارِهِ لِلْوُجُودِ
يَظْلُمُ الدَّهْرُ حِينَ يَعْزُو إِلَيْهِ الـ
بُؤْسَ، وَالْبُؤْسُ كُلُّ أَمٍّ كَنُودِ^(١)
لَا رَعَى اللَّهُ زَوْجَةً تَنْفَقُ الْأُمَّ
وَالْعَمْرَ فِي اقْتِنَاءِ الْبُرُودِ
لَيْسَ فِي اللَّهِ وَالْبَطَالَةِ فَخْرٌ
إِنَّمَا الْفَخْرُ كُلُّ عِرْسٍ كَدُودِ^(٢)

(١) كافرة بالنعمة.
(٢) شديدة في العمل.

٤ - عن مصر

[البسيط]

لا أَخِذُ الدَّهْرَ مَهْمَا ضَنَّ أَوْ بَخِلَا
تَاللهِ يَحْمِلُ وَزْرِي وَهُوَ مَا عَقِلَا^(١)
جَنَى عَلَيَّ طَلَابُ الْعِلْمِ فِي فَنَاءِ
لا تَعْرِفُ الْمَرْءَ إِلَّا بِالْغِنَى رَجُلَا
وَكَانَ لِلْحَرِّ أَنْ يُثْرِيَ ثَرَاءَهُمْ
لَوْ كَانَ يَرْضَى بِهِ مَنْ عَرَضَهُ بَدَلَا
أَهْوَى الْحَيَاةَ فَإِنْ عَنَّتْ عَلَى ضَعْفِ
صَدَفْتُ عَنْهَا كَأَنِّي أَعْشَقُ الْأَجَلَا
لَيْسَتْ حَيَاةُ الْفَتَى إِلَّا كِرَامَتُهُ
سَاءَ الذَّلِيلُ مُقَاماً أَيْنَمَا نَزَلَا
يَا رَبِّ مُعْتَرِضٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ
وَافِي يَسْوَاقِ لِي التَّعْنِيفِ وَالْعَذَلَا
حَتَّى تَدْفَعُ عَن مِصْرٍ وَلَسْتُ لَهَا
بَابِنٍ وَلَا نَاقَةً تَبْغِي وَلَا جَمَلَا
فَلُذْتُ بِالصَّمْتِ حَتَّى لَاحَ لِي عِلْمُ
ضَافٍ تَدَاعَبُهُ أَيْدِي الصَّبَا جَدَلَا
وَقُلْتُ: أَنْظِرْ، فَوَلَّى شَطْرَهُ فَرَأَى
رَسْمَ الْهَلَالِ^(٢) فَوَارَى وَجْهَهُ خَجَلَا

(١) لا يعقل.

(٢) إشارة إلى الراية العثمانية.

وعدتُ أرثي له ممّا ألمَّ به
وعاد يعثرُ في أذياله خَبَلاً



وقائلٌ: كيف ترقى مصرُ؟ قلتُ له:
حَسْبُ الكِنَانَةِ شَعْبٌ يَعشُقُ العَمَلَا
يَقْظَانُ لَا جَزَعاً مِمَّا يَحَازِرُهُ
فَمَنْ يَخْفُ فِشْلاً فِي سَعِيهِ، فِشْلاً
ثَبَّتَ العَزِيمَةَ لَا يَلْوِي بِهَمَّتِهِ
كَيْدَ الطَّغَامِ وَلَا بُعْدَ المَرَامِ، وَلَا
خَيْرَ المَحْبِّينَ صَبٌّ لَا سَلْوَةَ
لَا خَيْرَ فَيَمْنٍ إِذَا حُمَّ الفِرَاقُ سَلَا
شَعْبٌ يَسَاقُ نَحْوَ المَجْدِ هَاجِسُهُ
إِنِّي وَجَدْتُ التَّوَانِي يَخْلُقُ الكَسَلَا
وَلَا يَنْبِي إِنْ عَرَاهُ حَادِثٌ جَلَلٌ
حَتَّى يَكُونَ عَلَيْهِ حَادِثاً جَلَالاً
حَوَادِثُ الدَّهْرِ إِعْصَارٌ تَهْبُّ، فَمَا
يَبْقَى عَلَيْهَا سِوَى مَنْ أَشْبَهَ الجِبَالَا
وَلَوْ أَقَالَ الفَتَى مِنْ غَمْرَةٍ وَجَلَّ
لَمْ تَلْقَ فِي النَّاسِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الوَجَلَا
شَعْبٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ المَوْتُ مُحْتَرِماً
مَنْ أَنْ يَعِيشَ طَوَالَ الدَّهْرِ مُبْتَذِلاً



مَا أَجْمَلَ الحُكْمَ بَيْنَ القَوْمِ مُشْتَرِكاً
فَالْمَرْءُ مِنْفَرِداً لَا يَأْمَنُ الخَطَلَا

لَا يَعْجَبُ النَّاسُ إِلَّا سُودُّوا رَجُلًا
 فَسَامَهُمْ مَا يَسُومُ الْجَازِرُ الْهَمَلَا
 فَالْبَدْرُ يَكْسِفُ نُورُ الشَّمْسِ طُلُعَتُهُ
 وَالْبَدْرُ لَوْلَا ضِيَاءُ الشَّمْسِ مَا كَمَلَا
 إِنَّ الْمَمَالِكَ قَدْ تَحْيَا بِلَا مَلِكٍ،
 إِذَا أَرَادَتْ ، وَلَا تَحْيَا الْمُلُوكُ بِلَا...^(١)
 وَإِنْ سَرَى الْجَهْلُ فِي شَعْبٍ فَضَعُضَعُهُ
 فَالْعِلْمُ خَيْرُ دَوَاءٍ يُصْلِحُ الْخِلَالَا
 بَحْرُ لَنْ غَاضَ^(٢) مَاتَ الْخَلْقُ مِنْ ظَمًا
 وَكَوَكَبٌ تُظْلِمُ الدُّنْيَا إِذَا أَفَلَا
 هُوَ الْجُرَّازُ^(٣) الَّذِي مَا مَسَّهُ فَلَلُ
 وَكُلُّ عَضْبٍ نَرَى فِي حَدِّهِ فَلَلَا
 بَلَى هُوَ السِّيفُ لَكِنْ لَا يُرِيقُ دَمًا
 وَلَيْسَ يَكْتُمُهُ غَمْدٌ إِذَا نَصَلَا^(٤)
 لَوْلَاهُ لَمَّا نَرَى الْأَمْوَاجَ حَامِلَةً
 مِنَ الْحَدِيدِ جِبَالًا تَحْمِلُ الْقُلُلَا^(٥)
 مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ فِي اللَّجِّ تَحْسَبُهَا
 ذَا حَاجَةٍ رَاحَ يَعْدُو نَحْوَهَا عَجَلَا
 جِزءٌ مِنَ الْأَرْضِ فَوْقَ الْمَاءِ مَنْتَقِلُ
 فِيهِ مِنَ النَّاسِ جِزءٌ بَاتَ مُرْتَحِلَا
 وَلَا الْقَطَارُ الَّذِي أَضْحَى يَخْبُ بِنَا
 فِي كُلِّ فَجٍّ يَرُوضُ الْحَزْنَ وَالسَّهْلَا

(١) الملوك لا تحيا بلا شعوب.

(٢) جف.

(٣) السيف.

(٤) نصل: ظهر نصله.

(٥) أعالى الجبال.

من كلِّ مضطربٍ في الأرض ذي لَجَبٍ
 يُنْسِيكَ مَنْظَرُهُ الْأَحْدَاجَ ^(١) وَالْإِبْلَا
 لَا يَشْتَكِي فِي السُّرَى أَيْنَاً وَلَا لَغَباً ^(٢)
 وَتَشْتَكِي الْأَرْضُ جَهراً عَبءَ مَا حَمَلَا
 سِوَى عَجَائِبَ لَا يُحْصَى لَهَا عَدَدُ
 حَتَّى يَعْدَّ يَرَاعَ الْكَاتِبُ الرَّمْلَا ^(٣)
 وَلَوْ يُطِيفُ ذَوُّهَا بِالْأَلَى دَرَجُوا
 مِنْ قَبْلِنَا حَسِبَتْهُمْ رُسُلُهُمْ رُسُلَا
 مَا كَانَ يَخْطُرُ فِي قَلْبِي وَلَا خَلْدِي
 أَتَى أَرَى الْمَرْءَ فِي الْأَفْلَاكِ مَنْ تَقَلَّ
 سَمَا إِلَى الْأَفْقِ فَارْتَاعَتْ فِرَاقُهُ
 حَتَّى اغْتَدَى زُحُلٌ يَخْشَى بِهِ زُحَلَا
 وَأَيَقِنُ اللَّيْثُ أَنْ لَا حَصْنَ يَعْصِمُهُ
 فَكَادَ مِنْ ذَعْرِهِ يَسْتَعْطِفُ الْحَمَلَا
 وَأَصْبَحَ الْحَوْتُ مُلْتَاغَ الْفَوَادِ أَسَى
 كَالْحَوْتُ فِي الْمَاءِ يَخْشَى النَّارَ وَالْأَسَلَا ^(٤)
 كَذَلِكَ الْعِلْمُ يُعَلِّي قَدَرَ صَاحِبِهِ
 فِي النَّاسِ حَتَّى يُرَى بِالشَّهْبِ مُنْتَعِلَا
 أَنْظِرْ إِلَى الشَّرْقِ فِي جَهْلٍ وَخِذْ عِظَةً
 وَأَنْظِرْ إِلَى الْغَرْبِ فِي عِلْمٍ وَخِذْ مِثْلَا

(١) مَا تَحْمَلُهُ الْجَمَالُ مِنْ بَيُوتِ الرَّاحِلِينَ.

(٢) الْأَيْنُ وَاللَّغَبُ: التَّعَبُ وَالْإِعْيَاءُ.

(٣) يَقْصِدُ التَّمَهُّلَ فِي الْعَدِّ.

(٤) الرَّمَايحُ.

٥ - شكوى فتاة

نظمها الشاعر بلسان فتاة أرغمها ذووها على الاقتران برجل طاعن في العمر.

[الرمل]

لِيْ بَعْلٌ ظَنَّنَهُ النَّاسُ أَبِي
صَدَّقُونِي، إِنَّهُ غَيْرُ أَبِي
وَاعْدِلُوا عَنْ لَوْمٍ مَنْ لَوْمَزَجَتْ
مَا بِهَا بِالمَاءِ لَمْ يُسْتَعْذَبِ
رُبَّ لَوْمٍ لَمْ يَفْدُ إِلَّا العَنَا
كَمْ سَهَامٍ سُدَّدَتْ لَمْ تُصِيبِ ؟
يَشْتَكِي المرءَ لِمَنْ يَرِثِي لَهُ
رُبَّ شَكْوَى خَفَفَتْ مِنْ نَصَبِ



زَعَمُوا أَنَّ الغَوَانِي لُعَبٌ
إِنَّمَا اللُّعْبَةُ طَبْعاً لِلصَّبِي
وَأَنَا مَا زِلْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا
فَلِمَاذَا فَرَّطَ الْأَهْلُونَ بِي؟
لِيْ قَدْ وَجُمَالٌ يَزْدِرِي
ذَاكَ بِالْغُصْنِ، وَذَا بِالْكُوكَبِ
قَدْ جَرَى حُبُّ الْعُلَا مَجْرَى دَمِي
فَهِيَ سُوْلِي وَالْوَفَا مِنْ مَشْرَبِي
أَنَا لَوْ يَعْلَمُ أَهْلِي دُرَّةً
ظَلِمْتُ فِي الْبَيْعِ كَالْمُخْشَلَبِ (١)

(١) الخز.

أخذوا الدينارَ مِنِّي بدلاً
أُثْراني سلعةً للمكسبِ ؟
لا، ولكن راعهم عَصْرُ به
ساد في الفتيانِ حبُّ الذهبِ
ليس للآدابِ قدرٌ بينهم
أه لو كان نُضاراً أدبي !
حَسِبوني حينَ لازمتُ البكا
طفلةً أَجْهَلُ ما يَدري أبي
ثمَّ بالغُولِ أبي هَدَدني
أين من غولِ المنايا مَهْرَبي ؟
أشيبُ لو أنه يغشى الدُّجى
شابَ ذِعْراً منه رأسُ الغِيْهَبِ (١)
ليت ما بيني وبين النومِ منْ
فُرْقَةٍ بيني وبين الأشيبِ
يا له فظاً كثيرَ الحزنِ، لا
يعرفُ الأنسُ، قليلَ الطَّرَبِ
يَخْضِبُ الشَّعْرَ ولكنْ عبثاً
ليس تخفى لغةُ المستعربِ



قل لأهل الأرض: لا تخشُوا (٢) الردى
إنه مششتغل في طالبي
ولنْ يعجبُ منْ بُغْضي له:
أيُّها الجاهلُ أمري، اتَّبِ (٣)

(١) الظلمة.

(٢) الأصل: « تخشوا ».

(٣) اتَّب: تَأَنَّى وتمهَّل واستحيا.

إِنَّمَا الْغَصْنُ إِذَا هَبَّ الْهُوَ
مَالَ لِلْأَغْصَانِ لَا لِلْحَطَبِ
وَإِذَا الْمَرْءُ قَضَىٰ عَصْرَ الصُّبَا
صَارَ أَوْلَىٰ بِالرَّدَىٰ فِي مَذْهَبِي

٦ - إلى الشبان المتفرنجين

[الكامل]

يا أيها الشرقُ التعيسُ، انظرُ إلى الـ
ـقوم الذين شددتَ أزرَكَ فيهمُ
ما زلتَ تكلوهمُ بطرفٍ ساهرٍ
يُحيي الظلامَ وهمُ هجودُ نومٍ
والغربُ يرنو خائفاً أن يَخلفوا
أجدادهمُ ويودُّ لو لم يَنعموا
حتى إذا طرَّتْ شواربُهم ويا
تَ من الشبابِ لهم طرازُ مُعلمٍ
خرجوا عليكِ وأنتَ لا تدري وهمُ
لا يشعرون ولو دروا لتندموا
يا طالما مثَّلوا ليدك كأئهم
أسدُ الشرِّى فنسيتَ أنكَ تحلمُ
ورجوتَ ما يرجوه كلُّ أبٍ لدى
أبنائه، إنَّ العقوقَ مذمَّمُ
ولطالما شِدَّتِ القصورُ مِنَ المُنَى
خابَ الرجاءُ وساءَ ما تَتَوهمُ
ألَهتَهُمُ الدُّنيا فهذا بالطلا
صبُّ، وهذا بالجِسانِ متيمٌ
والخمرُ فاتكةٌ فكيفَ بناعمٍ
تُرفِ يكادُ من النسائمِ يُسقَمُ

قد أصبحوا وقفاً على شهواتهم
يستسلمون لها ولا تستسلم
لم يفهموا معنى الحياة وكُنْهها
إن البليَّة أنَّهُم لم يفهموا
فليُقلِّعوا عن غيِّهم، إنِّي أرى
خَوْرَ الشيوخ بهم ولَمَّا يهرموا
قد قلَّدوا الغربيَّ في أفاته
تقليدُه الشرقيُّ فيما يَعصمُ
فتنتهم لغةُ الأعاجم إنما
لغةُ الأعاجم منهم تتبرم
أمسى الذي تُهدى إليه لآلئُ
وكأنَّما هو بالحجارة يُرجمُ
لا تعذلِ الشعراءَ إن بخلوا به
إنَّ القريضَ على الغبيِّ مُحَرَّمُ
بتُّنا وباتَ الشرقُ يمشي القَهْقَرى
مع ذاكَ نحسبُ أنَّنا نتقدمُ!

٧ - هديتي

إلى مدارس الشعب بالاسكندرية (وهي مدارس كان الحزب الوطني قد أنشأها بالمدينة)

[الكامل]

ما للهُموم الطَّارِقَاتِ وما لي
أَسْهَرُنِي ورَقْدُنَ عن أوجالي
أَمْسِينَ مَلَأَ جَوَانِحِي، ما نابني
خَطْبٌ، ولا خَطَرَ الغَرَامُ بَبَالِي
أَهْوَى وقد عَبَثَ المَشْيِبُ بِمَفْرِقِي
ليس الغَوَايَةِ للكَبِيرِ البَالِي
ما ثَمَّ دَاءٌ يُسْتَطَارُ له الكَرَى
ما ثَمَّ غَيْرُ كَابَةِ وَمَلَالٍ
أَرعى الثَّوَابِقَ^(١) في الظَّلَامِ كَأَنَّهَا
زَهَرُ الحَدَائِقِ أو نَثِيرُ لَالٍ
وَكأَنَّمَا شَوْكُ القَتَادِ بِمَضْجَعِي
وَكأَنَّ حَشَوَ سَادَتِي بَلْبَالِي^(٢)
حتى إِذَا عَكَفْتُ عَلَيَّ وسَاوَسِي
وَنَبَا الفَرَّاشُ نَزَعْتُ لِلتَّجْوَالِ
فَخَرَجْتُ كَالْمَنْشُورِ بَعْدَ مَمَاتِهِ
وَرَكِبْتُ مَتْنَ اللَّيْلِ غَيْرَ مُبَالِ

(١) الثَّاقِبُ: صفة للشهاب (شهاب ثاقب) أراد: النجوم الثواقب (جمع: ثاقبة).

(٢) قَلْفِي.

وذهبتُ اخترقُ المسالكَ مدلجاً^(١)
 وكأَنَّمَا أَطْلَقْتَ مِنْ أَغْلَالِ
 أسعى وما من غايةٍ أسعى لها
 سعيًّا إلى أملٍ من الآمالِ
 فاستوقفتني ضجَّةٌ في حانةٍ...
 حبستُ مقاعدَها على الجهالِ
 حاموا على الصَّهْبَاءِ يرتشفونها
 كالطيرِ حولَ مصفّقِ السُّلْسَالِ^(٢)
 في غفلةِ العُذَّالِ في غسقِ الدجى
 إنَّ السَّعادةَ غفلةُ العُذَّالِ
 نهَبَ الكؤُوسُ عقولَهُمْ ونُضَارَهُمْ
 نهَبَ المديِرِ الخادِعِ المحتالِ
 أمسى يسوقُ إليهمُ آجالَهُمْ
 وحتُّوفَهُمْ في صورةِ الجريالِ^(٣)
 شرُّ الشرابِ الخمرُ، يصبحُ صبُّها
 قيدَ الضُّنَى، ويبىَّت رهنَ خَبَالِ
 يا سالبَ الأرواحِ بعضُ ترفُّقٍ
 يكفيكَ أنكَ سالبُ الأموالِ
 لا تدفعنَّ تلكَ النفوسَ إلى الردى
 إنَّ النفوسَ وإن صغرْنَ غَوَالِ
 وإذا بمخمورٍ يتيه مُعربداً
 خبَلُ به، ما زال تبيهُ دلالِ

(١) سائراً بالليل.

(٢) تصفيق الشراب: تحويله من إناء إلى آخر.

(٣) الخمر.

حيرانَ مضطربَ الخطا فكأنما
 قد راح يمشي فوق جمرٍ صالٍ
 متخبطاً^(١) في سَيْرِهِ متأوِّدٍ
 كالغصن بين صبا وبين شمال
 عقدَ الشرابُ لسانَهُ ولقد يرى
 طلقاً، وفكاً مجامع الأوصال
 فكباً كما يكبو الجوادُ على الثرى
 شُدَّتْ عليه فوادحُ الأثقال
 وتقدم الشرطي يمشي نحوه
 مشيَ الفخورِ بنفسه، المختال
 متلفتاً عن جانبيه كعاشقٍ
 مُتَلَفِّتٍ حذرَ الرقيبِ القالي^(٢)
 ورأيتُهُ وبنائه في جيبِهِ
 فعَلِمْتُ سرّاً تَلَفُّتِ المحتال
 لا تعجبوا ممَّا أحدثْكُمْ به
 كم تحت ذاك الثوبِ من نشالٍ
 ثم انثنى متبسماً وإذا فتى
 غَضَّ الإهاب ممزقَ السُّريال
 وأتى فحرَّكهُ فألفى جَنَّةً
 هَمَدَتْ فَأَجْفَلَ أَيَّما إجفال
 وحنأ عليه يضمُّه ودموعه
 تنهلُّ مثلَ العارضِ الهطال

(١) نوع من أنواع السير.

وأتى ذويه نعيه فتألبوا
 والغيدُ تُعُولُ أيُّما إعوَال
 أرخصنَ ماءَ الجَفَنِ ثمَّ أذلَّنَه^(١)
 ولقد يكون الدمعُ غيرَ مُذَال
 ولقد شهدتُ صِغارَه في حَيْرَةٍ
 من أمرِهِم، لهفي على الأشبال
 لا يفقهون الحزنَ غيرَ تَأَوُّهٍ
 ما الحزنُ غيرُ تَأَوُّهٍ الأَطْفَال
 ما كنتُ أعلمُ قبلَ ما حَفَّوا به
 أنَّ الشَّقِيَّ الجَدَّ^(٢) ربُّ عِيَال
 أسفي عليه مُضَرَجاً لم تمتشَقْ
 يدهُ الحَسَامَ ولم يسِرْ لِقِتَال
 أودى ضَحِيَّةً جهلِه، كم يائسُ
 أودى شهيدَ الجهلِ والإهمال
 فرجعتُ مصدُوعَ الفؤَادِ أبثُكُم
 شَجَوِي وأندبُ حالةَ العَمَال
 باتوا من الأرزاءِ بين مَخَالِبِ
 من دونهنَّ مَخَالِبُ الرُّئْبَالِ^(٣)
 خَطَرَانِ من جهلٍ وفقرٍ، ما الرَّدَى
 غيرُ اجتماعِ الجهلِ والإقلال
 فخذوا بناصِرِهِمْ فإنَّ حياتَهُم
 في مَأْرَقٍ حَرَجٍ من الأهوال

(١) الإذالة: الإهانة. أذاله: أهانه.

(٢) الحظ.

(٣) الأسد.

ما أجدرَ الجهلاء أن يتعلّموا
فالعلمُ مصدرٌ هيبَةٌ وجلال
فاسعوا لنشر العلم فيهم إنّما
فضلُ الغمام يَبِينُ في الإِمْحَال^(١)
إنّ الجَهولَ إذا تعلّم واهتدى
بثّ الهدى في صحبه والآل
يا قوم إن لم تسعفوا فقراءكم
فلِم اتّخاركم إذا للمال
هلاً رضيتم بالمحامد قُنيَةً
إنّ المحامد قُنيَةُ المُفْضَال
أولستم أبناء مَنْ سارت بهم
في المُكْرَماتِ روائعُ الأمثال
جُودوا فغيرُ الحمد غيرُ مَخْلَدٍ
ما المالُ؟ إن المالَ طيفُ خيال
هيهات! ما يبقى ولوعدَدَ الحصى،
أنى يــــدومُ وربّه لــــزوال؟

(١) الجذب.

٨ - الرجل والمرأة

[البسيط]

يا رَبُّ قَائِلَةٍ، والقولُ أجملُهُ
ما كان من عادةٍ حتى ولو كَذِباً
إِلَامَ تُحْتَقَرُ الغاداتُ بينكمُ
وهنَّ في الكونِ أرقى منكم رُتَباً
كُنَّا^(١) لكم سبباً في كلِّ مكرمةٍ
وكنتم في شقاءِ المرأةِ السَّبَبِ
زعمتم أنهنَّ الخاملاتُ نُهى
ولو أردنَ لصيِّرنَ الثَّرى ذهباً
فقلتُ لو لم يكنْ ذا رأيٍ غانيةٍ
لهاجَ عند الرجالِ السُّخْطَ والغَضَبِ
لم تنصِفينَا وقد كُنَّا نوُمِّلُ أن
لا تُنصِفينَا لهذا لا نرى عَجَباً
هيهاتَ تعدِلُ حسناءً إذا حكمتُ
فالظلمُ طبعٌ على الغاداتِ قد غلبا



يحارب الرجلُ الدنيا فيخضعُها
ويفزع الدهرُ مذعوراً إذا غضبا
يرنو فتضطربُ الأسادُ خائفَةً
فإن رنتِ ذاتُ حسنٍ ظلَّ مضطرباً

(١) إشباع الحركة (كُنَّا) لضرورة الوزن.

فإن تشاء أودعت أحشاءه برداً
وإن تشاء أودعت أحشاءه لهباً
يُفني الليالي في همٍّ وفي تعبٍ
حذار أن تشتكي من دهرها تعباً
ولو درى أن هذي الشُّهبَ تزعجها
أمسى يروّع في أفلاكها الشُّهباً
يشقى لتصبح ذات الحلي ناعمةً
ويحمل الهمّ عنها راضياً طرباً
فما الذي نفحّته الغانيات به
سوى العذاب الذي في عينه عذاباً
هذا هو المرء يا ذات العفاف، فمن
ينصفه لاشك فيه يُنصف الأديبا
عنّفته وهو لا ذنبُ جناه سوى
أن ليس يرضى بأن يغدو لها ذنباً!

٩ - عباد الذهب

[البسيط]

ما ساء نفسي من الدنيا سوى نفرٍ
لا خيرَ فيهم ولكن شرُّهم عممُ
ماتت ضمائرهم فيهم أنانيَّة
فليس تنشرُ حتى تُنشرَ الرِّممُ
ساءتْ خلائِفُهُم، أولاً خلاقَ لهم
إلا الشراهُةُ والإيثارُ والنَّهمُ
إذا رأوا صورةَ الدينارِ بارزةً
خرُّوا سُجوداً إلى الأذقانِ كُلُّهمُ
قد أقسموا أنهم لا يُشركونَ بهِ
بيئسَ الإلهُ وبيئسَ القومُ والقَسمُ

١٠ . (الإنسان والدنيا) (١)

[الكامل]

المرءُ في غَفَلَاتِهِ وَسُبَّاتِهِ
والدَّهْرُ كالرَّيْبَالِ (٢) فِي وَثْبَاتِهِ
والعمرُ ظِلٌّ والزمانُ يَجْدُ فِي
إِخْفَائِهِ، والمرءُ في إثْبَاتِهِ
والحربُ لَا تَنْفَكُ بَيْنَهُمَا وَلَا
يَنْفَكُ هَذَا المرءُ فِي حَسَرَاتِهِ
لَا تَعْجَبُوا مِنْ جَهْلِهِ وَغُرُورِهِ
وَتَعْجَبُوا إِنَّ حَالَهُ (٣) عَنْ حَالَاتِهِ
يَسْعَى وَلَا يَدْرِي إِلَى حَيْثُ الرَّدَى
وكذا الْفَرَّاشُ يَحُومُ حَوْلَ مَمَاتِهِ
وَتُحِبُّ الدُّنْيَا إِلَيْهِ نَفْسَهُ
فَيُطِيعُهَا، وَالنَّفْسُ مِنْ أَفَاتِهِ
وَيَضْيِرُّهُ إِفْلَاتُهُ مِنْ قَيْدِهَا
وسعادةُ الْإِنْسَانِ فِي إِفْلَاتِهِ
يَلْقَى الضَّرَاعِمَ (٤) غَيْرَ مَكْتَرِثٍ بِهَا
فَإِذَا سَطَّتْ ضَرَبَتْ عَلَى سَطَوَاتِهِ
مَا قَاتَلَ الْبَطْلُ النَّجِيدُ غَضَنْفَرٌ (٥)
إِنَّ الْغَضَنْفَرَ مَنْ عَصَى شَهَوَاتِهِ

(١) هذه القصيدة في الأصل بلا عنوان.

(٢) الأسد . (٣) تغير عنها .

(٤) الأسود . (٥) أسد .

١١ - وردة وأميل

[الكامل]

يا ليتما خُلِقَ الزمانُ أصيلاً
إنِّي أراه كالشبابِ جميلاً
ولَّى فودَّعتِ السماءُ بهاءَها
من بعده، وهوى النهارُ عليلاً
جَنَحَتْ ذُكَاً^(١) إلى الغروبِ كأنما
تبغى رُقَاداً أو تريدُ مَقِيلاً^(٢)
وتناثرتْ قطعُ السَّحابِ كأنها الـ
جيشُ اللُّهَامِ^(٣) إذا انْتَنَى مفلولاً^(٤)
هذا وقد بسطَ السكونُ جناحَهُ
والليلُ أَمسى سترَهُ مَسْدولاً
قد بات كلُّ مسهَّد طوعَ الرُّقَا
دِ وكلُّ جَفْنٍ بالكُرى مكحُولاً
إلا مهفهفةً^(٥) بها نزل الهوى
ضيفاً ولكن لا يريدُ رحيلاً
غيداءً قد وصلتْ ذوائبُها الثُّرى
إنِّي لأحسِّدُ ذلك الموصولاً

(١) الشمس.

(٢) القيلولة: الراحة، وعادة تكون بعد الظهر.

(٣) الكثير العدد، كأنه يلتهم كل شيء.

(٤) يريد: الكسرة.

(٥) ضامرة البطن.

تحكي المدامة رقّةً وقساوةً
 تحكي المهاةً لواحظاً وتليلاً^(١)
 ماء الحياة يجول من وجناتها
 فكأن في تلك الكؤوس شمولاً^(٢)
 والخد أبهج ما يكون مُورداً
 والطرف أفتن ما يكون كحِلاً
 نظرتُ وربّ منية من نظرة
 قد كان عنها ربُّها مشغولاً
 فهوتُ، وربّ هوى تُنال به المنى
 وهوى يُنال به الحِمَامُ نبيلاً
 والحبُّ مصدره العيون وربما
 تخذ السَّماعُ إلى القلوب سبيلاً
 فإذا عشقتَ فلا تلمّ أحداً سوى
 عينيك إن من العيون قَتولاً
 ودتْ وقد نال الذبولُ خدودها
 لو أن في الشُّوق المقيم ذُبولاً
 وإذا تملّكتِ الصَّبابةُ في امرئٍ
 لم يُجدِ عذلُ العاذلين فتيلاً
 سمعتُ دويّاً في الظلام فهرولتُ
 مذعورةً بعد الوقوف طويلاً
 وأنينَ محتضرٍ يقول قتلْتَنِي
 ثكلتْكَ أمُّك لم أنلْ مأمولاً
 تعدو وتجذبُها روافدُها إلى
 خلفٍ فتُجهدُ خصرها المتبولاً^(٣)

(١) العنق.

(٢) الخمر.

(٣) السقيم، و يعني هنا النحيف.

فَكَأَنَّ فِي ذَاكَ الْوَشَّاحَ مُتَيِّمًا
وَكَأَنَّ فِي ذَاكَ الْإِزَارَ عَـذُولًا
تَخَذَتْ مِنَ اللَّيْلِ الْمَخِيْمِ صَاحِبًا
وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ دَلِيلًا
تَبْغِي الْوَقُوفَ عَلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ
تَبْغِي جَلِيلًا لَا تَرَاهُ جَلِيلًا
وَتَدِيرُ فِي تِلْكَ الْبَنَانِ مُسَدَّسًا
تَرَكْتَ قِذَائِفَهُ السَّهَامَ فَضُولًا
فِي طَرَفِهِ كَمَنْ الْهَلَالَ فُلُورَنَا
طَرَفُ الزَّمَانِ إِلَيْهِ عَادَ كَلِيلًا
قَدْ أَسَكَنْتُ أَكْرَ الرِّصَاصِ جَفُونَهُ
فَكَأَنَّ أَكْبَادًا تُجِنُّ غَلِيلًا
يَحْمِي الضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ وَرَبَّمَا
قَتَلَ الْجَبَانَ بِهِ الْفَتَى الْبُهْلُولًا^(١)
وَمِنَ الْأَسَى لَمْ تَعْرِفِ الْحَسَنَاءُ هَلْ
قَطَعْتَ ذِرَاعًا فِي السُّرَى أَمْ مِيلًا
حَتَّى إِذَا رَأَتْ الْمَرَادَ وَمَا رَأَتْ
إِلَّا خِيَالًا وَاقِفًا مَجْهُولًا
حَسِبَتْهُ قَاتِلَ مَنْ تَحَبُّ وَأَيَقَنْتُ
أَنَّ الَّذِي عَلِقَتْ بِهِ الْمَقْتُولًا
فَدَنْتُ وَأَطْلَقْتُ الْمَسَدَ نَحْوَ مَنْ
بَصُرْتُ بِهِ عَرَضًا، فَخَرَّ قَتِيلًا
صَرَعْتُ فَتَى صَرَعَ الرَّقِيبَ، وَجَنْدَلْتُ
أَسَدًا يَخِرُّ لَهُ الْهَزْبُ زَلِيلًا

(١) العزيز الجامع لكل خير.

كالبدْرِ حُسْنًا، كالغمامِ سَمَاحَةً،
كالغصنِ غَضًا، كالحسامِ صَقِيلًا
ثَبَّتُ الْجَنَانَ قُوَّيْهِ، عَفُّ الْإِذَا
رِ نَقِيَّهِ، مَا خَانَ قَطُّ خَلِيلًا
هَذَا هُوَ الدَّنْفُ^(١) الَّذِي أَرْضَى الْهَوَى
فِيهَا، وَأَغْضَبَ كَاشِحًا وَعَذُولًا
مَا نَالَ بَعْدَ جِهَادِهِ إِلَّا الرَّدَى،
وَالْبَدْرُ يُكْسِبُهُ الْمَسِيرُ أَفْوَلًا
لَمْ تَعْلَمْ الْحَسَنَاءُ أَنَّ قَتِيلَهَا
مَنْ لَمْ تَرَ^(٢) أَبَدًا سِوَاهُ جَمِيلًا
عَرَفْتُ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا طَلَعَ الضُّحَى،
وَرَأَتْ عِيَانًا نَعَشَهُ مَحْمُولًا
لَمْ يَبْلُغُوا الْقَبْرَ الْمَعْدُ لِدَفْنِهِ
إِلَّا وَقَدْ بَلَغَ الرَّدَى الْعُطْبُولَا^(٣)
يَا صَاحِبِي إِنَّ جُزْتَ فِي قَبْرِئِهِمَا
فَاتْلُ السَّلَامَ عَلَيْهِمَا تَرْتِيلًا
مَنْ شَاعَرَ مَا حَرَّكَ الْغَصْنَ الْهَوَا
إِلَّا تَذَكَّرَ «وَرْدَةً وَأَمِيلًا»

(١) المريض.

(٢) مد حركة الراء للضرورة.

(٣) المرأة الممتلئة.

١٢. أنا هو

[الكامل]

كانت قُبَيْلَ العَصْرِ مركبةً
تجري بمن فيها من السَّفْرِ^(١)
ما بين منخَفِضٍ ومرتفعٍ
عالٍ وبين السَّهْلِ والوعرِ
وتَخُطُّ بالعَجَلاتِ سائِرةً
في الأرض أَسْطَافاً ولا تدري
كتبتْ بلا حبرٍ، وعزَّ على
الأقلامِ حَرْفٌ دونما حَبْرٍ
سيارةً في الأرض ما فَتَتْ
كالطير من وكُرٍ إلى وكُرٍ
تأبى وتأنفُ أن يَلُمَّ بها
تعبٌ، وأن تشكو سوى الزَّجرِ
حملتْ من الرُّكَّابِ كلَّ فتًى
حَسَنَ الرُّوَاءِ^(٢) وكلَّ ذي قَدْرٍ
يتحدَّثونَ، فذاك عن أملٍ
أت، وذا عن سالفِ العُمُرِ
يتحدَّثونَ وتلك سائِرةً
بالقوم لا تلوي على أمرٍ
فكأنما ضربتْ لها أَجَلاً
أن تلتقي والشمسُ في خِدرٍ

(١) المسافرين.

حتى إذا سارت بداحية^(١)
ممدودة أطرافها صفر
سقطت من العجلات واحدة
فتحطمت إرباً على الصخر
فتشاءم الركاب واضطربوا
مما ألم بهم من الضر
وتفرقوا بعد انتظامهم
بهدأ، وكم نظم إلى نثر
والشمس قد مالت أشعتها
تكسو أديم الأرض بالتبر
والأفق مُمَرُّ كأن به
حنقاً على الأيام والدهر
والقوم واجفة قلوبهم
قلقاً كأنهم على الجمر
قد كان بين الجمع ناهدة الذئب
تُديين ذات ملاحاة تُغري
تبكي بكاء القانطين، وما
أسخى دموع الغداة البكر!
وقفت وشمس الأفق غاربة
تذري عللاً كالورد.. كالقَطْر
شمسان لولا أن بينهما
صلة لما بكتا من الهجر
وتدير عينيها على جَزَع
كالظبي مُلتفتاً من الذعر

(١) الأرض المنبسطة.

وإذا فتى كالْفَجَر طلعتُه
 بل ربِّما أربى^(١) على الفجر
 وافتى إليها قائلاً عَجَباً
 ممَّ البُكاء شقيقَةَ البدر؟
 قالتْ أخافُ الليلَ يدهمُني
 ما أوحشَ الظلماءَ في القفر
 وأشدُّ ما أخشاهُ سفكُ دمي
 بيَدِ الأثيمِ اللصِّ ذي الغدر
 «هنري» اللعينُ، وما الفتى «هنري»
 إلا ابنُ أمِّ الموتِ لو تدرى
 رصدَ السبيلِ فما تمرُّ به
 قدَمُ، ولا النسَماتُ إذ تسري
 واشِفِّقوتي إن الطريقَ إلى
 سَكَنِي على مُستَحسنِ النُكر
 إني لأعلمُ أنمَّا قَدَمِي
 تسعى حثيثاً بي إلى القَبْرِ
 قال الفتى: هيهاتَ خوفُك لن
 يُجديكَ شيئاً ربَّةَ الطُّهر
 فتشجَّعي وعليَّ فاتِّكلي
 فأنا الذي يحميك من «هنري»
 قالت: أخافُ من الخَوُونِ على
 هذا الشبابِ الناعمِ النَّضر
 فأجابها: لا تجزعي وثقي
 إني على ثقةٍ من النَّصر

(١) زاد.

عَادَتْ كَأَن لَّمْ يَغُرُّهَا خَلَلٌ
 تَخْدُ^(١) الْقَفَارَ، سَفِينَةُ الْبَرِّ^(٢)
 وَاللَّيْلُ مَعْتَكِرٌ يَجِيْشُ كَمَا
 جَاشَتْ هُمُومُ النَّفْسِ فِي الصَّدْرِ
 فَكَأَنَّهُ الْأَمَالُ وَاسْمَعَةً
 وَالْبَحْرُ فِي مَدٍّ وَفِي جَزْرٍ
 وَكَأَنَّ أَنْجَمَهُ وَقَدْ سَطَعَتْ
 دَمْعُ الدَّلَالِ وَنَاصِعُ الدُّرِّ
 وَالْبَدْرُ أَسْفَرَ رَغَمَ شَامِخَةٍ
 قَدْ حَاوَلَتْ تَطْوِيَهُ كَالسَّرِّ
 أَلْقَى أَشْعَعَتَهُ فَكَانَ لَهَا
 لَوْنُ اللَّجَيْنِ وَلَوْلُو النَّغْرِ
 فَكَأَنَّهُ الْحَسَنَاءُ طَالِعَةً
 مِنْ خِذْرِهَا أَوْ دُمِيَّةُ الْقَصْرِ
 وَكَأَنَّمَا جُنْحُ الظَّلَامِ جَنَى
 ذَنْباً فَجَاءَ الْبَدْرُ كَالْعُذْرِ
 وَضَحَتْ مَسَالِكُ لِمَطِيَّةٍ قَدْ
 كَانَتْ شَبِيهَ غَوَامِضِ الْبَحْرِ
 فَغَدَتْ تُحَاكِي السَّهْمَ مِنْطَلِقاً
 فِي جَرِيْهَا وَالطَّيْفِ إِذْ يَسْرِي
 وَالْقَوْمُ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرْبٍ
 يَتَنَاشِدُونَ أَطَايِبَ الشُّعْرِ
 حَتَّى إِذَا صَارَتْ بِمَنْعَرَجٍ
 وَقَفَتْ كَمَنْتَبِهِ مِنَ السُّكْرِ

(١) تشق، (وخد - يخد).

(٢) عادت السيارة إلى السير.

فترجّلتُ «ليزا» وصاحبُها
 ومشتُ وأعقَبَ بها على الإثَرِ
 واستأنفتُ تلكَ المَطِيَّةَ ما
 قد كان من كَرٍّ ومن فَرٍّ
 مشتِ المَليحةُ وهي مُطْرِقةُ
 ما ثمَّ من تَبيهٍ ولا كِبَرٍ
 أنى تَتَبيهُ وقد أناخَ^(١) بها
 همٌّ وبعضُ الهمِّ كالوَقْرِ^(٢)
 لم تحتسِ خمرًا وتحسَبُها
 مما بها نشوى من الخمرِ
 في غابةٍ تحكي ذوائبَها
 في لونها والألفِ والنَّشَرِ
 ضاقتُ مسالكُها فما انفرجتُ
 إلا لِسَيرِ الذنَبِ والنَّمْرِ
 كالليلةِ الليلاءِ ساجيةً
 ولربِّ ليلٍ ساطعٍ غرٍّ
 قد حاول القمرُ المنيرُ بها
 ما حاول الإيمانُ في الكُفْرِ
 تحنو على ظبِّي وقَسُورَةٍ^(٣)
 أرايتمُ سرَّينِ في صدرٍ ؟
 صقرٌ وورقاءُ^(٤) ومن عجبٍ
 أن تحتمي الورقاءُ بالصقرِ

(١) ثقل عليها .

(٢) الثقل .

(٣) أسد .

(٤) حمامة .

هَذَا وَأَعْجَبُ أَنَهَا سَلِمَتْ
مِنْهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ غَدْرٍ
ظَلَّتْ تَسِيرُ وَظَلَّ يَتْبَعُهَا
مِمَّا تَمَّ مِنْ إِثْمٍ وَلَا وَزْرٍ
طَالَ الطَّرِيقُ وَطَالَ سَيْرُهُمَا
لَكِنَّ عُمَرَ اللَّيْلِ فِي قُصْرٍ
حَتَّى إِذَا سَفَرَ الصَّبَاحُ وَقَدْ
رُفِعَ الظَّلَامُ وَكَانَ كَالسُّتْرِ
وَالْغَابِ أَوْشَكَ أَنْ يَبُوحَ بِهَا
وَبِهِ بَلَا حَذَرَ إِلَى النَّهْرِ
نَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَقَالَةٍ طَفَحَتْ
سِحْرًا وَوَجْهٍ فَاضٍ بِالْبِشْرِ
قَالَتْ لَهُ: لَمْ يَبْقَ مِنْ خَطَرٍ
جَمٌّ^(١) نَحْازِرُهُ وَلَا نَذْرٍ^(٢)
انْظُرْ فَإِنَّ الصُّبْحَ أَوْشَكَ أَنْ
يَمْحُو ضِيَاءَ الْأَنْجَمِ الزُّهَرِ
وَأَرَاهُ دَبَّ إِلَى الظَّلَامِ فَهَلْ
هَذَا دَبِيبُ الشَّيْبِ فِي الشَّعْرِ؟
وَأَسْمَعُ فَأَصْوَاتُ الطَّيُورِ عَلَتْ
بَيْنَ النَّقَا وَالضَّالِّ وَالسُّدْرِ^(٣)

(۱) کثیر.

(۲) قليل.

(٣) أسماء شجر البادية.

قال الفتى: «أَوَ كُنْتَ فِي خَطَرٍ؟»
قالت له: عَجَباً .. أَلَمْ تَدْرُ؟
فأجابها: «مَا كَانَ فِي خَطَرٍ
مَنْ كَانَ صَاحِبُهُ الْفَتَى .. هَنْرِي»
فَتَقَهَّقَتْ فَرْعاً فَقَالَ لَهَا
لَا تَهْلُعِي وَاصْغِي إِلَى حُرٍّ
مَا كُنْتُ بِالشَّرِيرِ قَطُّ وَلَا
الرَّجُلِ الَّذِي يَرْتَاخُ لِلشَّرِّ
لَكُنْ نِي دَهْرٌ يَجُورُ عَلَى
دَهْرٍ يَجُورُ عَلَى بَنِي الدَّهْرِ
بَلْ إِنِّي خَطَرٌ عَلَى فِئَةٍ
مِنْهَا عَلَى خَطَرٍ ذَوُوا الْخُرِّ
قَتَلُوا أَبِي ظُلْماً، فَكُتِلْهُمْ
عَدْلٌ وَحَسْبِي الْعَدْلُ أَنْ يَجْرِي
لَا سَلَامَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
لَا سَلَامَ بَيْنَ الْهَرِّ وَالْفَأْرِ
سَيَرُونَ فِي الْمَوْتِ مَنْتَقِماً
لَا شَافِعُ فِي الْأَخْذِ بِالنُّارِ
تَا إِلَهٍ مَا أَنْسَاكَ يَا أَبَتِي
أَبْداً وَلَا أُغْضِي عَلَى الْوُثْرِ
قَالَتْ لَهُ: هَيَّجَتْ لِي شَجْناً
فَإِلَيْكَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِي
بَعَثَ الْمَلِيكَ إِلَى أَبِي فَمَضَى
وَأَخِي مَعاً تَوَّأَ إِلَى الْقَصْرِ

فإذا أبي في القبرِ مرتَهْنُ
 وإذا أخي في ربْقَةِ الأسرِ
 يا ساعدي بترتُما ويدُ الدُّ
 دَهْرِ الخَوْنِ أحقُّ بالبتِّ
 نأبي وظفري بتُّ بعدكُما
 وحدي، بلا نابٍ ولا ظُفْرِ
 ويلاه من جورِ الزمانِ بنا
 والويلُ منه لكلِّ مُغْتَرٍّ
 وكأننا والموتُ يرتعُ في
 أرواحنا، مرعى، ومُسْتَمْرِي
 لمَّا انتهتْ وإذا به دَهْشُ
 حيرانٍ كالمأخوذِ بالسَّحَرِ
 شاء الكلامَ فناله خرسٌ
 كلُّ البلاغةِ تحتَ ذا الحُصْرِ^(١)
 وكذلك الغيداءُ أذهلها
 مَيْلٌ إلى هذا الفتى الغرِّ
 قالت .. أخي .. والله ..واقتربتُ
 ترنو إليه بمقلَّةِ العُفْرِ^(٢)
 وإذا به ألقى عباءته
 بَرَحَ الخفاءُ بها عن الجهرِ
 صاحتُ أخي .. فكتور .. واطربِّي
 روعي ..شقيقي ..مهجتي .. نخري

(١) قلة الكلام.

(٢) واحدة الأيائل، وهي نوع من الغزلان جميلة المنظر.

وتعانقاً فبكى الفتى فرحاً
إن البخارَ نتيجهُ الحرِّ
وتساقطتْ في الخدِّ أدمعُها
كالقطرِ فوق نواضرِ الزهرِ
قل للألى يشكون دهرهم
لا بدَّ من حلوٍ ومن مُرٍّ
صبراً إذا جَلُّ أصابكم
فالعُسْرُ آخرُه إلى اليُسْرِ

١٣ - ضيف ثقيل

[الطويل]

أَقْصُ عَلَيْكُمْ مَا جَرَى لِي بِالْأَمْسِ
فَلِي قَصَصٌ تَجْلُو الِهْمُومَ عَنِ النَّفْسِ
إِذَا قُلْتُ، قَالَ الدَّهْرُ «أَحْسَنْتَ يَا فَتَى»
وَلَوْ كَانَ ذَا حَسٍّ لَغَابَ عَنِ الْحَسِّ
فَدُونَكُمْ هَذَا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ
أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ مُعَاقَرَةِ الْكَأْسِ
جَلَسْتُ إِلَى طِرْسِي^(١) وَقَدْ عَسَعَسَ الدَّجَى
أَسْطَرُّ مَا تُوحِيهِ نَفْسِي فِي طِرْسِي
وَلَيْسَ سِوَى نَوْرِ ضَنْئِيلٍ بِجَانِبِي
يَلُوحُ وَيَخْفَى كَالرَّجَاءِ لَدَى الْيَأْسِ
وَكَالنَّقْعِ فِي جَوْفِ الدَّوَاةِ أَوِ الدَّجَى
وَكَالْهِنْدُونَانِي^(٢) بَيْنَ أُنْمَلِي الْخَمْسِ
فَصَاحَةُ قُسٍّ^(٣) أَوْدَعَتْ فِي لِسَانِهِ
وَحَكْمَةُ لِقْمَانٍ^(٤) وَيُحْسَبُ فِي الْخُرْسِ
ضَعِيفُ الْخَطَى بَادِي النُّحُولِ كَأَنَّمَا
يُشَدُّ إِلَى قَيْدٍ، يُشَدُّ إِلَى حَبْسِ
أَقْلَبُهُ فَوْقَ الطَّرُوسِ وَإِنَّمَا
أَقْلَبُ فَوْقَ الطَّرُوسِ سَعْدِي أَوْ نَحْسِي

(١) ورقّي

(٢) السيف

(٣) خطيب من خطباء الجاهلية اشتهر بالفصاحة (قُس بن ساعدة الإيادي).

(٤) حكيم ورد ذكره في القرآن الكريم.

فَنَبَّهَنِي طَرُقَ عَلَى بَابِ غُرْفَتِي
وَصَوْتُ ضَعِيفٌ وَهُوَ أَقْرَبُ لِلْهَمْسِ
نَهَضْتُ وَلَكِنْ مَثَلَمَا يَنْهَضُ الَّذِي
بِهِ نَشْوَةٌ أَوْ مِنْ يَفِيقُ مِنَ الْمَسِّ
وَلَمَّا فَتَحْتُ الْبَابَ أَبْصَرْتُ رَاهِباً
وَلَوْ كُنْتُ طِفْلاً قُلْتُ: غَوْلٌ مِنَ الْإِنْسِ!
فَأَزَعَجَنِي مَرَأَهُ حَتَّى كَأَنَّمَا
رَسُولُ الرَّدَى قَدْ جَاءَ يَنْعَى لِي نَفْسِي
فَقُلْتُ: وَقَانِي اللَّهُ شَرَّكَ مَا الَّذِي
أَتَى بِكَ يَا مَشْؤُومٌ فِي سَاعَةِ الْإِنْسِ؟
أَجَابَ: كُفَيْتَ السُّوءَ جُنْتُكَ طَالِباً
مَدِيحَكَ لِي بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَالْفُرسِ
فَقُلْتُ: وَحَقُّ الشُّعْرِ مَدْحُكَ وَاجِبٌ
وَمَثَلِي يَقْضِيهِ عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ
خَبَرْتُ بَنِي الدُّنْيَا وَفَتَّشْتُ فِيهِمْ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَطُّ.. أَثْقَلَ مِنْ قَسِّ

١٤ . قتل نفسه

[المقارب]

تأمل في أمسه الدابر
فكاد يُجَنُّ من الحاضر
أهـاج التذكُّر أشجانه
وكم للسَّعادة من ذاكر
فتى كان أنعم من جاهل
فأصبح أتعس من شاعر
أضاع الغنى، وأضاع الصحاب
وربَّ مريض بلا زائر
ويا طالما أصدقوا بالفتى
كما تُحْدِقُ الجندُ بالظَّافر
فلما انقضى مجده أعرضوا
وما الناسُ إلا مع القادر
وما الناسُ إلا عبيدُ القوي
فكنْ ذاك أو كنْ بلا شاكر
أشدُّ من الدهرِ مكرًا بنوه
فويل لمن ليس بالماكر
فكن بينهم خاتلاً غادراً
ولا تشتك الغدر من غادر
تعيِسُ تُعانقُه النائبات
عناق الحَبائلِ للطائر

كثيرُ الهمومِ بلا ناصِرٍ
كسِيرُ الفؤادِ بلا جَابِرِ
قضى ليله ساهياً ساهراً
إلى كوكبٍ مثله ساهر
يُفتِّشُ عن أفلٍ في التُّرى
وما كان في الأفقِ بالسَّافر
وتالله يُجدي فتى بئساً
كلامُ المنجمِّ والسَّاحر
ولمَّا توارتْ دراري السَّماءِ
وغاب الهلالُ عن النَّاظر
بكى ثم صاح: أحتى النجومُ
تَصُدُّ عن الرجلِ العاثر؟
إلامَ أعاندُ هذا الزمانَ
عنادَ السَّفينَةِ للزَّاهر؟
وأدعو وما تُمُّ من سامعٍ
وأشكو ولكنَّ إلى ساخر
وأرجو الوفاءَ وتأبى النفوسُ
وأنى الولادةُ للعاقِر
سئمتُ الحياةَ فليت الحِمَامُ
يعيدُ إلى أصله سَائِرِي
فتنطلقُ النفسُ من سجنِها
ويُسجنُ تحت التُّرى ظاهِرِي
وزاد سوادُ الدُّجى يأسَهُ
وقد كاد يُسفرُ عن بَاهرِ

فشاء التَّخْلُصَ مِنْ دَهْرِهِ الْـ
خَوُونٍ وَمِنْ عَيْشِهِ الْحَازِرِ^(١)
فَأَغْمَدَ فِي صَدْرِهِ مُدْيَةً
أَشَدَّ مَضَاءً مِنَ الْبَاطِرِ
وَكَمْ مِثْلُهُ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ
شَهِيدَ التَّأْمَلِ فِي الْغَابِرِ

(١) الحامض، يعني الكريه.

١٥. ذكرى وعبرة

[الكامل]

عاطيتُها في الكأسِ مثلَ رُضابِها
تسري إلى قلب الجبانِ فيَشْجَعُ
يطفو الحَبَابُ على أديمِ كؤوسِها
فكأنَّ تَبْرًا بِاللُّجَيْنِ^(١) يُرْصَعُ
وكأنما تلك الكؤوسُ نواظرُ
تبكي، وهاتيكِ الفواقِ أدمع
مشمولةٌ تُغري بصُفْرِتِها البخِيْ
لَ بها، فيطمعُ بالنُّضارِ^(٢) وتطمع
شمطاءً إلا أنها محجوبةٌ
عذراءٌ إلا أنها لا تَمْنَعُ
ما زلتُ أسقيها إلى أن أخضعتُ
منها فؤاداً للهوى لا يَخْضَعُ
فَعَلْتُ بها مثلَ الذي فعلتُ بنا
ألحاظُها، إن اللَّحَاطَ لَتَصْرَعُ
لَمَّا انتشتَ ومضى الخفاءُ لَشأنه
باحثٌ إليَّ بما تُكِنُّ الأضْلَعُ
بَرَحَ الحياءُ وأعلنتُ أسرارَها
إن الحياءَ لكلِّ خَوْدٍ^(٣) بُرْقَعُ

(١) الفضة

(٢) الذهب

(٣) الحسناء

فَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُدَعْتُ بِحُبِّهَا
زَمَنًا، وَكُنْتُ أَظُنُّنِي لَا أُخْدَعُ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ أُسْكِرْتُهَا
أَنَّ الْفُؤَادَ بِحُبِّ غَيْرِي مَوْلَعُ
فَتَرَكْتُهَا نَشْوَى تَغَالِبُ أَمْرِهَا،
وَالْأَمْرُ، بَعْدَ وَقْوَعِهِ، لَا يُدْفَعُ
وَرَجَعْتُ عَنْهَا وَاثِقًا مِنْ أَنَّ مَا
قَدْ كَانَ مِنْ حُبِّي لَهَا لَا يَرْجِعُ
وَبَكَيْتُ لَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ أَفَادَنِي،
وَنَدِمْتُ لَوْ أَنَّ النَّدَامَةَ تَنْفَعُ

١٦. مصرع حبيبين

[الكامل]

في ذلك الروضِ الأُغنُّ بدا فتَّى
قد يبلغُ العشرينَ عاماً ذو نُهى
كالْبدرِ إلا أنه مُتَكتمٌ
والْغُصنُ إلا أنه غُصنُ ذَوَى^(١)
كتبَ الضُّنَى في وجهه هذا الذي
كاد الغرامُ به يؤولُ إلى الفَنَا
دَنَفُ تروعه الغُصونُ إذا انثنتُ
طرباً، ويقلقه النُّسيمُ إذا جرى
حيرانُ، يَقْعِدُهُ الهوى وَيَقِيمُهُ،
فكأنه علمٌ يداعبه الهَوَا
فإذا رننا للأفق ظنَّ نَجْومَهُ
عقدَ التي من رامَها، رامَ السَّمَاءَ
وتوهمَ القمَرِ المخلِّقَ وجهَ من
ضنَّتْ وجادتُ باللقاءِ وبالنَّوى
حَجَبَ الغمامُ البدرَ عندَ مسيره
فكأنه (أسماءُ) تسري في الدُّجَى
حسناً قد عَشِقَ المحبُّ عفافها
وتعشقتُ أدابَهُ فهما سَوا
كالغُصنِ قامَتْها إذا الغُصنُ انثنى
وجبيْنُها يحكي الصبَّاحَ إذا انجلى

(١) ذبل.

وقعتْ غداً رُها على أقدامِها
 فكأنها قد عَضَّها نابُ الهوى
 خَوْدٌ إذا نطقتْ حسبَ حديثِها
 دُرّاً ولكن ليس مما يُشْتَرَى
 وقفتْ تحيطُ بها الزهورُ كأنما
 قمرٌ تحيطُ به الكواكبُ في الفضاءِ
 ومشتْ تحفُّ بها الغصونُ كأنها
 ملكٌ تحفُّ به الجنودُ إذا مشى
 لله زورتُها وقد قَنَطَ^(١) الفتى
 فكأنها روحٌ جرى فيمن ثوى^(٢)
 هيهاتَ ما ظَفَرُ المؤملِ بالغنى
 بالذِّمِّ من ظَفَرِ المتيمِّمِ باللقا
 فدنا يطارحُها تحية عاشقٍ
 ويقول: أهلاً بالحبيب اللذُّ أتى^(٣)
 بينا تصافحُ من يصافحُها ، إذا
 بدموعها سَحَّتْ فصافحتِ الثرى
 ما للعيون تحدّرتْ عبراتُها
 وعلامَ هذا الحزنُ يا ذاتَ البها
 قالت: حبيبي لو ترى ما قد جرى
 في ربُعنا^(٤) شاركتني فيما ترى
 جارَ القضاء عليّ في أحكامه
 ما حيلة الإنسان إن جارَ القضاء

(١) يأس.

(٢) دفن.

(٣) [الذِّمِّ] بمعنى الذي، وهو من الشواذ.

(٤) بيتنا.

فابكِ معي فلربما نفع البُكا
 إنَّ الليالي لا تدومُ على الصِّفا
 قال الفتى والدمعُ منتثرٌ على
 خديهِ: يا «أسماءُ» قولي ما جرى
 فتلفَّتتُ في الروضِ خيفةً سامعٍ
 فكأنَّها الطُّبِّيُّ الغريرُ إذا رنا
 وتردَّدتْ بكلامِها فكأنَّما
 تبغي ولا تبغي التفوهُ بالنبا
 قالت ودمعُ العينِ يخنُقُ صوتَها:
 وشتَّ الحواسِدُ عندَ مَنْ نخشى بنا
 وغداً يعودُ الشَّمْلُ منفصِمِ العُرا
 هذا هو الخبرُ اليقينُ بلا خفا
 قد أنبأته بالفراقِ وما درت
 أنَّ الفراقَ حِمَامٌ مَنْ عَرَفَ الهوى
 فكأنَّما سَهْمٌ أَصابَ فؤادَهُ
 وكأنَّه لَمَّا ارتمى طودُ^(١) هوى
 أما الفتاةُ فراعَها ما صار في
 محبوبِها وكأنَّها ندمتُ على...^(٢)
 جعلتُ تُناديه بصوتٍ مُحزنٍ
 فيجيبُها كندائِها رَجْعُ الصِّدى
 حتَّى إذا قَنَطتْ دنتُ منه كما
 يدنو أخو الداءِ العُضالُ مِنَ الدوا
 وَحَنَتُ فَحَرَكْتُ الفتى وإذا به
 جَسِمٌ وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ بِهِ وَلَا...

(١) جبل.

(٢) نوع من البديع يقال له: الاكتفاء، وهو الإتيان بكلمة من العبارة، يستدل على باقيها بالسياق.

قد فارق الدنيا ففارقها الرجاء
وهوت تعانقه ففارقت الورى
قمران ضمهما التراب وما عرف
تسواهما قمرين ضمهما الثرى

١٧ . معركة شمولبو^(١) (بين اليابان وروسيا)

[الكامل]

دَبَّتْ وَقَدْ أَلْقَى الظُّلَامُ سِتَارَا
وَلَطَالَمَا كَتَمَ الدُّجَى الْأَسْرَارَا
سَفْنٌ هِيَ الْأَطْوَادُ لَوْلَا سَيْرُهَا
أَعْهَدْتُمْ جَبَلًا مَشَى أَوْ سَارَا؟
كَالطَّيْرِ أُسْرَابًا وَلَكِنْ إِنْ عَدْتُ
نَفَتِ الرِّيحَ، وَتَسْبِقُ الْأَطْيَارَا
مِثْلُ الْكَوَاكِبِ فِي النِّظَامِ وَإِنِّهَا
لَكُمْ الْكَوَاكِبُ تَبَعْتُ الْأَنْوَارَا
هِيَ كَالْمَدَائِنِ غَيْرَ أَنْ نَزِيلَهَا
أَبْدًا بِهَا يَتَوَقَّعُ الْأَخْطَارَا
وَأَظُنُّهَا فَقَدْتُ حَبِيبًا أَوْ أَخًا
وَلِذَلِكَ ارْتَدَّتِ السَّوَادُ شِعَارَا
تَغَشَى الْمِيَاهَ لَعْلَ مَا فِي قَلْبِهَا
يُطْفَأُ فَتَزْدَادُ الضَّلُوعُ أَوَارَا^(٢)
وَتَمِيدُ حَتَّى لَا يُشَكُّ بِأَنَّهَا
سَكَّرَى وَلَمْ تَذُقِ السَّفِينُ عُقَارَا^(٣)
وَتُسَرَّرُ إِنْ رَأَتْ الثُّغُورَ كَأَنَّهَا أَلْ
مَقْرُورٌ أَبْصَرَ بَعْدَ جَهْدٍ نَارَا

(١) بين اليابان وروسيا (١٩٠٤ _ ١٩٠٥) . انتصرت فيها اليابان فحيا نصرها بعض شعراء العرب وجرى أبو ماضي على نسقهم .

(٢) اشتعالاً وحرارة .

(٣) الخمر .

وبوارجٌ قد سَيرتُ كالجَحفلِ الـ
 جَرَّارٍ تحملُ جَحفلاً^(١) جرَّاراً
 حملتُ أناساً كالقروءِ، وجوهُهُم
 صفراءُ يحكي وجهُها الدينارا
 فُطسَ الأنوفِ، قصيرةٌ قاماتُهُم،
 هيئاتٌ لا تتجاوزُ الأشبارا
 قد قادها «طوغو»^(٢) فقادَ ذلولَةً
 تهوى الصُّعابَ وتعشقُ الأسفارا
 في قلبه نارٌ وفي أحشائها
 مثلُ الذي في نفسه قد ثارا
 ما زال يدفعُها البخارُ فترتمي
 كالسَّهمِ أُطلقَ في الفضاءِ فسارا
 طَوَّراً تراها في السَّحابِ، وتارةً
 في القاعِ يُوشكُ جِرمُها^(٣) يتواری
 حتى دنتُ من ثَغْرِ «شولبو»^(٤) الذي
 جمعُ الألى لم يعرفوا ما صارا
 نَفَرُ من «الروس» الذين سمعتُ عن
 أفعالِهِمْ فيما مضى الأخبارا
 مِن كُلِّ مَغَوَّارٍ إذا زار الوغى
 زار الحِمَامُ الفارسَ المغوارا
 ما كان غيرُ «الفارياج»^(٥) لديهمُ

(١) جيشاً.

(٢) قائد ياباني.

(٣) جسدها.

(٤) اسم الميناء.

(٥) اسم بارجة.

وسفينة أخرى أخف دثارا
قال العدو لهم وقد داناهم
وكفى بما وافى به إنذارا
إما القتال فتلقون بمن مضوا
أو تحسنون فتؤخذون أسارى
كان الجواب قذائفاً نارياً
تهوى الورود وتكره الإصدارا
مثل الرجوم إذا هوت لكتفها
لا تعرف الأخيـار والأشرارا
وأقلها خطباً - فكيف أشدها -
لوناتـ الجبل الأشم أنهارا
حفت بهم سفن العدو وأحدقت
حتى لكدت إخالها أسوارا
ما بين بارجة وطراد إلى
نسافة والكل يقذف نارا
ملا الفضاء دخانها، ونكأ احـ
تجبت وما برح النهار نهارا
والجو أظلم واكفهر أديمه
حتى كأن على السماء ستارا
والبحر خضب بالدماء وأصبحت
أمواجه، وهي اللجين، نضارا
ذا والقنابل لم تزل منهلة
منها تحاكي الصيب المدرارا

(١) الغبرة: وهي الغبار، (والهجو: ما همد من لبيب النار).

والمركبانِ «الفاريحُ» وأختُها
في هبوةٍ^(١) لا يعرفان قرارا
إحداهُمَا ظَفِرَتْ بِهَا مَقْذُوفَةٌ
فَكَانَ صَاعِقَةً أَصَابَتْ دَارَا
فَهُوتُ بَمِنْ فِيهَا وَقَدْ فَتَحَتْ لَهَا
الأمواجُ صَدْرًا يَكْتُمُ الْأَسْرَارَا
هَبَطَتْ وَزَادَ هَبُوطُهَا الْمُتَقَاتِلِي
نَ عَلَى مَدَاوِمَةِ الْوَعَى إِصْرَارَا
لَكِنَّمَا الْأُخْرَى أَصِيبَتْ بِالْأَذَى
حَتَّى غَدَّتْ لَا تَمْلِكُ التَّسْيَارَا
فَرَأَى الْفَتَى رُبَّانَهَا أَنْ يَفْتَدِي الْ
جَنْدَ الْكِرَامِ مِنَ الْمَمَاتِ فِرَارَا
قَدْ فَرَّ بَعْضُهُمْ وَلَكِنْ جُلُّهُمْ
طَلَبُوا الْفِرَارَ مِنَ الْفِرَارِ خَيَارَا
أَوْدُوا بِهَا نَسْفًا وَمَاتُوا عِنْدَهَا
غَرَقًا وَيَأْبَى الْبَاسِلُونَ الْعَارَا
هَذَا حِكَايَتُهُمْ أَسْطَرُّهَا لَكُمْ
لَا دَرَاهِمًا أَبْغِي وَلَا دِينَارَا
فَلَنْ أَفَادَتَكُمْ فَخِيرُ جَاءَ مِنْ
شَرٍّ وَإِلَّا فَلَتَكُنْ تَذْكَارَا

١٨ - رسم سياسي

(في وصف رسم سياسي رآه في «جريدة النيل» الأسبوعية القاهرية)

[البسيط]

رسمٌ تعلّم منه ناظري الولعَا
كأن طرفي قلبي فيه قد وُضعا
يُمثِّلُ «البيض» حول «الصين» قد وقفوا
وذلك «الدب» في «منشوريا» رتعا
مشى به نحوها في نفسه أملٌ
وراح يمشي إلى ما بعدها جشعا
كالنار تاكل أكلاً ما يصادفها
والسيل يجرف ما يلقيه مُندفعا
فقام (بالصُّفْرِ) داعٍ من حليفَتهم
مليكة الهند، أن هبُّوا فقد طمعا
قالت: أحذركم من أن يُخادِعكم
فطالما خُدع الإنسانُ فانخدعا
إني محضتكم نُصحَ الصديق عسى
خيراً يُفيدكم فالنصحُ كم نفعا
وغيرُ منتفعٍ بالنصح غيرُ فتى
إذا تحدّثَ ذوعقلٍ صَغا^(١) ووعى
سارت إليهم فتاةً وانثنت رجلاً
وما رأى أحدٌ هذا ولا سمعا

(١) مال (صغا - يصغو).

حتى إذا ما رأتُ «منشوريا» اختنقتُ
بالقوم ضيقاً وخرقَ الشرُّ مُتَّسِعاً
كادت تطيرُ سروراً بالنجاح وقد
كادت على الهند تقضي قبل ذا جزعاً
نُبِّئتُ أنَّ الوغى في الصين دائرةٌ
فَمَا لَهَا صادفتُ في النيلِ مُرتَبَعاً؟

١٩. الكرنفال

[المنسرح]

أَمَسْتُ ثِيَابِي وَكُلُّهَا خِرْقٌ
تُشَبِّهُ رَوْضاً أَلْوَانُهُ فِرَقٌ
مَنْ أَزْرَقِ كَالسَّمَاءِ جَاوِرُهُ
أَحْمَرُ قَانٍ كَأَنَّهُ الشَّفَقُ
وَأَبْيَضُ نَاصِعٍ وَأَسْوَدُ فَا
حَمِ فَذَاكَ الضُّحَى وَذَا الْغَسَقُ
كَأَنَّ قَوْسَ السَّحَابِ بَاتَ عَلَى
جَسْمِي رِداءً وَمَا أَنَا الْأَفْقُ
بُرْدٌ عَجِيبٌ قَدْ خَاطَهُ لَبِيقُ
فَلَيْسَ بِدَعَاءٍ لَهُ أَنْ حَازَهُ لَبِيقُ
لَمَّا تَنَكَّرْتُ لَمْ يَعُدْ صُحْبِي
يَدْرُونَ أَنِّي الصَّدِيقُ إِنَّ رَمَقُوا
لِذَاكَ لَمْ يُشْفِقُوا عَلَى جَسَدِي
مَنْ الرَّمَايَا^(١) وَلَوْ دَرَوْا شَفِيقُوا
مَرَرْتُ بِالْحَانَقِينَ فَابْتَسَمُوا
لَمَّا رَأَوْنِي وَكُلُّهُمْ قَلِقُ
لَوْ عَلِمُوا أَنَّنِي عَدُوَّهُمْ
أَوْشَكَ يَقْضِي عَلَيْهِمُ الْفَرَقُ^(٢)

(١) من البذور والورق، كما يقول بعد. كأنما مفردتها: رَمِيَّة.

(٢) الخوف.

أَرخَى الدَجَى ذَيْلَهُ وَرُحْتُ أَجْرُ
رُ الذَّيْلِ عُجْبًا وَغَيْرِي النَّزِقِ
وَالْجَمْعُ حَوْلِي يَضِجُ مَبْتَهَجًا
كَأَنَّهُ السَّيْلُ حِينَ يَنْدَفِقُ
تَأَلَّبُوا كَالْغَمَامِ وَاتَّصَلُوا
بَعْضُ بَبْعُ كَأَنَّهُمْ حَلَقُ
وَانْتَثَرُوا وَالدُّرُوبُ وَاسِعَةٌ
كَالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ حِينَ تَنْبَثِقُ
أَطْلَقْتُ نَفْسِي مِنَ الْقَيْودِ إِلَى
أَنْ صُرْتُ كَالسَّهْمِ حِينَ يَنْطَلِقُ
وَبْتُ وَالْقَوْمُ كُلُّمَا اجْتَمَعُوا
رَمَيْتُهُمْ (بِالْبَذْرِ) فَافْتَرَقُوا
أَسْخَرُ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ سَخَرُوا
مَنِّي، اخْتَلَفْنَا وَنَحْنُ نَتَّفَقُ
وَالْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَشِبَتْ
حَرْبٌ وَلَكِنْ سَهَامُهَا الْوَرَقُ
فَلَا رِمَاحُ هُنَاكَ مُشْرَعَةٌ
وَلَا سَيْوُفٌ هُنَاكَ تُمْتَشَقُ
لَمْ أَخْشَ غَيْرَ الْحَسَانِ نَاطِرَةً
أَشَدُّ فِعْلًا مِنَ الظُّبَى الْحَدَقُ
هَذَا هُوَ الْكَرْنَفَالُ فَاسْتَبِقُوا
إِلَيْهِ فَهُوَ السَّرُورُ يُخْتَلَقُ

٢٠. أنا .. وهي

[الطويل]

جلستُ إليها والتَّرامُ^(١) بنا يعدو
إلى حيثُ لا واشٍ هناك ولا ضدُّ
قد انتظمتْ هذي القطاراتُ في الثُّرى
كأن الثرى جيدٌ وتلك له عِقْدُ
بلى هي عِقْدُ، بل عقودُ، ألا ترى
على الأرض أسلاكاً تدور فتمتدُّ؟
يسير فيطوي الأرض طياً كأنما
دواليبُه أيد، كأن الثرى بُردُ
فكالطُّودِ إلا أن ذِيَّكَ ثابتٌ
وكالريح إلا أن هاتيك لا تبدو
تَوْهَمَتُهُ من سرعة السير راكداً
وأن الدُّنا فيمن على ظهرها تعدو
تحوم عليه المركباتُ كأنه
ملكٌ، وتلك المركباتُ له جُنْدُ
تُقَصِّرُ عنه الريحُ إمَّا تسابقاً
فكيف تُجارِيه المطهَّمةُ الجُرْدُ^(٢)
على أنه في كفٍّ عبيدٍ زمامه
فيا من رأى مَلَكاً يُصَرِّفُهُ عبيدُ!
كأنِّي به، يا صاح، دارُ ضيافةٍ
يغادره وفْدٌ ويقصده وفْدُ

(١) كان الترام حديث العهد في المدينة.

(٢) يريد: الخيل. والمطهَّم: المدور الوجه، والأجرد: القصير الشعر.

خَلَوْتُ بَمَنْ أَهْوَى بِهِ رُغْمَ عَاذِلِي
وَلَمْ يَكْ غَيْرَ الْقُرْبِ لِي وَلَهَا قَصْدُ
فَسَارَ بَنَا فِي الْأَرْضِ وَخُذًا^(١) كَأَنَّمَا
دَرَى أَنَّ مَا نَبَغِيهِ مِنْهُ هُوَ الْوُخْدُ
فَمَا رَاعَنِي وَاللَّهِ إِلَّا وَقُوفُهُ
فَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَفَاجِئُنَا وَغَدُ
وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ سَيْرِهِ وَإِذَا بَنَا
عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي مَا لَهُ حَدٌّ
هَنَّاكَ وَقَفْنَا وَالشَّفَاءُ صَوَامَتْ
كَأَنَّ بَنَا عِيًّا^(٢) وَلَيْسَ بَنَا وَجْدُ
سَكَّتْنَا وَلَكِنَّ الْعَيُونَ نَوَاطِقُ
أُرْقُ حَدِيثِ مَا الْعَيُونَ بِهِ تَشْدُو
سَكِرْنَا وَلَا خَمْرٌ وَلَكِنَّهُ الْهُوَى
إِذَا اشْتَدَّ فِي قَلْبِ امْرِئٍ صَفَقَ الرُّشْدُ
فَقَالَتْ، وَفِي أَجْفَانِهَا الدَّمْعُ جَائِلٌ
وَقَدْ عَادَ مَصْفَرًّا عَلَى خَدَّهَا الْوَرْدُ:
أَلَا حَبِّذَا يَا صَاحِبِي الْمَوْتُ هَهْنَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْ نَذُوقَ الرَّدَى بُدَّ
فِيَا لَكَ مِنْ فِكْرٍ مُخِيفٍ وَهَائِلٍ
وَيَا لَكَ مِنْ مَرَأًى يَرَقُّ لَهُ الصِّلْدُ^(٣)
فَقُلْتُ لَهَا: إِنِّي مُحِبٌّ لِكُلِّ مَا
تُحِبِّينَ، إِنْ السَّمَّ مِنْكَ هُوَ الشُّهُدُ

(١) نوع من السير.

(٢) عدم القدرة على الكلام.

(٣) الحجر.

فَقَالَتْ: أَمِنْ أَجَلِي تَحْنُ إِلَى الرَّدَى
دَعِ الْهَزْلَ، إِنْ الْمَرْءَ حَلِيَّتُهُ الْجِدُّ
فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ كُنْتُ فِي الْخُلْدِ رَاتِعاً
وَلَسْتُ مَعِيَ، وَاللَّهِ مَا سَرَّنِي الْخُلْدُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَهْدٌ إِلَيْكَ يَضُمُّنِي
فَيَا حَبِّذَا يَا «هَنْد» لَوْ ضَمَّنَا لِحْدًا!
فَقَالَتْ: لَعَمْرُ الْحَقِّ إِنَّكَ صَادِقٌ
فَدُمْتَ عَلَى وَدٍّ وَدَامَ لَكَ الْوُدُّ
فَلَوْلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلُ أُعَشِّقُ حُسْنَهَا
لَهَمْتُ بِهَا، وَاللَّهُ حَسْبِيَ مِنْ بَعْدُ!

٢١ - طفلة والقمر

[الرمل]

دميةٌ حسناءٌ تُغري النَّظْرَا
أم ملاكٌ طاهرٌ فوق النَّوْرَى
طفلةٌ ساذجةٌ أطهرٌ من
زهرةِ الرُّوضِ وأنقى جَوْهَرَا
شَرَفَتْ أَصْلًا، وطابتْ عُنْصُرَا
وارتقتْ نَفْسًا، وراقتْ مَنْظَرَا
حملتْ قلبًا أبى أن يحملَ أَلْ
حَقْدَ أَوْ يَكْتَمَ حَسًّا كَدْرَا
تَجْهَلُ الشَّرَّ، وَلَا تُحَسِّنُ أَنْ
تَخْدَعَ الْغَيْرَ، وَلَا أَنْ تَغْدُرَا
لا تبالي ببينات الدهرِ إن
أقبلَ الدهرُ بها أو أدبرا
يَعْظُمُ الْكَوْنُ لِدِينَا جِرْمَهُ
وتراه عندها قد صَغُرَا
إنما الدنيا لديها كُلُّهَا
أبواها وهما كلُّ الوَرَى
جُوذُرُ لَكِنَّهَا أَنْسَهُ
لم يرْعُها ما يَرُوعُ الْجُوذُرَا^(١)

(١) ولد البقرة الوحشية وعيناه جميلتان.

سُرِقَ التَفَاحُ مِنْ وَجَنَتِهَا
وَاسْتَعَارَ الظُّبْيُ مِنْهَا الْحَوْرَا
ذَاتُ شَعْرٍ ذَهَبِيٍّ لَوْنُهُ
قَدْ حَكَى نَوْرَ الْخُحَى مُنْتَشِرَا
وَعَيُونٍَ بِالنُّهَى عَابِثَةً
جَذَبَ الْغُنْجُ إِلَيْهَا الْخَفْرَا
شُغِفَتْ بِالْبَدْرِ حَبًّا فَهِيَ لَا
تَعْرِفُ الْغُمُضَ إِلَى أَنْ يُسْفِرَا
وَقَفْتُ تَرْقُبُهُ فِي لَيْلَةٍ
مِثْلَ حِظِّ الْأَدْبَاءِ الشُّعْرَا
تَكْتُمُ الظُّلُمَاءُ مِنَ الْأَلَاءِهَا
أَيُّ بَدْرِ فِي الظُّلَامِ اسْتَتَرَا
أَرْسَلْتُ نَحْوَ الدَّرَارِي لِفَتَّةٍ
أَذْكُرْتُ تِلْكَ الدَّرَارِي الْقَمْرَا
وَإِذَا بِالْبَدْرِ قَدْ مَرَّقَ عَنْ
وَجْهِهِ بِرُقْعَةٍ ثُمَّ انْبَرَى
فَأَضَاءَ الْجَوَّ وَالْأَرْضَ مَعًا
نَوْرُهُ الْفَضِيُّ لِمَا ظَهَرَا
فَرَنْتُ عَنْ فَاتِرٍ، وَابْتَسَمْتُ
عَنْ نَظِيمٍ قَدْ أَكَنَّ الدُّرَا
ثُمَّ قَالَتْ: يَا حَبِيبِي مَرْحَبًا
لَا رَأَى الطُّرْفُ إِلَّا نَيْيْرَا
قِفْ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا فَعَسَى
نَوْرُكَ الْبَاهِرُ يَجْلُو الْبَصْرَا

إِنْ تَغِيبُ فَالصُّبْحُ عِنْدِي كَالدُّجَى
والدجى إن جئتَ بالصُّبْحِ اذْرى
لَمْ تُحِبَّ السَّيْرَ لَيْلاً فَإِذَا
ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ عَانَقْتَ الْكَرَى؟
أَتُخَافُ الشَّمْسَ أَمْ أَنْتَ كَذَا
تَعْشَقُ اللَّيْلَ وَتَهْوَى السَّهْرَا؟
ثُمَّ نَاجَتْ نَفْسَهَا قَائِلَةً
أَتُرى أَبْلُغُ مِنْهُ وَطَرَا
لَيْتَ لِي أَجْنَحَةٌ بَلْ لِيَتَنِي
نَجْمَةٌ أَتَبِعُهُ أُنَّى سَرَى
وَهُمِ الْبَعْضُ فَقَالُوا دَرَهْمٌ
مَا أَرَى الدَّرَهْمَ إِلَّا حَجَرَا
وَلَقَدْ أَضْحَكَنِي زَعْمُهُمْ:
إِنَّهُ يُشَبِّهُ فِي الْحَجْمِ النَّرَى
زَعَمُوا مَا زَعَمُوا لَكِنَّمَا
هُوَ عِنْدِي لَعِبَةٌ لَا تُشْتَرَى!

٢٢ - فنون الوصف

[الطويل]

كأنِّي في روضٍ أرى الماءَ جارياً
أمامي وفوقي الغيمُ يَجْهَدُ بالنَّشْرِ
توهَّمَتْهُ هَمًّا فَقُلْتُ لَهُ: أَنْجِلِ
فإنَّ همومي ضاقَ عن وصفِها صَدْرِي
بربك سِرِّ حَيْثُ الْخَلِيِّ فَإِنِّني
فَتَى لَا أَرَى غَيْرَ الْمَصَائِبِ فِي دَهْرِي
فَأَقْشَعُ حَتَّى لَمْ أَشْكُ بَأَنَّهُ
أَصَاخُ إِلَى قَوْلِي، وَمَا شَكُّ فِي أَمْرِي
رعى الله ذِيَاكَ الْغَمَامَ الَّذِي رعى
عهودي، وأولاني الجميلَ، ولم يدرِ
تظَلَّلْتُ بالأشجارِ عِنْدَ اخْتِفَائِهِ
وَيَا رَبِّ طَلُّ كَانَ أَجْمَلَ مِنْ قَطْرِ
جَلَسْتُ أَبْتُ الزَّهَرِ سِرًّا كَتَمْتُهُ
عَنِ النَّاسِ حَتَّى صُرْتُ أَخْفَى مِنَ السَّرِّ
وَلَمَّا شَكُوتُ الْوَجْدَ، وَجَدِي، تَمَايَلْتُ
كَأَنَّ الَّذِي أَشْكُوهُ ضَرْبٌ مِنَ الْخَمْرِ
وَأَدْهَشَهَا صَبْرِي، فَأَدْهَشَنِي الْهُوَى،
دُهِشْتُ لِأَنَّ الزَّهَرَ أَدْهَشَهَا صَبْرِي
وَلَمَّا دَرَّتْ أَنِّي مُحِبٌّ مُتَيِّمٌ
بَكَتُ وَبَكَانِي كُلُّ ضَاكٍ مُفْتَرٍ

عجبتُ لها تبكي لما بي ولم يكن
عجيباً على مثلي البكاء من الصخر
كأنني بدرٌ والزهورُ كواكبُ
وذا الروضُ أفقُ ضاءَ بالبدر والزهر
كأنني وقد أطلقتُ نفسي من العنا
ملكٌ لي الأغصانُ كالعسكرِ المجرِّ^(١)
فما أسعدَ الإنسانَ في ساعةِ المُنَى!
وما أجملَ الأحلامَ في أوّلِ العُمُرِ!
وهاتفه قد أقلقَتني بنوحِها
فكنتُ كمخمورٍ أفاقَ من السُّكْرِ
تُرى رُوِعتْ مثلي من الدهرِ بالفرا
قٍ أمْ بدلتْ مثلي من اليُسْرِ بالعُسْرِ؟
بكيتُ ولو لم أبكِ مما بكْتُ له
بكيتُ لما بي من سَقَامٍ ومن ضُرِّ
ونهرٍ إذا والى التَّجْعُدَ مأوّه
ذَكَرْتُ الأفاعي إذ تلوّى على الجمرِ
تحيطُ به الأشجارُ من كلِّ جانبٍ
كما دار حولَ الجيدِ عِقْدٌ من الدرِّ
وقد رفعتُ أغصانُها في أديمه
كتاباً من الأوراقِ سطرّاً على سطرٍ
كأن دنانيراً تساقطُ فوقه
وليس دنانيرُ سوى الورقِ النُّضْرِ
كأنني به المرأةُ عند صفائِها
تُمثِّلُ ما يدنو إليها ولا تدري

(١) الكثيف أو الكثير.

فما كان أدري الغصنَ بالنظم والنثرِ
 وما كان أدري الماءَ «بالطيِّ والنَّشْرِ»^(١)
 ذرِ المدحِ والتشبيبِ بالخمَرِ والمها
 فاني رأيتُ الوصفَ أليقَ بالشُّعرِ
 وما كان نظمُ الشُّعرِ دأبي وإنَّما ..
 دعاني إليه الحب، والحب ذو أمر
 ولي قلمٌ كالرمح يهتزُّ في يدي
 الى الخير يسعى، والرماحُ الى الشرِّ
 وتفتكُ هاتيك الأسنَّةُ في الحشَا
 ويحيا الحشَا إن راح يفتكُ بالحبرِ
 إذا ما شدا في الطُّرسِ أذهب شدوهُ
 همومَ ذوي الشكوى، ووَقَرَ ذوي الوَقْرِ^(٢)
 تبخترَ فوق الطُّرسِ يسحبُ ذيلَهُ
 فقالوا: به كِبَرُ، فقلتُ عن الكِبَرِ
 لكلِّ من الدنيا حبيبٌ وذا الذي
 أشدُّ به أزري، ويعالو به قدري
 ويبقى به ذكرى إذا غالني الرَّدَى
 وحسبُ الفتى ذكرٌ يدوم إلى الحشرِ

(١) من مصطلح العروض.
 (٢) الوقر: الحمل والوزن. والوقر: الثقل في الأذن.

٢٣. قصيدة الطبيعة

[مخلع البسيط]

روضٌ إذا زرتُهُ كئيباً
نَفْسٌ عن قلبِكَ الكُروياً
يُعِيدُ قلبَ الخَلِيٍّ مَغْرَى
وَيُنْسِي العَاشِقَ الحَبِيباً
إذا بَكَاهُ الغَمَامُ شَقَّتْ
من الأَسَى زَهْرَهُ الجُيُوباً
تَلْقَى لَدَيْهِ الصِّفَا ضَرْوباً
ولستَ تَلْقَى لَهُ ضَرْباً^(١)
وَشَاهُ قَطْرُ النَّدَى فَاُضْحَى
رِداؤُهُ مُعْلَماً قَشِيباً
فَمِنْ غُصُونٍ تَمِيسُ تِيهاً
وَمِنْ زَهْوٍ تَضُوعُ طِيباً
وَمِنْ طَيِّبٍ إِذَا تَغَنَّنَتْ
عَادَ المَعْنَى بِهَا طَرِيباً
وَنَرَجِسٍ كَالرَّقِيبِ يَرْنُو
وَلَيْسَ مَا يِقْتَضِي رَقِيباً
وَأَقْحَ حَوَانٍ يُرِيكَ دُرّاً
وَجَلَّ نَارَ حَكِي الأَهِيبِ
وَجَدُولٍ لَا يَزَالُ يَجْرِي
كَأَنَّهُ يِقْتَضِي ... مُرِيباً

(١) مثيل.

تسمعُ طوراً له خَريراً
وتارة في الثرى دبباً
إذا ترامى على جديبٍ
أمسى به مَرَبَعاً خَصيباً
أو يتجنّى على خَصيبٍ
أعادَهُ قاحلاً جَدِيباً
صحَّ فلو جاءه عَليلاً
لم يأتِ بعدُ منه طَبِيباً
وكلُّ مَعْنَى به جَمِيلٌ
يُعلمُ الشاعرُ النَّسِيباً
أرضٌ إذا زارها غريبٌ
أصبح عن أرضه غريباً

٢٤. سقوط بورت آرثور^(١)

[الخفيف]

مَنْ أُسُودُ تُسْرِيلَتْ بِالْحَدِيدِ ؟
وَمَنْ الْجَنْ فِي رِداءِ الْجَنْـنُودِ ؟
يَنْشُدُونَ الْوَعَى وَمَا يَنْشُدُ الـ
حَسَنَاءَ غَيْرُ الْمُتَيْمِّ الْمُعْمُودِ
كُلُّ قَرْمٍ^(٢) عَلَيْهِ دَرْعٌ مِنَ الصَّبِّ
رِوْدَرْعٌ مُسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ
تَحْتَهُ أَجْرَدُ أَشَدُّ حَنِيناً
وَاشْتِيَاقاً إِلَى الْوَعَى مِنْ نَجِيدِ
سَابِحٌ عِنْدَهُ الْعَسِيرُ يَسِيرُ
وَالْقَصِيُّ الْقَصِيُّ غَيْرُ بَعِيدِ
لَوْ صَبَا لِلنَّجُومِ مِنْ قَدْ عَلَاهُ
أَصْبَحَ الْجَوُّ تَحْتَهُ كَالصَّعِيدِ
تَحْسَبُ الْأَرْضُ قَدْ جَرَتْ حِينَ يَجْرِي
وَتَرَاهُ كَأَنَّهُ فِي رَكُودِ
إِنَّمَا يَرْكَبُ الْجَوَادَ ... جَوَادُ
وَيَصُونُ الذَّمَّارَ غَيْرُ بَلِيدِ
وَحَمِيسٍ^(٣) يَحْكِي النُّجُومَ انْتِظَاماً
عَجَباً مِنْ كَوَاكِبٍ فِي بَيْدِ

(١) Port Arthur ميناء في شمالي الصين (منشوريا) احتله الروس ١٨٩٨ ، خلال الحرب اليابانية الروسية، فحاصر اليابانيون الأسطول الروسي واضطروا الروس إلى الجلاء، في النهاية، عن منشوريا، سنة ١٩٠٥

(٢) شجاع.

(٣) جيش.

أَوْقَعَ الرَّعْبَ فِي قُلُوبِ الضُّواري
فاسْتَكَّانَتْ كَأَنَّهَا فِي قَيُودٍ
أَصْبَحَتْ تَهْجُرُ المِيَاهَ وَكَانَتْ
لَا تَرَى المَاءَ غَيْرَ مَاءِ الْوَرُودِ
خَافَقَاتِ أَعْلَامُهُ، أَرَأَيْتُمْ
كَقُلُوبِ الْعَشَّاقِ عِنْدَ الصُّدُودِ؟
قَادَهُ ذَلِكَ الْغَضَنْفَرُ «تَوْجِي»^(١)
وَيَنَاطُ الْحَسَامُ بِالصَّنَدِيدِ ..
رَجُلٌ دُونَهُ الرِّجَالُ مَقَاماً
مُشَبَّهٌ فِي الْأَنَامِ بَيْتَ الْقَصِيدِ
كُلُّ سَيْفٍ فِي غَيْرِ قَبْضَةٍ «تَوْجِي»
فَهُوَ عِنْدَ السِّيُوفِ غَيْرُ حديدٍ
يَا يَرَاعِي سَلَّ «بُورْتِ آرْثَر» عَنْهُ
إِنَّ تِلْكَ الْحِصُونِ خَيْرُ شُهُودِ
مَعْقِلٌ أَصْبَحَتْ جَحَافِلُ «هَيْتُو»^(٢)
حَوْلَهُ كَالْعُقُودِ حَوْلَ الْجِيدِ
هَجَمُوا هَجْمَةَ الضَّرَاغِمِ لَمَّا
حَسَبُوهَا فَرِيسَةً لِلْأَسُودِ
وَتَعَالَى الضُّجْجُ لِلْأَفْقِ حَتَّى
كَادَ ذَاكَ الضُّجْجُ بِالْأَفْقِ يُودِي
وَتَوَالَى هَجُومُهُمْ، وَالْمَنَايَا
ضَاحِكَاتٌ، فَيَا لَهَا مِنْ صَيُودِ!
كَمْ جَرِيحٍ مُضَرَّجٍ بِدَمَاهُ
وَقَتِيلٍ عَلَى التُّرَى مَمْدُودِ

(١) قائد ياباني.

(٢) امبراطور اليابان.

وَأَسِيرٌ إِلَى أُسِيرٍ يُسَاقُّو
نَ تَبَاعاً إِلَى الشَّقَاءِ الْعَتِيدِ
أَمْطَرْتَهُمْ مَدَافِعُ الرُّوسِ نَاراً
أَصْبَحُوا بَعْدَهَا بِغَيْرِ جُلُودِ
دَامَتِ الْحَرْبُ أَشْهَرًا كُلَّمَا قِي
لَ خَبَتَ نَارُهَا ذَكَتَ مِنْ جَدِيدِ
وَالْمَنَايَا تَحُومُ حَوْلَ السَّرَايَا
حَوْمَةُ الْعَاشِقِينَ حَوْلَ الْغِيدِ
حَيْثُ حَظُّ الْمَقْدَامِ مِثْلُ سَوَاهِ
وَكَحَظُّ الْكَبِيرِ حَظُّ الْوَلِيدِ
صَبَرَ الرُّوسُ صَبْرَ أَيُّوبَ لِلْبَلَاءِ
وَوَى عَلَى ذَلِكَ الْعَدُوَّ الْعَنِيدِ
غَيْرَ أَنَّ الْأَيَّامَ طَالَتْ وَ«سَتَوْ
سَل»^(١) يُمْنِي أَجْفَانُهُ بِالْهُجُودِ
فَتَوَلَّاهُمْ الْقَنْوُوطُ مِنَ النَّصْرِ
رَفَرْدُوا أَسْيَافَهُمْ لِلْغُمُودِ
كَانَ هَذَا لِلصُّفْرِ عِيداً وَعِنْدَ الرُّ
رُوسِ ضَرْباً مِنَ اللَّيَالِي السُّودِ
قَلْعَةً صَانَهَا الزَّمَانُ فَلَوْلَا
كَيْدُ «تَوْجِي» لَبُشِّرَتْ بِالْخُلُودِ

(١) قائد روسي.

٢٥. بلا قلب

[الطويل]

وقائلة: ماذا لقيتَ من الحبِّ
فقلت: الردى والخوفُ في البُعدِ والقربِ
فقالت: عهدتُ الحبُّ يُكسبُ ربَّه
شمائلٌ غُرّاً لا تُنالُ بلا حب
فقلت لها: قد كان حبّاً فزاده
نفورُ المها «راء» فأُسييتُ في حرب
وقد كان لي قلبٌ وكنتُ بلا هوى
فلما عرفتُ الحبَّ صِرتُ بلا قلب

٢٦ - لقاء وفراق

[البسيط]

صبراً على هجرها إن كان يُرضيها
غير المليحة مملولٌ تجنيها
فالوصلُ أجملُّه ما كان بعد نوى
والشمسُ بعد الدُّجى أشهى لرائيها
أسلمتُ للسُّهد طرُفي والضنى بدني
إن الصبابة لا يُرجى تلافِيها
إن النساءَ إذا أمرضنَ نفسَ فتى
فليس غيرُ تدانيهنَّ يشفيها
فاحذرُ من الحبِّ إن الريحَ ما خفيتُ
لولا غرامٌ عظيمٌ مُختَفٍ فيها
يمضي الصَّفَاءُ ويبقى بعده أثرُ
في النفسِ يؤلِّها طوراً ويُسجِيها
مرَّتْ ليالٍ بنا ما كان أجملَّها!
تمَّتْ، فما شأنها إلا تلاشيها
تلك الليالي لا أرجو تذكُّرها
خوفَ العناء، ولا أخشى تناسيها
أصبو إليها، وأصبو كلما ذُكرتُ
عندي اشتياقاً إلى مصرٍ وأهلِها
أرضُ سماءٍ سِواها دونها شرفاً
فلا سماءٌ ولا أرضٌ تحاكيها

رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا وَخَضِرَ جَانِبُهَا
 وَأَجْمَلُ الْأَرْضِ مَا رَقَّتْ حَوَاشِيُّهَا
 كَأَنَّ أَهْرَامَهَا الْأَطْوَادُ بِإِذْنِهَا
 هَذِي إِلَى جَنْبِهَا الْأُخْرَى تُسَامِيهَا
 كَأَنَّهَا كَعْبَةٌ حَجَّ الْأَنَامُ لَهَا
 لَوْلَا التُّقَى قَلْتُ فِيهَا: جَلَّ بَانِيهَا
 وَنِيلُهَا الْعَذْبُ مَا أَحْلَى مَنَازِرَهُ
 وَالشَّمْسُ تَكْسُوهُ تَبَرًّا فِي تَوَارِيهَا
 وَمَا أُحْيَى الْجَوَارِي^(١) الْمَاخِرَاتِ بِهِ
 تُقَلُّ مِنْ أَرْضِهِ أَحْلَى جَوَارِيهَا
 مِنْ كُلِّ رُعْبُوبَةٍ^(٢) عَبْلٌ^(٣) رَوَافُهَا
 تَأْبَى الْقَعُودَ فَتَأْبَى أَنْ تَجَارِيهَا
 ضُحُوكَةُ الْوَجْهِ يُغَرِّبُنَا تَبَسُّمُهَا
 إِنْ نَجْتَدِيهَا وَيَثْنِينَا تَثْنِيهَا
 وَنَاهِدٍ حُجِبَتْ عَنْ كُلِّ ذِي بَصَرٍ
 حُشَّاشَتِي خَدْرُهَا وَالْقَلْبُ نَادِيهَا
 فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مَنِي لَهَا أَثَرٌ
 «وَالدَّارُ... صَاحِبُهَا أَدْرِي بِمَا فِيهَا»
 وَفِي الْكَوَاكِبِ جِزْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا
 وَفِي الْجَاذِرِ^(٤) جِزْءٌ مِنْ مَعَانِيهَا
 إِنْ عَنَّفُونِي فَإِنِّي لَا أَعْنُفُهَا
 وَإِنْ أَسَمَّ فَنَانِي لَا أَسْمِيهَا

(١) المراكب.

(٢) البيضاء الناعمة.

(٣) ممتلئة.

(٤) الجؤنر: ولد البقرة الوحشية، عيناه جميلتان.

يَمْمَتْهَا وَنَجُومُ الْأَفْقِ تَلَحَّظُنِي
فِي السَّيْرِ شَزْرًا كَأَنِّي مِنْ أَعَادِيهَا
كَادَتْ تَسَاقُطُ غِيْظًا عِنْدَمَا عَلِمْتُ
أَنِّي أَوْمٌ التِّي بِالنَّفْسِ أَفْدِيهَا
أَسْرِي إِلَيْهَا وَجَنُحُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبٌ
كَأَنَّهُ مَشْفِقٌ إِلَّا أَلَاقِيَهَا
وَالشَّوْقُ يَدْفَعُنِي، وَالْخَوْفُ يَدْفَعُنِي
هَذَا إِلَيْهَا، وَهَذَا عَنْ مَغَانِيهَا
أَطْوِي الدِّيَاجِي وَتَطْوِينِي عَلَى جَزَعٍ
تَخْشَى افْتِضَاحِي وَأَخْشَى الصَّبْحَ يَطْوِيهَا
فَمَا بَلَغْتُ مَغَانِي مَنْ شَغَفْتُ بِهَا
إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُ نَفْسِي تَرَاقِيَهَا^(١)
هَنَّاكَ أَلْقَيْتُ رَحْلِي وَانْتَحَيْتُ إِلَى
خَوْدِ^(٢) يَرَى الدُّمَيْةَ الْحَسَنَاءَ رَائِيهَا
بَيْضُ تَرَائِبُهَا^(٣) ، سَوْدُ ذَوَائِبُهَا
زُجْ^(٤) حَوَاجِبُهَا كُحْلُ مَاقِيهَا
نَهْوْدُهَا مِنْ ثَنَائَا الثُّوبِ بَارِزَةً
كَأَنَّهَا تَشْتَكِي مِمَّا يَوَارِيهَا
وَالثُّوبُ قَدْ ضَاقَ عَنْ إِخْفَائِهَا فَنَبَا
عَنْهَا، فَيَا لَيْتَنِي بُرْدُ الْأَحْمِيهَا
وَتَحْتَ ذَلِكَ خَاصِرٌ يَسْتَقِلُّ بِهِ
دَعِصُ^(٥) تَرَجَّرَجَ حَتَّى كَادَ يَلْقِيهَا

(١) الترقوة: العظم الواصل بين ثَغرة النحر والعاتق. وجمعها التراقي.

(٢) الشابة الحسنة.

(٣) الترائب: موضع القلادة من الصدر (المفرد: تريبة).

(٤) زججت المرأة حواجبها: دققتها وطولبتها.

(٥) الرمل.

قامت تُصافحني والرَّدْفُ يَمْنَعُهَا
والوجدُ يدفعُها والقَدُّ يَثْنِيهَا
دَهَشْتُ حَتَّى كَأَنِّي قَطُّ لَمْ أَرَهَا
وَكِدْتُ وَاللَّهِ أَنْسَى أَنْ أَحْيِيَهَا
بَاتَتْ تَكَلِّمُنِي مِنْهَا .. لَوَاحِظُهَا
بِمَا تَكُنُّ وَأَجْفَانِي تُنَاجِيهَا
حَتَّى بَدَا الْفَجْرُ وَاعْتَلَّتْ نَسَائِمُهُ
وَكَادَ يَنْشُرُ أَسْرَارِي وَيَفْشِيهَا
بَكَتْ دُمُوعاً وَأَبْكَتْنِي الدَّمُوعُ دُمَاءً
وَرَحْتُ أَكْتُمُ أَشْيَاءً وَتَبْدِيهَا
كَأَنَّهَا شَعَرْتُ فِي بُعْدِنَا أَبَدًا
فَأَكْثَرْتُ مِنْ وَدَاعِي عِنْدَ وَايِهَا
فَمَا تَعَزَّتْ بَأَنَّ الدَّهْرَ يَجْمَعُنَا
يَوْمًا، وَلَا فَرَحْتُ أَنِّي أَمْنِيهَا
تَقُولُ وَالْدمْعُ مِثْلُ الْطَلِّ مَنْتَثِرٌ
عَلَى خُدُودٍ خَشِيْتُ الدَّمْعُ يُدْمِيهَا:
وَأَلْهَفَ نَفْسِي عَلَى أَنْسٍ بَلَا كَدَرٍ
تُرَى نِنَالٍ مِنَ الدُّنْيَا أَمَانِيهَا؟
فَقُلْتُ: صَبْرًا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ لَنَا
فَكُلُّ حَافِرٍ بئِرٍ وَاقِعٌ فِيهَا

٢٧. بنت الفرقدین^(١)

[الطويل]

أزورُ فَتَقْصِينِ^(٢) وَأُنْأَى فَتَعْتَبُ
وَأَوْهَمُ أَنِي مَذْنَبٌ حِينَ تَغْضَبُ
وَأَرْجُو التَّلَاقِي كُلَّمَا بَخِلْتِ بِهِ
كَذَلِكَ يُرْجَى الْبَرْقُ وَالْبَرْقُ خُلْبٌ
وَأَعْجَبُ مِنْ لَاحٍ^(٣) يُطِيلُ مَلَامَتِي
وَيَعْجَبُ مِنِّي عَاذِلِي حِينَ أَعْجَبُ
هُوَ الْبَخْلُ طَبْعُ فِي الرِّجَالِ مُذَمَّمٌ
وَلَكِنَّهُ فِي الْغَيْدِ شَيْءٌ مُحَبَّبٌ
كَلِفْتُ بِهَا بِيضَاءَ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا
وَمَا شَرِبْتُ خَمْرًا وَلَا هِيَ تَشْرِبُ
لَهَا الدُّرُّ تَغَرُّ وَاللَّجَيْنُ تَرَائِبُ^(٤)
وَشَمْسُ الضُّحَى أَمْ وَبَدْرُ الدُّجَى أَبُ
خَلِيلِي أَمَّا خَدُّهَا فَمُورِدٌ
حَيَاءٌ وَأَمَّا تَغْرُّهَا فَهُوَ أَشْنَبُ^(٥)
لَنْ فَرَّقْتُ بَيْنَ الْغَوَانِي جَمَالِهَا
لِدَامِ لَهَا مَا يَجْعَلُ الْغَيْدَ تَغْضَبُ

(١) الليل والنهار.

(٢) قصا يقصو: بعد.

(٣) لاتم.

(٤) موضع القلادة من الصدر (المفرد: تربية).

(٥) الشنب: بياض الأسنان وبرودتها.

ولو أنَّ رهبانَ الصَّوامِعِ أبصروا
ملاحَظَتَها، واللهِ، لم يترهَّبُوا
تُكَلِّفَنِي في الحبِّ ما لا أَطيقُه
وتضحكُ إمَّا جئتُها أَتَعَتَّبُ
أَفَاتِنَتِي حَسْبُ المَتيِّمِ ما به ..
وحسبُكَ أَنِّي دونَ ذنبٍ أُعَذَّبُ
أحبُّكَ حبَّ النازحِ الفرْدِ أَهلُه
فهل مِنكَ حبُّ الأهلِ مَنْ يتغرَّبُ
وهبَّتْ قَلْبِي واستَعَضْتُ به الأَسَى
وهبَّتْ شَيْئاً في الورى ليس يُوهَبُ
فإنَّ يَكُ وُصِّلَ فهوَ ما أَتطلَّبُ
وإنَّ يَكُ بُعِدَ فالنَّيَّةُ أَقربُ

٢٨. أخت ليلي

[الكامل]

ولقد عَلِقْتُ من الحِسانِ مليحةً
تحكي الهلالَ بحاجِبٍ وجَبِينِ
كَلِفْتُ بها نفسي ودونَ وصالِها
وصلُّ المُنُونِ، وثُمَّ لَيْثُ عَرِينِ
حَسَناءُ أَضْحَى كُلُّ حُسْنٍ دونَها
ولِذاك عُشَّاقُ المَحاسِنِ دوني
قد رُوِّعَتْ حتَّى لَتَخْشَى بُرْدَها
من أنْ يَبْوَحَ بِسِرِّها المَكْنُونِ
وتُريبُها أنفاسُها، ويُخيفُها
عند اللقاءِ تنهَّدُ المَحزونِ
هَجَرْتُ فكلُّ دَقِيقَةٍ من هَجَرِها
عندي تُعَدُّ بِأشْهرٍ وسنِينِ
يا هذه! لا تجحدي حَقِّي فقد
أُصْلَيْتِ قلبي بالنَّوى فصَلِّيني
أُطْلِقْتِ دمعاً كان قَبْلُ مَقِيداً
وسجنتِ قلباً كان غيرَ سَجِينِ
أشْبَهْتُ «ليلى العامريَّةَ» فاكْتُمِي
خبرَ الذي قد صارَ كالمجنونِ^(١)

(١) ليلي العامرية معشوقة قيس الذي فتن بها ورفض أهلها زواجها منه، فأصابه الجنون حتى اشتهر به.

٢٩ . طيببي الخاص

[الرمل]

بِتُّ أَرعى فِي الظُّلَامِ الأَنْجُمَا
لِيسَ لِلْعِشْأَقِ حِظٌّ فِي الكَرَى



صَرَعْتُني نَظْرَةً حَتَّى لَقَد
كَدْتُ أَنْ أَحْصِدَ مِنْ لَا يُبْصِرُ
نَظْرَةً قَدْ أَوْرَثَتْ قَلْبِي الكَمْدُ
مَا بَلَاءُ القَلْبِ إِلَّا النَظَرُ
لَا رِعَاكَ اللهُ يَا يَوْمَ الأَحَدِ
لَا وَلَا حَيَّاكَ عَنِّي المَطَرُ
أَنْتَ مَنْ أَطْلَعْتَ هَاتِيكَ الدُّمَى
سَافِرَاتٍ فِتْنَةً لِلشُّعْرَا



هَمْتُ فِي مَنْ حَسُنَتْ صُورُتُهَا
مِثْلَمَا قَدْ حَسُنَتْ مِنْهَا الخِصَالُ
أَخْجَلْتُ شَمْسَ الضُّحَى طَلَعْتُهَا
وَاسْتَحَى مِنْ لَحْظِهَا لَحْظُ الغَزَالِ
كُلُّ مَا فِيهَا جَمِيلٌ يُشْتَهَى
مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى فَرْطِ الجَمَالِ
لَوْ رَأَاهَا لَأَتَمِي فِيهَا لِمَا
لَا مَنِي فِي حَبِّهَا، بَلْ عَذْرَا



ذاتُ حسنٍ خدُّها كالورد في
لونه والطَّيب في نكهته
زهرةٌ لكنَّها لم تُقطفِ
وجمالُ الزَّهرِ في روضته
درةٌ ما أُخرجتْ من صدف
تُرخصُ الدرُّ على قيمته
بِخِصَّةِ الخدينِ والنَّهدينِ، ما
سُفرتْ إلا رأيتَ القمرا



ذاتُ شَعَرٍ مُسَبَّلٍ كالْأَفْعُوَانِ
يتهاذى فوق ردفٍ كالكتيبِ
وقوامُ لوراها الغصنُ بأنْ
خجلاً من ذلك الغُصنِ الرطيبِ
كاد لولا ما به من عُنفوانٍ
يقفُ الورقُ به والعندليب^(١)
وجفونٍ أشبهتني سَقَمًا
كَمَنَ السَّحَرُ بها واستترا



تبعتُ الحبَّ إلى قلبِ الخَلِيٍّ
وهو لا يدري ولا يستشعرُ
والهوى في بدئه عذبٌ شهِيٌّ
كلُّ شيءٍ بعده محتَقَرُ
كلُّ مَنْ لا يعرفُ الحبَّ شَقِيٌّ
لا يرى في دهره ما يُشكَّرُ

(١) الورق: الحمام (الورقاء)، والعندليب: الهزار من الطير.

يَصْرِفُ الْعُمْرَ وَلَكِنْ سَيِّمًا
عَبَثًا يَطْلُبُ أَلَا يَخْجَرَا



لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ مَا مَعْنَى الْهِنَا
قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مَا مَعْنَى الْغَرَامُ
يَضْحَكُ النَّاسُ سُرُورًا وَأَنَا
عَابِسٌ حَتَّى كَأَنِّي فِي خِصَامٍ
عَجِبُوا مِنِّي وَقَالُوا عَلَّانَا:
قَدْ رَأَيْنَا الصُّخْرَ فِي زِيِّ الْأَنَامِ
أَوْشَكُوا أَنْ يَحْسِبُونِي صَنَمًا
لَوْ رَأَوْا^(١) الْأَصْنَامَ تُخْفِي كَدْرَا



لَمْ أَزَلْ فِي رِبْقَةِ الْيَأْسِ إِلَى
أَنْ أَعَادَ الْحُبُّ لِي بَعْضَ الرَّجَا
كَنتُ قَبْلَ الْحُبِّ أَسْرِي فِي ظِلَا
مٍ وَلَا أَلْقَى لِنَفْسِي مَخْرَجَا
فَجَلَّاهُ الْحُبُّ عَنِّي فَاَنْجَلَى
مِثْلَمَا يَجْلِسُ سَنَا الشَّمْسِ الدُّجَى
بَاتَ قَلْبِي بِالْأَمَانِي مُفْعَمًا
وَهُوَ قَبْلًا كَانَ مِنْهَا مُقْفَرَا



رَوَّعْتَنِي بِالنَّوَى بَعْدَ الْلِقَاءِ
وَكَذَا الدُّنْيَا دَنُوءًا وَافْتِرَاقُ

(١) يلزم أن تُقرأ: رُؤُوا، للضرورة.

غَضِبَ الدَّهْرُ عَلَى كَأْسِ الصَّفَاءِ
مُذْ رَأَاهَا فَبَأَى أَلَا تُرَاقُ
وَلَوْ أَنَّ الدَّهْرَ يَدْرِي بِالشَّقَاءِ
سَاعِدَ الصَّبِّ عَلَى نَيْلِ التَّلَاقِ
لَمْ أَجِدْ لِي مُشَبِّهًا تَحْتَ السَّمَاءِ
فِي شَقَائِي لَا وَلَا فَوْقَ الثُّرَى!



وَأَبِي! لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجِبَالِ
أَصْبَحْتُ تَهْتَزُّ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ
فَاعْذُرُونِي إِنْ أَكُنْ مِثْلَ الْخِيَالِ
وَاعْذُلُونِي إِنْ أَكُنْ غَيْرَ سَقِيمِ
إِنْ دَائِي جَاءَ مِنْ صَادٍ وَدَالٍ
وَدَوَاءُ الْقَلْبِ فِي ضَادٍ وَمِيمِ
بَاتَ صَبْرِي مِثْلَ جِسْمِي عَدَمًا
إِنَّمَا يَصْبِرُ مَنْ قَدْ قَدَّرَا



رُبَّ لَيْلٍ عَادَنِي فِيهِ السُّهَادُ
وَنَأَى عَنِ مُقْلَتِي طِيبُ الْكَرَى
هَاجَتِ الذِّكْرَى شُجُونًا فِي الْفَوَادِ
فَبَكَى طَرْفِي عَقِيقًا أَحْمَرَا
نَبَّهَ الْأَهْلَ بِكَائِي وَالْعِبَادُ
فَأَتَوْا يَسْتَطْلَعُونَ الْخَبْرَا
قُلْتُ: دَاءٌ فِي الْفَوَادِ اسْتَحْكَمَا
كَادَ قَلْبِي مِنْهُ أَنْ يَنْفَطِرَا



صَدَّقُوا مَا قُلْتُ ثُمَّ مَضَى
وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَسْتَدْعِي الطَّبِيبَ
سَارَ وَالْكَلُّ عَلَى جَمْرِ الْغَضَا
وَأَنَا بَيْنَ أَنْيْنٍ وَنَحِيبٍ
لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَبَرْقٍ وَمَخَا
وَإِذَا (الدُّكْتُورُ) مِنْ مَهْدِي قَرِيبٍ
قَالَ لِلْجَمْهُورِ: مَاذَا الْاجْتِمَاعُ؟
أَخْرَجُوا أَوْ زِدْتُمُوهُ خَطَرَا



خَرَجَ الْكَلُّ فَأَمَسَتْ غُرْفَتِي
مِثْلَ قَلْبِ الطِّفْلِ أَوْ جَيْبِ الْأَدِيبِ
فَدَنَّا يَسْأَلُنِي عَنْ عَلَّتِي
وَأَنَا أَسْمَعُ لَكِنْ لَا أُجِيبُ
فَنَضَّا الثُّوبَ فَأَبْصَرْتُ الَّتِي
كَادَ جَسْمِي فِي هَوَاهَا أَنْ يَغِيبَ
خَلَعْتُ عَنْهَا لِبَاسَ الْحُكْمَا
فَرَأَتْ عَيْنَايَ بَدْرًا نَيِّرَا



وَأَعْتَرَتْ نِيَّ دَهْشَةً لَكِنِهَا
دَهْشَةً مَمْرُوجَةً بِالْفَرْحِ
كِدْتُ أَنْ أَخْرَجَ عَنْ طُورِ النُّهَى
رُبَّ سُكْرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَدَحِ
يَا لَهَا مِنْ سَاعَةٍ لَوْ أَنَّهَا
بَقِيَتْ كَالدَّهْرِ لَمْ تُسْتَقْبَحْ

عَانَقْتُنِي وَأَنَا أَبْكِي دَمًّا
وَهِيَ تَبْكِي لِبُكَائِي دُرًّا



وَجَعَلْنَا بَعْدَ أَنْ طَالَ الْعِنَاقُ
نَتْنَجَى بِأَحَادِيثِ الْقُلُوبِ
بَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى هَذَا الْوَفَاقِ
قُرِعَ الْبَابُ فَأَوْشَكْنَا نَذُوبُ
فَأُشَارَتْ لِي: قَدْ حَانَ الْفِرَاقُ
فَانْقَطَعْنَا وَارْتَدَّتْ ثَوْبَ الطَّبِيبِ
أَقْبَلَ الْقَوْمُ فَقَالَتْ: كُلُّ مَا
كَانَ يَشْكُو مِنْهُ عَنْهُ قَدْ سَرَى



٣٠. حنة مشتاق

[الطويل]

ألا أيها الباكي فديتُك باكيا
علامَ وفيما تستحث المأقيا؟
رويدك ما أَرْضَى لك الحزنَ خُلَّةً
وهيهات أن أرضاك بالحنن راضيا
يعنّفني من كنتُ أدعوه صاحبا
فما انفكّ حتى بتُ أدعوه لاحيا
دعوتُ لربي إنْ دعاني لأتم
ولم أعصِ ألا يستجيبُ دعائيا
لقد أَرخصَ العُدَّالَ عندي قولهم:
إذا هَمَّتْ العينانُ أَرخصتْ غاليا
أأمنعُ ماءً ما يُروِّي أخا صدّي
وقد كنتُ لا أحمي المناهلَ صاديا^(١)
عليّ البُكا والنوحُ ضربةً لازبٍ
وإنّي لأبكي أنني لستُ باكيا
وكيفَ ارتياحي بعدَ هندٍ وبيننا
مَهَامَةٌ^(٢) لا تلقى بها الريحُ هاديا
يظلُّ بها السّرحانُ^(٣) يعوي من الطّوى
نهاراً ويطوي ليلهُ الخوفُ طاويا^(٤)

(١) عطشان. (صدّي - يصدي).

(٢) قفار ومغازات واسعة (مهمّة).

(٣) الذئب.

(٤) جائعاً.

لقد كنتُ أخشى أن يُفَرِّقَ بيننا
فأصبحتُ أخشى اليومَ ألا تلاقيا
فيا مَنْ لِقَلْبٍ لا تنامُ همومُهُ
ويا مَنْ لَعَيْنٍ ما تنامُ الليالي
رأيتُ الليالي ما تزالُ تروعنني
بأحداثها، ما ليلي وما ليا!
ولم يبقَ عند الدهر خطبٌ أخافُهُ
فكيف اعتذارُ الدهرِ إن رحتُ شاكيا؟
إذا لم تكنْ لي أسياً أو مؤاسياً
فلا تكُ لَواماً، وذرتني وما بيا
فإنني رأيتُ اللومَ يُذكي صَبَابتي
كذاك عَهدتُ الزَّندَ بالقَدَحِ واريًا^(١)
ألا حبذا من سالفِ العيش ما مضى
ويا حبذا لو كان يرجعُ ثانيا
زمانُ كقلبِ الطفلِ صافٍ وكالمنى
لذيذٌ ولكن كان كالحلم فانيا
أحنُ إليه في العَشيِّ وفي الضُّحَى
حنينٌ غريبٌ جاءه الشوقُ داعيا
وأنكره ذكرى العجوزِ شبَابها
وأبكي لدى ذكره أحمرَ قانيا
ولولا أمورُ في الفؤاد أُسرُّها
جعلتُ عليه الدهرَ وقفاً لسانيا
خليلي أعوامُ السُرورِ دقائقُ

(١) الزَّند: العود الذي يُقدَح به. والواري: المشتعل.

وأيامُهُ كادت تكونُ ثوانِيا
وأجملُ أوقاتِ الفتى زمنُ الصِّبا
وخيرُ الصِّبا ما كان في الحبِّ ناميا
رعى الله أيامي التي قد أضعتُها
فكنتُ كأني قد أضعتُ فؤاديا
ليالي لا «هند» تُصدقُ وأشيا
ولا هي تخشى أن أصدقُ وأشيا
ويا طالما بُتُّنا ولا ثالثُ لنا
سوى الراحِ نُدنيها فتُدنى الأمانيا
ودارَ حديثِ الحبِّ بيني وبينها
فطُورا مناجاةً وطُورا تشاكيا
ألم ترَ أني قد نظمتُ حديثُها
لألى غناها الرواةُ قوافيا
تولَّى زمانُ اللهوِ كالطيفِ في الكرى
فلستَ تراني بعده الدهرَ لاهيا
سئمتُ لذاذاتِ الحياةِ جميعَها
ولو رضيتُ هندُ سئمتُ شبابيا
سلامٌ على «هندٍ» وإن فات مسمعي
سلامٌ التي أهدى إليها سلاميا
ترى عندها أني على العهد ثابتُ
وإن يكُ هذا البينُ أوهى عظاميا
فوالله ما أخشى الحِمَامَ على النوى
ولكنني أخشى خلودي نائيا

٣١. الحُسْنُ لَا يُشْرَى وَلَا يُسْتَجَلَبُ

[الكامل]

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا: أَهَذَا كَوْكَبٌ؟
قَالَتْ: أَجَلٌ وَأَيْنَ مِنِّي الْكَوْكَبُ؟
وَتَبَسَّمتُ فَرَأَيْتُ رِئْماً^(١) ضاحِكاً
عَنْ لَوْلَى، لَكِنَّهُ لَا يُوَهَّبُ
وَتَمَايَلْتُ فَالَسَّمْهَرِي^(٢) مَصْمَمٌ
وَرَنْتُ فَأَبْصَرْتُ السَّهَامَ تُصَوِّبُ
أَنْشَبْتُ الْحَاطِي بِوَرْدٍ خُدُودِهَا
لَمَّا رَأَيْتُ لِحَاطَهَا بِي تُنْشَبُ
قَدْ كَلَّمْتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرْفُقْ بِهِ
وَاللَّحْظُ، لَوَدِدْتَ الْمَلِيحَةَ، مِخْلَبُ
بَيْضَاءُ نَاصِعَةٌ كَأَنَّ جَبِينَهَا
صُبْحٌ، وَطُرَّتْهَا عَلَيْهِ غَيْهَبُ
يَا طَالَمَا اكْتَسَبَ الْحَرِيرُ مَلَاحَةً
مِنْهَا، وَيُكْسِبُ غَيْرَهَا مَا يُكْسِبُ
وَلَطَالَمَا بَعْضُ النِّسَاءِ حَسَدَنَهَا
وَلَطَالَمَا حَسَدَ السَّلِيمُ الْأَجْرَبُ
بَيْنَ الطَّلَاءِ وَبَيْنَهُنَّ قَرَابَةٌ
مَشْهُورَةٌ، عَنْهَا الْجَمِيلَةُ تَنْكِبُ^(٣)

(١) الظبي الخالص البياض.

(٢) الرمح.

(٣) تعدل عنها.

إن الملاحَةَ عندها عِربيَّةٌ
وجمالُ هاتيكِ الدُّمى مُستَعِربُ
قُلْ للغواني: إنها خُلِقَتْ كذا
الحُسْنُ لا يُشْرَى ولا يُسْتَجَلَبُ
فإذا بلغتنَّ الجمالَ تَطَرَّيَا^(١)
فاعلمنَّ أن بقاءَهُ مُستَصْعَبُ
هيهاتَ، ما يُغْنِي الملاحَ الحسنُ إن
كانتِ خلائقُهُنَّ لا تُسْتَعَذَّبُ
إني بَلَوْتُ الغانياتِ فلم أَجدُ
فيهنَّ قَطُّ مَليحَةً لا تَكْذِبُ
وصَحِبْتُهُنَّ فما اسْتَفَدْتُ سِوَى الأَسَى
ما يُسْتَفادُ مِنَ الغواني يُتَعَبُ
وخبِرْتُهُنَّ فما لَبِكرِ حُرْمَةٍ
تُرعى، وأَعْدَرُ مَنْ رَأَيْتُ التَّيِّبُ
لا يَخْدَعُنَّكَ ضَعْفُهُنَّ فَإِنما
بالضَّعْفِ أَهْلَكَ الهَزِيرُ^(٢) الأَرْنَبُ!

(١) صناعة التجميل.

(٢) الأسد.

٣٢ - أنا إمام الذين هاموا

[مخلع البسيط]

لُمني إذا حُلْتُ عن عُهودي
ولا تَلُمْنِي على هُيَامِي
ما كنتُ أخشى من المنايا
فكيف أخشى من المَلام؟
قد نزلَ الحبُّ في فؤادي
ضَيْفًا وَلَكِنْ على الدوام
فباتَ قلبي له طعاماً
وبتُ أنأى عن الطعام
أعدى غرامي النجومَ حتى
أسهرها من الدُّجى غرامي
لو تعرفُ الشمسُ ما الهوى لم
تبينَ لَطَرْفٍ من السَّقام
أصابَ سهمُ الفراقِ قلبي
وأخطأتُ قلبه سِهَامِي
وكان خوفي من التنائي
خوفَ كفيفٍ من التُّرام^(١)
إنَّ فراقَ الحبيبِ عندي
أشدُّ وقعاً من الحِمَام
لويبعدُ البعدُ عن حبيبٍ
ما عنَّ يوماً لِمُسْتَهَام

(١) كانت الإسكندرية حديثة العهد بوجود الترام، ومن هنا كان خوف الأعمى شديداً لقرب عهده به.

أَنَا إِمَامُ الَّذِينَ هَامُوا
وَأَيُّ قَوْمٍ بِلَا إِمَامٍ؟
فَلَيْسَ قَبْلِي وَلَيْسَ بَعْدِي
وَلَا وَرَائِي وَلَا أَمَامِي

٣٣. الرزء الأليم

[البسيط]

في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي
عَدِمْتُ قَلْبِي إِذْ لَمْ يَْعَدَمْ الْجَلْدُ
وَنَالَ نَفْسِي الرَّدَى إِنْ لَمْ تَذُبْ كَمَدًا
أَهَاءُ وَلَوْ نَفَعْتُ «أَهَاءُ» أَخَا شَجْنٍ
لَمْ يَبْتَغِ غَيْرَهَا، عِنْدَ الْأَسَى، عَضْدًا
أَهَاءُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ خَطْبُ الْمَّ بَنَا
مَا سَطَّرَتْهَا يَدِي فِي كَاغِدٍ ^(١) أَبْدَا
الْمَرْءُ مَجْتَهِدٌ وَالْمَوْتُ مَجْتَهِدٌ
أَنْ لَيْسَ يَتْرُكُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُجْتَهِدًا
سَاوَى الرَضِيعِ بِهِ مَنْ شَابَ مَفْرَقَهُ
وَالْعَبْدُ سَيِّدَهُ وَالثَّعْلَبُ الْأَسَدَا
قَدْ غَادَرَ الْفَضْلَ بِالْأَحْزَانِ مَنْفَرْدًا
مَنْ كَانَ بِالْفَضْلِ دُونَ النَّاسِ مَنْفَرْدًا
مَاتَ الْبَيَانُ بِمَوْتِ «الْيَاذَجِيِّ» فَمَنْ
لَمْ يَبْكِ هَذَا بَكَى ذَاكَ الَّذِي فُقِدَا
وَاللَّهِ مَا وَلَدَتْ «حَوَاءُ» أَطْهَرَ مَنْ
هَذَا الْفَقِيرُ فَوَادًا، لَا وَلَنَ تَلِيدَا!
ابن «الضياء» ^(٢) الَّذِي زَانَ الْبِلَادَ كَمَا
يُزِينُ الْبَدْرُ فِي جُنْحِ الدُّجَى الْجَلِيدَا ^(٣)

(١) الورق.

(٢) اسم المجلة التي كان اليازجي يصدرها.

(٣) جلد السماء أديمها في سفر التكوين !

أَيْنَ الْيَرَاعُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُطْرِبُنَا
صَرِيرُهُ فِي أَدِيمِ الطُّرْسِ مُنْتَقِدًا
وَأَيْنَ أَيْنَ سَجَايَاهُ الَّتِي حُسِدَتْ
مِنْ أَجْلِهِ، وَكَذَا مِنْ أَجْلِهَا حُسِدَا
حَقٌّ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَبْكِيَ عَلَيْهِ كَمَا
يَبْكِي الشَّقِيقُ أَخًا وَالْوَالِدُ الْوَلَدَا
أَقْسَمْتُ مَا اهْتَزَّ فَوْقَ الطُّرْسِ لِي قَلَمٌ
إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْ مَدْمَعِي مَدَدًا
وَلَا اتَّخَذْتُ أَخًا فِي الدَّهْرِ يُوْنِسُنِي
بَعْدَ الْخَلِيلِ سِوَى الْحَزَنِ الَّذِي وَجِدَا

٣٤ - الخطبُ الفادح

[الكامل]

رثى بها المغفور له الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية^(١)
هيهاتَ بَعْدَكَ مَا يُفِيدُ تَصَبُّرُ
ولئن أفادَ فأيُّ قلبٍ يَصْبِرُ؟
إنَّ البكاءَ من الرجالِ مُدَمَّمٌ
إلا عليكَ فَتَرْكُهُ لَا يُشْكِرُ
لو كان لي قلبٌ لقلتُ له ارْعَوِ
إنِّي بلا قلبٍ فأنَّى أَرْجِرُ؟
لأزمتُ قَبْرَكَ والبكاءَ مُلَازِمِي
والليلُ داجٍ والكواكبُ سُهْرُ
أبكي عليكِ بأدمعٍ هَطَّالَةٍ
ولقد يقلُّ لك النَّجِيعُ^(٢) الأَحْمَرُ
ووددتُ من شَجْوِي عليكِ وَحْسُرَتِي
لو أَنَّ لَحْدَكَ فِي فَوَادِي يَحْفَرُ
إنِّي لأعجبُ كيفَ يعلوكِ الثَّرَى
أنَّى ثوى تحتَ الرِّغَامِ^(٣) النَّيِّرُ
أَمْسَيْتَ مُسْتَتِراً بِهِ لَكِنَّمَا
أَثَارُ جُودِكَ فَوْقَهُ لَا تُسْتَرُ
مَرَضَ النَّدَى لما مَرِضْتَ وَكَادَ أَنْ
يَقْضِيَ مِنَ الْيَأْسِ الْمُلَمَّ الْمُعْسَرُ

(١) توفي في الإسكندرية سنة ١٩٠٥ .

(٢) الدم .

(٣) التراب .

يَرْجُوكَ أَنْتَ جَابِرُ كَسْرِهِ
 فَإِذَا فُقِدَتْ فَكَسْرُهُ لَا يُجْبَرُ
 وَعَلَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهُ سَحَابَةٌ
 كَدْرَاءُ لَا تَصْفُو وَلَا تُسْتَمَطَّرُ
 كَمْ حَاوَلُوا كَتَمَ الْأَسَى! لَكِنَّهُ
 قَدْ كَانَ يَخْتَرِقُ الْجِسْمَ فَيَظْهَرُ
 حَامَتُ حَوَالِيكَ الْجَمُوعُ كَأَنَّمَا
 تَبْغِي وَقَاءَ الشَّرِّقِ مِمَّا يَحْذَرُ
 الْكُلُّ يَسْأَلُ: كَيْفَ حَالُ إِمَامِنَا؟
 مَاذَا رَأَى حُكَمَاؤُنَا؟ مَا أَخْبَرُوا؟
 وَالِدَاءُ يَقْوَى ثَمَّ يَضْعُفُ تَارَةً
 فَكَأَنَّهُ يَبْلُو الْقُلُوبَ وَيَسْبُرُ^(١)
 أَوْرَدَتْهُ عَذْبَاءً فَأَوْرَدَكَ الرَّدَى
 تَبَّتْ يَدَاهُ فَذَنْبُهُ لَا يُغْفَرُ
 هِيَاهُ مَا يَثْنِي الْمَنِيَّةَ جَحْفَلُ
 عَمَّنْ تَوْمٌ^(٢) وَلَا يُفِيدُ الْعَسْكَرَ
 رَصَدَ الرَّدَى أَرْوَاحَنَا حَتَّى لَقَدْ
 كِدْنَا نُعْزِي الْمَرْءَ قَبْلَ يُصَوِّرُ
 نَهْوَى الْحَيَاةَ كَأَنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ
 وَسَوَى الْفَوَاجِعِ حُبُّهَا لَا يُثْمَرُ
 وَنَظَنُّ ضِحْكَ الدَّهْرِ فَاتِحَةَ الرِّضَا
 وَالدَّهْرُ يَهْزَأُ بِالْأَنَامِ وَيَسْخَرُ
 أَفْقِيدَ أَرْضَ النِّيلِ! أَقْسَمُ لَوْدَرَى
 بِالْخَطْبِ أَوْشَكَ مَاؤُهُ يَتَسَعَّرُ

(١) يَجْسُ.

(٢) تَقْصِدُ.

وَضَعُوكَ فِي بَطْنِ التُّرَابِ وَمَا عَهْدُ
تُ الْبَحْرِ قَبْلَكَ فِي الصَّفَائِحِ يُذْخِرُ
وَرَأَوْا جَلَالَكَ فِي الضَّرِيحِ فَكُلُّهُمْ
يَهْوَى وَيَرْجُو لَوْ كَانَكَ يُقْبِرُ!
لَمْ تَخْلُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْكَ حُشَاشَةٌ
أَبْدًا فَيَخْلُو مِنْ دَمِوعٍ مِحْجَرُ
أَبُورَا^(١) وَمَا أَبَ الْعَزَاءُ إِلَيْهِمْ
وَالْحُزْنَ يُنْظِمُ وَالْمَدَامُ تُنْثَرُ
وَالْكُلُّ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُ بِلَادِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا مَاتَ الْإِمَامُ، يُفَكَّرُ
لَمْ يَبْلُنَا هَذَا الزَّمَانَ بِفَقْدِهِ
لَوْ كَانَ مِمَّنْ بِالرَّزِيَةِ يَشْعُرُ!

(١) رجعوا.

٣٥ - فقيد الوطنية

[الطويل]

(رثى بها فقيد المنابر، الطيب الذكر، المغفور له مصطفى كامل)
بكيتُ ولكن بالدموعِ السَّخِينَةِ
وما نَفِدَتْ حتَّى بَكَيْتُ بِمُهْجَتِي
على الكاملِ الأخلاقِ والنَّدْبِ^(١) مصطفى
فقد كان زَيْنَ العقلِ زَيْنَ الفُتُوَّةِ
نَعَاهُ لَنَا النَاعِي فَكَادَتْ بَنَا الدُّنَا
تَمِيدَ لَهَوْلِ الخُطْبِ، خُطْبِ المَرْوَةِ
وَذَابَتْ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَلَهُّفًا
وَسَالَتْ دُمُوعُ الحَزَنِ مِنْ كُلِّ مُقْلَةٍ
أَجَلَ قَدْ قَضَى فِي مِصْرَ أَعْظَمُ كَاتِبٍ
فَخَلَّفَ فِي الْأَكْبَادِ أَعْظَمَ حَسْرَةٍ
فَتَى، وَأَبِي، لَوْ أَنَّ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ
لَهَانَ عَلَيْنَا وَقَعُ هَذَا الرِّزْيَةِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنَّفُوسِ مِنَ الرَّدَى
جَعَلْنَا فِدَاهُ كُلَّ نَفْسٍ أُبْيَّةٍ
فَتَى مَاتَ غَضُّ الْعُمَرِ لَمْ يَعْرِفِ الْخَنَا
وَلَمْ يَنْطُوفِ فِي نَفْسِهِ حُبُّ رِيْبَةٍ
وَقَدْ كَانَ مَقْدَامًا جَرِيئًا، وَلَمْ يَكُنْ
لِيَبْغِي الرَّدَى غَيْرُ النَّفُوسِ الْجَرِيئَةِ

(١) الذي ينتدب في الشدائد.

وكان جواداً لا يَضِنُّ بِحَاجَةٍ
 لذلك أَعْطَى رُوحَهُ لِلْمَنِيِّ
 سلامٌ على مِصرَ الأَسِيفَةِ بَعْدَهُ
 فَقَدْ أودَعْتُ أَمَالَهَا جُوفَ حُفْرَةٍ
 خَطِيبَ بِلَادِ النِّيلِ! مَالِكٌ سَاكِتاً
 وَقَدْ كُنْتَ تُلْقِي خُطْبَةً إِثْرَ خُطْبَةٍ؟
 تَطَاوَلَتِ الْأَعْنَاقُ حَتَّى اشْرَأَبَتْ
 فَهَلْ أَنْتَ مُسْدِيهَا وَلَوْ بَعْضَ لَفْظَةٍ؟
 نَعَمْ كُنْتَ، لَوْلَا الْمَوْتُ، فَارِجَ كَرْبِهَا
 فَيَا لَلرَدَى مِنْ غَاشِمٍ مَتَعَنْتُ!
 تَفَطَّرَتِ الْأَكْبَادُ حَزْناً كَأَنَّمَا
 مِمَّا تُكُ سَهْمٌ حَلَّ فِي كُلِّ مُهْجَةٍ
 وَمَا حَزَنْتُ أُمَّ بِفَقْدِ وَحِيدِهَا
 بِأَعْظَمَ مِنْ حَزَنِي عَلَيْكَ وَلَوْ عَتِي
 تَنَادَيْكَ مِصْرُ الْآنَ: يَا خَيْرَ رَاحِلٍ
 وَيَا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى لِدَفْعِ الْمُلَمَّةِ
 عَهْدُكَ تَأْبَى دَعْوَةً غَيْرَ دَعْوَتِي
 فَمَا لَكَ تَأْبَى (مِصْطَفَى) كُلِّ دَعْوَةٍ؟
 فَقَدْتُكَ رِيَّاناً فَيَا طَوِيلَ لَهْفَتِي
 لَقَدْ كُنْتَ سِيفِي فِي الْخُطُوبِ وَجَنْتِي^(١)
 أَجَلٌ طَالَمَا دَافَعْتَ عَنْ مِصْرٍ مِثْلَمَا
 يَدَافِعُ عَنْ مَأْوَاهُ نَحْلُ الْخَلِيَّةِ
 فَأَيَقُظَّتْهَا مِنْ رَقْدَةٍ بَعْدَ رَقْدَةٍ
 وَأَنْهَضَتْهَا مِنْ كَبُوءٍ تَلُو كَبُوءَ

(١) وقائتي.

وَقَوَّيْتَ فِي أَبْنَائِهَا الْحَبَّ نَحْوَهَا
وَكُنْتَ لَهَا فِي ذَاكَ أَفْضَلَ قُدْوَةً
رَفَعْتَ «لِوَاءَ»^(١) الْحَقِّ فَوْقَ رِبْوَعِهَا
فَضَمَّ إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَطَنِيَّةٍ
لِئَن تَكُ أَتْرَعَتَ الْقُلُوبِ مُحِبَّةً
فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْحَبَّةِ
فَنَمَّ آمِنًا وَفُيْتَ قَوْمَكَ قِسْطَهُمْ
فِيَا طَالَمَا نَامُوا وَأَنْتَ بِإِقْظَةِ!
سَيُبْقِي لَكَ التَّارِيخُ ذِكْرًا مُخَلِّدًا
فَقَدْ كُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ
عَلَيْكَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ
وَمِنْ أَرْضِ مِصْرٍ أَلْفُ أَلْفِ تَحِيَّةٍ

(١) اسم الجريدة التي كان الحزب الوطني، بزعامته، يصدرها آنذاك.

٣٦. كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ

[الطويل]

بعث بها إلى صديقه السيد أفندي فهمي يعزيه وقد فُجع بموت والدته وكريمته
وشقيقه، في أسبوع واحد.

فدينك لو أنَّ الردى قبلَ الفدا
بكلِّ نفيسٍ بالنفائسِ يُفتدى
أبى الموتُ إلا أن ينالك سهمه
وَألا يرى شملَ السَّخاءِ مُبددا
فأقدم لا يبغى سواك، وكلَّما
درى أنه يبغى عظيماً تشددا
دهاك الردى لكن على حين فجأة
فتبت يداه غادر صرع الندى
دهاك ولم يُشفق على الصبية الألى
تركتهم يَبكونَ مَنُنَى ومَوْحدا
فُقدتِ وأوجدتِ الأسى في قلوبنا
أسى كاد لولا الدمعُ أن يتوقدا
بكيناك حتى كاد يبكي لنا الصفا^(١)
وحتى بكتُ مما بكينا له العدا
وما كاد يرقا^(٢) الدمعُ حتى جرى به
غدُّ عَندمَا^(٣) يا ليتنا لم نر^(٤) غدا

(١) صفائح الحجر.

(٢) يجف.

(٣) نبات أحمر.

(٤) تُشبع حركة الرأ للضرورة.

قَضَتْ طِفْلَةً تَحْكِي الْمَلَكَ طَهَارَةً
 وَأَلْحَقَهَا الْمَوْتَ الزَّوَامُ بِمَنْ عَدَا
 لَقَدْ ظَلَعَنْتُ تَبْغِي لِقَاكَ كَأَنَّمَا
 ضَرَبْتُ لَهَا قَبْلَ التَّفَرُّقِ مَوْعِدًا!
 كَأَنَّ لَهَا نَذْرًا أَرَادَتْ قَضَاءَهُ
 كَأَنَّكَ أَنْتِ الصَّوْتُ جَاوِبُهُ الصَّدَى
 مَشَتْ فِي طَرِيقٍ قَدْ مَشَى فِيهِ بَعْدَهَا
 فَتَاكَ الَّذِي أَعَدَدْتَ مِنْهُ الْمَهْنَدَا
 فَتَى طَابَ أَخْلَاقًا وَطَابَ مُحَامِدًا
 وَطَابَ فُؤَادًا مِثْلَمَا طَابَ مَحْتِدَا
 فَتَى كَانَ مِثْلَ الْغَصَنِ فِي عَنَفْوَانِهِ
 فَلِلَّهِ ذَاكَ الْغَصْنَ كَيْفَ تَأْوُدَا
 تَعَوَّدُ أَنْ يَلْقَاكَ فِي كُلِّ بُكْرَةٍ
 فَكَانَ قَبِيحًا تَرَكُ مَا قَدْ تَعَوَّدَا
 فُجِعْنَا بِهِ كَالْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ
 وَلَمْ نَرِ بَدْرًا قَبْلَهُ الْأَرْضَ وَسُدَا
 فَلَمْ يَبْقَ طَرْفٌ لَمْ يَسِلْ دَمْعُهُ دَمَاءً
 وَلَمْ يَبْقَ قَلْبٌ فِي الْمَلَا، مَا تَصْعَدَا
 كَوَارِثُ لَوْ نَابَتْ جِبَالًا شَوَاهِقًا
 لَخَرَّتْ لَهَا تِلْكَ الشَّوَاهِقُ سُجْدَا
 وَلَوْ أَنَّهَا فِي جِلْمَدٍ صَارَ سَائِلًا
 وَلَوْ أَنَّهَا فِي سَائِلٍ صَارَ جِلْمَدَا
 (أَفْهَمِي)! وَإِنْ الصَّبْرَ أَلِيقُ بِالْفَتَى
 وَلَا سَيِّمَا مَنْ كَانَ مِثْلَكَ (سَيِّدَا)
 فَكُنْ قُدْوَةً لِلصَّابِرِينَ، فَإِنَّمَا
 بِمِثْلِكَ فِي دَفْعِ الْمُلَمَّاتِ يُقْتَدَى

لَعَمْرُكَ مَا الْأَحْزَانُ تَنْفَعُ رَبِّهَا
فَيَجْمَلُ بِالْحَزُونِ أَنْ يَتَجَلَّدَا
فَمَا وَجِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُفْقَدَا
وَمَا فُقِدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيُوجَدَا
وَمَا أَحَدٌ تَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ نَفْسُهُ
وَلَوْ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاكِينِ أَصْعَدَا
فَلَا يَحْزَنُ الْبَاكِي وَلَا تَشْمَتِ الْعِدَا
فَكُلْ أَمْرِي يَا صَاحِبَ غَايَتِهِ الرَّدَى

٣٧ - البدر الآفل

[الوافر]

بكى فيها شقيقه المغفور له طانيوس ظاهر أبي ماضي وقد مات شاباً^(١).
أَبْعَدَكَ يَعْرِفُ الصَّبْرَ الْحَزِينُ
وقد طاحت بمهجته المَنُونُ!
رَمَتْكَ يَدُ الزَّمَانِ بِشَرِّ سَهْمٍ
فَلَمَّا أَنْ قَضَيْتَ بَكى الْخُؤُونُ
رَمَاكَ وَأَنْتَ حَبَّةُ كُلِّ قَلْبٍ
شَرِيفٍ، فَالْقُلُوبُ لَهُ رَنِينُ
وَلَمْ يَكْ لِلزَّمَانِ عَلَيْكَ ثَارُ
وَلَمْ يَكْ فِي خِلَالِكَ مَا يَشِينُ
وَلَكِنْ كُنْتَ ذَا خُلُقٍ رَضِيٍّ
عَلَى خَلْقٍ لَغِيرِكَ لَا يَكُونُ



وَكُنْتَ تُحِيطُ عِلْمًا بِالْخَفَايَا
وَتَمْنَعُ أَنْ تُحِيطَ بِكَ الظُّنُونُ
كَأَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ الدَّهْرَ بَحْثًا
فَعِنْدَكَ سِرُّهُ الْخَافِي مُبِينُ
حَكَيْتَ الْبَدْرَ فِي عُمُرٍ وَلَكِنْ
ذَكَأُوكَ لَا تَكُونُهُ قُرُونُ
عَجِيبٌ أَنْ تَعِيشَ بِنَا الْأَمَانِي
وَأَنْتَا لِلْأَمَانِي نَسْتَكِينُ

(١) مات في الإسكندرية (عن عشرين عاماً) سنة ١٩٠٩، وكان أول إخوته الثلاثة الذين فقدهم إيليا، واحداً إثر واحد.

وما أرواحُنَا إِلَّا أُسَارَى
وما أجسادُنَا إِلَّا سَجُون
وما في الكون مثلُ الكونِ فانٍ
كما تَفَنَّى الديارُ، كذا القَطِين
لَقَدْ عَلِقْتِكَ أَسْبَابُ المَنَايَا
وفِيَّاءٌ لَا يُخَانُ وَلَا يَخُون
أَيَدري النَعشُ أَيُّ فَتًى يُواري
وهذا القَبْرُ أَيُّ فَتًى يَصُون
فَتًى جُمِعَتْ ضُرُوبُ الحُسْنِ فِيهِ
وكانت فيه لِلحُسْنَى فنون
فبعضُ صَفَاتِهِ لَيْثٌ وَبَدْرٌ
وبعضُ خِلَالِهِ شَمَمٌ وَلِين
أَماراتُ الشَّبَابِ عَلَيْهِ تَبْدُو
وفي أثوابِهِ كَهَلْ رَزِين
أَلَا لَا يَشْهَدُ الأَعْدَاءُ مَنَّا
فكُلُّ فَتًى بِمَصْرَعِهِ رَهِين



أَيَا نَوْرَ العُيُونِ بَعُدْتَ عَنَّا
وَلَمَّا تَمَتَّلَى مِنْكَ العُيُونُ
وَعَاجَلَكَ الحِمَامُ فَلَمْ تُودِّعْ
وَبِنْتَ فَلَمْ يُوَدِّعْكَ القَرِينُ
وَمَا عِفَّتَ الودَاعُ قِلَى وَلَكِنْ
أَرَدْتَ وَلَمْ يُرِدْ دَهْرُ ضَنِينِ
فِيَا لَهْفِي لِأَمِّكَ حِينَ يَدْوِي
نَعِيكَ بَعْدَ مَا طَالَ السُّكُونُ

وَلَهْفَ شَقِيقَكَ النَّائِي بَعِيداً^(١)
 إِذَا مَا جَاءَهُ الْخَبَرُ الْيَقِينُ
 سَتَبْكِيكَ الْكَوَاكِبُ فِي الدِّيَاجِي
 كَمَا تَبْكِيكَ فِي الرُّوضِ الْغُصُونُ
 وَيَبْكِي إِخْوَةً قَدْ غَبَّتْ عَنْهُمْ
 وَأُمُّ ثَنَّاكُلٍ وَأَبُ حَزْنِ
 فَمَا تَنْدِي لَنَا أَبَدًا ضُلُوعُ
 عَلَيْكَ، وَمَا تَجِفُّ لَنَا شُؤُونُ^(٢)
 قَدْ اِزْدَانَتْ بِكَ الْفَتَيَانُ طِفْلاً
 كَمَا يَزْدَانُ بِالتَّاجِ الْجَبِينُ
 ذَهَبَتْ بِزِينَةِ الدُّنْيَا جَمِيعاً
 فَمَا فِي الدَّهْرِ بَعْدَكَ مَا يَزِينُ
 وَكُنْتَ لَنَا الرَّجَاءَ فَلَا رَجَاءَ
 وَكُنْتَ لَنَا الْمُعِينَ فَلَا مُعِينَ
 أَبْعَدَكَ، يَا أَخِي، أَبْغِي عِزّاً
 إِذَا شُلَّتْ يَسَارِي وَالْيَمِينُ؟
 يَهُونُ الرُّزُّ إِلَّا عِنْدَ مِثْلِي
 بِمِثْلِكَ، فَهُوَ رُزٌّ لَا يَهُونُ
 عَلَيْكَ تُقَطِّعُ الْحَسَرَاتُ نَفْسِي
 وَفِيكَ أَطَاعَنِي الدَّمْعُ الْحَرُونَ
 فَمَلَأَ جَوَانِحِي حُزْنٌ مُذِيبٌ
 وَمَلَأَ مَحَاجِرِي دَمْعٌ سَخِينُ
 وَمَا أَبْقَى الْمَصَابُ عَلَى فُؤَادِي
 فَلَا زَعَمُ أَنَّهُ دَامَ طَوِيلُ

(١) يقصد أخاه الأكبر مراد في أمريكة، وقد سبقهم جميعاً إليها.

(٢) العروق التي تدر الدمع في العين.

يذودُ الدمعُ عن عيني كَراهاً
وتأبى أن تقارِفَه الجُفون
لقد طالَ السُّهادُ وطالَ ليلى
فلا أدري الرُّقادُ متى يكون
كأنَّ الصُّبحَ قد لبسَ الدِّياجي
عليك أَسَى لَذلك ما يَبين
جزاكَ اللهُ عَنَّا كلَّ خَيْرٍ
وجادَ ضريحَكَ الغيثُ الهَتُون

٣٨ - أنا والنجم

[السريع]

مِثْلِي هَذَا النَجْمُ فِي سَهْدِهِ
وَمِثْلُهُ الْمَحْبُوبُ فِي بُعْدِهِ
يَخْتَالُ فِي عُرْضِ السَّمَاءِ تَائِهًا
كَأَنَّمَا يَخْتَالُ فِي بُرْدِهِ
إِنْ شِئْتَ فَهُوَ الْمَلِكُ فِي عَرْشِهِ
أَوْ شِئْتَ فَهُوَ الطِّفْلُ فِي مَهْدِهِ
يَرْمُقُنِي شَذْرًا كَأَنِّي بِهِ
يَحْسَبُنِي أَطْمَعُ فِي مَجْدِهِ
يَسْعَى وَلَا يَسْعَى إِلَى غَايَةٍ
كَمَنْ يَرَى الْغَايَةَ فِي جِدِّهِ
كَأَنَّمَا يَبْحَثُ عَنْ ضَائِعٍ
لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ مِنْ بَعْدِهِ
طَالَ سُرَاهُ وَهُوَ فِي حَيْرَةٍ
كَأَنَّهُ الْمَحْزُونُ فِي وَجْدِهِ
فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَالِكٍ فَاحِمٍ
كَأَنِّ حَظِّي قَدْ مِنْ جِلْدِهِ
لَا يَحْسِدُ الْأَعْمَى بِهِ مُبْصِرًا
كَأَنَّهُمَا قَدْ ضَلَّ عَنْ قَصْدِهِ
سَاوَرَنِي الْهَمُّ وَسَاوَرْتُهُ
مَا أَعْجَزَ الْإِنْسَانَ عَنْ رَدِّهِ!

مَا أَعْجَبَ الدَّهْرَ وَأَطْوَارَهُ
 فِي عَيْنٍ مَنْ يُمَعِنُ فِي نَفْقِهِ!
 جَرَبَتْهُ دَهْرًا فَمَا رَاقَنِي
 مِنْ هَزْلِهِ شَيْءٌ وَلَا جِدِّهِ
 أَكْبَرَ مِنِّي أَنْنِي زَاهِدٌ
 مَا زَهَدَ الزَّاهِدُ فِي زُهْدِهِ
 أَكْبَرَ مِنِّي ذَا وَأَكْبَرْتُ أَنْ
 يَطْمَعَ، أَنْ أَطْمَعَ فِي رِفْدِهِ
 وَعَدَّنِي أَعْجُوبَةً فِي الْوَرَى
 مُذْ رَحْتُ لَا أَعْجَبُ مِنْ حِقْدِهِ
 يَا رَبِّ خِلْ كَانِ دُونِي نُهْيٌ
 عَجِبْتُ مِنْ نَحْسِي وَمِنْ سَعْدِهِ
 وَعَائِشٍ يَخْطُرُ فَوْقَ الثُّرَى
 أَفْضَلُ مِنْهُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ
 أَصْبَحَ يَجْنِي الْوَرْدَ مِنْ شَوْكِهِ
 وَبِتُّ أَجْنِي الشَّوْكَ مِنْ وَرْدِهِ
 أَكْذَبُ إِنْ صَدَّقْتَهُ بَعْدَمَا
 عَرَفْتُ مِنْهُ الْكِذْبَ فِي وَعْدِهِ
 لَا أَشْتَكِي الضُّرَّ إِذَا مَسَّنِي
 مِنْهُ، وَلَا أَطْرِبُ مِنْ رَغْدِهِ
 أَعْلَمُ أَنَّ الْبُؤْسَ مُسْتَنْفَدٌ
 وَالرَّغْدَ، مَا لَا بَدَّ مِنْ فَقْدِهِ
 إِذَا الْإِلْيَالِي قَرَبْتُ نَازِحًا
 وَكُنْتُ مُشْتَاقًا إِلَى شَهْدِهِ

أَمَلِكْ عَنْهُ النَّفْسَ فِي قُرْبِهِ
خَوْفًا مِنَ الْوَحْشَةِ فِي صَدِّهِ
وَأَنْ أَرَى الْحُزْنَ عَلَى فِائَتِ
أَضْرَبِي الْحُزْنَ وَلَمْ يُجِدْهُ

٣٩ - في سبيل الإصلاح

[الكامل]

حَيَّا الصَّبَا عني رُبَا لِبْنَانٍ
حيثُ الهوى ومراتعُ الغِزْلَانِ
ورعى المهيمَنُ ساكنيه فإنهم
في خَيْرِ أَرْضٍ، خَيْرَةُ السَّكَّانِ
قومٌ صَفَتْ أخلاقُهُم ووجوهُهُم
فالحُسْنُ مجموعٌ إلى الإحْسَانِ
لهم الأيادي البيضُ والشَّيْمُ التي
لومُئِّلَتْ كانت عُقُودَ جُمان^(١)
شيمُ الكرامِ قصائدُ في الكونِ غُرُ
رُ، وهي في شيمِ الكرامِ مَعَانِ
قومٌ إذا زار الغريبُ بلادَهُم
جعلوه منهم في أَجَلٍ مَكَانِ
إن خِفْتَ شرَّ طوارقِ الحِثْثَانِ فَاقْدُ
صِدْهُمُ تَخَفْكَ طوارقُ الحِثْثَانِ
لو أن في كِيوان^(٢) دارُ إقامتي
لهجرتُ كِيواناً إلى لِبْنَانِ
قيَّدْتُ قلبي في هواه فلم أعدُ
أهوى السَّوَى إذ ليس لي قلبانِ
والحبُّ يَجْمَلُ في الشَّبِيبَةِ والصَّبَا

(١) الجمان: اللؤلؤ.

(٢) المريخ.

كجمالِ زهرِ الروضِ في نَيْسانِ
 هو جَنَّةُ الخُلْدِ التي مُني بها
 رُسُلُ الهدى قَدَمًا بني الإنسانِ
 خَلَّتِ الدهورُ ولا يزال كائنما
 بالأمسِ شادتهُ يدُ الرحمنِ
 يا ساكنيه تحيةً من نازحِ
 إِنَّ التحيةَ لَهِيَ جُهدُ العاني^(١)
 أصبحتم فوق الممالك رفعةً
 لولا وجودُ معاشِرِ (الغربان)^(٢)
 قومٌ قد اتَّخذوا الديانةَ بينكم
 شركاً لصيدِ الأصفرِ الرُّنَّانِ
 فتظاهروا بالزهدِ حتى أوشكتُ
 تخفى دخائلُهم على اليقظانِ
 وتفنَّنوا بالكرِّ حتى أصبحوا
 وغبيُّهم أدهى من الشيطانِ
 ضربوا على الشعبِ الرسومَ شراهةً
 حَسَبُ التعيسِ ضرائبُ السلطانِ
 كفروا بنعمتهِ التي أسداهم
 ورمَوْه بالإلحادِ والكُفْرانِ
 ولقد تفانوا في انتهاكِ حقوقه
 وهو المُحبُّ رضاهم، المُتَفَانِي
 حتى حَسِبْنَا أَنه يَنْحَطُّ عن
 كَسَلٍ، ولم يكُ قُطُّ بالكَسَلانِ
 لكنه يسعى ويذهبُ سعيه

(١) المتعب.

(٢) يقصد رجال الدين.

لِلْقَسِّ وَالشَّمَّاسِ وَالْمَطَرِ
لولا احترامي مذهباً عُرِفوا به
لَكَشَفْتُ مَسْتُورَاتِهِمْ بِبَيَانٍ
فَتَنِبَهُوا إِنْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ
فَالدَّهْرُ بِالْمَرْصَادِ لِلْغُفْلَانِ
إِنْ الْأَبَالِسَ حِينَ أَعْيَا أَمْرُكُمْ
جَاءَكُمْ فِي صُورَةِ الرَّهْبَانِ
فَحَذَارِ مَنْ أَنْ تُخْدَعُوا بِلِبَاسِهِمْ
فَهُمُ الْخُضَارِيُّ فِي لِبَاسِ الضَّحَّانِ
مَنْ يَتَّبِعِ الْعِمِيَانَ حُبّاً بِالْهُدَى
لَا يَأْمَنَنَّ تَعَثُّرَ الْعَمِيَانِ

فَجَعَلَ قَوْماً يُلَومُونَهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ :
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَهُمْ غُفْرَانُهُ
أَثَرْتُ أَنْ أَبْقَى بِلَا غُفْرَانٍ
أَوْ كُنْتُ فِي النَّيِّرَانِ حَيْثُ لَدَيْهِمْ
مِنْهَا النِّجَاجَةُ، رَضِيتُ بِالنَّيِّرَانِ
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ الذَّلِّ الرَّدَى
لَا يَرْضَى بِالذَّلِّ غَيْرُ جَبَانٍ

٤٠. الحرية

[الخفيف]

فَتَنَنْتُهُ مُحَاسِنُ الْحَرِيَّةِ
لَا سُلَيْمِي وَلَا جَمَالُ سُمِّيَّةِ
هِيَ أَمْنِيَّةُ الْجَمِيعِ وَلَكِنْ
قَلَّ مَنْ نَالَ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةِ
لَيْسَ هَذَا الْإِنْسَانُ عَبْدًا وَلَكِنْ
أَرْهَقَتْهُ الطَّبِيعَةُ الْبَشَرِيَّةِ
وَعَجِيبٌ أَنْ يُخْلَقَ الْمَرْءُ حُرًّا
ثُمَّ يَبْأَى لِنَفْسِهِ الْحَرِيَّةِ
غَادَةً مَا عَرَفْتُ قَلْبًا خَلِيًّا
مِنْ هَوَاهَا، حَتَّى الْقُلُوبِ الْخَلِيَّةِ
غَرَسَتْ فِي فُؤَادِهِ الْحُبَّ طِفْلًا
فَنَمَا الْحُبُّ وَالْفُؤَادُ سَوِيَّةِ
ثُمَّ لَمَّا فَشَا الْغَرَامُ وَذَاعَتْ
عَنْهُمَا فِي الْوَرَى أُمُورٌ خَفِيَّةِ
حَجَبُوهَا عَسَاهُ يَسْلُو وَلَكِنْ
كَانَ قَيْسًا وَكَانَتْ الْعَامِرِيَّةِ
بَاتَ يَشْكُو النَّوَى الشَّقِيَّ وَتَشْكُو
مَانَعِيهَا مِنْ أَنْ تَرَاهُ الشَّقِيَّةِ
مُسْتَهَامٌ قَضَى زَمَانًا طَوِيلًا
فِي عَنَاءٍ مِنَ الْقَيُودِ الْقَوِيَّةِ

وعاليه من الزمان رقيبٌ
عاشقٌ للسيادة الوهميه
ولكلٍّ مطامعٌ وأمانٌ
يبذلُ النفسَ دونَها للمنيه
ويراهَا لديه أشرفَ شيءٍ
وهي أدنى من الأمور الدنيه
زعموا أَنَّهُ المَلِكُ المَفْدَى
بالرعايا، من شرِّ كلِّ بليّه
إنما تفتدي الرعيّةَ ملكاً
بإذلاً نفسَه فِدَى للرعيّه
ظَلَمَ القومَ من توهُّمِهِ القو
مُ نصيراً للأُمَّةِ (الروسيه)
وإذا أخرجَ الضعافَ قوياً
نَسِيتُ ضَعْفَهَا النفوسُ الأبْيَه!

٤١ . تحية الدستور العثماني

[الطويل]

إلى حيثُ أَلْقَتْ^(١) يا زمانَ المَظالمِ
ولا عُدْتَ يا عهدَ الشُّقا المتقادمِ
ذهبتَ فلا باكٍ وأتَّى بكى العَمى
كفيفٌ رأى الأضواءَ ملءَ العوالمِ
وما عجبٌ أن ليس في القومِ نادبٌ
ولكن عَجيبٌ أن أرى غيرَ باسمِ
نزلتَ على الشرقيِّ فانحطَّ شأنُهُ
وقد كان غَضُّ الفخرِ، غَضُّ المكارمِ
ففرَّقْتَ حتى ليس غيرَ مُفرِّقٍ
وخاصمتَ حتى ليس غيرَ التخاصمِ
أَقَمْتَ فـخـلَى أهـلَهُ وبلادَهُ
إلى كلِّ فجٍّ من خـصـيبٍ وقاحمِ^(٢)
نأى كاظمًا للغـيظِ خوفاً شماتةً
ولم يطلُبِ الإنصافَ خـيـفَةً لائمِ
ولو شاء لم يَخترُ سِوى الشرِّ مركباً
فقد كانت الأحقادُ ملءَ الحَيازمِ^(٣)
صحبناك لا خوفاً ثلاثينَ حُجَّةً^(٤)

(١) أصبح مثلاً بالدعوة إلى الهلاك.

(٢) قاحل.

(٣) الحيزوم: وسط الصدر.

(٤) المدة التي قضاها السلطان عبدالحميد الثاني في الحكم.

ولكنها الدنيا وضعفُ العزائم
وما ذاك عن حبٍّ فما فيك شيمَةٌ
تُحِبُّ، ولسنا من غُواةِ المآثم
فكنتَ وكان الجهلُ أحسنَ خَلَّةٍ
لنا، ونجاةُ الحقِّ إحدى الغنائم
وكنتَ وما فينا فتىً غيرُ ناظمٍ
عليك، ولا ذو سلطةٍ غيرُ غاشمٍ
ثلاثون عاماً والنوائبُ فوقنا
مخيِّمةٌ مثل الغيومِ القَوامِ
فلا العِلْمُ مَرموقٌ، ولا الحقُّ نافذٌ
ولا حُرمةٌ تُرعى لغيرِ الدراهم
وما تَمَّ غيرُ البَغْيِ والظلمِ والأذى
فَقُبِّحتَ من عصرٍ كثيرِ السَّخائمِ^(١)
فأغرَبُ، شقيتَ الدهرَ غيرَ مودَّعٍ
من القومِ إلا بالظُّبى والصَّوَّارِمِ
فَوَاللهِ ما تَرْضَى قيودَكَ أُمَّةً
من الناسِ إلا أصبحتَ في البَهائمِ
ويا أيها الدستورُ أهلاً ومرحباً
«على الطائر الميمون يا خيرَ قادمٍ»^(٢)
طلعتَ علينا كوكباً غيرَ أَفَلٍ
على حين أنَّ الشُّرْقَ مُقلَّةٌ هائمٌ
فقرَّتْ عيونٌ قبلُ كانت حسيِّرةً
وجادتُ سروراً بالدموعِ السَّوَّاجِمِ
وضجَّ الورى في الشرق والغرب ضجَّةً

(١) الأحقاد (المفرد: سخيمة).

(٢) من شعر البهاء زهير.

أُفَاقَ لَهَا، مُسْتَقِظاً، كُلُّ نَائِمٍ
أَهْبَتَ فَفَرَّ الظُّلْمُ فِي الْأَرْضِ هَارِباً
وَنَكَّسَ خِزياً رَأْسَهُ كُلُّ ظَالِمٍ
وَفَاضَتْ عَلَى ثَغْرِ الْحَزِينِ ابْتِسَامَةٌ
تُخَبِّرُ أَنَّ الْحَزْنَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
وَأُطْلِقَتِ الْأَقْلَامُ بَعْدَ اعْتِقَالِهَا
فَأَسْمَعَتِ الْأَكْوَانَ سَجْعَ الْحَمَائِمِ
وَلَمْ يَبْقَ عَانٍ^(١) لَمْ يُفَكَّ إِسَارَهُ
وَلَمْ يَبْقَ جَانٍ لَمْ يَفُزْ بِالْمَرَاحِمِ
وَكُنَّا نَرَى الْأَحْزَانَ ضَرْبَةً لَازِبٍ
فَصِرْنَا نَرَى الْأَفْرَاحَ ضَرْبَةً لَازِمٍ
تَوَهُّمَ قَوْمٍ أَنْمَا الشَّرْقُ وَاهِمٌ
وَأَنْكَ يَا دَسْتُورُ أَضْغَاثُ حَالِمٍ
وَرَجَمَ قَوْمٌ أَنْمَا تِلْكَ خُدَعَةٌ
فَعُذْنَا بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ رَاجِمٍ
تَجَلَّيْتُ فَاسُودَتْ وَجُوهُهُ وَأَسْفَرَتْ
وَجُوهُهُ، وَأَمْسَى غَانِماً كُلُّ غَارِمٍ
وَمَا عَدَتْ حَتَّى كَادَ يَشْتَجِرُ الْقَنَا
لَأَجْلِكَ وَالْخَطِيءُ^(٢) أَعْدَلُ حَاكِمٍ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَهْتَزَّ فِي كُلِّ سَاعِدٍ
لِكُلِّ أَبِيٍّ، كُلُّ سَيْفٍ وَصَارِمٍ
أَبَى الْجَيْشُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُؤَيِّداً
وَتَأْبَى سِوَى تَأْيِيدِ جَيْشٍ مُسَالِمٍ
فَبُورِكْتُمَا مِنْ سَاعِدٍ وَمُهَنْدٍ

(١) الأسير (السجين).

(٢) الرمح .

برغم خَوْنٍ مَارِقٍ مُتَشَائِمٍ
ولا بَرِحَ الْأَحْرَارُ يَشْدُو بِذِكْرِهِمْ
بنو الشرق، فخرًا، في القُرَى والعواصم
رجالٌ لهم ذِكْرُ الرِّجَالِ وَإِنَّمَا
جَسُومُهُمْ فِيهَا نَفُوسٌ ضَرَاغِمُ
هُمْ قَيِّدُونَا بِالْعَوَارِفِ^(١) وَالنَّدَى
وَهُمْ أَطْلَقُونَا مِنْ عِقَالِ الْمَغَارِمِ
فلم يَبْقَ فِينَا حَاكِمٌ غَيْرُ عَادِلٍ
ولم يَبْقَ فِينَا عَادِلٌ غَيْرُ حَاكِمٍ

(١) العارفة: المكرمة.

٤٢ . عبد الحميد بعد إعلان الدستور

[الطويل]

أبا الشعب! اطلع من حجابك يلتق
بطرفك مثل العارض^(١) المْتَدَفِّقِ
جماهير لا يُحصي اليراعُ عديدها
هي الرَّمْلُ إلا أنه لم يُنْسَقْ
هو الشعبُ قد وافاك كالبحر زاخراً
وكالجيش يقفوفيلقُ إثرَ فيلق
تَطْلُعُ تجده حول قصرِكَ واقفاً
يحدِّقُ تحديقَ المحبِّ الموقِّقِ
لقد البَسَتْهُ الأرضُ حَلِيّاً كأنه
أياديكَ فيه لم تزل ذاتَ رونق
وألقتْ عليه الشمسُ نظرةً عاشقٍ
غيورٍ تلقّاها بنظرةٍ مُشفِّقِ
يهشُّ لمرآكَ الوسيمِ وإنما
يهشُّ لمرأى الكوكبِ المُتَأَلِّقِ
ويعشقُ منك البأسَ والحِلْمَ والنَّدَى
كذلك من ينظرُ إلى الحُسْنِ يَعشَقُ
يكاد به يرقى إليك اشتياقه
فيا عجباً: بحرٌ إلى البدر يرتقي!
تفرِّقُ عنك المفسدون وطالما
رموا^(٢) الشعبَ بالتفريقِ خوفَ التفرُّقِ

(١) السحاب الممطر.

(٢) تُقرأ بضم الميم للضرورة.

وكم أقلقوا في الأرض ثم تراجعوا
 يقولون: شعبٌ مقلقٌ أيُّ مقلقٍ
 وكم زوروا عنه الأراجيفَ وادَّعَوْا
 وأيَّدكم ذبَّاكمُ الزاهدُ التَّقِي
 لمن يرفعُ الشُّكوى وقد وقفوا له
 على البابِ بالمرصادِ، فاسأله يَنطِقِ
 وأمَّا ولا واشٍ ولا متجسسٌ
 فقد جاء يسعى سعيَ جذلانٍ شيقٍ
 يطارحُكُ الحبُّ الذي أنتَ أهلهُ
 وحسبكُ منه الحبُّ غيرَ مزوَّقِ
 فها جيشُكَ الطَّامي يضحُّ مكبراً
 بما نال من عهدٍ لديكِ ومَوثِقِ
 يُطأطئُ إجلالاً لشخصِكِ أرؤساً
 يطأطئُ إجلالاً لها كلُّ مفرِقِ
 لُهامٍ^(١) متى تُنذِرُ به الدهرُ يصعِقُ
 وإن يتعرضُ للحوادثِ تفرِّقِ
 يفاخرُ بالسَّلمِ الجيوشَ، وإنَّه
 لأضربُها بالسَّيفِ في كلِّ مأزِقِ
 وأشجعُها قلباً وأكرمُها يداً
 إذا قال لم يتركُ مجالاً لأحمقِ
 ألا أيُّها الجيشُ العظيمُ ترفُّقاً
 ملكتَ قلوبَ الناسِ بالعرفِ^(٢) فأرفُقِ
 ويا أيُّها المَلِكُ المقيمُ (بيلدن)^(٣)
 أرى كلَّ قلبٍ سُدَّةً^(٤) لك فأرتُقِ

(١) كثير العدد.

(٢) بالمعروف.

(٣) قصر يلدن: قصر النجم.

(٤) عرش.

ألا حبّذا الأجنادُ غوثاً لخائفٍ
ويا حبّذا الأحرارُ وِرداً لمُسْتَقٍ
ويا حبّذا عيّدُ الجلوسِ فإنه
أجلُّ الذي ولّى وأجملُ ما بقي

٤٣. الذناب الخاطفة

[الكامل]

ما بالهم نقضوا العهودَ جهارا
وتعمّدوا الإيذاءَ والإضراراً
واستأسدوا لما رأوا ليثَ الشّرى
عافَ الزّئيرَ وقلّمَ الأظفارا
داروا به والشّرُّ في أحداقهم
ذا يدعي حقّاً، وذلك ثارا
لؤمٍ لعمرك أبى لك لم ير مثله التّد
تاريخٌ منذُ استقرّاً الأخبارا
وخيانةٌ ما جاءها القوم الألى
تخذوا مع الوحش القفار ديارا
أمسى يحرضُ (عاهل الألمان) من
أمسى يحرضُ في الخفا (البُلغارا)
أمعاشرَ الإفرنج ليس شهامةً
ما تفعلون، إذا أمِنْتُم عارا
أمنَ المروءة أن يُساءَ جوارنا
في حين أنّا لا نسيء جوارا
أمنَ المروءة أن يطأطئ تاجه
ملكٌ ليملك في الثّرى أشبارا؟
البغي مرتعه وخيم فاعلموا
والظلم يُعقبُ للظّالم دمارا

إِنْ تُحْرِجُوا الرُّبَالَ فِي عَرِيَّسِهِ^(١)
يَذِرُ السَّكُوتَ وَيَرْكَبِ الْأَخْطَارَا
وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الْجَيْشَ الَّذِي
دَكَ الْعُرُوشَ وَدَوَّخَ الْأَقْطَارَا
جَيْشٌ يَهْزُ الرَّاسِيَّاتِ إِذَا انْتَحَى
الْهَيْجَا ، وَهَزَّ الصَّارِمَ الْبَتَّارَا
وَكَمَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ الشَّعْبَ الَّذِي
يَأْبَى وَيَأْنَفُ أَنْ يُرَى خَوَّارَا
فَالْوَيْلُ لِلدُّنْيَا إِذَا نَفَضَ الْكُرَى،
وَالْوَيْلُ لِلْأَيَّامِ إِمَّا ثَارَا
إِنِّي أَرَى لَيْلًا يَخِيْمُ فَوْقَنَا
لَا يَنْجِلِي حَتَّى نُشَبَّ النَّارَا
فَحَذَارِ ثَمَّ حَذَارِ مِنْ يَوْمٍ بِهِ
يَجْرِي النَّجِيعُ عَلَى الثَّرَى أَنْهَارَا
يَوْمٍ تَبَاعُ بِهِ النُّفُوسُ رَخِيصَةً
يَوْمٍ يَقْصُرُ هَوْلُهُ الْأَعْمَارَا
يَوْمٍ يَكُونُ بِهِ الْجَمِيعُ عَسَاكِرًا
وَالْكُلُّ يَدْخُلُ فِي الْوَغَى مُخْتَارَا

(١) عرينه أو غابته.

٤٤ . مريض بالغرور

[الكامل]

وقال ينقد أحدهم :

لَمَّا سَكْتُ حَسِبْتَ أَنَّكَ نَاجٍ
هِيَهَاتَ، إِنِّي كَالْمَنُونِ أَفَاجِي
تَاللهِ تَطْمَعُ بِالسَّلَامَةِ بَعْدَ مَا
أَلْقَاكَ جَهْلُكَ فِي يَدِ الْأَمْوَاجِ
إِنْ كَانَ دَاخِلَكَ الْغُرُورُ فَإِنَّهُ
مَا انْفَكَّ فِي الْبُسْطَاءِ وَالسُّدَّاجِ
إِنِّي أَنَا الْأَسَدُ الْهَصُورُ بِسَالَةٍ
وَيْلٌ لِقَوْمٍ حَاوَلُوا إِخْرَاجِي
حَاوَلْتَ أَنْ تَهْتَاجَنِي عَنْ مَرِيضِي
لَتَنَالَ ذِكْرًا، خَبْتَ يَا ذَا الرَّاجِي
عَارٌ إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِبِي
إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نِعَاجِ
وَضَلَلْتُ أَنَّكَ بَالِغُ شَأْوِي إِذَا
رُمْتَ الْقَرِيضَ فَمَا ظَفِرْتَ بِحَاجِ^(١)
إِنَّ الْقَوَافِي كَالْخِرَائِدِ^(٢) مَنُوعَةٌ
وَتَفُوقُهَا فِي نَبْذِ كُلِّ مُدَاجِ
وَالشُّعْرُ تَاجٌ لَوْ عَلِمْتَ وَلَمْ تَكُنْ
مِمَّنْ يَلِيْقُ بِحَمْلِ هَذَا التَّجِ

(١) حاجة أو رغبة.

(٢) الخريدة: اللؤلؤة قبل أن تُنقَب.

خذها مثقفةً إذا وقعتُ على
جبلٍ لأزعجَ أيَّما إزعاج
أنا خيرٌ من قال القوافي، مادحاً
أنا خيرٌ من قال القوافي، هاجي
قد كنتُ أزهّدُ في الهجاء لو لم يكن
لك يا مريضَ العُجبِ خيرُ علاج

٤٥. عفو بغير مقدرة

وقال فيه أيضاً :

[البسيط]

سكتُ خوفاً، وقلت: الصفحُ من خُلقي!
ونمتَ جُبناً، وقلتَ الحِلْمُ من شِيمي!
وإنما أنت والأقوامُ قد علموا
لولا خُمولُكَ لم تسكتُ ولم تنم
لم تمتنعْ أنْفَةً^(١) لكن قد امتنعتُ
عليك أشباهُ ما قد صاغهُ قَلَمي
حاولتَ وجدانَ عيبٍ لي فكنتَ كَمَنُ
يحاول الماءَ في البركانِ ذي الضَرَمِ
فقلتُ للقوم - في ما قلت - تخذعُهمُ:
لقد هجاني وبعضُ الهجو كالوصمِ
الذمُّ عارٌ ولكنْ ذمُّ ذي كَرَمٍ،
والحمدُ لله لم نذمُّ أخاً كَرَمِ
سأحبسَنَ^(٢) لسانِي عنكَ، عن شَمَمِ،
وحرمةً لأَهْلِيلِ الوُدِّ والذَّمِ
قومٌ لَعَمْرُ أبي، لو كان سَفْكَ دمي
- ولا مغالاةً - يُرضيهمُ، سَفَكَتُ دمي
إني أجَلِّهمُ عن أن يُغَيِّرَهمُ
كلامَ ذي حَسَدٍ أو قولُ متَّهمِ

(١) يريد: أنْفَةً، وسكَّن للضرورة.

(٢) جاء بها في موضع: (لأحبسَنَ).

ما العجزُ أقعدني لما كفتُ يدي،
لكنْ لأجلهمْ نهْنهتُ^(١) مِنْ كَلِمِي
ولو أشاءُ ملأتُ الأرضَ قاطبةً
قوافياً، والفضاءَ الرَّحْبَ بالحِكمِ
ولستُ أعجبُ إنْ لم تشتكِ الماءُ
إنَّ الجماداتِ لا تشكو من الألمِ

(١) نهْنهتُ: كَفَّه.

٤٦. فتنة ١٣ أبريل^(١)

[المديد]

بورك الصَّمْصَامُ من حَكَمٍ
بين محكُومٍ ومحتكمٍ
إنَّني بِعَتُّ اليَراعَ به
لا أبيعُ السَّيفَ بالقلم
صاح إنَّ العزَّ ممْتَنِعٌ
نَيْلُهُ إلا على الخِزَمِ^(٢)
إنما الخُرْغَامُ سَوْدٌ
نابَهُ المرهوبُ في البَهمِ
لو يُسمَّى السيفُ ثانيَةً
بات يُدعى: مُنْقَذَ الأَمِ
فَلَهُ في الغربِ مَأْثَرَةٌ
مثلُها في التُّركِ والعَجَمِ
ضيفَ (سَالُونِيكَ)^(٣) ما لك في
سجنِها ضيفُ سوى السَّامِ
ذاك ضيفٌ غَيْرُ مُحْتَشِمٍ
إنَّ تحاولَ طَرْدَهُ يُقِمِ
قد خلتَ (يَلْدِينِ)^(٤) منك وما
ذكرُها يُخْلِيكَ من أَلَمِ

(١) خلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولية السلطان رشاد (باسم محمد الخامس) سنة ١٩٠٩ .

(٢) سرعة القطع . يريد السيف .

(٣) السلطان عبد الحميد وقد نزل سجيناً بسالونيك بعد خلعهِ .

(٤) قصره في استانبول .

زُلْتُ عَنْهَا وَهِيَ بَاقِيَةٌ
 عِظَةٌ لَخَلْقِ كَلْبِهِمْ
 إِنْ تَكُنْ تَبْغِي الرِّجُوعَ لَهَا
 ذَاكَ مَقْضِيٌّ لَدَى الْحُلُمِ
 مَرْتَعُ الْغَيْدِ الْأَوَانِسِ بَلْ
 مَرْبَعُ الْوَاشِينَ وَالْتُّهُمْ
 خَبَّرِينَا إِنْ فِيكَ لَنَا
 حَكْمَةٌ تَعَالَوْ عَلَى الْحِكَمِ
 خَبَّرِينَا كَيْفَ عَاقِبَةُ الْـ
 بَغْيِ: هَلْ كَانَتْ سِوَى نَدَمٍ؟
 جُرْتُ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ بِنَا
 غَيْرَ أَنْ الْجَوْرَ لَمْ يَدُمْ
 كُنْتَ كَالْأَيَّامِ مَا قَصَدْتُ
 بِالرِّزَايَا غَيْرَ ذِي شَمَمٍ
 ظَلْتُ تَقْرِي^(١) الْحَوْتَ مِنْ جُبَّتِ
 أَوْشَكَتْ تُبَالِيهِ بِالْتُّخَمِ^(٢)
 نِعْمُ لِلْبَحْرِ.. تَطْرَحُهَا
 يَا لَهَا فِي الْبَرِّ مِنْ نِقَمٍ
 وَلَكُمْ حَالٌ مِنْ حُرْمٍ
 وَلَكُمْ أَفْسَدَتْ مِنْ ذِمَمٍ
 لَمْ تَرَاعِ قَطُّ ذَا صَالَةٍ
 لَا وَلَمْ تُشْفَقْ عَلَى رَحِمٍ
 رَاعَكَ الدُّسْتُورُ مِنْتَصِرًا
 فَأَثَرْتُ الْجُنْدَ (بِالْعِمَمِ)^(٣)

(١) تطعم (من: القرى).

(٢) قيل عن السلطان عبد الحميد: إنه كان يأمر بالقاء خصومه السياسيين في خليج البسفور المطل عليه قصره طعاماً لحيتانه التي أعدت لهذا الغرض! والمدافعون عنه يقولون: إنه ألقى فيه رجلاً واحداً اغتصب ابنته، فكبر عليه إنتمه.

(٣) أصحاب العمام.

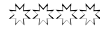
كَادَ يَلْقَى مِنْكَ مَصْرَعَهُ
 وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى الْحُلُمِ
 رَبُّ لَيْلٍ بَتَّ تَرْقُبُهُ
 رَقَبَةَ السَّرْحَانِ^(١) لَلْغَنَمِ
 وَنَهَارٍ كَدَّتْ فِيهِ لَهُ
 غَيْرَ خَاشٍ كَيْدٍ مِنْتَقِمِ
 أَحَسِبْتَ الْقَوْمَ قَدْ غَفَلُوا
 وَنَسُوا مَا كَانَ فِي الْقَدَمِ
 أَمْ ظَنَنْتَ الشَّعْبَ حَنًّا إِلَى
 إِمْرَةِ الْخِصْيَانِ وَالْخَدَمِ
 أَمْ حَسِبْتَ الْجَيْشَ مَبْتَعِداً
 وَهُوَ أَدْنَى مِنْ يَدِ لِفَمِ
 لَمْ يُطِيقْ صَبْرًا عَلَى مُضَضٍ
 فَآتَى يَسْعَى عَلَى قَدَمِ
 عَلامٍ مِنْ خَالَفِهِ عَلامٍ
 وَكَمِيٍّ^(٢) يَقْتَفِيهِ كَمِيٍّ
 حَاطَ «يَلْدِيزَا» فَكَانَ لَهَا
 كَسِوَارٍ غَيْرِ مَنْفَصَمِ
 وَرَأَتْ عَيْنَاكَ غَضَبَتَهُ
 فَبَكَتْ خَوْفَ الرُّدَى بِدَمِ
 ثَلَّ مِنْكَ التَّاجَ مَهْتَخِماً
 مَنْ يُعَادِ الشَّعْبَ يُهْتَخِمُ^(٣)

(١) الذئب.

(٢) شجاع.

(٣) يُخْذَلُ وَيَنْكَسِرُ.

بَتَّ لَا جَيْشٌ وَلَا عِلْمٌ
يَا صَرِيحَ الْجَيْشِ وَالْعِلْمِ
وَفَشَّ مَا كُنْتَ تُضْمِرُهُ
فَعَرَفْنَا نَاقِضَ الْقَسَمِ
كُنْتَ مَسْلُوبَ الْكَرَى حَذِرًا
وَلَقَدْ أُعْطِيَتْهُ فَنَمَ!
وَدَعَ الدُّنْيَا وَبَهَجَتْهَا
مَا أَرَى الْحَسَنَاءَ لِلْهَرَمِ!
لَسْتُ مِنْ طِرْسِي وَلَا قَلَمِي
إِنْ كَبَا فِي حُلْبَةِ قَلَمِي
قُلْ لِمَنْ رَامُوا مُسَاجَلَتِي
لَيْسَ غَيْرِي تَاجِرُ الْكَلِمِ



يَا رِشَادَ الْمُلْكِ^(١) تَهْنِئَةٌ
بِالَّذِي أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
إِنْ تَكُنْ ذَاكَ السَّجَّينُ فَيَا
رَبَّ عَانٍ^(٢) غَيْرَ مُجْتَرَمٍ
أَنْتَ كَالصَّدِيقِ^(٣) أَسْكَنَهُ
فَضْلُهُ فِي السَّجْنِ مِنْ قِدَمٍ
كُنْ لِهَذَا الشَّعْبِ «يُوسُفُهُ»
يَنْجُ مِنْ عُدْمٍ وَمِنْ عُدَمٍ
لَسْتُ تَرْضَى أَنْ يُقَالَ: كَبَا
دُونَ شَعْبٍ هَامٍ بِالصَّنَمِ

(١) السلطان محمد رشاد الخامس الذي ولي الملك بعد عبد الحميد

(٢) العاني: هو الأسير أو السجين.

(٣) النبي يوسف، ومعروف أنه كان سجيناً قبل أن يلي تموين مصر.

أنت للشُّورى نُعوذُها
بك من عَـاتٍ وَمِنْ نَـهِمٍ
فَتَقْلُدْ سَيْفَ جَدِّكَ «عُثْ
ـمان»^(١) جَدِّ الْبَيْضِ وَالْخُذْمِ^(٢)
وتَـوَلَّ الْمُـلُوكَ مِنْ أُمَمٍ
وَبِحَبْلِ الْـلَهِ فَاعْتَصِمِ
قَدْ شَفَا مَرَأكَ مَقْلَتَهُ
من عَمَمِي ، والأَذْنَ من صَمَمِ
دَمْتَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ لَهُ
غَيْرَ مَا هُمْ وَلَا سَقَمِ

(١) عثمان أرطغرل المؤسس الأول لدولة سميت باسمه في آسيا الصغرى «العثمانيون».

(٢) البيض: السيوف. والخزم: سرعة القطع. يريد السيوف القاطعة.

٤٧. الكبرياء خلة الشيطان

[الكامل]

لي صاحبُ دخل الغرور فؤادُهُ
إن الغرورَ أُخِيَّ من أعدائي
أسديتُهُ نُصحي فزادَ تمادياً
في غيِّهِ وازدادَ فيه بلائي
أمسى يُسيءُ بي الظنونَ ولم تسوُ،
لولا الغرورُ، ظنُونُهُ بولائي
قد كنتُ أرجو أن يُقيمَ على الولا
أبدًا، ولكنْ خاب فيه رجائي
أهوى اللقاءَ به ويهوى ضدهُ
فكأنما الموتُ الزُّؤامُ لقائي
إني لأصحِّبُهُ على علاته
والبدرُ من قَدَمِ أخو الظُّلُماءِ
يا صاحِ إنَّ الكُبرَ خُلُقٌ سيِّئٌ
هيهاتَ يوجدُ في سوى الجُهلاءِ
والعُجبُ داءٌ لا يُنالُ دواؤُهُ
حتى يُنالَ الخُلْدُ في الدُّنيا^(١)
فاخفِضْ جناحَكَ للأَنامِ تَفُزْ بهم
إنَّ التواضعَ شِيمَةُ الحُكَماءِ
لو أعجبَ القمرُ المنيرُ بنفسه
لرأيتَه يَهْوِي إلى الغُبراءِ

(١) يريد: الدنيا، ونمذجها للضرورة.

٤٨ . أيها القلم

[البسيط]

ماذا جنيتَ عليهمُ أيها القلمُ
والله ما فيك إلا النصحُ والحكمُ
إني ليحزنُّني أن يسجنوك وهم
لولاك في الأرض لم تثبتَ لهم قدمُ
خُلقتَ حُرّاً كموج البحرِ مندفعاً
فما القيودُ وما الأصفادُ واللُجُمُ
إن يحبسوا الطائرَ المحكيَّ في قفصٍ
فليس يُحبسُ منه الصوتُ والنَّغمُ
اللهُ في أمةٍ جارَ الزمانُ بها
يفنئُ الزمانُ ولا يفنى لها أَلَمُ
كأنما خصَّها بالذلِّ بارئُها
أو أقسمَ الدهرُ لا يعلو لها عَلمُ
مهزومةُ الحقِّ لا ذنبُ جنَّةٍ سوى
أنَّ الحقوقَ لديها ليس تنهضمُ
مرتٌ عليها سنونُ كلِّها نَقَمُ
ما كان أسعدَها لو أنها نِعَمُ
عدواً شكيتَها ظلماً، وما ظَلَمْتُ،
وإنما ظلموها بالذي زعموا
ما ضرَّهمُ أنها باتت تسائلُهمُ
أين الموثيقُ؟ أين العهدُ والقَسمُ؟

أما كفى أن في آذانهم صمماً
حتى أرادوا بأن ينتابها الصمم
كأنما سئموا ألا يزال بها
روح على الدهر لم يظفر بها السأم
فقيّدوها لعل القيد يسكتها
وعز أن يسكت المظلوم لو علموا
وأرهبوا الصحف والأقلام في زمن
يكاد يعبد فيه الطرس والقلم
إن يمنعوا الصحف فينا بث لوعتنا
فكلنا صحف في مصر ترتسم
إننا لقوم لنا مجد سنذكره
ما دام فينا لسان ناطق وفم
كيف السبيل إلى سلوان رفعتنا
وهي التي تتمنى بعضها الأمم
يأبى لنا العز أن نرضى المذلة في
عصر رأينا به العبدان تحترم
للموت أجمل من عيش على مضض
إن الحياة بلا حريّة عدم

٤٩. مصر والشام

[الوافر]

أَطَالَ اللَّيْلُ أَمْ طَالَ الْمُقَامُ؟
أَمْ الْمَحْزُونُ خَامِرَهُ الْهَيْامُ؟
فَبَاتَ يُصَعِّدُ الزَّفَرَاتِ وَجِداً
وَأَمَّا نَاحَ أُسْعَدَهُ^(١) الْحَمَامُ
تَعَوَّدَ جِسْمَهُ الْأَسْقَامَ حَتَّى
لِيَحْذَرَ أَنْ يُزَايِلَهُ السَّقَامُ
وَأَغْرَى جَفَنَهُ بِالسُّهْدِ حَتَّى
لِيُشْفِقَ أَنْ يُطِيفَ بِهِ الْمَنَامُ
تَجَمَّعَتِ الْهُمُومُ عَلَيْهِ تَتْرَى
كَمَا اجْتَمَعَتْ عَلَى الْمَاءِ السَّوَامِ^(٢)
وَأَعْوَزَهُ عَلَى الْبُلُوى مُعِينُ
وَأَعْوَزَ لَيْلَهُ الْقَمَرُ التَّمَامُ
فَضَاقَ فَوَادُهُ بِالْهَمِّ ذُرْعاً
وَضَاقَ بِهِمَّةً وَبِهِ الظَّلَامُ
كَأَنَّ نَجُومَهُ أَجْفَانُ بَاكٍ
كَأَنَّ اللَّيْلَ صَبٌّ مُسْتَهَامُ
أَبِالْأَقْمَارِ مَا بِي، فَهِيَ مِثْلِي
تَحَاوَلُ أَنْ تَنَامَ فَلَا تَنَامُ؟
أَبْتُ إِلَّا السَّكُوتَ وَبْتُ أَشْكُو
وَأَنْتَى يَصْحَبُ الْوَجْدَ اكْتِتَامُ

(١) أسعفه وأنجده.

(٢) السوام: الماشية التي ترعى.

وليس بِنَافِعِي مِنْهَا سَكُوتٌ
 وليس بِنَافِعِ الشُّهْبِ الْكَلَامُ
 كَأَنِّي قَارِئٌ وَاللَّيْلُ سِفْرٌ
 لَهُ بَدَأٌ وَلَيْسَ لَهُ خِتَامُ
 كَذَاكَ الْهَمُّ أَعْسَرَ مَا تَرَاهُ
 إِذَا سَكَنَ الدُّجَى وَغَفَا الْأَنَامُ
 تَحَنُّ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ نَفْسِي
 أَقْطَرَ الشَّامَ حَيَّاكَ الْغَمَامُ
 وَمَا غَيْرَ الشَّامِ وَسَاكِنِيهِ
 لِبَانَتْ نَا^(١) وَإِنْ بَعْدَ الشَّامِ
 وَلَوْ لَا أَنَّ فِي مِصْرٍ مُقَامِي
 لَعَمْرُ أُبَيْكَ مَا طَالَ الْمُقَامُ
 مَضَى عَامٌ عَلَيَّ بِأَرْضِ مِصْرٍ
 وَذَا عَامٌ وَسَوْفَ يَجِيءُ عَامُ
 وَمَا مِصْرُ الَّتِي مَلَكَتْ فَوَادِي
 وَلَكِنْ أَهْلُهَا قَوْمٌ كِرَامُ
 وَدَادَهُمْ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقٍ
 وَجَارَهُمْ عَزِيزٌ لَا يُخْصَامُ
 وَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ لَيْنُ الْحُمَيَّا^(٢)
 إِذَا انْتَسَبَتْ إِلَى اللَّيْنِ الْمُدَامُ
 وَتُبْصِرُ فِي صَدُورِهِمْ أَنَاةً
 إِذَا الْأَحْلَامُ^(٣) طَاحَ بِهَا الْخِصَامُ

(١) غرضنا .

(٢) الخمرة .

(٣) العقول (الحلم) .

أَبَتْ إِلَّا عِنَادَهُمُ الْإِلْيَالِي
فَمَا يئُسُوا الْغَدَاةَ وَلَا اسْتَنَامُوا
يُودُ الطَّامِعُونَ بِأَرْضِ مِصْرٍ
لَوْ أَنَّهُمْ بِهَا أَبَدًا أَقَامُوا
فَلَا عَجَبٌ إِذَا خَفَرُوا زِمَامًا^(١)
شَدِيدُ الْبَطْشِ لَيْسَ لَهُ زِمَامٌ
نُلَامُ عَلَى الْكَلَامِ وَقَدْ أَصْبَنَّا
وَقَدْ ضَلَّوْا الصَّوَابَ فَلَمْ يُلَامُوا
أَقَانُونًا قِيُودُهُمْ تُسَمَّى ؟
إِذَا قَدْ أَنْتَ الرَّجُلَ الْإِثَامُ
إِلَامًا تُمْنَعُ الدِّسْتُورَ مِصْرُ
وَقَدْ كَادَتْ تَفُوزُ بِهِ (سِيَام)^(٢)
بَنِي مِصْرٍ عَلَى الْأَحْدَاثِ صَبْرًا
فَقَبْلَ الصَّبْحِ يَجْتَمِعُ الْغَمَامُ
وَلَا يَلْحَقُ بِكُمْ ضَجْرٌ فَإِنِّي
رَأَيْتُ الظَّالِمَ لَيْسَ لَهُ دَوَامُ
فَإِنَّ اللَّيْلَ يَعْقُبُهُ صَبَاحُ
وَإِنَّ الْحَرْبَ أَخْرُهَا سَلَامُ

(١) العهد.

(٢) من دول الشرق الأقصى. وتمد ميم (إِلَام) في أول البيت للضرورة.

٥٠ - (عام ١٩١٠)

[الكامل]

إني سكتُ وما عدمتُ المَنطِقَا
لولا أخوك سَبَقْتُ فَيَكُ الْأَسْبَقَا
وهززتُ أوتارَ القلوبِ بصامتٍ
يَشْتاقُ كُلُّ مَهْذَبٍ أَنْ يَنْطِقَا
فبَعثتُ في أفواههم مِثْلَ الطَّلَا
ونفثتُ في أسماعهم شِبْهَ الرُّقَى^(١)
وَأَلَنْتُ قَاسِي الشَّعْرِ حَتَّى يُبْتَغَى
وشدّدتُ مِنْهُ اللَّيْنَ حَتَّى يُتَّقَى
وَجَلَوْتُ لِلْأَبْصَارِ كُلِّ خَرِيدَةٍ^(٢)
عَصْمَاءَ تَحْسُدُهَا النِّفَوسُ تَأْلُقَا
تَبْدُو فَتَتْرُكُ كُلَّ قَلْبٍ شَيْقٍ
خَلَوْا وَتَتْرُكُ كُلَّ خَالٍ شَيْقَا
وَلَى أَخُوكَ فَمَا أَمْضَيْتُ النُّوَى
ولقد قدّمتُ فما هَشَشْتُ إِلَى اللَّقَا
أَقْبَلْتُ وَالْدُنْيَا إِلَيَّ بَغِيضَةً
هَلَّا سَبَقْتُ إِلَيَّ أَسْبَابَ الشُّقَا
حَنِقْتُ بِلَا سَبَبٍ عَلَيَّ، وَإِنَّهُ
سَبَبٌ جَدِيرٌ عِنْدَهُ أَنْ أَحْنَقَا

(١) الطلا: الخمر. والرقية: العوذة (والجمع: رُقَى).

(٢) اللؤلؤة قبل أن تنقلب. يريد القصيدة من شعره.

عَلِقْتُ أَخِي كَفُّ الْمُنُونِ وَكِدْتُ أَنْ
 أَسْعَى عَلَى أَثَارِهِ لَوْلَا التُّقَى
 مَا أَشْفَقْتُ نَفْسِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا
 أَشْفَقْتُ أَنْ أَبْكِيَ الصَّدِيقَ الْمَشْفِقَا
 وَدَعَيْتُهُ كَالْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ
 وَالْبَدْرُ لَيْسَ بِأَمْنٍ أَنْ يُمَحَقَّ
 وَلَقَدْ رَجَوْتُ لَهُ الْبَقَاءَ وَإِنَّمَا
 يَدْنُو الْحَمَامُ لِمَنْ يُحِبُّ لَهُ الْبَقَا
 أَصْبَحْتُ مِثْلَ النَّسْرِ قُصَّ جَنَاحُهُ
 فَهَوَى وَلَوْ سَلِمَ الْجَنَاحُ لَحَلَّقَا
 نَائِي الرَّجَاءِ فَلَا أَسِيرُ مَوْثُقُ
 أَرْجُو الْفَكَاكُ، وَلَسْتُ حُرّاً مُطْلَقَا
 وَلَقَدْ لَبِسْتُ مِنَ السَّوَادِ شَعَائِرَا
 حَتَّى خَضَبْتُ مِنَ الْحِدَادِ الْمَفْرِقَا
 وَزَجَرْتُ عَيْنِي أَنْ تُسَرَّ بِمَنْظَرٍ
 وَمَنْعْتُ قَلْبِي بَعْدَهُ أَنْ يَخْفِقَا
 لَا أَظْلِمُ الْأَيَّامَ فِي مَا قَدْ جَنْتُ
 لَا تَأْمَنُ الْأَيَّامُ أَنْ تَتَفَرَّقَا
 كُنْ كَيْفَ شِئْتُ فَلَسْتُ أُسْكِنُ لِلْمُنَى
 بَعْدَ الْحَبِيبِ وَلَسْتُ أَحْذَرُ مَوْبِقَا^(١)
 عَامٌ نَسِيتُ سُعُودَهُ بِنُحُوسِهِ
 قَدْ يَحْجُبُ اللَّيْلُ الْهَلَالَ الْمُشْرِقَا
 لَمْ أَنْسَ طَاغِيَةَ الْمُلُوكِ وَقَدْ هَوَى
 عَنْ عَرْشِهِ وَأَسِيرَهُ لِمَا ارْتَقَى

(١) الموبق: المهلك (وبق - يبق: هلك).

والشاهُ منخلعُ الحُشاشةِ واجفُ
 أُرأيتَ «شاهاً» قطُّ أصبحَ «بَيْدَقاً»
 ما زالَ يحتقِرُ الظُّبَا حتّى غدا
 لا تُذَكِّرُ الأسيافُ حتّى يُصْعَقَا^(١)
 بَثْنَا إذا التركيُّ ضجَّ مُهللاً
 عبثَ الهوى بالفارسيِّ فصَفَقَا
 ذُكِرَى تُحرِّكُ كلَّ قلبٍ ساكنٍ
 حتّى ليعشقَ بعدها أن يعشقَا
 فيما على النّيلِ النّحوسُ ولم يكن
 دونَ الخليجِ ولا الفُراتِ تدفُّقا
 إن لم أذُدَّ عن أرضِ مصرَ موفِّقاً
 أودَى بآمالي الزمانُ موفِّقا
 ما بالها تشكو زوالَ بهائها
 وهي التي كانت تزين المشرقَا
 قد أخلفتُ كفَّ السياسةِ عهدَها
 إن السياسةَ لا تُراعي مَوثِقَا
 كَذَبُوا على مصرٍ وصدّقَ قولُهم
 والشرُّ أن تجدَ الكَذوبَ مُصدّقَا
 وأبوا علينا أننا لا ننتهي
 من مأزِقٍ حتّى نصادفَ مأزِقَا
 سَلَكُوا بنا في كلِّ وادٍ ضيقٍ
 حتّى قنِطنا أن يصيبوا ضيقَا
 منعوا الصحافةَ أن تبثَّ شكائنا
 منعوا الكواكبَ أن تبين وتشرقَا

(١) الظُّبّة: حد السيف والسنان والخنجر (والجمع: ظُبا وظبات وظبون).

لوأنصفوا رفعوا القيودَ فإنما
يشكو الأسيرُ الأسرَ إمّا أُرهِقَا
وسَعَوْا إلى سلبِ القنَاةِ فأخَفَقُوا
سَعِيًّا، وشَاءَ اللهُ أنْ لَا نُخَفِقَا
عرضَ الحسابِ المستشارِ ولم يكنْ
لولا السياسةُ حاسباً ومدقّقَا
أَيكونُ غاصِبَنا ويزعُمُ أنه
أَمسى علينا مُحسِناً متصدّقَا
أَبني الكِنَانَةِ! لستُمُ أَبْنَاءَهَا
حَتَّى تَقُؤَا مَصْرَ البَلَاءِ الْمُطْبِقَا
إِنْ تحفظوها تحفظوا في نَسْلِكُمُ
ذِكْرًا يُخْلَدُ في الليالي رَوْنَقَا

٥١ - دعاية^(١)

وقال يداعب صديقاً له يعشق التمثيل:

[الكامل]

نُبِّئْتُ أَنْكَ تَعِشُّقُ التَّمَثِيلَا
عِشْقاً يَمِثُّلُ فِي حَشَاكَ فُصُولَا
وَتَكَادُ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ وَالْجَوَى^(٢)
أَنْ تَهْجُرَ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَا!
عَلَّيْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ فَأَصْبَحْتُ
فِي غَمْرَةٍ، وَغَدَوْتَ أَنْتَ عَلِيلاً
وَالنَّفْسُ تَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ فَحَبَّذَا
لَوْ أَنْتَ صَيَّرْتَ الْقَلِيلَ السُّوْلَا^(٣)
تَأْبَى «الْمَرَّاسِحُ»^(٤) أَنْ تُنْيَاكَ وَدَهَا
إِنْ «الْمَرَّاسِحُ» لَا تَحِبُّ ثَقِيلَا!

(١) هذا العنوان لا يوجد بالأصل.

(٢) الجوى: الحرقه وشدة الوجد.

(٣) السؤل هو السؤل، أي الشيء الذي يريده الإنسان.

(٤) هكذا كانت تُنطق هذه الكلمة، أحياناً، في ذلك العصر!

٥٢ - أيا نيل

[الطويل]

وقفتُ ضحىً في شاطئ النيل وقفةً
يخزنُ بها إلا على النيل شاعره
تهللَ حتى كاد يبدو ضميره
وعبسَ حتى كاد يُشكِلُ ظاهره
فطوراً أجيلُ الطرفَ في صفحاته
وطوراً أجيلُ الطرفَ فيما يُجاوره
فتمَّ جلالُ يملأ النفسَ هيبةً
وتمَّ جمالُ يملأ العينَ باهره
والحظُّ شمسَ الأفقِ وهي مُطلَّةُ
تسايرُ فيه ظلَّها إذ تُسَايره
فأحسبُها فيه تُساهمني الهوى
وتُحسبُني فيها الغرامُ أشاطره
إذا هي ألقتُ في حواشيه نورها
رأى التَّبرَ يجري في حواشيه ناظره
أطالتُ به التَّحديقَ حتى كأنما
تحاولُ منه أن تبينَ سرائره
فيألهما إلفينِ باتا بمعزلٍ
يخامرُها من حُبِّه ما يخامرُه
يروحُ النسيمُ الرطبُ في جنباته
يداعبُه طوراً، وطوراً يحاورُه

وَتَقْبِضُ مِنْ مَبْسُوطِهِ نَفَحَاتَهُ
كَمَا قَبِضَ الثُّوبَ الْمَطْرَزَ نَاشِرَهُ
فَيَصْدِفُ عَنْهُ وَهُوَ دَاجٍ مَقْطَبٌ
كَأَنَّ عَدُوًّا بِالنَّسِيمِ يُحَازِرُهُ
كَأَنِّي بِهِ سِفْرٌ تَدَانَتْ سَطَوْرُهُ
أَوَائِلُهُ قَدْ شُكِّلتْ وَأَوَاخِرُهُ
إِذَا مَا جَلَا لِلنَّظَرَيْنِ رَمُوزُهُ
تَجَلَّى لَهُمْ مَاضِي الزَّمَانِ وَحَاضِرُهُ
أَيَا نَيْلُ! نَبِّئْنِي أَحَادِيثَ مِنْ مَضُورًا
لَعَلَّ شِفَاءَ النَّفْسِ مَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ
حَيَالُكَ صَبٌّ بِالْخُطُوبِ مَهْدَدٌ
جَوَانِحُهُ رَهْنُ الْهَمُومِ وَخَاطِرُهُ
أَطَاعَ شَجُونًا لَوْ أَطَاعَ فَوَادَهُ
عَلَيْهَا لِفَاضَتْ بِالنَّجِيعِ مُحَاجِرُهُ
يَحُثُّ إِلَيَّ الدَّهْرُ كُلُّ رَزِيئَةٍ،
عَلَى عَجَلٍ، حَتَّى كَأَنِّي وَاتِرُهُ
وَمَا أَنَا بِالْعَبْدِ الَّذِي يَرْهَبُ الْعَصَا
وَلَكِنِّي حُرٌّ تَرُوعُ بِوَادِرِهِ
أَيَا نَيْلُ! فَاْمْنَحْنِي عَلَى الْحَقِّ قُوَّةً
فَمَا سَوْدَ الضَّرْغَامِ إِلَّا أَظَافِرُهُ
وَهَبْنِي بِأَسَاءٍ يَسْكُنُ الدَّهْرُ عِنْدَهُ
فَقَدْ طَالَمَا جَاشَتْ عَلَيَّ مَنَاخِرُهُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ عَوْنُ الشَّجِيِّ عَلَى الْأَسَى
فَخَازِلُهُ فِيهِ سِوَاءٌ وَنَاصِرُهُ

قني اليأس، وامنعُ شعبَكَ الضعْفَ يَتَّقِي
وَيُنْصِفُهُ مِنْ حُسَّادِهِ مِنْ يُنَاكِرُهُ^(١)
هو الدهرُ من ضِدِّين: ذُلٌّ وَعِزَّةٌ
فَمَنْ ذُلٌّ شَاكِيَهُ، وَمَنْ عَزٌّ شَاكِرُهُ
وللقادر الماضي العزيمة حُلُوهُ
وللعاجز الواهي الشكيمة حَازِرُهُ^(٢)
وما الناسُ إلا القادرون على العُلا
وليست صنوفُ الطَّيرِ إلا كواسِرُهُ
ألم ترهُ مُنْذُ اسْتُلِيْنَتْ قَنَاثُهُ
تمشَّتْ إليه الحادِثاتُ تُسَاوِرُهُ
فأَرْهَقَ حتَّى مَا يَبِينُ كَلَامُهُ
وَقُيِّدَ حتَّى لَيْسَ تَسْرِي خَوَاطِرُهُ
ولو ملكوا الأقدارَ، أَسْتَغْفِرُ الَّذِي
له المُلْكُ يُوْتِيهِ الَّذِي هُوَ آتِرُهُ
لما تركوا شمسَ النهارِ يَزُورُهُ
سَنَاهَا، وَلَا زُهَرَ النجومُ تُسَامِرُهُ
يريدون أن يبقى ويذهبَ مجْدُهُ
وكيف بقاءُ الشعبِ بادَتْ مَآثِرُهُ
ف«غورست»^(٣) في مصرٍ يسدُّ سَهْمُهُ
إليه، وَقَتَّاصُ الوحوشِ يُخَافِرُهُ
يَلِجُونَ فِي إِعْنَاتِهِ، فَإِذَا شَكَا
يصيحون أن الشعبَ قد ثارَ ثَائِرُهُ

(١) ينكر حقه في الحياة.

(٢) الحزر من اللين: أشد من الحامض.

(٣) غورست هو المعتمد البريطاني في ذلك العهد.

لقد هَزَّوْا لِمَا تَنَبَّهَ بَعْضُهُ
فَلَمْ ذُعُرُوا لِمَا تَنَبَّهَ سَائِرُهُ؟
يقولون: جانٍ لا يحلُّ فَكَاكُهُ
ولو أنصفوه حُمِّلَ الإِثْمَ أَسِيرُهُ
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يُنْكِرُونَ شَعُورَهُ
وهاتَا مَجَالِيهِ وتلك مَظَاهِرُهُ
ألم يكُ في يومِ القَنَاقَةِ ثَبَاتُهُ
دليلاً على أنْ ليس تُوهَى مَرَائِرُهُ^(١)
يعزُّ على المِصْرِيِّ أنْ يحْمَلَ الأَسَى
وحاضِرُهُ يَأْبَى الهَوَانَ وغَابِرُهُ
لئنْ تَكُ للتَّارِيخِ والِلَّهِ زِينَةُ
فما زِينَةُ التَّارِيخِ إلا مَفَاخِرُهُ
رعى اللُّهُ منْ أبنائه مَنْ يَذُودُ عنْ
حِمَاهُ، وَمِنْ أَضْيَافِهِ مَنْ يُظَاهِرُهُ^(٢)
هَمْ بَعَثُوا فِيهِ الحَيَاةَ جَدِيدَةً
فَشُدَّتْ أَوَاخِيهِ^(٣) وَعَزَّتْ أَوَاصِرُهُ
وهمُ أَسْمَعُوا الأَيَّامَ صَوْتاً كَأَنَّمَا
هو الرِّعْدُ تَدْوِي فِي السَّمَاءِ زَمَاجِرُهُ
وهمُ أَطْلَقُوا أَقْلَامَهُمْ حِينَ أَصْبَحَتْ
مَكْبَلَةُ أَقْلَامُهُ وَمَحَابِرُهُ
كَذَلِكَ إِنْ يَعدَمُ أَخُو الظُّلْمِ نَاصِراً
فَلَنْ يَعدَمَ المَظْلُومُ حِراً يَنَاصِرُهُ

(١) المرّة: القوة وشدة العقل.

(٢) يسانده أو يساعده يقصد السوريين الذين وقفوا إلى جانب المصريين في المطالب الوطنية.

(٣) الأخية: عروة تُربط إلى وتد وتُشد فيها الدابة.

٥٣ . شكاة إلى صديق^(١)

[مجزوء الكامل]

وقال وقد أرسلها إلى صديق

يَا مَنْ قَرُبْتَ مِنَ الْفُقَرَاءِ
دِ وَأَنْتَ عَنْ عَيْنِي بِعِيدُ
شَوْقِي إِلَيْكَ أَشَدُّ مِنْ
شَوْقِ السَّالِمِ^(٢) إِلَى الْهَجُودِ^(٣)
أَهْوَى لِقَاءِكَ مِثْلَ مَا
يَهْوَى أَخُو الظَّمَا الْوُرُودُ
وَتَصَدَّنِّي عَنْكَ النَّوَى
وَأَصْدُ عَنْ هَذَا الصَّدُودُ
وَرَدْتُ نَمِيْقَتَكَ^(٤) الَّتِي
جَمَعْتُ مِنَ الدَّرْرِ النَّخِيْدِ
فَكَأَنَّ لِفِظِكَ لَوْلُوْ
وَكَأَنَّمَا الْقِرْطَاسُ جَرِيْدُ
أَشْكَو إِلَيْكَ وَلَا يَلَا
مُ إِذَا شَكَا الْعَانِي الْقِيُوْدُ
دَهْرًا بَلِيْدًا مَا يُنِيْدُ
لُ وَدَادَهُ إِلَّا بَلِيْدُ
وَمَعَاشِرًا مَا فِيهِمْ

(١) هذا العنوان غير موجود بالأصل.

(٢) الملدوغ.

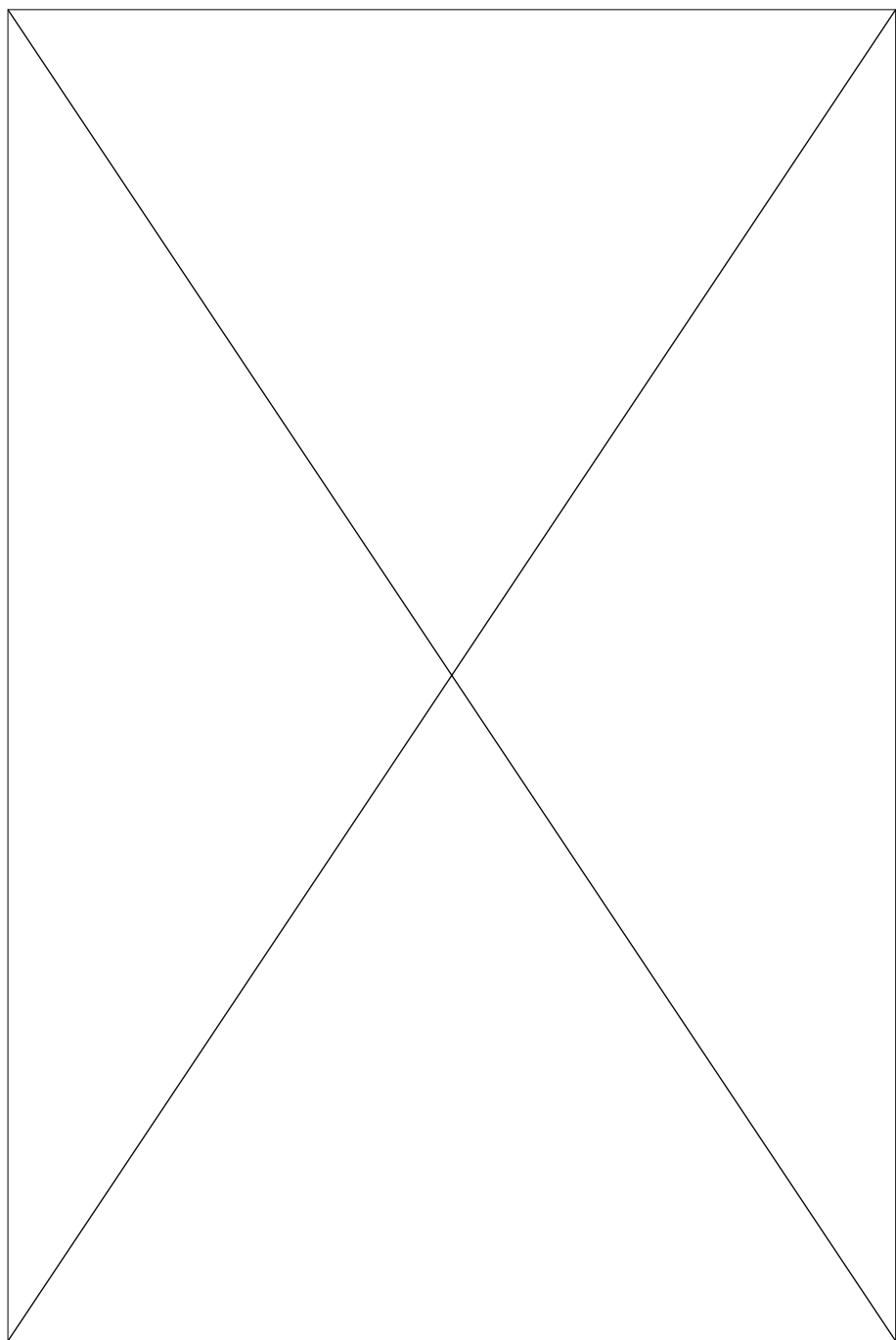
(٣) النوم.

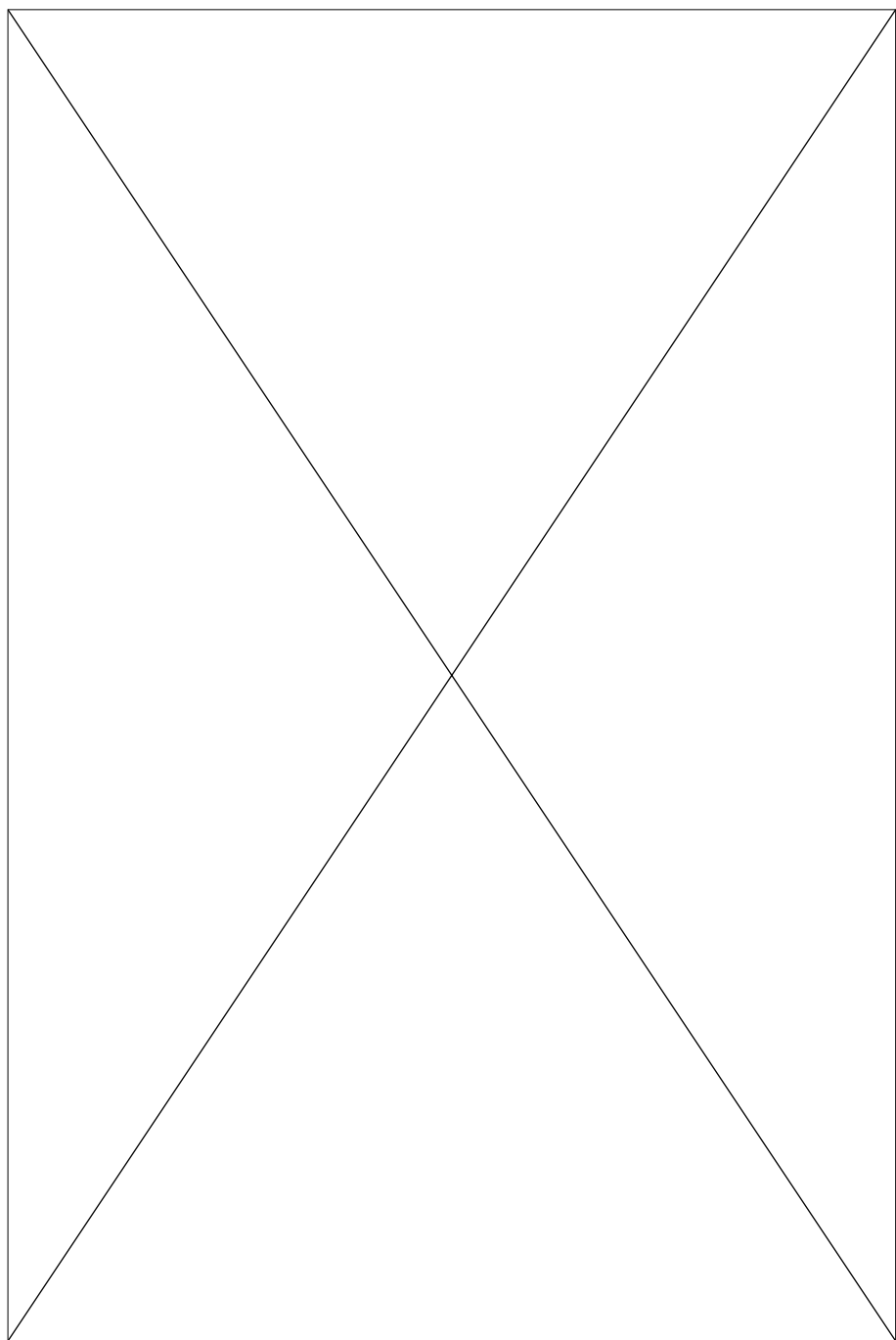
(٤) رسالتك.

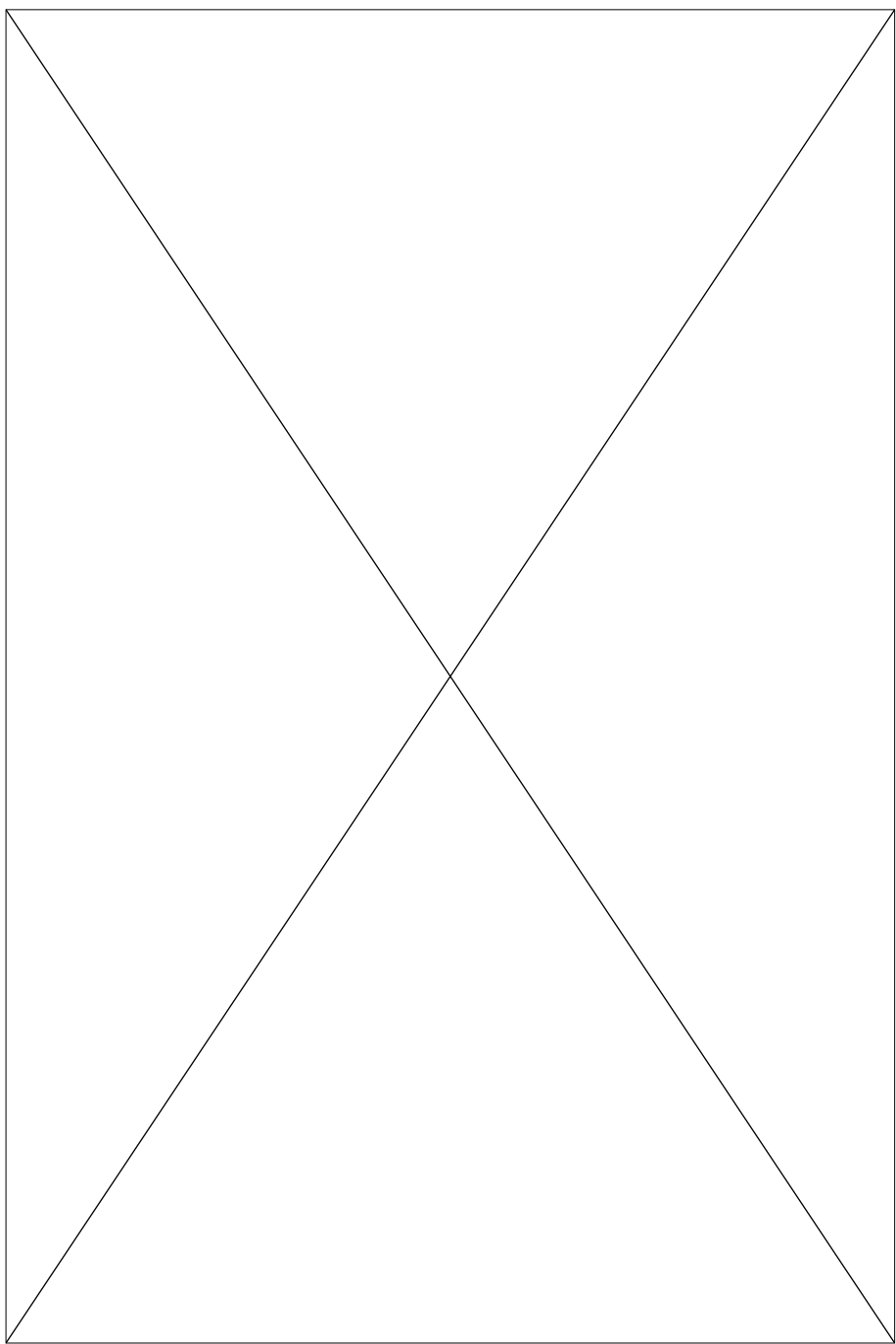
إِن جِئْتَهُمْ، غَيْرُ الْوَعُودِ
 مُتَّفَرِّجِينَ وَمَا التَّفَرُّعُ
 نَجٌّ عَنْهُمْ غَيْرُ الْجُحُودِ
 لَا يَعْرِفُونَ مِنَ الشَّجَا
 عَةَ غَيْرَ مَا عَرَفَ الْقُرُودِ
 سَيِّانٍ قَالُوا بِالرُّضَا
 عَنِّي أَوَالْسُّخْطِ الشَّدِيدِ
 مِنْ لَيْسٍ يَصْدُقُ فِي الْوَعْوِ
 دٍ فَلَيْسَ يَصْدُقُ فِي الْوَعِيدِ
 نَفَرٌ إِذَا عُدَّ الرَّجَا
 لُ عَدَدَتَهُمْ طِيَّ الْأُحُودِ
 تَأْبَى السَّمَاخَ طِبَاعُهُمْ
 مَا كُلُّ ذِي مَالٍ يَجُودُ
 أَسْخَاهُمْ بِنُضَارِهِ
 أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلَاوِدِ
 جَعَدُ الْبَنَانِ بَعْرُضَهُ
 يَفْدِي الْأُجَيْنَ مِنَ الْوُفُودِ^(١)
 وَيَخَافُ مِنْ أَضْيَافِهِ
 خَوْفَ الصَّغِيرِ مِنَ الْيَهُودِ^(٢)
 تَعَسَّ أَمْرُؤُ لَا يَسُودُ
 تَفِيدُ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا يُفِيدُ
 وَأَرَى عَدِيمَ النَّفْعِ أَنَّ
 وَجُودَهُ ضَرُرُّ الْوُجُودِ

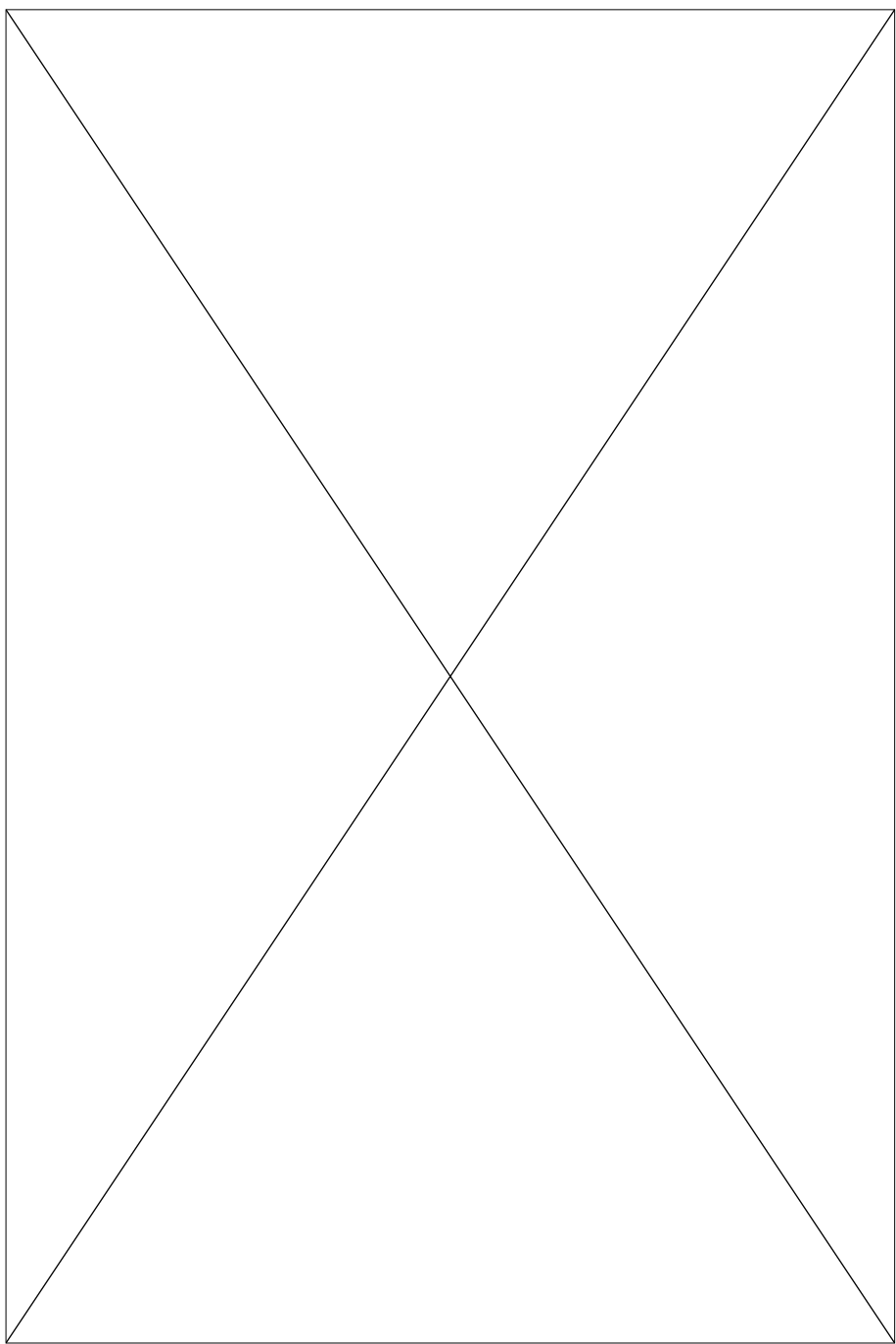
(١) جعودة البنان: كناية عن خصلة الكرم. والنضار: الذهب. واللجين: الفضة.
 (٢) الشائعة التي تقول: إن اليهود يقتلون الأطفال ويمزجون دماءهم بالفطير في الفصح.

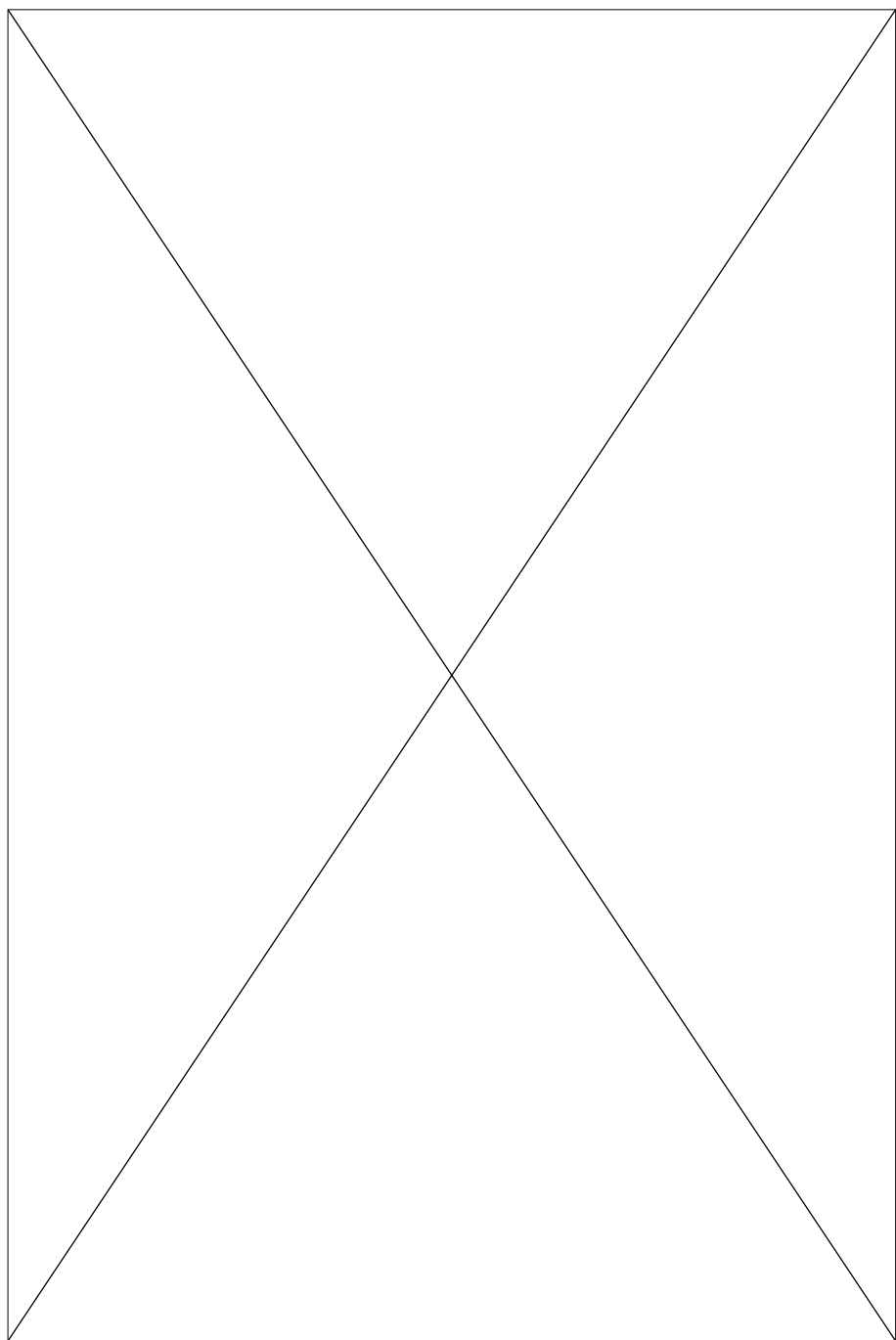
(١) قافية مشتهرة.

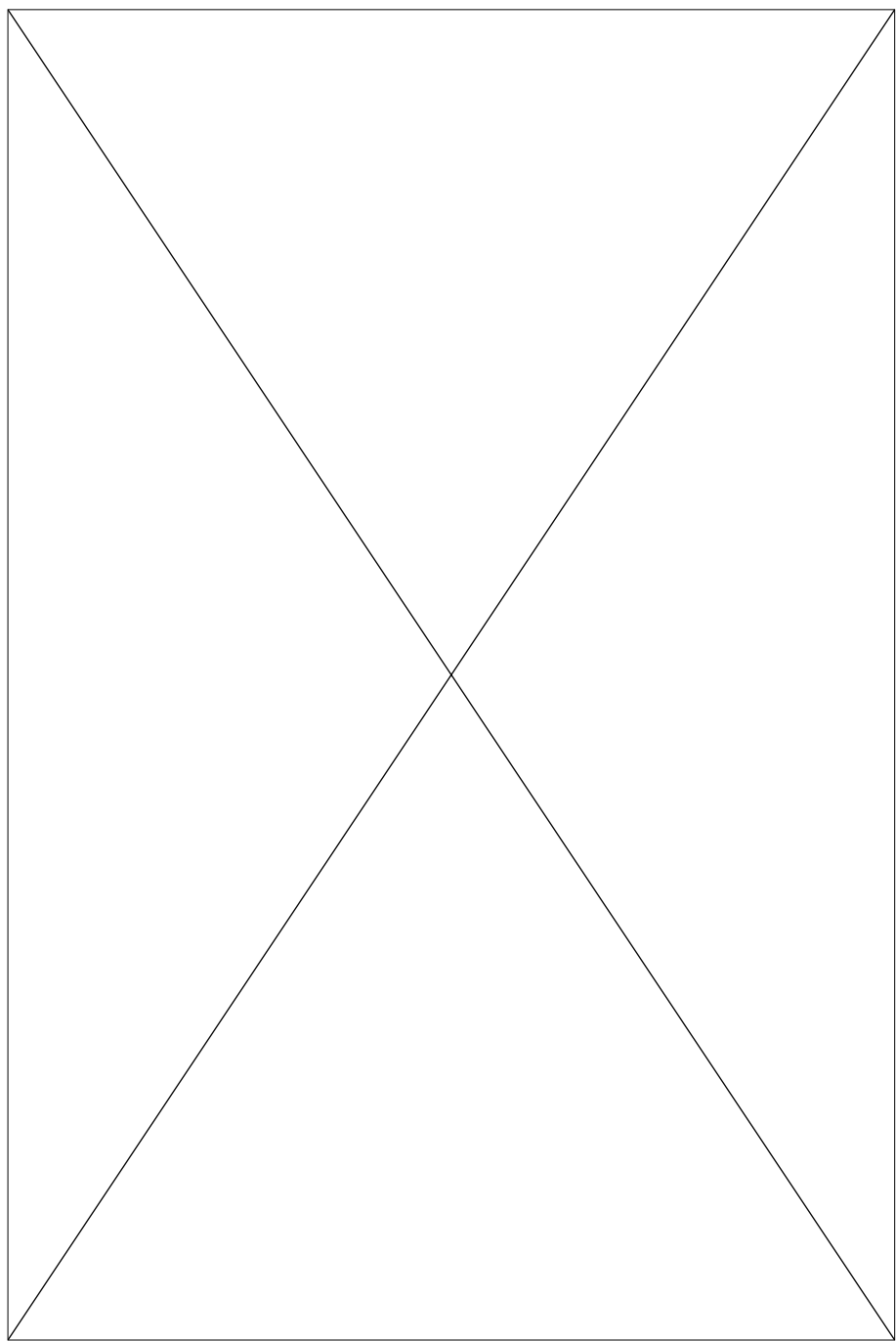


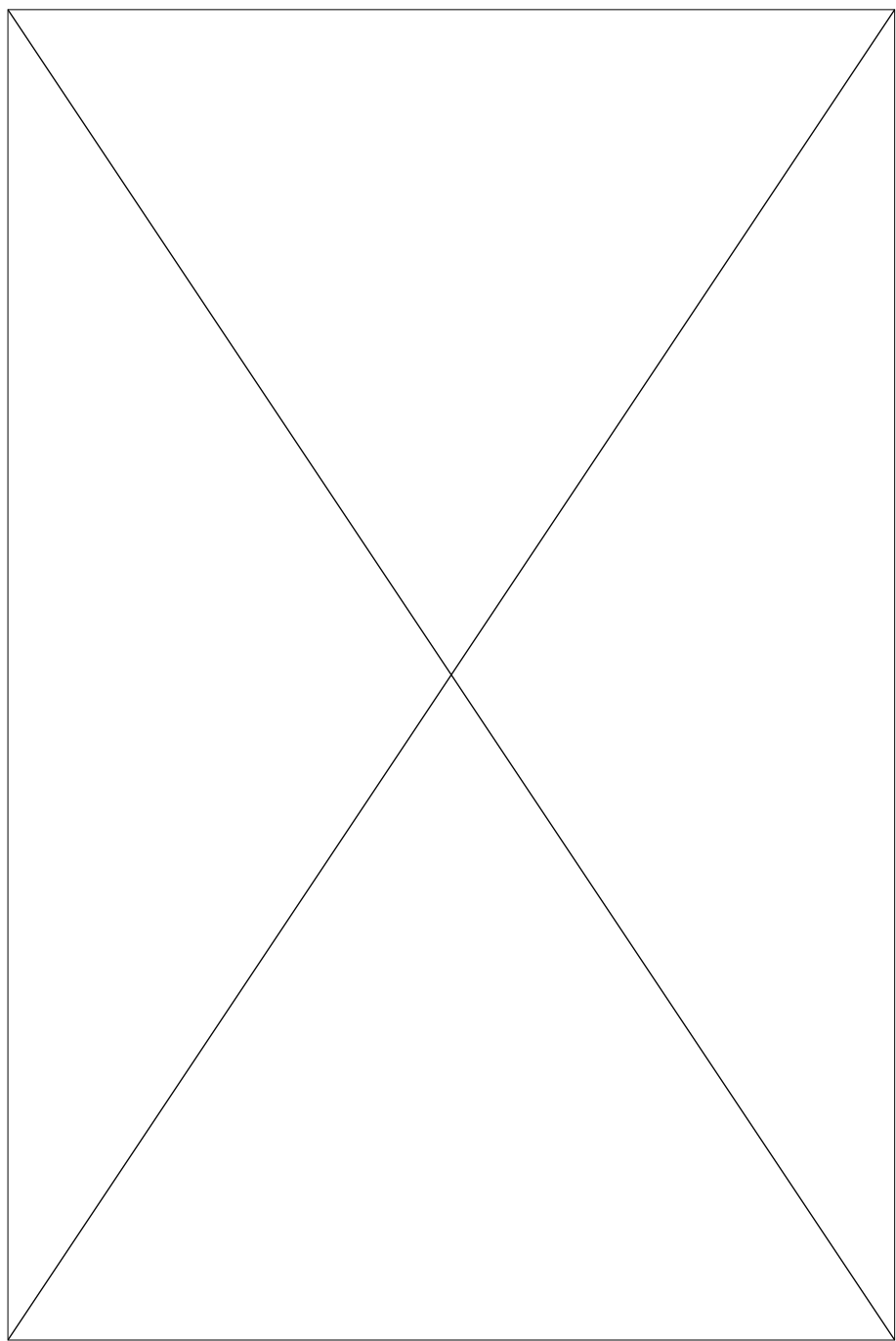


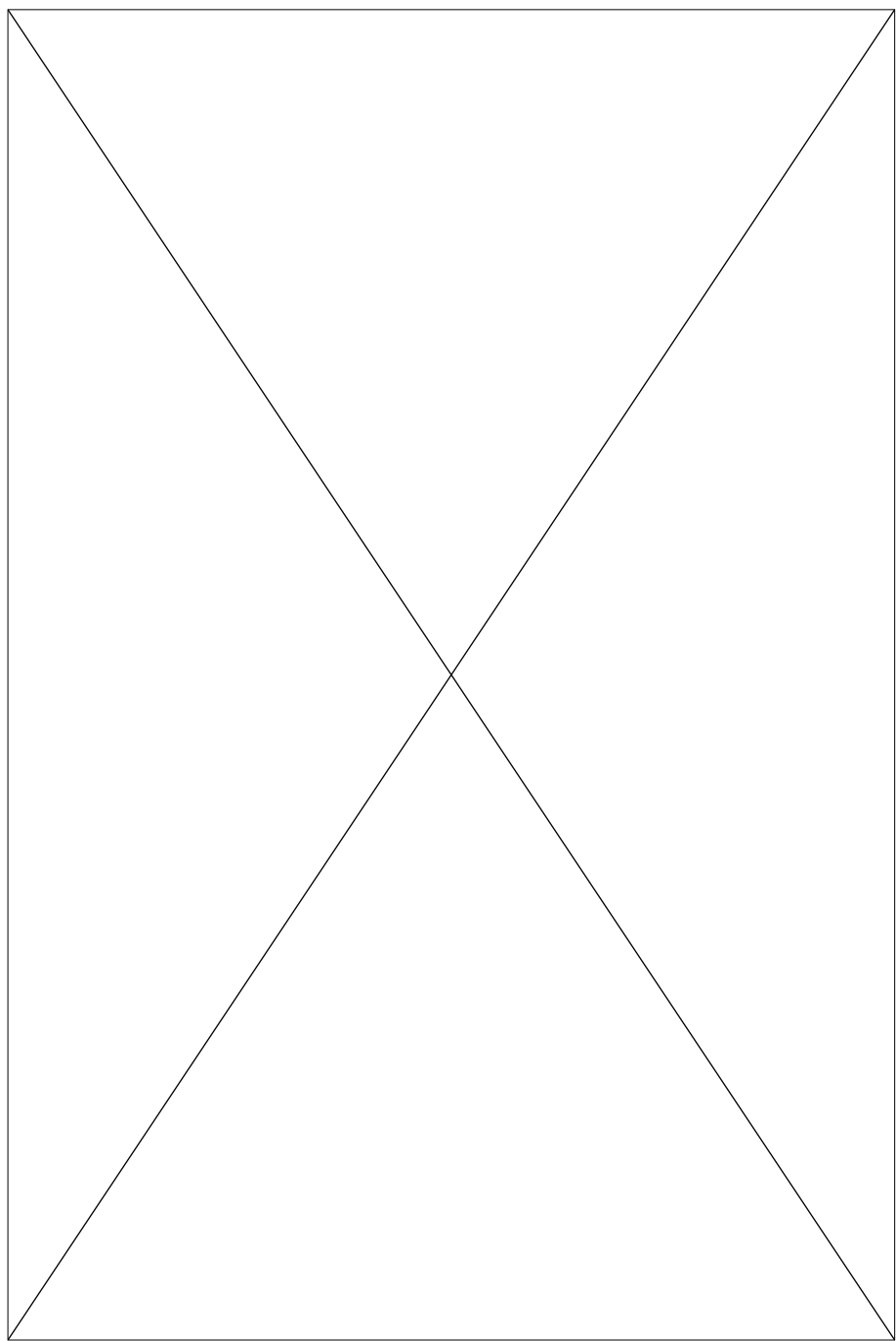


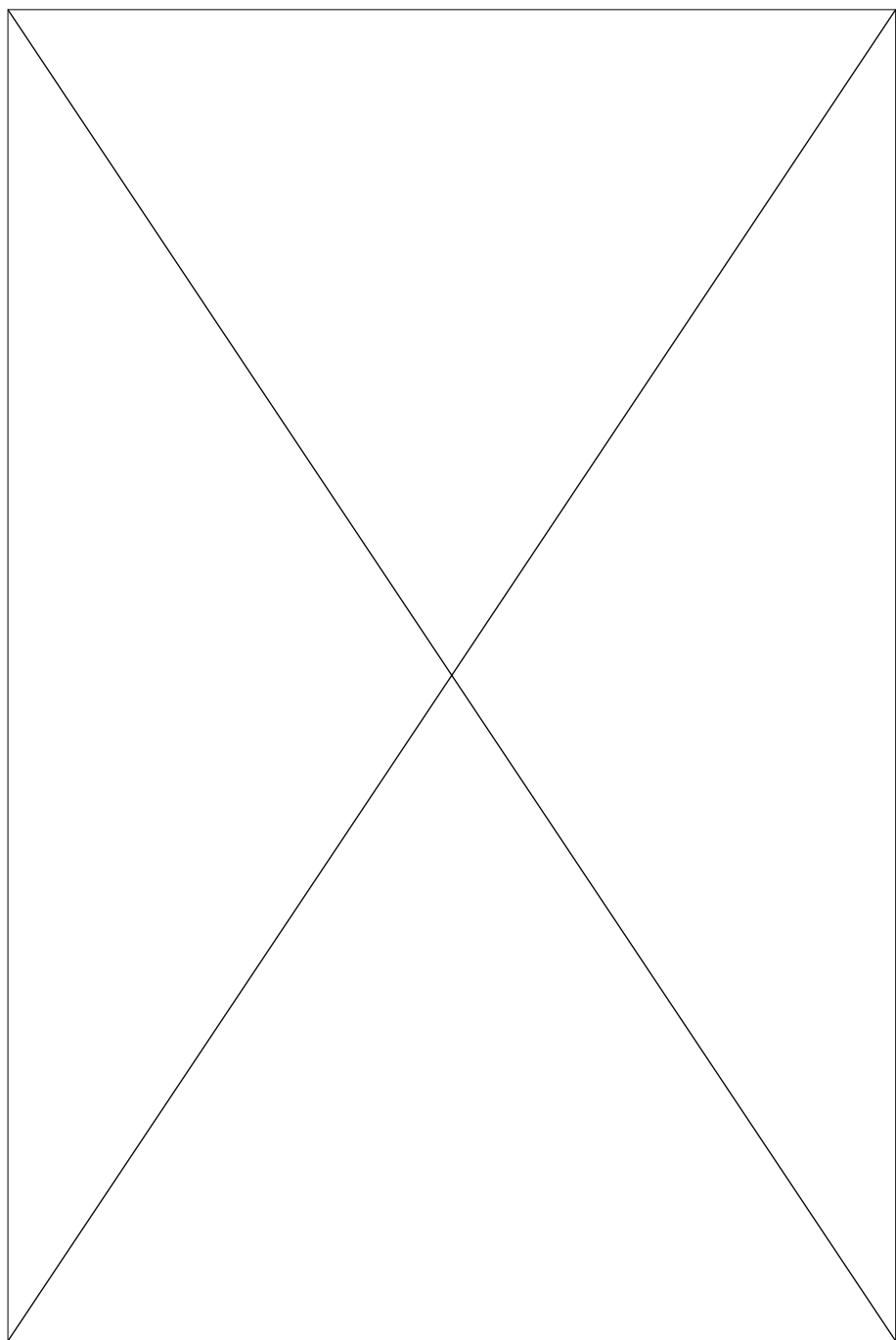


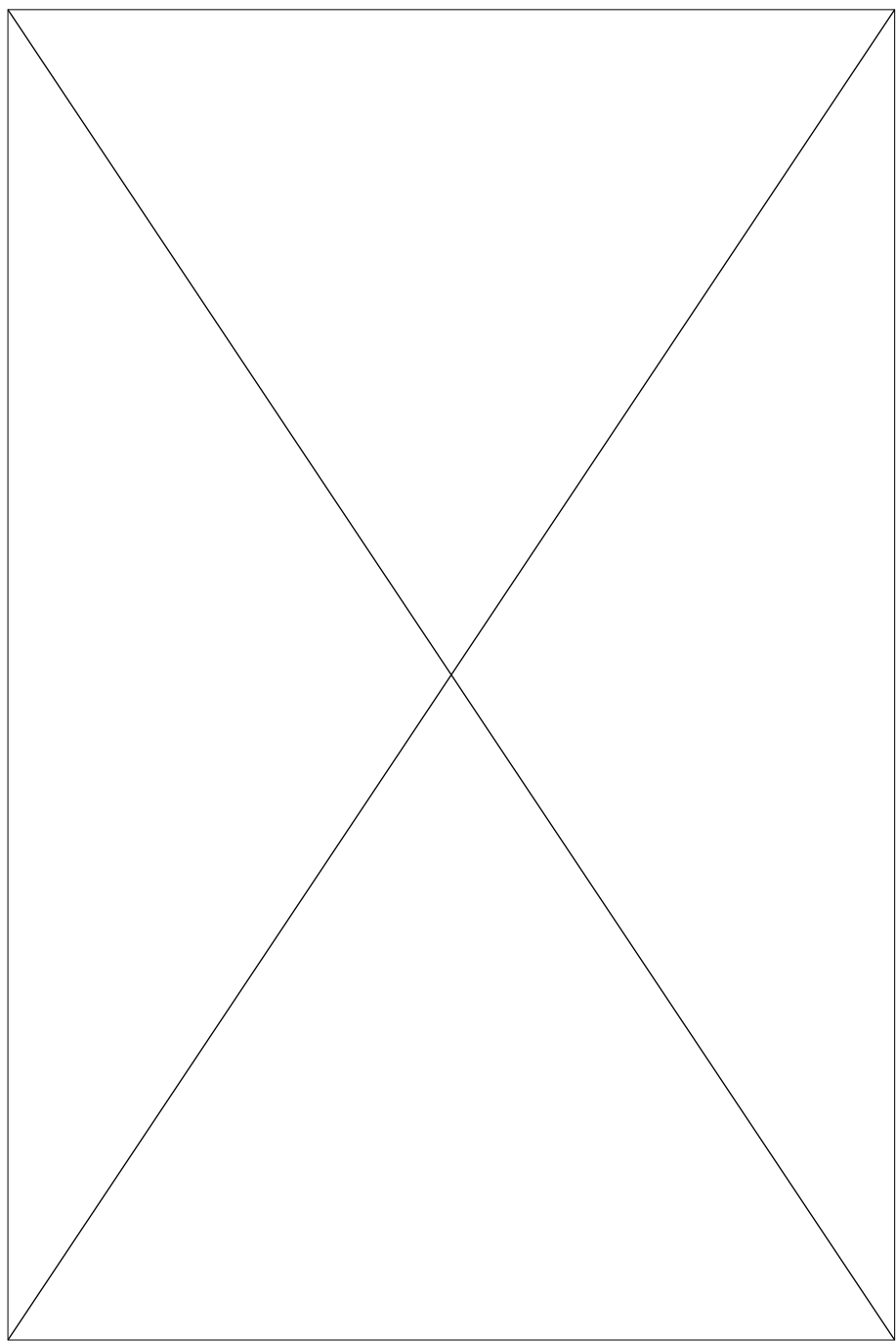












المحتوى

■ التصدير .. أ. عبدالعزيز سعود البابطين	٣
■ إيليا أبوماضي.. حياته وشعره (الأعمال الشعرية الكاملة - دراسة)، د.عبدالكريم الأشتري	٧
■ المصادر والمراجع	٧١
■ كلمة موجزة	٧٣

الديوان الأول / الجزء الأول (تذكارات الماضي)

■ إهداء الديوان	٧٩
١ - الإنسان والدين	٨٠
٢ - المرأة والمرأة	٨٣
٣ - المودة	٨٦
٤ - عن مصر	٨٨
٥ - شكوى فتاة	٩٢
٦ - إلى الشبان المتفرنجين	٩٥
٧ - هديتي	٩٧
٨ - الرجل والمرأة	١٠٢
٩ - عبّاد الذهب	١٠٤
١٠ - الإنسان والدنيا	١٠٥
١١ - وردة وأميل	١٠٦
١٢ - أنا .. هو	١١٠
١٣ - ضيف ثقيل	١١٩
١٤ - قتل نفسه	١٢١

١٢٤	١٥ - ذكرى وعبرة
١٢٦	١٦ - مصرع حبيبين
١٣٠	١٧ - معركة شمولبو
١٣٤	١٨ - في وصف رسم سياسي
١٣٦	١٩ - الكرنفال
١٣٨	٢٠ - أنا .. وهي
١٤١	٢١ - طفلة والقمر
١٤٤	٢٢ - فنون الوصف
١٤٧	٢٣ - قصيدة الطبيعة
١٤٩	٢٤ - سقوط بور آرثور
١٥٢	٢٥ - بلا قلب
١٥٣	٢٦ - لقاء وفراق
١٥٧	٢٧ - بنت الفردين
١٥٩	٢٨ - أخت ليلي
١٦٠	٢٩ - طببي الخاص
١٦٦	٣٠ - حنة مشتاق
١٦٩	٣١ - الحسن لا يشرى ولا يستجلب
١٧١	٣٢ - أنا إمام الذين هاموا
١٧٣	٣٣ - الرزء الأليم
١٧٥	٣٤ - الخطب الفادح
١٧٨	٣٥ - فقيد الوطنية
١٨١	٣٦ - كل من عليها فان
١٨٤	٣٧ - البدر الآفل

١٨٨	٣٨ - أنا والنجم
١٩١	٣٩ - في سبيل الإصلاح
١٩٤	٤٠ - الحرية
١٩٦	٤١ - تحية الدستور العثماني
٢٠٠	٤٢ - عبد الحميد بعد إعلان الدستور
٢٠٣	٤٣ - الذئاب الخاطفة
٢٠٥	٤٤ - مريض بالغرور
٢٠٧	٤٥ - عفو بغير مقدرة
٢٠٩	٤٦ - فتنة ١٣ إبريل
٢١٤	٤٧ - الكبرياء خلة الشيطان
٢١٥	٤٨ - أيها القلم
٢١٧	٤٩ - مصر والشام
٢٢٠	٥٠ - عام ١٩١٠
٢٢٤	٥١ - دعاية
٢٢٥	٥٢ - أيا نيل
٢٢٩	٥٣ - شكاة إلى صديق
٢٣١	٥٤ - الشعر والشعراء
٢٤٤	■ المحتوى

الديوان الثاني

(ديوان إيليا أبي ماضي - الجزء الثاني)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩١٩) وأعيد طبعه^(١) في كتاب عنوانه: (إيليا أبو ماضي، شاعر المهجر الأكبر) دار اليقظة العربية - دمشق ١٩٥٤.

أكبر دواوين أبي ماضي، يزيد ما جُمع فيه على ألفي بيت، موزعة على تسعة وسبعين نصاً شعرياً، ضم نتاج السنين الثماني التي أعقبت صدور ديوانه الأول - وعده هو الجزء الأول (١٩١١ - ١٩١٩) - إلى ما امتنع عن نشره فيه، وهو في مصر، لدواع مختلفة. وقدم له - وقد سماه: الجزء الثاني من ديوانه - جبران خليل جبران، بعد ظهور الرابطة القلمية (١٩١٦) وقبل نشرها مجموعتها المعروفة (١٩٢١) بسنتين.

(١) باستثناء نصين لم أقع عليهما في مكان آخر: إهداء الديوان إلى تاجر السجاد الشرقي، في نيويورك (نعمة تادرس - ١٣ بيتاً)، وقصيدة معربة عن الإنجليزية عنوانها (نشيد التباراري - ٢١ بيتاً). ونصين آخرين، وقعتُ عليهما في الديوان الذي نشرته دار العودة، بيروت ٢٠٠٢.

مقدمة

الشعر عاطفة تتشوق إلى القصي غير المعروف فتجعله قريباً معروفاً، وفكرة تناجي الخفي غير المدرك فتحوله إلى شيء ظاهر مفهوم.

أما الشاعر فهو مخلوق غريب ذو عين ثالثة معنوية ترى في الطبيعة ما لا تراه العيون، وأذن باطنية تسمع من همس الأيام والليالي ما لا تعيه الأذان.

ينظر الشاعر إلى وردة ذابلة فيرى فيها مأساة الدهور، ويشاهد طفلاً راكضاً وراء الفراشة، فيرى فيه أسرار الكون، ويسير في الحقل فيسمع أغاني البلابل والشحارير وليس هناك شحارير ولا بلابل، ويمشي في العاصفة فيخوض غمار معركة هوجاء بين جيوش الأرض وفيالق السماء.

يقف الشاعر أمام شلال، فيقول:

فيه من السَّيفِ الصَّقِيلِ بَرِيقُهُ

وله ضَجِيجُ الجَحْفَلِ الجَرَّارِ

أبداً يَرشُ صَخُورَهُ بدموعه

أُثْرَاهُ يَغْسِلُهَا من الأوزارِ

ويرفع عينيه ليلاً نحو السماء، فيصرخ :

أَبْكِ وتُصْغِي إلى بَكائي

يا رَبِّ هل تَعْشِقُ النَجُومَ؟

ويلتقي بحبيبه فيهمس:

وَدِدْتُ الإِفَاضَةَ قَبْلَ الإِقَاءِ

فَلَمَّا لَقِيتُكَ لَمْ أَنْبَسِ

وَيْتٌ وَإِيَّاكَ فِي مَعَزَلٍ كَأَنِّي وَإِيَّاكَ فِي مَجْلَسٍ

يرى الشاعر ويسمع كل هذه الأمور من خلال برقع الحياة، وأنت واقف بجانبه لا ترى غير مظاهرها الخارجية، ولا تسمع سوى أصواتها المشوشة، فتقول في ذاتك: يا له من خياليِّ مجنون، يتمسك بخيوط العنكبوت ويصعد نحو النجوم على سلم مصنوع من أشعة القمر، ويحاول أن يملأ جرّته من ندى الصباح، بل من السراب! إي، فالشاعر يصعد إلى الملاء الأعلى ولكن على سلم أقوى وأبقى من الجبال - يصعد بعزم الروح، ويتمسك بجبال غير منظورة، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد - يتمسك بجبال الفكر، ويملاً كأسه من عصير أرقٍّ من ندى الفجر - يملؤها من خمرة الخيال. والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح.

الشاعر يفعل كل ذلك وأنت على الأرض، لا تستطيع المسير إلا على قدميك، ولا الصعود إلا على سلم من خشب، ولا السُّكْر إلا من عصير العنب، ولا المسرّة إلا بالريح، ولا الألم إلا بالخسارة.

الشاعر طائر غريب يُفَلّت من الحقول العلوية، ولكنه لا يبلغ الأرض حتى يحنّ إلى وطنه الأول، فيغرّد حتى في سكوته، ويسبح في فضاء لا حدّ له ولا مدى، مع أنه في قفص.

وإيليا أبو ماضي شاعر، وفي ديوانه هذا سلالم بين المنظور وغير المنظور، وحبال تربط مظاهر الحياة بخفائها، وكؤوس مملوءة بتلك الخمرة التي إن لم تشفّها تظلّ ظمناً حتى تمل الآلهة البشر، فتغمرهم ثانية بالطوفان.

جبران خليل جبران

١ - إهداء الديوان (*)

(ثلاثة عشر بيتاً) إلى الثريِّ «نعمة تادرس» تاجر السجاد الشرقي في نيويورك، وقد تمَّ طبع الديوان على نفقته.

(٢ / ٦ / ١٩١٩ وهو تاريخ صدور الديوان)

(*) لم نعتز عليها.

٢ - الشاعر

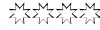
[مختلط]

قالتُ وصفتُ لنا الرحيقَ وكوبَها
وصريعَها ومديرَها والعاصِرَ
والحقلَ والفلاحَ فيه سائراً
عند المساءِ يرعى القطيعَ السائرَ
ووقفتُ عند البحرِ يهدرُ موجهُ
فرجعتُ بالألفاظِ بحرّاً هادراً
صوّرتُ في القرطاسِ حتى الخاطراً
فخلبتُنا وسحرتُ حتى السّاحراً
وأريتُنا في كلِّ قفْرِ روضةٍ
وأريتُنا في كلِّ روضٍ طائراً
لكنّ إذا سألَ امرؤُ عنكَ امرأً
أبصرتُ محتاراً يخاطبُ حائراً
من أنتِ يا هذا؟ فقلتُ لها: أنا
كالكهرباءِ أرى خفياً ظاهراً
قالت: لعمركُ زدتَ نفسي ضلالةً
ما كان ضركُ لو وصفتُ الشاعرَ؟



فأجبتُها: هو من يسألكُ نفسه
عن نفسه، في صُبْحِهِ ومَسَائِهِ
والعين سرٌّ سُهادِها ورُقَادِها
والقلب سرٌّ قُنُوطُهُ ورجائُهُ

فِيحَارُ بَيْنَ مَجِيئِهِ وَذَهَابِهِ
 وَيَحَارُ بَيْنَ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ
 وَيَرَى أَقْوَلَ النَجْمِ قَبْلَ أَقْوَلِهِ
 وَيَرَى فَنَاءَ الشَّيْءِ قَبْلَ فَنَائِهِ
 وَيَسِيرُ فِي الرُّوضِ الْأُغْنَى فَلَا تَرَى
 عَيْنَاهُ غَيْرَ الشُّوْكِ فِي أَرْجَائِهِ
 إِنَّ نَامَ لَمْ تَرْقُدْ هَوَاجِسُ رُوحِهِ
 وَإِذَا اسْتَفْأَقَ رَأْيَتَهُ كَالْتَّأَنِّهِ
 مَا إِنَّ يُبَالِي ضِحْكَنَا وَبُكَائَنَا
 وَيُخَيِّفُنَا فِي ضِحْكِهِ وَبُكَائِهِ
 كَالنَّارِ يَلْتَهُمُ الْعَوَاطِفَ عَقْلُهُ
 فَيُمِيتُهَا وَيَمُوتُ فِي صَحْرَائِهِ!



قَالَتْ: أَتَعْرِفُ مَنْ وَصَفْتُ؟ فَقُلْتُ: مَنْ؟
 قَالَتْ: وَصَفْتَ الْفِيلَسُوفَ الْكَافِرَا
 يَا شَاعِرَ الدُّنْيَا وَفِيكَ حَصَافَةٌ
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ وَصَفْتَ الشَّاعِرَا؟



فَقُلْتُ: هُوَ أَمْرُو يَهُوَى الْعُقَارَا^(١)
 كَمَا يَهُوَى مُغَازِلَةَ الْعَذَارَى
 إِذَا فَرَعَتْ مِنَ الرَّاحِ الدُّنَّانُ
 تَوَهُمَ أَنَّ مَا فَرَعَ الزَّمَانُ
 يُعَاقِرُهَا عَلَى ضَوْءِ الدَّرَارِي^(٢)
 فَإِنَّ غَرَبْتُ، عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ

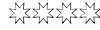
(١) الْعُقَار: الخمر. وَالْعُقَار (بالتشديد) أصل الدواء، والعُقَار (بالتخفيف): الأرض والضياع والنخل.

وَيَحَسَبُ مَهْرَجَانَ النَّاسِ مَاتَمُ
 بِلا خَمَرٍ، وَجَنَّتْهُمْ جَهَنَّمُ
 مَالُولٌ لَا يَدُومُ عَلَى وِلَاءٍ
 وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى عِدَاءٍ
 أَخْـوَلُبٌ وَلـكِنْ لَا إِرَادَةَ
 وَذُو زَهْدٍ وَلَكِنْ بِالزَّهَادَةِ
 يَمِيلُ إِلَى الدُّعَابَةِ وَالْمُزَاحِ
 وَلَوْ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ
 وَيُوشِكُ أَنْ يُقَهِّقَهُ فِي الْجَنَازَةِ
 وَيَرْقُصَ كَالْعَوَاصِفِ فِي الْمَفَازَةِ
 إِذَا بَصُرَتْ بِهِ عَيْنُ الْأَدِيبِ
 فَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى رَجُلٍ مُرِيبٍ
 يُعَنِّفُهُ الصَّحَابُ فَلَا يُنِيبُ
 وَيَزْجُرُهُ الْمَشِيبُ فَلَا يَتُوبُ
 فَقَالَتْ: جِئْتَ بِالْكَلِمِ الْبَدِيعِ
 وَلَكِنْ مَا وَصَفْتَ سِوَى «الْخَلِيعِ»!



وَخِفْتُ إِعْرَاضَهَا عَنِّي فَقُلْتُ: إِذَنْ
 هُوَ الَّذِي أَبْدَأُ يَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ
 كَأَنَّمَا لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سِوَاهُ فَتًى
 مَعْرُضٌ لَخَطُوبِ الدَّهْرِ وَالْمَحَنِ
 يَشْكُو السَّقَامَ وَمَا فِي جِسْمِهِ مَرَضٌ
 وَالسُّهْدَ وَهُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْوَسَنِ
 وَالْهَجَرَ، وَهُوَ بِمَرَأًى مِنْ أَحَبَّتِهِ
 وَالْأَسْرَ، وَهُوَ طَلِيقُ الرُّوحِ وَالْبَدَنِ

ولا يرى حَسَناً في الأرض يَأْلَفُهُ
أو يشتَهِيه، وكم في الأرض من حَسَنٍ!
ينوحُ في الرُّوضِ والأشجارِ مَورِقَةً
كما ينوحُ على الأطلالِ والدِّمَنِ
فقاطعتَنِي وقالت: قد بَعُدْتَ بنا
ما ذي الصفاتِ صفاتِ الشاعِرِ الفَظَنِ



قلت: مهلاً إذا ضاللتُ وعذراً
ربما أخطأ الحَكِيمُ وضالاً
هو مَنْ تَرَسَّمُ الجمالَ يداهُ
فنراه في الطَّرْسِ أشهى وأحلى
لوذَعِي^(١) الفؤادِ يلعب بالألذَّ
بَبابِ لَعْباً إن شاء أن يتسلى
وئرينا ما ليس يَبْقَى سيبقى
وئرينا ما ليس يَبْلَى سيبلى
يطبَعُ الشُّهْبَ للأنامِ نقوداً
وهو يشكو الإملاقَ كيف تولَّى
أفهدا مَنْ تبتغينَ وأبغِي
وصَفَّهُ؟ قالت المَليحَةُ: كلاً!..



يا هذه إنِّي عَيِيتُ بوصفهِ
وعَجَزْتُ عن إدراكِ مَكنوناته
لا تستطيع الخمرُ سَرْدَ صفاته
والروضُ وصفَ زهوره ونباته

(١) اللوذعي: الحديدُ الفؤادِ واللسان، الظريفُ السريعُ الإدراك (من اللذع: حدة النار).

هو من نراه سائراً فوق التُّرى
وكأنَّ فوق فؤاده خطواته
إنَّ نواح فالأرواح في عَبْرَاتِه
وإذا شدا فالحبُّ في نغماته
يبكي مع النائي على أوطانه
ويشارك المحزون في عَبْرَاتِه
وتُغيِّرُ الأيامُ قلبَ فتاته
ويظلُّ ذا كَأَفٍ بقلب فتاته
هو من يعيشُ لغيره ويظنُّه
مَنْ ليس يفهمه، يعيشُ لذاته!!!

٣ - فلسفة الحياة

[الخفيف]

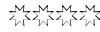
أيهذا الشَّاكي وما بك داءٌ
كيف تغدو إذا غدوتَ عليلاً؟
إنَّ شرَّ الجناةِ في الأرضِ نفسٌ
تتوقَّى، قبلَ الرحيلِ، الرِّحِيلَا
وترى الشُّوكَ في الورودِ، وتعمى
أن ترى فوقَها النُّدى إكليلاً
هو عبءٌ على الحياةِ ثَقِيلٌ
مَنْ يظنُّ الحياةَ عِبْئاً ثَقِيلاً
والذي نفسُه بغيرِ جمالٍ
لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلاً
ليس أشقى مِمَّن يرى العيشَ مُرّاً
ويظنُّ اللُّذاتِ فيه فُضُولاً
أحْكُمُ الناسَ في الحياةِ أناسٌ
علَّوها فأحسنوا التَّعليلاً
فتمتَع بالصُّبحِ ما دُمْتَ فيه
لا تخفُ أن يزولَ حتى يزولا
وإذا مــــا أظلَّ رأسُكَ همٌ
قصرَ البَحثِ فيه كيلاً يطولا
أدركتُ كُنْهَهَا طيورُ الرُّوابي
فَمِن العارِ أن تظلَّ جَهُولاً

ما تراها، والحقلُ ملكُ سِواها
تخذتُ فيه مسرَحاً ومَقِيلاً
تَتَغَنَّى، والصقْرُ قد مَلَكَ الجَوَّ
عليها، والصائدونَ السَّبِيلاً
تَتَغَنَّى، وقد رأتُ بعضَها يُؤْ
خَذُ حَيّاً والبعضُ يَقْضِي قَتِيلاً
تَتَغَنَّى، وعمرُها بعضُ عامٍ
أَفْتَبِكِي وقد تعيشُ طويلاً؟
فهِيَ فوقَ الغصونِ في الفجرِ تتلو
سُورَ الوَجْدِ والهوى ترتيلاً
وهيَ طوراً على التُّرى واقعاتُ
تُلْقُطُ الحبَّ أو تجرُّ الذِيولاً
كأَما أَمْسَكَ الغصونَ سَكُونُ
صَفَّقَتْ للغصُونِ حتى تَمِيلاً
فإذا ذهبَ الأَصِيلُ الرُّوابي
وقفتُ فوقها تُنَاجِي الأَصِيلاً
فاطْلُبِ اللّهُوَ مثلاً تَطْلُبُ الأَطْ
يَارُ عندَ الهَجِيرِ ظلاً ظَلِيلاً
وتعلَّمْ حبَّ الطَّبِيعَةِ منها
واتركِ القَالَ للورى والقِيلاً
فالذي يَتَّقِي العَوَازِلَ يَلْقَى
كلَّ حينٍ، في كلِّ شَخْصٍ عَزُولاً



أَنتِ لِلأَرْضِ أَوَّلاً وأَخِيراً
كُنْتَ مَلِكاً أو كُنْتَ عَبِداً ذَلِيلاً

لا خلودٌ تحت السَّماءِ لحيٍّ
فلماذا تُراودُ المستَحِيلًا؟..
كلُّ نجمٍ إلى الأفقِ ولولكنْ
أفلةُ النجم أن يَخَافَ الأفقُولا
غايةُ الورْدِ في الرياضِ ذُبُولُ
كن حكيماً واسبقْ إليه الذُّبُولَا
وإذا ما وَجَدْتَ في الأرضِ ظلاً
فتتفياً به إلى أن يَحُولَا
وتوقَّعْ، إذا السماءُ اكفهرتْ
مطراً في السُّهولِ يُحيي السُّهولَا
قلْ لقومٍ يستنزفونَ المآقي
هل شَفِيتُمْ مع البكاءِ غليلاً؟
ما أتينا إلى الحياة لنَشَقِيَ
فأريحوا، أهلَ العقولِ، العقولَا
كلُّ مَنْ يَجْمَعُ الهمومَ عليه
أخذتهُ الهمومُ أخذاً وبِئلاً



كن هَزَاراً في عُشِّه يتغنى
ومعَ الكَبَلِ لا يبالِي الكُبُولَا
لا غراباً يطاردُ الدُّودَ في الأرْ
ضِ، وبوماً في الليلِ يبكي الطُّلولَا



كن غديراً يسير في الأرضِ رَقْرا
قاً فيسقي من جانبيه الحُقُولَا
تستحمُّ النجومُ فيه ويلقى
كلَّ شخصٍ وكلَّ شيءٍ مَثِيلَا

لا وعاءٌ يقيّدُ الماءَ حتى
تستحيلُ المياهُ فيه وحولا



كنْ مع الفجرِ نَسَمَةً تُوسِعُ الأَرْضَ
هَارَ شَمًّا، وتارةً تَقْبِيلا
لا سَمُوماً من السَّوافي^(١) اللواتي
تملأُ الأرضَ في الظلامِ عَوِيلا
ومعَ الليلِ كوكباً يونسُ الغَا
باتِ والنَّهْرَ والرُّبَا والسُّهُولا
لا دَجَى يكرهُ العوالمَ والنَّنا
سَ فيُلقي على الجميعِ سُدُولا



أيهذا الشَّاكي وما بكَ داءٌ
كنْ جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً

(١) السافية: الريح التي تسفي التراب (تذروه).

٤ - أم القرى

[الكامل]

أبصرتُها، والشمسُ عند شروقِها
فرايتُها مغمورةً بالنَّارِ
ورأيتُها عند الغروب غريقةً
في لُجَّةٍ من سُندُسٍ ونُضارٍ^(١)
ورأيتُها تحت الدُّجى، فرايتُها
في بُردَتَيْنِ: سَكينةٍ ووقارٍ
فتنبَّهتُ في النفس أحلامُ الصُّبا
وغرقتُ في بحرٍ من التَّذكارِ



نفسي لها من جَنَّةٍ خَلَابَةٍ
نسجتُ غلائلَها يدُ الأمطارِ
أنى مشيتُ نشَقْتُ مِسْكَاً أَذْفَرَاً^(٢)
في أرضِها وسمعتُ صوتَ هَزارٍ^(٣)



ذاتَ الجبالِ الشَّامِخَاتِ إلى العُلا
يا ليتَ في أعلى جبالِكَ داري
لأرى الغزاةَ قبل سُكَّانِ الحمى
وأعانقَ النَّسَمَاتِ في الأسْحرِ

(١) السُّندُسُ: رقيق الديباج ورفيعه. والنُّضارُ: الذهب الخالص.

(٢) الذَّفَرُ: شدة ذكاء الريح من الطيب.

(٣) الهزار: طائر العنديل.

لأرى رُعَاتِكَ فِي الْمُرُوجِ وَفِي الرُّبَا
وَالشَّاءَ سَارِحَةً مَعَ الْأَبْقَارِ
لأرى الطِّيُورَ الْوَاقِعَاتِ عَلَى الثُّرَى
وَالنَّحْلَ حَائِمَةً عَلَى الْأَزْهَارِ
لَأَسَاجِلَ الْوَرَقَاءِ فِي تَغْرِيدِهَا^(١)
وَتَهْزُؤِ رُوحِي نَفْحَةً الْمَزْمَارِ
لَأَسَامِرَ الْأَقْمَارِ فِي أَفْلَاكِهَا
تَحْتَ الظَّلَامِ إِذَا غَفَا سُمْمَارِي
لَأُرَاقِبَ «الدَّلَّوَارَ» فِي جَرِيَانِهِ^(٢)
وَأُرَى خِيَالَ الْبَدْرِ فِي «الدَّلَّوَارِ»



بئسَ الْمَدِينَةُ إِنَّمَا سَجَنُ النُّهَى
وَذَوِي النُّهَى، وَجَهَنَّمُ الْأَحْرَارِ
لَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ فِيهَا نَفْسَهُ
حَتَّى يَرُوعَهُ ضَجِيجُ قِطَارِ
وَجَدْتُ بِهَا نَفْسِي الْمَفَاسِدَ وَالْأَذَى
فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ وَكُلِّ جِدارِ
لَا يَخْدَعَنَّ النَّاضِرِينَ بِرُوجِهَا
تِلْكَ الْبُرُوجُ مَخَابِيءُ لِلْعَارِ
لَوْ أَنَّ حَاسِدَ أَهْلِهَا لَاقَى الَّذِي
لَا قَيْتُ لَمْ يَحْسُدْ سِوَى «بَشَّارِ»^(٣)
غَفِرَانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَنَا كَافِرٌ
فَلَمَّا تُعَذِّبُ مُهْجَتِي بِالنَّارِ؟



(١) الورقاء: الحمامة.
(٢) الدلوار: نهر جارٍ في المنطقة.

لله ما أشهى القرى وأحبها
لِفَتَى بَعِيدِ مَطَارِحِ الْأَفْكَارِ
إِنْ شِئْتَ تَعْرِى مِنْ قِيُودِكَ كُلَّهَا
فَانْظُرْ إِلَى صَدْرِ السَّمَاءِ الْعَارِي
وَامْشِ عَلَى ضَوْءِ الصُّبْحِ، فَإِنْ خَبَا
فَامْشِ عَلَى ضَوْءِ الْهَلَالِ السَّارِي
عِشْ فِي الْخَلَاءِ تَعِشْ خَلِيًّا هَانِيًّا
كَالطَّيْرِ.. حُرًّا، كَالْغَدِيرِ الْجَارِي
عِشْ فِي الْخَلَاءِ كَمَا تَعِيشُ طَيُورُهُ
الْحُرِّيَّابِيُّ الْعَيْشُ تَحْتَ سِتَارِ!



شَلَالُ «مَلْفَرْد» لَا يَقْرُقُ قَرَارُهُ^(١)
وَأَنَا لَشَوْقِي لَا يَقْرُقُ قَرَارِي
فِيهِ مِنَ السَّيْفِ الصَّقِيلِ بَرِيقُهُ
وَلَهُ ضَجِيجُ الْجَحْفَلِ الْجَرَّارِ
أَبْدًا يَرُشُّ صَخُورَهُ بِدَمَوَعِهِ
أَتُرَاهُ يَغْسِلُهَا مِنَ الْأَوْزَارِ؟
فَإِذَا تَطَايَرَ مَاؤُهُ مَتَنَاثِرًا
أَبْصَرْتَ حَوْلَ السَّفْحِ شِبَهَ غُبَارِ
كَالْبَحْرِ ذِي التِّيَّارِ يَدْفَعُ بَعْضُهُ
وَيَصُولُ كَالضَّرْغَامِ ذِي الْأَظْفَارِ
مِنْ قِمَّةٍ كَالنَّهْدِ، أَيُّ فِتْنَى رَأَى
نَهْدًا يَفِيضُ بَعَارِضِ مَدَارِ؟

(١) هي التي يُسميها (أم القرى) في أمريكا.

فكأنما هي مِنْبَرٌ وكأنه
«ميراب» بين عصائب الثوار^(١)
مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ سَاعَةً وَثَبَاتِهِ
لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَغْطُرُ الْجَبَّار
مَا زِلْتُ أَحْسَبُ كُلَّ صَمْتٍ حِكْمَةً
حَتَّى بَصُرْتُ بِذَلِكَ التُّرْثَار
أَعْدَدْتُ، قَبْلَ أَرَاهُ، وَقِفَةَ عَابِرٍ
لَاهٍ فَكَانَتْ وَقِفَةَ اسْتِعْبَارٍ!..



يَا أُخْتَ دَارِ الْخُلْدِ، يَا أُمَّ الْقُرَى،
يَا رَبَّةَ الْغَابَاتِ وَالْأَنْهَارِ
لِلَّهِ يَوْمٌ فَيْكِ قَدْ قَضَيْتُهُ
مَعَ عُصْبَةٍ مِنْ خَيْرَةِ الْأَنْصَارِ
نَمْشِي عَلَى تِلْكَ الْهَضَابِ وَدُونَنَا
بَحْرٌ مِنَ الْأَغْرَاسِ وَالْأَشْجَارِ
تَنْسَابُ فِيهِ الْعَيْنُ بَيْنَ جَدَاوِلٍ
وَخُمَائِلٍ وَمَسَالِكٍ وَدِيَارِ
أَنَا عَلَى جَبَلٍ مَكِينٍ رَاسِخٍ
رَاسٍ، وَأَنَا فَوْقَ جُرْفٍ هَارٍ^(٢)
تَهْوِي الْحِجَارَةُ تَحْتَنَا مِنْ حَالِقٍ
وَنَكَادُ أَنْ نَهْوِي مَعَ الْأَحْجَارِ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَنَا نُهْرُولُ مِنْ عَلٍ
لَضَحَكْتَ مِنَّا ضِحْكَةً اسْتَهْتَارِ

(١) ميرابو: خطيب الثورة الفرنسية (١٧٨٩).

الريحُ ساكنةٌ ونحنُ نَظُنُّنا
 للخوفِ مندفعين مع إعصار
 والأرضُ ثابتةٌ ونحنُ نَخَالُها
 تهتزُّ مع دفعِ النَّسيمِ السَّاري
 ما زال يسندُ بعضُنا بعضاً كما
 يتماسكُ الرُّودُ في الأسفار
 ويشدُّ هذا ذاك من أزراره
 فيشدُّني ذِيَّكَ من أزراري
 حتى رجَعنا سالمين ولم نَعُدْ
 لو لم يَمُدَّ الله في الأعمار
 ولقد وقفتُ حيالَ نهرِكِ بُكرةً
 والطَّيرُ في الوُكُناتِ والأوْكارِ^(١)
 مُتهيباً فكأنني في هيكَلٍ
 وكأنَّه سَفَرٌ من الأسفار
 ما كنتُ من يهوى السكوتَ وإنما
 عَقَلْتُ لِساني رهبةً الأدهار
 مرَّ النَّسيمُ به فمرَّتْ مُقْلَتِي
 منه بأسطارٍ على أسطار
 فالقلبُ مُشتغلٌ بتذكاراته
 والطَّرْفُ مندفعٌ مع التَّيَّار
 حتى تجلَّتْ فوق هاتيكِ الرُّبا
 شمسُ الصِّباحِ تلوحُ كالدينار
 فعلى جوانبه وشاحٌ زَبَرَجَدٍ^(٢)
 وعلى غواربه وشاحٌ بهارٍ^(٣)

(١) الوُكن: عش الطائر في جبل أو جدار، وجمعه "وُكُن وأوْكُن".

(٢) الزَبَرَجَد: الزمرد.

لو أبصرتُ عيناكَ فيه خيالها
لرأيتَ مرآةً بغيرِ إطار
يَمُمُّتُهُ سَحَرًا وأسراري معي
ورجعتُ في أعماقه أسراري!...



إنني حسدتُ على القُرى أهلَ القُرى
وغبِطتُ حتى نافخَ المِزمار
ليلٌ وصُبحٌ بين إخوانِ الصِّفا
ما كان أجملَ ليلتي ونهاري!



ه - أنا وأخت المهابة والقمر

[المنسرح]

أَهْ مِنْ الْحَبِّ، كُلُّهُ عِيبَرُ
عِنْدِي مِنْهُ الدَّمُوعُ وَالسَّهَرُ
وَوَيْحَ صَرَعَى الْغَرَامِ إِنَّهُمْ
مَوْتَى، وَمَا كُفَّنُوا وَلَا قُبُورَا

يَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ يَأْخُذُهُمْ
زَهْوٌ وَلَا فِي خُدُودِهِمْ صَعَرٌ^(١)
لَوْ وَلَجَ النَّاسُ فِي سِرَائِرِهِمْ
هَانَتْ، وَرَبِّي، عَلَيْهِمْ سَقَرُ

مَا خَفَرُوا ذِمَّةً، وَلَا نَكْثُوا
عَهْدًا، وَلَا مَالَوْا وَلَا غَدَرُوا
قَدْ حَمَلُوا الْهُونَ غَيْرَ مَا سَأَمِ
لَوْلَا الْهُوَ لِلْهُونِ مَا صَبَرُوا

لَمْ يُبْقِ مِنِّي الْخِزْنَى سِوَى شَبَحٍ
يَكَادُ، لَوْلَا الرِّجَاءُ، يَنْدَثِرُ
أَمْسَى وَسَادِي مِشَابَهًا كَبِيدِي
كَالَهُمَا النَّارُ فِيهِ تَسْتَعِرُ

(١) إمالة الخد من الكبر.

أَكُلُّ صَبٍّ، يَا لَيْلٍ، مَخْجَعُهُ
مِثْلِي فِيهِ الْقَتَادُ وَالْإِبَرُ
لَعَلَّ طَيْفًا مِنْ هِنْدٍ يَطْرُقُنِي
فَعِنْدَ هِنْدٍ عَنِ شِفْقُوتِي خَبِرُ



مَا بَالُ هِنْدٍ عَلَيَّ غَاضِبَةٌ
مَا شَابَ قُودِي وَلَيْسَ بِي كِبَرُ
مَا زِلْتُ غَضَّ الشُّبَابِ لَا وَهْنُ
يَا هِنْدُ فِي عَزْمَتِي وَلَا خَوَرُ



لَا دَرُّ دَرُّ الْوُشَاةِ قَدْ حَافُوا
أَنْ يُفْسِدُوا بَيْنَنَا وَقَدْ قَدِرُوا
وَاهَا لِأَيَّامِنَا.. أَرَا جَعَةً؟
فَإِنَّهُنَّ الْحُجُولُ وَالْغُرُرُ^(١)



أَيَّامَ لَا الدَّهْرُ قَابِضٌ يَدَهُ
عَنِّي، وَلَا هِنْدُ قَلْبُهَا حَجَرُ



لَمْ أُنْسَ لَيْلًا سَهْرَتُهُ مَعَهَا
تَحْنُو عَلَيْنَا الْأَفْنَانُ وَالشَّجَرُ
غَفَرْتُ ذَنْبَ النَّوَى بِزُورَتِهَا
ذَنْبُ النَّوَى بِاللِّقَاءِ يُغْتَفَرُ

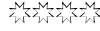


(١) الحجُل: الخُلخال. والغَرَّة: البياض والشرف. كناية عن جمال الأيام وامتنازها.

بِتَّنَا عَنِ الرَّاصِدِينَ يَكْتُمُنَا
الْأَسْوَدَانِ: الظَّلَامُ وَالشُّعْرُ
ثَلَاثَةٌ لِلْسُرُورِ مَا رَقَدُوا
أَنَا وَأَخْتُ الْمَهَاءِ^(١) وَالْقَمَرُ



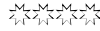
فَمَا لِهَذِي النُّجُومِ سَاهِيَةٌ
تَرْنُو إِلَيْنَا كَأَنهَا نُذُرٌ؟...
إِنْ كَانَ صُبْحُ الْجَبِينِ رَوَّعَهَا
فَإِنَّ لَيْلَ الشُّعُورِ مُعْتَكَرٌ



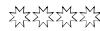
أَوْ انْتِظَامُ الْعُقُودِ أَغْضَبَهَا
فَإِنَّ دُرَّ الْكَلَامِ مُنْتَثِرٌ
وَمَا لَتِكَ الْغُصُونِ مُطَرَقَةً
كَأَنهَا لِلْسَّلَامِ تُخْتَصِرُ



تَبْكِي كَأَنَّ الزَّمَانَ أَرْهَقَهَا
عُسْرًا، وَلَكِنْ دُمُوعُهَا الثَّمَرُ
طَوْرًا عَلَى الْأَرْضِ تَنْثَنِي مَرَحًا
وَتَارَةً فِي الْفَضَاءِ تَشْتَجِرُ



وَجَفَلَتْ هِنْدٌ عِنْدَ رُؤَيْتِهَا
وَقَدْ تَرُوعُ الْجَاذِرَ الصُّورُ
هَيْفَاءً لَوْلَمْ تَلِنْ مَعَاطِفُهَا^(٢)
عِنْدَ التَّثْنِي خَشِيَتْ تَنْكَسِرُ



(١) البقرة الوحشية، كناية عنها لجمال عينيها.

(٢) المعطف: الجانب، من الرأس إلى الورك. لأن الانعطاف يكون عنده (المعطف).

مِنِ اللّوَاتِي - وَلَا شَبِيهَ لَهَا -
يَزِينُنَّهِنَّ الدُّلَالُ وَالْخَفَرُ
فِي كُلِّ عَضْوٍ وَكُلِّ جَارِحَةٍ
مَعْنَى جَدِيدٌ لِلْحُسْنِ مَبْتَكَّرٌ

تَبَيَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ طَامِعَةً
لَوْ أَنَّهَا فَوْقَ نَحْرِهَا دُرَرٌ
رَخِيْمَةٌ الصَّوْتِ إِنْ شَدَتْ لَفَتَتْ
لَهَا الدَّرَارِيُّ وَأَنْصَتَ السَّحَرُ

أَبْنَاهَا الْوَجْدَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ
أَذْهَلَهَا الْحُبُّ فَهِيَ تَفْتَكِرُ
يَا هِنْدُ كَمْ ذَا الْأَنَامُ تَعَذَّلْنَا
وَمَا أَثْمَنًا وَلَا بِنَا وَزَرَ^(١)

فَابْتَدَرْتُ هِنْدُ وَهِيَ ضَاكِكَةٌ :
مَاذَا عَلَيْنَا وَإِنْ هُمْ كَثُرُوا
فَدَتِكَ نَفْسِي لَوْ أَنَّهُمْ عَقَلُوا
وَاسْتَشْعَرُوا الْحُبَّ مِثْلَنَا عَذَرُوا

مَا جَحَدَ الْحُبُّ غَيْرُ جَاهِلِهِ
أَيَجْحَدُ الشَّمْسُ مَنْ لَهُ بَصَرُ؟
زُرْهُمْ وَإِنْ أَجْلَبُوا وَإِنْ صَخَبُوا
وَلَا تَلُمَّهُمْ فَمَا هُمْ بِبَشَرٍ!

(١) أراد (الوزر) بمعنى: الإثم. أما (الوزر) فهو الملجأ.

سِرْنَا الْهُوِينَا وَمَا بَنَا تَعَبٌ
وَقَدْ سَكُنْنَا وَمَا بَنَا حَصَرٌ^(١)
لَكِنَّ فَرَطَ الْهُيَامِ أَسْكَرْنَا
وَقَبَلْنَا الْعَاشِقُونَ كَمْ سَكِرُوا!



فَقُلْ لِمَنْ يُكْثِرُ الظَّنُونَ بَنَا
(مَا كَانَ إِلَّا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ)
حَتَّى رَأَيْتُ النُّجُومَ أَفْلَهُ
وَكَادَ قَلْبُ الظَّلَامِ يَنْفَطِرُ



وَدَعَتْهَا وَالْفَوَادُ مَضْطَرِبٌ
أُكْفِكَ الدَّمْعَ وَهُوَ يَنْهَمِرُ
وَوَدَعْتَنِي وَمِنْ مَحَاجِرِهَا
فَوْقَ الْعَقِيقِ الْجُمَانُ يَنْحَدِرُ^(٢)



قَدْ أَضْحَكَ الدَّهْرَ مَا بَكَيْتُ لَهُ
كَأَنَّمَا الْبَيِّنُ عِنْدَهُ وَطَرُ
كَانَتْ لِيَالِي مَا بِهَا كَدْرٌ
وَالْآنَ أُمَسْتُ وَكُلُّهَا كَدَرٌ



إِنْ نَفِدَ الدَّمْعُ مِنْ تَذْكُرِهَا
فَجَادَهَا بَعْدَ أَدْمَعِي الْمَطَرُ
عَسَى اللَّيَالِي تَدْرِي جِنَايَتَهَا
عَلَى قَتِيلِ الْهُوَى فَتَعْتَذِرِ



(١) الْحَصَرُ: الْعِيَّ (حَصَرَ - يَحْصِرُ).

(٢) الْجُمَانُ: اللَّوْلُؤُ (يُرِيدُ: الدَّمْعُ). وَالْعَقِيقُ: أَرَادَ بِهِ لَوْنَ خَدْيِهَا.

٦ - الشاعر والأمة

[الرمل]

خَيْرُ مَا يَكْتُبُهُ ذُو مِرْقَمٍ^(١)
قِصَّةٌ فِيهَا لِقَوْمٍ تَذَكُّرُهُ



كَانَ فِي مَاضِي اللَّيَالِي أُمَّةٌ
خَلَعَ الْعِزُّ عَلَيْهَا حَبِيرَهُ^(٢)
يَجِدُ النَّازِلُ فِي أَكْنَافِهَا
أَوْجُهًا ضَاكِكَةً مُسْتَبْشِرَهُ
وَيَسِيرُ الطَّرْفُ مِنْ أَرْبَاضِهَا
فِي مَغَانٍ حَالِيَاتٍ نَضِيرَهُ
لَمْ يَقْسُ شَعْبٌ إِلَى أَمْجَادِهَا
مَجْدَهُ الْبَازِخَ إِلَّا اسْتَصْغَرَهُ
هَمُّهَا فِي الْعِلْمِ تُعْلِي شَأْنَهُ
بَيْنَهَا، وَالْجَهْلُ تَمْحُو أَثَرَهُ
مَا تَغِيْبُ الشَّمْسُ إِلَّا أَطْلَعَتْ
لِلوَرَى مَحْمَدَةً أَوْ مَاتُورَهُ^(٣)
فَتَمْنَى الصَّبْحُ تَغْدُو شَمْسُهُ
وَتَمْنَى اللَّيْلُ تَغْدُو قَمَرُهُ

(١) المِرْقَمُ: القلم. وَالرَّقْمُ: الكتابة.

(٢) الْحَبْرَةُ: بُرْدٌ يَمَانِي (جمعه: حَبَرٌ).

ومشى الدهرُ إليها طائِعاً
فمشت تائِهَةً مُفْتَخِرَهُ



كان فيها مَلِكٌ ذو فِطْنَةٍ
حازمٌ يَصْفَحُ عِنْدَ المَقْدِرَةِ
يعشقُ الأمرَ الذي تعشقه
فإذا ما استنكرته استنكره
بالغت في عهده مرتبةً
لم تنلها أمةٌ أو جمهره^(١)
فإذا أعطت ضعيفاً موثقاً
أشفقت أعداؤه أن تخفيه
وإذا حاربها طاغيةً
كانت الظافرة المنتصرة
مات عنها، فأقامت ملكاً
طائشَ الرأي كثيرَ الثَّرَثِ
حولَه عُصْبَةٌ سُوءٌ، كلُّ ما
جاء إداً أقبلت مُعتَذِرُهُ^(٢)
حسَّنت في عينه آثامه
وإليه نَفْسُهُ المستَكْبِرِ
وتمادى القومُ في غفلتهم
فتمادى في المَلاهي المُنكَرِ
زحزحَ الأمةَ عن مركزها
وطوى رايتها المنتشرة

(١) الجماعة من الناس.

ورأت فيها الليالي مقتلاً
فرمَتْها فأصابت مدبره^(١)
فهوت عن عرشها منعفرة
مثما تُرمى بسهم قبره^(٢)



كان فيها شاعر مُشتَهَرٌ
ذو قوافٍ بينها مُشتَهَره
كلّما هزّت يداه وتراً
هزّ من كلّ فؤادٍ وتره
تَعَسُ الحظّ، وهل أتَعَسُ من
شاعرٍ في أُمَّةٍ مُحْتَخِرِه؟
يقرأ الناظرُ في مُقلّته
ثورةً طاهرةً مُستَتِره
ما يراه الناسُ إلا واقفاً
في مغانٍ قومِه المُندثره
حائراً كالريح في أطلالها
باكياً والسُّحب المنهمره
وهي في أهوائها لاهية
وكذاك الأُمَّة المُستتهره
ما رأت مُهجته المُنفطره
لا ولا أدْمَعه المنحدره
فشكاه الشّعْرُ مما سامه
وشكاه الليلُ ممّا سهره

(١) الدبر: الهلاك والموت، ومنها المدبرة.

(٢) طير القبرة (وجمعها: قنابر).

ثُمَّ لَمَّا عَابَتْ الْيَأْسُ بِهِ
مَرْقُ الطَّرْسَ وَشَجَّ الْحَبْرَهُ!!



مَرَّيَوْمًا فَرَأَى أَشْيَاخَهَا
جَلَسُوا يَبْكُونَ عِنْدَ الْمُقْبَرِهِ
قَالَ مَا لَكُمْ؟... مَا خَطْبُكُمْ
أَيُّ كَنْزٍ فِي الثَّرَى أَوْ جَوْهَرَةٍ؟
وَمَنْ الثَّأْوِي الَّذِي تَبْكُونَهُ
قِيَصْرٌ، أَمْ تُبْعُ، أَمْ عَنَتْرَهُ؟
قَالَ شَيْخٌ مِنْهُمْ مُحَدِّدٌ
وَدَمْعُ الْيَأْسِ تَغَشَّى بَصَرَهُ
إِنْ مِنْ نَبْكِيهِ لَوْ أَبْصَرَهُ
قِيَصْرٌ أَبْصَرَ فِيهِ قِيَصْرَهُ
كَيْفَ يَا جَاهِلٌ لَا تَعْرِفُهُ
وَحُدَاةُ الْعَيْسِ^(١) تَرْوِي خَبْرَهُ؟
هُوَ مَلِكٌ كَانَ فِينَا وَمَضَى
فَمَضَتْ أَيَّامُنَا الْمَزْدَهْرَهُ
وَلَبِثْنَا بَعْدَهُ فِي ظُلْمٍ
دَاجِيَّاتٍ فَوْقَنَا مُعْتَكِرَهُ
وَالَّذِي كَانَ بِنَا «مَعْرِفَةً»
لِصُرُوفِ الدَّهْرِ أَمْسَى «نَكِرَهُ»
فَإِنْتَهَى التَّاجُ إِلَى مُعْتَسِفٍ
لَمْ يَزَلْ بِالتَّاجِ حَتَّى نَثَّرَهُ

(١) العيس: الإبل البيض (المفرد: أعيس - عيساء).

كل ما تصبوا إليه نفسه
 مُعَصِرٌ أو خمرةٌ معتَصِرُه
 مُسْتَهِينٌ بالليالي وبنا
 مستعينٌ بالطَّغَامِ الفَجَرَه
 كلُّ ما جاء إليه خائنٌ
 واشيياً قَرَبَهُ واستَوَزَرَه
 فإذا جاء إليه ناصِحٌ
 شكَّ في نيَّته فانْتَهَرَه
 مُسْتَبِدٌّ باذلٌ في لحظةٍ
 ما ادَّخَرْنَاهُ له وادَّخَرَه
 يَهَبُ المرءَ وما يملكه
 وعلى الموهوبِ أن يستغفرَه
 هَزَأَ الشاعِرُ منهم قائلًا:
 بَلَغَ السُّوسُ أصولَ الشَّجَرَه
 رحمةُ الله على أسلافِكُم
 إنهم كانوا تُقاةً بَرَرَه
 رحمةُ الله عليهم، إنهم
 لم يكونوا أُمَّةً منشَطِرَه
 إنَّ مَنْ تَبَكَّوْنَهُ يا سادتي
 كالذي تشكون فيكم بَطَرَه
 إنما بأسُ الألى قد سَلَفُوا
 قتلَ النِّهْمَةِ فيه والشَّرَه
 فاحْبِسُوا الأدمعَ في أَمَاقِكُم
 واتركوا هذي العِظامَ النَّخِرَه

لَوْ فَعَلْتُمْ فِعْلَ أَجْدَادِكُمْ
 مَا قَضَى الظَّالِمُ مِنْكُمْ وَطَرَهُ
 مَا لَكُمْ تَشْكُونُ مِنْ مُحْتَكِمٍ
 رَضْتُمْ أَلَسُنَكُمْ أَنْ تَشْكُرَهُ؟
 وَجَعَلْتُمْ مِنْكُمْ عَسْكَرَهُ
 وَحَلَفْتُمْ أَنْ تُطِيعُوا عَسْكَرَهُ؟
 كَيْفَ لَا يَبْغِي وَيَطْغَى أَمْرٌ
 يَتَّقِي أَشْجَعُكُمْ أَنْ يَنْظُرَهُ؟
 مَا اسْتَحَالَ الْهَرُّ لَيْثًا إِنَّمَا
 أَسَدُ الْأَجَامِ صَارَتْ هِرَّةَ
 وَإِذَا الْلَيْثُ وَهَتْ أَظْفَارُهُ
 أَنْشَبَ السُّنُورُ فِيهِ ظُفْرَهُ!!

٧ - وأنّي...٠

[الخفيف]

نظّرتُ مرّةً إليّ وقالت:
ما يقول الحُسادُ عنكَ وعنّي؟
قلتُ: ماذا عساهُم أن يقولوا
غيرَ أنّي جُننتُ فيكَ.. وأنّي...٠

٨ - أَمَّا أَنَا...

[الكامل]

لَا تَنْتَنِي فِي الرُّوضِ أَغْصَانُ الشَّجَرِ
حَتَّى تَدَغْدَغَهَا النَّسَائِمُ فِي السَّحَرِ
وَأَنَا كَذَلِكَ لَا يَفَارِقُنِي الضَّجَرُ
حَتَّى تَدَاعِبَ لِمَّتِي^(١) بِيَدِهَا



الشَّمْسُ تُلْقِي فِي الصَّبَاحِ حِبَالَهَا
وَتَبِيتُ تَنْظُرُ فِي الْغَدِيرِ خَيَالَهَا
أَمَّا أَنَا فَإِذَا وَقَفْتُ حَيَالَهَا
أَبْصَرْتُ نَوْرَ الشَّمْسِ فِي خَدِّهَا



الطُّودُ يَقْرَأُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيهِ
سَفْرًا، جَمِيلًا^(٢) مَتْنُهُ وَالْحَاشِيهِ
أَمَّا أَنَا فَإِذَا فَقَدْتُ كِتَابِيهِ
أَتْلُو كِتَابَ الْحُبِّ فِي عَيْنِيهَا



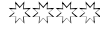
الطَّيْرُ إِنْ عَطِشَتْ وَلَجَّ بِهَا الظُّمَأُ
هَبِطَتْ إِلَى الْأَنْهَارِ مِنْ عُلُوِّ السَّمَاءِ
أَمَّا أَنَا فَإِذَا ظَمِئْتُ فَأِنْمَأُ
ظَمَأِي الشَّدِيدُ إِلَى لَمَى^(٣) شَفَتِيهَا



(١) الشعر: لأنه يلم بالكشف.

(٢) الصحيح: جميلًا.

النَّدُّ يَطْلُبُهُ الْخَلَائِقُ فِي الرُّبَا
بَيْنَ الْوُرُودِ وَفِي نُسَيْمَاتِ الصَّبَا
أَمَّا أَنَا فَأَلْذُّ مِنْ نَشْرِ الْكَبَا
عِنْدِي، الَّذِي قَدْ فَاحَ مِنْ نَهْدِيهَا



الرَّاحُ تَصْرِفُ ذَا الْعَنَاءِ عَنِ الْعَنَا
وَتَطِيرُ بِالصُّعْلُوكِ فِي جَوْ الْمُنَى
فَيَرَى الْكَوَاكِبَ تَحْتَهُ، أَمَّا أَنَا
فَتَظَلُّ أَفْكَارِي تَحُومُ عَلَيْهَا



فِيهَا وَمِنْهَا ذَلَّتِي وَسَقَامِي^(١)
وَبِهَا غِرَامِي، الْقَاتِلِي ؛ وَهَيَامِي
أَشْتَاقُهَا فِي يَقْظَاتِي وَمَنَامِي
وَاطُولَ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ إِلَيْهَا!



(١) المرض.

٩ - وداع وشكوى

[الكامل]

أزِفَ الرِّحِيلُ وَحَانَ أَنْ نَتَفَرَّقَا
فإِلَى اللَّقَا يَا صَاحِبِي إِلَى اللَّقَا
إِنْ تَبَكَّيَا فَلَقَدْ بَكَيتُ مِنَ الْأَسَى
حَتَّى لَكِدْتُ بِأَدْمَعِي أَنْ أُغْرَقَا
وَتَسَعَّرَتْ عِنْدَ الْوَدَاعِ أَضَالَعِي
نَاراً خَشِيتُ بِحَرِّهَا أَنْ أُحْرَقَا
مَا زِلْتُ أَخْشَى الْبَيْنَ قَبْلَ وَقُوعِهِ
حَتَّى غَدَوْتُ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَفْرَقَا^(١)
يَوْمَ النَّوَى، لَلَّهِ مَا أَقْسَى النَّوَى
لَوْلَا النَّوَى مَا أَبْغَضْتُ نَفْسِي الْبَقَا
رُحْنَا حَيَارَى صَامَتَيْنِ كَأَنَّمَا
لِلْهَوْلِ نَحْذَرُ عِنْدَهُ أَنْ نَنْطِقَا
أَكْبَادُنَا خَفَاقَةً وَعَيُونُنَا
لَا تَسْتَطِيعُ، مِنَ الْبُكَاءِ، أَنْ تَرْمُقَا
نَتَجَادِبُ النِّظَرَاتِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ
وَنُغَالِبُ الْأَنْفَاسَ كَيْلًا تُزْهَقَا
لَوْلَمْ نَعْلَلْ بِاللِّقَاءِ نَفُوسَنَا
كَادَتْ مَعَ الْعَبْرَاتِ أَنْ تَتَدَفَّقَا

(١) الفرق: الخوف.

يا صاحبيّ تصبّراً فلربما
عُدْنَا وعاد الشَّمْلُ أبهى رُونِقا
إن كانتِ الأيامُ لم تَرفُقْ بنا
فَمِنَ النُّهى بنفوسنا أن نَرفُقَا
إن الذي قَدَرَ القطيعةَ والنَّوى
في وَسْعِهِ أن يجمعَ المُتفرِّقا!..



ولقد ركبْتُ البحرَ يزأُّ هائِجاً
كالليثِ فارقٍ شِبْلَه بل أَحَنَقَا
والنفسُ جازعَةٌ ولستُ ألومُّها
فَالبحرُ أعظمُ ما يُخافُ ويَتَّقِي
فلقد شهدتُ به حكيماً عاقلاً
ولقد رأيتُ به جَهْولاً أخْرَقَا
مُسْتَوْفِزٌ ما شاء أن يلهو بنا
مترَفُقٌ ما شاء أن يترَفُقَا
تتنازعُ الأمواجُ فيه بعضَها
بعضاً على جهلٍ تُنازعُنا البَقَا
بينا يراها الطُّرْفُ سُوراً قائماً
فإذا بها حَالَتْ فصارتُ خَنْدَقَا
والفُلُكُ جاريةٌ تشقُّ عُبَابَه
شَقّاً، كما تَفْري رداءَ أَخْلَاقَا^(١)
تعلو فنحسبُها تَوْمٌ بنا السَّما
ونظنُّ أنَّا راكبون مُحلَّقَا

(١) خَلَقَ وأَخْلَقَ: بلي.

حتى إذا هَبَطَتْ بِنَا فِي لُجَّةٍ
أَيَقْنَتْ أَنَّ الْمَوْتَ فِينَا أَحَدَقَا
وَالْأَفْقُ قَدْ غَطَّى الْخَضْبَابُ أَدِيمَهُ
فَكَأَنَّمَا غَشَى الْمِدَادَ الْمُهْرَقَا
لَا الشَّمْسُ تَسْطَعُ فِي الصَّبَاحِ، وَلَا نَرَى
إِمَّا اسْتِطَالَ اللَّيْلُ؛ بَدْرًا مُشْرِقَا
عَشْرُونَ يَوْمًا أَوْ تَزِيدُ قَضِيَّتُهَا
كَيْفَ التَّفَتُّ رَأَيْتُ مَاءً مُغْدِقَا
(نيويورك) يَا بِنْتَ الْبُخَارِ، بِنَا اقْصِدِي
فَلَعَلَّنَا بِالْغَرْبِ نَنْسَى الْمَشْرِقَا
وَطَنُ أَرْدَنَاهُ عَلَى حُبِّ الْعُلَا
فَأَبَى سِوَى أَنْ يَسْتَكِينَ إِلَى الشَّقَا
كَالْعَبْدِ يَخْشَى، بَعْدَ مَا أَفْنَى الصَّبَا
يَلْهُو بِهِ سَادَاتُهُ، أَنْ يُعْتَقَا
أَوْ كَلَّمَا جَاءَ الزَّمَانُ بِمُصْلِحِ
فِي أَهْلِهِ قَالُوا طَغَى وَتَزَنَّدَقَا؟
فَكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِ مَا قَدْ جَنَوَا
وَكَأَنَّمَا لَمْ يَكْفِهِمْ أَنْ أَخْفَقَا
هَذَا جَزَاءُ ذَوِي النُّهَى فِي أُمَّةٍ
أَخَذَ الْجُمُودَ عَلَى بَنِيهَا مَوْتَقَا
وَطَنُ يَضِيقُ الْحُرُّ ذَرْعًا عِنْدَهُ
وَتَرَاهُ بِالْأَحْرَارِ ذَرْعًا أَضْيَقَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ بِهِ أَدِيبًا مُوسِرًا
فِي مَا رَأَيْتُ، وَلَا جَهْلًا مُمْلِقَا
مَشَتْ الْجِهَالَةُ فِيهِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا
تِيهَا، وَرَاحَ الْعِلْمُ يَمْشِي مُطْرِقَا

أَمْسَى وَأَمْسَى أَهْلُهُ فِي حَالَةٍ
 لَوْ أَنَّهَا تَعَرَوْا الْجَمَادَ لِأَشْفَقَا
 شَعْبٌ كَمَا شَاءَ التَّخَاذُلُ وَالْهَوَى
 مُتَفَرِّقٌ وَيَكَادُ أَنْ يَتَمَرَّقَا
 لَا يَرْضَى دِينَ الْإِلَهِ مُوَفَّقَا
 بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَيَرْضَى مَفْرَقَا
 كَلِفٌ بِأَصْحَابِ التَّعَبُّدِ وَالتُّقَى
 وَالشَّرُّ مَا بَيْنَ التَّعَبُّدِ وَالتُّقَى
 مُسْتَزْعَفٌ، إِنْ لَمْ يُصَبْ مَتَمَّقَا
 يَوْمًا تَمَلَّقَ أَنْ يَرَى مُتَمَلِّقَا
 لَمْ يَعْتَقِدْ بِالْعِلْمِ وَهُوَ حَقَائِقُ
 لَكِنَّهُ اعْتَقَدَ التَّمَائِمَ وَالرُّقَى!
 وَلَرَبِّمَا كَرِهَ الْجَمُودَ وَإِنَّمَا
 صَعِبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَخَلَّقَا!..
 وَحُكُومَةٌ مَا إِنْ تُزَحْزَحَ أَحْمَقَا
 عَنْ رَأْسِهَا حَتَّى تُؤَلِّيَ أَحْمَقَا
 رَاحَتُ تَنَاصُبِنَا الْعَدَاءِ كَأَنَّمَا
 جِئْنَا فَرِيًّا أَوْ رَكِبْنَا مَوْيِقَا^(١)
 وَأَبَتْ سِوَى إِرْهَاقِنَا فَكَأَنَّمَا
 كُلُّ الْعَدَالَةِ عِنْدَهَا أَنْ نُرْهَقَا
 بَيْنَا الْأَجَانِبُ يَعْثُوثُونَ بِهَا كَمَا
 عَبَثَ الصَّبَا سَحَرًا بِأَغْصَانِ النَّقَا^(٢)
 (بَغْدَادُ) فِي خَطَرٍ وَ(مِصْرُ) رَهِينَةٌ
 وَغَدَاً تَنَالُ يَدُ الْمَطَامِعِ (جِلْقَا)

(١) الْفَرِي: الْمَصْنُوعُ الْمَخْلُوقُ (مِنْ: الْفَرِيَّةِ: الْاِخْتِلَاقُ). وَالْمَوْيِقُ: الْمَهْلِكَةُ. وَبَقِيَ وَبِقَا: هَلَكَ.

ضَعُفَتْ قَوَائِمُهَا وَلَمَّا تَرَعَوِي
عَنْ غَيِّهَا حَتَّى تَزُولَ وَتُمَحِّقَا
قِيلَ: اعْشَقُوهَا، قُلْتُ: لَمْ يَبْقَ لَنَا
مَعَهَا قُلُوبٌ كِي نُحِبَّ وَنَعْشَقَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ ذَاتُ الْبَنِينَ شَفِيقَةً
هِيَ هَاتِ تَلْقَى مِنْ بَنِيهَا مُشْفِقًا
أَصْبَحْتُ حَيْثُ النَّفْسُ لَا تَخْشَى أَدَى
أَبْدَاءَ، وَحَيْثُ الْفِكْرُ يَغْدُو مُطْلَقًا
نَفْسِي اخْلُدِي، وَدَعِي الْحَنِينَ، فَإِنَّمَا
جَهْلٌ، بُعِيدَ الْيَوْمِ، أَنْ نَتَشَوَّقَا
هَذِي هِيَ «الدُّنْيَا الْجَدِيدَةُ» فَانْظُرِي
فِيهَا ضِيَاءَ الْعِلْمِ كَيْفَ تَأَلَّقَا
إِنِّي ضَمَنْتُ لَكَ الْحَيَاةَ شَهِيَّةً
فِي أَهْلِهَا، وَالْعَيْشَ أَزْهَرَ مُونِقًا

١٠ - عصر الرشيد

[الكامل]

كم بين طيّاتِ العُصورِ الخاليه
عِظَةٌ لأبناء الدهور الآتية
عَبَّرَ الليالي كالليالي جَمَّةً
لكنما النَزْرُ القلوبُ الواعية
الدهرُ يُفَنِّينَا وَنَحْسَبُ أَنَّهُ
يُفَنِّى بِنَا أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ
فإذا مشى فينا الفناء فراعنا
خَلَقَ الخيالُ لنا الحياةَ الثانية
إن الحياةَ قصيدةٌ، أبياتُها
أعمارُنَا، والموتُ فيها القافية
كم تعشقُ الدنيا وتُنكرُ صدها
أنسيتَ أن الخُلْفَ طبعَ الغانيه؟
وتودُّ لو يبقَى عليك نعيمُها
أَجْهَلْتُ أَنَّ عَلَيْكَ رُدَّ العاريه؟
خلَّ الغُرورُ بما لديك فإنما
دنياك زائلةٌ ونفسُك فانيه
إنَّ الألى وطِئْتُ نعالَهُمُ السُّها
وطِئْتُ جِباهُمُ نعالُ الماشيه
لو أن حيًّا خالدًا فوق التُّرى
ما مات «هارون» وزال «معاويه»

أَوْ كَانَ عَزْ دَائِمًا مَا أَصْبَحْتُ
«بَغْدَادُ» فِي عَدَدِ الطُّلُولِ الْبَالِيهِ
أَخْنَتُ عَلَيْهَا الْحَادِثَاتُ، فَدَوَّرُهَا
خَرَبْتُ تَعَاوِدَهَا الرِّيحَ السَّافِيهِ
يَأْوِي إِلَيْهَا الْبَوْمُ غَيْرَ مُرَوِّعٍ
مَنْ كُلُّ نَعَّابٍ أَحْمُ الْخَافِيهِ^(١)
نَزَلَ الْقَضَاءُ فَمَا حَمَاهَا سَوْرُهَا
وَلَطَالَمَا رَدَّ الْجِيُوشَ الْغَازِيَهُ
وَاجْتَاكَ مُجْتَاحُ الْعُرُوشِ مَلُوكَهَا
فَكَأَنَّهُمْ (أَعْجَازُ نَحْلٍ خَاوِيهِ)
أَيْنَ الْقُصُورُ الشَّاهِقَاتُ وَأَهْلُهَا
بَادَ الْجَمِيعُ، فَمَا لَهُمْ مِنْ بَاقِيهِ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا وَغَيَّرَهَا الْبِلَى
وَلَقَدْ تُرَى حُلُلُ الْمَاسَنِ كَاسِيهِ
أَيَّامَ لَا دَوْحَ الْمَعَارِفِ ذَابِلُ
ذَاوٍ، وَلَا دُورَ الصَّنَاعَةِ خَالِيهِ
أَيَّامَ لَا لُغَةَ «الْكِتَابِ» غَرِيبَةُ
فِيهَا، وَلَا هِمَمَ الْأَعَارِبِ وَانِيهِ
أَيَّامَ كَانَ الْعِلْمُ يَغْبِطُ أَهْلَهُ
أَهْلُ الثَّرَاءِ، ذَوُو الْبُرُودِ الضَّافِيهِ
أَيَّامَ كَانَ لِكُلِّ حُسْنٍ شَاعِرُ
كَأَنَّ بِهِ وَلِكُلِّ شِعْرِ رَاوِيهِ
أَيَّامَ «دِجِلَّةُ» مُطْمَئِنُّ هَادِيُ
جَذْلَانُ يَهْزَأُ بِالْبُحُورِ الطَّامِيهِ

(١) الأحم: الأسود من كل شيء. والخوافي: ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. مفردا: خافية.

فَتَحْضُرَ الْبَادُونَ فِي أَيَّامِهِ
 وَاسْتَأْنَسْتُ حَتَّى الْوَحُوشُ الضَّارِيَهُ
 وَتَسْرَبِلْتُ «بَغْدَادُ» ثَوْبَ مَهَابَةٍ
 لَيْسَتْ تَرَاهُ أَوْ «تُراه» ثَانِيَهُ
 هَاتِيكَ أَيَّامٌ تَلَاشْتُ مَثَلَمَا
 تَمْحُو مِنَ الرَّقِّ الْحُرُوفَ الْمَاحِيَهُ^(١)
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا ذِكْرُهَا يَا حُسْنَهَا
 ذَكَرَى تَهَشُّ لَهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَهُ
 لَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ سَفَرٌ كُنْتُ يَا
 عَصْرَ الْحِضَارَةِ مَتْنَهُ وَالْحَاشِيَهُ
 عَصْرٌ لَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِعَوْدِهِ
 فَلَاخْلَعَنَّ عَلَى الْبَشِيرِ شَبَابِيَهُ!..



إِيهِ «أَبَا الْمَأْمُونِ» ذَكَرُكَ أَبَدُ
 فِي الْأَرْضِ، مِثْلُ الشَّامِخَاتِ الرَّاسِيَهُ
 بَاقٍ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ بَقَاءَهَا
 وَكَذَاكَ ذِكْرُ ذَوِي النُّفُوسِ السَّامِيهِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ مِثَالٍ بَيْنَنَا
 فَلَنْ رُوحَكَ كُلَّ حِينٍ دَانِيَهُ
 هِيَ فِي الْخُمَائِلِ زَهْرَةٌ فَيَّاحَةٌ
 هِيَ فِي الْكَوَاكِبِ شَمْسُهَا الْمُتَلَالِيَهُ
 إِنِّي لِأَعْجَبُ كَيْفَ مُتَّ فِي الْوَرَى
 حَيٌّ وَكَيْفَ طَوْتُكَ هَذَا الطَّوِيهِ
 وَمِنْ الزَّمَانِ يَهْدُ مَا شَيَّدَتْهُ
 وَيَحِ الزَّمَانِ، أَمَا تَهَيَّبَ بَانِيَهُ!

(١) الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء. وأراد بالحروف الماحية: الحروف التي تذهب بآثرها.

تشكو إليك اليومَ نفسي شَجَوْهَا
 فلأنتَ مَفْزَعُ كُلِّ نفسٍ شاكية
 أَتُراكَ تَعْلَمُ أَنَّ دَارَكَ بُدِّلَتْ
 مِنْ صَوْتِ «إِسْحَقٍ» بِصَوْتِ النَاعِيهِ؟^(١)
 أَتُراكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَتْلُوتُهُ
 قد ضَيَّعَتْهُ الأَنْفُسُ الْمُتَلَاهِيهِ؟
 يَا وَيْحَ هَذَا الشَّرْقِ بَعْدَكَ، إِنَّهُ
 لِلضَّعْفِ بَاتَ عَلَى شَفِيرِ الهَاوِيهِ
 مَا كَانَ يَقْنَعُ بِالنَّجْمِ وَسَائِدًا
 وَالْيَوْمَ يَقْنَعُ أَهْلُهُ بِالْعَافِيهِ!
 مُسْتَرْسِلُونَ إِلَى الذُّهُولِ كَأَنَّمَا
 سُحِرُوا أَوْ اصْطَرَعُوا بِبِنْتِ الْخَابِيهِ
 مُسْتَسْلِمُونَ إِلَى الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا
 أُخِذُوا، وَلَمَّا يُوْخَذُوا، بِالْغَاشِيهِ
 الْمَجْدُ إِدْرَاكَ النَّفْسِ، وَعِنْدَهُمْ
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا شَادِنٌ أَوْ شَادِيهِ
 يَهْوَى الْحَيَاةَ النَّاسُ طَوْعَ نَفْسِهِمْ
 وَهُمْ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ كَمَا هِيَ
 صَغُرَتْ نَفْسُهُمْ، فَبَاتَ عَزِيزُهُمْ
 يَخْشَى الْجَبَانَ، كَمَا يَخَافُ الطَّاعِيهِ
 حَمَلُوا الْمَغَارِمَ سَاكِتِينَ كَأَنَّمَا
 كَبُرَتْ عَلَى أَحْنَاكِهِمْ «لَا» النَّاهِيهِ
 لَمْ تَسْمَعْ الدُّنْيَا بِقَوْمٍ قَبْلَهُمْ
 مَاتُوا وَمَا بَرِحُوا الدِّيارَ الْفَانِيهِ

(١) اسحق الموصلي: المغني أيام الرشيد.

الله، لو حَرَّصُوا عَلَى أَمْجَادِهِمْ
فَلَتَلَكَّ عُنْوَانُ الشُّعُوبِ الرَّاقِيَةِ
مَلَكَ «الْعُلُوجُ» أُمُورَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ
حَتَّى سَوَامَهُمْ وَحَتَّى الْآنِيَةِ
وَاخْجَلَّةَ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَجْدَادِهِ
صَارَتْ عَبِيدُهُمُ الطَّغَامُ مَوَالِيَهُ!..



أَبْنِي الْغَطَارِفَةَ الْجَبَابِرَةَ الْأُلَى
وَطِنُوا «اللُّوَارَ» وَدَوَّخُوا «إِسْبَانِيَةَ»^(١)
مِنْ حَوْلِكُمْ وَأَمَامَكُمْ تَارِيخُهُمْ
فَاسْتَخْبِرُوهُ فَذَلِكَ أَصْدَقُ رَاوِيهِ
قَادُوا الْجِيُوشَ فَكُلُّ سَهْلٍ ضَيِّقٌ
وَرَمُوا الْمَعَاقِلَ فَهِيَ أَرْضٌ دَاحِيَةٍ^(٢)
وَسَطُوا فَاسْقَطَتِ الْعُرُوشُ مَلُوكَهَا
رُعْباً وَأَجْفَلَتِ الصُّرُوحُ الْعَالِيَةِ^(٣)
وَمَشَوْا عَلَى هَامِ النُّجُومِ فَلَمْ تَزَلْ
فِي اللَّيْلِ مِنْ وَجَلٍ تُحَدِّقُ سَاهِيَهُ
وَرَدَّتْ خِيُولُهُمُ الْمَجَرَّةَ شُرْبِيحاً
وَالشُّهْبُ مِنْ حَوْلِ الْمَجَرَّةِ صَادِيَةٍ^(٤)
أَعْطَاهُمْ صَرْفُ الزَّمَانِ زِمَامَهُ
أَمِنُوا وَمَا أَمِنَ الزَّمَانُ دَوَاهِيَهُ

(١) اللوار: أطول أنهار فرنسا (Loire) وعنده جرت المعارك بين العرب (عبد الرحمن الغافقي) والفرنجة في القرن الثامن الميلادي.

(٢) دحا: بسط يريد هنا المدحوة. (تحويل المعازل إلى أرض مبسوطة).

(٣) أجفل: شرد فذهب.

(٤) ضامرة (الشازب: الضامر)، وخيل شرب: ضامرة البطن. وصدي يصدى: عطش.

لَا أُسْتَفِزْكُمْ لِمِثْلٍ فُتَوِحِهِمْ
لَكِنْ إِلَى حِفْظِ الْبَقَايَا الْبَاقِيَةِ
أَتَذِلُّ أَنْفَ الْمَلُوكِ جُدُودَكُمْ
وَتَسْوِمُكُمْ خَسْفًا رِعَاةَ الْمَاشِيَةِ؟
كَمْ تَصْبِرُونَ عَلَى الْهَوَانِ كَأَنَّكُمْ
فِي غِبْطَةٍ وَالذِّلُّ نَارٌ حَامِيَةٍ
يَا لِلرِّجَالِ! أَمَّا عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ
إِنْ لَمْ تَثْبُرُوا، أُمَّةٌ مُتَلَاشِيَةٌ؟



«دَارَ السَّلَامِ» تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ
حَسَدَتْ مَدَامَعُهُ عَلَيْكَ قَوَافِيَهُ
فَأَرَأَقَ مَاءَ شَوْؤُنِهِ وَلَوْ أَنَّهُ
فِي الْغَادِيَاتِ أَرَأَقَ مَاءَ الْغَادِيَةِ^(١)
لَوْ كَانَ مَجْدُكَ مُسْتَرْدًّا بِالْبُكَاءِ
قَطَرَتْ مَحَاجِرُهُ الدِّمَاءَ الْقَانِيَهُ
فَعَلَيْكَ تَذْهَبُ كُلُّ نَفْسٍ حَسْرَةً
وَلِثَلِّ خَطْبُكَ تُسْتَعَارُ الْبَاكِيهُ!!



(١) الغادية: السحابة تنشأ عند الصباح.

١١ - لم أجد أحدا...

[الكامل]

قالت: سَكَتُ وما سَكَتَ سُدِّي
أَعْيَا الكلامُ عَلَيْكَ أمْ نَفِدا؟
إنَّا عَرَفْنَا فَيْكَ ذَا كَرَمٍ
ما إنْ عَرَفْنَا فَيْكَ مُقْتَصِدا
فَاطْلُقْ يِرَاعَكَ يَنْطَلِقْ خَبِباً
واحْلُلْ لِسَانَكَ يَحْلُلْ الْعُقْدا
ما قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مُعْتَقِداً
إنْ لَمْ يَقْلُ لِلنَّاسِ ما اعتَقِدا؟
والجيشُ تحتَ البَنْدِ مُحْتَشِداً
إنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحَرْبِ مُحْتَشِدا؟
والنورُ مُسْتَتِراً؟ فقلتُ لها:
كُفِّي الْمَلَامَةَ واقْصُرِي الْفَنَدا^(١)
ماذا يُفِيدُ الصَّوْتُ مُرْتَفِعاً
إنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّوْتِ ثَمَّ صَدَى؟
والنورُ مُنْبِثِثاً وَمُنْتَشِراً
إنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ هُدَى؟
إنْ الحَوَادِثُ فِي تَتَابُعِهَا
أَبْدَلْنِي مِنْ ضَلَّتِي رَشَداً

(١) قَصْرُ: ضد طال (يَقْصُرُ - قِصْرًا) والفَنَدُ هنا: اللوم والعَدْلُ.

ما خَانَنِي فِكْرِي وَلَا قَلَمِي
لَكِنْ رَأَيْتُ الشَّعْرَ قَدْ كَسَدَا!



كَانَ الشَّبَابُ، وَكَانَ لِي أَمَلٌ
كَالْبَحْرِ عُمُقًا، كَالزَّمَانِ مَدًى
وَصَحَابَةٌ مِثْلُ الرِّيَاضِ شَدًّا
وَصَوَاحِبٌ كَوُرُودِهَا عَدَدَا
لَكِنَّنِي لَمَّا مَدَدْتَ يَدِي
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!...



ذَهَبَ الصَّبَا وَمَضَى الْهُوَى مَعَهُ
أَصْبَابَةٌ وَالشَّيْبُ قَدْ وَفَدَا؟
فَالْيَوْمَ إِن أَبْصَرْتُ غَانِيَةً
أُغْضِي كَأَنِّ بِمَقْلَاتِي رَمَدَا
وَإِذَا تُدَارُ الْكَأْسُ أَصْرَفُهَا
عَنِّي، وَكُنْتُ أَلْوَمُ مَنْ زَهَدَا
وَإِذَا سَمِعْتُ هَتَافَ شَادِيَةٍ
أَمْسَكْتُ عَنْهَا السَّمْعَ وَالْكَبَدَا
كَفَّنْتُ أَحْلَامِي وَقَلْتُ لَهَا:
نَامِي! فَإِنَّ الْحَبَّ قَدْ رَقَدَا
وَقَعَّ الْخُطُوبُ عَلَيَّ أَخْرَسَنِي
وَكَذَا الْعَوَاصِفُ تُسَكِّتُ الْغَرَدَا
عَمْرُو صَدِيقٌ كَانَ يَحْلِفُ لِي
إِنْ نُحِتَ نَاحَ وَإِنْ شَدَوْتُ شَدَا
وَإِذَا مَشَيْتُ إِلَى الْمَنُونِ مَشَى
وَإِذَا قَعَدْتُ لِحَاجَةٍ قَعَدَا

صَدَّقْتُهُ، فَجَعَلْتُهُ عَضُدِي
وَأَقَمْتُ مِنْ نَفْسِي لَهُ عَضُدًا
لَكِنِّي لِمَا مَدَدْتُ يَدِي
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



هَنَدٌ، وَأَحْسَبُنِي إِذَا ذُكِرْتُ
أَطَأُ الْأَفَاعِي، أَوْ أَجْسُ مُدَى^(١)
كَانَتْ إِلَهَاءً، كُنْتُ أَعْبُدُهُ
وَأُجِلُّهُ، وَالْحُسْنُ كَمْ عُبِدَا
كَمْ زُرْتُهَا وَالْحَيُّ مِنْتَبَهُ
وَتَرَكْتُهَا وَالْحَيُّ قَدْ هَجَدَا
وَلَكُمْ وَقَفْتُ عَلَى الْغَدِيرِ بِهَا
وَالرَّيْحُ تَنْسِجُ فَوْقَهُ زَرْدَا
وَالْأَرْضُ تَرْقُصُ تَحْتَنَا طَرِبًا
وَالشُّهْبُ تَرْقُصُ فَوْقَنَا حَسَدَا
وَلَكُمْ جَلَسْنَا فِي الرِّيَاضِ مَعًا
لَا طَارِئًا نَخْشَى وَلَا رَصَدَا
وَاللَّيْلُ فَوْقَ الْأَرْضِ مَنْسَدَلٌ
وَالْغَيْمُ فَوْقَ الْبَدْرِ قَدْ جَمَدَا
قَدْ كَاشَفْتَنِي الْحُبَّ مُقْتَرِبًا
وَشَكْتُ إِلَيَّ الشُّوقَ مَبْتَعدَا
لَكِنِّي لِمَا مَدَدْتُ يَدِي
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



(١) المَدْيَةُ: السَّكِينُ (وَالْجَمْعُ: مَدَى).

قومي، وقد أطربتُهمُ زمناً
ساقوا إليَّ الحُزنَ والكَمَدَا
هم عاهدوني إنْ مَدَدْتُ يَدِي
لَيَمُدُّ كُلُّ فَتًى إِلَيَّ يَدَا
قالوا غداً تهمني سَحَائِبُنَا
فرجعتُ أدراجي أقول غدا
وظننتُ أني مدركُ أَرْبِي
إن غارَ تحت الأرض أو صَعِدَا
فذهبتُ أمشي في التُّرى مَرِحاً
ما بين جَلَّاسِي، ومُنْفَرِدَا
تِيهِ المَجاهِدِ نال بُغْيَتَهُ
أو تِيهِ مُسَكِينِ إذا سُعِدَا
لكننني لما مَدَدْتُ يَدِي
وأدرتُ طَرْفِي لم أجِد أحداً!..



هُم هَدَدُونِي حِينَ صَحْتُ بِهِمْ
صَيِّحَاتِي الشَّعْوَاءِ مُنْتَقِدَا
ورأيتُ في أحداقِهِمْ شَرّاً
ورأيتُ في أشداقِهِمْ زَبَداً
وسَمِعْتُ صَائِحَهُمْ يَقُولُ لَهُمْ:
أَنْ أَقْتُلُوهُ حَيْثُمَا وَجَدَا
فرجعتُ أحسبُهمُ بَرَابِرَةً
في مَهْمَةٍ وَأَظُنُّنِي وَلَداً^(١)

(١) المهمة: المفازة البعيدة (والجمع: مهامه).

مَرَّتْ لِيَالٍ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَأَنَا حَزِينٌ بَاهِتٌ كَمَدًا^(١)
أَرْتَاعُ إِنْ أَبْصَرْتُ وَاحِدَهُمْ
ذُعَرَ الشُّوَيْهَةِ أَبْصَرْتُ أَسَدًا
وَإِذَا رَقَدْتُ رَقَدْتُ مُضْطَرِبًا
وَإِذَا صَحَوْتُ صَحَوْتُ مُرْتَعِدًا
لَكِنِّي لِمَا مَدَدْتُ يَدِي
وَأَدْرْتُ طَرْفِي لَمْ أَجِدْ أَحَدًا!..



لَا تَذْكُرُوهُمْ لِي، وَإِنْ سَأَلُوا
لَا تَذْكُرُونِي عَنْهُمْ أَبَدًا
لَا يَمَلُّ السَّرِبَالَ وَاحِدُهُمْ
وَلَهُ وَعُودٌ تَمَلُّ الْبَبَالَ^(٢)
يَا لَيْتَنِي ضَيَّعْتُ مَعْرِفَتِي
مَنْ قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ مِنْهُمْ أَحَدًا^(٣)

(١) الكَمَدُ والكَمِيدُ: الحزين الذي يكتُم حزنه.

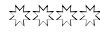
(٢) السَّرِبَالُ: القميص.

(٣) التقدير: أَنْ أَعْرِفَ.

١٢ - السُّرْفِي الأرواح

[الكامل]

قال الغرابُ وقد رأى كَلَفَ الورى
وهَيَامَهُم بالبلبل الصَّدَّاحِ:
«لِمَ لَا تَهَيِّمُ بِي المِسامعُ مثلهُ
ما الفرقُ بين جناحه وجناحي؟
إني أشدُّ قُوًى وأمضى مِخْلَباً
فعلامَ نامَ الناسُ عن تَمْدَاحي؟»



أمُفَرِّقَ الأحبابِ عن أحبابهم،
ومكدرَ اللذاتِ والأفراح!
كم في السوائل من شبيهٍ بالطلا
فعلامَ ليس لها مَقَامُ الراح؟
ليس الحُظُوظُ من الجسوم وشكلها
السُّرُّ كُلُّ السُّرْفِي الأرواح
والصوتُ من نِعَمِ السماء، ولم تكن
ترضى السَّما إلا عن الصَّدَّاح
حُكْمُ القضاةِ فإن نَقِمْتَ على القضا
فأضربْ بعنقِك مُدِيَةَ الجَرَّاح

١٣ - بنت سوريّة

[الرمّل]

ليس يدري الهمُّ غيرُ المُبتلى^(١)
طالَ جنحُ الليلِ أو لم يَطُلْ
ما لهذا النجمِ مثلي في الثرى
طائرَ النومِ شديدَ الوجَلِ
أُتْرَاهُ يَتَّقِي طَارِئَةً
أم به أنِّي غَرِيبُ المَنَزَلِ؟
كلّما طالعتُ خُطْباً جَلالاً
جاءني الدهرُ بخطبٍ جَلَلِ
أشتكي الليلَ ولو ودَّعتهُ
بتُّ من هَمِّي بـلـيلٍ أَلـيلِ^(٢)
يا بناتِ الأفقِ ما للصبِّ منِ
مُسْعِدٍ في الناسِ؛ هلْ فيكُنْ لي؟
لا عَرَفْتُنَّ الرزايَا إنها
شَيَّبَتْ رَأْسِي ولم أَكْتَهِلْ
سَهَدَتْ سُهْدِي الدَّرَارِي^(٣) إنما
شَدَّ ما بينَ المَعْنَى والخَلِي
ليتَ شِعْرِي ما الذي أعجَبَها
فهي لا تَنفَكُ تَرنُو من عَلِ

(١) يريد: المبتلى.

(٢) شديد الظلمة.

(٣) النجوم لأنها تلمع في السماء كالدرر.

أَنَا لَا أَغْبِطُهَا خَالِدَةً
 وَلَقَدْ أَحْسَدُهَا لَمْ تَعْقِلْ
 كُلَّمَا رَاجَعْتُ أَحْلَامَ الصَّبَا
 قُلْتُ: يَا لَيْتَ الصَّبَا لَمْ يَزَلْ!..
 أَيُّهَا الْقَلْبُ الَّذِي فِي أَضْلَعِي
 إِنَّمَا اللَّذَّةُ جَهْلًا فَاجْهَلِ^(١)
 تَجْمَلُ «الرَّقَّةُ» فِي الْعَضْبِ فَإِنْ
 كُنْتَ تَهْوَاهَا فَكُنْ كَالْمُنْصِلِ^(٢)
 هِيَ فِي الْغَيْدِ الْغَوَانِي قُوَّةٌ
 وَهِيَ ضَعْفٌ فِي فِؤَادِ الرَّجُلِ
 لَا يَغُرُّ الْحُسْنَ ذَا الْحُسْنِ فَقَدْ
 يَصْرَعُ الْبَلْبِلُ صَوْتَ الْبَلْبِلِ
 تُقْتَلُ الشَّاةُ وَلَا ذَنْبَ لَهَا
 هِيَ، لَوْلَا ضَعْفُهَا، لَمْ تُقْتَلْ
 إِنْ تَكُنْ فِي الْوَحْشِ كَنْ لَيْثَ الشَّرَى^(٣)
 أَوْ تَكُنْ فِي الطَّيْرِ كَنْ كَالْأَجْدَلِ^(٤)
 أَوْ تَكُنْ فِي النَّاسِ كَنْ أَقْوَاهُمْ
 لَيْسَتْ الْعُلَيَاءُ حَظَّ الْوَكْلِ!^(٥)



مَا لِقَوْمِي - لَا وَهَى حَبْلُهُمْ -
 قَنِعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِالْوَشْلِ^(٦)

(١) الصحيح: إنما اللذة جهل... إلا إذا لجأنا إلى التقدير!

(٢) النص: حديد السيف، والمنصل: السيف.

(٣) موضع تُنسب إليه الأسود.

(٤) الصقر.

(٥) أرادها جمعاً للوكل: البلبل الجبان، المتكل على غيره.

أَنَا مِنْ أَمْرِهِمْ فِي شُغْلٍ
وَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ فِي شُغْلٍ
كَلَّمَا فَكَّرْتُ فِي حَاضِرِنَا
عَاقَنِي الْيَأْسُ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ
نَحْنُ فِي الْجَهْلِ عَبِيدُ لِلْهَوَى
وَمَعَ الْعِلْمِ عَبِيدُ الدُّوَلِ
نَعْشِقُ الشَّمْسَ وَنَخْشَى حَرَّهَا
مَا صَعِدْنَا وَهِيَ لَمَّا تَنْزِلِ
قَدْ مَشَى الْغَرْبُ عَلَى هَامِ السُّهَا
وَمَشِينَا فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ
سَجَّلَ الْعَارَ عَلَيْنَا مَعْشَرُ
سَجَّلُوا الْمِرْأَةَ بَيْنَ الْهَمَلِ
فَهِيَ إِمَّا سِلْعَةٌ حَامِلَةٌ
سِلْعَةً أَوْ آلَةً فِي مَعْمَلِ
أَرْسَلُوهَا تَزْرَعُ الْأَرْضَ خُطًى
وَتُبَارِي كُلَّ بَيْتٍ مِثْلَ^(١)
تَتَهَادَاهَا الْمَوَامِي وَالرُّبَا^(٢)
فَهِيَ كَالدِّينَارِ بَيْنَ الْأَنْمَلِ
لَا تُبَالِي الْقَيْظَ يَشْوِي حَرُّهُ
لَا وَلَا تَحْذَرُ بَرْدَ الشَّمْمَالِ
وَلَهَا فِي كُلِّ بَابٍ وَقْفَةٌ
كَامِرُ الْقَيْسِ حِيَالِ الْطَّلَلِ^(٣)

(١) في عجز البيت ركاقة وغموض. لم أجد له في النسخ بين يدي، صورة أخرى!

(٢) المومة: المفازة الواسعة، والفلاة التي لا ماء فيها (وجمعها: الموامي).

(٣) إشارة إلى مطلع معلقته التي طلب فيها من صاحبيه الوقوف على الحبيب ومنزله، بسقط اللوى...

تَتَّقِي قَوْلَ «اغْرُبِي» خَشِيتَهَا
قَوْلَةَ الْقَائِلِ «يَا هَذَا ادْخُلِي»
فَهِيَ كَالْعَصْفُورِ وَافِي صَادِيًا^(١)
فَرَأَى الصَّيَّادَ عِنْدَ الْمَنْهَلِ
كَامِنًا، فَاَنْصَاعَ يُدْنِيهِ الظُّلْمَا
ثُمَّ يُقْصِرِيهِ اتِّقَاءَ الْأَجَلِ
وَلَكُمْ طَافَتْ بِهِ أَمِلَاءُ
وَانْثَنَتْ تَقْطَعُ خَيْطَ الْأَمَلِ
وَلَكُمْ مَدَّتْ إِلَى الرَّفْدِ^(٢) يَدًا
خُلِقَتْ فِي مِثْلِهَا لِلْقَبْلِ
مَا بِهَا؟ لَا كَانَ شَرًّا مَا بِهَا
مَا لَهَا مِنْ أَمْرِهَا فِي خَبَلٍ؟
سَأَلُوهَا أَوْ سَلُوا عَنْ حَالِهَا،
إِنْ جَهِلْتُمْ، كُلُّ طِفْلٍ مُحْوِلٍ^(٣)
فِي سَبِيلِ الْمَالِ أَوْ عُشَّاقِهِ
تَكْدَحُ الْمَرْأَةُ كَدْحَ الْإِبِلِ
مَا تَرَاهَا وَهِيَ لَا حَوْلَ لَهَا
تَحْتَ عِبٍّ فَادِحٍ كَالْجَبَلِ
شَدَّتِ الْأَمْرَاسَ فِي سَاعِدِهَا
مَنْ رَأَى الْأَمْرَاسَ حَوْلَ الْجَدُولِ؟
جَشْمُوهَا كُلُّ أَمْرٍ مُغْضِلٍ
وَهِيَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ الْمَنْزِلِ

(١) صَدَيَّ - يَصْدِي: عطش. والصادي: العطشان.

(٢) الرَّفْد: العطاء.

فإذا فارقتِ الدارَ ضُحَى
لم تُعُدْ إِلَّا قُبَيْلَ الطُّفْلِ^(١)
أَلِفَتْ مَا عَوَّدَهَا مِثْلَ مَا
تَأَلَّفَ الظَّبْيَةُ طَعْمَ الحَنْظَلِ!
بنتَ سُورِيَا التي أبكى بها
هِمَّةَ اللَّيْلِ وَرُوحَ الحَمَلِ
ما أَطَاعُوا فَيْكَ أَحْكَامَ النُّهَى
لا ولا قولَ الكتابِ المُنْزَلِ
قد أَضَاعُواكِ وما ضَيَّعَتْهُمْ
فأَضَاعُوا كُلَّ أُمٍّ مُشْبِلِ^(٢)

(١) الدخول في المساء.

(٢) قامت على أولادها بعد زوجها، وليئة مشبل: معها أولادها.

١٤ - الفقير

[الفقير]

هَمْ أَلَمٌ بِهِ مَعَ الظَّالِمَاءِ
فَنَأَى بِمَقَلَّتِهِ عَنِ الْإِغْفَاءِ
تَعِسُ أَقَامُ الْحَزْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِ،
وَالْحَزْنَ نَارٌ غَيْرُ ذَاتِ ضِيَاءِ
يَرعى نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَ بِهِ هَوًى
وَيَخَالُهُ كَلِيفاً بِهِنُ الرَّائِي
فِي قَلْبِهِ نَارُ (الْخَالِيلِ) وَإِنَّمَا
فِي وَجَنَّتِيهِ أَدْمَعُ (الْخَنَسَاءِ)^(١)
قَدْ عَضَّهُ الْيَأْسُ الشَّدِيدُ بِنَابِهِ
فِي نَفْسِهِ، وَالْجُوعُ فِي الْأَحْشَاءِ
يَبْكِي بِكَاءِ الْطِفْلِ فَارِقَ أُمِّهِ
مَا حِيلَةُ الْمُحْزُونِ غَيْرُ بَكَاءٍ!
فَأَقَامَ جِلْسَ الدَّارِ وَهُوَ كَأَنَّهُ
- لَخَلَوْ تِلْكَ الدَّارِ - فِي بَيْدَاءِ
حَيْرَانَ لَا يَدْرِي أَيَقْتُلُ نَفْسَهُ
عَمْدًا فَيَخْلَصَ مِنْ أَذَى الدُّنْيَاءِ^(٢)
أَمْ يَسْتَمِرُّ عَلَى الْغَضَاضَةِ وَالْقَذَى
وَالْعَيْشِ لَا يَحِلُّو مَعَ الضَّرَاءِ

(١) النبي إبراهيم الخليل عليه السلام. انظر سورة الأنبياء في القرآن الكريم الآية ٦٩. والخنساء الشاعرة المخضمة التي بكت أخاها (صخرأ) بكاءً مرأً.

(٢) أرادها جمعاً (لدنيء).

طردَ الكرى وأقام يشكو ليله
يا ليلُ طُلْتَ، وطالَ فيكَ عَنائي!
يا ليلُ قد أغريتَ جسمي بالضنا
حتى لَيُؤْلِمُ فَقْدُهُ أَعْضائي
ورميتَنِي يا ليلُ بالهمَّ الذي
يَفرِي الحشا، والهمُّ أعسرُ داء
يا ليلُ! مالكَ لا تَرِقُّ لحالتي
أَتُراكَ والأَيامُ من أَعْدائي؟
يا ليلُ! حسبي ما لقيتُ من الشَّقَا
رحمًاكَ لستُ بِصخرةٍ صمَّاء
بِ^(١) يا ظلامُ عن العيون فربمَّا
طلع الصبَّاحُ وكان فيه عزائي
وارحمتا للبائسينَ فإنهمُ
موتى وتحسَّبُهمُ من الأحياء
إني وجدتُ حظوظَهمُ مُسودَّةً
فكأنما قُدتُ من الظُّلُماءِ
أبدًا يُسرُّ بنو الزمان وما لهم
حظٌّ كغيرهمُ من السُّراءِ
ما في أكفِّهمُ من الدنيا سوى
أن يُكثِّروا الأحلامَ بالنَّعماءِ
تدنو بهم أمالُهمُ نحو الهنا
هيهاتَ يدنو بالخيالِ النَّائي
بَطِرَ الأنامُ من السُّرورِ وعندهم
أنَّ السُّرورَ مرادفُ «العنقاء»

(١) بَانَ، يَبِينُ: بَعْدَ.

إِنِّي لِأَحْزَنُ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُمْ
 غَرَضَ الْخَطُوبِ وَعُرْضَةَ الْأَرْزَاءِ
 أَنَا مَا وَقَفْتُ لَكِي أَشْبَبَ بِالْطَّلَا
 مَا لِي وَلِلتَّشْبِيبِ بِالصَّهْبَاءِ؟
 لَا تَسْأَلُونِي الْمَدْحَ أَوْ وَصْفَ الدُّمَى
 إِنِّي نَبَذْتُ سَفَاسِفَ الشُّعْرَاءِ
 بَاعُوا لِأَجْلِ الْمَالِ مَاءَ حَيَائِهِمْ
 مَدْحًا وَبِتُّ أَصُونُ مَاءَ حَيَائِي
 لَمْ يَفْهَمُوا مَا الشُّعْرُ، إِلَّا أَنَّهُ
 قَدْ بَاتَ وَاسْطَةً إِلَى الْإِثْرَاءِ
 فَلِذَاكَ مَا لَاقَيْتُ غَيْرَ مَشَبِّبٍ
 بِالْغَانِيَاتِ وَطَالِبٍ لِعِطَاءِ
 ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا الرَّحِيبَةُ فَاَنْتَنَى
 بِالشُّعْرِ يَسْتَجِدِي بَنِي حَوَاءِ
 شَقِي الْقَرِيضُ بِهِمْ وَمَا سَعِدُوا بِهِ
 لَوْلَاهُمْ أَضْحَى مِنَ السُّعْدَاءِ
 نَادَوْا عَلَيْنَا بِالْمَحَبَّةِ وَالْهُوَى
 وَصُدُّوهُمْ طُبِعَتْ عَلَى الْبَغْضَاءِ
 أَلْفُوا الرِّيَاءَ فَصَارَ مِنْ عَادَاتِهِمْ
 لَعَنَ الْمَهِيْمُنُ شَخْصَ كُلِّ مُرَاءٍ!
 إِنْ يَغْضَبُوا مِمَّا أَقُولُ فَطَالَمَا
 كَرِهَ الْأَدِيبَ جَمَاعَةُ الْغَوَغَاءِ
 أَوْ يَنْكَرُوا أَدَبِي فَلَا تَتَعَجَّبُوا
 فَالرُّمْدُ يُؤْلِهِمْ طُلُوعُ نُكَاءِ^(١)

(١) نكاه: الشمس. والرمد: من الرمد (أرمد ورمداء).

أَوْ كَلِمَا نَصَرَ الْحَقِيقَةَ فَاضِلٌ
قَامَتْ عَلَيْهِ قِيَامَةُ السُّفْهَاءِ!
أَنَا مَا وَقَفْتُ الْيَوْمَ فَيْكُمْ مَوْقِفِي
إِلَّا لِأَنْدُبَ حَالَةَ التُّعَسَاءِ
عَلِّي أُحْرِكَ بِالْقَرِيضِ قُلُوبَكُمْ
إِنَّ الْقُلُوبَ مَوَاطِنُ الْأَهْوَاءِ
لَهْفِي عَلَى الْمَحْتَاجِ بَيْنَ رَبِوعِكُمْ
يُمَسِّي وَيُصْبِحُ وَهُوَ قَيْدُ شَقَاءِ
أَمْسَى سَوَاءً لَيْلُهُ وَصَبَاحُهُ
شَتَانُ بَيْنِ الصُّبْحِ وَالْإِمْسَاءِ
قَطَعَ الْقَنُوطُ عَلَيْهِ خَيْطَ رَجَائِهِ
وَالْمَرْءُ لَا يَحْيَا بِغَيْرِ رَجَاءِ
لَهْفِي! وَلَوْ أَجْدَى التَّعْيِسِ تَلَهَّفِي
لَسَفَكْتُ دَمْعِي عِنْدَهُ وَدُمَائِي
قُلْ لِلْغَنِيِّ الْمُسْتَعِزِّ بِمَالِهِ:
مَهْلًا لَقَدْ أُسْرِفْتُ فِي الْخِيَلِ
جُبِلَ الْفَقِيرُ أَخْوَكُ مِنْ طَيْنٍ وَمِنْ
مَاءٍ، وَمِنْ طَيْنٍ جُبِلَتْ وَمَاءٍ
فَمِنْ الْقِسَاوَةِ أَنْ تَكُونَ مُنْعَمًا
وَيَكُونَ رَهْنًا مَصَائِبٍ وَبِلَاءِ
وَتَظَلُّ تَرْفُلُ بِالْحَرِيرِ أَمَامَهُ
فِي حِينَ قَدْ أَمْسَى بِغَيْرِ كِسَاءِ
أَتَخِضُّ بِالْدِينَارِ فِي إِسْعَافِهِ
وَتَجُودُ بِالْآلَافِ فِي الْفَحْشَاءِ
انْصِرْ أَخَاكَ فَإِنْ فَعَلْتَ كَفَيْتَهُ
ذُلَّ السُّؤَالِ وَمِنْنَةُ الْبُخْلَاءِ

أَذْوِي الْيَسَارِ! وَمَا الْيَسَارُ بِنَافِعٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُوه أَهْلَ سَخَاءٍ
كَمْ ذَا الْجَحُودُ وَمَا لَكُمْ رَهْنُ الْبِلَى
وَبِمَ الْغُرُورُ وَكَلِمَ لَفَنَاءٍ؟
إِنْ الضَّعِيفُ بِحَاجَةٍ لِنُضَارِكُمْ
لَا تَقْعُدُوا عَنْ نُصْرَةِ الضَّعْفَاءِ
أَنَا لَا أَذْكَرُ مِنْكُمْ أَهْلَ النَّدَى
لَيْسَ الصَّحِيحُ بِحَاجَةٍ لِدَوَاءٍ
إِنْ كَانَتْ الْفُقَرَاءُ لَا تَجْزِيكُمْ
فَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِ الْفُقَرَاءِ

١٥ - بين الكاس والطاس

[الرمل]

حَمَلَ الشَّمْسُ إلَيْنَا قَمَرُ
فِي سَمَاءٍ نَحْنُ فِيهَا أَنْجَمُ
شَادِنُ حَكْمَهُ الْحُسْنُ بَنَا
وَسِوَى الْحُسْنِ بَنَا لَا يَحْكُمُ
أَسْبَلَ الشَّعْرَ فَيَا عَيْنِي اسْهَرِي
إِنَّهُ لَيْلٌ طَوِيلٌ مُظْلِمٌ
وَاحْذَرِي يَا مُهْجَتِي مِنْهُ فَمَا
ذَلِكَ الْأَسْنُودُ إِلَّا أَرْقَمُ^(١)
كَادَ أَنْ يُشْبِهَ جِسْمِي خَصْرُهُ
إِنَّمَا رَقَّتْهُ بِي سَقَمُ
يَتَلَطَّى الْخَالُ فِي وَجْنَتِهِ
أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَصْلَى الْمُغْرَمُ؟
صَنَمٌ فِي خَدِّهِ النَّارُ وَفِي
كَفِّهِ ضَرْبَتُهَا تَخْطِطِرِمُ^(٢)
بَنْتُ كَرَمٍ لَمْ يَهْمُ فِيهَا سِوَى
كُلِّ صَبٍّ هَامٍ فِيهِ الْكَرَمُ
حُبِسَتْ فِي دَنْهَا مِنْ قِدَمٍ
مَا لَهَا ذَنْبٌ وَلَكِنْ ظَلَمُوا

(١) الحية فيها سواد وبياض.

(٢) يقصد الخمرة وما تفعل حرارتها في النفس.

حَرَّمُوهَا حِينَ مَا خَافُوا عَلَيَّ
هَـا سِوَاهُمْ فَاسْقِنِي مَا حَرَّمُوا
إِنَّهَا سِرٌّ فَشَا بَيْنَ الْوَرَى
وَإِذَا السِّرُّ فَشَا لَا يُكْتَم

١٦ - في السفينة

[مجزوء الوافر]

تَسِيرُ بِنَا عَلَى عَجَلٍ
وَإِنْ شَاءَتْ عَلَى مَهْلٍ
وَتَسْعَى سَعْيَ مُشْتَاقٍ
بِلا قَلْبٍ وَلَا عَقْلٍ
وَتَمْشِي فِي عُبابِ الْمَا
مِمْشِي الصَّلِّ فِي الرَّمْلِ^(١)
فَمَا تَعْبِسُ لِحَزْنٍ
وَلَا تَضْحَكُ لِسَهْلٍ^(٢)
أَبَتْ أَنْ تَعْرِفَ الشُّكُوفَى
مَنْ التُّرَحَّالِ وَالْحِلِّ
فَطَوْرًا فِي قَرَارِ الْيَمِّ
لِلْغَامِضِ تَسْتَجْلِي
وَأَوْنَةً تُنَاجِيهَا
دَرَارِي الْأَفْقِ بِالْوَصْلِ^(٣)
وَأَحْيَانًا تُوَالِي سَيِّدَ
رَهَا سَاكِنَةَ الظِّلِّ
وَلِلْمَوْجِ حَوَالِيهَا
زُنَيْرُ الْيَثِ ذِي الشُّبْلِ

(١) الصَّلِّ: الحية التي تقتل، من ساعتها، إذا نهشت.

(٢) الحَزْن: غلظة الطريق.

(٣) الدَرَارِي: النجوم لأنها تضيء في السماء، مثل الدرر.

رَكِبْنَاهَا وَنَارُ الشَّوْ
 قِ فِي أَحْشَائِهَا تَغْلِي
 فَيَا إِلَهَ حَتَّى السُّفْ
 نِ مِثْلِي مَا لَهَا مُسَلٌ^(١)
 فَلَا تَعَجِّبْ إِذَا أُعْجِ
 بَ مَنْ أَطْوَارُهَا مِثْلِي
 فَمَا أَعْرِفُ مَرْكُوباً
 سِوَى الْأَفْـرَاسِ وَالْإِبِلِ
 وَمَا أَعْلَمُ قَبْلَ الْآ
 نِ أَنَّ الطُّوْدَ نَاقٌ لِي^(٢)
 تَرَكَنَا «غَادَةَ الشَّرْقِ»
 إِلَى «لَبْنَانَ» ذِي الْفَضْلِ
 فَـمِنْ وَطَنِ إِلَى وَطَنِ
 وَمِنْ أَهْلِ إِلَى أَهْلِ

(١) أسلاد عن همّة فتسلى (من السلوان).

(٢) يريد: ناقة لي، وقد شبه السفينة بالجبل.

١٧ - يا صاح !...]

[السريع]

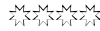
يا صاح كم تفأحة غضة
يحملها في الروض غصن رطيب
ناضجة ترتج في جوها
مثل ارتجاج الشمس عند المغيب
حرّضك الوجد على قطفها
لما غفا الواشي ونام الرقيب
لكن لأمرر أنت أدري به
رجعت عنها رجعة المستريب
تقول للنفس الطموح: اقصري
ما سرقة التفاح شأن الأريب



ورب صفراء كلون الضحى
ينفي بها أهل الكروب الكروب
دارت على الشرّب بها عادة
كأنها ظبي الكناس الربيب^(١)
في طرفك الساجي هيام بها
وبين أحشائك شوق مذبذب
لكن لأمرر أنت أدري به

(١) الكناس: موضع الظبي في الشجر، يكتن فيه ويستتر. والرييب: المريبوب (من: ريب: أنشأه).

رَجَعْتَ عَنْهَا رَجْعَةَ الْمُسْتَرِيبِ
تَقُولُ لِلنَّفْسِ الطَّمُوحِ اقْصِرِي
مَا غُرَّ بِالصَّهْبَاءِ يَوْمًا لَبِيبِ
إِيَّاكِ إِيَّاكِ وَأَكْوَابَهَا
أَخْتُ الْخَنَا هَذِي وَأُمُّ الذَّنُوبِ
وَكَمْ شِفَافَاهِ أَرْجُوَانِيَّةِ
كَأَنَّهَا مَخْضُوبَةٌ بِاللَّهَبِ
سَاعِدَكَ الدَّهْرُ عَلَى لَثْمِهَا
وَرَشَفَ مَا خَلْفَ الْلَهَبِ الْعَجِيبِ
لَكِنْ لَأَمْرٍ أَنْتَ أَدْرِي بِهِ
رَجَعْتَ عَنْهَا رَجْعَةَ الْمُسْتَرِيبِ
تُعَنْفُ الْقَلْبَ عَلَى غَيْهِ
وَتَعْزِلُ الْعَيْنَ الَّتِي لَا تُنِيبِ
قَتَلْتَ نَزْعَاتِكَ فِي مَهْدِهَا
وَلَمْ تُطْعِ فِي الْحَبِّ حَتَّى الْحَبِيبِ



وَالآنَ لَمَّا انْجَابَ عَنْكَ الصَّبَا
وَلَا حَ فِي الْمَفْزُقِ ثُلُجُ الْمَشِيبِ
وَاسْتَسْلَمَ الْقَلْبُ كَمَا اسْتَسْلَمْتُ
نَفْسُكَ لِلْيَأْسِ الْمَخُوفِ الرَّهِيبِ
أَرَاكَ لِلْحَسْرَةِ تَبْكِي كَمَا
يَبْكِي عَلَى النَّائِي الْغَرِيبِ الْغَرِيبِ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ الصَّبَا عَائِدُ
هِيَاهُنَا قَدْ مَرَّ الزَّمَانُ الْقَشِيبِ



خَلُّ الْبُكَ يَا صَاحِبِي وَالْأَسَى
الَّيْلُ لَا يُقْصِرِيهِ عَنْكَ النَّحِيبُ
لَا خَيْرَ فِي الشَّيْءِ انْقَضَى وَقْتُهِ
مَا لَقْتِيلٍ حَاجَةٌ بِالطَّبِيبِ!



١٨ - بلاء أم نعمة

[المقارب]

أحبُّ معانقةَ النرجسِ
لعينيكِ يا ابنةَ كُولْمُبُسِ^(١)
وأهوى الشَّقِيقَ وَلَتَمَّ العَقِيقِ
لخدكِ والثُّغْرِ الأَلْعَسِ^(٢)
أعِندكِ إنْ غِبتِ عن ناظري
مشيتُ من الصبحِ في حِنْدَسِ
وأنَّ الظلامَ على هَوْلِهِ
إذا جئتِ حالاً إلى مُشْمَسِ
وفي الصِّدْرِ قلبٌ ولا كالقلوبِ
متى شئتِ يسعدُ أو يتعَسِ
وددتُ الإفاضةَ قبل اللقاءِ
فلَمَّا لقيتُك لم أنيسِ
وبتُ وإيَّاكِ في مَعْزِلِ
كأنِّي وإيَّاكِ في مجلسِ
ولو أنَّ ما بي بالطَّودِ دُكُّ
وبالأسدِ الورْدِ لم يَفْرِسِ^(٣)
هممتُ فأنكّرني مِقْوَلِي
وشاء الغرامُ فلم أهجسِ^(٤)

(١) وجَّهها إلى زوجته دوروثي، بصفتها مقيمة في أمريكا مع والدها نجيب موسى دياب صاحب (مرآة الغرب)

(٢) اللعس: لون الشفة إذا مال إلى السواد.

(٣) الفرس: الكسر وبق العنق.

كَأَنِّي لَسْتُ أَمِيرَ الْكَلَامِ
 وَلَا صَاحِبَ الْمَنْطِقِ الْإِنْفَسِ
 جَلَّالُكَ، وَاللَّيْلُ فِي صَمْتِهِ
 فَلَا غَرَوْ أَنْ رُحْتُ كَالْأَخْرَسِ
 وَمَرَّتْ بِنَا سَاعَةٌ خَلَّتُنَا
 خَلَعْنَا الْجِسْمَ عَنِ الْإِنْفَسِ
 وَأَنَا مِنَ الرُّوضِ فِي جَنَّةٍ
 وَأَنَا مِنَ الْعُشْبِ فِي سُنْدُسٍ
 كَذَلِكَ الْهَوَى فِعْلُهُ فِي النِّفَاسِ
 كَفَعَلَ الْمُدَامَةِ فِي الْأَرُوسِ
 تَنْبَهَ فِيهَا وَفِي الْهَوَى
 فَلَوْنَعَسَ النِّجْمُ لَمْ نَنْعَسِ
 وَكُلُّ فَوَادٍ شَدِيدِ الْعُرَامِ
 إِذَا رُضَّتْهُ بِالْهَوَى يُسَلِّسِ
 فَمَالَتْ فَطَوَّقَهَا سَاعِدِي
 مُنْعَمَةً بِخُذَّةِ الْمَلَامِسِ
 وَإِنَّ الْعَفَافَ لَفِي بُرْدِهَا
 وَإِنَّ الْإِبَاءَ لَفِي مِعْطَسِي
 وَقُلْتُ وَكَفِّي فِي كَفِّهَا:
 أَلَا صَرَّحِي لِي أَوْ فَاهِمِسي
 بَلَاءُ هُوَ الْحُبُّ أَمْ نَعَمَةٌ؟
 أَجَابَتْ: تَجَلَّدُ وَلَا تَيْئَسُ!

١٩ - الخلود

[الرمل]

غِلَطَ القائلُ: إِنَّا خالِدُونَ
كَلْنَا، بعد الردي، هِيُّ بن بِي^(١)



لو عَرَفْنَا ما الذي قبل الوجود
لَعَرَفْنَا ما الذي بعد الفناء
نحن لو كُنَّا «كما قالوا» نعود
لم تَخَفْ أَنْفُسُنَا رَبِّبَ القضاء
إِنَّمَا القولُ بَأَنَّا للخلود
فكرةٌ أوجدها حبُّ البقاء
نعشقُ البَقِيَا لأنَّا زائلون
والأمانِي حَيَّةٌ في كلِّ حَيٍّ



زَعَمُوا الأرواحَ تَبْقَى سَرْمَدًا
خَدَعُونَا... نحن والشمعُ سَوَاءٌ
يَلْبِثُ النورُ بها مُتَّقِدًا
فإذا ما احْتَرَقَتْ بادِ الخِيَاءُ
أين كان النورُ؟ أَنَّى وَجِدَا؟
كيف وَلَّى عندما زال البناءُ؟
شمعتي فيها لَطَّابِ اليقينِ
أَيَّةُ تَدْفَعُ عَنْهُمْ كلَّ غِي^(٢)



(١) هِيُّ بن بِي: كناية عمَّن لا يُعرف ولا يُعرف أبوه.

(٢) الضلال (غوى - يغوي فهو غوي).

ليست الروحُ سوى هذا الجسدُ
معه جاءت ومعه ترجعُ
لم تكن موجودة قبل وجودُ
ولهذا حين يمضي تتبّع
فمن الزورِ الموشى والفند^(١)
قولنا: الأرواحُ ليست تُصرعُ
تلبثُ الأفياءُ ما دام الغصونُ
فإذا ما ذهبَت لم يبقَ في



لو تكونُ الروحُ ما لا يضمحلُ
ما جزعنا كلما جسمٌ همدُ
لو تكونُ الروحُ جسماً مستقلُ
لراها من يرى هذا الجسدُ
كلُّ ما في الأرض من عينٍ وظلٍ
سوف ينحلُّ كما انحلَّ الزبدُ
ولئن صحَّ بأننا منشرونُ
جاز أن يعقَّبَ ذاك المنشَرطي



ليت من قالوا بأننا كالزهورِ
خبَّرونا أين تمضي الرائحةُ؟
أترى تبقى كألحانِ الدهورِ؟
أم تلاشى مثل صوتِ النائحةُ؟
ليت شعري أيُّ خلدٍ للبُذورِ
بعد أن تُلقى بنارٍ لافحةُ؟

(١) الفند: الكذب (أفند: كذب).

قل لمن يَخْبِطُ في لَيْلِ الظُّنُونِ
ليس بعدَ الموتِ للظالمِ رِيٌّ



مِثْلَ ما يذهبُ لونُ الورقِ
عندما تَيْبَسُ في الأرضِ الأصولُ
مِثْلَ ما يُفقدُ نورَ الحدَقِ
حينَ أقضي.. هكذا نفْسِي تَزولُ
كتلاشي الشمعة المحترقة
تتلاشى بين ضحكٍ وعويلٍ
أنا بعد الموتِ شيئاً لا أكونُ
حيثُ إنِّي لم أكن من قبلُ شيءٍ!



إيه أبناءَ الثَّرَى نَسَلِ القُرودِ^(١)
عَلَّوْا أَنْفُسَكُمْ بِالتُّرَّهَاتِ
إِلْبَسُوا فِي صَحُوكُمْ ثَوْبَ الجُمُودِ
واحْلُمُوا فِي نومِكُمْ بِالْعُجْزَاتِ
فسيأتي زمنٌ غيرُ بعيدٍ
تتهادى بينكم فيه أياتُ^(٢)!
ويحلُّ الله في ماءٍ وطينٍ
فيراه الشيخُ والشابُّ الأحيَ!^(٣)



(١) إشارة إلى نظرية " داروين " في أن أصل الإنسان قرد .

(٢) قرأناها: أيات - أيات!

(٣) الأكثر حياة (صيغة خاصة بالشاعر).

٢٠ - عيناك

[السريع]

عيناكِ والسَّحَرُ الذي فيهما
صَيَّرَتَانِي شاعراً ساحراً
عَلَّمَتَانِي الحبَّ عَلَّمَتْهُ
بدرُ الدُّجَى والغصنَ والطائرا



إِنْ غِيبَتْ عَن عَيْنِي وَجَنَ الدُّجَى
سَأَلْتُ عَنْكَ الْقَمَرَ الزَّاهِراً
وَأَطْرُقُ الرُّوضَةَ عِنْدَ الضُّحَى
كَيْمَا أُنَاجِيَ الْبَلْبِلَ الشَّاعِراً



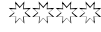
وَأَنْشَقُ الْوَرْدَةَ فِي كُمَّهَا
لَأَنَّ فِيهَا أَرْجَاءً عَاطِراً
يُذَكِّرُ الصَّبَّ بِذَاكَ الشَّدَا
هَلْ تَذَكِّرِينَ الْعَاشِقَ الذَّاكِرَا؟



كَمْ نَائِمٍ فِي وَكْرِهِ هَانِيٍّ
نَبَّهَتْهُ مِنْ وَكْرِهِ بَاكِراً
أَصْبَحَ مِثْلِي تَائِهاً حَائِراً
لَمَّا رَأَنِي فِي الرُّبَا حَائِراً



وراح يشكولي وأشكوله
بطش الهوى والهجر والهجرة
وكوكبٍ أسمعته زفرتي
فبات مثلي ساهياً ساهراً



زجرتُ حتى النومَ عن مُقلتي
ولم أَبالِ اللائمَ الزَّاجرا
يا ليتَ أني مَثلُ سائرٍ
كيما تقولي المثلَ السَّائرا



[المقارب]

لِيَطْرَبَ مَنْ شَاءَ أَنْ يَطْرَبَا
 فَلَسْتُ بِمَسْتَمِطِرٍ خُلْبَا^(١)
 عَرَفْتُ الزَّمَانَ قَرِيبَ الْأَذَى
 فَصِرْتُ إِلَى خَوْفِهِ أَقْرَبَا
 وَهَذَا الْجَدِيدُ أَبَوُهُ الْقَدِيمُ
 وَلَا تَلِدُ الْحَيَّةُ الْأَرْزَبَا
 أَرَى الْكَوْنَ يَرْمُقُهُ ضَاكِحًا
 كَمَنْ رَأَى فِي تِيهِهِ كَوَكْبَا^(٢)
 وَلَوْ عَلِمَ الْخَلْقُ مَا عِنْدَهُ
 أَهَلُّوا إِلَى اللَّهِ كِي يَغْرَبَا^(٣)
 وَلَوْ عَلِمَ الْعِيدُ مَا عِنْدَهُمْ
 أَبَى أَنْ يَمَزَّقَ عَنْهُ الْخَبَا
 أَلَا لَا يَغُرُّكَ تَهْلِيلُهُمْ
 وَقَوْلُهُمْ لَكَ: يَا مَرْحَبَا!
 فَقَدْ لَبِسُوكَ لَكِي يَخْلَعُونَ
 كَمَا تَخْلَعُ الْقَدَمُ الْجَوْرَبَا
 وَلَوْ عَوَّنَ بِالْغَدْرِ مَنْ طَبَعَهُمْ

(١) ليطرب: تحرك الباء بالفتح ليستقر الوزن.

(٢) رأى: رأى.

(٣) أهّلوا إلى الله: أرادها هنا بمعنى: رفع الصوت بالدعاء.

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَادِرًا جَرِيًّا
 وَكَائِنٌ فَتًى هَزَنِي قَوْلُهُ
 أَنَا خَدْنُكَ الصَّادِقُ الْمُجْتَبَى
 أُرَافِقُ مِنْ شَكْلِهِ ضَيْغَمًا
 يُرَافِقُ مِنْ نَفْسِهِ تَعَلُّبًا
 هُمُ الْقَوْمُ أَصْحَابُهُمْ مُكْرَهًا
 كَمَا يَصْحَبُ الْقَمَرُ الْغَيْهَبَا^(١)
 أَرَانِي أَوْحَدَ مِنْ نَاسِكَ
 عَلَى أَنْنِي فِي عِدَادِ الدُّبَى^(٢)
 وَأَمْرُ فِي بِلَدٍ عَامِرٍ
 وَأَحْسَبُنِي قَاطِنًا سَبَسَبَا^(٣)
 وَقَالَ خَلِيلِي: الْهِنَاءُ الْقَصُورُ
 وَكَيْفَ وَقَدْ مُلِئْتُ أَدْوَبَا
 أَلَفْتُ الْهَمُومَ فَلَوْ أَنَّنِي
 قَدَرْتُ تَمَنَّعْتُ أَنْ أَطْرِبَا
 كَأَنَّ الْجِبَالَ عَلَى كَاهِلِي
 كَأَنَّ سُرُورِي أَنْ أَغْضِبَا
 وَكَيْفَ ارْتِيَاخُ أَخِي غُرْبَةً
 يُصَاحِبُ مِنْ هَمِّهِ عَقْرِبَا
 عَتَبْتُ عَلَى الدَّهْرِ لَوْ أَنَّنِي
 أَمِنْتُ فَوَادِي أَنْ يَاعْتَبَا



(١) الغيب: شدة سواد الليل. أو الظلمة إطلاقاً.

(٢) الدُّبَى: الجراد قبل أن يطير.

وجدتكِ والشَّيبُ في مَفْرِقي
 وودَّعني وأخوكِ الصَّبَا
 فليس بُكائي عاماً خلا
 ولكنَّ شَبَابِي الذي غُيِّبَا
 فياً فرحاً بمجيءِ السَّنينِ
 تَجِيءُ السَّنونُ لكي تذهبَا
 عجيبٌ مَشِيبِي قَبْلَ الأوانِ
 وأعجبُ ألا أرى أَشْيَبَا
 فإنَّ نوائِبَ عَارِكُتْهَا
 تَرُدُّ فتي العَشرِ مُحْدَوِبَا
 ويا بنتَ «كولب» كم تضحكين
 كأنك أبصرتِ مُستَغْرِبَا^(١)
 أليس البياضُ الذي تكرهين
 يُحِبُّبُنِي تَغْرِكَ الأَشْنَبَا^(٢)
 فمن كان يكرههُ إِشْرَاقُهُ
 فإني أَكرَهُ أن يُخْضَبَا
 أحبكُ يا أيها المُسْتَنِيرُ
 وإن تَكُ أَشْمَتُ بي الرِّيبَا^(٣)
 وأهوى لأجلكَ لَمَعَ البُرُوقِ
 وأعشقُ فيكَ أَقَاحَ الرُّبَا



ويا عامٌ هل جئتنا مُحْرِمًا
 فنرجوكِ أم جئتنا مُحْرِبَا

(١) إشارة إلى أنها تسكن أمريكا (كريستوف كولب).

(٢) الشنب: برودة تُحمد في الأسنان.

(٣) الريب: القطيع من بقر الوحش (في الأصل).

تَوَلَّى أَخُوكَ وَقَدْ هَاجَهَا
 أَقْلُ سِلَاحٍ بَنِيهَا الظُّبَى
 يُجَنِّدُ فِيهَا الْخَمِيسُ الْخَمِيسَ
 وَيَصْطَرِعُ الْمِقْنَبُ الْمِقْنَبَا (١)
 إِذَا ارْتَفَعَ الطَّرْفُ فِي جَوْهَا
 رَأَى مِنْ عَجَاجَتِهَا هَيْدَبَا (٢)
 وَجَيَّاشَةً بَرَقَتْهَا رَعْدُهَا
 تَذُكُّ مِنَ الشَّاهِقِ الْمَنْكِبَا
 يَسِيرُ بِهَا الْجُنْدُ مَحْمُولَةً
 قَضَاءً عَلَى عَجَلٍ رُكْبَا
 يَوْدُ الْفَتَى أَنَّهُ هَارِبٌ
 وَيَمْنَعُهُ الْخَوْفُ أَنْ يَهْرِبَا
 وَكَيْفَ النِّجَاةُ وَمَقْدُوفُهَا
 يَطُولُ مِنَ الشَّرْقِ مَنْ غَرِبَا؟
 وَلَوْ أَنَّهُ فِي ثَنَايَا الْغُيُومِ
 لَمَّا أَمِنَ الْغَيْمُ أَنْ يُطْلَبَا
 تَسُحُّ فَلَوْ أَنَّ تَهْتَانَهَا
 حَيًّا أَنْبَتَ الْقَاحِلَ الْمُجْدَبَا (٣)
 فَمَا الْمَنْجَنِيقُ وَأَحْجَارُهُ
 وَمَا الْمَاضِيَّاتُ الرَّقَاقُ الشُّبَا؟ (٤)



(١) أَقْنَبَتِ الْخَيْلُ نَحْوَ الْعَدُوِّ: تَجَمَّعَتْ وَصَارَتْ مَقْنَبًا.
 (٢) الْعَجَاجَةُ: الْغَبَارُ (وَجَمْعُهَا: عَجَاج). وَالْهَيْدَبُ: السَّحَابُ الْقَرِيبُ مِنَ الْأَرْضِ.
 (٣) التَّهْتَانُ وَالْحَيَا: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ.
 (٤) الْمَاضِيَّاتُ: السِّيُوفُ. وَشُبَاهَا: حَدَّهَا.

إِنْ شَكَتِ الْأَرْضُ حَرَّ الصَّدَى
 سَقَاهَا النَّجِيعَ الْوَرَى صَيِّبَا^(٥)
 فَيَا لِحَرُوبٍ وَأَهْوَالِهَا
 أَمَا حَانَ يَا قَوْمُ أَنْ تُشْجَبَا
 هُوَ الْمَوْتُ أَتِ عَلَى رَغْمِكُمْ
 فَأَلْقُوا الْمَسْدُسَ وَالْأَشْطَبَا^(١)
 وَلِلْخَالِقِ الْمُلْكُ وَالْمَالُ كُونُ
 فَلَا تَتَّبِعُوا فِيكُمْ أَشْعَبَا^(٢)
 وَلَمْ أَنْسَ مَصْرَعَ «تَيْتَانِكَ»
 وَمَصْرَعَنَا يَوْمَ طَارَ النَّبَا^(٣)
 فَمِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ فِي صِدْقِهِ
 رَغَبْنَا إِلَى «الْبَرْقِ» أَنْ يَكْذِبَا
 لِيَالِي لَا نَسْتَطِيبُ الْكَرَى
 وَلَا نَجِدُ الْمَاءَ مُسْتَعَذِّبَا
 وَبَاتَ فَوَادِي، بِهِ صَدْعُهَا
 وَبِتُّ أَحْزَانُ أَنْ يُرَأْبَا
 وَلِي نَاطِرٌ غَرِقٌ مِثْلُهَا
 مِنْ الدَّمْعِ، بِالْبَحْرِ مُسْتَوْتِبَا
 إِذَا مَا تَذَكَّرْتُهَا هَجَّتْ بِي
 أَسَى تَتَّقِيهِ الْحِشَا مِخْلَبَا
 فَأُمْسِي عَلَى كِبِدِي رَاحَتِي
 أَخَافُ مَعَ الدَّمْعِ أَنْ تَسْرَبَا^(٤)

(١) السيف يترك خطوطاً في الجسم (وهي الشُّطَب، الواحدة: شُطْبَة).

(٢) رمز الطمع في تراث العرب (ت ١٥٤ هـ).

(٣) تَيْتَانِكَ: الباخرة المعروفة التي غرقت في رحلتها الأولى.

(٤) سَرَب: ذهب على وجهه في الأرض.

خُطُوبٌ يَرَاهَا الْوَرَى مِثْلَهَا
لِذَلِكَ أَشْفَقْتُ أَنْ تُكْتُبَا



لَقَدْ نَكَبَ الشَّرْقَ نَكْبَاتِهِ
وَحَاوَلَ أَنْ يَنْكَبَ الْمَغْرِبَا
وَأَشَقَى نَفْسَ بَنِي آدَمِ
لِيَرْضَى السَّرَّاحِينَ وَالْأَعْقَبَا^(١)
وَلَوْ جَازَ بَيْنَ الضُّحَى وَالْدُّجَى
لِقَاتَلَ فِيهِ الضُّحَى الْغَيْهَبَا
لَعَلَّكَ تَمْحُو جَنَائِيَاتِهِ
فَنَنْسَى بِكَ الذَّنْبَ وَالْمُذْنِبَا
إِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ الْخُلُودَ
فَعِشْ بَيْنَنَا أَثَرًا طَيِّبًا
فَإِنَّكَ فِي إِثْرِهِ رَاحِلٌ
مَشَيْتَ السَّوَاكَ أَوْ الْهَيْدَبَى!^(٢)



(١) السرحان: الذئب. والأعقب: العقبان (جمع عقاب).
(٢) السواك: السير الضعيف. والهيدي: ضرب من مشي الخيل.

٢٢ - بلادي

[الوافر]

تركتَ النجمَ مثْلَكَ مُسْتَهَامَا
فإنَّ تسهَّ سَهَا أو نِمْتَ نَامَا
بنفسِكَ لوعةً لوفي الغَوادي
لصارتْ كُلُّ ماطرةٍ جَهَامَا^(١)
وفيكِ صِبَابَةٌ لوفي جَمَادٍ
لأشْبَهَ دمعَكَ الجاري أنْسِجَامَا
هوىُّ بكِ في العظامِ له دبيبٌ
أشَابَكَ^(٢) وهُوَ لَمْ يَبْرَحْ غَلَامَا
يظنُّ الليلُ يحوي فيكَ شخصاً
وما يحوي الدُّجَى إلا عِظَامَا
نفيتَ الغمضَ عن جفنيكَ يأتِي
كَأَنَّكَ واصلٌ فيه المَلَامَا
أتأرقُّ ثم ترجو الطَّيفَ يأتِي
شكاكَ الطَّيفُ لو ملكَ الكلامَا
شَجَّتْكَ النَّائِحَاتُ بِجُنْحِ لَيْلٍ
فبِتْ تُسَاجِلُ النَّوْحَ الحَمَامَا
لَكِدْتَ تُعَلِّمُ الطَّيْرَ القَوَافِي
وكِدْتَ تُعَلِّمُ اللَّيْلَ الغَرَامَا

(١) السحاب الذي لا ماء فيه.

(٢) جعل الشيب يلحق بك.

إِذَا ذُكِرَ الشَّامُ بِكَيْتٍ وَجِدًا
وَمَا تَنْفَكُ تُدَكِّرُ الشَّامَا
وَكُنْتَ سَالُوتَهُ إِلَّا قَلِيلًا
وَكُنْتَ هَجَرْتَهُ إِلَّا لِمَامَا



رُؤَيْدَكَ أَيُّهَا اللَّاحِي رُؤَيْدًا
لَكَ الْوِيَلَاتُ لَيْتَ سَوَاكَ لَامَا
أَرْقُدُ وَالْخَطُوبُ تَطُوفُ حَوْلِي
وَأَقْعُدُ بَعْدَمَا التَّقْلَانِ قَامَا
وَيَشْقَى مَوْطِنِي وَأَنَامُ عَنْهُ
إِذَا مَنْ يَدْفَعُ الْخَطَرَ الْجُسَامَا؟
بِلَادِي! لَا عَرَا شَرُّ بِلَادِي
وَلَا بَلَغَ الْعِدَا مِنْهَا مَرَامَا
لَيْسَتْ اللَّيْلُ إِشْفَاقًا عَلَيْهَا
وَأِنْ شَاءَتْ لَيْسَتْ لَهَا الْقَتَامَا
وَقَفْتُ لَهَا الْيِرَاعُ أَذْبُ عَنْهَا
فَإِنْ يَكُفُّهُمْ^(١) وَقَفْتُ لَهَا الْحُسَامَا
سَقَى قَطْرَ الشَّامِ الْقَطْرُ عَنِي
وَحَيًّا أَهْلَهُ الصَّيِّدَ الْكِرَامَا
دَوْتُ صَيْحَاتُهُمْ فِي كُلِّ صُقْعٍ
فَكَادَتْ تَنْشُرُ الْمَوْتَى الرَّمَامَا
وَتَطْبَعُ فِي الْمُحْيَا الْجَهْمُ بِشَرًّا
وَتُغْلِقُ فِي فَمِ التُّكْلِ ابْتِسَامَا
فَحَوَّلْتُ الْقَنْوَطَ إِلَى رَجَاءٍ
وَصَيَّرْتُ الْوَنَى فِينَا اعْتِزَامَا

(١) يعني: البطة والتراخي في النجدة (كُهُم - يَكُهُم).

غَدُونَا كُلَّمَا ذُكِرُوا طَرْبِنَا
كَأَنَّ بِنَا المَعْتَقَةَ المُّدَامَا
وَلَمْ أَرَ كَالضَّمِيرِ الحَرِّ فُخْرًا
وَلَمْ أَرَ كَالضَّمِيرِ العَبْدِ ذَامَا
إِذَا غَابَ الذَّلِيلُ النَفْسِ عَنِّي
نَظَرْتُ إِلَى الَّذِي حَمَلَ الوَسَامَا
إِذَا جَلَبَ الكَلَامُ عَلَيَّ عَارًا
هَجَرْتُ النُّطْقَ أَحْسَبَهُ حَرَامَا
وَأَجْفُو القَصْرَ يُلْزِمُنِي هَوَانًا
وَأَهْوَى العِزَّ يُلْزِمُنِي الحِمَامَا



رَجَالَ التُّرْكِ مَا نَبْغِي انْتِقَاضًا
لَعَمْرُكُمُ وَلَا نَبْغِي انْتِقَامَا
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقٍّ
وَنَكْرَهُ مَنْ يَرِيدُ لَنَا اهْتِضَامَا
حَمَلْنَا نِيرَ ظُلْمِكُمْ قَرُونًا
فَأَبْلَاهَا وَأَبْلَانَا وَدَامَا
رَعَيْتُمْ أَرْضَنَا فَتَرَكْتُمُوهَا
إِذَا وَقَعَ الجَرَادُ رَعَى الرِّغَامَا (١)
فَبَاتَ الذَّنْبُ يَشْكُوكُمْ عُوَاءً
وَبَاتَ الظُّبْيُ يَشْكُوكُمْ بُغَامَا (٢)
جَرَيْتُمْ (بِالْهَلَالِ) إِلَى مِحَاقٍ
وَلَوْ لَا جَهْلُكُمْ بَلَغَ التَّمَامَا

(١) الرغام: التراب.

(٢) البغام: صوت الظبية.

وَكُنْتُمْ كُلُّمَا زِدْنَا لِيَاناً
 لِنَسْبُرَ غَوْرَكُمْ زِدْتُمْ عُرَامَا
 فَمَا رَاقِبْتُمْ فِينَا جَوَاراً
 وَلَا حَفِظْتُمْ لَنَا يَدُكُمْ زِمَامَا
 أَثَرْتُمْ بَيْنَنَا الْأَحْقَادَ حَتَّى
 لَيَقْتُلُ بَعْضُنَا بَعْضاً خِصَامَا
 وَشَاءَ اللَّهُ كَيْدَكُمْ فَبِئْسَنَا
 كَمِثْلَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ التِّئَامَا
 فَجَهْلًا تَبْعَثُونَ الرُّسُلَ فِينَا
 تَدِيفُ لَنَا مَعَ الْأَرْيِ السَّمَامَا^(١)
 سَنَرْمُقُهُمْ إِذَا طَلَعُوا عَلَيْنَا
 كَأَنَّا نَرْمُقُ الدَّاءَ الْعُقَامَا^(٢)
 فَإِنْ عُرِيَ شَدَدْنَاهَا وَثَاقاً
 نَمُوتُ وَلَا نُطِيقُ لَهَا انْفِصَامَا
 خَفِ التُّرْكِيُّ يَحْلِفُ بِالْثَنَانِي
 وَخَفَهُ كُلُّمَا صَلَّى وَصَامَا
 وَمَنْ يَسْتَنْزِلِ الْأَتْرَاكَ خَيْراً
 كَمَنْ يَسْتَقْبِسُ الْمَاءَ الْخَضْرَامَا
 هُمْ نَزَعُوا لَوَاءَ الْمُلْكِ مَنَّا
 وَنَازَعَنَا طَغَامُهُمْ^(٣) الطَّعَامَا
 وَقَالُوا: نَحْنُ لِلْإِسْلَامِ سُورُ
 وَإِنْ بَنَّا الْخِلَافَةَ (وَالْإِمَامَا)

(١) داف: خلط. والأرْي: العسل. والسَّم: القاتل، وجمعه: سِمَام.

(٢) الداء الذي لا براء منه.

(٣) الطغام: الغوغاء.

فهل في دين أحمد أن يجوروا
وهل في دين أحمد أن نُضَامَا؟
إلى كم يحصرون الحكم فيهم
وكم ذا يبتغون بنا احتكاما
ألسنا نحن أكثرهم رجالاتا
إذا عُدّوا وأرفعهم مقامات
إذا طلعت ذكاء فليس تخفى
ولو حاكوا الظلام لها لثامات



مخوفنا المثقفة العوالي
لقد هدّدت بالجمر النعاما^(١)
سنوقدها تُعير الشمس نارا
ويُعَيّي أمرها الجيش اللُّهاما^(٢)
وعِلمُ المرء أن الموت أت
يُهونُ عنده الموت الزُّواما



(١) المعروف أن النعامة تدفن رأسها في الرمال الحارة.

(٢) اللُّهام: الجيش الكثيف الذي يلتهم كل شيء.

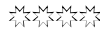
٢٣ - البلبل السجين

[مخلع البسيط]

يَا رَبِّ لَيْلٍ بَلَا سَنَاءٍ^(١)
كَأَنَّمَا بَدْرُهُ يَتِيمٌ
مَشَى بِهِ الْيَأْسُ فِي الرَّجَاءِ
كَأَنَّهُ النَّارُ وَالْهَشِيمُ



لَيْتَ الدُّجَى رَقَّ لِلْمَحَبِّ
أَوْ لَيْتَ لِي مَهْجَةً حَاجِرٌ
أَقْضُ هَذَا الْفِرَاشُ جَنْبِي
كَأَنَّ فِي مَخْضَجِي الْإِبْر^(٢)
هَلْ بَكَ يَا نَجْمٌ مِثْلُ كَرْبِي؟
أَمْ أَنْتَ مِنْ طَبَعِكَ السُّهَرُ؟
سَهَرْتُ شَوْقاً إِلَى ذُكَا؟
أَمْ عِنْدَكَ الْمُقْعِدُ الْمُقِيمُ؟
أَبْكِي وَتُصْغِي إِلَيَّ بِكَائِي
يَا رَبِّ! هَلْ تَعْشَقُ النُّجُومُ؟



قَدْ نَالَ فَرْطُ السُّهَادِ مِنِّي
وَاشْتَاقَ طَرْفِي إِلَى الْهُجُوعِ

(١) يريد: السنا، وهو النور.

(٢) أقض المضجع، وأقض عليه المضجع: خشن، أو جعله خشناً.

وَقَرَّحَ الْجَفْنَ مَاءً جَفَّنِي
فِي الْحَبِّ، مَا فَاخَ مِنْ دَمِوعِي
وَشَابَ رَأْسِي مِنَ التَّجَنِّي
يَا لَيْتَ ذَا الشَّيْبِ فِي الْوُلُوعِ^(١)
لَعَلَّ فِي سَلَوَتِي شِفَائِي
هِيَ هَاتِ دَاءَ الْهَوَى قَدِيمٌ
مَا يَحْسَبُ النَّاسُ فِي رَدَائِي؟
فِي بُرْدَتِي هِيَ كُلُّ رَمِيمٍ!



قَدْ طَالَ يَا لَيْلُ فَيْكَ صَبْرِي
وَأَشْبَهْتُ سَاعَكَ الْقُرُونَا
فَقُلْ لَهْذِي النُّجُومُ تَسْرِي
أَوْ فَاسَأَلِ الصُّبْحَ أَنْ يَبِينَا
وَإِنْ تَشَاءُ أَنْ تَكُونَ قَبْرِي
فَكُنْ كَمَا شِئْتُ أَنْ تَكُونََا
فَبِي سَكُونٌ إِلَى الْبَلَاءِ
قَدْ يَأْلَفُ الْعَلَّةُ السَّقِيمُ
مَنْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْهَوَاءِ
هَانَ عَلَى نَفْسِهِ النَّسِيمُ!



قَرَّبَ بَيْنَ الْخُنَى وَجِسْمِي
مَا أَبْعَدَ النَّوْمَ عَنْ جُفُونِي
يَا لَيْلُ فَيْكَ الرِّقَادُ خَصْمِي
يَا لَيْلُ مَا فَيْكَ مِنْ مُعِينٍ

(١) الْوُلُوعُ: مِثْلُ الْوَلَعِ (وَلَع - يُولَع - وَلَعًا).

سَوَى شَجِّ هُمِّهِ كَهَمِّي
يُنْشِدُ وَاللَّيْلُ فِي سُكُونِ
أَيْمَرْحُ الْبُيُوتِ فِي الْخَلَاءِ
وَتُمْسِكُ الْبَلْبِلُ الْهُمُومُ؟
هَذَا ضَلَالٌ مِنَ الْقَضَاءِ
فَلَا تَلُومُنِي إِذَا أَلُومُ

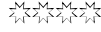


يَا سَيِّدَ الْمُنْشِدِينَ طُرّاً
وصاحبَ المنطقِ المُبِينِ
لو كنتَ يوماً أَوْ كنتَ نَسْراً
مَا بَتَّ فِي أُسْرِكَ الْمَهِينِ
خُلِقْتَ، لِمَا خُلِقْتَ، حُرّاً
فَرَجَّكَ الْحُسْنُ فِي السُّجُونِ
وَأَطْلَقَ الْبُيُوتِ فِي الْفَضَاءِ
زَعَمُ الْوَرَى أَنَّهُ دَمِيمٌ
وَأَنَّهُ غَيِّيرُ ذِي رُوءٍ
وَلَا لَهُ صَوْتُكَ الرَّخِيمُ!



تَيِّمَكَ الرُّوضُ فِيهِ حَتَّى
تَخِذْتَ بِأَحَاتِهِ مُقَامَا
رَأَيْتَ فِيهِ النِّعِيمَ بَحْتَا
وَلَمْ تَرَ عِنْدَهُ الْأَنَامَا
مُدُّوا الْأَحَابِيلَ فِيهِ شَتَّى
أَقْلَهَا يَجْلِبُ الْحِمَامَا

لو كنتَ كالْبُومِ في الجَفَاءِ
ما صادكَ المنظرُ الوَسِيمُ
أصبحتَ تبكي من الشَّقَاءِ
ليضحك الأسرُ المُضِيمُ!



والمرء وحشٌ فإن تَرَقَّى
أصبح شَرًّا من الوحوشِ
فَخَفَهُ حُرًّا وَخَفَهُ رِقًّا
وَخَفَهُ مَلِكًا على العُرُوشِ^(١)
فالشَرُّ في الناسِ كان خَلْقًا
وأيُّ طَيرٍ بغير ريشٍ؟
ما قامَ فيهم أخو وفاءٍ
يحفظُ عهداً ولا رَحِيمَ
فكلُّ مُستضعِفٍ مُراءٍ
وكلُّ ذي قُوَّةٍ غَشَّيَومُ!



إن كان للوحشِ من نُيُوبِ
فالناسُ أنيابُهم حديدُ
ما كان، والله، للحرُوبِ
لولا بنو آدمٍ وجودُ
لو أمحى عالمُ الخطوبِ
لقام منهم لها مُعيدُ
قد نسبوا الظلمَ للسماءِ
وكلُّهم جائرٌ ظالمُ

(١) يريد بالرق: الرقيق.

لَمْ يَخْلُ مِنْهُ أَخُو التُّرَاءِ
وَلَا الْفَتَى الْبَائِسُ الْعَدِيمُ



أَعْجَبُ مَا فِي بَنِي التُّرَابِ
قَاتِلُهُمْ فَوْقَهُ عَلَيْهِ
قَدْ صَيَّرُوا الْأَرْضَ كَالْكِتَابِ
وَانْحَشَرُوا بَيْنَ دَفْنَيْهِ
وَاسْتَعْجَلُوا الْمَوْتَ بِالْعَذَابِ
وَكَلُّهُمْ صَائِرٌ إِلَيْهِ
مَا خَابَ دَاعٍ إِلَى الْعِيدِ
وَلَمْ يَفُزْ نَاصِحٌ حَكِيمٌ
مَا رَغِبَ النَّاسُ فِي الْفَنَاءِ
لَكِنَّمَا ضَاعَتِ الْحُلُومُ^(١)

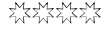


لَوْلَمْ يَكُ الظُّلْمُ فِي الطَّبَائِعِ
مَا اسْتَنْصَرَ الْعَاجِزُ الْعِدَالَةَ
لَوْ عَدَلَتْ فِيهِمُ الشَّرَائِعُ
مَا اسْتَحْدَثُوا لِلْقِتَالِ آلَةً
عَجِبْتُ لِلْقَاتِلِ الْمُدَافِعِ
جَزَاؤُهُ الْمَوْتُ لَا مَحَالَةَ
لَكِنَّمَا سَافِكُو الدِّمَاءِ
يَوْمَ الْوَعَى قَادَةُ قُرُومٍ^(٢)

(١) الحُلُوم: العقول، مفردها: حِلْم.

(٢) الْقُرَم: السيد المكرم.

وهكذا المجرمُ الفِدائي
في عُرفهم فاتحٌ عظيمٌ!



أقبحُ من هذه الضلالة
أن يحكمَ الواحدُ الألوفا
ويدعي الفضلَ والنُّباله
من يسلبُ العاملَ الرغيفا
يا قومُ ما هذه الجهالة
قد حانَ أن تُنصِفوا الضعيفا
فراقبوا ذمّة الإخاء
ولتُنسَ أحقادها الخصومُ! (١)
لا تتبعوا سنّة البقاء
فإنّها سنّة ظالمٍ!



(١) جعل الخصوم في مقام الجماعة.

٢٤ - أنت....

[الخفيف]

مَهْبِطُ الْوَحْيِ مَطْلَعُ الْأَنْبِيَاءِ
كَيْفَ أَمْسَيْتِ مَهْبِطَ الْأَرْزَاءِ؟
فِي عُيُونِ الْأَنْامِ عَنْكَ نُبُوءٌ
لَمْ يَكُنْ فِي الْعُيُونِ لَوْلَمْ تُسَائِي
أَنْتِ كَالْحُرَّةِ الَّتِي انْقَلَبَ الدَّهْ
رٌ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ فِي الْإِمَاءِ
أَنْتِ كَالْبُرْدَةِ الْمُوشَّاةِ أَبْلَى الطُّ
طَيُّ وَالنَّشْرُ مَا بِهَا مِنْ رُوءٍ
أَنْتِ مِثْلُ الْخَمِيلَةِ الْغَنَاءِ
عُرِّيتُ مِنْ أَوْرَاقِهَا الْخَضِرَاءِ
أَنْتِ كَاللَّيْثِ قَلَمَ الدَّهْرِ ظَفِيرُ
هِ وَأَخْنَى عَلَيْهِ طَوْلُ التَّوَاءِ
أَنْتِ كَالشَّاعِرِ الَّذِي أَلْفَ الْوَحْدِ
سَدَّةً.. فِي مَحْفَلٍ مِنَ الْغَوَاغِ
أَنْتِ مِثْلُ الْجَبَّارِ يَرْسُفُ فِي الْأَغْ
لَالِ، فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ
لَوْ تَشَائِينَ كُنْتَ أَرْفَهُ حَالاً
أَوْ لَسْتَ قَدِيرَةً أَنْ تَشَائِي
أَنَا مَا زِلْتُ ذَا رَجَاءٍ كَثِيرٍ
وَلَنْ كُنْتُ لَا أَرَى ذَا رَجَاءٍ

قد بكى التَّارِكُوكِ مِنْكَ قُنُوطاً
فبكى السَّاكِنُوكِ خَوْفَ التَّنَائِي
كَثُرَ النَّائِحُونَ حَوْلَكَ حَتَّى
خِلْتُ أَنِّي فِي حَاجَةٍ لِلْعِزَاءِ
بَذَلُوا دِمْعَهُمْ وَصُنْتُ دِمُوعِي
إِنَّمَا الْيَائِسُونَ أَهْلُ الْبِكَاءِ
لَوْ تُفِيدُ الدَّمُوعُ شَيْئاً لَأُحْيَتْ
كُلَّ عَافٍ^(١) مَدَامُ الْعُشْعِرَاءِ
أَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى مِثْلِ (مُوسَى)
لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى (إِرْمِيَاءِ)^(٢)



مُقَلَّةُ الشَّرْقِ! كَمْ عَزِيزٌ عَلَيْنَا
أَنْ تَكُونِي رَمِيَّةَ الْأَقْذَاءِ^(٣)
شَرَدْتُ أَهْلَكَ النِّوَابُ فِي الْأَرْضِ
ضُرَّ وَكَانُوا كَأَنْجُمِ الْجَوَازِ
وَإِذَا الْمَرْءُ ضَاقَ بِالْعَيْشِ ذَرْعاً
رَكِبَ الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ الْبَقَاءِ
لَا يُبَالِي مُغْرَبٌ فِي ذَوِيهِ
أَنْ يَرَاهُ ذَوُّهُ فِي الْغُرْبَاءِ



أَرْضَ آبَائِنَا عَلَيْكَ سَلَامٌ
وَسَقَى اللَّهَ أَنْفُسَ الْأَبَاءِ

(١) العافي: طالب المعروف، والجمع عفاة.

(٢) النبي موسى سعى في خلاص شعبه، أما إرمياء (وهو من كبار أنبياء بني إسرائيل - القرن السابع ق.م) فعكف بيكي ما هم فيه بعد أن تنبأ بسقوط (أورشليم) في يد البابليين. نسب إليه كتاب يجمع مرثياته!

ما هَجَرْنَاكَ إِذْ هَجَرْنَاكَ طَوْعاً
 لَا تَظُنِّي الْعَقُوقَ فِي الْأَبْنَاءِ
 يُسَامُ الْخُلْدُ وَالْحَيَاةُ نَعِيمٌ
 أَفَتَرْضَى الْخُلُودَ فِي الْبِئْسَاءِ؟
 هَذِهِ أَرْضُنَا بَلَاغُ، تَمْشِي
 فَوْقَهَا كُلُّ عَاصِفٍ هَوَّجٍ (١)
 هَذِهِ دُورُنَا مَنَازِلُ لِلْبُؤْسِ
 مَ وَكَانَتْ مَنَازِلُ الْوَرَقَاءِ (٢)
 بَدَّلَتْهَا السَّنُونَ شَوْكاً مِنَ الزَّهْرِ
 رِ، وَبِالْوَحْشِ مِنْ بَنِي حَوَّاءَ
 مَا طَوَتْ كَارِثاً يَدُ الصُّبْحِ إِلَّا
 نَشَرَّتْهُ لَنَا يَدُ الْإِمْسَاءِ
 نَحْنُ فِي الْأَرْضِ تَائِهُونَ كَأَنَّا
 قَوْمُ مُوسَى (٣) فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
 تَتَرَامَى بِنَا الرِّكَائِبُ فِي الْبَيِّ
 سَدَاءٍ طَوَّاراً؛ وَتَارَةً فِي الْمَاءِ
 ضُعَفَاءُ مُحَقَّقُونَ كَأَنَّا
 مِنْ ظِلَامٍ وَالنَّاسُ مِنْ لَأَلَاءِ
 وَاعْتِرَابِ الْقَوِيِّ عِزٌّ وَفَخْرٌ
 وَاعْتِرَابِ الضَّعِيفِ بَدْءُ الْفَنَاءِ
 عَابَنَا الْبَيْضُ أَتْنَا غَيْرَ عُجْمٍ
 وَالْعَبِيدُ (٤) بِالسَّحْنَةِ الْبَيْضَاءِ

(١) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء فيها. وأراد بالعاصف: العاصفة.

(٢) الورقاء: الحمامة.

(٣) يشير إلى تيه موسى وقومه، في صحراء سيناء، بعد خروجهم من مصر.

(٤) العبيد: أحد جموع العبد، وهي كثيرة.

وَيْحَ قَوْمِي قَدْ أَطْمَعَ الدَّهْرُ فِيهِمْ
كُلَّ قَوْمٍ حَتَّى بَنَى السُّودَاءُ
فَإِذَا فَاتَنَا عَدُوُّ تَجَنَّى
فَأَرَانَا الْأَحْبَابَ فِي الْأَعْدَاءِ
أَطْرَبْتَنَا الْأَقْلَامُ لَمَّا تَغَنَّتْ
بِالْمَسَاوَاةِ بَيْنَنَا وَالْإِخَاءِ
فَسَكَّرْنَا بِهَا فَلَمَّا صَحَوْنَا
مَا وَجَدْنَا مِنْهَا سِوَى أَسْمَاءِ!



نَحْنُ فِي دَوْلَةٍ تَلَاشَتْ قُوَاهَا
كَالنُّخَارِ^(١) الْمَدْفُونِ فِي الْغُبَرَاءِ
أَوْ كَمِثْلِ الْجَنِينِ مَاتَتْ بِهِ الْحَا
مِلٌ حَيًّا يَجُولُ فِي الْأَحْشَاءِ
عَجَبًا كَيْفَ أَصْبَحَ الْأَصْلُ فُرْعًا
وَالضُّحَى كَيْفَ حَلَّ فِي الظُّلُمَاءِ
مَا كَفَفْتَنَا مِظَالْمُ التُّرْكِ حَتَّى
زَحَفُوا كَالْجَرَادِ أَوْ كَالْوَبَاءِ
طَرَدُوا مِنْ رُبُوعِهِمْ فَأَرَادُوا
طَرَدَنَا مِنْ رُبُوعِنَا الْحَسَنَاءِ^(٢)
مَا لَنَا، وَالْخَطُوبُ تَأْخُذُ مِنَّا
نَتَلَهَّى كَأَنَّنا فِي رَخَاءِ
ضِيمٍ أَحْرَارُنَا وَرِيْعَ حِمَانَا
وَسَكَّتْنَا، وَالصَّمْتُ لِلْجُبْنَاءِ

(١) الذهب الخالص.

(٢) يعني: اليهود.

نهضةً تكشفُ المذلةَ عنّا
 فلقد طال نومُنا في الشقاء
 نهضةً تلفتِ العيونَ إلينا
 إنَّ خوفَ البلاءِ شرُّ بلاء
 نهضةً يحملُ الأثيرُ صداها
 للبرايا في أولِ الأنباء
 نهضةً تُبلغُ النفوسَ منهاها
 فهِيَ مشتاقَةٌ إلى الهيجاءِ
 إنَّ ذا الملكِ هيكُلُ نَحْنِ فيه الـ
 قلبُ، والقلبُ سيّدُ الأعضاء
 زعمُ الخائفون أنّا بما نبغِ
 فيه نبغي الوصولَ للعنقاء^(١)
 سوف يدرون أنما العُربُ قومٌ
 لا يُبالون غيرَ ربِّ السماءِ
 يومَ لا تُنبِتُ السهولُ سوى النَّا
 سٍ، وغيرَ الأسِنَّةِ السَّمراءِ
 يومَ تمشي على جبالٍ من الأثْـ
 لاءِ، تمشي في أبْحَرٍ من دماءِ
 يومَ يستشعرُ المراءونُ منّا
 إنّما الخاسرون أهلُ الرِّياءِ

(١) أصل العنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، خلّقه الخيلة، وأصبح يعني: الداهية.

٢٥ - معركة بورغاس^(١)

[الكامل]

هذي الوغى مَشْبُوْبَةُ النيرانِ
مَشْدُوْدَةُ الأسبابِ والأقْرانِ^(٢)
شَابَتْ مَفارِقُهَا وَكَانَتْ طِفْلَةً
عِذْرَاءَ مَنْذُ دَقَائِقِ وَثَوَانِ
طُويَ السَّلامُ فَلَيْسَ يُنْشَرُ بَعْدَهَا
أَوْ يُبْعَثُ الْمَلْحُوْدُ فِي الْأَكْفَانِ
شُقُّوا الطُّرُوسَ وَحَطُّمُوا أَقْلَامَكُمْ
الْيَوْمَ يَوْمُ شَوَاجِرِ الْمُرَّانِ^(٣)
هَانَتْ عَلَى الصَّمَمِ كُلِّ يَرَاعَةٍ
مَا لِلْيَرَاعَةِ فِي الْحُرُوبِ يَدَانِ^(٤)
يَا صَاحِبِي! لَيْسَ الْوَغَى مِنْ مَذْهَبِي
هَاتِيكَ وَسُوسَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ
فَالنَّاسُ إِخْوَانٌ وَلَيْسَ مِنَ النُّهَى
أَنْ يَفْتِكَ الْإِخْوَانُ بِالْإِخْوَانِ
لَوْ تَعَقَّلَ الْأَجْنَادُ أَنَّ مَلُوكَهَا
أَعْدَاؤُهَا انْقَلَبَتْ عَلَى التَّيْجَانِ

(١) Burgos مدينة في شمال إسبانية كانت فيها وقعة بين الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية، بعد سقوط مقدونيا (في شبه جزيرة البلقان) في القرن الرابع عشر.

(٢) يريد: مشدودة حبالها: السبب والقرن، كلاهما يعني: الحبل.

(٣) المرَّان: الرماح الصلبة اللدنة. واشتجرت: دخل بعضها في بعض، كأغصان الشجر: كناية عن المواجهة.

(٤) اليراعة: القصبية، والجمع: يرَاع.

قومٌ إذا شأؤوا الصعودَ لمطلبٍ
 تَخِذُوا مِرَاقِيَهُمْ مِنَ الْأَيَّانِ
 أَوْ إِنْ كَرِهْتَ الْحَرْبَ كُنْتَ يَرَاعَةً
 وَإِذَا قَتَلْتَ أَخَاكَ غَيْرَ جَبَانٍ؟
 إِنْ كَانَ قَتْلِي النَّفْسَ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
 مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَالْحَيَّوانِ؟
 الْحَرْبُ مَجْلِبَةٌ الشَّقَاوَةَ لِلوَرَى
 وَالْحَرْبُ يَعْشُقُهَا بَنُو الْإِنْسَانِ
 لِمَنِ الْخَمِيسُ خَوْافِقُ رَايَاتِهِ
 مُتَمَاسِكُ الْأَجْزَاءِ كَالْبُنْيَانِ
 مُتَالِبُ كَاللَّيْلِ جَنُّ سَوَادِهِ
 مُسْتَوْفِزُ كَالْقَدْرِ فِي الْغَلِيَانِ
 مُتَدَفِّقُ كَالسَّيْلِ فِي الْغُدْرَانِ
 مُتَدَفِّعُ كَالْعَاصِفِ الْمِرْنَانِ^(١)
 تَتَزَلُّزُ الْأَطْوَادُ مِنْ صَدَمَاتِهِ
 وَتُظَلُّ مِنْهُ الْأَرْضُ فِي رَجَفَانِ
 عَجَلَانُ يَكْتَسِحُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 إِنْ الشَّقِيَّ الْعَاجِزُ الْمُتَوَانِي
 فِي كُلِّ سَرَجٍ ضِيغٌ مُتَحَفِّزُ
 فِي كَفِّهِ مَاضِي الشَّبَابَةِ يَمَانِ^(٢)
 سَمَحُ إِذَا ضَنَّ الْجَبَانُ بِرُوحِهِ
 فَكَأَنَّمَا فِي جِسْمِهِ رُوحَانِ
 مَا صَانَ مُهْجَتَهُ الَّتِي فِي صَدْرِهِ
 إِلَّا لِيَبْذُلَهَا بِيَوْمِ طِعَانِ

(١) ذو الرنين، لخفق رياح العاصفة.

(٢) الشبابة: الحد. يريد: الحد الماضي.

لا شيء، يومَ الروع، أجملُ عنده
من أن يُرى والقرنَ يَصْطَرَعَانِ^(١)



يا رَبُّ معركةٍ تَراكمَ نَقَعُها
حتى اختفى في ظلّها الجيشان^(٢)
باتتْ صِقَالُ الهندي في أفيائها
كالبرقِ يَسْطَعُ من خلال دُخان
والخيل طائِرةً على أرسانها
تهوى لو انعتقتْ من الأرسان
دوتِ المدافعُ كالرعود قواصِفًا
نَطقَ الحديدُ فعيَّ كلُّ لسان^(٣)
ترمي بأشباهِ الرُجوم تَخَالُها
حمراءُ قد صِيغَتْ من المَرْجان
ما إن تَطيشُ وإن نَأَتْ أغراضُها
ولكم تَطيشُ قذائفُ البُركان
صَخَابَةٌ تذرُ الحصونَ بلاقِعًا
وتدكُّها دَكًّا إلى الأركان
تنقضُّ والفرسانُ في آثارها
تنقضُّ مثلَ كواسِرِ العُقْبَانِ^(٤)
هي وقعةٌ ضجَّتْ لها الدنيا كما
ضجَّتْ وضجَّ الناسُ في «سيدان»

(١) القرن: هو القرن المساوي.

(٢) النقع: غبار المعركة. والجيشان هما: الجيش العثماني وقوى أوروبا الشرقية.

(٣) عيٌّ وعيى - يعيا: من الإعياء والتعب.

مشت المنايا حاسراتٍ عندها
 تتطلَّبُ الأرواحَ في الأبدان
 فعلى أديمِ الجوِّ ثوبٌ أسودٌ
 وعلى أديم الأرض ثوبٌ قانٍ
 وإذا نظرتَ إلى الجُسومِ على الثُّرى
 أبصرتَ كُثباناً على كُثبانٍ
 لمَّا رأوا (بورغاس) ضَرَّةَ (مَكْدن)
 حملوا عليها حَمَلَةَ اليابان^(١)
 وقد انجلتْ فإذا الهلالُ منكسٌ
 علَّم طَوَّئُهُ رايَةً الصُّلبان
 رجحتْ قُواهرهم أيَّما رُجحانٍ
 فيها، وشالَ التُّركُ في الميزان
 نفروا لَكَالْحُمُرِ^(٢) التي رُوِّعَتْها
 بابين الشَّرى المتجهَّم الغَضبان
 وقلوبهم قد أسرعَتْ ضَرَبَاتُها
 وتظنُّها وقفتْ عن الخفقان
 مُتلفَّتِينَ إلى الوراءِ بَأعينٍ
 تَتَخَيَّلُ الأعداءَ في الأجفان
 يتلَمَّسون من المنيَّةِ مَهْرَباً
 هيَّهاتَ إنَّ الموتَ كلُّ مَكان
 والله ما يَنجُونَ من أَشراكِه
 ولو استعاروا أَرْجُلَ الغِزلان

(١) يريد: مكدونيا (مقدونية) Macédoine التي سقطت في يد العثمانيين في القرن الرابع عشر.

(٢) يُجمع (الحمار) على حُمُرٍ وحُمُرٍ وأحْمِرَة.

أَسْلَابُهُمْ لِلظَّافِرِينَ غَنِيمَةٌ
وَجُسُومُهُمْ لِلحَاجِلِ الْغَرَثَانِ^(١)
إِنْ يَأْمَنُوا وَقَعَ الْأَسِنَّةُ وَالظُّبَى
فَالذُّعْرُ طَاعِنُهُمْ بِشَرِّ سِنَانٍ



مَا أَنْسَلَ لَا أَنْسَى عَصَابَةً خُرْدٍ
فِي اللَّهِ مَسْعَاهُ وَالْإِحْسَانِ^(٢)
عِقْنَ الْوَثِيرَ إِلَى وَسَائِدِ قَضَّةٍ
وَنَزَحْنَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ أَوْطَانِ^(٣)
وَوَقَفْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي الدُّنْيَا عَلَى
تَأْمِينَ مُلْتَاعٍ وَنُصْرَةٍ عَانٍ
يَحْمِلْنَ أَلْوِيَّةَ السَّلَامِ إِلَى الْأَلَى
حَمَلُوا لَوَاءَ الشَّرِّ وَالْعُدْوَانِ
كَمْ مِنْ جَرِيحٍ بِالنَّجِيعِ مُخَضَّبٍ
فِي الْأَرْضِ لَا يَحْنُو عَلَيْهِ حَانٍ
مَا رَاعَهُ طَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَثَلَمَا
رَاعَتْ حَشَاةُ فُرْقَةٍ الْخُلَانِ
فَلَهُ، إِذَا ذَكَرَ الدِّيَارَ وَأَهْلَهُ،
أَهْ الْغَرِيبِ وَأَنْتَ الْتُّكْلَانِ
نَفْسَنْ مِنْ بُرَحَائِهِ، وَأَسْوَنَهُ
وَأَعْضَنَهُ مِنْ خَوْفِهِ بِأَمَانِ^(٤)

(١) حَجَل - يحجل: مشى مشية المقيّد. والغرثان: الجائع (غرث - يغرث: جاع).

(٢) الخريدة: البكر من النساء.

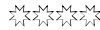
(٣) القضة: من قض المضجع وأقض: نيا وخشن.

(٤) البرحاء: الشر والعذاب الشديد. أسوئه: من أساه (داوينه). أعضنه: عوّضه.

ما حَبَّبَ الْجَنَّاتِ عِنْدِي أَنَهَا
مَثْوَى سَلامٍ، مُسْتَقَرُّ حِسان
لولا حَنانُ الْغَانِيَاتِ وَعَطْفُهَا
ما كانت الدُّنْيَا سِوَى أَحْزان



مَنْ مُسْمِعِ الْأَيَّامِ عَنِّي نَبَأَةً
يَرْتَاعُ مِنْهَا كُلُّ ذِي وَجْدَان
إِنَّ الْأَلَى جَبُّنُوا أَمَامَ عُدَاتِهِمْ
شَجُّعُوا عَلَى الْأَطْفَالِ وَالنِّسْوان
وصَوَارِمًا قَدْ أَغْمَدْتُ يَوْمَ الْوَغَى
شُهِرْتُ عَلَى الْأَضْيَافِ وَالْقُطَّانِ
أَكْذا يُجَاوِزِي الْأَمْنُونَ بِدُورِهِمْ
أَوْ هَكَذا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ؟



أَخْنَى عَلَى الْأَتْرَاكِ دَهْرٌ حَوْلٌ
أَخْنَى عَلَى الْيُونانِ وَالرُّومانِ
وَطَوَى مُحَاسِنَ «يَلْدِزِ» قَدْرُ طَوَى
رَبِّ السُّدَيْرِ وَصاحبِ الْإِيوان^(١)
فَالْيَوْمَ لَا أَسْتَانَةُ أَسْتَانَةُ
تَزْهَوُولا السُّلْطانُ بِالسُّلْطانِ^(٢)
دَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَيْهَا مِثْلَما
دَارَتْ دَوَائِرُهُ عَلَى «طَهْران»

(١) (يلدز): قصر السلطان عبد الحميد الثاني. و(السدير) أخو (الخورنق) في الحيرة عاصمة المناذرة. و(الإيوان) إيوان كسرى وهو قائم إلى اليوم.

أَمْنَبِيَّهِ الْأَضْغَانِ كَيْفَ هَجَعْتُمْ
لَمَّا تَنَبَّهَ نَائِمُ الْأَضْغَانِ
وَحُكُومَةَ الْأَشْيَاخِ وَيَحْكُ مَا الَّذِي
خَالَفَتْ فِيهِ عَصْبَةُ الْفَتَيَانِ
قَالُوا: لَنَا الْمُلْكُ الْعَرِيضُ وَجَاهُهُ
كَذَبُوا، فَإِنَّ الْمُلْكَ لِلرَّحْمَنِ
مَا بِالْقَوْمِي كَلِمَا اسْتَصْرَخْتُهُمْ
وَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ عَلَى الْأَذَانِ
أَبْنَاءَ سُورِيَا الْفَتَاةَ تَضَافَرُوا
وَحُذُوا مَنَائِلَكُمْ عَنِ الْبَلْقَانِ^(١)
مَا التَّرْكُ أَهْلٌ أَنْ يُسَوِّدُوا فِيكُمْ
أَوْ تُحْكَمَ الْأَسَادُ بِالظُّلْمَانِ^(٢)
هَمْ الْبَسُوا الشَّرْقِيَّ ثَوْبَ غَضَاظَةٍ
وَسَقَّوْهُ كَأْسِي ذِلَّةٍ وَهَوَانِ
فَإِذَا جَرَى ذِكْرُ الشُّعُوبِ بِمَوْضِعٍ
شَمَخَتْ، وَطَاطَأَ رَأْسَهُ الْعُثْمَانِي!..

(١) أراد بالمثالة: المثال (في المعاجم: حسن الحال).

(٢) الظليم: ذكر النعام (وجمعته: ظلمان).

٢٦ - خير شيء

[الوافر]

ذهبتُ مُسَائِلًا عَنْ خَيْرِ شَيْءٍ
لَأَعْرِفَ كُنْهَ أَخْلَاقِ الْبَرِيَّةِ
فَقَالَتْ لِي الْكَنِيسَةُ: خَيْرُ شَيْءٍ
هُوَ الزُّهْدُ الَّذِي يَمْحُو الْخَطِيئَةَ
وَقَالَتْ لِي الشَّرِيعَةُ: خَيْرُ شَيْءٍ
شُمُولُ الْعَدْلِ أَبْنَاءَ الرَّعِيَّةِ
وَقَالَ: الشُّهْرَةُ، الْجَنْدِيُّ، خَيْرُ
وَإِنْ كَانَتْ تَقْوُدُ إِلَى الْمَنِيَّةِ^(١)
وَقَالَ أَخُو الْحَصَافَةِ: خَيْرُ شَيْءٍ
هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ بِلَا مَرِيَّةٍ
وَقَالَ أَخُو الْجَهَالَةِ: خَيْرُ شَيْءٍ
سُرُورُ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا
وَقَالَ لِي الْفَتَى: وَصَلُ الصَّبَايَا
وَقَالَتْ لِي: الْهَوَى، الْبَنْتُ الصَّبِيَّةُ^(٢)
وَلَمَّا أَنْ خَلَوْتُ سَأَلْتُ نَفْسِي
لَأَعْرِفَ رَأْيَهَا فِي ذِي الْقَضِيَّةِ
فَقَالَتْ: لَا أَرَى خَيْرًا وَأَبْقَى
مِنَ الْإِحْسَانِ لِلنَّفْسِ الشَّقِيَّةِ

(١) فاعل الفعل في البيت، هو الجندي.

(٢) فاعل الفعل هي البنت الصبية.

٢٧ - حكاية حال

[مجزوء الكامل]

الحشد ملء الدار
كُنْ لم يرَ أحداً سِواها
فَتَّانَةٌ خَلَابَةٌ
كالياسمين في شذاها
أوفى عليها وهي تَحْ
طرُّ كالفراشة فاشتهاها
شَكَتِ الصَّبَابَةَ مُقَلَّتَا
هُ فجاوبته مُقَلَّتَاهَا
حتى إذا ما اختار كُلُّ
لُ فتي رقيقته اصطفاها
ورأت به من تبتغي
وكمما رآته كذا رآها
وتقدَّمَا للرقص يق
رأ ناظرِيه ناظرَاهَا
متلاصقي^(١) الجسمين يس
نُدُّ سَاعِدِيه سَاعِدَاهَا
وتكاد لولا الخوفُ تَلُ
مسُ وجنتيه وجنتَاهَا
متدافعَيْن كموجتَيْ
ن، خطاه تتبعُها خطَاهَا

(١) يريد: «متلاصقي».

يمشي فتَمْشي وهي تحُ
 سَبَّهْ يَسِيرُ عَلَى حَشاها
 هي في لثامٍ كالِدُجَى
 مُحَلُولِكٍ وكذا فَتَها
 لَكِنَّمَا الْأَلْحَاظُ تَحُ
 تَرْقُ السُّتُورَ وما وراها
 فاض الغرامُ فقال أ
 هِ وَقَالَتِ الْحَسَنَاءُ أَها
 فأنسلَّ من أَصْحابه
 سِرًّا، وأَغْضَتْ جارتها
 ومشي بها في روضةٍ
 قد نام عنها حارساها
 حتى إذا أَمِنَّا الْوَرَى
 وشكا الهوى وشكتْ هواها
 طارت بِبُرْقُعِها وبُرْ
 قُوعه على عَجَلٍ يداها
 كَيْما تُقَبِّلُ تُغْرِه
 ويُقَبِّلُ المَعْشُوقُ فَاها
 فرأى المتَّيِّمُ بِنْتَه
 ورأتْ مَلِيحَتُنَا أباهَا!

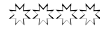
٢٨ - شكوى

[الرمل]

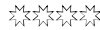
نَسِيتُ عَهْدِي، فَلَمَّا جِئْتُهَا
زَعَمْتُ أَنِّي تَنَاسَيْتُ الْعُهُودَ
وَادَّعَتْ أَنِّي خَلَيْتُ زَاهِدًا،
أَنَا لَوْ كُنْتُ كَذَا كُنْتُ سَعِيدًا



رَغِبْتُ فِي الصَّدِّ عَنِّي بَعْدَمَا
بِتَّ لَا يَحْزُنُنِي مِثْلُ الصَّدُودِ
مِثْلَمَا أَنْكَرْتَ غَيْرِي خَدُّهَا
أَنْكَرْتُ فَاتِنَتِي تِلْكَ الْوَعُودُ



يَا شَاهِدِي عِنْدَمَا كُنَّا مَعًا
ذَكَّرُوهَا.. أَيْنَ أَنْتُمْ يَا شُهِودَ؟
سَكَتَ الْبَدْرُ الَّذِي رَاقَبَنَا
وَذَوْتُ فِي الرُّوضِ هَاتِيكَ الْوُرُودُ



وَمَشَتْ رِيحُ الصَّبَا حَائِرَةً
فِي الْمَغَانِي حَيْرَةَ الصَّبِّ الْعَمِيدِ

يا هواها قل متى تتركني
قال: أو تصفر^(١) هاتيك الخدود



أنا لا أدعو عليها بالضنى
أتقى أن يشمت القالي^(٢) الحسود...

(١) التقدير: لن أتركك أو تصفر.

(٢) المبغض (قلاه - يقلبه).

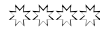
٢٩ - بائعة الورود

[البسيط]

من الفرنسيس قِيدَ العين صورتُها
عذراءٌ قد مُلئتُ أجفانُها حَوَرا
كأنما وهبتُها الشمسُ صفحتَها
وجهاً، وحاكتُ لها أسلاكُها شَعَرا
يدُ المنيّةِ طاحتُ غِبَّ مَوْلدها
بأُمّها، وأبوها ماتَ منتَحِرا
في قريةٍ من قُرى باريسَ ما صَغُرَت
عن الفتاة، ولكنْ همُّها كَبُرَا
والنفسُ تَعشَقُ في الأهلينَ موطنَها
وليسَ تَعشَقُه يَحويهمُ حُفَرا
وتعظُمُ الأرضُ في عينيكَ محترَماً
وليسَ تعظُمُ في عينيكَ مُحْتَقَرا
فَغادَرَتْها وما في نفسِها أثَرُ
منها، ولا تركتُ في أهلِها أثَرا
إلى التي تَفْتِنُ الدنيا مَحاسنُها
وحُسْنُ مَنْ سَكَنوها يَفْتِنُ البَشَرا
إلى التي تَجْمَعُ الأضدادَ دارَتْها
ويحرسُ الأمنُ في أرجائها الخَطَرا^(١)
إذا رآها تَقِي ظَنُّها «عَدَناً»

(١) الدارة أخص من الدار. وهي الهالة من حول القمر أيضاً.

وإن رآها شقيٌّ ظنَّها «سَقَرًا»
تودُّ شمسُ الضُّحَى لو أنها فلَكُ
والأفقُ لو طَلَعَتْ في أوجِهٍ قَمَرًا
والغربُ لو كان عوداً في منابرها
والشرقُ لو كان في جُدرانها حجراً
في كلِّ قلبٍ هوىٌ منها كأن له
في أهلها صاحباً، في أرضها وطراً
(باريس) أعجوبةُ الدنيا وجنتُها
وربَّةُ الحُسْنِ مطروقاً ومبتَكراً



حَلَّتْ عليها فلم تُنكرْ زخارفها
فطالما أبصرتُ أشباهها صُورًا
ولا خلائقَ أهلِها وزيَّهم
فطالما قرأتُ أخلاقهم سِيراً
وإنما أنكرتُ في الأرض وحدتَها
كذلك الطيرُ إمَّا فارقَ الوُكْرَا
يتيممةٌ ما لها أم تلوذُ بها
ولا أبٌ إن دعتْهُ نحوها حَضْرَا
غريبةٌ يَقتفيها البؤسُ كيف مشتُ
ما عزَّ في أرض «باريس» من افتقرا
مرَّتْ عليها ليالٍ وهي في شُغْلٍ
عن سالفِ الهمِّ بالهمِّ الذي ظهرا
حتى إذا عضَّها نابُ الطَّوى نفرتُ
تستنزلُ الرزقَ فيها الفردَ والنَّفْرا
تجني اللُّجَيْنَ ويجني البازلوه لها

من كَفَّهَا الْوَرْدَ مَنْظُومًا وَمَنْتَثِرًا
 لَا تَتَّقِي اللَّهَ فِيهِ وَهُوَ فِي يَدِهَا
 وَتَتَّقِي فِيهِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ النَّظَرَا
 تَغَارُ حَتَّى مِنْ الْأَرْوَاحِ سَارِيَةً
 فَلَوْ تَمُرَّ قَبُولٌ^(١) أَطْرَقَتْ خَفَرَا
 أَذَالَتْ الْوَرْدَ قَانِيَهُ وَأَصْفَرَهُ
 كَيْمَا تَصُونِ الَّذِي فِي خَدِّهَا نَضْرَا^(٢)
 حَمَمَتُهُ عَنْ كُلِّ طَرْفٍ فَاسْقٍ غَزَلٍ
 لَوْ اسْتَطَاعَتْ حَمَمَتُهُ الْوَهْمَ وَالْفِكْرَا
 تُضَاكِحُ الْخَلْقَ لَا زَهْوًا وَلَا لَعِبًا
 وَتَجَحَّدُ الْفَقْرَ لَا كِبْرًا وَلَا أَشْرَا^(٣)
 فَإِنْ خَلَّتْ هَاجَتِ الذِّكْرَى لَوَاعَجَهَا
 فَاسْتَنْفَدَتْ طَرْفَهَا الدَّمْعَ الَّذِي ادَّخَرَا



تَعَلَّقَتْهُ فَتًى كَالْغَصْنِ قَامَتُهُ
 حَلَوَ اللِّسَانُ أَغْرَّ الْوَجْهَ مُزْدَهَرَا
 وَهَامَ فِيهَا تُرِيهِ الشَّمْسُ غُرَّتْهَا
 وَالْفَجْرُ مَرْتَصِفًا فِي ثَغْرِهَا دُرَّرَا
 إِذَا دَنَا رَغِبَتْ أَلَّا يُفَارِقَهَا
 وَإِنْ نَأَى أَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ لَوْ ذُكِرَا
 تُغَالِبُ الْوَجْدَ فِيهِ وَهُوَ مُقْتَرِبُ
 وَتَهْجُرُ الْغَمْضَ فِيهِ كُلَّمَا هَجَرَا
 كَانَتْ تَوَقَّى الْهُوَى إِذَا لَا يُخَامَرُهَا

(١) الْقَبُولُ: رِيحُ الصَّبَا (ضد: الدَّبُور).

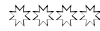
(٢) أَذَالُ: أَهَانُ وَامْتَهَنُ. نَضَرَ: حَسَنَ وَنَعَمَ.

(٣) الْبَطَرُ (أَشْبَرُ - يَأْشُرُ).

فأصبحت تتوقّى في الهوى الحذرا
قد عرّضت نفسها للحب واهية
فنال منها الهوى الجبار مقتدرا
والحب كاللص لا يدريك مواعده
لكنّه قلّما، كالسارق، استترا



وليلة من ليالي الصيف مقمرة
لا تسأم العين فيها الأنجم الزهرا
تلاقيا فشكاها الوجد فاضطربت
ثم استمرّ فبات كالذي سحرا
شكا فحرّك بالشكوى عواطفها
كما تحرك كف العازف الوترا
وزاد حتى تمنّت كل جارحة
لو أصبحت مسمعا أو أصبحت بصرا
ران الهيام على الصبّين فاعتنقا
لا يملكان النّهي وردا ولا صدرا^(١)
«وكان ما كان مما لست أذكره»
تكفي الإشارة أهل الفطنة الخبرا



هامت به وهي لا تدري لشقوتها
بأنها قد أحبّت أرقما ذكرا^(٢)
رأته خشفاً فادنّته، فراء بها

(١) يعني: لا أخذاً ولا رداً.

(٢) الحية فيها بياض وسواد. ويريدها هنا أن تكون: الثعبان.

(٣) راء من (رأى - راءة) - راء - يرء.

شاةً، فأنشِبَ فيها نَابَهُ نَمِرا^(٣)
 ما زال يؤمِّنُ فيها غيرَ مَكْثَرٍ
 بالعاذِلِينَ، فلمَّا أَمِنْتُ كَفَرا
 جنى عليها الذي تَحْشَى، وقاطَعَهَا
 كَأَنَّمَا قد جَنْتُ ما ليس مُعْتَفَرا
 كانتُ وكان يرى في خَدَّها صَعِراً
 عنه، فبَاتت تَرى في خَدِّه صَعِرا^(١)
 فكلَّما استعطفَتْهُ ازورَّ مُحْتَدِماً
 وكلَّما ابتسَمْتُ في وجهه كَشَرا
 طال النِّفَارُ و«فرجيني» على مَضَضٍ
 تجرَّعَ الأنْقَعَيْنِ: الصَّابَ والصَّبِرا^(٢)
 قالت، وقد زارها يوماً، مُعْرِضَةً:
 متى، لَعَمْرُكَ، يَجني الغارسُ الثَمرا؟
 كم ذا الصُّدُودُ ولا ذنبُ جَنَّتِهِ يدي
 أرجوبُك الصَّفْوَ لا أرجوبُك الكَدَرا
 تَرَكْتَنِي لا أدُوقُ الماءَ من وَلَهي
 كما تَرَكْتَ جَفُونِي لا تَذُوقُ كَرى
 أَشْفِقُ عَلَيَّ ولا تَنْسَ وَعودَكَ لي
 فإنَّ ما بي لو بالصَّخِرِ لا نَفَطَرا
 أطالتِ العَتَبَ تَرجو أن يَرقَّ لها
 فؤادُهُ فأطالَ الصِّمَتَ مُختَصِرا
 وأُحْرِجَتْهُ لأنَّ الهمَّ أحرَجَها
 وكلَّما أُحْرِجَتْهُ رَاغَ مُعتذِرا
 وضاقَ ذُرْعاً بما يُخفي فقال لها:

(١) صَعَرَ خده: أزاله من الكِبَر.

(٢) يريد: النقيع، لأنهما يُنقعان في الماء. الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته: صابة). والصبر: مثله.

إِلَامَ أَلَزَمُ فَيْكَ الْعِيَّ وَالْحَصْرَا
أَهْوَاكِ صَاحِبَةً.. أَمَّا اقْتِرَانُكَ بِي
فَلَيْسَ يَخْطُرُ فِي بَالِي وَلَا خَطَرَا
أَهْوَى رِضَاكِ وَلَكِنْ إِنْ سَعَيْتُ لَهُ
أَغْضَبْتُ نَفْسِي وَالِدَيَّانَ وَالْبَشْرَا
عَنِيتُ مَا لِي مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَسَدِي
وَلَيْسَ قَلْبِي إِلَى قِسْمَيْنِ مُنْشَطِرَا
تُطَالِبِينِي فَوَادِي وَهُوَ مَرْتَهَنُ
فِي كَفِّ غَيْرِكِ، رُمْتُ الْمَطْلَبَ الْعَسِرَا
يَكْفِيكَ أَنِّي فَيْكَ خُنْتُ إِمْرَاتِي!
وَلَمْ يَخُنْ قَلْبُهَا عَهْدِي وَلَا خَفَرَا
قَدْ كَانَ طَيْشًا هَيَامِي فَيْكَ بَلْ نَزَقَا
وَكَانَ حُبُّكَ ضَعْفًا مِنْكَ بَلْ خَوَرَا
قَالَتْ: مَتَى صِرْتَ بَعْلًا؟ قَالَ: مِنْ أَمَدٍ
لَا أَحْسَبُ الْعُمَرَ إِلَّا هَـ وَإِنْ قَصُرَا
يَا هَوْلَ مَا أَبْصَرْتُ! يَا هَوْلَ مَا سَمِعْتُ!
كَادَتْ تُكَذِّبُ فِيهِ السَّمْعَ وَالْبَصْرَا
لَوْلَا بَقِيَّةُ صَبْرٍ فِي جَوَانِبِهَا
طَارَتْ لَهُ نَفْسُهَا مِنْ وَقْعِهِ شَذْرَا
يَا لَلْخِيَانَةِ! صَاحَتْ وَهِيَ هَائِجَةٌ
كَمَا تَهَيَّجَ لَيْثٌ بِأَبْنِهِ وَتِرَا
الْآنَ أَيْقَنْتُ أَنِّي كُنْتُ وَاهِمَةً
وَأَنَّ مَا كُلُّ بَرْقٍ يَصْحَبُ الْمَطْرَا
وَهَبْتَ قَلْبَكَ غَيْرِي وَهُوَ مِلْكُ يَدِي
مَا خِفْتُ شَرْعًا وَلَا بِالْيَتِ مُزْدَجَرَا
لَيْسَتْ شَرَائِعُ هَذِي الْأَرْضِ عَادِلَةً

كان الضعيفُ ولا ينفكُ مُحْتَقَرًا
قد كنتُ أخشى يدَ الأقدارِ تصدَعُنَا
وكان أجدرُ أنْ أخشاكَ لا القَدْرَا
وصلَّتَنِي مثلَ شمسِ الأفقِ ناصعةً
وعِفَّتَنِي مثلَ جُنحِ الليلِ مُعتكِرا
كما تعافُ السَّراةُ الثُّوبَ قد بليتُ
خيوطُهُ والرُّوادةُ المَوردَ القَدْرَا
خِفَتَ الأقاويلُ بي قد نامَ قائلُها
هلاً خشيتُ انتقامي وهو قد سهرَا
يا سَالِبي عِفَّتِي من قَبْلِ تهجِرَني
أُرِدُّ عليَّ عَفَافِي وارِدُ الطُّهْرَا^(١)
هيهاتَ هيهاتَ ما مِن عِفَّتِي عَوْضُ
لاح الرِّشَادُ وبانَ الغَيِّ وانحسرا...



وأقبلتُ نحوهَ تَغْلِي مَراجِلُها
كأنَّها بركانُ ثارٍ وانفَجرا
في صدرها النارُ، نارُ الحقدِ، مُضِرْمَةٌ
لكنَّما مُقلتاها تقذفُ الشَّررا
وأبصرَ النصلَ تُخَفِيهِ أناملُها
فراح يركضُ نحو البابِ مُنذِعِرا
لكنها عاجلته غيرَ وانيةٍ
بطعنةٍ فَجَّرَتْ في صدره نَهَرا
فخرَّ في الأرضِ جسمًا لا حَرَاكَ به

(١) أراد: من قبل أن تهجرني.

لكنَّ «فرجين» ماتت قبلما احتضرا
جُنَّتْ مِنَ الرُّعبِ والأحزانِ فانتحرتْ
ما حَبَّتِ الموتَ لكن خافتِ الوُضْرَا



كانت قُبَيْلَ الرّدى منسيّةً فغدتْ
بعد الحَمَامِ حديثَ القومِ والسَّمَرَا
تتلو الفتاةُ عِظَاتٍ في حكايتها
كما يطالعُ فيها الناشئُ العِبرَا



٣٠ - ١٩١٤

[الرمل]

طُويَ العامُ كما يُطوى الرِّقِيمُ^(١)
وهوى في لُجَّةِ الماضي البعيدِ



لم يكنْ.. بل كان لَكُنْ ذَهَبَا
وانقضى حتَّى كَأَنَّ لم يَكُنْ
لو درى حين أتى المُنْقَلَبَا^(٢)
لَتَمَنَّى أَنَّهُ لم يَكُنْ^(٣)
أَيُّ نجمٍ شارقٍ ما غَرَبَا
أَيُّ قلبٍ خافقٍ لم يَسْكُنْ
جاهلٌ من حَسِبَ الآتي يدومُ
أحمقٌ من حَسِبَ الماضي يعودُ



مالنا يأخذُ مِنَّا الطَّربُ
كلَّما عامٌ تلاشى واضْمَحَلُ
أَفَرِحْنَا أَنَّنَا نَقْتَرِبُ
من غَدٍ؟ إِنَّ غَدًا فِيهِ الأَجَلُ
عَجَبٌ هَذَا وَمِنْهُ أَعْجَبُ
إِنَّنَا نَفْنَى وَلَا يَفْنَى الأَمَلُ

(١) الرقيم: الكتاب.

(٢) حيث ينقلب مبتعداً.

فكأننا ما سمعنا بالحُتومُ
أو كأننا قد نعيمنا بالوجودُ



يا رَعَاهُ اللهُ من عامٍ خَلا
فلقد كان سَلاماً وأَمَانُ
صافحَ الجَحْفَلُ فيه الجَحْفَلَا
واستراحَ السيفُ فيه والسِّنَانُ
ما انجلى حتى رأى النَّقْعَ^(١) انجلى
وخبثَ نارُ الوغَى في «البَلِقَانِ»^(٢)
لستُ أنسى نهضةَ الشعبِ النُّوومِ
إنَّ فيها عِبْرَةً للمستفيدِ



والتقىَ البحرانِ فيه بعدمَا
مرَّتِ الأجيالُ لا يلتقيانِ
أصبحَ السَّدُّ الذي بينهما
تُرْعَةً يزخرُ فيها الأزرقانُ
فلتدمُ (أميركا) ما التطمأ
ما لهذا الفتحِ في التاريخِ ثانُ
ولتعش رايتُها ذاتُ النجومِ
أجملُ الرّايات، أولى بالخلودِ!



واعتلى الناسُ به متنُّ الهواءِ
فهمُ حولِ الدَّراري^(٣) يَمرحونُ

(١) الغبار (غبار المعارك).

(٢) هي المنطقة الجبلية في جنوب أوروبا وتضم رومانيا وألبانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وصربيا والجانب الأوروبي من تركية.

(٣) النجوم المضيئة بلون الدر.

يَمْخُرُ الْمَنْطَادُ فِيهِمْ فِي الْفَضَاءِ
مِثْلَمَا يَمْخُرُ فِي الْبَحْرِ السَّفِينُ
مَعْجَزَاتُ مَا أَتَاهَا الْأَنْبِيَاءُ
لَا وَلَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا الْأَقْدَمُونَ
سَخَّرَ الْعِلْمُ لَهُمْ حَتَّى الْغَيُومُ
فَهُمْ، مِثْلُهُمْ، فَوْقَ الصَّعِيدِ^(١)



حَلَّقَ الْغَرْبِيُّ فَوْقَ السَّمَوَاتِ
وَلَبِثْنَا نَنْدُبُ الرَّسْمَ الْمَحِيلَ^(٢)
فَإِذَا مَا قَالَ أَهْلُ الْمَكْرُمَاتِ
مَا وَجَدْنَا، وَأَبْيَكُمُ، مَا نَقُولُ
لَوْ فَقِهْنَا مِثْلَهُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ
مَا أَضْعَفْنَا بِكَاءٍ فِي الطُّلُولِ
أَلَفْتُ أَنْفُسُنَا الْخَيْمَ الْمُقِيمِ
مِثْلَمَا يَسْتَعِذُّ الظُّبْيُ الْهَبِيدُ^(٣)



أَدْرَكْتُ غَايَاتِهَا كُلَّ الشَّعُوبِ
نَهَضَ الصَّيْنِي وَمَا زَلْنَا نِيَامُ
عَبَثْتُ فِينَا الرِّزَايَا وَالْخَطُوبُ
مِثْلَمَا يَعْبَثُ بِالْحُرِّ اللَّئَامُ
صَوْدِرَ الْكَاتِبِ مَتَا وَالْخَطِيبِ
مُنَعْتُ أَلْسُنُنَا حَتَّى الْكَلَامِ

(١) الصَّعِيد: التراب، يريد: سطح الأرض.

(٢) الْمَحِيل: حال عليه الحول، يريد الزمان على الإطلاق. يشير إلى بكاء الديار وأطلالها عند الشعراء العرب في القديم.

(٣) الْهَبِيد: الحنظل، أو حَبَّه (يُطْبَخ بعد أن ينقع في الماء لتذهب مرارته)!

نحن في الغفلة أصحابُ الرِّقِيمِ^(١)
نحن في الذَّلَّةِ إخوانُ اليهود^(٢)



لَيْتَ أَنَّا حِينَ مَاتَ الشُّمَمُ
لَحِقْتُ أَرْوَاحُنَا بِالْغَابِرِينَ
مَا تَمَرَّدْنَا عَلَى مَنْ ظَلَمُوا
لَا وَلَمْ نَفْكُكَ وَثَاقاً عَنْ سَجِينٍ
لَيْسَ يَمْحُو عَارَنَا إِلَّا الدَّمُ
فإِلَى كَمْ نَذَرِفُ الدَّمْعَ السَّخِينِ؟
قَامَ فِينَا أَلْفُ جَبَّارٍ غَشُومٍ
غَيْرَ أَنَّا لَمْ يَمُتْ مِنَّا شَهِيدٌ



يَا لَقَوْمِي بَلِّغِ السَّيْلَ الزُّبَى^(٣)
وَاسْتَطَالَ الْبَغْيُ وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ
فاجْعَلُوا أَقْلَامَكُمْ بَيْضَ الظُّبَا^(٤)
وَاسْتَعِيرُوا مِنْ دَمِ الْبَاغِي الْمِدَادَ
كَتَبَ السَّيْفُ.. اقْرَؤُوا مَا كَتَبَا:
«لَا يُنَالُ الْمَجْدُ إِلَّا بِالْجَهَادِ»
أَيُّ رَجَالِ الشَّرْقِ أَبْنَاءُ الْقُرُومِ!^(٥)
لَا تَنَامُوا. أَفَلَهُ الْمَاءِ الرُّكُودُ!!



(١) يشير إلى قصة «أهل الكهف» الذين «لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً» انظر سورة الكهف، في القرآن الكريم (الآية ٩).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ» سورة البقرة، الآية ٦١

(٣) الزُّبْيَةُ: الرابية لا يعلوها الماء.

(٤) الظُّبَةُ: حد السيف. والجمع: الظبا.

٣١ - بنت الدوالي

[الرجز]

هاتِ اسقني بالقَدَحِ الكبيرِ
صفراءَ لونَ الذهبِ المصهورِ
كأنها في أكؤس البُلُورِ
شُعلةُ نارٍ في بقايا نورِ



عجبتُ للكَاسِ التي تحويها
كيف استقرَّتْ والحياةُ فيها
لولم يُدرّها بيننا ساقِها
دارتْ على القومِ بلا مُديرِ



هاتِ اسقنيها مثلَ عينِ الديكِ
صافيةً تنهضُ بالصُّعُوكِ
حتّى يرى التّيهَ على الملوكِ
ولا يُبالي سَطوّةَ الأميرِ



بنت الدّوالي ضَرّةُ الرُّضابِ^(١)
أختُ التّصافي زوجةُ السّحابِ
أنتِ، وإن لام السُّورى شَرابي
في الخالدين: القَرُّ والهَجيرِ^(٢)



(١) الرّيق. يريد: طيبه حين يرشفه.

أَشْرَبُهَا بِلْ أَشْرَبُ الْإِكْسِيرَا^(١)
تَخْلُقُ فِي شَارِبِهَا السُّرُورَا
فَقُلْ لِمَنْ يَحْسَبُهَا غُرُورَا
مَا الْعَيْشُ إِلَّا سَاعَةٌ الْغُرُورِ

(١) الشراب.

٣٢ - الطيران

[الخفيف]

لو رأى «آدم» فتاه لزال الـ
حقد من قلبه على حواءِ
صير الأرض جنةً دونها الجنـ
نة في الحُسن والبها والرواءِ
ما أظن النعيم فيه الذي في الـ
أرض من بهجةٍ ومن للاءِ
كل ما في الوجود للمرء عبـد
وهو عبد الشّهوات والأهواءِ
كائن كل كائن حار فيه
فهو حلوٌ مرٌّ ودانٍ ناءِ
وهو طوراً يكون نصف إلهٍ
وهو طوراً أدنى من العجماءِ
عجباً كيف طاعه الطّين والماءِ
وما كان غير طينٍ وماءٍ؟
ساد في الكون مثلما ساد فيه
خالق الكون مُبدع الأشياءِ
فهو في الماء سابعٌ وعلى الغبـ
راءِ ماشٍ وطائرٌ في الفضاءِ
تخذ الجو ملعباً ثم أمسى
راكضاً في الهواء ركضَ الهواءِ

فهو فوق السحاب يحكيه في مسد
 —راه لكنه أخو خيلاء
 وهو بين الطيور تحسبه العند
 لقاء لولا استحالة العنقاء
 أبصرته فأكبرت أن ترى في الـ
 جو صيادها على الغبراء
 فاستوى في قلوبها الذعر حتى
 كاد يحكي البلاء خوف البلاء
 وتناجت تبغي النجاة فراراً
 أين أين المفر من ذا القضاء
 ويح هذي الطيور تجني على المو
 تى وترجو سلماً من الأحياء
 أهبطي أو فحلقي أو فسييري
 إنما المنتهى إلى الأرزاء!



وهو بين النجوم يسترق السّم
 مع ولا يتقي رجوم السماء
 مشهد روع الدّاري فباتت
 حائرات في القُبّة الزرقاء
 نافرات كأنّها ظبيات
 رأت القانصين في البيداء
 سائلات إذا رسول سلام
 من بني الأرض أم نذير فناء؟
 هالها أن ترى من الإنس قوماً
 يتهادون مثلاًها في الفضاء
 فرأيت الجوزاء تشكو الثريا
 والثريا تشكو إلى الجوزاء

لَا تُرَاعِي يَا شَهْبُ مَنْنَا فَإِنَّا
 مَا حَمَلْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ الْوَلَاءِ
 قَدْ كَرِهْنَا الْمَقَامَ فِي الْأَرْضِ لَمَّا
 قِيلَ إِنَّ السَّمَاءَ مَقَرُّ الْهِنَاءِ
 إِنَّمَا شَوْقُنَا إِلَيْكَ الَّذِي أَسَدُ
 رَى بَنَا لَا الْهَيْامُ فِي الْإِسْرَاءِ
 فَصَلِينَا نَزْدَدُ غَرَاماً وَوَجْداً
 غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ كَثِيرُ الْإِبَاءِ
 نَحْنُ يَا شَهْبُ فِي حِمَاكَ ضَيُوفُ
 وَجَمِيلُ رَعَايَةِ الْغُرَبَاءِ
 أَكْرَمِي ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ فَوْقَ السُّ
 سُحْبِ يُثْنِي عَلَيْكَ خَيْرَ ثَنَاءِ
 وَأُنِيرِي طَرِيقَهُ إِنْ دَجَا اللَّيْلُ
 لُ وَدَبَّتْ عَقَارِبُ الظُّلُمَاءِ
 صَاغَكَ إِلَهُ شُعْلَةً مِنْ ضِيَاءِ
 وَبَرَأَ الْمَرْءَ شُعْلَةً مِنْ ذُكَاةِ
 تَخْذِيهِ أَخَا يَكُنْ لَكَ عَوْناً
 كُلُّ نَفْسٍ مُحْتَاجَةٌ لِلْإِخَاءِ
 لَا تَفَاخَرْ بِالْوَاخِدَاتِ وَلَا بِالْخَيْدِ
 لُ مِنْ أَدْهَمٍ وَمِنْ شَهْبَاءِ^(١)
 هَانَ عَصْرُ النَّيَاقِ وَالرَّاكِبِيهَا
 عِنْدَ عَصْرِ الْبُخَارِ وَالْكَهْرِبَاءِ!

(١) الْوَحْدُ: سَعَةُ الْمَشْيِ وَالْإِسْرَاعُ فِيهِ.

٣٣ - العاشق المخدوع

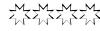
[الكامل]

أبصَرْتُهَا فِي الْخَمْسِ وَالْعَشْرِ
فَرَأَيْتُ أُخْتَ الرَّئِمِ وَالْبِيدِ
عِذْرَاءُ لَيْسَ الْفَجْرُ وَالْدَهَا
وَكَأَنَّهَا مَوْلُودَةُ الْفَجْرِ
بِسَّامَةٍ فِي ثَغْرِهَا دُرٌّ
يَهْفُو إِلَيْهَا الشَّاعِرُ الْعَصْرِي
وَلَهَا قَوَامٌ لَوْ أَشَبَّهَهُ
بِالْغَصَنِ بَاءَ الْغَصَنِ بِالْفَخْرِ
مِثْلُ الْحَمَامَةِ فِي وِدَاعَتِهَا
وَكَزْهَرَةِ النَّسْرَيْنِ فِي الطُّهْرِ
مِثْلُ الْحَمَامَةِ غَيْرَ أَنَّ لَهَا
صَوْتَ الْهَزَارِ وَلَفْتَةَ الصَّفْرِ



شَاهَدْتُهَا يَوْمًا وَقَدْ جَلَسَتْ
فِي الرُّوضِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالزَّهْرِ
وَيْدُ الْفَتَى «هَنْرِي» تَطَوَّقُهَا
فَحَسَدْتُ ذَاكَ الطَّوْقَ فِي الْخَصْرِ
وَحَسَدْتُ مَقَالَتَهُ وَمَسْمَعَهُ
لِجَمَالِهَا وَكَلَامِهَا الدُّرِّي
أَغْمَضْتُ أَجْفَانِي عَلَى مَضْضِ
وَطَوَيْتُ أَحْشَائِي عَلَى الْجَمْرِ

وَحَشِيْتُ أَنَّ الْوَجْدَ يَسْلُبُنِي
حِلْمِي^(١)، وَيَغْلِبُنِي عَلَى أَمْرِي
فَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أَغْالِبَهُ
بِالْيَأْسِ أَوْنَةً وَبِالْحَبْرِ
ثُمَّ انْقَضَى عَامٌ وَأَعْقَبَهُ
ثَانٍ وَذَاكَ السَّرُّ فِي صَدْرِي
فَعَجِبْتُ، مَنِي كَيْفَ أَذْكُرُهَا
وَقَدْ انْقَضَى حَوْلَانٍ مِنْ عُمْرِي
خِلْتُ اللَّيَالِي فِي تَتَابُعِهَا
تُزْرِي بِهَا عِنْدِي فَلَمْ تُزِرْ
زَادَتْ مَلَا حَتُّهَا فَزِدْتُ بِهَا
كَلْفًا، وَمَوْجِدَةٌ عَلَى «هَنْرِي»



وَسَنَّمْتُ دَارِي وَهِيَ وَاسِعَةٌ
فَتَرَكْتُهَا وَخَرَجْتُ فِي أَمْرٍ
فَرَأَيْتُ فَتَيَانَ الْحِمَى انْتَظَمُوا
كَالْعَقْدِ، أَوْ كَالْعَسْكَرِ الْمَجْرِ^(٢)
يَتَفَكَّهُونَ بِكُلِّ نَادِرَةٍ
وَعَلَى الْوُجُوهِ عَلَائِمُ الْبِشْرِ
سَارُوا فَأَعْجَبَنِي تَدْفُقُهُمْ
فَتَبِعْتُهُمْ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
مَا بَالُهُمْ؟ وَلَأَيَّةٍ وَقَفُوا؟
لَمَنِ الْبِنَاءُ يَلُوحُ كَالْقَصْرِ

(١) الحِلْمُ: العقل.

(٢) الجيش العظيم.

أَوَّاهُ! هَذَا دَارُ فَاتِنَتِي
 مِنْ قَالَ: مَا لِلشَّمْسِ مِنْ خِذْرٍ؟
 وَعَرَفْتُ مِنْ «فِرْجَيْنَ» جَارَتِيهَا
 مَا زَادَنِي خُزْراً عَلَى خُزْرٍ
 قَدْ كَانَ هَذَا يَوْمَ خُطْبَتِهَا
 يَا أَرْضُ مِيدِي! يَا سَمَا خُرِّي
 وَرَأَيْتُ سَاعِدَهَا بِسَاعِدِهِ
 فَوَدِدْتُ لَوْ غُيِّبْتُ فِي قَبْرِ
 وَشَعَرْتُ أَنَّ الْأَرْضَ وَاجِفَةٌ
 تَحْتِي، وَأَنَّ النَّارَ فِي صَدْرِي
 وَخَشِيتُ أَنَّ الْوَجْدَ يَسْلُبُنِي
 حِلْمِي وَيَغْلِبُنِي عَلَى أَمْرِي
 فَرَجَعْتُ أَدْرَاجِي أَغَالِبُهُ
 بِالْيَأْسِ أَوْنَةً وَبِالصَّبْرِ



قَالُوا: الْكَنِيسَةُ خَيْرُ تَعْزِيَةٍ
 لِمَنْ ابْتُلِيَ فِي الْحُبِّ بِالْهَجْرِ
 فَنَذَرْتُ أَنْ أَقْضِيَ الْحَيَاةَ بِهَا
 وَقَصَدْتُهَا كَيْمَا أَفِي نَذْرِي
 لَأَزِمْتُهَا بِدَرِينِ مَا التَفْتَتُ
 عَيْنِي إِلَى شَمْسٍ، وَلَا بَدْرٍ
 أَتْلُو أَنَا شَيْدَ النَّبِيِّ ضُحَى
 وَأَطَالُ الْإِنْجِيلَ فِي الْعَصْرِ
 حِينَئِذٍ مَعَ الرُّهْبَانِ، أَوْنَةً
 وَحْدِي، وَأَحْيَاناً مَعَ الْحَبْرِ^(١)

(١) الحَبْرُ: واحد الأَحْبَارِ مِنْ رِجَالِ الْكَنِيسَةِ.

في الغابِ فوقَ العشبِ مضطجعاً
في السَّفحِ، مُستنداً إلى الصَّخرِ
في غِرفتي، والريحُ راكدةٌ
بين المَغارِسِ، والصَّبَا تسري
حتى إذا ما القلبُ زايلاً
تبريحهُ، وصحوتُ من سُكري
وسلوتُها وسلوتُ خاطبها
وألِفْتُ عيشَ الضَّنكِ والعُسْرِ
عاد القضاءُ إلى مُحارَبتي
ورجعتُ للشكوى من الدهرِ



في ضحوةٍ وقفَ النسيمُ بها
متردداً في صفحةِ النَّهرِ
كالشاعرِ الباكي على طَلَلٍ
أو قارئِ حَيْرانٍ في سِفْرِ
والشمسُ ساطعةٌ ولا معةٌ
تكسو حواشي النَّهرِ بالتَّبرِ
والأرضُ حاليَّةٌ جوانبها
بالزَّهرِ من قانٍ ومُصفَرٍّ
فكأنَّها بالعشبِ كاسيةٌ
حسناً في أثوابها الخُضرِ
وعلاهُتافُ الطيرِ إن أمنتُ
بأسِ العُقَابِ وصولَةَ النَّسرِ
تتلو على أهلِ الهوى سُوراً
ليست بمنظومٍ ولا نثرِ

يَحْنُو الْهَزَارُ عَلَى الْيَفْتِهِ
وَيَدَاعِبُ الْقُمْرِيَّةَ الْقُمْرِي (١)
وَأَنْسَابَ كُلِّ مَصْفَقٍ عَذِبٍ
وَاهْتَزَّ كُلُّ مَهْفَفٍ نَضْرٍ
فَتَذَكَّرْتُ نَفْسِي صَبَابَتَهَا
مَا أَوْلَعَ الْمَهْجُورَ بِالذِّكْرِ
أَرْسَلْتُ طَرْفِي رَائِدًا فَجَرَى
وَجَرَى عَلَى آثَارِهِ فِكْرِي
حَتَّى دَوَّى صَوْتُ الرَّئِيسِ بِنَا
فَهَرَعْتُ وَالرَّهْبَانُ فِي إِثْرِي
وَإِذَا بِنَا نَلَقَى كَنِيسَتَنَا
بِالْوَافِدِينَ تَمُوجُ كَالْبَحْرِ
وَإِذَا «بَهَا» وَإِذَا الْفَتَى «هَنْرِي»
فِي حُلَّةٍ بَيْضَاءٍ كَالْفَجْرِ
تَمْشِي وَيَمْشِي بَيْنَ ذِي أَدَبٍ
حُلُوٍّ، وَبَيْنَ مَلِيحَةٍ بِكْرٍ
رَفَعَ الرَّئِيسُ عَلَيْهِمَا يَدَهُ
وَأَنَا أَرَى وَيَدِي عَلَى صَدْرِي
يَا قَلْبُ ذُبْ! يَا مُهْجَتِي انْفَطِرِي
يَا طَرْفُ فَضْ بِالْأَدْمَعِ الْحُمْرِ
أَغْمَضْتُ أَجْفَانِي عَلَى مَضْضٍ
وَطَوَيْتُ أَحْشَائِي عَلَى الْجَمْرِ
وَخَشِيتُ أَنَّ الْوَجْدَ يَسْلُبُنِي
حِلْمِي، وَيَغْلِبُنِي عَلَى أَمْرِي

(١) القُمري: طير أبيض. ومؤنثه قُمريّة.

فرجعتُ أدراجي أغاليبه
باليأسِ أونةً وبالصَّبْرِ
وخرجتُ لا ألوي على أحدٍ
ورضيتُ بعد الزَّهدِ بالكُفْرِ

أشفقتُ من همِّي على كَيْدي
وخشيتُ من دمعي على نَحْري
فكلفتُ بالصَّهْبَاءِ أَشْرِبُهَا
في منزلي، في الحان، في القَفْرِ
أبغي الشفاءَ من الهموم بها
فتَزِيدُنِي وَقُرّاً على وَقْرِ^(١)
وتَزِيدُنِي وَلَعاً بها وهوى
وتَزِيدُنِي حِقْداً على «هَنْري»
قال الطبيبُ وقد رأى سَقَمِي :
لله من فِعْلِ الهوى العُدْري
ما لي بدائك يا فتى قِبْلُ
السُّحْرِ مُحْتَاجٌ إلى سِحْرِ^(٢)
ومضى يقلبُ كَفَّهُ أَسْفَاً
ولبثتُ كالمقتولِ في الوُكْرِ
ما أبصرتُ عيناى غانيةً
إلا ذكرتُ إلى الدُّمى فَقُري



وسئمتُ داري وهي واسعةُ
فتركتُها وخرجتُ في أمر

(١) الثقل.

فرأيتها في السوق واقفةً
 ودموعها تنهل كالقَطَر
 في بُردةٍ كالليل حالكَةٍ
 لَهْفِي على أثوابها الحُمْر
 فَدَنَوْتُ أسألها وقد جَزَعْتُ
 نفسي، وزلزلَ حزنُها ظهري
 قالت: قُضِيَ «هنري»! فقلت: قُضِيَ
 من كَادَ لي كيِّدًا ولم يَدُرْ
 لا تَكْرَهُوا شَرًّا يُصِيبُكُمْ
 فَلَربَّ خَيْرٍ جاء من شرِّ
 وهفا هواها بي فقلتُ لها:
 قد حلَّ هذا الموتُ من أسري
 قالت: ومن أسري! فقلتُ: إذن
 لي أنتِ؟ قالتُ: أنت ذو الأمر
 فأدركتُ زندي حول مَنْكِبِها
 ولثمتُها في النحر والتُّغُر
 وشفيتُ نفسي من لواعِجِها
 وثأرتُ بالتصريح من سِرِّي
 ثمَّ انثنيتُ بها على عَجَلٍ
 بابَ الكنيسةِ جاعلاً شَطْرِي^(١)
 وهناك بارَكَنِي وهنَّائي
 مَنْ هَنُّوْا قبلي الفتى «هنري»



(١) جعله شطره: اتجه نحوه.

من بعد شهرٍ مرَّ لي معها
أبصرتُ وضَحَ الشَّيْبِ في شَعْرِي
ما كنتُ أدري قَبْلَ صُحْبَتِهَا
أَنَّ الْمَشْيَبَ يَكُونُ في شَهْرٍ
فكَّرتُ في «هنري» وكيف قَضَى
فوجدتُ «هنري» واضِحَ العُذْرِ
يا طالما قد كنتُ أَحْسُدُهُ
واليومَ أَحْسُدُهُ على القَبْرِ!

٣٤ - أهلها عرب

[مجزوء الوافر]

أَقْـحَ ذَاكَ أُمَّ شَـنْبٍ
وَرِيْقُ ذَاكَ أُمَّ ضَـنْـبٍ^(١)
وَوَجْهٌ ذَاكَ أُمَّ قَـمَـرٍ
وَخَـدٌ ذَاكَ أُمَّ ذَهِبٍ
جَمَالٌ غَيْرُ مَكْتَسَبٍ
وَبَعْضُ الْحُسْنِ يُكْتَسَبُ
تَكَلَّتِ الظُّرْفُ، عَاذِلْتِي
أَهَذَا الْحُسْنُ يُجْتَنَبُ؟
عَدَدْتُ لَهَا الْعَيُوبَ وَلِي
سِـإْلَ الظُّرْفِ وَالْأَدَبِ
فَتَاةٌ بَيْنَ مَبْسَمِهَا
وَبَيْنَ عُقُودِهَا نَسَبُ
لَوَاحِظُهَا نَمَتْهَا الْهَنْدُ
دُلْ كُنْ أَهْلُهَا عَرَبُ
مَرْنَحَةٌ إِذَا خَطَرْتُ
رَأَيْتَ الْغَصْنَ يَضْطَرِبُ
مَشَتْ وَوَنَتْ رَوَادِفُهَا
فَكَادَ الْخَصِرُ يَنْقَضِبُ^(١)

(١) الضرب: العسل الأبيض. والشنب: صفة في الأسنان: برودتها.

يُسْرُ الْعَازِلُونَ إِذَا
نَأَتْ وَيَعُوذُنِي الْوَصَبُ^(١)
وَيَصْطَلِّحُونَ إِنْ قَرُبْتُ
وَعِنْدِي يَحْسَنُ الطَّرَبُ
فَأَبْكِي كُلَّ مَا ضَحَكُوا
وَأَضْحَكُ كُلَّ مَا غَضِبُوا!

(١) الوجع.

٣٥ - صاحب القلم

[البسيط]

أشقى البرية نفساً صاحبُ الهمم
وأتعسُ الخلقِ حظاً صاحبُ القلم
عافَ الزمانُ بني الدنيا وقيدهُ
والطيرُ يحبسُ منها جيدُ النغم
وحكمتُ يدهُ الأقلامَ في دمه
فلم تصنّه ولم يعدلْ إلى حكم
فيأله عاشقاً طابَ الحمام له
إن المحبَّ لمَجنونٌ فلا تلم
لكلّ ذي همّةٍ في دهره أملٌ
وكلّ ذي أملٍ في الدهرِ ذو ألم
ويلَ الليالي لقد قلّدنني ذرباً
أدنى إلى مُهجتي من مهجة الخصم^(١)
ما حدثتني نفسي أن أخطئهُ
إلا خشيتُ على نفسي من الندم
فكلّما قلتُ: زهدي طاردُ كَلفي
رجعتُ والوجدُ فيه طاردُ سَأمي
يأبى الشقاءُ الذي يدعونه أدباً
أن يضحك الطرسُ إلا إن سفكتُ دمي
لقد صحبتُ شبابي واليراعُ معاً

(١) اللسان الذرب: الحادث (ذرب لسانه - يذرب: فصّح).

أودى شبابي.. فهل أبقى على قلبي
كأنما الشَّعراتُ البيضُ طالعةٌ
في مَفْرِقي، أنجمُ أشرقن في الظلم
تضاحكُ الشَّيبُ في رأسي فعرضَ بي
ذو الشَّيبِ عند الغواني موضعُ التُّهم
فكلُّ بيضاء عند الغيد فاجعةٌ
وكلُّ بيضاء عندي نَغْرٌ مُبْتَسِم
قل للتي ضحكتُ من لِمَّتِي: عجباً
هل كان ثمَّ شبابٌ غيرُ منصرِم؟
أصبحتُ أنحلَّ من طيفٍ، وأحيرَ من
ضَيفٍ، وأسهرَ من راعٍ على غَنَم
وليلةٌ بَتُّ أجني من كواكبها
عِقدًا كَأَنِّي أنالُ الشَّهْبَ من أَمَم^(١)
لا ذاقَ جَفَنِي الكرى حتى تنالَ يدي
ما لا يفوزُ به غيري من الحُلم
ليس الوقوفُ على الأطلال من خُلُقي
ولا البكاءُ على ما فات من شِيمي
لكنَّ (مصرأً)، وما نفسي بناسيةٍ
مليكةُ الشَّرْقِ ذاتِ النَّيلِ والهَرَم
صرفتُ شطرَ الصَّبَا فيها فما خَشِيتُ
نَفسي العِثَّارَ، ولا نفسي من الوَصَم
في فتيةٍ كالنجومِ الزَّهرِ أوجهُهُم
ما فيهم غيرُ مطبوعٍ على الكرم
لا يقبِضون مع اللاؤاءِ أيديهم

(١) يعني: طوع يده (من أمامه).

وَقَلَّ مَا جَادَ ذُو وَفَرٍ مَعَ الْأَزَمِ^(٢)
 حَسْبِي مِنَ الْوَجْدِ هُمَّ مَا يُخَامِرُنِي
 إِلَّا وَأَشْرَقَنِي بِالْبَارِدِ الشَّبِيمِ^(١)
 فِي ذِمَّةِ الْغَرْبِ مَشْتَاقٌ يُنَازِعُهُ
 شَوْقٌ إِلَى مَهْطِ الْآيَاتِ وَالْحِكَمِ
 مَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ إِلَّا أَدْمَعِي شَفَقُ
 تَنْسَى الْعَيُونَ لَدَيْهِ حُمْرَةَ الْعَنَمِ^(٢)
 وَمَا سَرَتْ نَسَمَاتٌ نَحْوَهَا سَحَرًا
 إِلَّا وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي كُنْتُ فِي النَّسَمِ
 مَا حَالُ تِلْكَ الْمَغَانِي بَعْدَ عَاشِقِهَا
 فَإِنِّي بَعْدَهَا لِلْهَمِّ وَالسَّقَمِ
 جَادَ الْكِنَانَةَ عَنِّي وَابِلٌ غَدَقُ
 وَإِنْ يَكُ النَّيْلُ يُغْنِيهَا عَنِ الدِّيمِ
 الشَّرْقُ تَاجٌ، وَمَصْرٌ مِنْهُ دُرَّةٌ
 وَالشَّرْقُ جَيْشٌ، وَمَصْرٌ حَامِلُ الْعَلَمِ
 هِيَ هَاتَ تَطَرَّفُ فِيهَا عَيْنٌ زَائِرُهَا
 بَغِيرُ ذِي أَدَبٍ أَوْ غَيْرُ ذِي شَمَمِ
 أَحَنَّى عَلَى الْحُرِّ مِنْ أُمٍّ عَلَى وَلَدٍ
 فَالْحُرُّ فِي مَصْرَ كَالْوَرَقَاءِ فِي الْحَرَمِ^(٣)
 مَا زِلْتُ وَالِدَهُرُ تَنْبُو عَنْ يَدِي يَدُهُ
 حَتَّى نَبَتْ ضِلَّةً عَنْ أَرْضِهَا قَدَمِي^(٤)
 أَصْبَحْتُ فِي مَعْشَرٍ تَقْذَى الْعَيُونَ بِهِمْ

(١) الشَّبِيمُ: البارد (تأكيد للماء البارد).

(٢) العنم: أطراف الخرنوب الحمر، أو هو الزُّعُرُور.

(٣) الورقاء: الحمامة.

(٤) الضِّلَّةُ: الغيبوبة في خير أو شر.

شَرُّ مِنَ الدَّاءِ فِي الْأَحْشَاءِ وَالتُّخَمِ
مَا عَزَّ قَدْرُ الْأَدِيبِ الْحُرِّ بَيْنَهُمْ
إِلَّا كَمَا عَزَّ قَدْرُ الْحَيِّ فِي الرَّمَمِ
مَنْ كُلِّ فَظٍّ يُرِيكَ الْقِرْدَ مُحْتَشِمًا
وَيُضْحِكُ الْقِرْدَ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
إِذَا بَصُرْتَ بِهِ لَا فَاتَهُ كَدَرٌ
رَأَيْتَ أَسْمَجَ خَلْقِ اللَّهِ كَلَّهِمْ
مِنَ الْأَعَارِبِ لَكِنْ حِينَ أَنْشَدَهُ
جَوَاهِرَ الشُّعْرِ أَلْقَاهُ مِنَ الْعَجَمِ
مَا إِنْ تَحَرَّكَهُ هَمًّا وَلَا طَرِبًا
كَأَنَّمَا أَنَا أَتْلُوهَا عَلَى صَنَمٍ
لَا عَيْبَ فِي مَنْطِقِي لَكِنْ بِهِ صَمَمٌ
إِنَّ الصَّوَادِحَ خُرْسٌ عِنْدَ ذِي الصَّمَمِ
حَاجِبَةٌ عَنْ كُلِّ مَعْدُومٍ النُّهَى دُرِّي
إِنِّي أَضِنُّ عَلَى الْأَنْعَامِ بِالنَّعَمِ
قَوْمٌ أَرَى الْجَهْلَ فِيهِمْ لَا يَزَالُ فَتًى
فِي عُنفَوَانِ الصَّبَا، وَالْعِلْمَ كَالْهَرَمِ

٣٦ - إلى الله راجعون

[مخلع البسيط]

بينني وبين العيون سرُّ
الله في السرِّ والعيون
إذا عصت فكرتي القوافي
أوحت لِنفسي بها الجُفون
هات اسقني الخمرَ جَهرا
ولا تبالي بما يكون
إن كان خيراً أو كان شرًّا
إنّا إلى الله راجعون!!

٣٧ - نزوة ألم

[الوافر]

دَعِيَ لَوَمِي وَقَاكَ اللَّهُ مَا بِي
فَغِيرُ الْحُرِّ أَوْلَى بِالْعِتَابِ
إِلَى كَمْ تَعَجَّبِينَ مِنْ انْفِرَادِي
وَكَمْ ذَا تَعَذَّلِينَ عَلَى اكْتِنَابِي
وَإِنَّكَ لَوْ خَبَرْتَ الْخَلْقَ خُبْرِي
زَهَدْتَ الْخَلْقَ زُهْدَ أَبِي تُرَابٍ^(١)
هُمْ إِمَّا غَبِيٌّ لَيْسَ يَدْرِي
وَذُو عِلْمٍ وَلَوْ بِالْتَّغَابِي
لَهُمْ صُورُ الْمَلَائِكِ وَالْأَنْسَابِي
وَأَخْلَاقُ الْأَبْسَالِ وَالذُّنَابِ
أَعَاذَلْ، رُبَّمَا مَرَّتْ بِرَأْسِي
خَطُوبٌ لَا يَمُرُّ بِهَا حِسَابِي
أَبْتُ نَفْسِي النُّزُولَ إِلَى الدُّنَايَا
وَقَلْبِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى التَّصَابِي
فَمَا دَانَيْتُ أَقْدَاحَ الْحُمَيَّا
وَلَمْ أَهْمَمْ بِغَانِيَةِ كَعَابٍ^(٢)
وَمَا مَنَعَ الزَّهَادَةَ فِيَّ أَنِّي
حَدِيدٌ نَاطِرِي، غَضُّ إِهَابِي

(١) كنية للإمام علي بن أبي طالب

(٢) الحميا: الخمرة. والكعاب: التي كعب ثديها (بدا للنهود).

وما كان الشبابُ ليزدَهيَني
لأنني ما أمنتُ على شبابي
أضنُّ به على الشَّهَوَاتِ ضِنِّي
على «هَندٍ» بشعُري «والريَّاب»
ربيعُ العُمُر إن يذهبْ جُزافاً^(١)
أَكُنْ من بعده صِفْرَ الوطاب^(٢)
ذريني أضطربُ في الأرض، إني
رأيتُ السَّيْفَ يصدأُ في القِراب^(٣)
وما أنا بالغريبِ الدَّارِ وحدي
فكلُّ الناسِ عندي في اغْتِراب
أفكَّرُ كيف جئتُ، وكيف أمضي
على رغمي، فأعْيَا بالجواب
أتيتُ ولم أكن أدري مَجيئي
وأذهبُ غيرَ دارٍ بالإياب
إذا كان المَصيرُ إلى التلاشي
فلِمَ جئنا وكُنَّا في حِجاب؟
وإن كان المَصيرُ إلى خُلودٍ
فما معنى المَنيةِ والتَّباب؟^(٤)
أُمورٌ لا يُحيطُ بهنَّ فِكْرُ
ولو أَمسى يُحيطُ بكلِّ باب
أرقتُ لها وأصحابي هُجودُ
بليلٍ مثلِ خافيةِ الغُراب^(٤)

(١) الوطاب: سقاء اللبن - أنية الزاد (ومثله: الوطَب).

(٢) القِراب: غمد السيف والسكين (الجمع: قُرَب).

(٣) التَّباب: الهلاك.

(٤) خافية الغراب: ريشة تختفي تحت جناح كل طائر.

أرى أَنهَارَهَا فَأُظَنُّ مَاءً
كذلك الْعَيْنُ تُخَدَعُ بِالسَّرَابِ
فلم أَعْتُرْ عَلَى لَفْظِ سَلِيمٍ
ولم أَظْفَرُ بِمَعْنَى مُسْتَطَابٍ
ولا حُسْنٌ هُنَاكَ وَلَا رِوَاءُ
وَأَنْتَى الْحُسْنُ لِلطَّلَلِ الْخَرَابِ^(١)
فإن تَشْكُ مِنَ الْقُرَاءِ عَاباً
شكا القراء منها أَلْفَ عَابٍ^(٢)



ذوي الأَقْلَامِ إِنَّا فِي احتِياجٍ
إلى غيرِ الشَّتائمِ والسَّبَابِ
فهل من قَائِدٍ فيكُمْ حَكِيمٍ
يَسِيرُ بِنَا إلى الْقَصْدِ الصَّوَابِ
فَنظْفِرَ بِالرَّجَاءِ عَلَى يَدَيْهِ
وَيُظْفِرَ بِالْأَمَانِيِ وَالتَّوَابِ!



(١) الرِّوَاءُ: المنظر.

(٢) العَابُ: العيب.

٣٨ - الكأسان

[الرجز]

كَأَنَّ عَلَى خِيَّانِ رَبِّ الْمَالِ
كَأَسَّانَ: مِنْ خُمُرٍ وَمِنْ زُلَالٍ^(١)
هَاتِيكَ فِي الْحُمُرَةِ مِثْلُ الْعَنْدَمِ^(٢)
وَتِلْكَ فِي بَيَاضِهَا كَالدَّرْهِمِ
فَقَالَتِ السُّلَافَةُ التُّرْثَارُ
عِنْدِي حَدِيثٌ فَاسْمَعِي يَا جَارُهُ
أَنَا الَّتِي تَخَضَعُ لِي الرَّؤُوسُ
أَنَا الَّتِي يَعْبُدُنِي الْمَجُوسُ
كَمْ قَائِدٍ أَضْحَكَتُ مِنْهُ جُنْدُهُ
وَسَيِّدٍ حَكَّمْتُ فِيهِ عَبْدُهُ!
وَمَلِكٍ أَسْقَطْتُ عَنْهُ التَّاجَا
وَسَاكِنٍ هَيَّجَتْهُ فَهَاجَا
وَزَوْجَةٍ عَامَتْهَا الْخِيَانَةُ
وَوَالِدٍ أَنْسَىيْتُهُ الْأُمَانَةُ
وَحَدَّثَ خِدَعَتُهُ فَأَنْزَخَدَعَا
حَتَّى إِذَا مَا شَبَّ عِضُّ الْإِصْبَغَا
إِنَّ الْغَفْنَى وَالصَّيْتَ وَالذُّكَا
مَتَى أُرِدْ صَيَّرْتُهَا هَبَاءَ

(١) الماء الزلال: الصافي.

(٢) العندم: نبات يُستخرج منه صباغ أصفر.

فَسَمِعَ الْمَاءُ فَهَاجَ غَضَبًا
 وَقَالَ: مَهْلًا، بَلِّغِ السَّيْلُ الزُّبَى^(١)
 إِنَّ تَفْخِرِي، يَا جَارَتِي، بِالشَّرِّ
 فَإِنَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ فَخْرِي
 أَنَا الَّذِي تُغَسِّلُ بِي الْكُلُومُ^(٢)
 وَيَرْتَوِي الظَّمَى وَالْمَحْمُومُ
 يُحِبُّنِي الْمَالِكُ وَالْمَمْلُوكُ
 وَالسَّيِّدُ الْمُطَاعُ وَالصُّعْلُوكُ
 حَيْثُ أَكُونُ جَارِيًا يَكُونُ
 الْوَرْدُ وَالْأَقْحَاحُ وَالنَّسْرِينُ
 إِنَّ الْمَرْجَ الْخَضِرَ لَا يُحْيِيهَا
 غَيْرُ وَجُودِي حَوْلَهَا وَفِيهَا
 كَمْ سِرْتُ فِي الْوَادِي وَفِي الْغَدِيرِ
 عَلَى شَبَابِيهِ الدُّرُّ وَالْكَافُورُ^(٣)
 وَجَلَسَ الْعِشَاقُ حَوْلِي فِي السَّحَرِ
 عَلَى بَسَاطِ الْعُشْبِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ
 كَمْ اشْتَهَوْا، إِذْ سَمِعُوا خَرِيرِي،
 لَوْ أَنَّنِي أَسِيرُ فِي الصُّدُورِ
 أَنَا الَّذِي لَوْلَاهُ مَاتَ النَّاسُ
 وَالطَّيْرُ وَالْأَسْمَاكُ وَالْأَغْرَاسُ
 يَا خَمْرُ كَمْ ذَا تَدْعَيْنَ الْفَخْلًا

(١) يقال: بلغ السيل الزبى: أي اشتد الأمر، والزبية: الهضبة التي لا يصل إليها الماء.

(٢) الجراح (مفردتها: كَلَم).

(٣) نبات له زهر أبيض.

وَبِالْمِيَاهِ تُقَاتِلُ الْيَنَقَاتِ
وَأُمُّكَ الْكَرْمَةُ يَا صَاهِبَاءُ^(١)
مَا وَجِدْتُ فِي الْأَرْضِ لَوْلَا الْمَاءُ!

(١) الخمرة للونها الأصهب.

٣٩ - أقوى من الشيب والهزم

[البسيط]

ما زلتُ أحسبُ أنَّ الحبَّ زایلني
حتى نظرتُ إليها وهي تبتسمُ

فاهتزَّ قلبي كما تهتزُّ نابتةٌ
في القفر مرَّ عليها النورُ والنَّسمُ^(١)

يا حُبَّها لا تخفُ شيباً ولا هَرماً
فليس يقوى عليك الشَّيبُ والهَرَمُ

(١) النَّسَمُ والنَّسَمَة: نفَسُ الروح.

٤٠ - لأرفعنَّ لِسَمَّا احتجاجي

[الرجز]

جاء الشتاءُ جِيئَةً المُفْجِئِ
كَأَنَّمَا قَدْ كَانَ فِي الرُّتَّاجِ
فَجَمَدَ السَّائِلُ فِي الرُّجَّاجِ
وَكَتَسَتْ الْأَرْضُ بِمِثْلِ الْعَوَّاجِ
فَامْتَنَعَ الْمَرْعَى عَلَى النَّعَّاجِ
وَامْتَنَعَ الْحَبُّ عَلَى الدَّجَّاجِ
وَامْتَنَعَ السَّيْرُ عَلَى النَّوَّاجِي^(١)
رُبَّ جَبَّوَادٍ لَاحِقٍ هِـمْلَاجٍ^(٢)
مُعَوِّدٍ الْإِلْجَامَ وَالْإِسْرَاجِ
وَالْوَحْدَ وَالذَّمَّيْلَ وَالْإِهْمَاجِ^(٣)
أَصْبَحَ مِثْلَ الْعِرْقِ فِي اخْتِلَاجِ
مُنْعَرَجٍ فِي غَيْرِ ذِي انْعِرَاجِ
لَوْ هَاجَهُ الرَّاكِبُ بِالْكُورِاجِ
لَمَّا مَشَى بِهِ سَوَى اعْوِجَاجِ
لَوْ لَا الْجَلِيدُ طَارَ بِالْمُهْتَاجِ
مِثْلَ الْبُرَاقِ بِفَتَى الْمِعْرَاجِ

(١) الناجية: الناقة السريعة التي تنجو بمن يركبها (وجمعها: النواجي).

(٢) حسن السير في سرعة وبختر.

(٣) الوحد والذميل والإهماج: ضروب من عدو الإبل.

وَحَاطَهُ وَالشَّامْسُ فِي الْأَبْرَاجِ
لَكِنَّهُ مِنْهُ عَلَى الزَّجَاجِ^(١)



وَأَمْسَكَ النَّاسُ عَنِ الْأَجَاجِ
أَمَّا تَرَى نَدَاءَهُمْ تَنْجَاجِ
كَأَنَّمَا الْجَمُوعُ فِي الْمَلَاجِي
عَلَى « مِني » مَوَاكِبُ الْحُجَّاجِ
وَرِغَبَ الْمُتُّرِي عَنِ الدِّيَّاجِ
إِلَى الْأَبَاسِ الْخَشَنِ النَّسَّاجِ
وَكُلَّ أَنْ جِيءَ لَهُ بِاللَّتَّاجِ
أَعْرَضَ عَنْهُ وَارِمَ الْأَوْدَاجِ^(٢)



وَانْقَبَضَ النَّهْرُ عَنِ الْهَيَاجِ
وَكُلَّ مِثْلَ الزَّآخِرِ الْعَجَّاجِ
يَصَارِعُ الْأَمْوَاجَ بِالْأَمْوَاجِ
يَا مَسَّابِحَ الْإِوزِّ وَالِدُرَّاجِ
كَيْفَ غَدَوْتَ مَوْطِئِ الْأَحْدَاجِ^(٣)
وَمَعُوبَرِ الْخَلْقِ إِلَى الْخَرَاجِ؟



مَا لِي وَالصَّبِيحُ عَلَى أَنْبِلَاجِ
أَخْبِطُ كَالْعِشْوَاءِ فِي الدِّيَّاجِي
إِذَا أَرَدْتُ السَّيْرَ فِي مِثْنِهَا جِي

(١) بسبب الجليد .

(٢) الودج: عرق في العنق (وهما ودجان) .

(٣) الحدج: المحفة، من مراكب النساء .

طالَ عِثاري فيه وانزلَاجي
 كأنني أمشي على زجاج
 محتذياً بالزئبق الرِّجْراج
 خُيِّل لي، لشدة ارتجاجي
 أن دمي يـرتجّ في أوشـاجي^(١)
 أرى الدُّنْيا ضيِّقة الفجّاج
 ولم تضيق، لكنّما احتياجي
 إلى طريقٍ واضحٍ الشُّجّاج^(٢)
 أسألُ فيه غيرَ ما انزعاج
 وحاجتي بالكوكب الوهّاج
 كحاجة الأعمى إلى سِراج!
 إن لجّ هذا القُرْفى إحراجي
 لأرفعنّ لاسمّما احتجاجي!

(١) وشجّ وشجاً وشيجاً: تداخل وتشابك. والوشائج: عروق الأذنين.
 (٢) أصل الشجّة: الجرح في الوجه والرأس، وجمعه شجاج. يريد هنا: المسالك.

٤١ - أنتم معي

[الكامل]

في المنزلِ المهجورِ أذكرُكم
فإخَالَني في جَنَّةِ الخُلْدِ

أنتم معي في كلِّ أَوْنَةٍ
والنَّاسُ تَحْسِبُ أنِّي وحْدِي!

٤٢ - الحرب العظمى

[الكامل]

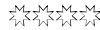
لو أستطيعُ كُتبتُ بالنيرانِ
فلقد عَيَّيتُ بكمُ وعَيَّ بياني
ولكدتُ أستحيي القريضَ وأتقي
أن يستريبَ يراعَتي وجَناني
أَمسى يُعاصِبيني لِمَا جَشَّمتهُ
فيكمُ، وكنتُ وكان طوعَ بناني
يشكو إليَّ وأشتكي إِعراضكمُ
اللهُ في عانٍ يلوذُ بعانٍ
عاهدتهُ ألا أُثيرَ شُجُونه
أو يستثيرَ كوامِنَ الأشجانِ
يا طالما استَبَكيتُهُ فبَكَى لَكُمْ
لولا الرِّجاءُ بَكيتُهُ وبَكَاني
كم ليلةٍ أَحْيَيْتُهَا مُتَمَلِّماً
طرفي وطَرْفُ النِّجم مُلتَقِيانِ
تحنو على قلبي يميني، والدُّجى
حانَ على الفَتَيَاتِ والفتيانِ
أَجَلو عرائسَه لكم وأزفُّها
ما بينَ بَكَرٍ كاعِبٍ وعَوَانٍ^(١)
متألماً فيكمُ وفي أبنائكمُ
وهمُ وأنتم نائموا الأحزانِ

(١) العَوَان: النَّصَفُ (الجمع: عُون).

ما غَالَ نومي حُبُّ معسولِ اللَّمى
ممنوعه، لكنْ هوى الأوطان
أنفقتُ أَيَّامَ الشبابِ عليكمُ
في ذمّة الماضي الشبابُ الفاني



كم تسألوني أن أُعيدَ زمانه
يا قوم، مرَّ زمانه وزماني
هانَ اليراعُ على البواتر والقنا
ما تصنعُ الأقلامُ بالمُمرَّان^(١)
ليس الكلامُ بنافعٍ أو تغتدي
حُمُرُ المضاربِ خُلفَ كلِّ لسان^(٢)
والشعبُ ليس بمدرِكٍ آماله
حتى يسيرَ على النَّجيع القاني!



صلَّ الحديدُ وشَمَرَتْ عن ساقها
وتنكَّـرَ الإخوانُ للإخوان^(٣)
فالخيلُ غاضبةٌ على أرسانها
والبيضُ غاضبةٌ على الأجفان^(٤)
والموتُ من قُدامهم وورائهم
والهولُ كلُّ ثنِيَّةٍ ومكان
بسَطَتْ جناحيها ومدَّتْ ظلَّها
فإذا جناحا السَّلم مقصُوصان

(١) المُرَّان: الرماح (واحد: مرَّانة).

(٢) المضرب: ما ضُربَ به، والجمع: مضارب.

(٣) صلَّ وصلل: صوَّت.

تَغْشَى مَوَاكِبَهَا ثَلَاثُ غِيَاهِبٍ
مِنْ قَسْطَلٍ وَدُجْنَةٍ وَدُخَانٍ^(١)
وَيَرِدُ عَنْهَا كُلُّ خَائِضٍ لُجَّةٍ
سَيِّلانٍ: مِنْ مَاءٍ وَمِنْ نِيرَانٍ
أَنْتَى التَّفَتُّ رَأَيْتَ رَأْسًا طَائِرًا
أَوْ مَهْجَةً مَطْعُونَةً بِسِنَانٍ
يَمْشِي الرَّدَى فِي إِثَرِ كُلِّ قَذِيفَةٍ
فَكَأَنَّمَا تَفْتَادُهُ بِعِنَانٍ
فَالجَوُّ مَمَّا فَاضَ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ
لَا تَسْتَبِينُ نُجُومُهُ عَيْنَانِ
وَالنَّهْرُ مَمَّا سَالَ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ
يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْمَرْجَانِ
وَالْأَرْضُ حَمْرَاءُ الْأَدِيمِ كَأَنَّهَا
خَدُّ الْحَيَّةِ أَوْ خَضِيبُ بَنَانٍ
كَمْ مِنْ مُبِيحٍ لِلضِّيَوفِ طَعَامُهُ
أَمْسَى طَعَامَ الْأَجْدَلِ الْغَرْتَانِ^(٢)
وَمَقَاتِلِ نَاشِ الْكَتِيبَةِ، نَاشَهُ
ظَفَرُ الْعُقَابِ وَمِخْلَبُ السَّرْحَانِ
وَمُحَلِّقِ بَيْنِ الْمَجَرَّةِ وَالسُّهَى
صَعَدَ الْحِمَامُ إِلَيْهِ فِي الطَّيَرَانِ
وَمُشَيِّدٍ وَقَفَ الزَّمَانُ حِيَالَهُ
مُتَحَيِّرًا بِجَمَالِهِ الْفَتْنَانِ

(١) القسطل: الدخان.

(٢) الأجدل: الصقر، والغرتان: الجائع.

أَخْنَى عَلَى ذِكْرِ «الْخَوَرَنْقِ» ذِكْرُهُ
 وَسَمَا عَلَى «الْحَمْرَاءِ» وَ«الْإِيَّانِ»^(١)
 وَقَضَى الْعَصُورَ النَّاسُ فِي تَشْيِيدِهِ
 أَوْدَتْ بِهِ مَقْدُوفَةٌ وَثَّوَانُ
 وَمَدِينَةٌ زَهْرَاءُ أَمْنَةٌ الْحِمَى
 هُدِمَتْ مَنَازِلُهَا عَلَى السَّكَّانِ
 خَرِسَتْ بِلَابِلُهَا الشَّوَادِي فِي الضُّحَى
 وَعَلَا صِيَاخُ الْبُومِ وَالْغُرَبَانِ
 وَتَعَطَّلَتْ جَنَائِثُهَا وَقُصُورُهَا
 وَلَقَدْ تَكُونُ بِغَبِطَةٍ وَأَمَانِ
 حَرْبٌ أَذَلَّ بِهَا التَّمَدُّنُ أَهْلَهُ
 وَجَنَى الشَّيْخُوخُ بِهَا عَلَى الشُّبَّانِ
 سَحَقَ الْقَوِيُّ بِهَا الضَّعِيفَ وَدَاسَهُ
 وَمَشَى عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْأَبْدَانِ
 بئْسَ الْوَعَى، يَجْنِي الْجَنُودُ حُتُوفَهُمْ
 فِي سَاحِلِهَا، وَالْفَخْرُ لِلتَّيْجَانِ
 مَا أَقْبَحَ الْإِنْسَانَ يَقْتُلُ جَارَهُ
 وَيَقُولُ هَذَا سُنَّةُ الْعِمْرَانِ
 بَلَى الزَّمَانُ وَأَنْتَ مِثْلُكَ قَبْلَهُ
 يَا شَرِعَةً قَدْ سَنَّهَا الْجَدَّانِ
 فَالْقَاتِلُ الْأَلْفِ غَازٍ فَاتِحُ
 وَالْقَاتِلُ الْجَانِي أَثِيمٌ جَانِ
 لَا حَقَّ إِلَّا مَا تَوَيَّدَهُ الظُّبَا
 مَا دَامَ حُبُّ الظُّلْمِ فِي الْإِنْسَانِ

(١) (الخورنق والسدير): قصر المنذر في الحيرة، و(الحمراء) في غرناطة. والإيوان (إيوان كسرى) في العراق.

لو خُيِّرَ الضعفاءُ لاختاروا الرُّدى
لكنَّ عيشَ الأكثرينَ أَماني



ما بالُ قومي نائمين عن العُلا
ولقد تنبَّه للعُلا التُّقْلاَن
تُبَّاعُ أحمدَ والمسيحِ، هوادةً
ما العهدُ أن يتنكَّرَ الأخوان
اللهُ ربُّ الشَّرعَتَيْنِ وربُّكُمْ
فالِى متى في الدِّينِ تَخْتَصِمَان؟
مهما يكن من فارقٍ، فكلاكما
يُنَمَى إلى قحطانٍ أو غسان^(١)
فخذوا بأسباب الوفاقِ وطهَّروا
أكبادكم من لُوثَةِ الأَضْغانِ
في ما يَحِيقُ بأَرْضِكُمْ ونفوسِكُمْ
شُغْلٌ لِمَشْتِغِلٍ عن الأديانِ
نِمْتُمْ وقد سهرَ الأعادي حولَكُمْ
وسكنتُم والأرضُ في جَيْشَانِ
لا رأيَ يَجْمَعُكم إذا اختلفَ القَنَا
وتلاقتِ الفرسانُ بالفرسانِ
لا رايَةً لكم يُدافعُ دونَها
مُرْدُ العوارضِ، والحُتوفُ دواني^(٢)
لا ذنبَ للأقْدارِ في إِذلالِكُمْ
هذا جزاءُ الغافلِ المُتَواني

(١) نماه وأنماه: نسبه.

لو لم يَعِزَّ الجَهُلُ بَيْنَ رِبِوعِكُمْ
ما هانَ جَمْعُكُمْ على الحِذْثانِ
المرءُ، قَيمَتُهُ المِعارِفُ والنُّهَى
ما نَفَعُ باصِرةٌ بلا إنسان
ما بِالْأَكْمِ لا تَغْضَبُونَ لِمَجدِكُمْ
غَضَبَاتٍ مَلَطُومِ الجَبِينِ مُهانِ
أَو لَسْتُمْ كَالنَّاسِ أَهْلَ حَفائِظِ
أَمْ أَنْتُمْ لَسْتُمْ مِنَ الحَيَوانِ؟
أَبْناؤُكُمْ، لَهْفِي على أَبْنائِكُمْ
يلهُو بِهِم أَبْناؤُ جَنْكِيزِ خانِ
النَّازِعُونَ المُلْكَ مِنْ أَيْدِيكُمْ
العابِثُونَ بِكُمْ وبِالْقُرْآنِ
أَو كَلَّما طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ أَرْمَةٌ
هاجُوا ضِغائِنَكُمْ على الصُّلْبانِ
لا تَخْذَعْنَكُمْ السِّيَاسَةُ إِنَّها
شَتَّى الوجوهَ كَثِيرَةَ الأَلوانِ
لو تَعَقَّلُونَ عَمِلْتُمْ لَخِلاصِكُمْ
مِنْ دَوْلَةِ القَيِّناتِ والخِصيانِ
عارٌ على نَسْلِ المُلُوكِ بَنِي العُلا
أَنْ يَسْتَذِلَّهُمُ بَنُو الرُّعَيانِ
ثُورُوا عَلَيْهِمُ واطْلُبُوا اسْتِقالَكُمْ
وتَشَبَّهُوا بِالصَّرْبِ واليُونانِ
ماذا يَرُوعُ نَفوسَكُمْ، ما فِيكُمْ

(١) الوكيل: البليد والجبان.

- وَكَلُّ وَلَا فِي التُّرْكِ غَيْرُ جَبَانٍ^(١)
وَهَبَوْهُمْ الرُّومَانَ فِي غُلَّائِهِمْ
أَفَمَا غَلَبْتُمْ أُمَّةَ الرُّومَانِ^(١)
مَا الْمَوْتُ مَا أَعْيَا النُّطَاسِي رَدُّهُ
مَوْتُ الذَّلِيلِ وَعَيْشُهُ سَيِّئَانِ^(٢)

(١) الغُلَّاءُ: الغلَّو، وحدة الشباب.
(٢) النُّطَاسِي: العالم الماهر، والطبيب الحاذق.

٤٣ - دموع وتنهدات

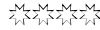
[الطويل]

ألا ليتَ قلباً بينَ جنبيّ داميّاً
أصابَ سُلُوءاً أو أصابَ الأمانيا
أجنّ الأسى حتى إذا ضاقَ بالأسى
تدفّقَ من عينيّ أحمرَ قانيا^(١)
تَهيجُ بي الذكرى البروقُ ضواحكاً
وتُغري بي الوجدَ الطيورُ شَواذيا
فأبكي لما بي من جوى وصِبابَةٍ
وأبكي إذا أبصرتُ في الأرضِ باكيا^(٢)
فلا تحسباني أذرفُ الدمعَ عادةً
ولا تحسباني أنشدُ الشَّعرَ لاهيا
ولكنها نفسي إذا جاشَ جاشُها
وفاضَ عليها الهمُّ فاضتْ قوافيا
يَشقُّ على الإنسانِ خدعُ فؤادهِ
وإن خادَعَ الدنيا وداجى المُداجيا^(٣)
طلبتُ على البلوى مُعيناً ففاتني
يُؤاسيكَ من يَحْتَاجُ فيكَ مؤاسيا
ومَن لم تُخَرِّسْهُ الخطوبُ بنابها
يظنُّ شكَاياتِ النفوسِ تشاكيا

(١) أجنّ: ستر وأخفى.

(٢) الجوى: الحرقّة وشدة الوجد من الهوى أو الحزن.

رُمِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَوْ قَلِيلُهُ
رَمِيتُ بِهِ الْأَيَّامَ صَارَتْ لِيَالِيَا
فَلَا يَشْتَكِ غَيْرِي الْبُؤْسَ فَإِنِّي
ضَمَنْتُ الرِّزَايَا، وَاحْتَكِرْتُ الْعَوَادِيَا^(١)
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً إِنْ تَرَى لَيْلَةً
وَأَحْزَانُ قَلْبِي بَاقِيَاتٌ كَمَا هِيَ
وَلَوْ أَنَّ مَا بِي الْخَمْرُ أَوْ بَارِدُ اللَّمَى
سَلَوْتُ، وَلَكِنْ أَمَّتِي وَبِلَادِيَا^(٢)
إِذَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ نَفْحَةً
طَرِبْتُ فَأَلْقَى مَنْ كَبَايَ رِدَائِيَا
أَحِنُّ إِلَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَأَهْلِهَا
وَأَشْتَاقُ مِنْ يَشْتَاقُ تِلْكَ الْمَغَانِيَا
وَمَا سَرَّنِي أَنْ الْمَلَاهِي كَثِيرَةٌ
وَفِي الشَّرْقِ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ الْمَلَاهِيَا
إِذَا مَثَّلُوا وَالنَّوْمُ يَأْخُذُ مُقْلَتِي
بِأَهْدَابِهَا، أَمْسَيْتُ وَسَنَانُ صَاحِيَا
وَكَيْفَ اغْتِبَاطُ الْمَرْءِ لَا أَهْلَ حَوْلَهُ
وَلَا هُوَ مَنْ يَسْتَعِذُّ الصَّفْوَنَائِيَا



تَبَدَّلَتِ الدُّنْيَا مِنَ السُّلْمِ بِالْوَغَى
وَصَارَ بَنُوهَا الْعَاقِلُونَ ضَوَارِيَا
فَمَا تُنَبِّتُ الْغُبْرَاءُ غَيْرَ مَصَائِبِ
وَمَا تُمَطِّرُ الْأَفْلاكُ إِلَّا دَوَاهِيَا

(١) العوادي: ما يشغل الإنسان عن أموره (المفرد: عادية).

(٢) اللَّمَى: سواد مرغوب في الشفة، لامتلائها بالدم.

كَأَنِّي بِهِمْ قَدْ أَعْمَلَ السَّيْفُ فِيهِمْ
 كَأَنَّ الدَّمَ الْقَانِي يَسِيلُ سَوَاقِيَا
 كَأَنِّي بِالذُّورِ الْحَسَنِ خَرَّابٌ
 كَأَنِّي بِالْجَنَّاتِ صَارْتُ فَيَافِيَا^(١)
 مَشَاهِدٌ لَاحَتْ لِي فَهَزَّتْ فَرَائِصِي
 كَمَا ذُعِرَ الْمَلْسُوعُ رَأَى الْأَفَاعِيَا^(٢)
 فَبِتُّ كَأَنَّ السَّهْمَ بَيْنَ أَضَالِعِي
 كَأَنِّي أَقْلُ الشَّاهِقَاتِ الرُّوَاسِيَا
 وَلَوْ أَجْنَبِيٌّ لَاتَّقِينَا سِهَامَهُ
 وَلَكِنَّمَا الْإِخْوَانُ صَارُوا أَعَادِيَا
 أَطَاعُوا طُغَاةَ التُّرْكِ فِينَا وَطَالَمَا
 عَصَى فِيهِمُ التُّرْكِ وَفِينَا النُّوَاهِيَا
 وَكَمْ رَاغَ مَا بَيْنَ الْمَسِيحِ وَأَحْمَدٍ
 وَحَارِبَ «بِالسُّورِي» أَخَاهُ «الْيَمَانِيَا»^(٣)
 فَإِنْ يَنْسَ «حَوْرَانًا» فَتَاهُ وَجَارُهُ
 فَإِنْ رُبَا حَوْرَانٍ لَمْ تَنْسَ (سَامِيَا)^(٤)
 أَلَا لَيْتَ مَنْ بَاعُوا عَلَى الْغَبْنِ وَدَّنَا
 مِنَ التُّرْكِ بَاعُوا ذَلِكَ الْوُدَّ غَالِيَا
 وَيَا لَيْتَ مَنْ بَاعَ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 «بِفِلَكَيْنِ» لَمْ يَخْتَرْ لَهَا الْبُؤْسَ شَارِيَا^(٥)



(١) الفيفاء (الفيافي) البراري الواسعة البعيدة من الماء.

(٢) الفريضة: لحمة عند منبض القلب. وراء: رأى.

(٣) راغ: حاد ومال إليه سرّاً (والاسم الروغان).

(٤) يبدو أنه اسم علم لرجل كانت له صلة معروفة بحوران.

(٥) (الفلك) من العملة العثمانية.

فيا أمةً قد طالَ عهدُ سُبّاتها
متى يكشفُ الإصباحُ عنكِ الدِّياجِيا
إلى كم تَوَدِّينَ البقاءَ لمعشرٍ
بقاؤهم يُدني إليكِ التَّلَاشِيا
ثلاثةُ أَجِيا لٍ تَقْضَتْ وأنتمُ
تُسامونَ منهم ما تُسامُ المواشِيا
أما أن أن يَسترجعَ التَّاجَ أهلهُ
ويسترجعَ التَّاجُ المِهابَةَ ثانيا
متى كان (جنكيز) «لقطحان» سيِّداً
فيُمسي بنو هذا لِذاك مَوالِيا؟



ويا عقلاءَ العُربِ هذا زمانُكمُ
فكونوا لِمَن ضلَّ المَحَجَّةَ، هادِيا^(١)
إذا عذَرَ الأعمى الورى في ضلاله
فلا يَعذُّرونَ الناظرَ المُتَعَامِيا
أرى ظُلُماتٍ مُطَبِّقاتٍ حَوالِكا
فإن تطلَّعوا فيها رأيتُ الدَّرارِيا^(٢)
غداً يَنشرُ التاريخُ عنكمُ حَديثَهُ
ويتلو الذي يَتلوهُ ما كان خافِيا
فإن شئتُمُ أمسى عليكمُ مَحامِداً
وإن شئتُمُ أمسى عليكمُ مَساوِيا



ويا أيُّها الجالونَ إنَّ بلادكمُ
تُناديكمُ لو تَسمعونَ مُنادِيا

(١) المحجة: الطريق المقصودة.

لقد عَقَدْتُ فِيهَا الْخُطُوبُ عَجَاجَةً
وساق عليها جيشُهُ الْجُوعُ غَازِيَا^(١)
وَبَاتَ ذَوُوكُمْ يَجْهَلُونَ مَصِيرَهُمْ
كَأَنَّهُمْ مَاءٌ أَضَاعَ الْمَجَارِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَغْشَى الرُّقَادُ جُفُونَكُمْ
عَلَى حِينٍ يَغْشَى الدَّمْعُ تِلْكَ الْمَاقِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَكْسُو الْحَرِيرُ جَسُومَكُمْ
وَلَمْ تُبْقِ مِنْهُمْ شِدَّةُ الضَّنْكِ كَاسِيَا
مِنَ الْعَارِ أَنْ يَبْقَى عَلَيْكُمْ جُمُودُكُمْ
وَقَدْ بَلَغَتْ تِلْكَ النَفُوسُ التَّرَاقِيَا^(٢)
إِذَا الْمَالُ لَمْ يُنْفَقْهُ فِي الْخَيْرِ رَبُّهُ
رَأَهُ عَلَيْهِ الْعَالَمُونَ مَخَازِيَا
إِنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَسْعَ لْخَيْرِ بِلَادِهِ
يَكُنْ كَالَّذِي فِي ضَرْهَا بَاتَ سَاعِيَا

(١) الْعَجَاجَةُ: الْغَبَارُ وَالْدُخَانُ.

(٢) التَّرَاقِي: جَمْعُ (التَّرْقُوة): الْعِظْمُ الْوَاصِلُ بَيْنَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ وَالْكَتِفِ.

٤٤ - أخت البلجيك

[الكامل]

يا لوعةً حار النُّطاسي فيكِ
كم يَشْتَكِي غيري وكم أُخْفِيكِ
إن بُحْتُ بالشكوى فغايَةُ مُجْهِدٍ
لم تُبْقِ لي كَبِدًا فَأَسْتَبْقِيكِ
أجناية الطُّرْفِ الكحيلِ على الحشا
الله حسبي في الدَّمِ المَسْفُوكِ
ما في الشرائعِ لا ولا في أهْلِها
مَنْ يَسْتَحِلُّ الأَخْذَ مِنْ جَانِيكِ
يا هذه كم تَشْجِيزُ غِرَارَهُ
أَوْ ما خَشِيتِ حَدَّهُ يُؤْذِيكِ^(١)
يا أختَ ظبي القَاعِ لو أَعْطَيْتَهُ
لَحَظِيكِ صَادَ الصَّائِدِيهِ أَخُوكِ
روحي فِدَى عَيْنِيكِ مَهْمَا جَارَتَا
في مَهْجَتِي وَأَبِي فِدَاءُ أَبِيكِ
رَمْتَا فِكْلُ مَصْمَمٍ وَمَقُومٍ
نَابٍ، وَكُلُّ مُسَرَّدٍ وَحَبِيكِ^(٢)
الله في قَتْلِي جُفُونُكَ إِنَّهُمْ
ظَلَمُوا نَفُوسَهُمْ وَمَا ظَلَمُوكِ

(١) الغرار: حدّ الرمح.

(٢) مسرّد: مثل تسريد الدرع (تداخل الحلق بعضها في بعض).

إِنَّ تُبْصِرِينِي أَتَّقِي فَتَكَاتِهَا
 فَلَقَدْ أَصُولُ عَلَى الْقَنَا الْمَشْبُوكِ^(١)
 كَمْ تَجَحَّدِينَ دَمِي وَقَدْ أَبْصَرْتَهُ
 وَرَدًّا عَلَى خَدِّكَ غَيْرَ مَشُوكِ^(٢)
 رُدِّي حَيَاتِي إِنَّهَا فِي نَظْرَةٍ
 أَوْ زُورَةٍ أَوْ رَشْفَةٍ مِنْ فَيْكِ
 لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَى قَتِيلِكَ فِي الدُّجَى
 يَرَعَى كَوَاكِبَهُ وَيَسْتَرْعِيكَ
 وَاللَّيْلُ مِنْ هَمِّ الصَّبَاحِ وَضُوئِهِ
 حَيْرَانُ حَيْرَةٍ عَاشِقٍ مَهْتُوكِ
 لَعَجِبْتَ مِنْ زُورِ الْوَشَاةِ وَإِفْكِهِمْ
 وَمَنْ الَّذِي قَاسَيْتُ فِي حُبِّكَ
 حَوْلِي إِذَا أَرَخَى الظَّلَامُ سَجُوفَهُ
 لَيْلَانٍ: لَيْلُ دُجَى وَلَيْلُ شُكُوكِ
 تَمْتَدُ فِيهِ بَيَ الْكَابَةِ وَالْأَسَى
 مِثْلَ امْتِدَادِ الْحَرْفِ بِالتَّحْرِيكِ
 مَا لِي إِذَا شَنُتُ السَّلَوْنَ عَنِ الْهُوَى
 وَقَدِرْتُ أَنْ أَسْأَلُوكَ لَا أَسْأَلُوكَ
 فُكِّي إِسَارِي إِنَّ خَلْفِي أُمَّةٌ
 مَضْنُوكَةٌ فِي عَالَمٍ مَضْنُوكِ
 وَأَحْبَبَةُ سَدِّ الْقُنُوطِ عَلَيْهِمْ
 وَالْخَوْفُ كُلُّ مَعْبَدٍ مَسْأَلُوكِ
 لَا تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَصْبَحَ حَالُهُمْ
 إِنِّي أَخَافُ حَدِيثَهُمْ يَشْجِيكَ

(١) أراد (التبصير) بمعنى التعريف والإيضاح.

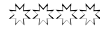
باتوا برغمهم كما شاء العدا
 لا حزنُهم واهٍ ولا بِرَكِّيك
 لا يَمَلِّكون سوى التحسُّر، إنه
 جُهدُ الضَّعِيفِ الواجدِ المَفْلُوكِ^(١)
 تترقُّ العُبرَاتُ فوق خدودهم
 يا مَنْ رأى دُرّاً بِغَيْرِ سُلُوكِ^(٢)
 أَخَذَ العَزِيزَ الذَّلُّ من أَطْوَاقِهِ
 والجوعُ يأخذ مُهْجَةَ الصُّعْلُوكِ
 قل للمبذَّرِ في المَلاهي مالَهُ
 ماذا تركتَ لذي الأسَى المَتْرُوكِ
 أَيَبَيْتُ يَشْرَبُ من مَعِينِ دُمُوعِهِ
 وتَبَيْتُ تَحْسُوهَا كَعَيْنِ الدِّيْكِ؟^(٣)
 وَيَرُوحُ في أَطْمَارِهِ، وَتَمِيسُ في
 ثوبِ لَأيَّامِ الهِناءِ مَحْوُوكِ
 إن كنتَ تَأْبَى أن تُشَارِكَه سِوَى
 نُعْمَى الحَيَاةِ فَأَنْتَ غَيْرُ شَرِيكِ
 يا ضَرَّةَ البَلَجِيكِ في أَحْزَانِهَا
 تَبْكِيكِ حَتَّى أُمَّةُ البَلَجِيكِ
 حُمِّلَتْ ما يُعْيِي الشَّوَاهِقُ حَمْلَهُ
 يا لَيْتَ ما حُمِّلَتْ في شَانِيكِ
 سَلَّ البُغَاةَ عَلَيْكِ حُمُرَ سَيُوفِهِمْ
 لا أَنْتِ جَانِيَةٌ ولا أَهْلُوكِ

(١) المفلوك: الفقير، وجمعه: مفاليك.

(٢) يريد: درراً لا ينتظمها السلك.

(٣) شراب صافٍ كعين الديك: صافٍ شديد الصفاء.

جَنَّ الْقَضَاءُ فَعَالَ حَسَنَكَ قُبْحُهُ
وَأَذَلَّ أَبْنَاءَ الطَّغَامِ بَنِيكَ^(١)
لَا أَشْتَكِي الدُّنْيَا وَلَا أَحْدَاثَهَا
هَٰذَا مَشِيئَةُ ذِي الْمَشِيئَةِ فَيْكَ
لَوْ أَمْلَكَ الْأَقْدَارَ أَوْ تَصْرِيفَهَا
لَأَمَرْتُهَا فَجَرْتُ بِمَا يُرْضِيكَ
وَلَوْ أَنَّهَا تَدْرِي وَتَعْقِلُ لَانْتَهَتْ
تَرْمِي بِأَسْهُمِهَا الَّذِي يَرْمِيكَ
إِنْ يَفْتَدِيكَ أَخُو الْغِنَى بِنُضَارِهِ
فَبِدْرَهَمِي وَبِمُهْجَتِي أَفْدِيكَ^(٢)
وَمَنَازِلُ الْبُؤْسَاءِ أَوْلَى بِالنُّدَى
وَلَأَنْتِ أَوْلَاهَا بِمَالِ ذَوِيكَ



يَا أُمَّةً فِي الْغَرْبِ يَنْعُمُ شَطْرُهَا
رَفِيقاً بِشَطْرِ بَائِسٍ مَنُهِوِكٍ
جَادَتْ عَلَيْكُمْ، قَبْلَ مَا كُنْتُمْ، بِكُمْ
جُودُوا بِبَعْضِ الْعَسْجَدِ الْمَسْجُوكِ!!^(٣)



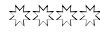
(١) الطَّغَام: الأوغاد.

(٢) النُّضَار: الذهب.

٤٥ - بين الضحك واللعب

[السريع]

أعطيتُ من أعشقتُها وردةً
من بعد أن أودعتُها قلبي
فجعلتُ تنثر أوراقها
بأنمل كالعنم الرطب^(١)
لا تسألوا العاشق عن قلبه
قد ضاع بين الضحك واللعب



لم أقطفِ الوردَ من عُصنها
لو لم تكن كالخد في الإتقاد
ولم تُمزق هند أوراقها
لولا اشتباه بينها والفؤاد!..



(١) العنم: شجر أعصانه لينة، يُشبه به بنان المرأة.

٤٦ - أمة تفتنى وأنتم تلعبون

[الرملة]

أَعَلَى عَيْنِي مِنَ الدَّمْعِ غِشَاءٌ
أَمْ عَلَى الشَّمْسِ حِجَابٌ مِنْ غَمَامٍ؟
غَاضَ نَوْرَ الطُّرْفِ أَمْ غَارَتْ ذُكَاةُ
لَسْتُ أُدْرِى غَيْرَ أَنِّي فِي ظِلَامٍ



مَا لِنَفْسِي لَا تُبَالِي الطُّرْبَا
أَيْنَ ذَاكَ الزُّهْوِ، أَيْنَ الْكَلْفُ؟
عَجِباً مَاذَا دَهَاها عَجِباً
فَهِيَ لَا تَشْكُو وَلَا تَسْتَغْفِرُ
لِيَتَهَا مَا عَرَفْتُ ذَاكَ النَّبَا
فَالسَّعِيدُ الْعَيْشُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
لَا ابْتِسَامُ الْغَيْدِ، لَا رَقْصُ الْبُلَّاءِ^(١)
يَتَصَبَّأُهَا وَلَا شَدُو الْحَمَامِ
بِالْكُرَى عَنِّي وَبِي عَنْهُ جَفَاءُ
أَنَا وَحْدِي... أَمْ كَذَا كُلُّ الْأَنَامِ؟



لَا أَرَى لِي مِنْ هُمُومِي مَهْرَباً
فَهِيَ فِي هَذَا وَذِيَاكَ الطَّرِيقُ
فِي الرُّبَا فَوْقَ الرُّبَا تَحْتَ الرُّبَا
فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ، فِي الرُّوْضِ الْأَنْيَقِ

(١) يريد: الطلاء: الخمرة.

في اهتزاز الغُصْنِ في نَفْحِ الصَّبَا

في انسجام الغيثِ في لمح البروق^(١)
كلما أومضَ برقٌ أو أضأَ
بتُّ أشكو في الدُّجَى وَقَعَ السَّهَامُ
في ابتسام الفجر للمرضى شفاءً
وابتسام الفجر فيه لي سقام



تعتريني هِرَّةٌ كالكَهْرِبَا
كلما حنَّ مَشُوقٌ لِمَشُوقٍ
علَّمتْ عيني السُّهَادَ الكَوَكِبَا
وفؤادي علَّمتْ البرقَ الخُفُوق
ما دعوتُ الدَّمْعَ إلا انسكبا

يا دُموعي أنتِ لي أوفى صديق
لم أرَ كاليأس يغري بالبكاء
لا ولا كالدَّمع يشفي المستهَام
فاستعينوا بالبكا يا تُعَسَاءُ
كلما اشتدَّتْ بكم نارُ الهَيَام



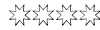
خِلْتُ قلبي بالأسى منفردا
وأنا وحدي صريعُ المِحَن
وتوهمتُ الأسى لن يجدَا
سكناً في غيرِ قلبي المُنْتَحَن
وظننتُ الدهرَ مهما حَقَّدا
سوف لا يَفْجَعُنِي في وطني

(١) الصَّبَا: الريح الندية (القادمة من نجد، في الأصل).

فإذا تلك المغاني في شقاء
وإذا كلُّ فـؤادٍ في ضـرامٍ
ذهبت كلُّ ظنوني في الهواء
وتولت مثل أضغاث المنام



لا تلمني إن أنا لُمتُ القضا
ولم الدهر الذي أخنى عليّ
لم تدع في الليالي غرضاً
والضنى لم يُبقَ مني غيرَ فيّ
لا تسألني: أيّ خطب عرّضا
في الحشا وجد وفي المِقُول^(١) عيّ
فل غربي سالب السيف المضاء^(٢)
والشذا الزهرة والعقد النظام
وإذا ما غلب اليأس الرجاء
هانت الشكوى ولم يُجدِ الكلام



صرتُ لكن مثلاً لما شاء الكمد
شاعراً من مُقلتي أرتجل
صدّ ما كان بنفسي عنه صدّ
وتجافاني الكلام المرسل
عقد الحزن لساني فانعقد
أيّ سيفٍ ما اعتراه الفلّ؟

(١) المِقُول: اللسان. والعيّ: انحباس الكلام.

بي همومٌ كلُّما لاح الضياءُ
ضربتُ فوقَ عيوني بِلِثَامٍ
وشجونٌ كلُّما جنَّ المساءُ
قطعتُ بينَ جُفوني والمَنامِ



لا أرى غيرَ خيالاتٍ تَسِيرُ
مُهْطِعاتٍ^(١) عن يَساري واليمينِ
فوقَ أرضٍ من دماءٍ وسعيرِ
في فضاءٍ من همومٍ وشجونِ
عجباً.. أين ابتساماتُ التُّغورِ
ما لِقَومي كلُّهم باكٍ حزينِ
كلُّ ما أسمعُ نوحٌ وبكاءُ
كلُّ ما أبصرُ «صرعى ورمام»
زلزلتْ زلزالها هذي السماءُ
أم تُرى فضتْ عن الموتى الرِّجامُ^(٢)



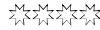
وقعَ الأمرُ الذي لا يُدفعُ
وجَنى الجاني على تلك الربوعِ
واحتواها نَهمٌ لا يَشبعُ
فاحتوى سكانها خوفٌ وجوع
فهِيَ إما دِمْنَةٌ أو بَلَقْعُ
وهمٌ إما قَتِيلٌ أو صَرِيعُ

(١) أهطع في السير. أسرع.

إِنْ شَكَتْ قَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ
أَوْ شَكَّوْا قَالُوا عَلَى النَّاسِ السَّلَامُ
عَبَثَ الْإِنْسَانُ فِيهَا وَالْقَضَاءُ
أَهْ مِنْ جَوْرِ اللَّيَالِي وَالطُّغَامِ^(١)



رُبَّ طِفْلٍ طَاهِرٍ مَا أَثِمَا
مَاتَ مَوْتَ الْأَثَمِ الْمُجْتَرِمِ^(٢)
كَانَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لَوْ سَلِمَا
لِلْعُلَا لَكُنَّهْ لَمْ يَسْلَمْ
كُوكِبٌ مَا كَادَ يَبْدُو فِي السَّمَاءِ
طَالِعاً حَتَّى اخْتَفَى كَالْحُلُمِ
غَاضَ مِثْلَ الْمَاءِ فِي الْأَرْضِ الْعَرَاءِ
مَا عَهْدَتْ الْبَدْرُ مِثْوَاهَ الرُّغَامِ^(٣)
هَكَذَا أَوْدَتْ بِهِ رِيحُ الشَّتَاءِ
زَهْرَةٌ لَمْ تَنْفَتِحْ عَنْهَا الْكِمَامِ^(٤)



رُبَّ شَيْخٍ أَقْعَدَتْهُ الْحَادِثَاتُ
وَمَشَى «الْأَبْيَضُ» فِي لِمَّتِهِ
وَتَنَاهَ الضُّعْفُ عَنْ حَمْلِ الْقَنَاةِ
وَعَنِ السَّابِقِ فِي حَلْبَتِهِ^(٥)
كَانَ مِنْ قَبْلِ حُلُولِ الْكَارِثَاتِ
أَمْنًا كَالنَّسْرِ فِي وَكُنَّتِهِ^(٦)

(١) الطُّغَامُ: الأوغاد والأوباش.

(٢) المجترم: المرتكب الجرم.

(٣) الرُّغَامُ: التراب.

(٤) الكِمَامُ: غطاء نور الزهرة.

(٥) القَنَاة: الرمح والجمع: القنات. ويقصد بالسابق: الحصان.

لاهياً يذكُرُ أيامَ الصِّبَاءِ
وليالِيهِ وفي التَّغْرِ ابْتِسَامُ
حَكَمَ العَاتِي عليه بالفَنَاءِ
وأبى المَقْدُورُ إلا أن يُضَامَ



وفتًى كالغصن رِيانُ نَضِيرُ
تَحَلُّمُ الخَوْدُ بِهِ إذ تَحَلُّمُ^(١)
وتراه للهِوى بين البُودُورُ
فَتَرَاهُ فَوْقَهُنَّ الأَنْجُمُ
أَلْمَعِيُّ الذَّهْنِ وَالْقَلْبِ الكَبِيرُ
مَلَكٌ فِي بُرْدَتِيهِ ضَيِّغُ^(٢)
بَات لَا يَقْوَى عَلَى حَمْلِ الرِّدَاءِ
مَنْكَبَاهُ وَهُوَ فِي العِشْرِينَ عَامُ
مَا بِهِ عَجْزٌ وَلَا دَاءٌ عَيَاءُ^(٣)
غَيْرَ أَنَّ الجُوعَ قَدْ هَدَّ العِظَامُ



وصغارٍ مِثْلِ أَفْرَاحِ القَطَا
يَتَضَاغُونَ مِنَ الجُوعِ الشَّدِيدِ^(٤)
وَهَنَتْ أَعْصَابُهُمْ لِمَا سَطَا
وَالطُّوَى يُوهِنُ عِزَمَاتِ الأَسُودِ
أَرَأَيْتَ العِقْدَ إِذَا انْفَرَطَا
هَكَذَا دَمْعُهُمْ فَوْقَ الخُدُودِ

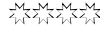
(١) الخَوْدُ: الفتاة البكر.

(٢) الضيغم: الأسد.

(٣) الداء العياء: الصعب الذي يعيي الطبيب.

(٤) القطا (ومفرده: قطاة) الطائر. وضغاً: صاح من الألم.

زَهَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي شَكْلِ مَاءٍ
لِلأَسَى، لِّلْهَ مَا أَقْسَى الْحِمَامِ
يَا رَعَى اللّهُ نَفُوسَ الشَّهْدَاءِ
وَسَقَى أَجْدَانَهُمْ صَوْبُ الْغَمَامِ^(١)



أَيُّهَا الْجَالُونَ عَنْ ذَاكَ الْحِمَى
إِنَّ فِي ذَاكَ الْحِمَى مَا تَعْلَمُونَ
ضِيمٌ فِي أَحْرَارِهِ وَاهْتُخِمْ مَا
وَوَقَفْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ تَنْظُرُونَ
لَا، وَمِنْ شَاءَ لَنَا أَنْ نَنْعَمَا

مَا كَذَا يَجْزِي الْأَبَّ الْبَرَّ الْبَنُونَ
كُلُّكُمْ يَا قَوْمُ فِي الْبَلَاوِ سَوَاءُ
لَا أَرَى فِي الرُّزْءِ لُبْنَاناً وَشَامُ
فِي رَبِّا لِبْنَانٍ قَوْمِي الْأَصْفِيَاءُ
وَيَأْرُضُ الشَّامُ أَحْبَابِي الْكِرَامُ



الليالي غادياتٌ رَائِحَةٌ
بِالدَّوَاهِي وَأَرَاكُمُ تَضْحَكُونَ
مَا اتْعَظْتُمْ بِالسِّنِينَ الْبَارِحَةِ
لَا وَلَا أَنْتُمْ غَدًا مُتَّعِظُونَ
يَا لَهَوْلِ الْخُطْبِ!... يَا لَلْفَادِحَةِ
أُمَّةٌ تَفْنَى وَأَنْتُمْ تَلْعَبُونَ

(١) صوب الغمام: مطره النازل.

فَادْفِنُوا أَصْغَانَكُمْ يَا زُعَمَاءُ
يَبْعَثُ اللَّهُ مِنَ الْقَبْرِ الْوَيْلَامَ
وَابْسُطُوا أَيْدِيَكُمْ يَا أَغْنِيَاءُ
أَبْغِضُ السُّحْبَ إِلَى الصَّادِي الْجَهَامِ^(١)

(١) الجَهَام: السحاب الذي لا ماء فيه.

٤٧ - (في الليل)

متى يذكر الوطن النوم

[المتقارب]

جلستُ وقد هجعَ الغافلونُ
أفكّرُ في أمسينا والغدِ
وكيف استبدَّ بنا الظالمونُ
وجاروا على الشيخ والأمردِ
فخلتُ اللواعجَ بين الجفونِ
وأنَّ جهنّمَ في مرقّدي
وضاقَ الفؤادُ بما يكتُمُ

فأرسلتِ العينُ مدرّارها



ذكرتُ الحروبَ وويلاتها
وما صنعَ السيفُ والمدفعُ
وكيف تجورُ على ذاتها
شعوبُ لها الرتبةُ الأرفعُ
وتخضبُ بالدمِّ راياتها
وكانت تذمُّ الذي تصنعُ
فباتت بما شئدتْ تهديمُ

صروحَ العلومِ وأسرارها



نساءً تجودُ بأولادها
على الموت، والموتُ لا يرحمُ
وجنودُ تجودُ بأكبادها
على الأرض، والأرضُ لا تعلمُ
وتغدو الطيورُ بأجسادها
فإن عطشتُ فالشرابُ الدم
وفي كلِّ منزلةٍ مائتُ
تشقُّ بها الغيدُ أزارها



لقد شبعَ الذئبُ والأجدلُ
وأقفرتِ الدُّورُ والأربعُ
فكم يقتلُ الجحفلُ الجفْلُ
ويُفْتِكُ بالأروعِ الأروعُ
ولن يُرجِعَ القتلُ من قُتلوا
ولن يستعيدَ الذي ضيعوا
فبئسَ الألى بالوعى علّموا
وبئسَ الألى أججوا نارها



أمنَ أجلِ أن يسلمَ الواحدُ
تُطلُّ الدماءُ وتفنَى الألوفُ؟
ويزرعُ أولاده الوالدُ
لتحصدهم شفراتُ السيوفُ؟
أمورٌ يحارُّ بها الناقدُ
وتُدْمي فؤادَ اللبيبِ الحَصيفُ
فيا ليتَ شعري متى يفهمُ
معاني الحياة وأسرارها



وحوَّلْتُ طَرْفِي إِلَى الْمَشْرِقِ
فَلَمْ أَرَ غَيْرَ جِبَالِ الْغَيْومِ
تَحُومُ عَلَى بَدْرِهِ الْمَشْرِقِ
كَمَا اجْتَمَعَتْ حَوْلَ نَفْسِي الْغُمُومُ
فَأَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى مِرْفَقِي
وَقُلْتُ، وَقَدْ غَلَبَتْني الْهُمُومُ
بِرَبِّكَ، أَيَّتَها الْأَنْجَمُ

مَتَى تَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا؟



كَمَا يُقْتَلُ الطَّيْرُ فِي الْجَنَّةِ
وَيُقْتَنَصُ الظُّبْيُ فِي السَّبَسَبِ^(١)
كَذَلِكَ يُجَنِّى عَلَى أُمَّتِي
بِلا سَبَبٍ وَبِلا مُوجِبٍ
فَحَتَّامٌ تُؤْخَذُ بِالْقُوَّةِ
وَيُقْتَصُّ مِنْهَا، وَلَمْ تُذْنَبْ؟
وَكَمْ تَسْتَكِينُ وَتَسْتَسْلِمُ

وَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ زُنَّارَهَا



وَسَيِّقْتُ إِلَى النَّطْعِ سَوْقَ الْغَنَمِ
مَغَاوِيرُهَا وَرَجَالُ الْأَدَبِ^(٢)
وَكُلُّ أَمْرٍ لَمْ يَمْتَ بِالْخَنَمِ
فَقَدْ قَتَلُوهُ بِسَيْفِ السَّغَبِ^(٣)

(١) السَّبَسَبُ: المفازة الواسعة الخالية.

(٢) النطع: بساط من جلد، تقطع فوقه الرؤوس.

(٣) الخدم: سرعة القطع، والمخدم: السيف القاطع. السَّغَبُ: الجوع.

فَمَا حَرَّكَ الضَّيْمُ فِيهَا الشَّمَمُ
وَلَا رَوَّيَهُ الدَّمُ فِيهَا الْغَضَبُ
تَبَدَّلَتْ النَّاسُ وَالْأَنْجَمُ
وَلَمَّا تُبَدِّلْ أَطْوَارَهَا



أَرَى اللَّيْثَ يَدْفَعُ عَنْ غَيِّضَتِهِ
بِأَنْيَابِهِ وَيَأْظِفُ فَارِهِ
وَيَجْتَمِعُ النَّمْلُ فِي قَرِيَّتِهِ
إِذَا خَشِيَ الْغَدَرَ مِنْ جَارِهِ
وَيَخْشَى الْهَزَارَ عَلَى وَكُنْتِهِ
فَيَدْفَعُ عَنْهَا بِمَنْقَارِهِ^(١)
فَلَا الْكَاسِرَاتُ وَلَا الضَّيِّغُ
وَلَا الشَّاةُ تَمْدَحُ جَزَارَهَا



عَجِبْتُ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ
وَأَهْلُوهَ بَيْنَ الْقَنَا وَالسُّيُوفِ
يَبْيُتُونَ فِي وَجَلٍ نَاصِبٍ
فَإِنْ نَصَبُوا أُجِنُوا لِلْكَهْوفِ
وَمِمَّنْ يُصَفَّقُ لِلْخَبَابِ
وَأَحْبَابُهُ يَجْرَعُونَ الْحُتُوفَ
مَتَى يَذْكُرُ الْوَطْنَ النُّوْمَ
كَمَا تَذْكُرُ الطَّيْرُ أَوْكَارَهَا؟



(١) الْوُكُنُ: عَشِ الطَّائِرِ أَوْ مَأْوَاهُ فِي جَبَلٍ أَوْ جِدَارٍ.

٤٨ - سقوط أرضروم^(١)

[البسيط]

أَعِدْ حَدِيثَكَ عِنْدِي أَيُّهَا الرَّجُلُ
وَقُلْ كَمَا قَالَتِ الْأَنْبَاءُ وَالرُّسُلُ
قَدْ هَاجَ مَا نَقَلَ الرَّاوُونُ بِي طَرْبًا
مَا أَجْمَلَ الرُّسُلُ فِي عَيْنِي وَمَا نَقَلُوا
فَاجْمَعْ رَوَايَاتِهِمْ وَامْلَأْ بِهَا أُذُنِي
حَتَّى تَرَانِي كَأَنِّي شَارِبٌ تَمْلِ
دَعْ زُخْرُفَ الْقَوْلِ فِيمَا أَنْتَ نَاقِلُهُ
إِنَّ الْمَلِيحَةَ لَا يُزْرِي بِهَا الْعَطْلُ^(٢)
فَكُلُّ سَمْعٍ إِذَا قَلَّتْ «السُّلَافُ» فَمُ
وَكُلُّ قَوْلٍ، إِلَيْهِمْ يَنْتَهِي، عَسَلْ
لَا تَسْقِنِي الرَّاحَ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِهِمْ
أَوْ ذِكْرِ قَائِدِهِمْ أَوْ ذِكْرِ مَا فَعَلُوا
هُمْ الْمَسَامِيحُ يُحْيِي الْأَرْضَ جُودَهُمْ
إِذَا تَنَكَّبَ عَنْهَا الْعَارِضُ الْهَطْلُ^(٣)
هُمْ الْمَصَابِيحُ تَسْتَهْدِي الْعَيُونَ بِهَا
إِذَا اكْفَهَرَ الدُّجَى وَاحْتَارَتِ الْمُقَلُّ

(١) «إيالة» شرقي تركية، احتلها الروس لثالث مرة سنة ١٩١٦ خلال الحرب العالمية الأولى، وعنهما كتب أبو ماضي نصه الشعري.

(٢) العطل: المرأة الخالية من الحلي.

(٣) العارض: السحاب يعترض في الأفق.

هُمُ الْغَزَاةُ بَنُو الصَّيْدِ الْغَزَاةِ، بِهِمْ
وَبَطْشِهِمْ بِالْأَعَادِي، يُضْرَبُ الْمَثَلُ
قَوْمٌ يَبِيتُ الضَّعِيفُ الْمُسْتَجِيرُ بِهِمْ
مَنْ حَوْلَهُ الْجَنْدُ وَالْعَسَالَةُ الذُّبُلُ^(١)
فَمَا يُلَمُّ بِمَنْ صَافَاهُمْ أَلَمْ
وَلَا يَسُدُّوهُ لِمَنْ عَادَاهُمْ أَمَلُ



أَيْطَلِبُ التُّرْكَ أَنْ تَعْلُوا أَهْلَتُّهُمْ
(٢)

«وَلِلْغَرْنَدُقِ» رَأْيٌ مِثْلُ صَارِمِهِ
يَزِلُّ عَنْ صَفْحَتَيْهِ الْحَادِثُ الْجَلَلُ^(٣)
الْمُقْبِلُ الصِّدْرُ، وَالْأَبْطَالُ نَاكِصَةٌ
تَحْتَ الْعَجَاجَةِ لَا يَبْدُو لَهَا قُبْلُ^(٤)
وَالْبَاسِمُ التَّنْغَرِ، وَالْأَشْلَاءُ طَائِرَةٌ
عَنْ جَانِبِيهِ، وَحَرُّ الطَّعْنِ مَتَّصِلُ
سَعْدُ السُّعُودِ عَلَى السُّؤَالِ طَالَعُهُ
لَكِنَّهُ فِي مِيَادِينِ الْوَغَى زُحْلُ^(٥)
فِي كُلِّ سَيْفٍ سِوَى بَتَّارِهِ فَلَلُ
وَكُلُّ رَأْيٍ سِوَى آرَائِهِ زَلَلُ!



(١) عَسَلَ الرَّمْحُ: اهْتَزَّ. وَالرَّمْحُ الذَّابِلُ: الدَّقِيقُ.
(٢) عَجَزَ الْبَيْتُ مَحْذُوفٌ فِي سَائِرِ الْمَصَادِرِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَيَبْدُو أَنَّ فِيهِ مَوَاجَهَةً بَيْنَ الْهَلَالِ وَالصَّلِيبِ وَهِيَ مَوَاجَهَةٌ كَانَتْ عَرَضَ لَهَا أَبُو مَاضِي فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى.
(٣) Qrand-DUC، أَمِيرُ الْأَسْرَةِ الْحَاكِمَةُ فِي رُوسِيَّةِ.
(٤) الْعَجَاجُ وَالْعَجَاجَةُ: الْغَيَارُ وَالذَّخَانُ أَيْضاً. وَالْقُبْلُ: عَكْسُ الدُّبْرِ.
(٥) زُحْلُ: الْكُوكَبُ الْمَعْرُوفُ، وَيُقَدِّدُ اسْمَهُ: الزَّلُّلُ وَالتَّنْحِي، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى يُقَدِّدُ أَبُو مَاضِي.

يا ابن الملوك الألى قد شادَ واحدَهُمْ
ما لم تُشَيِّدْهُ أَملاكٌ ولا دُولٌ
وقائدَ الجيشِ ما للريحِ مُنْفِرَجٌ
فيه، ولكن لها من حَوْلها زَجَلٌ^(١)
توهمَ التُّركَ لَمّا حانَ حَيْنُهُمْ
أنَّ الألى وتَروا أباَهُم غَفَلوا
حتى طَلعتَ من «القوقاس» في لَجِبٍ
تَضيقُ عنه فِجاجُ الأرضِ والسُّبُلِ
فأَدركوا أَنهم ناموا على غَرَرٍ
وأَنَّ البَدْرُ في الأفلاكِ تَنْتَقِلُ^(٢)
يا يومَ صَبَّحتَهُم والنَّفْعُ مَعْتَكِرٌ
كَأَنَّهُ اللَّيْلُ فوقَ الأرضِ مُنْسَدِلٌ
لَيْلٌ يَسِيرُ على ضوءِ السِّيوفِ بهِ
ويَهتدي بالصَّليلِ الفارسُ البَطَلُ
بكلِّ أروعَ ما في قَلْبِهِ خَوَرٌ
عندَ الصِّدامِ، ولا في زَنْدِهِ شَلَلٌ
وكلُّ مَنْجَرٍ في سَرْجِهِ أَسَدٌ
في كَفِّهِ خَذَمٌ، في حَدِّهِ الأَجَلُ^(٣)
وكلُّ راعِفَةٍ بِالموتِ هادِرَةٍ
كَأَنها الشاعِرُ المَطْبوعُ يَرْتَجِلُ
سوداءُ تَقْذِفُ من فوهاتِها حِمَمًا
هي الصَّواعقُ إلا أَنها شُعَلٌ

(١) الزَّجَلُ: الصوت.

(٢) الغَرَرُ: الخطر.

(٣) الخَذَمُ: السيف الحاد (الخُذَمُ: الحدة).

لا تحفظ الدرع منها جسم لا بسِها
 ولا يُنجي الحصون الصخر والرمل
 فالبيض تأخذ منهم كيفما انفتلت
 والدُّعْر يمعن فيهم كيفما انفتلوا
 وكلما وصلوا ما انبت باغتتهم
 ليث يُقطع بالفصال ما وصلوا
 فأسلموا «أرضروما» لا طواعيةً
 لو كان في وسعهم إمساكها بخلوا
 كم حوَّطوها وكم شادوا الحصون بها
 حتى طلعت فلا حصن ولا رجل
 وفر قائلهم لما عرضت له
 كما يفر أمام القشع الحجل^(١)
 ومن يشك بأن الوعل منهزم
 إذا التقى الأسد الضرعام والوعل؟
 لم يقصر الرمح عن إدراك مهجته
 لكن حمى صدره وقع الظُّبا، الكفل^(٢)
 تعلم الركض حتى ليس تلحقه
 هوج الرياح ولا خيل ولا إبل
 يخال من رعبه الأطواد راكضةً
 معه وما ركضت قدامه القل
 ويحسب الأرض قد مادت مناكبها
 كذاك يمسح عين الخائف الوجل

(١) القشع من النسر: المسن.

ويات «أنور» في «يلدين» مختبئاً
 لأمّه وأبيه التُّكُلُ والهَبَلُ^(١)
 يَطِيرُ، إن صرّت الأبواب، طائرُهُ
 ويَصْرُخُ «الغوث» إمّا وسوسَ القُفْلِ
 في جفنه أرق، في نفسه فَرَقُ
 في جسمه سَقَم، في عقله دَحَلُ^(٢)
 في وجهه صُفْرَةٌ حارَ الطبيبُ بها
 ما يصنع الطَّبُّ فيمن داؤه الخَبَلُ؟
 لم يبقَ فيه دُمٌ كيما يجمّعه
 في وجهه، عند ذكر الخيبة، الخَجَلُ
 يطوف في القصرِ لا يلوي على أحدٍ
 كأنه ناسكٌ في القفرِ معتزِلُ
 لا بهجةُ المُلكِ تُنسيه هواجسه
 ولا تروّح عنه الأعينُ النُّجُلُ
 يزيد وحشته إعراضُ عُودِهِ
 وينكأ الجرحُ في أحشائه العَذَلُ
 إذا تمثّل جيشَ التُّركِ مندحراً
 ضاقت به، مثلما ضاقت بذا، الحِيلُ



يا كاشفَ الضرِّ عمّن طال صبرهمُ
 على النوائب، لا مرّت بك العِلَلُ
 أطلقتهم من قيود الظلم فانطلقوا
 وكلُّهم ألسُنٌ تدعو وتبتهل

(١) « أنور باشا»: قائد تركي وزعيم سياسي، كانت سلطته هي العليا. ويلدن: قصر السلطان « عبد الحميد الثاني»
 في تركية، خلال الحرب العالمية الأولى، وقت سقوط أرضروم في أيدي الروس. والهبل: الهلاك.

(٢) الدَحَلُ: الفساد في العقل أو الجسم.

لو كان يَنْشُرُ مَيْتًا غَيْرُ بَارئِهِ
نَشَرْتِ، بَعْدَ الرَّدَى، أَرْوَاحَ مَنْ قُتِلُوا
بَغَى عَلَيْهِمْ عُلُوجُ التُّرُكِ بَغْيَهُمْ
لَمْ يَشْحَذُوا لِلْوَغَى سَيْفًا وَلَا صَقَلُوا
خَانُوهُمْ وَأَذَاعُوا أَنَّهُمْ نَفَرُ
خَانُوا الْبِلَادَ بِمَا قَالُوا وَمَا عَمِلُوا
يَا لَلطَّغَامِ! وَيَا بُهْتَانَ مَا زَعَمُوا
مَتَى أَسَاءَ إِلَى ذِي الْمِخْلَبِ الْحَمَلِ؟
هَبُّوا الرِّجَالَ لِأَمْرٍ أَحْدَثُوا حَدَثًا
فَمَا الَّذِي جَنَّتِ الْعِذْرَاءُ وَالطِّفْلُ؟
أَجَدُّكُمْ، كُلُّمَا جَوَّخَلَا، «أَسَدٌ»
وَجَدُّكُمْ، كُلُّمَا شَبَّتْ وَغَى، «ثُعْلٌ»؟^(١)
قَدْ جَاءَ مَنْ يَمْنَعُ الضَّعْفَى وَيُرْغِمُكُمْ
أَنْ تَحْمِلُوا عَنْهُمْ النَّيِّرَ الَّذِي حَمَلُوا
أَمَنْتَ «أَرْمِينِيَا» مِمَّا تُحَازِرُهُ
فَلَنْ تَعِيثَ بِهَا الْأَوْغَادُ وَالسُّفْلُ



ظَنُّوكَ فِي شُغْلٍ حَتَّى دَهَمَتْهُمْ
فَأَصْبَحُوا وَلَهُمْ عَنْ ظَنِّهِمْ شُغْلُ
مَزَقَّتْ جَمْعَهُمْ تَمْزِيقَ مَقْتَدِرٍ
عَلَى الْمَهْتَدِ، بَعْدَ اللَّهِ، يَتَّكِلُ
فَهُمْ شِرَازِمٌ حَيْرَى لَا نِظَامَ لَهَا
كَأَنَّهُمْ نَوْرُ الْآفَاقِ أَوْ هَمَلٌ^(٢)

(١) شعالة وثُعْل: أنثى الثعالب.

(٢) النور: الأوباش والهمج. والهمل: المتروكون سدى.

أَلْبَسَتْهُمْ ثَوْبَ عَارٍ لَا تُطَهَّرُهُ
 نَارُ الْجَحِيمِ وَلَوْ فِي حَرِّهَا اغْتَسَلُوا
 «جَاوِيدٌ» فَوْقَ فِرَاشِ الذُّلِّ مُضْطَجِعٌ
 وَ «طَلَعْتُ» بَرْدَاءِ الْخَوْفِ مُشْتَمِلٌ^(١)
 أَتَسْتَقِرُّ جَنُوبٌ فِي مَضَاجِعِهَا
 وَفِي مَضَاجِعِهَا الْأَرْزَاءُ وَالْغِيلُ؟
 وَتَعْرِفُ الْأَمْنَ أَرْوَاحُ تَرْوَعُهَا
 ثَلَاثَةٌ: أَنْتَ وَالنَّيِّرَانُ وَالْأَسَلُ؟
 لَوْلَمْ تَقَاتِلْهُمْ بِالْجَيْشِ قَاتِلَهُمْ
 جَيْشٌ بَغِيرِ سِلَاحٍ إِسْمُهُ الْوَهْلُ^(٢)
 أَجَرِيتَ خَوْفَ الْمَنَايَا فِي عُرُوقِهِمْ
 فَلَنْ يَعِيشَ لَهُمْ نَسْلٌ إِذَا نَسَلُوا
 قَدْ مَاتَ كَهْلُهُمْ مِنْ قَبْلِ مَيِّتَتِهِ
 وَشَاخَ نَاشِئُهُمْ مِنْ قَبْلِ يَكْتَنَهُلِ
 وَقَدْ ظَفَرْتَ بِهِمُ وَالرَّأْسُ مُشْتَعِلٌ
 كَمَا ظَفَرْتَ بِهِمُ وَالْعَمْرُ مُقْتَبِلٌ
 فَتَحَّ تَهَلَّلَتِ الدُّنْيَا بِهِ فَرَحًا
 فَكُلْ رُبْعٌ، خَلَا «أُسْتَانَةٌ» جَذَلٌ^(٣)
 الشَّعْبُ مَبْتَهَجٌ، وَالْعَرْشُ مَغْتَبِطٌ
 وَرُوحُ جَدِّكَ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْتَفِلُ!..

(١) (جاويد) و (طلعت) من رجال الترك، ومن رجال حزب تركية الفتاة. رأس الثاني الوزارة التركية ١٩١٧ - ١٩١٨.

(٢) الوهل: الخوف والفزع.

(٣) الأستانة: دار الخلافة (استانبول).

٤٩ - سبيل التوحيد

[البسيط]

ما كان أحوجَّ سورياً إلى بطلٍ
يردُّ بالسيف عنها كلَّ مُفْتَرِسٍ
ولا يزال بها والسيفُ في يده
حتى يطهِّرها من كلِّ ذي دَنَسٍ
ويجعل الحبَّ دينَ القاطنين بها
دينٌ يقربُ بين «البيتش» والقدس
حتى أرى ضاربَ الناقوس يطربُه
صوتُ الأذنين^(١)، وهذا رنُّ الجرسِ

(١) الأذنين والأذان واحد.

١٩١٦ - ٥٠

[الكامل]

كم، قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ، وَلَى جِيلٌ
هِيَهَاتَ، لَيْسَ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلٌ
ضَحَكَ الشَّبَابُ مِنَ الْكُھُولِ فَأَغْرَقُوا
وَاسْتَيْقَظُوا، فَإِذَا الشَّبَابُ كُھُولُ
نَأْتِي وَنَمْضِي وَالزَّمَانُ مَخْلَدٌ
الصَّبْحُ صَبَحٌ وَالْأَصِيلُ أَصِيلُ
حَرٌّ وَقُرٌّ يَبْلِيَانِ جُسُومَنَا
لَيْتَ الزَّمَانَ، كَمَا نَحُولُ، يَحُولُ^(١)
إِنَّ التَّحَوُّلَ فِي الْجَمَادِ تَقْلَصُ
فِي الْحَيِّ مَوْتُ؛ فِي النَّبَاتِ ذُبُولُ
قَفٌّ بِالْمَقَابِرِ صَامِتًا مُتَأَمِّلًا
كَمْ غَابَ فِيهَا صَامِتٌ وَسَوُولُ
وَسَلَ الْكَوَاكِبَ كَمْ رَأَتْ مِنْ قَبْلِنَا
أُمَمًا، وَكَمْ شَهِدَ النُّجُومَ قَبِيلُ^(٢)
تَتَبَدَّلُ الدُّنْيَا تَبَدُّلَ أَهْلِهَا
وَاللَّهُ لَيْسَ لِأَمْرِهِ تَبْدِيلُ



يَا طَالِعَا لَفَتَ الْعَيُونَ طُلُوعُهُ
بَعْدَ الطُّلُوعِ، وَإِنْ جَهِلْتُ، أَقُولُ

(١) حال - يحول: انقلب عن حاله الأولى.

عطفًا ورفقًا بالقلوب، فإنما
 حَقُّدُ القلوبِ على أخيك طَوِيلُ
 أَنْظِرْ! فوجهُ الأرضِ أَغْبِرُ شاحِبُ
 واسمِعْ! فأصواتُ الرياحِ عَوِيلُ
 ومنَ الحَديدِ صواعقُ، ومنَ العَجَا
 جِ غَمَائِمُ، ومنَ الدماءِ سَيُولُ
 ما كنتُ أعلمُ قَبْلَما حَمَسَ الوغَى
 أنَ الضواريَ والأنامَ شُكُولُ^(١)
 يا أرضَ أورُبَّا ويا أبْناءَها
 في عُنُقِ مَنْ هذا الدَّمُ المَطْلُولُ؟
 في كلِّ يومٍ مِنْكُمْ أوْ عَنْكُمْ
 نَبَأٌ تَجِيءُ بِهِ الرُّوَاةُ مَهْلُولُ
 مَزَقْتُمْ أَقْسَامَكُمْ وعهودكم
 ولقد تكونُ كأنها التَنزِيلُ
 وبعثتُمُ الأَطْماعَ فَهِيَ جَحافلُ
 من خالفهنَّ جَحافلٌ وخُيُولُ
 ونشرتُمُ الأحقادَ فَهِيَ مَدافعُ
 وقذائفُ وأَسِنَّةٌ ونُصُولُ
 لو لم تكن أضغانُكمُ أَسِيا فَكمُ
 أَمسى بها، مما تُسامُ، فُلُولُ
 علَّمتُمُ «عِزْريلَ» في هذي الوغَى
 ما كان يَجْهَلُ عِلْمَهُ «عِزْريلُ»
 إن كان هذا ما يُسمَّى عندكمُ
 عِلْمًا، فأين الجَهْلُ والتَّخْلِيلُ

(١) حَمَسَ الوغَى: اشتدَّ القتال.

إن كان هذا ما يسمى عندكم
 ديناً فأين الكُفْرُ والتَّعْطِيلُ
 عَوْداً إلى عَصْرِ البَدَاوَةِ، إنه
 عصرٌ، جميلٌ أن يُقالَ جميل
 «قابيل»، يا جَدُّ الوري، نم هانئاً
 كلَّ امرئٍ في ثوبه «قابيل»
 لا تفخروا بعقولكم ونتاجها
 كانت لكم، قبلَ القتال، عُقول
 لا أنتم أنتم ولا أرباضكم
 تلك التي فيها الهناءَ يَقبلُ^(١)
 لا تطلبوا بالمرهفاتِ دُحولكم
 في نيلها بالمرهفاتِ دُحول^(٢)
 إن الأنامَ على اختلافِ لغاتهم
 وصفاتهم، لو تذكرون، قَبِيلُ
 يا عالمنا! هل فيك ثَمَّةٌ مَطْمَعٌ
 بالسَّلم أم هذا الشَّقَاءُ يَطولُ
 مرّت عليها حِجَّتَانِ ولم تزلْ
 تتلو الفصولَ مَشَاهِدُ وفُصول
 لم يَعشِقِ الناسُ الفناءَ وإنما
 فوقَ البصائرِ والعُقولِ سُدولُ
 أنا إن بَسَمْتُ، وقد رأيتك مقبلاً
 فكما يَهْشُ لعائديه عَليلُ
 وإذا سكنتُ إلى الهمومِ فمثلاً
 رضيَ القيودَ الموثقُ المَكْبُولُ

(١) الرِّبْضُ: ما يكون من حول المدن. وقال يَقبِلُ: من القَبِيلَةِ.

(٢) الدُّحُلُ: الحقد والعداوة.

لا يستوي الرجلان، هذا قلبه
خال، وهذا قلبه (مَجْبُول)^(١)
لا يخدعن العارفون نفوسهم
إن المُخَادِعَ نفسَه لَجَهول
في الشرق قومٌ لم يَسْأَلُوا صارِمًا
والسيفُ فوق رؤوسهم مَسْلُول
جهلوا ولم تجهل نفوسهم الأسي
أشقى الأنام العارف المَجْهول^(٢)
أكبادهم مَقْرُوحَةً كَجُفُونِهِمْ
وزفيرهم بأنينهم مَوْصُول
أما الرجاء، وطالما عاشوا به
فالدمعُ يشهد أنه مقتول
والياس موتٌ غير أن صريعَه
يبقى، وأما نفسه فتَزول
رباه، قد بلغ الشَّقَاءُ أشدَّهُ
رُحْمًا إن الراحمين قليل



في الله والوطن العزيز عصابة
نُكِبُوا، فذا عانٍ وذاك قتيل
لو لم يمت شَمَمُ النفوس بموتهم
ثار الشَّامُ، لموتهم، والنيل
يا نازحين عن الشَّام تذكروا
من في الشَّام وما يليه نُزول

(١) اضطراب في الأصل، وأقرب الكلمات إلى المعنى الذي يريده الشاعر كلمة (مجبول) بالهموم.

هَمْ الممالكِ في الجِهَادِ، وهُمُّكُمْ
قالُ تَسِيرِ به الطُّروسِ وقِيل
هَبُّوا ؛ اعملوا لبلاكم ولنسلكم
بئس الحياةُ سَكِينَةٌ وخُمُول
لا تَقْبِضُوا الأيدي فهذا يومكم
شَرُّ الوري جَعْدُ البَنانِ بِخِيل^(١)
وعَدَ الآلهُ المحسنينَ ببره
وكما عَلمتمْ، وعُدّه تَنوِيل

(١) البنان الجعد: كناية عن البخل.

٥١ - ما للكواكب

[الكامل]

شَوْقٌ يَرُوحُ مَعَ الزَّمَانِ وَيَغْتَدِي
وَالشَّوْقُ، إِنَّ جَدَّتَهُ يَتَجَدَّدُ
دَعُ عَنْكَ نُصْحِي بِالتَّبَلُّدِ سَاعَةً
يَا صَاحِبَ، قَدْ زَهَبَ الْأُسَى بِتَبَلُّدِي
مَا زَادَ فِي أَسْفِ الْحَزِينِ وَشَجْوِهِ
شَيْءٌ كَقَوْلِكَ لِلْحَزِينِ: تَجَلَّدْ!
مَا زِلْتُ أَعْصِيهِ إِلَى أَنْ هَاجَنِي
ذِكْرُ الْحِمَى فَعَصَيْتُ كُلَّ مُفْنِدٍ^(١)
وَأَطَارَ عَنْ جَفَنِي الْكَرَى وَأَطَارَنِي
عَنْ مَرَقْدِي مَشْنَى الْهَمُومِ بِمَرَقْدِي
فِي جَنَحِ لَيْلٍ مِثْلِ حَظِّي حَالِكٍ
كَالْبَحْرِ سَاجٍ... مَقْفَرٍ كَالْفَدْفَدِ^(٢)
أَقْبَلْتُ أَنْظُرُ فِي النُّجُومِ مُصْعِدًا
عَيْنِي بَيْنَ مُصَوِّبٍ وَمُصْعَدٍ
أَوْ وَاجِفٍ أَوْ رَاجِفٍ مُتَرَجِّجٍ
أَوْ نَافِرٍ أَوْ حَائِرٍ مُتَرَدِّدٍ
يَمَشِينَ فِي هَذَا الْفَضَاءِ وَفَوْقَهُ
وَكَأَنَّمَا يَمَشِينَ فَوْقَ الْأَكْبَدِ

(١) التفنيد: اللوم وتضعيف الرأي.

(٢) سجا: امتدَّ وسكن. والفدغد: المفارقة الواسعة الخالية.

والبدرُ منبعتُ الشُّعاعِ لطيفُهُ
 صافٍ كذهنِ الشاعرِ المتوقِّدِ
 ما زالَ يَنفُذُ في الدُّجى حتى استوى
 فيه، فيا لكَ أبيضاً في أسود
 والشُّهْبُ تلمعُ في الرُّقيعِ كأنها
 أحلامُ أرواحِ الصِّغارِ الهُجْدِ
 ينظُرُنَ عن كُتُبٍ إليه خِلَسةً
 نظرَ المِلاحِ إلى الغريرِ الأُمردِ^(١)
 فعجبتُ ممَّن نامَ ملءَ جفونه
 والكونُ يشهدُ مثلَ هذا المشهدِ
 ورأيتُني فوقَ الغَمَامِ مُحَلَّقاً
 في الأفقِ ما بين السُّها والفرقدِ
 فسمعتُ صوتاً من بعيدٍ قائلاً
 يا أيُّها الساري مكانكَ تُحمد
 ما دمتَ في الدنيا فلا تزهدُ بها
 فأخو الرُّهَادَةِ ميّتٌ لم يُلحدِ
 لا تَقْنَطَنَّ من النِّجَاحِ لِعَثْرَةٍ
 ما لا يُنالُ اليومَ يُدرِكُ في غدِ
 كم أَكلَ ثَمراً سقاهُ غيرُهُ
 دمه، وكم من زارعٍ لم يَحْصُدِ
 لو كان يَحْصُدُ زرعَهُ كُلُّ امرئٍ
 لم تُخلَقِ الدنيا ولم تَتَجَدَّدِ
 بالذِّكْرِ يحيى المرءُ بعدَ مماته
 فانهضْ إلى الذِّكْرِ الجميلِ واخلدِ

(١) الغرير والغُرّ: الشاب الذي لا تجربة له.

فلئن ولدت ومُتَّ غيرَ مَخْلُودٍ
أثراً فأنت كَأَنَّمَا لم تُولَدِ
حَتَّامَ في لا شيءَ يَقْتَتِلُ الوري
إن الحِمَامَ على الجميع بِمَرُصَدِ
طاشتُ حُلُومَ المالكين، فذاهلُ
لا يَسْتَفِيقُ، وحائرُ لا يَهْتَدِي
وأفقتُ، إذ قطع الكلامَ مَكَلَمِي
فنظرتُني فإذا أنا لم أَصْعَدِ



ما للكواكِبِ لا تنام ولا تَنِي
قد طال سُهدكِ يا كواكبُ فارقُدي
كم تنظرين إلى الثرى من حَالِقِ
ما في الثرى لأخي الأسي من مُسْعِدِ
أو ما تريَني عندما اشتدَّ الدُّجى
واشتدَّ دائي نام عني عُوْدِي
حتى لقد كاد القَرِيضُ يَعْقُنِي
ويصونُ عَنِّي ماءً وأنا الصَّدي
أمسي أهُمُّ به ويظَلُّعُ خاطري
فكأنما أنا ماتح من جَلْمِدِ^(١)
لا تسأليني لِمَ سَهِدْتُ فَإِنِّي
لو كان في وَسْعي الكرى لِمَ أَسْهَدِ
صرفتُ يدُ البلوى يدي عن أمرها
ما خِلْتُ أَمْرِي قَطُّ يَخْرُجُ من يدي
في أضلعي نارٌ أذابت أضلُعي
ومشت إلى كَبْدي ولَمَّا تَخْمَدِ

(١) ظلع: عرج وغمز في مشيته. ومتح الدلو: جذبه إليه ليستقي منه.

أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخاف أن أشكو فيشمت حسدي



ومليحة لا هند من أسمائها
كلا، وليست كالحسان الخُرد^(١)
نشز الجواري، والإماء تمردت
وونت فلم تنشز ولم تتمرد
في النفس منها ما بها من دهرها
أزكى السلام عليك أرض الموعد
يا ليت شعري كم أقول لها: انهضي
وتقول أحداث الزمان لها: اقعدي
ليس الذي لاقته هيئنا إنما
حمل الأذى هيئ على المتعود!



(١) الخريدة: البكر.

٥٢ - الحاجة إلى الخرس

[البسيط]

ما كان أَحْوجَني يوماً إلى أُذُنٍ
صَمَّاءٍ إلا عن المَحْبُوبِ ذي الأُنْسِ
كي لا يُصدِّعَ رأسي صوتُ نائحةٍ
ولا تُقطِّعَ قلبي أنَّةُ التَّعَسِ
ولا يمرَّ نفسي الأدعياءُ ولا
ذمُّ الأفاضلِ من ذي خِسَّةٍ شَرِسِ
أقولُ هذا عسى حُرٌّ يقولُ معي:
ما كان أَحْوجَ بعضِ الناسِ للخرسِ!

٥٣ - البغضاء^(١)

(معربة)

[البسيط]

لَا نُبْغِضُ «الروسَ» لَكِنْ لَا نُحِبُّهُمْ
فَحَرْبُنَا حَرْبُ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ
وَلَا «الفرنسيينَ» مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا
لَكِنَّهُمْ غَيْرُ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانٍ
إِنَّا نَبَادِلُهُمْ وَالنَّقْعُ مُنْسَدِلٌ
طَعْنَا بِطَعْنٍ وَنِيرَانًا بِنِيرَانٍ^(٢)
وَذِي بِيَارِقُنَا فِي «الْفُوجِ» خَافِقَةٌ
وَجِيشُنَا ظَافِرٌ فِي كُلِّ مِيدَانٍ^(٣)
قُلُوبُنَا لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ مَوْجِدَةٍ
ذُو الشَّيْبِ فِيهَا وَفَحْمُ الشَّعْرِ سَيَّانٍ
نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا
كَوَاحِدٍ وَكَذَا نَقْلِي^(٤) كإِنْسَانٍ
عَدَوْنًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يُعْرِفُهُ
ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي

(١) وردت الملاحظة التالية في الديوان الأصل: «هي القصيدة المشهورة التي نظمها الشاعر الألماني «ارنست ليسوار» في غضون الحرب، فكان لها في ألمانيا دوي ورنين. وقد نال ناظمها من إمبراطوره وساماً عالمياً من نوع «الصليب الحديدي» دلالة على الاستحسان والرضا. ولما كانت هذه القصيدة قد نقلت إلى أكثر اللغات فقد اقترحت جريدة «مرآة الغرب» اليومية على صاحب الديوان أن ينقلها إلى عالم الشعر العربي ففعل». أحسبه يسقطها على (الأثراك العثمانيين)!

(٢) النقع: غبار المعارك.

(٣) الفُوج: Vosges جبال في شرقي فرنسا، تمتد إلى ١٢٠ كم، كانت ساحة لمعارك كبيرة في الحرب العالمية الأولى.

(٤) قلاه - يقلبه: أبغضه (والاسم: القلى).

تردُّنا عنه أمواجٌ يلوذُّ بها
 سميكةٌ كالنَّجِيعِ^(١) اليابسِ القاني
 أرى به، وهو في الطوفانِ مختبئٌ،
 طوفانٌ غيظٌ توارى خلفَ طوفانِ
 قد أصبح الماءُ يحميه ويمنعه
 الويلُّ للماءِ منَّا، إنه جانٍ
 قِفوا أمامَ القضاءِ العدلِ كُلِّكُمْ
 وليحلفنَّ يمينًا كلُّ ألماني
 غليظةٌ كالحديدِ الصلبِ، صارمةٌ
 كالموتِ، تبقى لأدهارٍ وأزمانِ
 أن نُبغضَ البُغضَ لا تبلى مرائرهُ
 ولا يُقاسُ ولا يُحصى بميزانِ
 وأن نردِّده في كلِّ ناحيةٍ
 وأن نكرِّره تَكْرِيرَ ألحانِ
 وأن نُعلِّمَ منَّا كلَّ ذي كبدٍ
 أن يُبغضَ القومَ في سرٍّ وإعلانِ
 بغضًا إلى نسلنا بالإرث منتقلًا
 إلى بنيهم ومن جيلٍ إلى ثانٍ
 عدوُّنا واحدٌ، الكلُّ يعرفه
 ذاكَ الحسودُ الخبيثُ الماكرُ الشَّانِي^(٢)
 إنكَلتِرا
 ألا اسْمَعُوا أيها الألمانُ واعتبروا
 فأنتم أهلُ البابِ وأذهانِ
 في مَحْفَلٍ جلسَ القُوَّادُ كُلُّهُمْ
 كمُحْكَمِ العِقْدِ أو مرصوصِ بُنيانِ

(١) النجيع: دم الجوف.

وقام واحدُهُمُ والكأسُ في يده
 كأنَّها قَبَسٌ أو عَيْنٌ غَضْبَانِ
 فقال: يا قومُ «هذا سرُّ يومِكُمْ»
 ألا اشربوا ؛ إن سرَّ اليومِ سرَّانِ
 مقالةٌ فعلتُ في الجمعِ فعلتها
 فأصبحوا وكانَّ الواحدَ اثنانِ
 ما ضربةُ السَّيفِ من ذي مِرَّةٍ بطلِ
 ومستطيرُ اللَّطى من قلبِ صَوَّانِ^(١)
 ولا السفينةُ في التَّيَّارِ جاريةُ
 ولا الشَّهابُ هوى في إثرِ شيطانِ
 أمضي وأنفذُ منها وهي خارِجةُ
 من فيه كالسَّهمِ من أحشاءِ مرَّنانِ^(٢)
 فضاءَ مَنْ كان، في الكأسِ التي ارتفعت
 ومَنْ يريد ويَعني القائلُ العاني؟^(٣)
 إنكَلترا
 بني بَريطانيا نادوا جموعَكُم
 واستصرخوا الخَلْقَ مِنْ إنسٍ ومن جَانِ
 وابنوا المعاقِلَ والأسوارَ من ذهبٍ
 واستأجروا الجُنْدَ مِنْ بيضٍ وعِبدانِ
 مُرُوا أساطيلَكُم في البحرِ ترصدُنَا
 وترصدُ البحرَ من موجٍ وحيَتانِ
 تالِهَ لا ذي ولا هذي تردُّ يَدًا
 إذا رَمَتْ دَكَّتِ البُنَيانَ والباني



(١) المرَّة: القوة وشدة العقل.

(٢) المرَّنان: القوس الذي ينطلق منه السهم.

(٣) ضاء الشيء: أثار وأشرق.

لَا نُبْغِضُ الرُّوسَ لَكِنْ لَا نُحِبُّهُمْ
 فَحَرَبْنَا حَرْبَ أَقْرَانٍ لِأَقْرَانٍ
 وَلَا الْفِرَنْسِيِّسَ، مَا هُمْ بِالْعُدَاةِ لَنَا
 لَكِنَّهُمْ غَيْرُ أَصْحَابٍ وَإِخْوَانٍ
 إِنَّا نَبَادِلُهُمْ وَالنَّفْعُ مَنْسَدِلٌ
 طَعْنَا بَطْعَنٍ وَنِيرَانًا بِنِيرَانٍ
 نَأْتِي وَيَأْتُونَ وَالْهَيْجَاءُ قَائِمَةٌ
 بِكُلِّ مَاضٍ وَفَتْكَاءٍ وَطَعْنٍ
 لَكِنَّمَا فِي غَدٍ يُرْخِي السَّلَامُ عَلَى
 هَذِي الْوَغَى وَعَلَيْهِمْ سِتْرٌ نِسْيَانٍ
 وَيَمْحِي كُلَّ بَغْضٍ غَيْرَ بَغْضِكُمْ
 فَإِنَّهُ آمَنٌ مِنْ كُلِّ نُقْصَانٍ
 حَقْدُ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَا يَزُولُ وَإِنْ
 زُلْتُمْ وَزُلْنَا وَزَالَ الْعَالَمُ الْفَانِي
 فِي الْأَرْضِ بُغْضُكُمْ وَالْمَاءُ مِثْلُهُمَا
 وَالْبَغْضُ فِي الْحَرِّ مِثْلُ الْبَغْضِ فِي الْعَانِي^(١)
 الْكُوْخُ يُبْغِضُكُمْ وَالْقَصْرُ يُبْغِضُكُمْ
 وَكُلُّ ذِي مُهْجَةٍ مِنَّا وَوَجِدَانٍ
 نَهْوَى وَنَحْنُ جَمُوعٌ لَا عِدَادَ لَهَا
 كَوَاحِدٍ، وَكَذَا نَقْلَى كَأِنْسَانٍ
 عَدُونًا وَاحِدٌ، الْكُلُّ يُعْرِفُهُ
 ذَاكَ الْحَسُودُ الْخَبِيثُ الْمَاكِرُ الشَّانِي
 إِنَّكَ لَتَرَا

(١) العاني: الذليل والأسير.

٥٤ - حكاية قديمة

[الطويل]

وريت أمريكية خلت ودها
يدوم، ولكن ما لغانية ود
صبوت إلى هند فلما رأيتها
سلوت بها هنداً وما صنعت هند
وأوحت لها عيناى أن صبابه
تلجلج في صدري وأحذر أن تبدو
فألقت إلى أترابها وتبسّمت:
أعني سكوت الصب أم صمته عمّد؟
فقلت: سلام الله، قالت: وبره،
فقلت: أهزل ذلك القول أم جدّ؟
وأمسكت أنفاسي وأرهفت مسمعي
ففي نفسي جزر وفي مسمعي مدّ
فقالت: ويدنا لو عرفنا من الفتى
وما يبتغيه؟ قلت: ما يبتغي العبد؟
له كبد حرّى، وقلب مكلّم
غلطت، فما للصب قلب ولا كبد
قتيل ولكن ثوبه كفّن له
وكل مكان يستريح به لحد
فإن لم يكن من نظرة ترأب الحشا
فردي عليه قلبه وبه زهد

فَضَرَجَ خَدَّيْهَا احْمَرَارُ كَأَنَّمَا
تَصَاعَدَ مِنْ قَلْبِي إِلَى خَدَّهَا الْوَجْدُ
وَقَرَّبَهَا مِنِّي وَقَرَّبَنِي الْهُوَى
إِلَى أَنْ ظَنَنْنَا أَنَّهَا وَاحِدٌ فَرُدَّ
وَكَهَرَبَ رُوحِينَا فَلَمَّا تَنَهَّدَتْ
تَنَهَّدْتُ حَتَّى كَادَ صَدْرِي يَنْهَدُ
وَكَانَ حَدِيثُ خِلْتُ أَنِّي حَفِظْتُهُ
فَأَذْهَلَنِي عَنْهُ الَّذِي كَانَ مِنْ بَعْدُ



أَمَرْتُ فَوَادِي أَنْ يُطِيعَ فَوَادَهَا
فِيَبْكِي كَمَا تَبْكِي وَيَشْدُو كَمَا تَشْدُو
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: هَذِهِ مَنْتَهَى الْمُئْنَى
وَهَذَا مَجَالُ الشُّكْرِ إِنْ فَاتَكَ الْحَمْدُ
فَإِنْ تَرَعْبِي عَنْهَا، وَفِيكَ بَقِيَّةُ،
فَمَا أَنْتَ نَفْسِي إِنَّمَا أَنْتَ لِي ضِدٌّ
وَمَرَّتْ لِيَالٍ وَالْمُنَى تَجْذِبُ الْمُئْنَى
وَقَلْبِي، كَمَا شَاءَتْ، يَلِينُ وَيَشْتَدُّ
نُروُحٌ وَنَغْدُو وَاللِّيَالِي كَأَنَّهَا
وَقُوفٌ لِأَمْرٍ لَا تُرُوحُ وَلَا تُغْدُو
وَمَا زِلْتُ تَسْتَخْفِي عَلَيَّ عُيُوبُهَا
إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْغَيُّ وَاتَّضَحَ الرُّشْدُ
رَأَى الدَّهْرُ سُدًّا حَوْلَ قَلْبِي وَقَلْبِهَا
فَمَا زَالَ حَتَّى صَارَ بَيْنَهُمَا السَّدُّ
خُدِعَتْ بِهَا وَالْحُرُّ سَهْلٌ خُدَاعُهُ
فَلَا طَالَعِي يُمَنِّ وَلَا كُوكْبِي سَعْدُ

وكنّا تعاهدُنا على الموتِ في الهوى
فما لبثتُ إلا كما يلبثُ الوردُ
كأنّي ما ألصقتُ ثغري بثغرها
ولا باتَ زندي وهو في جيدها عقد
ولم نشتَمَلْ بالليل والحي نائمٌ
ولم نستترْ بالروض والليل مُمتدٌ
ولا هزّنا شدو الحمام في الضحى
ولا ضمّنا بيتٌ ولم يحونا بُردٌ



أإنّ لاح في فُودي القَتِيرُ نَكَرتني
أيزهدُ في الصَّمصَامِ إنْ أَخْلَقَ الغِمْدُ^(١)
لئن كان لونُ الشَّعرِ ما تعشقينّه
فدمٌ أبيضاً ما دمتَ يا شعري الجعدُ
فلا تشمّمتي مني فلستِ بمأمنٍ
ولا تزهدِي فيه، فليس به زهدٌ
هو الفاتحُ الغازي الذي لا تردّه
عن الفاتح الغازي قِلاعٌ ولا جُندُ
فلو كان غيرَ الشَّيبِ عني صرفتهُ
ولكنّ حُكمَ الله ليس له ردٌّ
وإنْ تُعرضي عن مَفرقي وهو أبيضٌ
فيا طالما قبَلتَه وهو مُسودٌ
شفى الله نفسِي لا شفى الله نفسَهَا
ولا غاب عن أجفانِها الدمعُ والسُّهدُ

(١) القتير: الشيب أو أوائله. وخلق - يخلق: بلي (وأخلق أيضاً).

فلا تُغْرِها دُرٌّ ولا أُقْحوانَةٌ
 ولا دمعُها طَلٌّ ولا ريقُها شَهْدٌ
 ولا قَدُّها غِصْنٌ ولا خيزرانَةٌ
 ولا خصرُها غَوْرٌ ولا رِدْفُها نَجْدٌ
 ولا وجهُها شمسٌ ولا شعرُها دُجَى
 ولا صدُّها حَرٌّ ولا وصلُها بَرْدٌ
 أَحَبُّ إلى نفسي الرَّدَى من لقائِها
 وأَجْمَلُ في عينيَّ من وجهِها القِرْدُ!
 فإن تلمسِ الثوبَ الذي أنا لابسٌ
 قَدَدْتُ بكفِّي الثوبَ من قَبْلِ يَنْقَدِ^(١)
 وإن تَقَرَّبِ الدارَ التي أنا ساكنٌ
 هَجَرْتُ مِغانِيها ولو أنها الخُلْدُ
 فإن كان غيري لم يزلْ دينُهُ الهوى
 فإنني، ولا أخشى المَلامَةَ، مرتدٌّ!!

(١) التقدير: من قبل أن ينقَدَ (قَدَّه: شَقَّه بال طول).

٥٥ - لمن الديار

[الكامل]

لِمَن الدِيَارُ تَنُوحُ فِيهَا الشُّمَالُ
مَا مَاتَ أَهْلُوهَا وَلَمْ يَتَرَحَّلُوا
مَاذَا عَرَاهَا، مَا دَهَا سَكَّانَهَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي كُتِّبُوا أَمْ قُتِّلُوا؟
مَتَّيْتُهَا فَتَمَتَّتْ فِي خَاطِرِي
دِمْنًا لَغَيْرِ الْفِكْرِ لَا تَتَمَتَّلُ
تَمْشِي الصَّبَا مِنْهَا بِرَسْمِ دَارِسٍ
لَا رُكُزَ فِيهِ كَأَنَّمَا هِيَ هَوَجْلٌ^(١)
وَإِذَا تَأَمَّلَ زَائِرٌ أَثَارَهَا
شَخِصَتْ إِلَيْهِ كَأَنَّمَا تَتَأَمَّلُ
أَصْبَحْتُ أُنَدِبُ أُسْدَهَا وَظَبَاءَهَا
وَلَطَّالَمَا أَبْصَرْتُنِي أَتَغَزَّلُ
أَيَّامَ أَنْظُرُ فِي الْحِمَى مُتَهَلِّلًا
وَأُرَى الدِيَارَ كَأَنَّمَا تَتَهَلَّلُ
وَأُرُوحُ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ وَأُعْتَدِي
جَذْلَانَ لَا أَشْكُو وَلَا أَتَعَلَّلُ
إِذْ كُلُّ طَيْرٍ صَادِحٍ مُتَرَنِّمٌ
إِذْ كُلُّ غَصْنٍ يَانِعٍ مُتَهَدِّلُ
وَالْأَرْضُ كَاسِيَةٌ رِْدَاءً أَخْضَرًا
فَكَأَنَّمَا دِيْبَاجَةٌ أَوْ مُخْمَلُ

(١) الرِّكْزُ: الصوت. والهَجْلُ والهَجْلُ: المغازاة الواسعة.

يجري بها، فوق الجُمانِ من الحصى
 بين الزبرجد^(١) والعقيق، الجدولُ
 والزهرُ في الجنّاتِ فيأحُ الشَّذَا
 يندى الصَّباحُ متوجُّ ومُكَلَّلُ
 والشمسُ مشرقةٌ يلوحُ شعاعُها
 خلَّلَ الغصونِ، كما تلوحُ الأنصُلُ
 والظلُّ ممدودٌ على جنّباتِها
 والماءُ مغمورٌ به المُخَضَّوِضُ
 لله كيف تبدلتُ آياتُها
 من كان يحسبُ أنها تتبدّلُ؟



زحفَ الجرادُ بقضهٖ وقضيضهٖ
 سَيرَ الغمامُ إذا رَفَتَهُ الشَّمَالُ^(٢)
 حجبَ السَّماءَ عن النواظرِ والتَّرى
 فكأنه الليلُ البهيمُ الأليل^(٣)
 من كلِّ طيِّارٍ أرقَّ جناحَه
 لفحُ الحرورِ وطولُ ما يَتَنَقَّلُ
 عَجِلَ إلى غاياته مُستوفِزِ
 أبداً يشدُّ العَجَزَ منه الكلِّكلُ^(٤)
 خَشِنَ الإهابُ كأنه في جَوْشَنِ
 وكأنما في كلِّ عضوٍ مِنْجَلُ^(٥)

(١) الزبرجد: الزمرد.

(٢) رفته: دفعته ربح الشمال.

(٣) الأليل: الممتد الطويل.

(٤) الكلكل: الصدر.

(٥) الجوشن: الدرع.

وكأَنَّمَا حَلَقَ الدُّرُوعُ عُيُونَهُ
 وكأَنَّهُنَّ شَوَاخِصًا تُتَخَيَّلُ
 مصقولةٌ صَقَلُ الزُّجَاجُ يَخَالُهَا
 فِي مَعَزِلٍ عَنْ جِسْمِهِ، الْمُسْتَقْبِلُ
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ مَعَ صَفَاءِ أَدِيمِهَا
 مَا إِنْ تَرَفُّ كَأَنَّمَا هِيَ جَنْدَلٌ^(١)
 ضَيْفٌ أَخْفُ عَلَى الْهَوَاءِ مِنَ الْهَوَا
 لَكِنَّهُ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا أَثْقَلُ
 مَلَأَ الْمَسَارِحَ وَالْمَطَارِحَ وَالرُّبَا
 فَإِذَا خَطَّتْ فَعَلَيْهِ تَخْطُو الْأَرْجُلُ
 حَصَدَ الَّذِي زَرَعَ الشَّيْخُ لِنَسْلِهِمْ
 وَقَضَى عَلَى الْقُطَّانِ أَنْ يَتَحَوَّلُوا
 مِمَّا تَمَّ مِنْ فَانِنٍ إِلَى أَوْرَاقِهِ
 يَأْوِي؛ إِذَا اشْتَدَّ الْهَجِيرُ، الْبَلْبَلُ
 وَإِذَا الْقَضَاءُ رَمَى الْبِلَادَ بِبُؤْسِهِ
 جَفَّ السَّحَابُ بِهَا وَجَفَّ الْمَنْهَلُ



وَقَعَ الَّذِي كُنَّا نَخَافُ وَقُوعَهُ
 فَعَلَى الْمَنَازِلِ وَحَشَّةٌ لَا تَرْحَلُ
 أَشْتَاقٌ لَوْ أَدْرِي بِحَالَةِ أَهْلِهَا
 فَإِذَا عَرَفْتُ وَدِدْتُ أَنِّي أَجْهَلُ
 لَمْ تُبْقِ أَرْجَالُ الدَّبْيِ فِي أَرْضِهِمْ
 مَا يُسْتَظَلُّ بِهِ وَلَا مَا يُؤْكَلُ^(٢)

(١) الجندل: الحجارة.

أَمَسْتُ سَمَاوَهُمْ بِغَيْرِ كَوَاكِبٍ
 وَلَقَدْ تَكُونُ كَأَنَّهَا لَا تَأْفُلُ
 يَمْشُونَ فِي نَوْرِ الضُّحَى وَكَأَنَّهُمْ
 فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَالِكٍ لَا يَنْصُلُ^(١)
 فَإِذَا اِضْمَحَلَّ النُّورُ وَاعْتَكَرَ الدُّجَى
 فَالْخَوْفُ يَعْلُو بِالصُّدُورِ وَيَسْفُلُ
 يَتَوَسَّلُونَ إِلَى الظُّلُومِ وَطَالَمَا
 كَانَ الظُّلُومُ إِلَيْهِمْ يَتَوَسَّلُ
 أَمَسَى الدَّخِيلُ كَأَنَّهُ رَبُّ الْحِمَى
 وَابْنُ الْبِلَادِ كَأَنَّهُ مُتَطَفِّلُ
 يَقْضِي، فَهَذَا فِي السَّجُونِ مُغَيَّبُ
 رَهْنٌ، وَهَذَا بِالْحَدِيدِ مُكْبَلُ
 وَيَرَى الْجَمَالَ كَأَنَّمَا هُوَ لَا يُرَى
 وَيَرَى الْعَيُوبَ كَأَنَّمَا هُوَ أَحْوَلُ
 حَالٌ أَشَدُّ عَلَى النُّفُوسِ مِنَ الرَّدَى
 الصَّابُ شَهِدٌ عِنْدَهَا وَالْحَنْظَلُ^(٢)



مَا لِي أَنْوَحَ عَلَى الْبِلَادِ كَأَنَّمَا
 فِي كُلِّ أَرْضٍ لِي أَخٌ أَوْ مَنْزِلُ
 يَا لَيْتَ كَفًّا أَضْرَمْتُ هَذِي الْوَغَى
 يَبَسَتْ أَنْامُلُهَا وَشَلَّ الْمِفْصَلُ
 تَتَحَوَّلُ الْأَفْلَاكُ عَنْ دَوْرَانِهَا
 وَالشَّرُّ فِي الْإِنْسَانِ لَا يَتَحَوَّلُ

(١) نَصَلُ: ظَهَرَ وَخَرَجَ.

(٢) الصَّابُ: عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ (المفرد: صَابَةٌ).

ما زال حتى هاجَها مَنْ هاجَها
 حرباً يَشِيبُ لها الرضيعُ المَحُولُ^(١)
 فالشَّرْقُ مُرتَعِدُ الفرائصِ جازعُ
 والغربُ من وَقَعَاتِهَا مُتَزَلِزِلُ^(٢)
 والأرضُ بِالْجُرْدِ الصَّوَاهِلِ وَالْقَنَا
 ملأى تَجِيشِ كَمَا تَجِيشِ المَرَجَلِ
 والطَّودُ أَفَاتُ تَلُوحِ وتَخْتَفِي
 والسَّهْلُ أَرْصَادُ تَجِيءِ وَتَقْفُلُ
 والجَوُّ بِالنَّقْعِ المُنْثَارِ مَلْتَمُ
 والبحرُ بِالسُّفْنِ الدَّوَارِعِ مُتَّقِلُ^(٣)
 في كُلِّ مَنْفَرَجِ الجَوَانِبِ جَحْفَلُ
 لَجَبٌ يُنَازِعُهُ عَلَيْهِ جَحْفَلُ
 مَاتَ الحِنَانُ فَكُلُّ شَيْءٍ قَاتِلُ
 وَقَسَا القَضَاءُ فَكُلُّ عَضْوٍ مَقْتَلُ
 فَمُعَقَّرٌ بِثِيَابِهِ مَتَكَفَّنُ
 وَمُجَرَّحٌ بِدِمَائِهِ مُتَسَرِّبِلُ
 كَمِ نَاكِصٍ عَنِ مَآزِقِ خَوْفِ الرَّدَى
 طَلَعَ الرَّدَى مِنْ خَلْفِهِ يَتَصَلَّصِلُ^(٤)
 شَقِيَ الجَمِيعُ بِهَا وَعَزَّ ثَلَاثَةٌ
 ذُنُبُ الفَلَاةِ وَنَسْرُهَا وَالْأَجْدَلُ^(٥)

(١) مضى عامه الأول.

(٢) الفريضة: لحمة في وسط الجنب (الجمع: فرائص).

(٣) النقع: غبار المعارك.

(٤) الصلصلة في الأصل: صفاء صوت الرعد، أو صوت الحديد إذا حرك.

(٥) الأجدل: الصقر.

حَامَتْ عَلَى الْأَشْلَاءِ فِي سَاحَاتِهَا
 فَرَقًا تَعْلُ مِنَ الدَّمَاءِ وَتَنْهَلُ^(١)
 لَهْفِي عَلَى الْأَبَاءِ كَيْفَ تَطَوَّحُوا
 لَهْفِي عَلَى الشُّبَّانِ كَيْفَ تَجْنَدَلُوا
 حَرْبُ جَنَاهَا كُلُّ عَاتٍ غَاشِمٍ
 وَجَنَى مَرَارَتِهَا الضَّعِيفُ الْأَعْزَلُ
 مَا لِلضَّعِيفِ مَعَ الْقَوِيِّ مَكَانَةٌ
 إِنَّ الْقَوِيَّ هُوَ الْأَحَبُّ الْأَفْضَلُ
 تَتَنَصَّلُ السُّوَّاسُ مِنْ تَبِيعَاتِهَا
 إِنَّ الْبَرِيَّ الذَّلِيلَ لَا يَتَنَصَّلُ^(٢)
 قَدْ كَانَ قَتْلُ النَّفْسِ شَرًّا جَرِيمَةً
 وَالْيَوْمَ يُقْتَلُ كُلُّ مَنْ لَا يَقْتُلُ
 وَالْمَالُ كَوْنًا عَلَى الْخَلَائِقِ، عَدْلُهُمْ
 جَوْرٌ، فَكَيْفَ إِذَا هُمْ لَمْ يَعْدِلُوا
 كَتَبُوا بِمَسْفُوكِ النَّجِيعِ نُعُوتَهُمْ
 وَبَنَوْا عَلَى الْجُثَثِ الْعُرُوشَ وَأَتَّلُوا
 صَرَفَ الْجُنُودَ عَنِ الْمُلُوكِ وَظَلَمَهُمْ
 قَوْلُ الْمُلُوكِ لَهُمْ: جُنُودٌ بُسِّلَ
 يَا شَرًّا أَفَاتِ الزَّمَانِ الْمُنْقَضِي
 لَا جَاءَنَا فِيكَ الزَّمَانُ الْمُقْبِلُ



إِنَّ أَبَاكَ سَوْرِيًّا فَقَبِّلِي كَمَا بَكَى الْـ
 «أَعَشَى» مَنَازِلَ قَوْمِهِ «وَالْأَخْطَلُ»^(٣)

(١) النَّهْلَةُ: الشربة الأولى. والعَلَّة: الشربة الثانية.

(٢) السُّوَّاسُ: الساسة.

(٣) «الأعشى» من شعراء الجاهلية، و«الأخطل» من شعراء بني أمية.

ما بي الديار وإنما قُطَّانُها
 إن النفوس لها المَقَامُ الأول
 يا قومُ إن تَنَسَّوْا فلا تَنَسَّوْهُمْ
 أو تَبْخُلُوا فعَلَيْهِمْ لا تَبْخُلُوا
 لبَّوْا نداءَ ذوي المروءة والندي
 ليُقَالَ أُمُّ الشَّامِ أُمُّ مُشْبِلٍ^(١)
 لا تبتغوا شُكْرَ الأَنَامِ وأَجْرَهُمْ
 عَفْوُ الإلهِ هو الثناء الأَجْزَلُ
 في كل يومٍ بينكمُ مسترِفِدٌ^(٢)
 أو طالبٌ أو راهبٌ مُتَجَوِّلٌ^(٣)
 يَأْتِيكُمْ بادي الوفاض فيَنْتَنِي
 وكأنما في بُرْدِهِ «الْمُتَوَكِّلُ»^(٤)
 يبني بِمَالِكُمُ القصورَ لأَهْلِهِ
 وقصوركمُ أَتُوبُكُمْ «وَالْمَعْمَلُ»
 قد حَانَ أَنْ تَسْتَيْقِظُوا فاستيقظوا
 كم تَخْجُلُونَ وكُلُّهُمْ لا يَخْجُلُ
 يا لَيْتَ مَنْ بَذَلُوا نُضَارَهُمْ لِمَنْ
 خَبَّؤُهُ فِي أَكْيَاسِهِمْ لَمْ يَبْذُلُوا
 بل لَيْتَهُمْ جَادُوا عَلَى ذِي فَاقَةٍ
 فحَرَّ بِعُطْفِ الحَسَنِينَ المُرْمِلِ^(٥)



(١) ذات أشبال (ولود).

(٢) المسترِفِد: طالب الرَفْد (العون).

(٣) الوفضة: وعاء الزاد (والجمع: أَوْفَاض). و"المتوكل": الخليفة العباسي.

(٤) المُرْمِل: مَنْ نَفَذَ زَادَهُ.

يَا مَنْ نَرِيدُ صَلَاحَهُ وَصَلَاحَنَا
 إِنَّ الْعُدُولَ عَنِ الْهَوَى بِكَ أَجْمَلُ
 أَيَّبَيْتُ قَوْمُكَ فَوْقَ أَشْوَاكِ الْغَضَا
 وَتَبَيْتُ تَخْطَرُ بِالْحَرِيرِ وَتَرْفُلُ؟
 أَيْنَ الْهَدَى، يَا مَنْ يَبْشُرُ بِالْهَدَى
 أَيْنَ التُّقَى، يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ^(١)
 ظَنَنْتُ بِكَ النَّاسُ الظَّنُونَ وَإِنِّي
 لَأَخَافُ بَعْدَ الظَّنِّ أَنْ يَتَقَوْلُوا
 لَكَ مَقَالَةٌ فَاَنْظُرْ بِهَا مَتَأْمَلًا
 قَدْ يَسْتَفِيدُ النَّاضِرُ الْمَتَأْمَلُ
 لَا قَدْرَ لِلْجُهْلَاءِ حَتَّى يَعْمَلُوا
 لَا فَضْلَ لِلْعُلَمَاءِ حَتَّى يَعْمَلُوا
 سَكَّانُ لِبْنَانَ الْعَزِيزِ وَجَلَّقِ
 حَيَّاكُمْ عَنَّا النَّسِيمُ الْمُرْسَلُ
 لَا نَابَ غَيْرَ عَدُوِّكُمْ مَا نَابَكُمْ
 وَبَلَّغْتُمْ مَا تَأْمَلُونَ وَنَأْمَلُ
 كَمْ تَتَّقُونَ الطَّارِئَاتِ وَنَتَّقِي
 كَمْ تَحْمِلُونَ الْكَارِثَاتِ وَنَحْمِلُ
 لَوْ يَعْقِلُ الْقَدْرُ الْخَوْفُونَ عَذَلَتُهُ
 وَعَذَلَتُهُ، لَكِنَّهُ لَا يَعْقِلُ
 أَبْكِي وَأَسْتَبْكِي الْعَيُونَ عَلَيْكُمْ
 أَيُّ الدَّمُوعِ عَلَيْكُمْ لَا تَهْطُلُ
 إِنْ تَغْفُلِ الدُّنْيَا وَيَغْفُلُ أَهْلُهَا
 عَنْكُمْ، فَخَالِقُ أَهْلِهَا لَا يَغْفُلُ

(١) الْمَزْمَلُ: المتلفف بالثوب.

٥٦ - يا بلادي

[الخفيف]

مثلما يَكْمُنُ اللَّطَى في الرَّمَادِ
هكذا الحبُّ كامنٌ في فؤادي
لستُ مُغرِّىً بِشادنٍ أو شادٍ
أنا صبٌّ متيمٌّ ببلادي
يا بلادي عليك ألفُ تحيةٍ



هو حبُّ لا ينتهي والمنيةُ
لا ولا يضمحلُّ والأمنيةُ
كان قبلي وقبلَ نفسي الشجيةُ
كان من قبلُ في حشا الأزليةُ
وسيبقى ما دامت الأبديةُ!



خَلَّياني من ذكرٍ ليلي وهندٍ
واصرفاني عن كلِّ قَدٍّ وخدٍّ
كلُّ حسناءٍ غيرُ حسناءٍ عندي
أو أرى وجدها بقومي كوجدي
لا حياءُ في الحبِّ والوطنيةُ



كل شيءٍ في هذه الكائناتِ
من جمادٍ وعالمٍ ونباتِ

وقديمٍ وحاضرٍ أو أتِ
صائرٌ للزَّوالِ أو للمَـماتِ
غيرَ شوقي إليك يا سوريَّة
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

أنتِ ما دُمتِ في الحياة حياتي
فإذا ما رجعتُ للظُّلُماتِ
واستحالتْ جوارحي ذرَّاتِ
فَلتَقُلْ كُلُّ ذرَّةٍ من رُفاتي
عاش لبنانٌ، ولتعشُ سوريَّة
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ولتَقُلْ كُلُّ نفحةٍ من نَدِّ
ولتَقُلْ كُلُّ دمعَةٍ في خَدِّ
ولتَقُلْ كُلُّ غرسةٍ فوق لحدي
وليقُلْ كلُّ شاعرٍ من بَـعدي
عاشُ لبنانُ، ولتعشُ سوريَّة
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

رُبَّ ليلٍ سَهَرَتْهُ للصباحِ
حائراً بين عَسْكرِ الأشباحِ
ليس لي مؤنسٌ سوى مصباحي
ونداءِ الملاحِ للملاحِ
وصراخِ الزَّوارقِ الليليةِ
❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تتهادى في السيرِ كالمَلِكاتِ
أو كسِرِّبِ النُّعامِ في الفلواتِ

مُقبَلاتٍ في النهر أو رائحاتٍ
تحت ضوءِ الكواكب الزَّاهراتِ
فوق ماءٍ كالْبُرْدَةِ اليمنيَّةِ



تتمشَّى في صفحَتَيْهِ النسائمُ
فترى المَوجَ فيه مثلَ الأرقامِ
يتلوَّى، وتارةً كالْمَعاصِمِ
كَلَفَ الماءُ بالنسيمِ الهائمِ
ليتني كنتُ نسمةً شرقيَّةِ



هجع الناس كلُّهم في المدينة
وتولَّتْ على «نيويورك» السَّكينةُ
وجُفوني، بغمضها، مستهينةُ
لا ترى غيرَ طيفِ تلك الحَزينةِ
لستُ أعني بها سوى سوريَّةِ



ذاك ليلٌ قطَعْتُه أَتأملُ
رسمَها الصامتَ الذي ليس يَعْقِلُ
وبناني معَ خاطري تَتَنَقَّلُ
بين هذا الحمى وذاك المنزلِ
والرُّبَا والخمائلِ السُّنْدسيَّةِ



هَهِنا رسمُ منزلٍ أَشتهيه
هَهِنا مَرَبَعٌ أَحِبُّ ذُوِيهِ

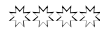
ههنا رَسْمٌ مَعَهْدٍ كُنْتُ فِيهِ
مَعَ رِفَاقِي أَجْرُ ذِيَلِ النَّيِّهِ
فِي الضُّحَى، فِي الْأَصِيلِ، بَعْدَ الْعَشِيِّ



كَمْ تَطَلَّعْتُ فِي الْخُطُوطِ الدَّقِيقَةِ
وَلِنَّمْتُ الطَّرَائِقَ الْمَنْسُوقَةَ
قَنِعْتُ بِالْخِيَالِ نَفْسِي الْمَشُوقَةَ
لَيْتَ هَذَا الْخِيَالَ كَانَ حَقِيقَةَ
فَعَذَابِي فِي لَذَّتِي الْوَهْمِيَّةِ



يَا رُسُومًا قَدْ هَيَّجَتْ أَشْوَاقِي
طَالَ، لَوْ تَعْلَمِينَ، عَهْدُ الْفِرَاقِ
أَيْنَ تِلْكَ الْكُؤُوسُ، أَيْنَ السَّاقِي؟
أَيْنَ تِلْكَ الْأَيَّامُ، أَيْنَ رِفَاقِي؟
أَيْنَ أَحْلَامِي الْحِسَانُ الْبَهِيَّةُ؟



يَا رُسُومَ الرُّبُوعِ وَالْأَصْحَابِ
بِحَيَاتِي عَلَيْكَ بِالْأَحْبَابِ^(١)
أَخْبَرِينِي فَقَدْ عَرَفْتُ مُصَابِي
أَتَرَى عَائِدُ زَمَانُ التَّصَابِي
أَمْ طَوَّئَتْهُ عَنَّا يَدُ الْأَبْدِيَّةِ؟



سَبَقْتَنِي دُنْيَا أَرَادَتْ لِحَاقِي
فَأَنَا الْآنَ أَخْرِفُ فِي السَّبَّاقِ

(١) الرسوم: الآثار.

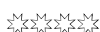
نصفٌ عمري يرثيه نصفِي الباقي
كـرثاء الأوراق للأوراق
يبسُّ الأصل والفروعُ نديَّة



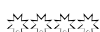
ما تُراني إذا تغنَّى الشَّادي
ومضى في الغِناء والإنشادِ
فأطَّارَ الأسي عن الأكبادِ
أحسبُ العُودَ في يديه يُنادي
أيها القومُ أنقذوا سوريَّة!



وإذا ما جالستُ تحت الظُّلامِ
أرقُبُ البدرَ من وراء الغَمَامِ
رنَّ في مَسْمَعي فهزَّ عظامي
شبهه صوتٌ يقول للنُّوَامِ
أيها القومُ أنقذوا سوريَّة!



وإذا ما ذهبْتُ في البُسْتانِ
بين زهرِ الخُزام والأقْحوانِ
أسمعُ الهاتِفاتِ في الأفنانِ
قائلاتٍ ولى كلامِ معانِ
أيها القومُ أنقذوا سوريَّة!



وإذا ما وقفتُ عند الغديرِ
حيث تمشي الطيورُ خلفَ الطُّيورِ

خِلْتُ أَنْ الْأَمْوَاهَ ذَاتَ الْخَرِيرِ
قَائِلَاتٌ مَعِيَ لِأَهْلِ الشُّعُورِ
أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْقِذُوا سُورِيَّ!



مَا لِقَوْمِي وَقَدْ دَهَتْهَا الدَّوَاهِي
بِالَّذِي يُطْفِئُ النُّجُومَ الزَّوَاهِي
وَيُثِيرُ (الْحَمَاسَ) فِي الْأَمْوَاهِ
فَقَعَدُوا بَيْنَ ذَاهِلٍ أَوْ لَاهٍ
أَيْنَ أَيْنَ الْحَفِيزَةُ الْعَرَبِيَّةُ؟



هِيَ أُمَّ لَكُمْ وَأَنْتُمْ بَنُوهَا
حَفِظْتُ عَهْدَكُمْ فَلَا تُنْكِرُوهَا
أَنْتُمْ أَهْلُهَا وَأَنْتُمْ ذَوُّهَا
لَا تُعِينُوا بِالصَّمْتِ مَنْ ظَلَمُوهَا
ذَاكَ عَارٌ عَلَى النُّفُوسِ الْأَبْيَّةِ



كُنْ نَبِيًّا يَسْتَنْزِلُ الْإِلَهَامَا
كُنْ مَلِيكًا يُصَدِّرُ الْأَحْكَامَا
كُنْ غَنِيًّا، كُنْ قَائِدًا، كُنْ إِمَامَا
كُنْ حَيَاةً، كُنْ غِبْطَةً، كُنْ سَلَامَا
لَسْتُ مَنِي أَوْ تَعَشِقَ الْحُرِّيَّةُ!



٥٧ - الفردوس الضائع^(١)

[الكامل]

ما زال يمشي في الأمور بفكره
حتى تمشى النوم في الأجفان
وكما يرى الوسنان راء كأنه
في النعش ميت هامد الجثمان
وعلى جوانب نعشه صقان
من جند «البرت» الرفيع الشأن
يكونه لا شامتين بموته
ليس الشماتة عادة الشجعان
ورأى حوالبه جماهير الورى
تستعرض الملحود في الأكفان
وكأنما كره اختلاط رفاته
في الأرض، بالضّعفاء والعبدان
أو أن مرأى الحشد أقلق روحه
في جسمه فهفا إلى الطيران
ومن العجائب في الكرى أن الفتى
يغدو به وكأنه شخصان



أم السماء وقد توهم أنه
لا شك والجها بلا استئذان

(١) أو رؤيا القيصر الألماني.

ما زال يرقى صاعداً حتى انتهى
 حيث الغناء مئالت ومئاني
 فرمى بناظره فأبصر بابها
 فمشى إليه مشية العجلان
 وأقام يقرعه فأقبل «بطرس»
 ذو الأمر في الفردوس والسلطان
 وأدار فيه لحظة فلإذا به
 ضيف، ولكن ليس كالضيفان
 ما جاءنا بك؟ صاح «بطرس» غاضباً
 يا شر إنسان على الإنسان
 اذهب فما لك في السما من موضع
 يا أيها الرجل الأثيم الجاني
 ثم انثنى للباب يحكم سده
 والضيف لم ينبس ببنت لسان
 ما ذي الفظاظه؟ قال: «وليم»، وانثنى
 لليأس كالمصفود في الأقران^(١)
 وبمثل لمح الطرف أسرع هابطاً
 نحو الجحيم يقول: ذاك مكاني
 هيهات يحرم من جهنم عائد
 من جانب الفردوس بالحيرمان
 حتى إذا صار دون رتاجها
 سمع «الزعيم» يصيح بالأعوان
 أ بني جهنم أوصدوا أبوابكم
 واستعصموا كالطير بالأوكان^(٢)

(١) جمع القرن الذي هو الحبل، قرون.

(٢) الوكن: عش الطائر في الجبل أو في الجدار.

كونوا على حذرٍ ففي هذا الضُّحى
يأتي إلينا قيصراً الألمان
إن كنتم لم تعرفوه فإِنَّهُ
رجلٌ بلا قلبٍ ولا وِجْدان
أخشى على أخلاقكم إن زاركُم
وهي الحِسانُ تصيرُ غيرَ حِسان
إياكم أن تسمَحوا بدخوله
فدخولُهُ خطرٌ على السُّكان
أمري لكم أصدرتُهُ، فَخُذُوا بِهِ
وحَذَارِ ثم حذارٍ من عِصْيَانِي
ماذا تراني؟ صاح «وليم» باكيًا
حتى الأبالسُ لا تُحبُّ تراني
إبليسُ، يا شيخَ الزُّبانيةِ الألى
كانوا لأخذاني مِنَ الأخْدانِ
رُحْمَاكَ بي، فالليلُ قاسٍ بردهُ
والهولُ يملأُ ناظري وجَنَانِي
بجهنمٍ، بالسَّاكني حُجراتها
بمواقِدِ النَّيرانِ، بالنَّيرانِ
وبكلِّ شيطانٍ مريدٍ مَآكِرٍ
وبكلِّ تابعٍ ماردٍ شيطانٍ^(١)
مُرْ يَنْفَتْحْ بابُ الجحيمِ فإنني
قد كادَ يجمدُ للصقيعِ لساني

(١) التابع في التراث من الجن الذي يتبع الشعراء، ويوحى إليهم.

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ أَذْهَبُ بَعْدَمَا
 سُدَّ السَّبِيلُ وَأُوصِدَ الْبَابَانِ
 مُرُّ لِي بِزَاوِيَةِ أَزْجٍ بِمُهْجَتِي
 فِيهَا، وَإِنْ تَكُ مِنْ حَمِيمٍ أَنْ
 هَلَّا قَبِلْتَ تَضَرُّعِي؟ فَأَجَابَهُ
 إِبْلِيسُ، وَهُوَ يَرُوغُ كَالسَّرْحَانِ: (١)
 لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا سَكْتُ فَلَا تَزِدْ
 لَا رَأْيَ لِلْحَايِرَانِ فِي الْحَايِرَانِ
 عِبْتُ تَحَاوُلُ أَنْ تُصَادَفَ عِنْدَنَا
 نُزُلًا، فَهَذَا لَيْسَ بِالْإِمْكَانِ
 لَا تَذْكُرَنَّ لِي الْحَنَانَ وَمَا جَرَى
 مَجْرَاهُ، إِنِّي قَدْ قَتَلْتُ حَنَانِي
 لَا يَدْخُلَنَّ جَهَنَّمَ ذُو مَطْمَعٍ
 بِالْمَجْدِ أَوْ بِالْأَصْفَرِ الرَّنَّانِ
 إِنْ كُنْتَ تَشْتَاقُ الْإِقَامَةَ فِي اللَّطْفِ
 فَالنَّارُ وَالْكِبْرِيتُ كُلُّ مَكَانٍ
 فَاجْمَعُهُمَا وَاصْنَعْ لِنَفْسِكَ مِنْهُمَا
 وَلَنْ تَحِبُّهُمْ جَحِيمًا ثَانٍ
 وَهَنَا تَقْهَقْهَرُ «وَلِيمٌ» ثُمَّ اخْتَفَى
 مَا بَيْنَ لَيْلٍ حَالِكٍ وَدُخَانٍ
 فَأَفْأَقَ مَذْعُورًا يَقْلُبُ طَرْفَهُ
 لِلرَّعْبِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْحَيِّطَانِ

(١) السَّرْحَانُ: الذَّنْبُ.

ويقول: لا أنساكَ يا حُلُمي ولو
نَسَجْتَ عَلَيَّ عِناكُ النُّسَيان
ما راعني أَني طُرِدْتُ مِنَ السَّما
أنا قانِطٌ مِنْ رَحمةِ الشَّيطان
لكنَّ طُردي مِنْ جَهَنَّمَ، إِنَّه
ما دارَ في خَلْدي ولا حِسْباني

٥٨ - مسرح العشاق

[مجزوء الكامل]

مِنْ سِحْرِ طَرْفِكَ مَنْ مُجِيرِي
يَا ضَرَّةَ الرُّشَاءِ الْغَرِيرِ
جِسْمٌ كَخَصْرِكَ فِي النُّحُو
لِ، وَمِثْلُ جَفْنِكَ فِي الْفُتُورِ
أَصْبَحْتُ أَضَالًا مِنْ هِلَا
لِ الشُّكِّ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ
مَحَقَّ الضُّنَى جِسْدِي فَبِتُّ
تُ مِنْ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرِ
وَمَشَى الرَّدَى فِي مُهْجَتِي
اللَّهِ، فِي النَّفْسِ الْأَخِيرِ
جَهْلَ النَّطَاسِي عُلَّتِي
(١) لِّلَّهِ مِنْ جَهْلِ الْخَبِيرِ
كَمْ سَامَنِي جَرَعُ الدَّوَا
(٢) ءِ، وَكَمْ جَرَعْتُ مِنَ الْمَرِيرِ
دُعْ، أَيُّهَا الْأَسَى، يَدِي
(٣) الْحُبُّ يُدْرِكُ بِالْشُّعُورِ
يَدْرِي الصَّبَابَةُ وَالْهُوَى
مَنْ كَانَ فِي الْبُلُوَى نَظِيرِي!



(١) النُّطَاسِي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.

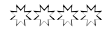
(٢) يريد: المر، والمرير: هو الحبل المقتول.

(٣) الأسى: من يعالج الجراحات (والجمع: أساة).

لو تَنظَرِينَ إِلَيَّ كَأَنَّ
 مَيِّتَ الْمُسْجَى فِي سَرِيرِي
 يَتَهَامَسُ الْعَوَادُ حَوَ
 لِي كَأَمَّا سَمِعُوا زَفِيرِي
 وَأَظُنُّهُمْ قَدْ أَدْرَكُوا
 لَا أَدْرَكُوا، مَا فِي ضَمِيرِي
 فَأَبَيْتُ مِنْ قَلْبِي عَالِي
 لَكَ كَأَنَّنِي فَوْقَ السَّعِيرِ
 وَأَدْرْتُ طَرْفِي فِي الْحُضُورِ
 رِ لَعَلَّ شَخْصَكَ فِي الْحُضُورِ
 فَارْتَدَّ يَعْتُرُ بِالدَّمِ
 عِ تَعْتُرُ الشَّيْخِ الضَّرِيرِ
 قَدْ زَارَنِي مَنْ لَا أَحَبُّ
 بُ وَأَنْتِ أَوْلَى أَنْ تَزُورِي
 صَدَقْتَ مَا قَالَ الْحَوَا
 سِيدُ فِي مَنْ هُجْرٍ وَزُورٍ^(١)
 وَأَطَعْتَ بِي حَتَّى الْعِدَا
 وَضَنْتِ حَتَّى بِالْيَسِيرِ
 أَمَّا خَيَالُكَ، يَا بَخِيْ
 لَةً، فَهُوَ مِثْلُكَ فِي النُّفُورِ
 رُوحِي فِدَاؤُكَ، وَهِيَ لَوْ
 تَدْرِينَ تُفْدِي بِالْكَثِيرِ
 تِيهِي عَلَى الْعَانِي كَمَا
 تَاهَ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ

(١) الهُجْر: الباطل والهديان.

أنا لا أبالي بالمَصِير
وأنت أدري بالمَصِير
أهـواك رَغَمَ مُعَذِّبِي
ويلد نفسي أن تجُوري
ليس المحبُّ بصادقٍ
حتى يكونَ بلا عَذِير



كم ليلةٍ سَاهَرْتُ في
هـا النَجْمُ أَحْسَبُهُ سَمِيرِي
والشُّهُبُ أَقْعَدُهَا الوَنَى
والليلُ يمشي كالأسير
أرعى البُـدُورَ وليس لي
من حاجةٍ عند البُـدُورِ
مُتَذَكِّراً زَمَنَ الصَّبَا
زَمَنَ الفَوَايِةِ والغُرُورِ
أيامَ أخطِرُ في المَجَا
مع والمعاهد كالأمير
أيامَ أمـري في يَـدي
أيامَ نَجْمِي في ظُهورِ
لَمَعَ القَتِيرُ بِإِمَّتِي
ويلُ الشَّبَابِ مِنَ القَتِيرِ^(١)



لا «بالغُويِر» ولا «النُّقَا»
كَألفي ولا أهلِ «الغُويِر»^(٢)

(١) القَتَر، والقَتِير: الغبار، يريد: الشيب.

(٢) الغوير والنقا: مواضع بعينها. والنقا: من كثبان الرمل.

أَرْضَ (الْجَزِيرَةِ) كَيْفَ حَا
لُكَ بَعْدَ وَقْعِ الزَّمْهَرِيرِ
نَزَلَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ مَلَأَ
سَعْبُ كُلِّ سَافِيَةٍ دَبُورٌ^(١)
وَتَبَدَّلْتَ تِلْكَ الْعُورَا
صُ مِنْ النُّضَارَةِ بِالدُّثُورِ
أَمْسَيْتِ كَالطَّلِّ الْمُحِي
لِ وَكُنْتَ كَالرُّوضِ النُّضِيرِ
أَهَاءَ عَلِيكَ وَأَهَ كَيْدِ
فَ نَأْتُكَ رَبِّاتُ الْخُذُورِ
الْمَائِسَاتُ عَنِ الْغُصُورِ
نِ، السَّافِرَاتُ عَنِ الْبُذُورِ
الذَّاهِبَاتُ مَعَ النَّهْودِ،
الذَّاهِبَاتُ مَعَ الصُّدُورِ
الْحَاسِرَاتُ عَنِ السُّوَا
عِدِ وَالتَّرَائِبِ وَالنُّحُورِ^(٢)
الْقَاسِيَاتُ عَلَى الْقُلُورِ
بِ، الْجَانِيَاتُ عَلَى الْخُصُورِ
الْمَالِكَاتُ عَلَى الْإِلَا
لِي فِي الْقَلَائِدِ وَالنُّغُورِ
الضَّاحِكَاتُ مِنَ الدُّلَا
لِ الْبَلَاعِبَاتُ مِنَ الْحُبُورِ
الْأَخِذَاتُ قَالُوَيْنَا
فِي زِيِّ طَاقَاتِ الزُّهُورِ

(١) الدُّبُورُ تَقَابِلُ الْقَبُولِ مِنَ الرِّيحِ. وَجَعَلَهَا لِلْسَّوْفِي.

(٢) التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقَلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ (مُفْرَدُهَا تَرِيْبَةٌ).

بِإِضْ نَوَاعِمُ كَالدُّمَى
يَرْفُلُنَ فِي حُلَّالِ الْحَرِيرِ
مِثْلُ الْحَمَائِمِ فِي الْوَدَا
عَةِ، وَالْكَوَاكِبِ فِي السُّفُورِ
مِنْ كُلِّ ضَااحِكَةٍ كَأَنَّ
نَ بَوَاجِهَهَا وَجَهَ الْبَشِيرِ
أَنَّى أَدْرَتَ الْطَّرْفَ فَيَدِ
هَهَا جَالٍ فِي قَمَرٍ مُنِيرِ



يَا مَسْرَحَ الْعُشَّاقِ، كَمْ
لِي فَيْكَ مِنْ يَوْمٍ مَطِيرِ
تَنْسَى الْبَرِيَّةُ عِنْدَهُ
يَوْمَ الْخَوَرِثِقِ وَالسَّيْدِيرِ^(١)
وَلَكُمْ هَبْطُتُكَ وَالْحَبِيدِ
بَبَّةً فَازَعَيْنَ مِنَ الْهَجِيرِ
فِي زَوْقٍ بَيْنِ الْوَزْوَا
رَقٍ كَالْحَمَامَةِ فِي الطُّيُورِ
مَتَمَّهْلٍ فِي سَيِّرِهِ
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي الْمَسِيرِ
وَالشَّمْسُ إِبَّانَ الضُّحَى
وَالجَوُّ صَافٍ كَالْغَدِيرِ
وَلَكُمْ وَثْبِنَا فِي التَّلَا
لِ وَكَمْ رَكْضُنَا فِي الْوُعُورِ
وَلَكُمْ أَصْخُنَا لِلْحَفِيدِ

(١) قصرا الحيرة في العراق، أيام المناذرة.

فِوَكْمِ شَجِينَا بِالْخَرِيرِ
 وَلَكُمْ جَالِسُنَا فِي الرِّيَا
 ضِ، وَكَمْ نَشَقْنَا مِنْ عَبِيرِ
 وَلَكُمْ تَبَرَّدْنَا بِمَاءِ نُهَيْ
 رِكِ الصَّافِي النُّمِيرِ
 طَوْرًا نَنَامُ عَلَى النُّبَا
 تِ وَتَارَةً فَوْقَ الْحَصِيرِ
 لَا نَتَّقِي عَيْنَ الرُّقْدِ
 بِ وَلَا نُبَالِي بِالْغَيُورِ
 فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّنِي أَلْ
 أَبْوَانِ فِي مَاضِي الْعَصُورِ
 حُسَيْدَتٌ عَلَيَّ مِنَ الْإِنَا
 ثِ كَمَا حُسَيْدَتٌ مِنَ الذِّكُورِ
 ظَنَّ الْأَنَامُ بِنَا الظَّنُّو
 نَ وَمَا اجْتَرَحْنَا مِنْ نَكِيرِ
 قَدْ صَانَ بُرْدَتَهَا الْحَيَا
 ءُ، وَمَا نَنِي شَرْفِي وَخَيْرِي^(١)



وَمَطِيَّةٌ رَجْرَاجَةٌ
 لَا كَالْمَطِيَّةِ وَالْبَعِيرِ
 مَا تَأْتِي فِي سَيْرِهَا
 صَخَّابَةٌ لَا مِنْ ثُبُورِ^(٢)
 تَجْرِي عَلَى أَسْلَاقِهَا

(١) الخيرة: التخير.

(٢) الألؤ: التقصير.

جـري الأراقم^(٣) في الحُـدُور
 طوراً تُرى فوق الجُـسـو
 رٍ وتارةً تحت الجُـسـو
 أنَّا على قـمـمٍ وأ
 نَّا في كهوفٍ كالقـبـور
 ترقى كما ترقى (المـصـا
 عد) ثم تهبط كالصـخـور
 فإذا عَـلَـتْ حَـسِـبَ الـوـرى
 أنَّا نُصعِّدُ في الأثير
 وإذا هـوَّتْ من حـالـقٍ
 هَوَّتِ القـلـوبُ من الصُّـدُور
 والركبُ بين مُصـفِّقٍ
 ومُهَلِّلٍ جـذـلٍ قـريـر
 أو خائفٍ مُتـطـيِّـرٍ
 أو صارخٍ أو مُسـتـجـير
 هي في التَّقَلُّبِ كالزَّما
 نٍ وإنما هي لـالـسـرـور



ومُدارةٍ في الجـوِّ يَحُ
 سَبها الجهولُ بلا مُدير
 لو شئتَ نِيلَ النُّجـمِ مِنْ
 هـا ما صَبَوْتَ إلى عَسـير
 مشـدودةٍ لـكـنـها

أَجْرَى مِنَ الْفَرَسِ الْمُغِيرِ
 زَفَافَةً زَفَّ الرَّثَا
 لَ تُسِفُ إِسْفَافَ النَّسُورِ^(١)
 وَلَهَا حَفِيفٌ كَالرِّيَا
 حِ وَهَدْرَةٌ لَا كَالْهَدِيرِ
 كَالْأَرْضِ فِي دَوْرَانِهَا
 وَلَكَا الْمِظَالَّةُ فِي النَّشُورِ
 الْقَوْمُ فِيهَا جَالِسُو
 نَ عَلَى مَقَاعِدَ مِنْ وَثِيرِ
 وَالرَّيْحُ تَخْفُقُ حَوْلَهُمْ
 وَكَأَنَّمَا هُمْ فِي قَصُورِ
 وَالْجَمْعُ يَهْتَفُ كُلُّمَا
 مَرَّتْ عَلَى الْحَشْدِ الْغَفِيرِ



وَلَكُمْ تَأْمَأْنَا الْجُمُوعِ
 عَ تَمُوجُ كَالْبَحْرِ الرَّخُورِ
 يَمْشِي الْخَطِيرُ مَعَ الْحَقِيدِ
 رِ كَأَنَّمَا هُوَ مَعَ خَطِيرِ
 وَتَرَى الْمَهَاةَ كَأَنَّهَا
 لَيْثٌ مَعَ اللَّيْثِ الْهَاصُورِ
 مُتَوَافِقُونَ عَلَى التَّبَا
 يُنْ كَالْقَبِيلِ أَوْ الْعَشِيرِ^(١)
 لَا يَرْهَبُونَ يَدَ الْخُطُو

(١) الرّأل: ولد النعام. والزفّ: سرعة المشي.

(٢) القبيل: الجماعة من أمم شتى.

بِ كَانَمَا هُمْ خُلْفَ سُرور
 يمضي النهارُ ونحن نَحْ
 سَبِ ما برحنا في البُكور
 أَبْقَيْتَ يَا زَمَنَ الحَرور
 رِ بمهجتي مثلَ الحَرور
 وَلَّتْ شَهْرُورُ كُنْتُ أُر
 جو أن تُخَلِّدَ كالدهور
 وَأَتَتْ شَهْرُورٌ بَعْدَهَا
 سَاعَاتُهَا مثلُ الشُّهور
 ليست حياة المرءِ في الدُّ
 دُنْيَا سوى حُلُمٍ قصير
 وأرى الشبابَ من الحَيَا
 ةِ كَالْأُبَابِ من القُشور
 ذهبَ الربيعُ ذهابَهُ
 وأتى الشتاءُ بلا نَذير
 وتبدَّدَ العُشَّاقُ مِنْ
 لَ تبدَّدَ الورقِ النَّثِير
 رضي المُهَيِّمُ مِنْ عَنْهُمْ
 واللهُ يعفو عن كثير

٥٩ - حكاية حال

[الطويل]

هَجَرْتُ الْقَوَافِي مَا بِنَفْسِي مَلَالَةً
سِوَايَ، إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ، مَلُولُ
وَلَكِنْ عَدَّتْنِي أَنْ أَقُولَ حَوَادِثُ
إِذَا نَزَلْتُ بِالطُّوْدِ كَادَ يَنْزُولُ
وَبَغَضَنِي الْأَشْعَارُ أَنْ دَعَاتَهَا
كَثِيرٌ، وَأَنْ الصَّادِقِينَ قَلِيلُ
وَأَنْ الْفَتَى فِي ذِي الرِّبْعِ عَقَارُهُ
وَأَمْوَالُهُ، وَالْبَاقِيَاتُ فُضُولُ
سَكَتُ سَكُوتَ الطَّيْرِ فِي الرُّوْضِ بَعْدَمَا
ذَوَى الرُّوْضُ وَاجْتَاكَ النَّبَاتُ ذَبُولُ
فَمَا هَزَّنِي إِلَّا حَدِيثُ سَمْعَتِهِ
عَنِ الْغَيْدِ كَالْغَيْدِ الْحَسَنِ جَمِيلُ
فَمَا أَنَا فِي هَذِي الْحِكَايَةِ شَاعِرُ
وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الرَّوَاةُ أَقُولُ



فَتَى مِنْ سَرَآةِ النَّاسِ، كُلُّ جُدُودِهِ
سَرِيٌّ، كَرِيمُ النَّبْعَتَيْنِ، نَبِيلُ
قَضَى فِي ابْتِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ زَمَانَهُ
يَنْالُ وَيَرْجُوهُ السَّوَى فَيُنِيلُ
فَدَكَ مَبَانِي عَزِّهِ الدَّهْرُ بَغْتَةً
وَقَلَّمَ مِنْهُ الظُّفْرَ فَهُوَ كَالِيلُ

هوى مثلما يهوي إلى الأرض كوكبٌ
كذاك الليالي بالأنام تدول
وكان له في الدهر بطشٌ وصولٌ
فأُمسَتْ عليه الحادثات تصول
وكان له ألفا خليلٍ وصاحبٍ
فأَعْوَزَه، عند البلاء، خليل
تفرَّق عنه صَحْبُهُ فكأنما
به مرضٌ، أعيا الأساة، وبيل
وأنكره مَنْ كان يحلفُ باسمه
كما يُنكر الدِّين القديمَ عميل
فأصبح مثلُ الفُلكِ في البحر ضائعاً
يميل مع الأمواج حيثُ تميل
يكاد يمدُّ الكفَّ لولا بقيةٌ
من الصُّبر في ذاك الرداء تجول



زوى نفسه كي لا يرى الناسُ ضرَّه
فيشمتَ قال^(١) أو يُسرَّ عذول
بدارٍ.. أناخ البؤسُ فيها ركابه
وجرَّت عليها للخراب ذيول
مُهدِّمة الجدران مثل ضلوعه
بها اليأسُ صمتٌ والسَّقامُ مجول
تمرُّ عليها الريحُ ولهى حزينه
ويرنو إليها النجمُ وهو ضئيل
إذا ما تجلَّى البدرُ في الأفق طالعاً
رعاهُ، إلى أن يعتريه أفلول

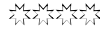
(١) الفالي: المبعض (قلَى - يقلى).

حِبال الأمانى عند قوم شعاعه
ولكنه في مُقلّتيه نُصول
فيا عجباً حتى النجوم تُضله
وفي نورها للمُدّلين دليل
وهل تهتدي بالبدر عين قريحة
عليها من الدمع السّخين سُدول؟



غفا الناس، واستولت عليهم سَكينة
فما باله استولى عليه ذُهل؟
تأمل في أحزانه وشَقائه
فهان عليه العيش وهو جميل
فمدّ إلى السّكّين كفّاً نقيّة
أبت أن يراها تستغيثُ بخيل
وقربها من صدره ثم هزّها
وكاد بها نحو الفؤاد يميل
وإذ شبحٌ يستعجلُ الخطو نحوه
وصوتٌ لطيفٌ في الظلام يقول:
رويدك، فالضّنكُ الذي أنت حاملٌ
متى زال هذا اللّيل سوف يزول
نعم؛ هي إحدى مُحسناتِ نساءنا
ألا إن أجرَ المحسناتِ جزيل
أبت نفسُها أن يكحلَ النومُ جفنها
وجفنُ المعنّى بالسُّهادِ كحيل
وأن تتولّى الابتساماتُ ثغرها
وفي الحي مكلومُ الفؤادِ عليل

فَأَلَقْتُ إِلَيْهِ صُرَّةً وَتَرَا جَعْتُ
وَفِي وَجْهَهَا نُورُ السُّرُورِ يَجُولُ
فَلَمْ تَتَنَاوَلْ صُنْعَهَا أَلْسُنُ الْوَرَى
وَلَا قُرْعَتْ فِي الْخَافَقَيْنِ طُبُولُ
وَلَا أَحْسَنْتُ كَيْ تُعْلَنَ الصُّحُفُ أَسْمُهَا
فَتَعْلَمَ جَارَاتُ لَهَا وَقَبِيلُ
كَذَا فَلْيُؤَاسِ الْبَائِسِينَ ذَوُو الْغِنَى
وَإِنِّي لَهُمْ بِالصَّالِحَاتِ كَفِيلُ
فَإِنَّ الْقُصُورَ الشَّاهِقَاتِ إِذَا خَلَتْ
مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَهِيَ طُلُولُ
وَأَخِيرُ دُمُوعِ الْبَاكِيَاتِ هِيَ الَّتِي
مَتَى سَالَ دَمْعُ الْبَائِسِينَ تَسِيلُ!



أَلَا إِنَّ شَعْبًا لَا تَعِزُّ نَسَاؤُهُ
وَإِنْ طَارَ فَوْقَ الْفَرَقْدَيْنِ، ذَلِيلُ
وَكُلُّ نَهَارٍ لَا يَكُنُّ شُمُوسَهُ
فَذَلِكَ لَيْلِ حَالِكٍ وَطَوِيلُ
وَكُلُّ سُرُورٍ غَيْرُهُنَّ كَابَةٌ
وَكُلُّ نَشَاطٍ غَيْرُهُنَّ خُمُولُ



٦٠ - يا جارتِي

[البسيط]

قالت لجارتها يوماً تُسأَّلُها
عَنِّي، وفي طَرْفِها الوسنانِ أشجانُ:
ما بالُ هذا الفتى في الدارِ معتزلاً
كما توحَّدُ نُسَّاكُ ورهبانُ
يأتي المساءُ عليه وهو مكتئبٌ
ويرجعُ الليلُ عنه وهو حَيَّرانُ
يُمَرُّ بالقُربِ مِنَّا لا يكَلِّمُنَا
وللحديثِ مجالٌ، وهو مِلْسَانُ^(١)
وإنْ نكلَّمُهُ لا يفقهَ مقالَتَنَا
إلا كما يفقهُ التسبيحُ سكرانُ
إذا تبسَّم، لا تبدو نواجذُه
وإنْ بكى، فله نَزْعُ وإرنانُ^(٢)
كأنما نيطتِ الدنيا بعاتِقِه
كأنما كلُّ عضوٍ فيه بُرْكانُ
فلا ابتسامُ ذواتِ الغُنْجِ يُطْرِبه
ولا ابنةُ الحانِ تُصْبِيه ولا الحانُ
أما له أملٌ حلَّوِيْلَذْبه
كما تلدُّ بمراي النُّورِ أجفانُ

(١) مِلْسَان: صاحب لسان ذرب.

(٢) النَزْع: المجاذبة والحنين والمغالبة. والإرنان: تصعيد الرنَّة، والتصويت.

أما له جيرة في الأرض يالفهم؟
يا جارتني! كان لي أهلٌ وجيران
فَبَتَّتِ الحربُ ما بيني وبينهم
كما تُقَطِّعُ أُمَاسُ وخِيطان
فاليوم كلُّ الذي في مُهْجَتِي أَلَمٌ
وكلُّ ما حولهم بُؤْسٌ وأحزان
وكان لي أملٌ إذا كان لي وطنٌ
فيه لنفسي لِبَنَاتٌ وخِلَانٌ
فَجَرَّدَتْهُ اللَّيَالِي من مَحَاسِنِهِ
كما يُعَرِّى من الأشجار بُسْتَانٌ
فلا المَغَانِي التي أَشْتاقُ رُؤْيَتَها
تلك المَغَانِي، ولا السُّكَّانُ سُكَّانٌ
لو المروءةُ تُدْرِي أَيَّ فاجعةٍ
بالشام، ناح عليها الإنسُ والجَانُ
ولو يَبْتَ بنو لَبْنانَ لوعَتَهُمْ
لاَهْتَزَّتْ الأرضُ لَمَّا اهْتَزَّ لَبْنانُ
قالت: شكوتَ الذي بالَخَلْقِ كُلِّهِمْ
وما كَذَبْتُكَ إنَّ الحربَ طوفانٌ
تساوتِ الناسُ في البُلُو، فقلتُ لها
هيهاتَ، ما هانَ قومٌ مثلما هانوا
أَمَنْ يَمُوتُ ولا سِتْرٌ يَظْلُلُهُ
كَمَنْ عَلَيْهِ أَكَالِيلٌ وتيجانٌ؟
قالت: ويا ويحَ نفسي من مَقالَتِها
كَفِّكَ دَموعَكَ، بعضُ الحزنِ أهوانٌ^(١)

(١) الهُون: الشدة والمضرة.

لو كان قومك أهلاً للحياة لما
 ماتوا وفي أرضهم تُركُ وألمان
 وكلُّ من لا يرى في الذلَّ مَنْقَصَةً
 لا يستحقُّ بأنَّ يبكيه إنسان
 كُفِّي ملامك يا حسناءً واتَّئدي
 فإن مدح ذوي العُدوان عُدوان
 وأنتِ من أمةٍ تَأبَى خلائقُها
 أن يقتلَ الطَّيرَ في الأقفاصِ سَجَان
 وإن قومي طيورٌ غيرُ كاسرةٍ
 سطتْ عليها شواهينٌ وعِقبان^(١)
 لا تحسبي أنني أبكي لصرعهم
 فكلُّنا للرديِّ شيبٌ وشَبَّان
 لكن بكيتُ من الباغِي يُعذِّبهم
 وهم شيوخٌ وأطفالٌ ونِسوان
 ورحتُ أشكو إليها وهي ساهيةٌ
 لكنما قلبُها الخفاقُ يقظان
 حتى انتهيتُ فصاحتُ وهي مُجهَّشةٌ:
 يا ليت ما قلتَه زورٌ وبُهتان
 بل ليتني لم أسألكَ جارتنا
 بل ليتَ قلبي إذ سألتُ صُوان
 يا ليتَ شعري وهذي الحربُ قائمةٌ
 هل تنجلي ولنا في الشَّامِ إخوان؟
 وهل تَعودُ إلى لبنانَ بهجتهُ
 وهل أعود وفي لبنانَ نَيْسان؟

(١) الشاهين والعقاب: من سباع الطير.

فَأَسْمِعْ الطَّيْرَ تَشْدُو فِي خِمَائِلِهِ
وَأُبْصِرْ الْحَقْلَ فِيهِ الشَّيْخُ وَالْبَانُ؟
بَنِي بِلَادِي! وَلَا أَدْعُو بِخَيْلِكُمْ
غَيْرُ الْبَخِيلِ لَهُ قَلْبٌ وَوَجْدَانُ
بَنِي بِلَادِي! وَلَا أَدْعُو جَبَانَكُمْ
مَا لِلْجَبَانِ وَلَا لِي فِيهِ إِيْمَانُ
بَنِي بِلَادِي! وَكَمْ أَدْعُو.. أَلَيْسَ لَكُمْ
كَسَائِرُ الْخَلْقِ أَكْبَادُ وَأَذَانُ؟
لَا تَضْحَكُوا وَبِأَرْضِ الشَّامِ نَائِحَةٌ
وَلَا تَنَامُوا وَفِي لَبْنَانَ سَهْرَانُ!

٦١ - هَمَلَتْ

[السريع]

يَا نَبَأَ سُورٍ بِهِ مَسْمَعِي
حَتَّى تَمُنِّي أَنَّهُ النِّقَاطُ
أَنْعَشَ فِي نَفْسِي الْمُنَى مِثْلَمَا
يُحْيِي الْجَدِيبَ الْوَاقِفُ الْهَاطِلُ
عَرَفْتُ مِنْهُ أَنَّ ذَاكَ الْحِمَى
بِالصَّيْدِ مِنْ فَتْيَانِنَا أَهْلُ
عِصَابَةٍ كَالْعُقْدِ فِي «أَكْرَنِ»
يَعْتَزُّ فِيهَا الْفَضْلُ وَالْفَاضِلُ
مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ رَجِيحَ النُّهَى
كَالسَّيْفِ إِذْ يَصْقُلُهُ الصَّاقِلُ
الْبَبْدُرُ مِنْ أَزْرَارِهِ طَالِعُ
وَالْغَيْثُ مِنْ رَاحَتِهِ هَامِلُ
وَكُلُّ طَلْقٍ الْوَجْهَ مَوْفُورِهِ
فِي بُرْدَتِيهِ سَيِّدُ مَائِلِ



شَبِيهَةَ الشَّرْقِ، اِنْعَمِي وَاسْلَمِي
كِي تَسْلَمَ الْأُمَالُ وَالْأَمَلُ
بِكُمْ وَبِالرَّاقِينَ أَمْثَالِكُمْ
يَفْتَخِرُ الْعَالِمُ وَالْعَامِلُ
بِعَثَّتُمْ «هَمَلَتْ» مِنْ رَمْسِهِ
«فَهَمَلْتُ» بَيْنَكُمْ مَائِلُ

يمشي ويمشي الطيفُ في إثره
كلاهما ممّا به ذاهل
لا يضحك السّامعُ من هزله
كم عِظّةٍ جاء بها الهازل
روايةٌ يظهر فيها لكم
كيف يُداجي الصّادقُ الخاتل^(١)
وتنكّثُ المرأةُ ميثاقها
وكيف يُجزّي المجرمُ القاتل
وإنّما الإنسانُ أخلاقه
لا يستوي الناقصُ والكامل
والنفسُ كالمرأةٍ إن أُهمِلتْ
يعلو عليها الصّدأُ الأكل
والنّاسُ أدوارٌ، فذا صاعدٌ
يرaudُ الشُّهْبَ وذا نازل
والدهرُ حالاتٌ، فيومٌ به
نحسٌ، ويومٌ سعدهُ كامل
فمَنّوا الجَهْلَ وأضراره
حتى يُعادي جهلهُ الجاهل
ومَنّوا الفضلَ وآياته
كي يستزيدَ الرجلُ الفاضل
وصوّروا المجدَّ بلائه
عسى يُفريقَ الهاجعُ الغافل
ويرجعُ الشّرقُ إلى أوجه

(١) المداجنة: المداواة والمخاتلة.

كَمَا يَعُودُ الْقَمَرُ الْأَفْلَ
وَابْنُوا إِلَى الْآتِينَ مِنْ بَعْدِكُمْ
يَبْنِي لِمَنْ يَخْلُفُهُ الْقَابِلُ
مَا دُمْتُمُ لِحَقِّ أَنْصَارِهِ
هِيَ هَاتِ أَنْ يَنْتَصِرَ الْبَاطِلُ

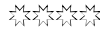
٦٢ - العيون السود

[الكامل]

ليتَ الذي خَلَقَ العيونَ السُّودا
خَلَقَ القلوبَ الخافِقاتِ حَديدا
لولا نواعسُها ولولا سِحْرُها
ما ودَّ مالِكُ قلبِه لو صَيِّدا
عوذُ فؤادِكَ من نِبالِ لحاظِها
أومُتْ كما شاء الغرامُ شَهِيدا
إنَّ أنتَ أبصرتَ الجمالَ ولم تَهْمُ
كنتَ امرءاً خَشِنَ الطَّبَّاعِ، بليدا
وَإِذا طَلَبْتَ مع الصَّبابَةِ لَذَّةً
فلقد طَلَبْتَ الضَّائِعَ الموجودا
يا ويحَ قَلْبِي إِنَّه في جانِبِي
وأظنُّه نائي المَزارِ بعيِدا
مُسْتَوْفِرٌ شَوْقاً إلى أَحبابِهِ
المرءُ يَكْرَهُ أن يَعيشَ وحيدا
برأ الإلهُ له الخِلاوعَ وقايَةً
وأرثَهُ شِقْوَتَهُ الخِلاوعَ قُيودا
فإِذا هَفَا بَرَقَ المَنى وهفا له
هاجِتُ دَفائِلُهُ عَلَيهِ رُعودا
جَشَمَتُهُ صَبِراً فَلَمَّا لم يُطِقْ

(١) التصويب: انخفاض التنفس. والتصعيد: تنفس الصُّعداء، وهو تنفُّس يمتد.

جَشَّمَتْهُ التَّصَوُّيبَ وَالتَّصْعِيدَا^(١)
لو أَسْتَطِيعُ وَقَيْتُهُ بِطُشَ الْهَوَى
ولو اسْتَطَاعَ سَلَا الْهَوَى مَحْمُودَا
هي نَظْرَةٌ عَرَضَتْ فَصَارَتْ فِي الْحَشَا
نَارًا، وَصَارَ لَهَا الْفَوَادُ وَقُودَا
وَالْحُبُّ صَوْتُ، فَهُوَ أَنَّهُ نَائِحٍ
طَوْرًا وَأَوْنَةً يَكُونُ نَشِيدَا
يَهْبُ الْبَوَاغِمَ أَلْسُنًا صَدَاحَةً
فَإِذَا تَجَنَّى أَسَكْتَ الْغَرِيدَا^(١)
مَا لِي أَكَلَفْتُ مُهْجَتِي كَتَمَ الْأَسَى
إِنْ طَالَ عَهْدُ الْجَرَحِ صَارَ صَدِيدَا
وَيَلَذُّ نَفْسِي أَنْ تَكُونَ شَقِيَّةً
وَيَلَذُّ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ عَمِيدَا^(٢)
إِنْ كُنْتَ تَدْرِي مَا الْغَرَامُ فِدَاوَنِي
أَوْ لَا، فَخَلَّ الْعَذْلُ وَالتَّفْنِيدَا



يَا هِنْدُ قَدْ أَفْنَى الْمَطَالُ تَصْبُرِي
وَفَنَيْتُ حَتَّى مَا أَخَافُ مَزِيدَا
مَا هَذِهِ الْبَيْضُ الَّتِي أَبْصَرْتِهَا
فِي لِمَّتِي إِلَّا الْيَالِي السُّودَا
مَا شَبَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَكِنَّ الَّذِي
حَمَلْتُ نَفْسِي حَمَلَتُهُ الْفُودَا^(٣)
هَذَا الَّذِي أَبْلَى الشُّبَابَ وَرَدَّهُ

(١) الْبُغَامُ: عَدَمُ الْإِفْصَاحِ فِي الْحَدِيثِ، وَبُغَامُ الظُّبَيْةِ: صَوْتُهَا (بَغَمَتْ - تَبْغُمُ).

(٢) الْعَمِيدُ: الشَّدِيدُ الْحَزَنَ (مِثْلُ الْمَعْمُودِ).

خَلَقًا وَجَعَدَ جِبْهَتِي تَجْعِيدًا
عَلَّمَتِ عَيْنِي أَنْ تَسْحَ دُمُوعُهَا
بِالْبُخْلِ عَلَّمَتِ الْبُخِيلَ الْجُودَا
وَمَنَعَتِ قَلْبِي أَنْ يَقَرَّ قَرَارُهُ
وَلَقَدْ يَكُونُ عَلَى الْخُطُوبِ جَلِيدًا
دَلَّهْتَنِي وَحَمَيْتَ جَفْنِي غُمُضَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ مَعَ الْهَمُومِ هُجُودَا
لَا تَعْجَبِي أَنَّ الْكُوَاكِبَ سَهَّدُ
فَأَنَا الَّذِي عَلَّمْتُهَا التَّسْهِيدَا
أَسْمَعْتُهَا وَصَفَ الصَّبَابَةِ فَاثْنَتُ
وَكَأَنَّمَا وَطِئَ الْحَفَاةُ صُرُودَا^(١)
مَتَعَثَرَاتٍ بِالظَّلَامِ كَأَنَّمَا
حَالَ الظَّلَامُ أَسَاوِدًا وَأُسُودَا^(٢)
وَلَوْ أَنَّهَا عَرَفَتْ مَكَانَكَ فِي الثَّرَى
صَارَتْ زَوَاهِرُهَا عَلَيْكَ عُقُودَا
أَنْتِ الَّتِي تُنْسِي الْحَوَائِجَ أَهْلَهَا
وَأَخَا الْبَيَانِ بَيَانَهُ الْمَعْهُودَا
مَا شِئِمْتُ حُسْنِكَ قَطُّ إِلَّا رَاعَنِي
فَوَدِدْتُ لَوْ رَزَقَ الْجَمَالَ خُلُودَا
وَإِذَا ذَكَرْتُكَ هَزَّ ذِكْرُكَ أَضْلَعِي
شَوْقًا كَمَا هَزَّ النِّسِيمُ بُنُودَا
فَحَسِبْتُ سِقْطَ الطَّلِّ ذُوبَ مَحَاجِرِي
لَوْ كَانَ دَمْعُ الْعَاشِقِينَ نَضِيدَا
وَضَنْنْتُ خَافِقَةَ الْغُصُونِ أَضَالِعَا

(١) الصَّرْدُ: مسمار في سنان الرمح، وجمعه: صُرُود.

(٢) الْأَسَاوِدُ (جمع الأسد: جمع الجمع).

وَتِمَارَهُنَّ الْفَانِيَّاتِ كُبُودَا
وَأَرَى خَيَالَكَ كُلَّ طَرْفَةِ نَاطِرٍ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَرَاهُ جَدِيدَا
وَإِذَا سَمِعْتُ حِكَايَةً عَنْ عَاشِقٍ
عَرَضًا حَسِبْتُ أَنَّي الْفَتَى الْمَقْصُودَا
مَسْتَيِقِظٌ وَيُظَنُّ أَنِّي نَائِمٌ
يَا هِنْدُ، قَدْ صَارَ الزَّهْوُلُ جَمُودَا
وَلَقَدْ يَكُونُ لِي السُّلُوكُ عَنْ الْهَوَى
لَكِنَّمَا خُلِقَ الْمُحِبُّ وَدُودَا

٦٣ - هاتها

[مجزوء المديد]

هَاتِهَا فِي الْقَدَحِ	نَسْمَةٌ فِي شَيْخِ
هَاتِهَا فَالْنَفْسُ فِي	حَاجَةٍ لِلْفَرَحِ
وَاسْقِنِيهَا كَوْثَرًا	وَعَلَيَّ اقْتَرَحِ
إِنْ تَكُنْ قَدْ حُرِّمَتْ	فَعَلَى الْمُسْتَقْبَحِ
هِيَ فِي صُفْرَتِهَا	طُلْعَةُ الْمُفْتَخِ ^(١)
وَهِيَ فِي حُمْرَتِهَا	كَخْدَيْدِ ^(٢) الْمُسْتَحِ
وَهِيَ فِي شِدَّتِهَا	ثَوْرَةُ الْمُجْتَرِحِ ^(٣)
وَهِيَ فِي رِقَّتِهَا	خَاطِرٌ لَمْ يَلُحِ
أَتَرَاهَا شَفَقًا	كُلَّلْتُ بِالصُّبْحِ
أَمْ هِيَ الْوَجْنَاتُ قَدْ	ذُوبَتْ فِي قَدَحِ؟

(١) تغير اللون عند الافتضاح.

(٢) تصغير الخد.

(٣) المرتكب أو المكتسب.

٦٤ - إلى صديق

[الكامل]

ما عَزَّ مَنْ لَمْ يَصْحَبِ الْخَذِمَا
فاحْطِمْ دَوَاتَكَ؛ وَاكْسِرِ الْقِلْمَا^(١)
وَارْحَمْ صِيبَاكَ الْغَضَّ، إِنَّهُمْ
لَا يَحْمِلُونَ، وَتَحْمِلُ الْأَلْمَا
كَمْ ذَا تُنَادِيهِمْ وَقَدْ هَجَعُوا
أَحْسِبْتَ أَنَّكَ تُسْمِعُ الرَّمْمَا
مَا قَامَ فِي آذَانِهِمْ صَمَمٌ
وَكَأَنَّ فِي آذَانِهِمْ صَمَمَا
الْقَوْمُ حَاجَتُهُمْ إِلَى هِمَمٍ
أَوَ أَنْتَ مِمَّنْ يَخْلُقُ الْهِمَمَا؟
تَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ «ابْنَ سَاعِدَةٍ»
أَدْبَا «وَحَاتِمَ طَيِّئٍ» كَرَمَا^(٢)
وَبَذَذْتَ «جَالِينُوسَ» حَكَمَتُهُ
وَالْعِلْمَ «رِسْطَالِيْسَ» وَالشَّمْمَا^(٣)
وَسَبَقْتَ «كُولَبُوسَ» مَكْتَشَفَا
وَشَأَوْتَ «أَدِيْسُونَ» مُعْتَزِمَا
فَسَلَبْتَ هَذَا الْبَحْرَ لَوْلَاهُ
وَحَبَوْتَهُمْ إِيَّاهُ مُنْتَظِمَا

(١) الْخَذَمُ: سُرْعَةُ الْقَطْعِ. يَرِيدُ: السَّيْفُ.

(٢) قَسَّ بَنُ سَاعِدَةِ الْإِيَادِي: مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ، وَحَاتِمٌ مِنْ كَرَمَائِهِمْ.

(٣) جَالِينُوسُ Galènes: الطَّبِيبُ الْيُونَانِيُّ الَّذِي اعْتَمَدَهُ أَطْبَاءُ الْعَرَبِ.

وكشفت أسرار الوجود لهم
وجعلت كلَّ مُبْعَدٍ أَمَمًا^(١)
ما كنت فيهم غير متهم
إني وجدت الحرَّ مُتَّهِمًا
هانوا على الدنيا فلا نَعَمًا
عَرَفْتُهُم الدنيا ولا نِقَمًا
فكأنما في غيرها خُلِقُوا
وكأنما قد أثروا العَدَمًا
أو ما تَراهُم، كلُّما انتسبوا
نَصَلُوا^(٢) فلا عُرْبًا ولا عَجَمًا
ليسوا ذوي خَطَرٍ وقد زَعَمُوا
والغرب ذو خَطَرٍ وما زَعَمَا
مُتَخَذِلِينَ على جهالتهم
إنَّ القويَّ يَهُونُ منقَسِمًا
فالبحرُ يعظم وهو مجتمع
وتراه أهون ما يُرى دِيمًا
والسُّورُ ما ينفكُّ ممتنعًا
فإذا يُناكِرُ بعضه انهَدَمَا
والشعبُ ليس بناهضٍ أبدًا
ما دام فيه الخُلْفُ مُحْتَكِمًا
يا لَلأديبِ وما يُكابِدُهُ
في أُمَّةٍ لا تشبه الأممَا
إن باح لم تسلَمْ كرامتُهُ

(١) أمامهم، في أنظارهم.

(٢) فصل ونزع.

والإثمُ كلُّ الإثمِ إنْ كَتَمَ ما
يَبْكِي فتَضَحَّكُ مِنْهُ لاهِيَةً
والجَهْلُ إنْ يَبْكُ الحِجَابُ ابْتَسَمَا
جاءت وما شَعَرَ الوجودُ بِهَا
ولَسَوْفَ تَمْضِي وهو ما عَلِمَا
سارَ الشُّعُوبُ إلى العُلَا عَنَقًا
وَوَنَتْ فلم تَنْقُلْ لَهَا قَدَمًا^(١)
ما أَحدثَتْ في الدهرِ طَارِفَةً
تَبْقَى، وليس تَلِيدها عِلْمًا
ضَعُفَتْ فلا عَجَبٌ إذا اهْتَضِمَتْ
الليثُ، لولا بَأْسُهُ، اهْتَضِمَا
فلقد رَأَيْتُ الكونَ، سُنَّتَهُ
كالبحرِ يَأْكُلُ حَوْتَهُ البَلَمَا^(٢)
لا يَرْحَمُ المَقْدَامُ ذا خَوَرٍ
أَوْ يَرْحَمُ الخُرْغامَةُ الغَنَمَا؟



يا صاحِبِي، وهواك يَجْذِبُنِي
حتى لأَحْسَبُ بَيْنَنَا رَحِمًا
ما ضَرَرْنَا، والودُّ مِلَّتِي
ألا يَكُونُ الشَّمْلُ مُلْتَتِمًا
الناسُ تَقْرَأُ ما تُسَطِّرُهُ
حَبْرًا، وَيَقْرُوهُ أَخوكَ دَمًا
فاسْتَبِقْ نَفْسًا، غَيْرَ مُرْجِعِهَا

(١) العَنَقُ: السيرُ الفسيحُ السريع. والوَنَى: البطءُ والتراخي.

(٢) البَلَمُ: السمكُ الصغير.

عَضُّ الْأَنَامِلِ بَعْدَهَا نَدَمًا
 مَا أَنْتَ مُبَدِّلُهُمْ خِلَافَهُمْ
 حَتَّى تَكُونَ الْأَرْضُ وَهِيَ سَمًا
 زَارْتِكَ لَمْ تَهْتِكْ مَعَانِيَهَا
 غَرَاءُ يَهْتِكُ نَوْرَهَا الظُّلَمَا
 سَبَقَتْ يَدِي فِيهَا هَوَاجِسَهُمْ
 وَنَطَقْتُ لَمَّا اسْتَصَحَبُوا الْبُكْمَا
 فَإِذَا تُقَاسُ إِلَى رَوَائِعِهِمْ
 كَانَتْ رَوَائِعُهُمْ لَهَا خَدَمًا
 كَالرَّاحِ لَمْ أَرَقَبْلَ سَامِعَهَا
 سَكْرَانٌ، جِدُّ السُّكْرِ، مُحْتَشِمًا^(١)
 يَخِذُ الْقِفَارَ بِهَا أَخْوَلَجِبِ
 يُنْسِي الْقِفَارَ الْأَيْتُقَ الرُّسْمَا^(٢)
 أَقْبَسَتْهُ شَوْقِي فَأَضْلَعُهُ
 كَأَضَالَعِي مَمْلُوءَةٌ ضَرَمًا
 إِنْ الْكَوَكِبَ فِي مَنَازِلِهَا
 لَوْ شِئْتُ لَأَسْتَنْزَلْتُهَا كَلِمَا

(١) جِدُّ السُّكْرِ: غايته وقوته.

(٢) الْوَحْدُ: الإسراع وتوسيع الخطوط. وَالْأَيْتُقَ الرسم: صفة للنوق.

٦٥ - باخرة الإغاثة

[الكامل]

سيرى تُراعيكِ النجومُ السَّاهِرَةُ
ليلاً، وعينُ الشمسِ عندَ الهاجرِ
فلأنتِ عندَ الشَّرْقِ أجملُ باخره
تجري إليه بها المياهُ الزَّاخره

يا ليت أني فيكِ أو إِيَّاكِ
سيرى تداعبُ فوقكِ الريحُ العَلَمُ
وتُلاطفُ البحرَ الخِضَمَّ إذا احتدمُ
بُوركتِ باخره وبوركِ من عَلمُ
فيكِ الخلاصُ لساكني تلك الأكم

يا ليت أني فيكِ أو إِيَّاكِ
في الشَّرْقِ أحبابٌ على جَمَرِ الغُضَا^(١)
نَقَمَ الزمانُ عليهمُ بعدَ الرضا
هَجَرُوا الكَرى وتطلَّعوا نحو الفضا
يتوقَّعونكِ كلما برَّقَ أضَا

سيرى فإن الحرب^(٢) في مَسْرَاكِ
بيروت... يا بنتَ البُخارِ الجارية

(١) شجر خشبه صلب، تحرق غصونه، وفحمه صلب. يكثر في نجد.

فإِذَا سُئِلْتَ مِنَ الْبَقَايَا الْبَاقِيَّةِ
قُولِي لَهُمْ: إِنَّ الْحَيَاةَ الْهَانِيَّةَ
لَمْ تُنْسِنَا سَكَّانَ تِلْكَ النَّاحِيَّةِ
أَمَّا الدَّلِيلُ، فَحَسْبُنَا إِيَّاكَ!.

٦٦ - مصرع القمر

[مختلط]

لوعَةٌ في الخُلُوعِ مِثْلُ جَهَنَّمَ
تَرَكْتُ هَذِهِ الخُلُوعَ رَمَادًا
بِتُّ مَرْمًى لِدَهْرٍ بِي يَتَعَلَّمُ
كَيْفَ يُصْمِي الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
كَيْفَ يَنْجُو فُؤَادُهُ أَوْ يَسْلَمَ
مَنْ تَمَادَى بِهِ الْأَسَى فَتَمَادَى
أَنَا لَوْلَا الشُّعُورُ لَمْ أَتَلَمَّ
لَيْتَ هَذَا الْفُؤَادَ كَانَ جَمَادَا



كَيْفَ لَا أَبْكِي وَفِي الْعَيْنِ دُمُوعُ
كَيْفَ لَا أَشْكُو وَفِي الْقَلْبِ صُدُوعُ
قَلٌّ فِي النَّاسِ مِنْ صَبَرٍ
مَخْتَارَا



لَحْظَةً، ثُمَّ صَارَ ضِحْكِي وَجِيبَا
وَنَشِيْجًا، وَالنَّوْمُ صَارَ سُهَادَا
رَبِّ لَمَّا خَلَقْتَ هَذَا الْخُطُوبَا
لَمْ لَمْ تَخْلُقِ الْحَشَا فُؤَادَا
كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ وَجَدْتُ حَبِيبَا
طَلَعَ الْمَوْتُ بَيْنَنَا يَتَهَادَى

صِرْتُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ غَرِيبًا
لَيْتَ سُهْدِي الطَّوِيلَ كَانَ رُقَادًا



فَتَجَلَّدُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجَزُوعُ
أَوْ تَدْفُقُ كُلَّمَا شَاءَ الْوَلُوعُ
عَنْدَمًا أَوْ دَمًّا هُدِرُ
أَوْ نَارًا^(١)



كَانَ بَيْنَ الْكَرَى وَبَيْنِي صُلْحُ
فَأَرَادَ الْقَضَاءُ أَنْ نَتَعَادَى
لَمْ أَكْذُ أَخْلَعُ السَّوَادَ وَأَصْحُو
مَنْ ذُهُولِي، حَتَّى لَبِسْتُ السَّوَادَا
فِي فَوَادِي، لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ، جُرْحُ
لَا يُلَاشِي حَتَّى يُلَاشِي الْفَوَادَا
يَا خَلِيلِي! هَيْهَاتَ يَنْفَعُ نَصْحُ
بِعَدَمِ ضَيْعِ الْحَزِينِ الرَّشَادِ



أَنْتَ لَا تَسْطِيعُ إِحْيَاءَ الصَّرِيعِ
وَأَنَا، حَمْلَ الْأَسَى لَا أَسْتَطِيعُ
ذَا الَّذِي صَيَّرَ الْكَدَرَ
أَكْدَارًا^(٢)



(١) العُندَمُ: نبت يستخرج منه صباغ أحمر.

(٢) الإكْدَارُ: جمع الكدر.

يا ضَرِيحاً على ضِفَافِ الوادي
جَادَ من أَجْلِكَ الغَمَامُ البلادا
فيكَ أودعتُ، منذُ ستٍّ، فؤادي
وبرغمي أَطْلُتُ عَنْكَ البُعَادا
غيرَ أَنِي، وإنْ عَدَّتْني العوادي
ما عَدَّتْني بالروح أنْ أرتادا
أُنْبِتَتْ حولَكَ الزهورَ الغوادي
والليالي أُنْبِتَتْ حَوْلِي القَتَادا



وذبولُ الغصنِ في فصلِ الربيعِ
لو رآه شجرُ الروضِ المَريعِ
جمَدَ الماءُ في الشجرِ
مُحتاراً



كيف لا يَتَّقِي الكَرى أَجفاني
وجُفوني قد اسْتَحَلَنَ صَعَادا
ودموعي بلونها الأرجواني
مَنهَلٌ ليس يُعْجِبُ الورَّادا
والذي في الضلوع من نيرانِ
صار ثوباً ومَقْعِداً ووَسادا
كيف يقوى على الشَّدائدِ عانِ
أَكَلِ السُّقْمُ جِسْمَهُ أو كادا



فإذا ما غَشِيَ الطرفَ النَجيعُ
فتذكَّرْ أَنه القلبُ الصَّديعُ

كَظَّهُ الْحُزْنُ فَاَنْفَجِرُ

انفجارا



طَائِرُ كَانَ فِي الرُّبَا يَتَغَنَّى
أَصْبَحَ الْيَوْمَ يَحْمِلُ الْأَصْفَادَا
غَصْنُ كَانَ وَالصُّبَا يَتَثَنَّى
هَصَرْتُهُ يَدُ الرَّدَى فَأَنَادَا
نَالَ مَنِي الزَّمَانُ مَا يَتَمَنَّى
وَأَبَى أَنْ أُنَالَ مِنْهُ مُرَادَا
وَتَجَنَّى مَا شَاءَ أَنْ يَتَجَنَّى
وَاسْتَبَدَّتْ صُرُوفُهُ اسْتَبَدَادَا



حَطَمَ السَّيْفَ وَمَا أَبْقَى الدَّرْعَ
وَتَدَاعَى دُونَهُ السُّورُ الْمَنِيْعُ
وَأَرَانِي مِنَ الْعَبْرِ بَرُ
أَطوارا



مَا لَهْذِي النُّجُومُ تَأْبَى الشُّرُوقَا
أَتَخَافُ الْكَوَاكِبُ الْأَرْصَادَا
فَرَطَ الْبَيْنُ عِقْدَهَا الْمَنْسُوقَا
أَمْ لِمَا بِي أَرَى الْبَيَاضَ سَوَادَا
أَمْ فَقِدْنُ كَمَا فَقَدْتُ شَقِيْقَا
فَلَبَسْنَ الدُّجَى عَلَيْهِ حِدَادَا^(١)

(١) فقد أبو ماضي ثلاثة من إخوته، والأول أصغر منه، ولعله هو الذي يذكره هنا . وكان رثاه في قصيدته (البدر

ما لعيني لا تُبصرُ العَيُّوقا
ولقد كان ساطعاً وقَّاداً^(١)



سافراً يختالُ في هذا الرقيعِ
هل أتاهُ نبأُ الخطبِ الفظيعِ^(٢)
أم رأى مَصْرَعَ القمَرِ
فتواری



سدَّ الدهرُ قوسَه ورماني
لم تَحِدْ مُهجتي ولا السَّهْمُ حادا
هكذا أسكتتْ صُرُوفُ الزمانِ
بُلْبُلًا كان نَوْحُهُ إنشادا
فهو اليومَ في يدِ السَّجَّانِ
يشتهي كلَّ ساعةٍ أن يُصَّادا
فاحسبوني أدرجتُ في الأكفانِ
إن أنفُتُمْ أن تحسبوا القولَ بادا



ليس في هذي ولا تلك الريعُ
ما يسلي النفسَ عن ذاك الضَّجيجِ
قبره، جادك المَطَرُ
مِدرارا



(١) العَيُّوق: نجم أحمر مضيء، في طرف المجرة الأيمن.

(٢) الرقيع: الرقعة، ويقصد رقعة السماء.

٦٧ - في فراش المرض

[الطويل]

مرضتُ فأرواحُ الصُّحَابِ كئِيبَةٌ
بها ما بنفسي، ليت نفسي لها فدا
ترفُّ حِيَالِي كلما أغمضَ الكرى
جفوني جماعاتٍ ومُنْتَنَى ومَوْحِدا
ترأى فأنَّا كالبدورِ سوافراً
وأونَّةً مثلَ الجُمانِ مُنْخُدا
وطوراً أراها حائراتٍ كأنها
فراقدُ قد ضيَّعن في الأرض فرقدا
وطوراً أراها جازعاتٍ كأنما
تخاف مع الظُّلَماءِ أن تتبدَّدا
أحنَّ إليها رائحاتٍ وعوداً
سلامٌ عليها رائحاتٍ وعوداً
تهشُّ إليها مقبلاتٍ جوارحي
كما طرب السَّاري رأى النور فاهتدى
وألقي إليها السَّمْعُ ما طال همُّسُها
كذلك يسترعي الأذانُ المَوْحِدا
ويغلبُ نفسي الحزنُ عند رحيلها
كما تحزنُ الأزهارُ زایلها الندى
كرهتُ زوالَ الليلِ خوفَ زوالها
وعودتُ طرفي النومَ حتى تعوداً

ولو أنها في الصَّحْوِ تطرُقْ مَضْجَعِي
حَمَيْتُ الكرى جفني وعِشْتُ مُسَهِّدا
ولو لم تكن تعتاد مني مثْلَهَا
خيالاتُهَا هَمَّتْ بَأَنْ تَتَّقِيَّدا
فيا ليتني طيفُ أرواح وأغْتدي
ويا ليتَّهَا تَسْطِيعُ أَنْ تَتَّقِيَّدا
نَحَلْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْكُرُ صَوْرَتِي
وأخشى لِفَرَطِ السُّقْمِ أَنْ أَتْنَهِّدا
مَبِيتِي عَلَى مِثْلِ الْوَثِيرِ لِيَانَةً
وأحسبني فوق الأُسْنَةِ والمُدَى
كَأَنَّ خِيوطَ المَهْدِ صَارَتْ عِقَارِبًا
كَأَنَّ وَسَادِي قَدْ تَحَوَّلَ جَلْمُدا
لَقَدْ تَوَشَّكَ الحَمَى، إِذْ جَدَّ جِدُّهَا
تُقَوِّمُ مِنْ أَضْلَاعِي المِتَّأَوْدَا^(١)
تُصَوِّرُ لِي طَيْفَ الْخِيَالِ حَقِيقَةً
وأحسبُ شَخْصًا وَاحِدًا مُتَعَدِّدا
لَقَدْ ضَعُضْتُني، وَهِيَ سُرٌّ، وَلَمْ يَكُنْ
يُضَعُضُّعُنِي صَرَفُ الزَّمَانِ إِذَا عَدَا
إِذَا مَا أَنَا أَسْنَدْتُ رَأْسِي إِلَى يَدِي
رَمْتَنِي مِنْهَا بِالَّذِي يَوْهَنُ الْيَدَا
تَغْلُغَلُ فِي جِسْمِي النَحِيلُ أَوَارُهَا
فَلَوْلَمْ أَقْدُ^(٢) الثَّوبَ عَنْهُ تَوَقُّدا
رَأَيْتُ الَّذِي لَمْ يُبْصَرَ النَّاسُ نَائِمًا
وَطُفْتُ الدُّنَا شَرْقًا وَغَرْبًا مُوسَّدَا

(١) المتأود: المتمايل.

يقول النُّطاسي لو تَبَلَّدَت سَاعَةٌ
 تَبَلَّدْتُ لو أَنِي أُطِيقُ التَّبَلُّدًا^(١)
 تهَامِسَ حَوْلِي الْعَائِدُونَ وَرَجَمُوا
 وَعَتَّفَ بَعْضُ الْجَاهِلِينَ وَفَنَّدَا
 فَمَا سَاعِنِي إِلَّا شِمَاتُهُ مَعِشِرٍ
 رَجَوْتُ بِهِمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ مُسْعِدًا^(٢)
 أَسَأْتُ إِلَيْهِمْ، بَلْ أَسَاؤُوا فَإِنَّنِي
 ظَنَنْتُهُمْ شُرَوَايَ خُلُقًا وَمَحْتِدَا
 أَحَبُّ الضُّعْنَى قَوْمٌ لِأَنِّي ذُقْتُهُ
 وَأَحَبُّبَتُهُ، كَيْمَا يُحِبُّ وَيُحْسِدَا
 وَوَدَّ أَنَاسٌ لَوْ يَعَاجِلُنِي الرَّدَى
 كَأَنِّي أَرْجُو فِيهِمْ أَنْ أُخْلَدَا
 وَمَا ضَمِنُوا إِلَّا يَمُوتُوا، وَإِنَّمَا
 يُوَدُّ زَوَالُ الشَّمْسِ مَنْ كَانَ أَرْمَدًا^(٣)
 إِذَا اللَّيْلُ أَعْيَاهُ مَسَاجِلَةُ الضُّحَى
 تَمَنَّى لَوْ أَنَّ الصُّبْحَ أَصْبَحَ أَسْوَدَا
 عَلَى أَنَّنِي وَالِدَاءَ يَأْكُلُ مُهْجَتِي
 أَرَى الْعَارَ، كُلَّ الْعَارِ، أَنْ أَحْسُدَ الْعِدَا
 فَإِنَّ الَّذِي بِالْجَسَمِ لَا بَدَّ زَائِلٌ
 وَلَكِنْ مَا بِالطَّبْعِ يَنْفَكُ سَرْمَدَا
 لَنْ أَجْلِبَ الْغَوْغَاءَ حَوْلِي وَأَفْحَشُوا

(١) النُّطاسي: العالم الخبير والطبيب الحاذق.

(٢) الإسعاد: البكاء مع الآخر في مصيبتة.

(٣) الرمد: ما يصيب العين (أرمد - رمداء).

(٤) أجليبوا: تجمعوا.

فكم شتموا موسى وعيسى وأحمدا^(١)
 ولا عجبٌ أن يُبغضَ الحُرُّ جاهلٌ
 متى عشقَ البومُ الهَزَارَ المغرِّدا؟^(٢)
 وإنني في كُبتِ العُدَاةِ وكَيْدِهِمْ
 كَمَنْ يَسْلُكُ الدَّرْبَ القَصِيرَ المَعْبُدا
 ولكنني أعفو وللغَيْظِ سَوْرَةٌ
 أَعْلَمُ أَعْدَائِي المَرْوَةَ والنَّدَى
 ألا رَبُّ غِرٍّ خَامِرٍ الشُّكُّ نَفْسَهُ
 فلَمَّا رَأَيْتُ أَبْصَرَ البَحْرَ مُزْبِدا
 فأَصْبَحَ يَخْشَانِي وَقَدْ بَتُّ سَاكِتًا
 كَمَا كَانَ يَخْشَانِي وَقَدْ كُنْتُ مُنْشِدا
 وَيَرْهَبُ اسْمِي أَنْ يُطِيفَ بِسَمْعِهِ
 كَمَا تَتَّقِي الدَّرْدَاءُ حَرْفًا مُشَدِّدا^(٣)
 وَمَنْ نَالَ مِنْهُ السَّيْفُ وَهُوَ مُجَرَّدٌ
 تَهَيَّبَ أَنْ يَرْنُو إِلَى السَّيْفِ مُغْمَدًا
 أُحِبُّ الْأَبْيَّ الحُرَّ لَا وَدَّ عِنْدَهُ
 وَأَقْلِي الذَّلِيلَ النَفْسِ مَهْمَا تَوَدَّدا
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي قُلُوبٌ مَا تَمَرَّدَتْ
 عَلَيْهِ بَنَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا تَمَرَّدَا
 وَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْوَى أَطَالَ دَلَالَهُ
 مَنَعْتُ هَوَاهُ أَنْ يَجُوزَ بِي المَدَى
 لَتَرَمَ العَوَادِي بِي العَوَادِي، فَإِنِّي
 تَرَكْتُ لِمَنْ يَهْوَاهُمَا اللُّهُو والدُّدَا^(٣)

(١) الهزار: هو العندليب.

(٢) الدرد: خلو الفم من الأسنان (أرد - دردا).

(٣) الدد: اللهو واللعب.

٦٨ - رثاء

المثلث الرحمة المطران رفائيل هواويني

[الكامل]

أودى فنور الفرقدين ضئيلُ
وعلى المنازل رهبةً وذهولُ
خَلَقَ الأسى في قلبٍ من جَهْلِ الأسى
قولُ المُخْبِرِ: ماتَ رافائيلُ
فَمِنْ الجوى بين الضُّلوعِ صواعقُ
وعلى الخُدودِ من الدُّموعِ سَيولُ
قالَ الذي وَجَدَ الأسى فوقَ البُكا
وبكى الذي لا يَسْتَطِيعُ يَقولُ
يا مُؤنِّسَ الأمواتِ في أرْماسِها
في الأرضِ بَعْدَكَ وَحْشَةٌ وَخُمولُ
لا الشمسُ سافرةٌ ولا وجهُ الثُّرى
حالٌ، ولا ظلُّ الحَيَاةِ ظَليلُ
ما زالَ هذا الكونُ بَعْدَكَ مِثْلَهُ
لكنَّ نورَ البَاصِرَاتِ كَليلُ
نَبْرَاسُنَا في ليلٍ كلِّ مَلَمَّةٍ
الليلُ بَعْدَكَ حَالُكَ وَطويلُ
هَبْنِي بَيَانَكَ، إنَّ عَقْلِي ذَاهِلُ

سَاهٍ وَغَرِبَ يَرَاعَتِي مَفْلُول
قَدَفْتُ فِي عَضْدِ الْقَرِيضِ وَهَدَّةً
هَوْلُ الْمَصَابِ، فَعَقْدُهُ مَحْلُول
مَا لِي أَرَى الدُّنْيَا كَأَنِّي لَا أَرَى
أَحَدًا، كَأَنَّ الْعَالَمِينَ فُضُول
أَبْكِي إِذَا مَرَّ الْغِنَاءُ بِمَسْمَعِي
فَكَأَنَّ شِدْوَ الشَّادِيَاتِ عَوِيل
نَفْسِي الَّتِي عَلَّلَتْ نِيَّ بِلِقَائِهِ
الْيَوْمَ لَا أَمَلٌ وَلَا تَعْلِيل
ذُوبِي فَإِنَّ الْعِلْمَ مَادَ عِمَادُهُ
وَالدِّينَ أَعْمَدَ سَيْفُهُ الْمَسْلُوقِ
هَذَا مَقَامٌ لَا التَّفَجُّعُ سَبَبُهُ
فِيهِ، وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيل
مَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ طَارَ نَعْيُهُ
أَنَّ النَفُوسَ مِنَ الْعَيُونِ تَسِيلُ
مَا أَحْمَقَ الْإِنْسَانَ يَسْكُنُ لِلْمَنَى
وَالْمَوْتُ يَخْطُرُ حَوْلَهُ وَيَجُولُ
يَهْوَى الْحَيَاةَ كَأَنَّمَا هُوَ خَالِدٌ
أَبَدًا وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَزُولُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَحِنَّ إِلَى غَدٍ
وَعَدٌ، وَمَا يَأْتِي بِهِ، مَجْهُولُ
لَا تَرَكَّنْ إِلَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا
دُنْيَا هَلُوكٌ لِلرِّجَالِ قَتُولُ
سَكَتَ الَّذِي رَاضَ الْكَلَامَ وَقَادَهُ
حَتَّى كَأَنَّ لِسَانَهُ مَكْبُولُ
يَا قَائِلَ الْخُطْبِ الْحَسَانَ كَأَنَّمَا

لجمالها، الإلهام والتَنَزِيل
إن كان ذاك الوجه حَجَبَهُ الثُّرى
للنجم في كَبِدِ السماء أَقول
ليس الحِمَامُ بِنَاقِدٍ لَكِنَّمَا
قَدْرُ العَظِيمِ عَلَى العَظِيمِ دَالِيلٌ^(١)
نَمْ تَحْرُسُ الأَمْلَاقُ قَبْرَكَ، إِنَّهُ
فِيهِ الوَقَارُ وَحَوْلَهُ التَّبَجِيلُ
فَلَكُمْ قَطَعَتِ اللَّيْلُ خَافَ نَجْمُهُ
مَتَهَجِّدًا، وَالسَّاهِرُونَ قَلِيلُ
مُسْتَنْزِلًا عَفَوِ الإِلَهِ عَنِ الْوَرَى
حَتَّى كَأَنَّكَ وَحْدَكَ الْمَسْئُولُ
تَبْغِي اللَّذَازَاتِ النُّفُوسُ وَتَشْتَهِي
وَالِلَهُ مَا تَبْغِيهِ وَالْإِنْجِيلُ
لَوْلَا مَدَارِسُ شِدَّتْهَا وَكُنَائِسُ
مَا كَانَ إِلَّا الْجَهْلُ وَالتَّعْطِيلُ
أَنْفَقْتَ عَمْرَكَ فِي الإِلَهِ مُجَاهِدًا
أَجْرُ الْمُجَاهِدِ فِي الإِلَهِ جَزِيلُ

(١) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي (كمال الدين ابن النبيه ت ٦١٩ هـ):
«والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد»

-
- (١) يريد بالهلال: الأتراك، لأنه مرسوم على علمهم، ويرمز إليهم. ولكن هل يمكن فصله عن التراث الإسلامي ؟ ودال: غُلب ودارت الدائرة عليه، والإدالة: النكبة.
- (٢) القُرْم: السيد. والأصيد من الصيد، وهو: رفعُ الرأس رفعة وكبراً.
- (٣) يريد الجزيرة العربية.

٦٩ - فتح أورشليم

[الكامل]

لله ما أحلى البشيرَ وقوله:
سقط الهلالُ إلى الحَضيضِ ودَالا^(١)
بُشرى نَسِينا كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَهَا
النَّاسَ والدُّولَاتِ والأَجِيالا
رَدَّتْ على الشيخِ المسنِّ شَبَابَه
وعلى الحَزِينِ اليائِسِ الأَمالا
وعلى الصديقِ صديقَه، وعليهما
أَبَوِيَّهما ؛ وعلى الأبِ الأَطفالا
لوساومَ الخلقِ الذي وافى بها
بذَلُوا له الأرواحَ والأَمْوالا



مَنْ مُبْلَغُ الأَبْطالِ عَنِّي أَننِي
أَهْوَى القُرُومَ الصَّيِّدَ والأَبْطالا^(٢)
بالأَمْسِ قَطَعَتِ الجَزِيرَةَ قِيْدَهَا
ورمَتْ بِوَجْهِ الغَاشِمِ الأَغْلالا^(٣)
واليومَ ودَّعَتِ المَظالِمَ أَخْثُها

(١) أزالوا: طردوا.

(٢) السَّمِيدُ: السيد الكريم السخي. والعجاج: الغبار (ومفرده: عجاجة).

(٣) الغطريف: السيد السخي الكثير الخير.

(٤) يصل الأتراك بالمغول لقرب الموطن.

(٥) الباشق: من الطيور الحادة. والرئبال: الأسد أو الذئب.

ومَشَتْ تَجْرُ ذِيُولَهَا إِدْلَالَا
 أَبْنَاتِ أُورُشَلِيمَ ضَمُّخْنَ التُّرَى
 بِالطَّيِّبِ وَامْلَأْنَ الدَّرُوبَ جَمَالَا
 حَتَّى يُمِرَّ الْفَاتِحُونَ، فَإِنَّهُمْ
 كَشُّوا^(١) الْأَذَى عَنْكَ وَالْإِذْلَالَا
 فَاخْلَعْنَ أَثْوَابَ الْكَابَةِ وَالْأَسَى
 وَالْبَسْنَ مِنْ نُورِ الضَّحَى سِرْبَالَا
 وَانْفَحْنَ بِالْبَسَمَاتِ كُلِّ سُمَيْذَعٍ
 خَاضَ الْعَجَاجَ وَوَجْهَهُ يَتَلَالَا^(٢)
 هَذَا مَجَالٌ لَلْفَتَى أَنْ يَزْدَهِيَ
 فِيهِ، وَلِلْحَسَنَاءِ أَنْ تَخْتَلَا
 يَا قَائِدَ الصَّيْدِ الْغَطَارْفَةَ الْأَلَى
 تُحْنِي الرُّؤُوسُ، لَذَكَرَهُمْ، إِجْلَالَا^(٣)
 ظَنَّ الْمَغُولُ جَنُودَهُمْ تَحْمِيَهُمْ
 وَالْقَرْدُ يَحْسَبُهُ أَبُوهَ غَزَالَا^(٤)
 فَتَأَلَّبُوا وَتَهَدَّدُوا وَتَوَعَّدُوا
 حَتَّى طَلَعَتْ فَأَجْفَلُوا إِجْفَالَا
 دُعُرُ الطُّيُورِ سَطَا عَلَيْهِمْ بِاشْقُ
 وَبَنَاتُ أَوَى أَبْصَرَتْ رُئْبَالَا^(٥)
 كَمْ جَحْفَلٍ بَعَثُوا إِلَيْكَ مَعَ الدُّجَى
 لَاقَاهُ جَيْشُكَ، وَالصَّبَاحُ، فَزَالَا
 طَارَدَتْهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ وَتَحْتَهَا
 كَاللَّيْثِ يَطْرُدُ دُونَهُ الْأَوْعَالَا
 فَمَلَأَتْ هَاتِيكَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا

(١) الوجى: الحفا وشدته (أن يحفى الحافر من كثرة المشي).

(٢) الكَلَّ: العجز.

بجسومهم، وملأَتْهم أهوالا
 وحميتْ إلا السُّهدَ عن أجفانهم
 ومنعتْ إلا عنهم الأوجالا
 ساقوا إليك مئينَهم والوفهم
 فِرْقًا وسُقَّتْ إليهم الأجالا
 وصنعتْ من أسيافهم ودروعهم
 لرقابهم وزنودهم أغلالا
 لو لم تساقطْهم إليك جبالهم
 عند الضحى زلزلتها زلزالا
 إن يامَنوا وجدوا المنايا يَمَنَةً
 أو ياسَروا وجدوا الجيوش شِمالا
 وشكتْ خيولُك في الميادين الوجى
 فجعلتْ أرؤسهم لهنّ نعالا^(١)
 ورأوك قد عرّضتْ صدرك للظُّبا
 عند الحصون فعرّضوا الأكفالا^(٢)
 هُنَّتْ بالنصر المُبين، فإنه
 نصرٌ يعزُّ على سِواك مَنالا
 هذي القلوبُ نسجتُها لك أحرفًا
 لو أستطيع صنعُتها تمثالا
 أرضيتْ موسى والمسيحَ وأحمدًا
 والناسَ أجمعَ والإلهَ تعالى

(١) (اللنبي) القائد الإنجليزي الذي دخل القدس في الحرب العالمية الأولى بعد هزيمة الجيش العثماني.

٧٠ - إلى الفاتح^(١)

«الأنبي»، لو طبعنا الشمس يوماً
وقلّدناها سيفاً صفيحاً
ورصّعناه بالشُّهب الدَّراري
لما زدناكَ فخراً أو مديحاً
لأنك أشجعُ الأبطال طُوراً
وأعظمُ قادة الدنيا فتوحاً
إذا ما مرّ ذكرُكَ بين قومٍ
رأيتَ أشدهم عيًّا فصيحاً
فكم داويت سورياً مريضاً
وكم أسقمتَ تركياً صحيحاً
وكم قد صُنّت في بيروت عِرضاً
وكم أمّنت في الشهباءِ روحاً
غضبتَ على «الهِلال» فخرّ زعراً
ولُحِتَ له فحاذرٌ أن يلوحاً
عصفتَ بهم فأمسى كلُّ حصنٍ
لخيلِ النّصرِ ميداناً فسيحاً
مشتَ بك همّةٌ فوق الثُّرَيّا

(١) أحسبه يشير إلى ضريح السيد المسيح الذي نهض منه، في العقيدة المسيحية.

(٢) المدينة المعروفة في فلسطين. دخلها يشوع بن نون فاتحاً، بعد الخروج من مصر، وجرت فيها مقتلة عظيمة من سكانها الكنعانيين.

فزَلزَلتِ المعاقِلَ والصُّرُوحا
من الوادي إلى صحراء سينا
إلى أن زُرْتَ ذِيكَ الضُّرُوحا^(١)
إلى بحر الجَلِيلِ إلى دمشق
تُطارِدُ دونَكَ التركي القبيحا
فكان الجندُ كُلُّهُمُ يَشُوعًا
وكانت كلُّ سوريّا «أريحا»^(٢)
فإنَّ يَكُنِ المسيحُ فدى البَرايا
فإنَّكَ أنتَ أنقذتَ المَسيحا!

(١) ألقاها في الحفلة الشائقة التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية في مونتريال كندا لسيادة الأرشمندريت أفثيموس عفيش، عندما انتخب لأسقفية بروكلن، وكان مع الوفد النيويوركي.

٧١ - في القطار^(١)

[الوافر]

سَرَى يطوي بنا الأُميالَ طَيًّا
كما تَطوي السَّجْلُ أو الإزارا
فلم ندر وجنح الليل داجٍ
أَبْرَقًا ما ركبنا أم قطارا
بنا وبه حنينٌ واشتياقٌ
ولولا ذانِ ما سِرنا وسارا
ولكنّا وسعنا الشُّوقَ ذُرْعًا
وضاق به فَصْعَدَهُ بُخارا
وسمّينا الذي يُخفيه جَدًّا
وسمّينا الذي يُخفيه نارًا
غفا صحبي وبعضهم تَغافى
ولم أَدُقْ الكَرَى إلا غِرارًا
جلستُ أراقبُ الجوزاءَ وحُدي
كما قد يرقُبُ السَّاري المَنارا
يسير بنا القطارُ ونحن نرجو
لو اختصر الطريقَ بنا اختصارًا
وأقسمُ لو أحَدْتُهُ بما بي
لحلَّق في الفضاء بنا وطارا
إلى البلدِ الأَمينِ، إلى كرامِ

(١) السبب: الأرض القفر البعيدة. والوحد: سعة الخطو في المشي، والإسراع فيه.

(٢) العُقار: الخمرة.

يُراعون المودة والجوارا
إلى المُمزداذِ وُدَّهُم لَدِينَا
إِذَا زِدْنَا صِفَاتِهِمْ اخْتِبَارَا
إِذَا سَتَرْتُ مُحِبَّتَهَا قُلُوبُ
فُحْبِّي لَا أَطِيقُ لَهُ اسْتِتَارَا
فِيَا إِخْوَانِنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ
أَصِيخُوا كِي أَخَاطَبَكُمْ جِهَارَا
طَوِينَاهَا سَبَاسَبَ شَاسِعَاتٍ
تَسِيرُ الْوَاحِدَاتُ بِهَا حَيَارَى^(١)
وَلَوْلَا أَنْ تَسِيرَ بِنَا إِلَيْكُمْ
رَكَائِبُنَا مَشِينَاهَا اخْتِيَارَا
لَنَنْقُلَ مِنْ «نُيُورِك» لَكُمْ تَحَايَا
تَحَاكِي فِي لَطَافَتِهَا الْعُقَارَا^(٢)
وَنَنْقُلَ عَنْكُمْ أَخْبَارَ صَدَقٍ
تَحَاكِي النَّدْفِ فِي الرُّوضِ انْتِشَارَا
سَمِعْنَا بِالْهَزَارِ وَنَحْنُ قَوْمٌ
كَمَا نَهَوَى الْغِنَا نَهَوَى الْهَزَارَا
لَدَيْكُمْ كَوَكْبٌ وَبِنَا ظِلَامٌ
وَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ لَنَا الْعِثَارَا
جَعَلْنَا رَسْمَهُ فِي كُلِّ نَادٍ
وَصَيَّرْنَا الْقُلُوبَ لَهُ إِطَارَا
أَجَلْ، هَذَا الَّذِي نَبْغِيهِ مِنْكُمْ
وَنَرْجُو لَا الْأُجَيْنَ وَلَا النُّضَارَا

(١) النَّجْرُ وَالنَّجَارُ: الْأَصْلُ وَالْحَسَبُ.

أَتَيْنَاكُمْ عَلَى ظَمَأٍ لَنَا
عَرَفْنَا فِيكُمْ السُّحْبَ الْغِزَارَا
وَأَنْتُمْ مَعَشَرٌ طَابُوا نَفُوسًا
وَأَخْلَاقًا كَمَا كَرُمُوا نِجَارَا^(١)
بَقِيْتُمْ فِي سَلَامٍ وَاغْتَبَاطٍ
تَضِيءُ وَجُوهَكُمْ هَذِي الدِّيَارَا

(١) أَلْقَاهَا فِي حَفْلَةٍ أُقِيمَتْ لِتَكْرِيمِهِ، بَعْدَ سِيَامَتِهِ، فِي نَزْلِ سَانْ جُورْجْ فِي بْرُوكْلِن (نِيُويُورْكِ).

(٢) الْكِبَاءُ: عُودُ الْبُخُورِ، أَوْ ضَرْبٌ مِنَ الْبُخُورِ (الْجَمْعُ: كُبَاءٌ).

(٣) الْأَرَجُ: تَوْهَجُ رِيحِ الطَّيِّبِ (أَرَجٌ - يَأْرَجُ).

٧٢ - السيد المجتبي^(١)

[المتقارب]

سَلامٌ عَلَى السَّيِّدِ الْمُجْتَبَى
كَقَطْرِ الْغَمَامِ وَنَشْرِ الْكِبَا^(٢)
وَيَا مَرْحَبًا بِأَمِيرِ السَّلَامِ
وَقُلْ لَهُ قَوْلُنَا: مَرْحَبًا
قُدُومُكَ بِدَدِّ عَنَّا الْأَسَى
كَمَا يَكْشِفُ الْقَمَرُ الْغَيْهَبَا
وَأَحْيَا الْمُنَى فِي فُؤَادِ الْفَتَى
وَرَدَّ إِلَى الشَّيْخِ عَهْدَ الصَّبَا
كَأَنِّي «بَأْيَارَ» خَيْرِ الشُّهُورِ
أَتَاهُ الْبَشِيرُ بِذَاكَ النَّبَا
فَوَشَّى الرِّيَاضَ، وَحَلَّى الْحُقُولَ،
وَزَانَ الْوَهَادَ، وَزَانَ الرَّبَا
وَقَالَ لِأَغْصَانِهِ: صَفَّقِي
وَلِلطَّيْرِ فِي الْأَرْضِ أَنْ تَخْطُبَا
وَلِلنَّسَمَاتِ تَجُوبُ الْبِلَادَ
وَتَمْلَأُهَا أَرْجَا طَيِّبَا^(٣)
وَرَنْتَ بَأَذْنِي أَغَارِيدُهَا
فَقُلْتُ لِكُفِّي: أَنْ تَكْتُبَا
فَهَذَا الْقَرِيبُ حَفِيفُ الْغُصُونِ

(١) حبا واحتبى: جلس على البيتة وضم فخذه وساقيه إلى بطنه، بذراعيه، ليستند. الاسم الحبة، والجمع: حبي.

(٢) الصيب: السحاب ذو المطر.

(٣) السبب: المفازة الواسعة لا شيء فيها.

وشَدُّ الطيورِ، ونَفْحُ الصَّبَا
 طَلَعَتْ فَطالَ خُفُوقُ الفُؤَادِ
 كَأَنَّ بِهِ هِزَّةَ الكَهْرِبَا
 وليسَ بِهِ هِزَّةَ الكَهْرِبَاءِ
 ولكنْ رَأَى التَّائِهَ الكَوَكِبَا
 وَأَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَهَا
 نفوسٌ تَخِيَّرَتْ الأَنْسَابَا
 فَيَا صَاحِبَ الشَّيْمِ البَاهِرَاتِ
 وَيَا مَنْ تُحَلِّ لَدَيْهِ الحُبَا^(١)
 تَقُولُ عَنْكَ صَغَارُ النفوسِ
 لِأَمْرِ فَمَا أَدْرَكُوا مَأْرَبَا
 وَمَنْ يَسْلُبُ الشَّمْسَ أَنْوَارَهَا
 وَمَنْ ذَا الَّذِي يُمَسِّكُ الصَّيِّبَا؟^(٢)
 فَأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ وَإِنْ أَخْطَوْوا
 وَكُنْ كَالْحَيَا يُمَطِّرُ السَّبْسَبَا^(٣)
 إِذَا لَمْ تُسَامِحْ وَأَنْتَ الكَرِيمُ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْحَمُ الْمُذْنِبَا؟



لَقَدْ طَرِبَ التَّاجُ وَالصُّوُلُجَانُ
 وَحَقُّ لِهَازِلِينَ أَنْ يَطْرِبَا
 فَإِنَّ هَنُوءَكَ بِمَا نِلْتَهُ
 فَإِنِّي أَهْنِي بِكَ الْمَنْصَرِبَا



(١) الفتاة إذا كعبَ ثديها .

(٢) حمس الوغى: اشتد القتال .

٧٣ - مرآة الغرب في سنتها التاسعة عشرة

[الطويل]

سلامٌ عليها طفلةٌ وفتيةٌ
كزهر الربا البسام باكره القطرُ
كعابٍ تلاقى الحسنُ والفضلُ عندها
كما يلتقي في الصفحة السطرُ والسطرُ^(١)
لها صولةُ الأبطال إن حمسَ الوغى
وفيهما حياءُ البكرِ عما به وزرُ^(٢)
وفيهما من الشيخ الحكيم وقاره
وفيهما من الخود الملاحه والطهر
ألا إن حسناً لا يرافقه النُهي
وإن دام يوماً، لا يدوم له قدرُ



هي الروضُ فيه النبتُ والندى والندى
وفيه الشوادي المطرباتك والزهر
هي الشمسُ تبدو كلَّ يومٍ جديدةً
يروح بها ليلٌ ويأتي بها فجرُ
لكلِّ فتاةٍ خدرُها وسوارُها
ولكن هذي كلُّ قلبٍ لها خدرُ

(١) خلقُ الثوب - يخلق: بلي. وأخلفه: أبلاه.

يَزِيدُ سَنَاها الطِّيُّ والنَّشْرُ رونقًا
ويُخْلِقُ، حتَّى المَصْحَفُ، الطِّيُّ والنَّشْرُ^(١)
أَنيسُ الفتى إِنْ غابَ عَنْهُ أَنيسُهُ
وَأَنجمُهُ إِنْ غابَتِ الأَنجمُ الزُّهْرُ
وسِفرٌ تَلَذُّ المرءَ محتوياتُهُ
إِذا لم يَكُنْ في البَيتِ ناسٌ ولا سَفَرُ
إِذا رَضِيتُ فالنُّورُ في كَلِماتِها
وَإِنْ غَضِبتُ فَهِيَ الأَسِنَّةُ والجَمَرُ
وفي كُلِّ حَرْبٍ يَعمِدُ الحَقُّ فوقَها
أَكاليلَ نَصْرِ يَشْتَهِي مِثْلَها البَدْرُ
ولا غُرُوَ إِنْ عَزَّتْ وَهَانَ خِصومُها
فللحَقِّ، مَهْمَا جَعَجَعَ الباطِلُ، النَصْرُ
فَكَمْ مُرَجِفٍ أَغْرَاهُ فِيها سَكوتُها
فَلَمَّا أَهَابَتْ كَادَ يَقتُلُهُ الذُّعْرُ
وَكَمْ كاشِحٍ غَاوٍ أَرادَ بِها الأَذَى
ثَنَى طَرفَهُ عَنها وفي نَفسِهِ الضَّرُّ
لِها في رُبوعِ الشَّرْقِ جِيشٌ عَرمرَمُ
وأَعوانُها في الغَربِ لَيسَ لَها حَصَرُ
وَلَوْ كانَ في المَريخِ أرضٌ وأُمَّةٌ
لَكانَ لَها في أرضِهِ عَسكرٌ مَجْرُ^(٢)
لَتَسحَبَ ذِیولُ الفَخْرِ تِیها فوحدَها
يَحِقُّ لَها مِن بَینِ أَترابِها الفَخْرُ

(١) الفَيْشُ: الفَخْرُ (فَاشَ فَيْشًا). والهَجَرُ: الهَذيانُ، والقولُ السيِّئُ.

وَلَا غُرُوْا إِنِّ أَهْدَىٰ لَهَا الشِّعْرُ وَحِيَّه
 فَيَا طَالَمَا سَارَتْ وَسَارَ بِهَا الشُّعْرُ
 وَلَا غُرُوْا إِن صُغْنَا لَهَا النَّثَرَ حَلِيَّةً
 «فَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَن الدُّرُ»
 وَإِنْ يَكُن الْأَحْرَارُ مِنْ نُصَرَائِهَا
 فَكَمْ نَصَرَ الْأَحْرَارَ صَاحِبُهَا الْحُرُ
 أَدِيبٌ عَفِيفٌ قَلْبُهُ وَيِرَاعُهُ
 بَغِيضٌ إِلَيْهِ الطَّيْشُ وَالْفَيْشُ وَالْهُجْرُ (١)
 ثَمَانٍ وَعِشْرُ وَهُوَ يَخْدُمُ قَوْمَهُ
 إِلَّا حَبَّذَا تِلْكَ الثَّمَانِيُّ وَالْعَشْرُ
 فَفِي الْعُسْرِ لَمْ يَجْهَرَ بِشَكْوَى لِسَانُهُ
 وَفِي الْيُسْرِ لَمْ يَلْعَبْ بِأَعْطَافِهِ الْكِبَرُ
 وَشَرُّ الْمَزَايَا أَنْ يَصِيبَكَ حَادَثٌ
 وَتَجْهَرَ بِالشَّكْوَى وَفِي وَسْعِكَ الصَّبْرُ
 أَهَذَا كَمَنْ يُمَسِّي وَيُضْحِي مَعْرَبِدًا
 وَقَدَّامَهُ طَبْلٌ وَمِنْ خَلْفِهِ زَمْرٌ؟
 أَهَذَا كَمَغْتَابٍ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
 وَفِي نُطْقِهِ شَرٌّ وَفِي صَمْتِهِ شَرٌّ؟
 أَهَذَا كَمَفْطُورٍ عَلَى الشَّرِّ وَالْأَذَى
 أَحَادِيثُهُ نُكْرٌ وَأَعْمَالُهُ سُكْرٌ
 أَهَذَا كَأَفْعَى هَمَّهَا نَفَثَ سَمِّهَا
 وَنَهَشَ الَّذِي تَلْقَى وَلَوْ أَنَّهُ صَخْرُ
 أَهَذَا كَمَنْ يَمْشِي إِلَى الْوِزْرِ عَامِدًا

ويضحكُ مختالاً إذا مسَّه الوزرُ؟
أهذا الذي قد حازر المكرَ جُهدَهُ
كَمَنْ شابَ فُوداهُ وديدُهُ المَكْرُ؟
إذا الدَّهْرُ لم يعرفْ لكلِّ مكانَهُ
إنَّ قُلَّ لأهلِ الدَّهْرِ قد فسَدَ الدَّهْرُ

٧٤ - مَزْحُ فِي جَدِّ

(معربة)

[المتقارب]

رَأَيْتُ غَلامًا مَليحَ الرُّوءِ
تَلُوحُ النِّبَاهَةُ فِي مَقْلَتِهِ
فَقُلْتُ: تَجَنَّى عَلَيْنَا الشِّتَاءُ
وَقَدْ نَفِدَ الْفَحْمُ مَعَ كَثَرَتِهِ
فَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ لِهَذَا الْبَلَاءِ
لَدَيْكَ؟ أَجَابَ: اقْفُلُوا الْمَدْرَسَةَ!
فَقُلْتُ: صَغِيرٌ يَحِبُّ الْفَضَاءَ
وَيَكْرَهُ مَا لَيْسَ مِنْ فِطْرَتِهِ!



وَأَبْصَرْتُ لَصًّا عَلَى الزَّوَايِهِ
كَثِيرَ التَّلَفُّتِ نَحْوَ الْقُصُورِ
فَقُلْتُ: مَنَّا زِلْنَا خَالِيَهُ
مِنَ الْفَحْمِ، وَالْفَحْمُ نَارٌ وَنُورُ
فَقَالَ: لِيَا لَيْكُمُ الدَّاجِيَهُ
تَزُولُ، وَلَكِنْ بِهِدْمُ السُّجُونِ!
فَقُلْتُ: شَقِيٌّ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ
يَجَاهِدُ مِنْ أَجْلِ حَرِيَّتِهِ!

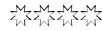


وَعُدْتُ إِلَى رَجُلٍ مُوسِرٍ
لَهُ شَهْرَةٌ وَلَهُ مَنَزَلَةٌ

فقلت: سَرِيّ كَلَامُ السَّرِيّ
إذا وَقَعَ النَّاسُ فِي مَشْكَلِهِ
فَمَا هُوَ رَأْيُكَ؟ قَالَ: اقْصِرِ
مَعَ الْبَرْدِ لَا تَنْفَعِ الْوَلُولُ!
فَأَدْرَكْتُ أَنْ فَتَى الْأَغْنِيَاءِ
ضَنَنِينَ يَخَافُونَ عَلَى ثَرَوَتِهِ!



وَأَبْصَرْتُ شَخْصًا كَثِيرَ الْحَذَرِ
فَرُحْتُ أَبْتُ لَهُ لَوْعَتِي
فَحَمَلَقَ حَتَّى رَأَيْتُ الشَّرَّ
يَطِيرُ سِرَاعًا إِلَى مُهْجَتِي
وَصَاحَ: هِيَ الْحَرْبُ أَصْلُ الْخَطَرِ
فَرُدُّوا الْحَسَامَ إِلَى غِمْدِهِ!
فقلت: عَدُوُّ قَلِيلِ الْحَيَاءِ
يَحَازِرُ شَرًّا عَلَى دَوْلَتِهِ!



(هَيَّوْزٌ) وَقَدْ كَانَ قَبْلًا «مُرْشَحٌ»
شَكُوْتُ إِلَيْهِ انْقِلَابَ الْأُمُورِ
وَلَمَّا طَلِبَتْ الْجَوَابَ تَنَحَّنُ
وَقَالَ: الْحَالِقَةُ أَصْلُ الشُّرُورِ!
فقلت: الْمُرْشَحُ لَا شَكَّ يَمْرَحُ
وَمَا زِلْتُ فِي حَيْرَةٍ وَاضْطِرَابِ
كَطِيَّارَةٍ فِي مَهَبِّ الْهَوَاءِ
إِلَى أَنْ نَظَرْتُ إِلَى لَحْيَتِهِ!

(*) لم نعتز على هذا النشيد.

٧٥ - نشيد التباراري(*)
(معربة) (٢١ بيتاً)

٧٦ - ذكرى

[الكامل]

ولقد ذكرْتُكَ بعدِ يَأْسٍ قَاتِلٍ
في ضَحْوَةٍ كَثُرَتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ
فَوَدِدْتُ أَنْتِي غَرْسُهُ أَوْ زَهْرُهُ
وَوَدِدْتُ أَنْكَ عِصْفُهُ أَوْ مَاءُهُ

(١) إرنان: الصياح والتصويت (أرنت القوس: صوتت).

٧٧ - جرجي زيدان

[مختلط]

تَكِلِ الشَّرْقُ فَتَاهُ
لِيَتَنِي كُنْتُ فِدَاهُ
لِيَتَنِي كُنْتُ أَصَمًّا
عندما النَّاعِي نَعَاهُ
قد نعى النَّاعُونَ «زَيْدًا»
نَا» إلى البدر سنَاهُ
وإلى التاريخ والعِوْدُ
م أَبَاهُ وَأَخَاهُ!



سَرَى نَعْيُهُ فَالِدَمْعُ فِي كُلِّ مَحْجَرٍ
كَأَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ خُلْفَ الْمَحَاجِرِ
وللطير في الجَنَاتِ إِرْنَانٌ تَاكُلِ
وللماء أُنَاتُ الْغَرِيبِ الْمَسَافِرِ^(١)
وللنجم، وهو النَجْمُ، مِشْيَةُ ظَالِعِ
وللأرض، وهي الْأَرْضُ، وَقِفَةُ حَائِرِ
وما كَامِنٌ فِيهِ الْأَسَى غَيْرُ كَامِنٍ
ولا ظَاهِرٌ فِيهِ الْأَسَى غَيْرُ ظَاهِرِ
فمن لم يَرِ الْبَاكِينَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
فما أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ شَقَّ الْمَرَائِرِ
وهي «البرقُ» مما حَمَلُوهُ فَلَمْ يُطِقْ

يحدِّثنا عنه بغير الأشائر
فيا خبراً ألقى الفجیعة بيننا
لأنت علينا اليومَ أشأمَ طائر
ويا ناقلَ الأنباءِ جهلُ كُنْهَها
كرهناك حتى قادماً بالبشائر
أقام الأسى بين العزاءِ ومُهَجَّتِي
وباعدَ ما بين القَرِيضِ وخاطري
فأَمْسَيْتُ لا أدري أَسْتُرُّ مِنَ الدُّجَى
على الشمسِ أم ضيَّعتُ أسودَ ناظري؟
وبات فؤادي يَتَّقِي نَزْواتِهِ
كما يَتَّقِي العصفورُ بأسَ الكواسرِ
كَأَنَّ بقلبي شاعراً ينظُمُ الأسى
كَأَنِّي تَوَلَّى مَدْمَعِي كُلُّ ناثِرٍ
ألا ليت شعري بعد ما طار نعيه
أفي أرضِ مصرٍ نائمٌ غيرُ ساهرٍ
وهل في سماءِ النيلِ غيرُ دِياجرٍ
وهل في مياهِ النيلِ غيرُ مَجامِرِ
وهل في ضِفافِ النيلِ بين نخيله
مغرَّةٌ أو أنسٌ غيرُ نافرٍ
بِمَ سَمِرَ الإخوانُ في كلِّ ليلةٍ
وصاحبُهم في اللحدِ غيرُ مُسامرٍ؟
ليبكِ عليه المسلمونَ فإنَّهم
أضاعوا به مُحييَ العصورِ الدوائرِ
وتبكِ النَّصارى فخرَها وعميدها

(١) المَعْتَر: موضع الزلَّة والعثرة.

فما بعده من حُجَّةٍ لمُفاخر
 فما جادت الدنيا عليهم بمثله
 وغيرُ يسيرٍ أن تجودَ بآخر
 أيا جبلَ العلم الذي ماد هاوياً
 عزيزٌ علينا أن تُرى في الحفائر
 عليك يودّ الغربُ لو كان مَشرقاً
 وفيك يُحبُّ الحيُّ أهلَ المَقابر
 ويغبطُ تبرُّ الأرض فيك ترابها
 ويحسُدُ ماءُ الجَفنِ ماءَ المَحابر
 وما عادةُ خفضِ الرجالِ رؤوسها
 ولكنَّما في الأرض كنزُ الجواهر
 لتفخرَ على الشُّهبِ الجنادلُ والحصى
 ففيها هلالُ العلم شمسُ المحاضر
 شأوتِ الأوالي جامِعاً ومؤلفاً
 وزدتَ بأنَّ أحرزتَ فضلَ الأواخر
 تَخَيَّرُ أحداثُ الليالي كبارنا
 كأنَّ المنايا صَبَّةً بالأكابر
 ونضحكُ لآمال ضحكةٍ وامقٍ
 فيضحكُ مِنَّا الدهرُ ضحكةً ساخر
 رَضِينَا بأن تغشى الغزاة بلادنا
 ونَمُنَا وما نامتْ عيونُ المَعَاثِرِ^(١)
 لها كلُّ يومٍ بيننا حكمُ جائرٍ
 وإقدامُ موتورٍ وفَتَكَةُ ثائر
 على أنها تقتصّ من غيرِ مُذنبٍ

(١) السيوف: وأمضاها: أشدها وأحسنها مضاً.

وتأخذُ بالأوتار من غيرِ وِتر
فيا ويحَ هذا الشَّرْقِ كيف اغتباطُهُ
وأمضى مَواضيهِ^(١) كليلُ الأظافر؟



جلُّ في مصرَ لَكُنْ
في العراقَيْنِ صَداءُ
مادَ لبنانُ ومادَ
الشامَ لَمَّا سمعاهُ
كادَ أن يخذُلَ فيه
كلُّ طُودٍ مَنكَباهُ
أيها الراحِلُ عَنَّا
بلغَ الحزنُ مَداهُ
قد بكاكِ الأفقُ حتَّى
فرقَداهُ وسَهاهُ
يا خليليَّ أَعَيْنَا
مَن عصاهُ مُسَعِداهُ
خانتِ النفسُ قُواها
خانتِ البينُ قُواه
قد مضى مَن تَتَمَنَّى
كلُّ عَيْنٍ أن تَراه
فَتَمَنَّى كلُّ قَبْرِ
حينَ أودى لَو حَواه
مات «زیدان» أبو التَّاءِ
ريخُ فليحيَ فتاه!

(١) يبدو أنه يخاطب راعي الكنيسة.

(٢) النَقْدُ: صغار الغنم، الواحدة: نَقْدَةٌ، والجمع: نِقَاد ونِقَادَة.

٧٨ - أيها الراعي^(١)

[الوافر]

شهورُ العامِ أجملُها «ربيعُ»
وأبغضُها إلى الدنيا «جُمادى»
وخيرُ المالِ ما أمسى زكاةً
وخيرُ الناسِ من نَفَعَ العِبادا
بِرَبِّكَ قُلْ لَنَا وَخَلَاكَ ذُمَّ
أعيسى كان يدخُرُ العَتادا؟
تنبّه أيها الراعي تنبّه
فَمَنْ حَفِظَ الْوَرَى حَفِظَ الْعِبَادا
خِرَافُكَ بَيْنَ أَشْدَاقِ الْخُصُورِ
ومثْلُكَ مَنْ حَمَى وَوَقَى النِّقَادا^(٢)
تبدّل أمنُّهم رعباً وخوفاً
وصارتْ نارُ أَكْثَرِهِمْ رَمَادا
لقد أكل الجَرَادُ الْأَرْضَ حَتَّى
تَمَنَّنُوا أَنَّهُمْ صَارُوا جَرَادا

(١) الزعفران.

(٢) القتاد: الشوك، وشجر له شوك.

فَمَا لَكَ لَا تَجُودُ لَهُمْ بِشَيْءٍ
وَقَدْ رَقَّ الْعَدُوُّ لَهُمْ وَجَادَا؟
وَمَا لَكَ لَا تُجِيبُ لَهُمْ نِدَاءً
كَأَنَّ سِوَاكَ، لَا أَنْتَ، الْمُنَادِي؟



وَرَبَّةٌ سَاهِرٌ فِي «بَعْلَبِكَ»
يَشَاطِرُ جَفْنُهُ النِّجْمَ السُّهَادَا
يَزِيدُ اللَّيْلُ كُرْبَتَهُ أَشْتَدَّادًا
وَفَرَطُ الْهَمِّ لَيْلَتُهُ سَوَادَا
إِذَا مَالَ النَّعَاسُ بِأَخْذَعِيهِ
تَنَى الدَّعْرُ الْكَرَى عَنْهُ وَذَادَا
بِهِ الدَّاءُ إِنْ مِنْ سَغَبٍ وَخُوفٍ
فَمَا ذَاقَ الطَّعَامَ وَلَا الرُّقَادَا
تَطُوفُ بِهِ أُصَيْبِيَّةٌ صَغَارُ
كَأَنَّ وَجْوهَهُمْ طُلَيْتُ جِسَادَا^(١)
جِيَاعٌ كُلَّمَا صَاحُوا وَنَاحُوا
تَوَهُّمَ أَنَّ بَعْضَ الْأَرْضِ مَادَا
إِذَا مَا اسْتَصْرَخُوهُ وَضَاقَ ذَرْعَا
نَبَا عَنْهُمْ وَمَا جَهْلُ الْمُرَادَا
وَلَكِنْ لَمْ يَدْعُ بِؤْسُ اللَّيَالِي
طَرِيفًا فِي يَدَيْهِ وَلَا تِلَادَا
وَلَوْ تَرَكَ الزَّمَانُ لَهُ فُؤَادًا
لَمَا تَرَكَتْ لَهُ الْبَلَوَى فُؤَادَا



أَتَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَتَرْتَدِيهِ

ويفتَرشُ الجنادلَ والقَتَّادا^(٢)
ويَطلبُ من نبات الأرض قُوتًا
وتأبى غيرَ لحم الطَّيرِ زادا
وتَهجَعُ هانئًا جَذلاً قَريراً
وقد هجرَ الكَرى وجفا الوِسادا
عجيبٌ أن تكونَ كذا ضنينًا
ولم تُبصرْ بنا إلا جَوادا
أما تخشى مقالةَ ذي لسانٍ:
أَمَاتَ الناسَ كي يُحيي الجمادا؟



لِداثِكَ همَّهمْ نفعُ البَرايا
وهمُّكَ أن تكيِّدَ وأن تُكادا
نزلتَ بنا فأنزلناكَ سهلاً
وزدناكَ النُّصارَ المُستَفادا
فكان جزاؤنا أن قُمتَ فينا
تُعَلِّمُنا القُطيعةَ والبِعدا
فلَمَّا ثارَ ثائرُ كلِّ حُرٍّ
رَجعتَ اليومَ تمتدحُ الحِيادا
أَتدفعُ بالغَويِّ إلى التَّمادي
وتعجبُ بعد ذلك إن تَمادي؟
سكتَ فقام في الأذهان شكُّ
وقلتَ فأصبحَ الشُّكُّ اعتقادا
تجهَّمتَ القريضَ ففاضَ عَثْبًا
وإن أخرجتهُ فاضَ انتقادا
ولولا أن أَثَرَتِ الخُلْفَ فينا

وَدِدْنَا لَوْ مَحَضْنَاكَ الْوَدَادَا

٧٩ - ابنة الفجر

[الخفيف]

أَنَا إِنِّ أَغْمَضَ الْحِمَامُ جَفَوْنِي
وَدَوَى صَوْتُ مَصْرَعِي فِي الْمَدِينَةِ
وَتَمَشَّى فِي الْأَرْضِ دَارًا فِدَارًا
فَسَمِعْتُ دَوِيَّهُ وَرَنِيْنَهُ
لَا تَصِيحِي «وَا حَسْرَتَاهُ» لئَلَّا
يَدْرَكَ السَّامِعُونَ مَا تُضْمِرِيْنَهُ
وَإِذَا زَرْتَنِي وَأَبْصَرْتَ وَجْهِي
قَدْ مَحَا الْمَوْتُ شَكَّهُ وَيَقِينَهُ
وَرَأَيْتِ الصِّحَابَ جَائِئِينَ حَوْلِي
يَنْدَبُونَ الْفَتَى الَّذِي تَعْرِفِيْنَهُ
يَتَعَالَى الْعَوِيلُ حَوْلَكَ مَمَّنْ
مَارَسُوهُ وَأَصْبَحُوا يُحْسِنُونَهُ
لَا تَشْقِي عَلَيَّ ثَوْبَكَ حُزْنًا
لَا وَلَا تَذْرِفِي الدَّمْعَ السَّخِينَهُ

(١) الحمأ والحمأة: الطين الأسود. والمسنون: المتغير المُنْتَن.

غالبى اليأسَ واجلسى عند نعشى
بسكونٍ، إني أحبُّ السَّكِينَه
إنَّ للصمتِ فى المآتمِ معنى
تتعرَّى به النفوسُ الحزينه
ولَقولُ العُدَّالِ عنك: «بَخِيلٌ»
هو خيرٌ من قولهم: «مَسْكِينَه»
وَإِذَا خِيفَتْ أَنْ يَثُورَ بك الوجـ
دُ فتبـدو أسرارُنَا المكنونـه
فارجـعـي واسكـبـي دمـوعـك سرّاً
وامسـحـي باليـدين ما تسكـبـينه



يا ابنةَ الفجرِ! مَنْ أَحَبَّكَ مَيِّتٌ
ولأنتِ بمِثْلِ هَذَا رَهِيْنـه
زایل النورِ مقلتیه وغابتِ
تحت أجفانه المعاني المبيـنه
فأصـيـخي! هل تسمـعـين خُفـوقاً
كنتِ قبلاً فى صدره تسمـعـينه؟
وانظـري ثم فـكـري كيفَ أَمسى
ليس يدري عدوه وخـديـنه!
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يسـ
مَعُ شيئاً وليس يبصر دونه
لا يبالى أأودعوه الثُّريا
أم رموه فى حَمَأةٍ مَسْنُونـه^(١)
وَإِذَا الحارسان ناما عِيَاءً

ورأيت أصحابةً يتركونه
فتعالى وقبلى شفّتيه
ويديه وشعره وجبّينه
قبل أن يسدل الحجاب عليه
ويؤارى عنك فلا تبصيرينه
واحذري أن تراك عين رقيب
ولئن كان جل ما تحذرينه
فإذا ما أمنت لا تتركه
قبلاً ما يفتح الصّباح جفونه



وإذا السّاعةُ الرهيبةُ حانتُ
ورأيت حُرّاسه يحملونه
وسمعت الناقوس يُقرعُ حُزناً
فيردّ الوادي عليه أنينه
زوّدي الراحل الذي مات وجداً
بالذي زوّد الغريق السفينه
نظرةً تعلم السماوات منها
أنه مات عن فتاةٍ أمينه



طوت الأرض من طوى الأرض حياءً
وعلاه من كان بالأمس دونه
واختفى في التراب وجه صبيح
وفؤاد حرّ ونفس مصونه

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض (في الأرض حُزونة).

(٢) النفار: النفور.

وإذا ما وقفتِ عند السَّواقِي
 وذكّرتِ وقوفَهُ وسكونه
 حيث أقسمتِ أن تدومي على العَهْ
 سدِّ والى بأنّه لن يخونه
 حيث علّمتِه القريضَ فأُمسى
 يتغنّى كي تسمعي تلحينه
 فاذكره مع البروقِ السَّواري
 واندبّيه مع الغُيوثِ الهَتُونه
 وإذا ما مشيتِ في الروضِ يوماً
 ووطئتِ سهوله وحُزونه^(١)
 وذكّرتِ مواقفَ الوجدِ فيه
 عندما كنتِ بالهوى تُغرينه
 حيث علّمتِه الفُتونَ فأضحى
 يحسبُ الأرضَ كلّها مفتونه
 حيث وسّدتِه يمينك حتى
 كاد ينسى شِماله ويمينه
 حيث كنتِ وكان يسقيكِ طوراً
 من هواه، وتارةً تسقينه
 حتى حاك الربيعُ للروضِ ثوباً
 كان أحلى لديه لو تردينه
 فالثّمي كلّ زهرة فيه إني
 كنتِ أهوى زهوره وغُصونه
 ثم قلّ لي للطير: مات حبيبي!
 فلماذا يا طيرُ لا تبكينه؟

(١) القطين: الساكن. والفعل: (قطن).

المحتوى

ديوان إيليا أبي ماضي (الجزء الثاني)

٢٤٧	■ مقدمة: (جبران خليل جبران)
٢٤٩	١ - إهداء الديوان
٢٥٠	٢ - الشاعر
٢٥٥	٣ - فلسفة الحياة
٢٥٩	٤ - أم القرى
٢٦٥	٥ - أنا وأخت المهابة والقمر
٢٧٠	٦ - الشاعر والأمة
٢٧٦	٧ - وإني
٢٧٧	٨ - أمّا أنا
٢٧٩	٩ - وداع وشكوى
٢٨٤	١٠ - عصر الرشيد
٢٩١	١١ - لم أجد أحداً
٢٩٦	١٢ - السرّ في الأرواح
٢٩٧	١٣ - بنت سوريا
٣٠٢	١٤ - الفقير
٣٠٧	١٥ - بين الكاس والطاس

٣٠٩	١٦ - في السفينة
٣١١	١٧ - يا صاح
٣١٤	١٨ - بلاء أم نعمة
٣١٦	١٩ - الخلود
٣١٩	٢٠ - عيناك
٣٢١	٢١ - ١٩٣١
٣٢٧	٢٢ - بلادي
٣٣٢	٢٣ - البلبل السجين
٣٣٨	٢٤ - أنت
٣٤٣	٢٥ - معركة بورغاس
٣٥٠	٢٦ - خير شيء
٣٥١	٢٧ - حكاية حال
٣٥٣	٢٨ - شكوى
٣٥٥	٢٩ - بائعة الورود
٣٦٣	٣٠ - ١٩١٤
٣٦٧	٣١ - بنت الدوالي
٣٦٩	٣٢ - الطيران
٣٧٢	٣٣ - العاشق المخدوع
٣٨٠	٣٤ - أهلها عرب

- ٣٥ - صاحب القلم ٣٨٢
- ٣٦ - إلى الله راجعون ٣٨٦
- ٣٧ - نزوة ألم ٣٨٧
- ٣٨ - الكأسان ٣٩١
- ٣٩ - أقوى من الشيب والهزم ٣٩٤
- ٤٠ - لأرفعنّ للسما احتجاجي ٣٩٥
- ٤١ - أنتم معي ٣٩٨
- ٤٢ - الحرب العظمى ٣٩٩
- ٤٣ - دموع وتهديدات ٤٠٦
- ٤٤ - أخت البلجيك ٤١٢
- ٤٥ - بين الضحك والجد ٤١٦
- ٤٦ - أمة تفنى وأنتم تلعبون ٤١٧
- ٤٧ - في الليل (متى يذكر الوطن النوم) ٤٢٥
- ٤٨ - سقوط أرضروم ٤٢٩
- ٤٩ - سبيل التوحيد ٤٣٦
- ٥٠ - ١٩١٦ ٤٣٧
- ٥١ - ما للكواكب ٤٤٢
- ٥٢ - الحاجة إلى الخرّس ٤٤٦
- ٥٣ - البغضاء ٤٤٧

٤٥١	٥٤ - حكاية قديمة
٤٥٥	٥٥ - لمن الديار؟
٤٦٣	٥٦ - يا بلادي
٤٦٩	٥٧ - الفردوس الضائع
٤٧٤	٥٨ - مسرح العشاق
٤٨٣	٥٩ - حكاية حال
٤٨٧	٦٠ - يا جارتى
٤٩١	٦١ - همليت
٤٩٤	٦٢ - العيون السود
٤٩٨	٦٣ - هاتها
٤٩٩	٦٤ - إلى صديق
٥٠٣	٦٥ - باخرة الإغاثة
٥٠٥	٦٦ - مصرع القمر
٥١٠	٦٧ - في فراش المرض
٥١٤	٦٨ - رثاء (المطران رفائيل هواويني)
٥١٧	٦٩ - فتح أورشليم
٥٢٠	٧٠ - إلى الفاتح
٥٢٢	٧١ - في القطار
٥٢٥	٧٢ - السيد المجتبى

٥٢٧	٧٣ - مرآة الغرب (في سنتها التاسعة عشرة)
٥٣١	٧٤ - مزح في جد (معربة)
٥٣٢	٧٥ - نشيد التباراري
٥٣٣	٧٦ - ذكرى
٥٣٤	٧٧ - جرجي زيدان
٥٣٨	٧٨ - أيها الراعي
٥٤١	٧٩ - ابنة الفجر
٥٤٦	■ المحتوى

الديوان الثالث

(الجداول)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «مرآة الغرب اليومية» - نيويورك ١٩٢٧)

يضم، في هذه الطبعة التي أصدرها الشاعر نفسه، ستة وثلاثين نصاً شعرياً، وقع، في آخرها، نصّه الطويل المعروف «الطلاس». وتولى التقديم للديوان: ميخائيل نعيمة، أمين سرّ «الرابطة القلمية».

وما زيد على «الجداول»، في الطبعات التي ظهرت من بعد، في الشرق، جمعناه كلّهُ في شعره الذي لم تجمعه دواوينه الخمسة، في طبعاتها الأولى .

المقدمة

بقلم ميخائيل نعيمة

«خلتُ أني في القفر أصبحت وحدي
فإذا الناس كلهم في ثيابي»

لقد قرأت لأبي ماضي كثيراً من طيب الشعر وجميله، غير أني لست أذكر أني قرأت له أصدق من هذا البيت، وأدلّ منه على بعد غور شاعريته، ومدى خياله ورحابة آفاق فكره . أو لست تسمع، عند قراءته، قلوب الإنسانية بأسرها نابضة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا، والذين سيولدون ويموتون، واحد؟

ألست تحس كأن مواكب الأجيال كلها تزدهم وتتألب في كيانك ؟

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك، وضعة الوضع في رفعتك، وحماسة الأحمق في حكمتك، وقبح القبيح في جمالك، وفقر الفقير في مالك؟

أو لست تراك رفيقاً لكل وحيد في وحدته، ولكل غريب في غربته، وشريكاً لكل أثم في إثمه، ولكل عالم في علمه ؟

وأخيراً ألست تدرك أن لا مهرب لك من الناس؟ لعمرى ليس يدرك مثل هذه الحقيقة فيقبض عليها ويبرزها إليك في حلة هي غاية في الجمال؛ لأنها غاية في البساطة، غير شاعر ملهم أو نبي مرسل.

إن في هذا البيت وحده مثلاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثة واحدة. ولا يدركها العلم بأجيال طويلة، فمن ذا يلوم الشرق إن استسلم لوحى أنبيائه، وتعلق بوحى شعرائه، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه؟

ألا أعطني الشعر ووجدانه، وخذ العلم وبرهانه.

وقد كان يجمل بي وأنا أقدم إليك كتاباً من الشعر؛ أن أتجلبب بجلبات المعرفة البحاثة، فأحدثك عن الشعر وتاريخه وأصنافه وأهديك إلى مصادره ومسالكه؛ وأحلل لك معانيه ومراميها؛ وأفسر لك أسرارها، وأنثر عليك جواهرها، وأريك نفعه من ضرره.

نعم! لقد كان يجمل بي كل ذلك لو أنني وجدت إليه سبيلاً . غير أنني أعترف اليوم بما لم أعترف به من قبل. وهو أنني لا أعرف عن الشعر ومصدره وكنهه أكثر مما أعرف عن حياتي ومصدرها وكنهها وقد كنت أحسبني أعرف الكثير، فإذا بما أعرفه وأنوء به نقيض المعرفة، وإذا بالذي أعرفه اليوم لا يذعن للساني فأنطق به، ولا ينقاد لقلمي فأسطره. والذي أحاوله الآن هو القول : إنني أنس اليوم قرابة روحه بيني وبين صاحب «الجدول» ما كنت أشعر بمثلها بيني وبين ناظم الجزء الأول والثاني من ديوان إيليا أبي ماضي، «تري أنغير أبو ماضي إلى هذا الحد، في السنوات الثماني الأخيرة، أم تراني تغيرت ؟

فبين هذه «الجدول» ما تنساب معه روحي مترققة، مترنمة، مطمئنة جذلة بنور عينيها، وجمالٍ عن جانبيها، مرحلة بحرية لا أرصاد ولا قيود، ومدى لا آفاق له ولا حدود.

هكذا أقرأ قصيدة «الطين» فأسمع لها أصداً كثيرة في نفسي: ومثال «تعالى» و«ريح الشمال» و«في القفر» و«المساء» و«العميان» و«الزمان» وسواها. أقرأها غير ناظر إلى قافية مقلقة أو كلمة شاردة، بل إلى جملة ما يتجلى لي فيها من الرسوم، وما تحدثه في نفسي من الرعدة، وتنبيه في وجداني من الشعور والخيالات، وقد أكتفي من القصيدة كلها ببيت واحد، إذا كان لذاك البيت وقع في روحي ولا يندر أن أجد لذة حتى في قصيدة لا تأتلف مع أهوائي ومنازعي كقصيدة «بردي يا سحب» لأنني وإن كنت أنكر على نفسي أن تقول:

«كل نجم لا اهتداء به لا أبالي لاح أو غربا»

لا أنكره على أبي ماضي. بل أعجب لقوة بيانه لمعتقده ، إذا كان ذلك ما يعتقد.

لاشك عندي قط، في أن فريقاً من الذين (نذروا حياتهم للذب عن حياض اللغة العربية) - يصمون آذانهم عن خير هذه «الجدول» الشجي ويفتحون أبصارهم عليهم يجدون في حصائها ما ينطبق على مقاييسهم، ويوزن بموازينهم، ولعلمهم يظفرون ولو ببعض ما يطلبون . أما أنا فأبارك هذه الجداول المناسبة إلى بحر شعرنا الواسع. لأنها ستزيده اتساعاً، وهيبة، وصفاء.

١. الفاتحة

[مجزوء الرمل]

يا رفيقي.. أنا لولا أنت ما وقَّعتُ لحنا
كنتَ في سرِّي لَمَّا كنتُ وحدي أتغنّي
ألبسُ الروضَ حُلَاهُ، إنه يوماً سيُجنّي
هذه أصداءُ رُوحِي فلتكنْ رُوحُكَ أُنْذَا
إنْ تجدْ حُسْنًا فخذْهُ، واطَّرحْ ما ليس حُسْنًا
إنْ بعضَ القولِ فنُّ، فاجعلِ الإصغاءَ فنا
تلكَ كالحقلِ يردُّ الكيلُ للزراعِ طُنًّا
رُبَّ غيمٍ صارَ لَمَّا لمستَه الرِّيحُ مُزْنًا
ربما كنتُ غنيًّا غيرَ أني بك أغنى
ما لصوتٍ أغلقتُ من دونه الأسماعُ معنَى
كلُّ نورٍ غيرَ نورٍ مرُّ بالأعينِ وسُنَى
وإذا رحتَ بكِرمي زدتَه خِصْبًا وأمنًا
قد سكبتُ الخمرَ كي تشربَ، فاشربْ مطمئنًا
واسقِ مَنْ شئتَ كريمًا، لا تخفْ أنْ تتَجَنَّى
كلما أفرغتُ كأسِي زدتَ في كأسِي دَنَّا
فهي بالإنفاقِ تبقى، وهي بالإمساكِ تفنى



لستَ مني أنْ حَسِبْتَ الشُّعْرَ أَلْفَاظًا ووزنا
خَالَفْتُ دَرْبَكَ رَبِّي، وانقَضَى ما كان مِنَّا
فانطلقْ عني لئلا تَقْتَنِي هَمًّا وحرنا
واتَّخِذْ غَيْرِي رَفِيقًا وَسِوَى دُنْيَايَ مَغْنَى

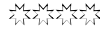
٢. العنقاء

[الكامل]

أنا لستُ بالحسناءِ أُولَ مُوَلَعٍ
هيَ مطمَعُ الدنيا كما هيَ مطمعي
فاقصُ عليَّ إذا عرفتَ حديثَها
واسكنْ إذا حدثتَ عنها واخشعَ
أَلَحَّتْهَا في صورةٍ؟ أَشْهَدْتُهَا
في حالةٍ؟ أَرَأَيْتَهَا في موضعٍ؟
إني لذنو نَفْسٍ تَهيمُ، وإنها
لجميلةٌ فوقَ الجمالِ الأبدعِ
ويزيدُ في شوقي إليها أنها
كالصَّوتِ لم يُسْفِرْ ولم يتقنَّعِ
فَتَشَّتْ جيبَ الفجرِ عنها والدجى
ومَدَدَتْ حَتَّى لِّلْكواكبِ إصْبَعِي
فإذا هما مُتَحيرانِ كلاهما
في عاشقٍ مُتَحيرٍ مُتَضَعِّعِ
وإذا النجومُ لَعَلِمَها أو جَهِلَها
مُتَرَجِّجاتُ في الفضاءِ الأوسعِ
رقصتْ أَشْعَتُها على سطحِ الدجى
وعلى رجاءٍ في غيرِ مُشْعَشِعِ



والبحرُ كم سألته فتضاحكتُ
أَموأجهُ من صوتي المُتَقَطِّعِ
فرجعتُ مُرتعشَ الخواطرِ والمُنَى
كحمامةٍ محمولةٍ في زَعزَعٍ^(١)
وكانَ أشباحُ الدهورِ تَأَلَّبَتُ
في الشطِّ تضحكُ كُلُّها من مرجعي
ولكمُ دخلتُ إلى القُصورِ مفتشاً
عنها، وعجبتُ بدارساتِ الأربعِ
إنَّ لَاحَ طيفُ قلتُ يا عينُ انظري!
أو رنَّ صوتُ قلتُ: يا أذنُ اسمعي!
فإذا الذي في القصرِ مثلي حائرُ
وإذا الذي في القفرِ مثلي لا يعي



قالوا: تورَّعْ ! إنها محجوبةُ
إلا عن المُتَزَهِّدِ المُتَوَرَّعِ
فَوادَتْ أَفراحي وطَلَّقتُ المُنَى
ونسختُ آياتِ الهوى من أضلعي
وحَطَّمتُ أَقداحي ولمَّا أرتوي
وعَفَفْتُ عن زادي ولمَّا أشبع
وحسبتُني أدنو إليها مسرعاً
فوجدتُ أني قد دنوتُ لمصرعي
ما كان أَجهَلَ نُصَحِي^(٢) وأضلَّني
لمَّا أَطعْتُهم، ولم أتمنَّعْ

(١) ريع زعزع : تحرك الأشياء .

(٢) جمع لـ (ناصح) مثل عاجز وعجز .

إني صَرفتُ عن الطَّمَاعَةِ والهُوى
قلبي، ولا ظَفَرُ مَنْ لَمْ يَطْمَعِ
فَكَأَنِّي البَسْتَانُ جَرَدَ نَفْسَهُ
من زهره المتنوعِ الْمُتَضَوِّعِ
لِيُحْسِ نَورَ الشَّمْسِ فِي ذَرَاتِهِ
وَيُقَابِلَ النُّسَمَاتِ غَيْرَ مُقَنَّعِ
فَمَشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَرِيفِ سُرَادِقُ
كَالْليلِ خَيْمٌ فِي الْمَكَانِ الْبَلَقِ
وَكَأَنَّنِي الْعَصْفُورُ عَرَى جِسْمَهُ
من ريشه الْمُتَنَاسِقِ الْمُتَلَمِّعِ
لِيَخِفَّ مَحْمَلُهُ؛ فَخَرَّ إِلَى التُّرَى
وَسَطًا عَلَيْهِ النَّمْلُ غَيْرَ مُرَوِّعِ
وَهَجَعَتْ أَحْسَبُ أَنَّهَا بِنْتُ الرُّؤَى
فَصَحَوْتُ أَسْخَرَ بِالنِّيَامِ الْهَجَّ
لَيْسَتْ حُبُورًا كُلُّهَا دُنْيَا الْكَرَى
كَمْ مَوْلَمٍ فِيهَا بِجَانِبِ مُفَزَّعِ
تُخْفِي أُمَانِيَّ الْفَتَى كَهَمُومِهِ
عِنْدَهُ، وَتَحْجُبُ ذَاتَهُ فِي بُرْقَعِ
وَلَرَبِّمَا التَّبَسُّتُ حَوَادِثُ يَوْمِهِ
بِالْغَابِرِ الْمَاضِي وَبِالْمُتَوَقِّعِ
يَا حَبِّذَا شَطَطُ الْخِيَالِ وَإِنَّمَا
تُمَحَى مَشَاهِدُهُ كَأَنَّ لَمْ تُطْبِعِ
لَمَّا حَلَمْتُ بِهَا حَلَمْتُ بِزَهْرَةٍ
لَا تُجْتَنِّي، وَبِنَجْمَةٍ لَمْ تَطْلُعِ
ثُمَّ انْتَبَهَتْ فَلَمْ أَجِدْ فِي مَخْدَعِي
إِلَّا ضَلَالِي وَالْفِرَاشَ وَمَخْدَعِي

من كان يشربُ من جداولٍ وهمه
قطعَ الحياةَ بغلّةٍ لم تُنقَع
ذهب الربيعُ فلم تكنُ في الجدولِ الشُّ
شادي، ولا الروضِ الأغنِ المُمَرِّع
وأتى الشتاءُ فلم تكن في غيمه الـ
بأكي، ولا في رعدِهِ المُتفجّع
ولمحتُ واماضةَ البروقِ فَخِلْتُها
فيها، فلم تكُ في البروقِ اللُّمَع
صَفِرْتُ^(١) يدي منها وبى طيشُ الفتى
وأضَلَّنِي عنها ذكاءُ الألعِي
حتى إذا نشرَ القنوطُ ضبابَهُ
فوقي فغَيَّبَنِي وغَيَّبَ موضعي
وتَقَطَّعتْ أُمَراسُ آمالي بها
وهي التي من قبل لم تَتَقَطَّعْ
عَصَرَ الأسى رُوحِي فسالتُ أدمعاً
فلمحتُها ولستُها في أدمعي
وعلمتُ حينَ العَلَمِ لا يجدي الفتى
أنَّ التي ضَيَّعْتُها كانت معي!

(١) خلت خلواً كاملاً .

٣. السجينة

[الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا حُزْنِي لِمَا لِفَقْدَتُهُ
وَلَا خَانَ عَهْدِي فِي الْحَيَاةِ حَبِيبُ
وَلَكِنِّي أَبْكِي وَأَنْدَبُ زَهْرَةً
جَنَاهَا وَلَوْعٌ بِالزَّهْوَرِ لَعُوبُ
رَأَاهَا يَحُلُّ الْفَجْرُ عَقْدَ جُفُونِهَا
وَيُلْقِي عَلَيْهَا تَبْرَةً فَيَذُوبُ
وَيَنْفَضُّ عَنْ أُعْطَافِهَا النُّورَ لَوْلَا
مِنْ الطَّلِّ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُ
فَعَالَجَهَا حَتَّى اسْتَوَتْ فِي يَمِينِهِ
وَعَادَ إِلَى مَغْنَاهُ وَهُوَ طَرُوبُ
وَشَاءَ فَأَمَسْتُ فِي الْإِنَاءِ سَجِينَةً
لِتَشْبَعَ مِنْهَا أَعْيُنُ وَقُلُوبُ
ثَوَتْ بَيْنَ جِدْرَانِ كَقَلْبِ مُضْمِيْمِهَا
تَلَمَّسُ فِيهَا مَنْفَذًا فَتَخِيبُ
فَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ عِنْدَ شُرُوقِهَا
وَلَيْسَتْ تَحْيِي الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ
وَمَنْ عُصِبَتْ عَيْنَاهُ فَالْوَقْتُ كُلُّهُ
لَدَيْهِ - وَإِنْ لَحَ الصَّبَاحُ - غَرُوبُ



لَهَا الْحَجَرَةُ الْحَسَنَاءُ فِي الْقَصْرِ إِنَّمَا
أَحَبُّ إِلَيْهَا رَوْضَةٌ وَكَثِيبُ

وأَجْمَلُ من نورِ المصابيحِ عندها
حَبَّابٌ تَمْضِي في الدجى وتؤوب
ومن فتياتِ القصرِ يرقصنَ حولها
على نَغَمَاتٍ كلهنَّ عَجِيب
تراقصُ أغصانَ الحديقةِ بكرةً
وللريحِ فيها جَيِّئَةٌ وَذَهْوب
وأَجْمَلُ منهنَّ الفراشاتُ في الضحى
لها كالأمانى سَكْنَةٌ ووُثُوب
وأبهى من الديباجِ والخزِّ عندها
فَرَّاشٌ من العشبِ الخَضِيلِ رَطِيب
وأحلى من السَّقْفِ المزخرفِ بالدمى
فضاءٌ تشعُّ الشُّهُبُ فيه رَحِيب
تحنُّ إلى مَرَأَى الغديرِ وصوتهِ
وتُحَرِّمُ منه، والغديرُ قَرِيب
وليس لها للبوُسِ في نَسَمِ الرُّبَا
نَصِيبٌ، ولم يسكنْ لهنَّ هَبُوب
إذا سُقِّيتْ زادتْ ذبولاً كَأَنَّمَا
يرشُّ عليها في المياهِ لهيب
وكانت قليلُ الطَّلِّ ينعشُ روحَهَا
وكانت بميسورِ الشُّعاعِ تَطِيب
بها من أنوفِ الناشقينَ تَوْعُكُ
ومن نظراتِ الفاسقينَ ندوب
تمشَّى الضننَى فيها وأيارُ في الحمى
وجَفَّتْ وسريالُ الربيعِ قَشِيب

ففيها كمقطوع الوريدين صُفْرَةٌ
وفيها كمصباح البَخِيلِ شُحُوبٌ



أيا زهرة الوادي الكئيبةِ إنني
حزينٌ لما صرتِ إليه كئيب
وأكثرُ خوفي أن تظني بني الوري
سواءً، وهمُ مثلُ النَّباتِ ضُروب
وأعظمُ حزني أن خطبكِ بعدهُ
مصائبُ شتّى لم تقعْ وخطوب
سيطرحكِ الإنسانُ خارجَ دارِهِ
إذا لم يكن فيك العَشِيَّةُ طيب
فَتُمَسِّينَ للأقذارِ فيك ملاعبُ
وفي صفحتيكِ للنُّعالِ ضُروب
إِسَارُكِ يا أختَ الرياحينِ مُفجِعُ
وموتُكِ يا بنتَ الربيعِ رهيب
ولكنها الدنيا؛ ولكنه القضاء
وهذا لعمري مثلُ تلك غريب
فكم شَقِيتُ في ذي الحياة فضائلُ
وكم نَعِمْتُ في ذي الحياة عيوب
وكم شيمٍ حسناء عاشتُ كأنها
مساوئُ يُخَشَى شرُّها وذنوب



٤ - الضفادع والنجوم

[الرمل]

صاحتِ الضَّفَدُ لَمَّا شَاهَدَتْ
حَوْلَهَا فِي الْمَاءِ أَظْلَالَ النُّجُومِ:
«يا رفاقي يا جنودي احتشدوا
عَبَرَ الْأَعْدَاءُ فِي اللَّيْلِ التُّخُومِ
فَاطْرِدُوهُمْ وَاطْرِدُوا اللَّيْلَ مَعاً
إِنَّهُ مِثْلُهُمْ بَاغٍ أَثِيمٌ»
زَعَقَتْ سَارِ صِدَاهَا فِي الدَّجَى
فَإِذَا الشَّطُّ شَخُوصٌ وَجُسُومٌ
فِي أَدِيمِ الْمَاءِ مِنْ أَصْوَاتِهَا
رَعْدَةٌ الْحِمَى فِي اللَّيْلِ وَجُومٌ
مَزَّقَ الْفَجْرُ جَلَابِيبَ الدَّجَى
وَمَحَا مِنْ صَفْحَةِ الْأَرْضِ الرُّسُومَ
فَمَشَتْ فِي سِرْبِهَا مَخْتَالَةً
كَمَلِكٍ ظَافِرٍ بَيْنَ قُرُومِ^(١)
ثُمَّ قَالَتْ: لَكُمْ الْبَشَرَى وَلِي
قَدْ نَجَوْنَا الْآنَ مِنْ كَيْدِ عَظِيمٍ
نَحْنُ لَوْلَمْ نَقْهَرِ الشُّهُبَ الَّتِي
هَاجَمْتُنَا لِأَذَاقَتِنَا الْحُتُومَ

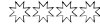
(١) جمع (قَرَم) وهو السيد .

وأقامتُ بعدنَا من أرضنا
في نعيمٍ لم تجدْه في الغيوم
أيها التاريخُ سجِّلْ أننا
أمَّةٌ قد غلبتْ حتى النجوم

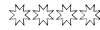
٥. السماء

[الخفيف]

لَا تَسْلُنِي عَنِ السَّمَاءِ فَمَا عِنْدُ
سَدِي إِلَّا النُّعُوتُ وَالْأَسْمَاءُ
هِيَ شَيْءٌ، وَبَعْضُ شَيْءٍ، وَحِينًا
كُلُّ شَيْءٍ، وَعِنْدَ قَوْمٍ هَبَاءٌ



فَسَمَاءُ الرَّاعِي كَمَا يَتَمَنَّى
هَذَا مَرْجٌ فَسِيحَةٌ خَضِرَاءُ
تَلْبَسُ التُّبْرَ مَنَزْرًا وَشَاحَاً
كَلَّمَا أَشْرَقَتْ وَغَابَتْ ذُكَاً
أَبْدَأُ فِي نَخَارَةٍ، لَا يَجْفَأُ
عَشْبٌ فِيهَا، وَلَا يَغِيضُ الْمَاءُ



وَهِيَ عِنْدَ الْأُمِّ الَّتِي اخْتَرَمَ الْمَوْتُ
بَنِيهَا، وَضَلَّ عَنْهَا الْعِزَاءُ
مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُمْ فِيهِ ضَيْمٌ
لَا وَلَا يُدْرِكُ الشَّبَابَ الْفَنَاءُ
وَكَذَا يُولَدُ الرَّجَاءُ مِنَ الْيَأْسِ
سِإِذَا مَاتَ فِي الْقُلُوبِ الرَّجَاءُ



وَهِيَ عِنْدَ الْفَقِيرِ أَرْضٌ وَرَاءَ الْ
أَفْقِ؛ فِيهَا مَا يَشْتَهِي الْفُقَرَاءُ

لا يخافُ المُثْرَى، ولا كلبُهُ الضَّاءَ
ري؛ ولا لامرئٍ به اسْتِهْزَاءُ
وهي عند المظلوم أرضٌ كهذى الـ
أرضُ لكنْ قد شاعَ فيها الإخاءُ
يجمعُ العدلُ أهلَها في نظامٍ
مثالما يجمعُ الخيوطُ الرداءُ
لا ضعيفٌ مستعبدٌ، لا قويٌّ
مُستبدٌ، بل كلُّهمُ أكفَاءُ
كلُّ شيءٍ لِلْـ كُلِّ مُلْكٌ حلالٌ
كلُّ شيءٍ فيها كما الكلُّ شأؤوا



وهيَ عند الخليعِ أرضٌ تَمِيسُ الـ
حورٌ فيها، وتَدْفُقُ الصَّهْبَاءُ
كلُّ ما النفسُ تشتيه مُباحٌ
لا صدودٌ، لا جفوةٌ، لا إباءُ
أكبرُ الإثمِ قوله المرءِ هذا الـ
أمرٌ إثمٌ، وهذه فحشاءُ
ليس بين الصَّلاحِ والشرِّ حدٌّ
كالذي شاء وضعهُ الأنبياءُ
وإذا لم يكنْ عفافٌ وفِسْقٌ
لم تكنْ حِشْمَةٌ ولا اسْتِحياءُ



كلُّ قلبٍ له السماءُ الذي يَهـ
وَي، وإن شئتَ كلُّ قلبٍ سماءُ
صُورٌ في نفوسِنَا كائناتٌ
ترتديها الأفعالُ والأشياءُ

رُبُّ شَيْءٍ كَالْجَوْهَرِ الْفَرْدِ فَذِي
عِدَّتُهُ الْأَغْرَاضُ وَالْأَهْوَاءُ
كُلُّ مَا تَقْصُرُ الْمَدَارِكُ عَنْهُ
كَأَنَّ مِثْلَ مَا الظَّنُّونُ تَشَاءُ

٦. بردي يا سحب ١

[المديد]

رَضِيتَ نَفْسِي بِقَسَمَتِهَا
فَلْيُرَاوِدْ غَيْرِي الشُّهُبَا
كُلُّ نَجْمٍ لَا اهْتَدَاءَ بِهِ
لَا أَبَالِي : لَاحَ أَوْ غَرِيبَا
كُلُّ نَهْرٍ لَا ارْتِوَاءَ بِهِ
لَا أَبَالِي: سَالِ أَوْ نَضَبَا
مَا غَدُ - يَا مَنْ يُصَوِّرُهُ
لِي شَيْئاً رَائِعاً عَجَبَا
مَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ
هُوَ كَالْأَمْسِ الَّذِي زَهَبَا
اسْقِنِي الصَّهْبَاءَ إِنْ حَضَرَتْ
ثُمَّ صِفْ لِي الْكَأْسَ وَالْحَبَبَا
لَيْسَ يَرَوِينِي مَقَالِكُ لِي:
«أَنْهَا الْعَقِيَانُ»^(١) مَنْسَكِبَا
إِنْ صَدَقْنَا لَا أَحْسُ بِهِ
هُوَ شَيْءٌ يَشْبَهُ الْكَذِبَا
لَا يُنَجِّي الشَّأَةَ مِنْ سَغَبٍ:
أَنْ فِي أَرْضِ السَّهَابِ^(٢) عَشَبَا

(١) الذهب الخالص .

(٢) كوكب خفي، يريد: السماء بنجومها .

ما على مَنْ لا يَطِيقُ يرى
نورَ الوادي أو اُكْتَأبَا
ما يفيدُ الطَّيرَ في قفصٍ
ضاقَ هذا الجوُّ أو رَحِبَا



بردي يا سحبٌ من ظمئي
واهطلي من بعد ذا ذهابا
أوفكوني - غيرَ راحمةٍ -
حِمْماً حمراء لا سُحْبَا
ولكنَّ وحدي لها هدفاً
ولتكنْ نفسي لها حطبا
أنا من قومٍ إذا حزنوا
وجدوا في حُزنِهِمْ طرِبا
وإذا ما غايَةٌ صَعُبَتْ
هونوا بالتَّركِ ما صَعِبَا



٧. العير المتنكر

[الكامل]

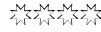
زَعَمَ المؤدَّبُ أَنَّ عَيْراً^(١) سَاءَ
أَلَّا يُسَارَ بِهِ إِلَى المِيدَانِ
فَمَضَى فَقَصَّرَتِ القَوَاطِعُ ذِيْلَهُ
وَسَطَّتْ مَوَاضِيَهَا عَلَى الآذَانِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ المَرُوضُ وَاعْتَلَى
مَتْنِيَهُ رَابَ الفَارِسُ الكَشْحَانَ^(٢)
لَكِنَّهُ مَا زَالَ غَيْرَ مُصَدِّقٍ
حَتَّى عَلَا صَوْتُ كَصَوْتِ الجَانِ
فَاسْتَلَّ صَارِمُهُ فَطَاحَ بِرَأْسِهِ
وَرَمَى بِجَثَّتِهِ إِلَى الغَرِيَانِ
مَادَامَ يَصْحَبُ كُلَّ حَيٍّ صَوْتَهُ
هِيَهَاتَ يُخْفِي العَيْرَ جِلْدُ حَصَانِ

(١) الحمار الوحشي والأهلي .
(٢) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

٨. تعالي

[الهمز]

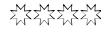
تَعَالِيْ نَتَعَاظَاهَا كَلَوْنِ التُّبْرِ أَوْ اسْطَعْ
وَنَسْقِي النَّرْجَسَ الْوَاشِي بَقَايَا الرَّاحِ فِي الْكَاسِ
فَلَا يَعْرِفُ مَنْ نَحْنُ وَلَا يُبْصِرُ (*) مَا نَصْنَعُ
وَلَا يَنْقُلُ عِنْدَ الصُّبْحِ نَجْوَانَا إِلَى النَّاسِ



تَعَالِيْ نَسْرِقُ اللَّذَاتِ مَا سَاعَفْنَا الدَّهْرُ
وَمَا دَمْنَا وَمَا دَامَتْ لَنَا فِي الْعَيْشِ آمَالُ
فَإِنْ مَرَبْنَا الْفَجْرُ وَمَا أَوْقَظْنَا الْفَجْرُ
فَمَا يَوْقَظُنَا عِلْمٌ وَلَا يَوْقَظُنَا مَالُ



تَعَالِيْ نَطْلُقُ الرُّوحَيْنِ مِنْ سَجْنِ التَّقَالِيدِ
فَهَذِي زَهْرَةَ الْوَادِي تَذِيْعُ الْعَطْرِ فِي الْوَادِي
وَهَذَا الطَّيْرُ تَيَّاهُ فُخُورٌ بِالْأَغَارِيدِ
فَمَنْ ذَا عَنَفَ الزَّهْرَةَ أَوْ مَنْ وَبَّخَ الشَّادِي ؟

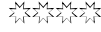


أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَعِشَقَ لِمَا أَوْجَدَ الْحُسْنَ
وَالْقَى الْحُبَّ فِي قَلْبِكَ إِذِ الْقَاهُ فِي قَلْبِي
مَشِيئَتُهُ.. وَمَا كَانَتْ مَشِيئَتُهُ بِلا مَعْنَى
فَإِنْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبُكَ أَوْ أَحْبَبْتَ مَا ذَنْبِي ؟



(*) في النسخة التي أرسلها د. عبد الكريم الأشتر، وردت [ولا يبص] وشرحها في الهامش بقوله: بص، لمع، حملها هنا معنى رأى أو كشف (كما هي في دارجة مصر). ولكن بهذه الكلمة ينكسر الوزن. ولعل الصواب ما أثبتناه

دعي اللاحي وما صنَّفَ والقَّالي^(١) وبهتانه
وللجدول أن يجري، وللزهرة أن تعبق،
وللأطيَّار أن تششَّاقَ أياراً وألوانه،
وما للقلب، وهو القلب، أن يهوى وأن يعشق؟



تعالِي إنَّ ربَّ الحبِّ يدعونا إلى الغابِ
لكي يمزجنا كالماء والخمرة في كأسٍ
ويغدو النورُ جلبابك في الغابِ وجلبابي
فكم نُصغي إلى الناس ونعصي خالقَ الناس!



يريد الحبُّ أن نضحك، فلنضحك مع الفجرِ
وأن نركض، فلنركض مع الجدول والنَّهرِ
وأن نهتف، فلنتهف مع البلبَلِ والقُمري^(٢)
فمَن يعلمُ بعد اليوم ما يحدثُ أو يجري؟



تعالِي قَبْلَما تسكُتُ في الروضِ الشَّحاريرُ
ويذوي الحورُ والصفصافُ والنَّرجسُ والآسُ
تعالِي قَبْلَما تطمُرُ أحلامي الأعاصيرُ
فنستيقظُ لا فجرُ، ولا خمرُ، ولا كأسُ



(١) قلاه : أبغضه .

(٢) طير أبيض (أقمر - قمر قمري).

٩ - ربح الشمال

[المقارب]

سألتُ وقد مرّت الشّمألُ
تنوُحُ وأوْبَنَةُ تُعْولُ
إلى أيّما غايَةٍ تركُضينَ
ألا مستقرُّ؟ ألا مَوتلُ؟
وكم تُعْولينَ وكم تصرخينَ
كعصفورةٍ راعها الأجدلُ^(١)
لقد طرَحَ الغُصنُ أوراقهُ
من الدُّعُرِ واضطربَ الجدولُ
وضلَّ الطريقَ إلى عِشهِ
فهامَ على وجْهِه البلبِلُ
وغطى السُّهى وجْههُ بالغَمَامِ
كما ينزوي الخائفُ الأعزلُ
وكادتُ تخرُّ لَدَيْكَ الهَضابُ
وتركضُ قدامكِ الأجبُلُ



أبنتَ الفُضَاءِ أضاقَ الفُضَاءُ
فأنتِ إلى غَيره أُمُيْلُ؟
أَغَاظُكَ أن الدَّجَى لا يَزولُ
وأن الكواكبَ لا تَأفلُ

(١) الصقر .

أَتَبْكِينَ أَمَّا لِكَ الْخُضَائِعَاتِ
هَلِ الرِّيحُ مِثْلُ الْوَرَى تَأْمَلُ
أَيَعِدُو وَرَاءَكَ جَيْشٌ كَثِيفٌ
أَمْثَلُكَ يَرْهَبُهُ الْجَحْفَلُ
وَمَا فِيكَ عِضْوٌ وَلَا مِفْصَلُ
فَتَقْطَعُ أَوْصَالَكَ الْأَنْصُلُ
فَجَاوِبَنِي هَاتِفٌ فِي الظَّلَامِ :
غَلَطْتَ فَمَا هَذِهِ الشُّمَالُ
وَلَكِنَّهَا أَنْفُسُ الْغَابِرِينَ
تَجُوسُ الدِّيَارَ وَلَا تَنْزِلُ
فَقُلْتُ: أَيْنَهُزُ مَنْ فِي الْقُبُورِ
وَفَوْقَهُمُ التُّرْبُ وَالْجَنْدَلُ؟
أَجَابَ الصَّدَى ضَاخِكًا سَاخِرًا:
إِلَى كَمْ تَحَارُ وَكَمْ تَسْأَلُ؟
وَتَرْفَعُ عَيْنَيْكَ نَحْوَ السَّمَاءِ
وَلَيْسَتْ تُبَالِي وَلَا تَحْفَلُ
مَنْ الْبَحْرِ تَصْعَدُ هَذِي الْغِيُوثُ
وَتَهْطَلُ فِي الْبَحْرِ إِذْ تَهْطَلُ
وَفِي الْجَوِّ إِنْ خَفَيْتَ نَسْمَةً
وَفِي الْأَرْضِ إِنْ نَضَبَ الْمَنْهَلُ



لَقَدْ كَانَ فِي أَمْسٍ مَا قَبْلَهُ
وَفِي غَدِهِ يَوْمُكَ الْمُنْقَبِلُ
عَجِبْتُ لِبَبَاكَ عَلَى أَوَّلِ
وَفِي الْآخِرِ النَّائِحُ الْأَوَّلُ



هَمْ فِي الشَّرَابِ الَّذِي نَحْتَسِي
وَهَمْ فِي الطَّعَامِ الَّذِي نَأْكُلُ
وَهَمْ فِي الْهَوَاءِ الَّذِي حَوْلَنَا
وَفِي مَا نَقُولُ وَمَا نَفْعَلُ
فَمَنْ حَسِبَ الْعَيْشَ دُنْيَا وَآخِرَى
فَإِذَا رَجُلٌ عَقَلَهُ أَحْوَلُ

١٠ - الحجر الصغير

[الخفيف]

سَمَعَ اللَّيْلُ ذُو النُّجُومِ أَنِيناً
وهو يغشى المدينةَ البيضاءَ
فانحنى فوقها كمسترقِ الهَمِّ
سِيطِلُ السَّكُوتِ والإصغاءِ
فرأى أهلها نياماً كأهلِ
كَهْفٍ لَا جَلْبَةَ وَلَا ضَوْءَ
ورأى السدَّ خلفها مُحْكَمَ البِنْدِ
بيانِ والماءِ يُشْبِهُ الصَّحراءِ
كَانَ ذَاكَ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ حَجَرٍ فِي السَّ
سَدِّ يَشْكُو الْمَقَادِرَ الْعَمِيَاءِ
أَيُّ شَأْنٍ يَقُولُ فِي الْكَوْنِ شَأْنِي
لَسْتُ شَيْئاً فِيهِ وَلَسْتُ هَبَاءَ
لَا رَخَامٍ أَنَا فَأَنْحَتَ تِمْنًا
لَا وَلَا صَخْرَةً تَكُونُ بِنَاءَ
لَسْتُ أَرْضاً فَأَرْشَفُ الْمَاءَ أَوْ مَا
ءٌ فَأُرْوِي الْحَدَائِقَ الْغَنَاءَ
لَسْتُ دُرّاً تُتَنَافَسُ الْغَادَةُ الْحَسَّ
نَاءَ فِيهِ الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءُ
لَا أَنَا دُمْعَةٌ وَلَا أَنَا عَيْنٌ
لَسْتُ خَالاً أَوْ وَجَنَةً حَمراءِ

حَجَرٌ أَغْيِرُ أَنَا وَحَقِيرٌ
لا جَمالاً لا حِكْمَةً لا مَضَاءَ
فَلأَغادرُ هذا الوجودَ وأَمضي
بِسلامٍ، إِنِّي كَرِهْتُ البِقاءَ
وَهَوَى مِنْ مَكَانِهِ؛ وَهُوَ يَشْكُو أَلْ
أَرْضَ وَالشُّهْبَ وَالِدَجَى وَالسَّمَاءَ
فَتَحَ الْفَجْرُ جَفَنَهُ... فَإِذَا الطُّو
فَإِنْ يَغْشَى «الْمَدِينَةَ الْبَيْضَاءَ»

١١ - الطين

[الخفيف]

نسيَ الطينُ - ساعةً - أنه طيد
نُ حَقِيرٌ فَصَالَ تِيَهَا وَعَرَبْدُ
وكسا الخزُّ جسمه فتباهاى
وحوى المالَ كيسه فتمردُ
يا أخي. لا تملُ بوجهك عني،
مَا أَنَا فحمةٌ ولا أنتَ فَرْقَدُ
أنتَ لم تصنعِ الحريرَ الذي تَلُ
بَسُ واللؤلؤَ الذي تتَقَلَّدُ
أنتَ لا تَأْكُلُ النُّضَارَ إِذَا جُعُ
تَ ولا تشربُ الجُمانَ المُنْخَدُ
أنتَ في البَرْدَةِ الموشاةِ مثلي
في كِسَائِي الرَّدِيمِ تشقى وتسعدُ
لكَ في عَالَمِ النِّهَارِ أَمَانُ،
ورؤى، والظلامُ فوقك ممتَدُ
ولقلبي كما لقلبك أحلا
مُ حَسَانُ، فَإِنَّهُ غَيْرُ جَلْمَدُ



أأْمَانِي كُلُّهَا مِنْ تَرَابِ
وأْمَانِيكَ كُلُّهَا مِنْ عَسَجَدِ؟
وأْمَانِي كُلُّهَا لِلتَّلَاشِي
وأْمَانِيكَ لِلخُلُودِ الْمُؤَكَّدِ !

لا . فهذي وتلك تأتي وتمضي
 كذويها . وأي شيء سَرمَد ؟
 أيها المُرْذهي .. إذا مَسَّكَ السُّفُّ
 مُمْ أَلَّا تَشْتَكِي ؟ أَلَا تَتَنَهَّد ؟
 وإذا راعكَ الحبيبُ بهجرٍ
 ودَعَتَكَ الذكري أَلَا تَتَوَجَّدُ؟^(١)
 أنت مثلي يبشُّ وجهك للنُّعْ
 مَي وفي حالة المصيبة يَكْمَد
 أدموعي خُلْ ودمْعُكَ شَهْدُ ؟
 وبكائي ذُلٌّ ونوحُكَ سُودُّ ؟
 وابتسامي السَّرَابُ لَا رِيَّ فِيهِ ؟
 وابتساماتُكَ اللَّائِلِيُّ خُرْدُ؟^(٢)
 فَلَاكَ وَاحِدٌ يُظِلُّ كَلَيْنَا
 حَارَ طَرْفِي بِهِ وَطَرْفُكَ أَرْمَدُ^(٣)
 قَمَرٌ وَاحِدٌ يُطِلُّ عَلَيْنَا
 وعلى الكوخِ والبناءِ المُوَطَّدُ
 إن يكنْ مشرقاً لعينيك إني
 لَا أَرَاهُ مِنْ كُوءِ الكُوخِ أَسْوَدُ
 النجومُ التي تراها أراها
 حينَ تخْفَى، وعندما تَتَوَقَّدُ
 لست أدنى على غناك إليها
 وأنا مَعَ خَصَاصَتِي^(٤) لست أبعد



(١) من الوجد .
 (٢) اللؤلؤ قبل أن يتقَب (الخريدة).
 (٣) من الرمد : أرمَد ورمداء .
 (٤) الفقر .

أَنْتَ مِثْلِي مِنَ الثُّرَى وَإِلَيْهِ
فَلَمَّاذَا يَا صَاحِبِي التَّيَهُ وَالصَّد
كَنتَ طِفْلاً إِذْ كُنتَ طِفْلاً، وَتَغْدُو
حِينَ أَغْدُو شَيْخاً كَبِيراً أَدْرَدُ^(١)
لَسْتُ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ جِئْتُ وَلَا مَا
كَنتُ، أَوْ مَا أَكُونُ يَا صَاحِ فِي غَدٍ
أَفْتَدْرِي؟ إِذَنْ فَخَبِّرْ، وَإِلَّا
فَلَمَّاذَا تَظُنُّ أَنَّكَ أَوْحَدٌ؟



أَلَكِ الْقَصْرُ دُونَهُ الْحَرْسُ الشَّاءُ
كِي وَمِنْ حَوْلِهِ الْجِدَارُ الْمَشِيدُ
فَامْنَعِ اللَّيْلَ أَنْ يَمُدَّ رِوَاقًا
فَوْقَهُ؛ وَالضُّبَابَ أَنْ يَتَلَبَّدَ
وَانْظُرِ النُّورَ كَيْفَ يَدْخُلُ لَا يَطُ
لُبُّ إِذْنًا، فَمَا لَهُ لَيْسَ يُطْرَدُ؟
مَرْقَدٌ وَاحِدٌ نَصِيبُكَ مِنْهُ
أَفْتَدْرِي كَمْ فِيكَ لِلذَّرِّ مَرْقَدٌ؟
ذُدْتَنِي عَنْهُ، وَالْعَوَاصِفُ تَعْدُو
فِي طِلَابِي وَالْجَوُّ أَقْتَمُ أَرْبَدُ^(٢)
بَيْنَمَا الْكَلْبُ وَاجِدٌ فِيهِ مَأْوًى
وَطَعَامًا، وَالْهَرُّ كَالْكَلْبِ يُرْفَدُ
فَسَمِعْتُ الْحَيَاةَ تَضْحَكُ مِنِّي
أَتَرْجَى، وَمِنْكَ تَأْبَى وَتَجَحَدُ؟



(١) من ليس في فمه سنّ (والأنثى : درداء) .

ألك الروضة الجميلة فيها الدُّ
ماء والطير والأزهار والنَّد؟
فازجرِ الرياح أن تهز وتلوي
شجر الروض - إنه يتأوَّد
والجُم الماء في الغدير ومُره
لا يُصَفَّقُ إلا وأنت بِمَشْهَد
إن طير الأراك^(١) ليس يُبالي
أنت أصغيت أم أنا إن غرَّد
والأزاهير ليس تسخر من فق
ري ولا فيك للغنى تتودد



ألك النهر؟ إنه للنسيم الرُّ
رطبِ درب وللعصافير مَوْرِد
وهو للشُّبِّ تستحِمُّ به في الصُّ
صيف ليلاً كأنها تتبرَّد
تدَّعيه فهل بأمرِك يجري
في عُروقِ الأشجار أو يتجعَّد
كان من قَبْل أن تجيء، وتمضي
وهو باقٍ في الأرض للجزر والمد



ألك الحقل؟ هذه النحلُ تجني الشُّ
شَهْد من زهره ولا تتبرَّد
وأرى للنِّمال ملكاً كبيراً
قد بنته بالكَدح فيه وبالكَد

(١) شجر طيب الرائحة، تتخذ منه المساويك .

أَنْتَ فِي شَرْعِهَا دَخِيلٌ عَلَى الْحَقِّ
لِ وَلِصٍّ جَنَى عَلَيْهَا فَاْفَسَدَ
لَوْ مَلَكَتِ الْحَقُولَ فِي الْأَرْضِ طُرّاً
لَمْ تَكُنْ مِنْ فَرَاشَةِ الْحَقْلِ أَسْعَدَ
أَجْمِيلٌ؟ مَا أَنْتَ أَبْهَى مِنَ الْوَرِّ
دَةَ ذَاتِ الشَّذَا، وَلَا أَنْتَ أَجْوَدَ
أَمْ عَزِيزٌ؟ وَلِلْبَعُوضَةِ مِنْ خَدِّ
دَيْكَ قُوتٌ وَفِي يَدَيْكَ الْمُهَنْدُ
أَمْ غَنِيٌّ؟ هِيَ هَاتِ تَخْتَالُ لَوْلَا
دَوْدَةُ الْقَزِّ بِالْقَبَاءِ الْمُبْجَدِ
أَمْ قَوِيٌّ؟ إِنَّ مَرَّ النَّوْمِ إِذْ يَغْدُ
شَاكَ وَاللَّيْلَ عَنْ جَفْوَنِكَ يَرْتَدُ
وَأَمْنَعِ الشَّيْبَ أَنْ يُلِمَّ بِفَوْدِي
كَ وَمُرَّ تَلَبَّثِ النَّضَارَةِ فِي الْخَدِّ
أَعْلِيمٌ؟ فَمَا الْخِيَالُ الَّذِي يَطُ
رُقُ لَيْلًا؟ فِي أَيِّ دُنْيَا يُوَلَّدُ؟
مَا الْحَيَاةُ الَّتِي تَبِينُ وَتَخْفَى؟
مَا الزَّمَانُ الَّذِي يُذَمُّ وَيُحْمَدُ؟
أَيُّهَا الطَّيْنُ لَسْتَ أَنْقَى وَأَسْمَى
مِنْ تَرَابٍ تَدُوسُ أَوْ تَتَوَسَّدُ
سُدَّتْ أَوْ لَمْ تَسُدْ فَمَا أَنْتَ إِلَّا
حَيَوَانٌ مُسَيَّرٌ مُسْتَعْبَدٌ!!
إِنَّ قَصْرًا سَمَكْتَهُ سَوْفَ يَنْدُكُ
كَ وَثَوْبًا حَبَكْتَهُ سَوْفَ يَنْقَدُ^(١)

(١) قَدَّه : قَطَعَهُ .

لَا يَكُنْ لِلْخَصَامِ قَلْبُكَ مَأْوًى
إِنَّ قَلْبِي لِلْحَبِّ أَصْبَحَ مَعْبَدَ
أَنَا أَوْلَى بِالْحَبِّ مِنْكَ وَأَحْرَى
مِنْ كِسَاءٍ يَبْلَى وَمَالٍ يَنْفَدُ!

١٢- التينة الحمقاء

[البسيط]

وتينة غضة الأفنانِ باسقةٍ
قالت لا ترابها، والصيفُ يُحتَضِرُ:
«بئسَ القضاءَ الذي في الأرض أوجدني
عندي الجمالُ وغيري عنده النُّظَرُ»
«لأحبسَنَ على نفسي عوارفها
فلا يبينُ لها في غيرها أثرُ»
«كم ذا أَكَلْتُ نفسي فوقَ طاقتها
وليس لي بلٌ لغيري الفياءُ والتُّمرُ»
«لذي الجناحِ وذِي الأظفارِ بي وطَرُ»
«وليس في العيش لي فيما أرى وطَرُ»
«إني مُفصِّلَةٌ ظِلِّي على جسدي
فلا يكونُ به طولٌ ولا قِصرُ»
«ولستُ مثمرةً إلا على ثِقَةٍ
أَنْ ليس يَطْرُقُنِي طيرٌ ولا بشرُ»



عاد الربيعُ إلى الدنيا بموكبه
فازينتُ واكتستُ بالسُّندُسِ الشَّجَرُ

وطلَّتِ التَّيْنَةُ الحَمَقَاءُ عَارِيَةً
كَأَنَّهَا وَتِدٌ فِي الْأَرْضِ أَوْ حَجَرٍ
وَلَمْ يُطَقْ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ رُؤْيَاهَا
فَاجْتَنَّهَا فَهَوَتْ فِي النَّارِ تَسْتَعِرُ
مَنْ لَيْسَ يَسْخُو بِمَا تَسْخُو الْحَيَاءُ بِهِ
فَإِنَّهُ أَحْمَقُ بِالْحِرْصِ يَنْتَحِرُ

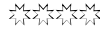
١٣. في القفر

[الخفيف]

سَئِمْتُ نَفْسِي الحَيَاةَ مَعَ النَّاسِ، وَمَلَّتْ حَتَّى مِنَ الْأَحْبَابِ
وَتَمَشَّتْ فِيهَا المَلَالَةُ حَتَّى ضَجِرْتُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَالشُّرَابِ
وَمِنَ الكِذْبِ لَا بَسًا بُرْدَةَ الصَّدْقِ وَهَذَا مُسَرِّبًا بِالكِذَابِ
وَمِنَ القُبْحِ فِي نِقَابِ جَمِيلٍ وَمِنَ الحُسْنِ تَحْتَ أَلْفِ نِقَابِ
وَمِنَ العَبَادِينَ كُلِّ إِلَهٍ وَمِنَ الكَافِرِينَ بِالأَرْبَابِ
وَمِنَ الوَاقِفِينَ كَالْأَنْصَابِ وَمِنَ السَّاجِدِينَ لِلْأَنْصَابِ
وَمِنَ الرَّاكِبِينَ خَيْلَ المَعَالِي وَمِنَ الرَّاكِبِينَ خَيْلَ التَّصَابِي
وَالأَلَى يَصْمُتُونَ صَمْتَ الْأَفَاعِي وَالأَلَى يَهْزِجُونَ هَزَجَ الدُّبَابِ
صَغُرَتْ حِكْمَةُ الشُّيُوخِ لَدِيهَا وَاسْتَخَفَّتْ بِكُلِّ مَا لِلشَّبَابِ
قَالَتْ: أَخْرُجْ مِنَ المَدِينَةِ لَلْقَفْرِ رَفِّفْ فِيهِ النِّجَاةَ مِنْ أَوْصَابِي



ولكَ الليلُ راهبي، وشموعي الشُّ
شُهْبُ؛ والأرضُ كُلُّها مِحْرَابِي
وكتابي الفضاءُ اقْرَأْ فيه
سُوراً ما قرأتُها في كتاب
وصلاتي الذي تقول السَّواقي
وغنائِي صوتُ الصَّبَا في الغاب
وكؤوسي الأوراقُ أَلَقْتُ عليها الشُّ
شَمْسُ ذُوبَ النُّضَارِ عِنْدَ الْغِيَابِ
ورحيتي ما سال من مُقْلَةٍ الْفَجْ
رِ على العشبِ كَاللُّجَيْنِ الْمُذَابِ
وَلْتُكْحَلْ يَدُ الْمَسَاءِ جَفُونِي
وَلْتُعَانِقْ أَحْلَامُهُ أَهْدَابِي
وَلْيُقَبِّلْ فَمُ الصَّبَاحِ جَبِينِي
وَلْيُعْطِرْ أَرْيَجُهُ جِلْبَابِي
وَلَا تُكُنْ كَالْغُرَابِ: رَزَقِي فِي الْحَفْ
لِ وفي السَّفْحِ مَجْتَمِي واضطرابي
سَاعَةً فِي الْخَلَاءِ خَيْرٌ مِنَ الْأَعْ
وَامِ تُقْضَى فِي الْقَصْرِ، وَالْأَحْقَابِ



يَا لِنَفْسِي فَإِنَّهَا فَتَنَتْني
بِالْحَدِيثِ الْمَنَمِّ الْخَلَابِ
فَإِذَا بِي أَقْلِي^(١) الْقُصُورَ وَسُكُنَا
هَا وَأَهْلَ الْقُصُورِ ذَاتِ الْقِيَابِ
فَهَجَرْتُ الْعِمْرَانَ تَنْفُضُ كَفِيَّ
عَنْ رِدَائِي غِبَارَهُ وَإِهَابِي

(١) قلاه - يقليه قلبي: أبغضه.

وتركتُ الحِمَى وسِرتُ وإيّا
ها وقد ذهبَ الأصيلُ الرُّوابي
نهتدي بالضحي فإن عَسَسَ الليد
لُ جعلنا الدليلَ ضوءَ الشُّهاب
وقضينا في الغاب وقتاً جميلاً
في جوارِ الغُدرانِ والأعشاب
تارةً في ملاءٍ من شُوعاعٍ
تارةً في ملاءٍ من ضباب
تارةً كالنسيمِ نمرحُ في الوا
دي، وطوراً كالجدولِ المُنسابِ
في سفوحِ الهضابِ والظلِّ فيها
ومع النُّورِ وهو فوقَ الهضابِ
إنما نفسيَ التي ملّت العُمُ
رَآنَ ملّت في الغاب صمّت الغاب
فأنا فيه مستقلُّ طليقُ
وكأنني أدبُ في سِردابِ



علّمتني الحياةُ في القَفْرِ أني
أينما كنتُ - ساكنُ في التُّرابِ
وسأبقى ما دمتُ في قفصِ الصِّلِ
صالِ عبدَ المُنَى أسيرَ الرِّغابِ
خلّتُ أني في القَفْرِ أصبحتُ وحدي
فإذا الناسُ كلُّهمُ في ثيابي



١٤ - التمثال

[الطويل]

مِنَ المَرَمَرِ المَسْنُونِ صَاغُوا مِثَالَهُ
وَطَافُوا بِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ زُمَرُ
وَقَالُوا: صَنَعْنَاهُ لِتَخْلِيدِ رَسْمِهِ
فَقُلْتُ: أَلَا يَفْنَى كَمَا فَنَى الْأَثَرُ؟
وَقَالُوا: نَصَبْنَاهُ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِ
فَقُلْتُ: إِذْنُ مَنْ يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِلْحَجَرِ؟
وَقَالُوا: غَنِيٌّ كَانَ يَسْخُو بِمَالِهِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَسْخَى مِنَ الْمَطْرِ؟
وَقَالُوا: قَوِيٌّ عَاشَ يَحْمِي ذِمَارَنَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَلْ كَانَ أَقْوَى مِنَ الْقَدَرِ؟
أَكَانَ غَنِيًّا أَمْ قَوِيًّا فَإِنَّهُ
بِمَالِكُمْ اسْتَغْنَى وَقَوَاتِكُمْ ظَفِرَ
فَلَمْ يَتَعَاشَقْكُمْ وَلَا هَمَّتْ بِهِ
كَمَا خَلْتُمْ، لَكِنَّهُ النِّفْعُ وَالضَّرَرُ
وَلَمْ تَرْفَعُوا التَّمَثَالَ لِلْبَاسِ وَالنَّدَى
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ فِي نَفُوسِكُمْ اسْتَتَرَ
فَلَسْتُمْ تَحِبُّونَ الْغَنِيَّ إِذَا افْتَقَرُ
وَلَسْتُمْ تَحِبُّونَ الْقَوِيَّ إِذَا انْدَحَرَ
رَأَيْتَكُمْ لَا تَعْرِجُونَ بِرَوْضَةٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الرُّوضِ فِيٌّ وَلَا تَمُرُ

ولا تَعْلِفُونَ الشَّاةَ إِلَّا لِتَسْمَنُوا
ولا تَقْتَنُونَ الْخَيْلَ إِلَّا عَلَى سَفَرٍ
إذا كان حبُّ الفضلِ للفضلِ شائعاً
ولم تُخْطِئُوا فِي الْحِسِّ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ
فما بالكم لم تُكْرَمُوا اللَّيْلَ وَالضُّحَى؟
ولم تَنْصَبُوا التَّمْثَالَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؟

١٥ - المساء

[مجزوء الكامل]

السُّحْبُ تَرْكُضُ فِي الْفَضَاءِ الرَّحْبِ رَكْضَ الْخَائِفِينَ
وَالشَّمْسُ تَبْدُو خُلْفَهَا صَفْرَاءَ عَاصِبَةِ الْجَبِينِ
وَالْبَحْرُ سَاجٍ صَامِتٌ فِيهِ خَشْوَةُ الزَّاهِدِينَ
لَكِنَّمَا عَيْنَاكَ بَاهِتَتَانِ فِي الْأَفْقِ الْبَعِيدِ
سَلْمَى! ... بِمَاذَا تُفَكِّرِينَ؟
سَلْمَى! ... بِمَاذَا تَحْلُمِينَ؟



أَرَأَيْتَ أَحْلَامَ الْطِفُولَةِ تَخْتَفِي خَلْفَ التُّخُومِ؟
أَمْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ أَشْبَاحَ الْكُهُولَةِ فِي الْغَيُومِ؟
أَمْ خَفَّتْ أَنْ يَأْتِيَ الدَّجَى الْجَانِي وَلَا تَأْتِيَ النُّجُومُ؟
أَنَا لَا أَرَى مَا تَلْمَحِينَ مِنَ الْمَشَاهِدِ إِنَّمَا
أُظْلِلُهَا فِي نَازِلِيكَ
تَنْمُ يَا سَلْمَى عَلَيْكَ



إِنِّي أَرَاكَ كَسَائِحٍ فِي الْقَفْرِ ضَلَّ عَنْ الطَّرِيقِ
يَرْجُو صَدِيقًا فِي الْفَلَاةِ، وَأَيْنَ فِي الْقَفْرِ الصَّدِيقُ
يَهْوَى الْبُرُوقَ وَضَوَاهَا وَيَخَافُ تَخْدَعُهُ الْبُرُوقُ
بَلْ أَنْتِ أَعْظَمُ حَيْرَةً مِنْ فَارِسٍ تَحْتَ الْقَتَامِ^(١)
لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْتِصَارُ
وَلَا يَطِيقُ الْإِنْكَسَارُ



(١) الغبار .

هذى الهواجِسُ لم تكن مرسومةً في مقلاتِكِ
فلا قد رأيتُك في الضحى ورأيتُه في وجنتِكِ
لكن وجدْتُك في المساء وضعتِ رأسك في يديكِ
وجلستِ في عينيكِ الغازُ وفي النفسِ اكتئابُ
مثلُ اكتئابِ العاشقينِ
سلمى... بماذا تفكرين؟



بالأرضِ كيف هوتُ عروشُ النور عن هضباتِها؟
أم بالمروجِ الخضِرِ سادَ الصمتُ في جنباتِها؟
أم بالعصافيرِ التي تعدو إلى وكناتِها؟
أم بالمسا؟ إنَّ المسا يُخفي المدائنَ كالقرى
والكوخَ كالقصرِ المكينِ
والشوكَ مثلَ الياسمينِ

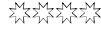


لا فرقَ عند الليلِ بين النهرِ والمستنقعِ
يخفي ابتسَاماتِ الطروبِ كأدمعِ المتوجعِ
إنَّ الجمالَ يغيبُ مثلُ القبحِ تحت البُرقعِ
لكن لماذا تجزعينَ على النهارِ وللدجى
أحلامهُ ورغائِبُهُ
وسمأؤُهُ وكواكبُهُ



إن كان قد سترَ البلادَ سهولُها ووعورها
لم يسلبِ الزَّهرَ الأريجَ ولا الميَاهَ خريرها
كلا. ولا منعَ النِّسائمَ في الفضاءِ مسيرها
ما زالَ في الورقِ الحفيفِ وفي الصَّبَا أنفاسها

والعندليب صداحه
لا ظفره وجناحه



فاصغى إلى صوتِ الجداولِ جارياتٍ في السفوحِ
واستنشقي الأزهارَ في الجنّاتِ ما دامتْ تفوحُ
وتمتّعي بالشُّهْبِ في الأفلاكِ ما دامتْ تلوحُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانُ كَالضُّبَابِ أَوْ الدُّخَانِ
لا تبصرين به الغديرُ
ولا يَلْذُكَ الخَرِيرُ



لتكنْ حياتك كُلُّها أَمْلاً جميلاً طيّباً
ولتَمَلْ الأَحْلَامُ نَفْسَكَ في الكَهْولَةِ والصُّبَا
مثلَ الكواكبِ في السَّمَاءِ وكالأزهارِ في الرُّبَا
ليكنْ بِأَمْرِ الحُبِّ قَلْبُكَ عَالِماً في ذاتهِ
أزهاره لا تذبلُ
ونجومه لا تـأفلُ



مات النهارُ ابنُ الصُّباحِ فلا تقولي كيف ماتُ
إن التَّأَمَّلَ في الحَيَاةِ يَزِيدُ أَوْجَاعَ الحَيَاةِ
فدعي الكَابَةَ والأَسَى واسترجعي مَرَحَ الفَتَاةِ
قد كان وجهُكَ في الضحى مثلَ الضحى متهللاً
فيه البشاشةُ والبهاءُ
ليكنْ كذلكَ في المساءِ



١٦ - الكمنجة المحطمة

[الكامل]

شاهدتها كالميت في أكفانه
فوجمت إلا عبرة أذريها
مهجورة كسفينة منبوذة
في الشط غاب وراءه ماضيها
نسجت عليها العنكبوت خيوطها
وكسا الغبار غلالة تكسوها
أقوت وبانت كالمسامع بعدها
لا شيء يطربها ولا يشجىها
وكأنها في صمتها مشدوهة
ألا ترى بهتافها مشدوها
لا حس في أوتارها، لا شوق في
أضلاعها، لا حُسن في باقيها
فارزح بحزنك يا حزين فإنها
لا تنشر الشكوى ولا تطويها
وإذا انقضى عهد التعلل بالمنى
فالنفس يشفيها الذي يُريها



لله عهد مرلي في ظلها
أبكي عليه وتارة أبكيها

كانتْ كأنْ ضلوعَها موصولَةٌ
بأضالعي، وسرائري في فيها
كم مرةً حامتْ غرابيبُ^(١) الأسي
لتُقيتْ من قلبي الجريحِ بَنِيها
فإذا الأغاريدُ اللطيفةُ دونَها
سُورٌ يصونُ حُشاشتي وبقِيها
كم هزني الشدوُ الرخيمُ فساقطتْ
نفسي هُموماً أوْشكتْ تُباليها
فإذا أنا مثلُ البنفسجةِ التي
ذُبُلْتُ فباكرَها الندى يُحييها
ولكم سمعتُ خفوقَ أجنحةِ المنى
وحفيفَها في نغمةٍ توحِيها
فسكرتُ حتى ما أعي، سُكَّرَ امرئُ
بالخمرِ أترعَ كأسه ساقِيها
ورأيتُني في جنةٍ سحرِيَّةٍ
لا يرتوي من حُسْنِها رائِيها
ولحتُ أحلامَ الشبابِ مواكباً
تَتَرَى أُمامي، والهوى حاديها
سِرُّ السعادةِ في الرؤى إنْ الرؤى
لا كفٌ تُثبِتُها ولا تمحُوها

(١) شديدة السواد .

ولكم سمعتُ دبيبَ أشباحِ الأسي
عند المسافر في أنةٍ تُزجِها
فذكرتُ ثم محاسناً تحت الثرى
غابتُ وشوَّهها البلى تشويها
فإذا أنا كالسَّنديانةٍ شوَّشتُ
أغصانها الريحُ التي تلوها
أو كالسفينةٍ في الضبابِ طريقها
ضلَّتُ، وغابتُ أنجمٌ تهديها
شَهِدَ الدُّجى والفجرُ أني جازعُ
لسكوتها جزعَ الغديرِ أخيها
ما إن سمعتُ أنينَه ونشيجَه
إلا ويعرو النفسَ ما يعروها
روى الثرى يا ليتَ رُوحِي في الثرى
أو في النباتِ لعلَّه يُروها
يا صاحبي وفي حنايا أضلعي
همُّ يَكْظُ الروحَ بل يُدميها
إن التي نقلتُ حكاياتِ الهوى
لم يبقَ غيرُ حكايةٍ تُروها
كمدينةٍ دكَّ القضاءُ صروحها
دكًّا، وكفنَ بالسكوتِ ذويها
نُعيتُ فَرِيعَ الفجرِ وارتعشَ الدُّجى،
ما كان أهونها على ناعيتها

لا تعجبا في الغاب من نوح الصَّبَا
وعَوِيلِها إِنَّ الصَّبَا تَرثيها
لو تسمعانِ نجيَّها متمشياً
كالسَّحَرِ في الأرواحِ يَسْتَهويها
لَعَلِمْتُما أَنَّ القضاءَ اغتالها
كَيْلا تبوحَ بكلِّ سرٍّ فيها

١٧ - زهرة أقحوان

[مجزوء الرمل]

كان في صدري سرُّ كامنٌ كالأفْعوانِ
أتوقَّاهُ وأخشى أن يَـرَاهُ من يراني
وإذا لَاحَ أمامي عَقَلَ الذُّعُرُ لِساني
فكأنني عندَ بحرٍ هائجٍ أو بُرْكانٍ^(١)
لم أخَفُهْ غيـرَ أني خفتُ أبْناءَ الزمانِ
ولكـمَ فـانٍ نظيري خافَ قبلي بطشَ فـانٍ



لم يَسعَ سريَّ فؤادي، لم تَسعَ نفسي المعاني
فقصدتُ الغابَ وحدي والدجى مُلقى الجِـرانِ^(٢)
ودفنتُ السرَّ فيه مثلاً ما يَدْفَنُ جـانِ
ورأى الليلُ قتيلي فبكاهُ وبكـاني
إنَّ لـيلٍ دموعاً لا تراها مُقلتان



كنتُ حتَّى معَ ضَميري أَمس في حربِ عَوانِ
فانقضى عهدُ التَّجافي وأتى عهدُ التَّداني
خُدِرتُ رُوحِي فأمسى شأنُ جُلِّ الخَلْقِ شاني
لا أرى في الخمرِ معنًى، ولكمَ فيها معانٍ!
فكأنني آلةَ العاصِرِ أو إحدى الأواني
لم يَعدْ قلبي كالبرقِ شديدَ الخَفَقانِ

(١) التشديد لضبط الوزن .

(٢) مقدم عنق البعير، يمهده على الأرض فيقال : ألقى جرانه بالأرض .

لَمْ تَعُدْ نَفْسِي كَالنَّجْمَةِ ذَاتِ اللَّمَعَانِ
بِتُّ لَا أَبْكِي لِمَظْلُومٍ وَلَا حُرٍّ مُهَانِ
لَا وَلَا أَحْفَلُ بِالْبَآكِي وَلَوْ ذُو صَوْلَجَانِ
صِرْتُ كَالصَّخْرِ، سَوَاءٌ هَادِمٌ عِنْدِي وَبَانِ !



يَا لَأَمَانِي الْغَوَالِي ! يَا لِأَحْلَامِي الْحِسَانِ !
طَوَتْ الْغَابَةُ سِرِّي فَاَنْطَوَتْ مَعَهُ الْأَمَانِي
ضَاعَ لِمَا ضَاعَ شَيْءٌ مِنْ كِيَانِي، بَلْ كِيَانِي
فِي صَبَاحٍ مُسْتَطِيرٍ كَصَبَاحِ الْمِهْرَجَانِ
لَبِستُ فِيهِ الرُّوَابِي حُلَّةً مِنْ أَرْجَوَانِ
وَتَبَدَّى الْغَابُ مِنْ أَوْرَاقِهِ فِي طِيلِ السَّانِ
سَاقَنِي رُوحٌ خَفِيَ نَحْوَ ذِيكَ الْمَكَانِ
فَإِذَا بِالسُّرِّ أَضْحَى زَهْرَةً مِنْ أَقْحَوَانِ !



١٨ - الأسرار

[الكامل]

يا لَيْتَنِي لَصُّ لَأَسْرُقَ فِي الضَّحَى
سِرَّ اللُّطَافَةِ فِي النَّسِيمِ السَّارِي
وَأَجْسٌ مُؤْتَلِقَ الْجَمَالِ بِإِصْبَعِي
فِي زُرْقَةِ الْأُفُقِ الْجَمِيلِ الْعَارِي
وَيَبِينُ لِي كُنْهُ الْمَهَابَةِ فِي الرُّبَا
وَالسَّرَفِ فِي جَذَلِ الْغَدِيرِ الْجَارِي
وَالسُّحْرِ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَنْغَامِ وَالْأَنْدَاءِ
وَالْأَشْوَازِ وَالْأَزْهَارِ
وَبِشَاشَةِ الْمَرْجِ الْخَضِيبِ وَوَحْشَةِ
وَادِي الْكَئِيبِ وَصَوْلَةِ التِّيَّارِ
وَإِذَا السُّدُجَى أَرخَى عَلَيَّ سُدُولَهُ
أَدْرَكْتُ مَا فِي اللَّيْلِ مِنْ أَسْرَارِ
فَلَكُمُ نَظَرْتُ إِلَى الْجَمَالِ فَخِلْتُهُ
أَدْنَى إِلَى بَصَرِي مِنَ الْأَشْفَارِ^(١)
فَطَلَبْتُهُ فَإِذَا الْمَغَالِقُ دُونَهُ
وَإِذَا هُنَاكَ أَلْفُ أَلْفِ سِتَارِ
بَادٍ وَيَعْجِزُ خَاطِرِي إِدْرَاكَهُ
وَافْتَنَنْتِي بِالظَّاهِرِ الْمُتَوَارِي!

(١) شُغِرَ الْعَيْنُ : حَرَفَ الْجَفْنَ الَّذِي يَنْبِتُ عَلَيْهِ الْهَدَبُ .

١٩. العميان

[الخفيف]

كَمْ خَفَضْنَا الْجَنَاحَ لِلْجَاهِلِينَ
وَعَذَرْنَاهُمْ فَمَا عَذَرُونَا
خَبَرُوهُمْ يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُونَ
إِنَّمَا نَحْنُ مَعْشَرَ الشُّعْرَاءِ
يَتَجَلَّى سِرُّ النُّبُوَّةِ فِينَا



ذَكَّرُوهُمْ قُرْبَ خَيْرٍ كَبِيرٍ
فَعَلَّتْهُ الْهُدَاةُ بِالتَّذْكِيرِ
إِنَّمَا النَّاسُ مِنْ تَرَابٍ وَنُورٍ
فَبَنُوا النُّورَ يَعْبُدُونَ النُّورَا
وَبَنُوا الطِّينَ يَعْبُدُونَ الطِّينَا



قِيلَ عَنَّا قُصُورُنَا مِنْ هُبَاءٍ
تَتَلَاشَى فِي خُحُوَّةٍ وَمَسَاءٍ
أَوْ سَطُورٌ بِالمَاءِ فَوْقَ المَاءِ
لَوْ سَكَنْتُمْ قُصُورَنَا بَعْضَ سَاعَةٍ
لَنَسِيتُمْ شُهُورَكُمْ وَالسَّنِينَ



لَوْ دَخَلْتُمْ هِيَاطَ الإِلَهَامِ
وَسَرَّحْتُمْ فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ
وَاجْتَلَيْتُمْ سِرَّ الْخِيَالِ السَّامِي

وعرفتُمْ كما عرَفْنَا اللهَ
لخررتُمْ أمامنا ساجدينَا



قد سَقَتْنَا الحَيَاةُ كَأْساً دِهَاقَا
حَسُنْتَ نَكْهَةً، وَطَابَتْ مَذَاقَا
وَسَقَيْنَا مِمَّا شَرَبْنَا الرُّفَاقَا
فتركناهُم حيارى سُكَارَى
يَتَمَنُّونَ أَنَّهُمْ لَا يَعُونَا



هَمُّكُمْ فِي الْكُؤُوسِ وَالْأَكْوَابِ
أَهْ لَوْ كَانَ هَمُّكُمْ فِي الشَّرَابِ
لَطَرَحْتُمْ عَنْكُمْ قِيُودَ التُّرَابِ
وَشَعَرْتُمْ بِلَذَّةٍ أَوْ عَذَابِ
هَذِهِ الْخَمْرُ لِيَتَكُمُ تَشْرَبُونَا!



أَتَقُولُونَ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ!
أَتَقُولُونَ: إِنَّهُ مَفْتُونٌ!
أَتَقُولُونَ: شَاعِرٌ مُسَكِينٌ!
كَمْ مَلِيكَ، كَمْ قَائِدٍ، كَمْ وَزِيرٍ
وَدُّ لَوْ كَانَ شَاعِراً مُسَكِينَا



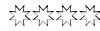
عَاشَ «مِلْتَن» فَلَمْ يَكُنْ مَذْكُورَا
و«هُومِيروسُ» «كَالشَّيْخِ» كَانَ ضَرِيرَا
وَلَقَدْ مَاتَ «ابْنُ بُرْدٍ» فَقِيرَا
أَرَأَيْتُمْ كَمَا رَأَى الْعَمِيَانُ؟
أَفَلَسْتُمْ بِنُورِهِمْ تَهْتَدُونَا؟



٢٠ - الزمان

[الكامل]

يمشي الزَّمانُ بمنْ تَرَقَّبَ حاجَةً
مُتَثاقِلاً كالخائفِ المتَرَدِّ
حتى ليحسبَهُ أسيَراً مُوثَّقاً
ويراهُ أبطأً من كسِيحٍ مُقَعَدٍ
ويخالُ حاجَتَهُ التي يصبولها
في دارةِ الجوزاءِ أو في الفَرَقَدِ
ويكونُ ما يرجوه زُورَةً صاحبِ
ويكونُ أبعدَ ما يُرجي في غدٍ



فإذا تولَّى النفسَ خوفٌ في الضحى
من واقبٍ^(١) تحت الدجى أو معتدٍ
طارَتْ بها خَيْلُ الزَّمانِ ونُوقُهُ
نحو الزَّمانِ المدلَّهمِ الأسودِ
فكأنها محمولةٌ في بارقٍ
أو عارضٍ أو عاصفٍ في فدَقَدِ^(٢)



ويكونُ أقصرَ ما يكونُ، إذا الفتى

(١) داخل (وقب : دخل).

(٢) الأرض الواسعة المستوية .

مَدَّتْ لَهُ الدُّنْيَا يَدَ الْمَتَوَدِّ
فَتَوَسَّطَ اللَّذَاتِ غَيْرَ مُنْقَرٍ
وَتَوَسَّدَ الْأَحْلَامَ غَيْرَ مَنْكَدٍ
فَإِذَا لَذِيذُ الْعَيْشِ نُغْبِيَةٌ طَائِرٍ
وَإِذَا طَوِيلُ الدَّهْرِ خَطَرَةٌ مِرْوَدٍ



وَإِذَا الْفَتَى لَبِسَ الْأَسَى وَمَشَى بِهِ
فَكَأَنَّمَا قَدْ قَالَ لِلزَّمَنِ اقْعُدِ
فَإِذَا الثَّوَانِي أَشْهَرُ، وَإِذَا الدَّقَا
نُقُ أَعْصُرُ، وَالْحَزْنُ شَيْءٌ سَرْمَدِي
وَإِذَا صَبَاحُ أَخِي الْأَسَى أَوْ لَيْلُهُ
مُتَجَدِّدٌ مَعَ هَمِّهِ الْمُتَجَدِّدِ
قَهَرَ الْوَرَى وَأَذَلَّهُمْ أَنَّ الْوَرَى
مُتَعَلِّلٌ أَوْ طَامِعٌ أَوْ مُجْتَدِ
جَعَلُوا رَغَائِبَهُمْ قِيَاسَ زَمَانِهِمْ
وَالدَّهْرُ أَكْبَرُ أَنْ يُقَاسَ بِمُقْصِدِ
وَقَتَلْتُ فِي نَفْسِي الرُّغَائِبَ وَالْمَنَى
فَقَهَرْتُهُ بِتَجَرُّدِي وَتَزْهُدِي
يَشْكُو الَّذِي تَشْكُو السُّهَادَ جَفَوْنَهُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ ذَا نَاضِرٍ لَمْ يَسْهَدْ
إِنْ كَانَ شَيْءٌ لِلنَّفَارِ أَعْدَهُ
فِي مَا انْقَضَى وَمَضَى، وَإِنْ لَمْ يَنْقَدْ
مَا إِنْ رَأَيْتُ الْكُحْلَ فِي حَدَقِ الْمَهَا
إِلَّا لَمَحْتُ الدَّوْدَ خَلْفَ الْإِثْمِدِ
مَنْ لَيْسَ يَضْحَكُ وَالصَّبَاحُ مُورِدٌ

لم يكتئبُ والصبحُ غيرُ مُوردٍ
سَيَّانٍ أحلامُ أراها في الكرى
عندي، وأشياءُ بها اشتملتُ يدي
أنا في الزمانِ كموجةٍ في زاخرٍ
أنا فيه إنْ يُزِيدْ وإنْ لم يُزِيدْ
مهما تلاطمَ فهوَ ليسَ بمُفرقي
أو مُخرِجي منه ولا بمُبدِدي
هيهاتَ ما أرجو ولا أخشى غداً
هل ارتجي وأخافُ ما لم يوجدِ
والأمسُ في فكيفَ أحسبُه انتهى
أفما رأيتُ الأصلَ في الفرعِ الندي؟
قبلُ كَبَعْدٍ حالُهُ وهميَّةُ
أمسي أنا، يومي أنا، وأنا غدي

٢١ - اليتيم

[الخفيف]

خَبِّرُونِي ماذا رَأَيْتُمْ ؟ أَأُطْفَا
لَا يَتَامَى أُمُّ مَوْكِبَا عَالَوِيَّا
كَزَهْوَرِ الرِّبْعِ عَرْفَا زَكِيَّا
وَنَجُومِ الرِّبْعِ نُورَا سَنِيَّا
وَالْفَرَاشَاتِ وَثْبَةً وَسَكُونَا
وَالْعَصَافِيرِ بِلِ الدُّنْجِيَّا
إِنِّي كَلِمَا تَأْمَلْتُ طِفْلَا
خَلْتُ أَنِي أَرَى مَلَكَ سَوِيَّا
قُلْ لِمَنْ يَبْصُرُ الضُّبَابَ كَثِيفَا
إِنْ تَحْتَ الضُّبَابِ فَجْرًا نَقِيَّا
الْيَتِيمُ الَّذِي يَلُوحُ زُرِيَّا
لَيْسَ شَيْئًا، لَوْ تَعْلَمُونَ، زُرِيَّا
إِنَّهُ غَرَسَتْهُ سَتُّ طُلُوعِ يَوْمَا
ثَمَرًا طَيِّبًا وَزَهْرًا جَنِيَّا
رَبِّمَا كَانَ أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ
فِي لِسُوفَا، أَوْ شَاعَرَا، أَوْ نَبِيَّا
لَمْ يَكُنْ كُلُّ عِبْقَرِيٍّ يَتِيمَا
إِنَّمَا كَانَ كَالْيَتِيمِ صَبِيَّا
لَيْسَ يَدْرِي لَكِنَّهُ سَوْفَ يَدْرِي
أَنْ رَبَّ الْأَيْتَامِ مَا زَالَ حَيَّا

عندما يصبحُ الصغيرُ فتياً
عندما يلبسُ الشَّبابُ حُلِيّاً
كلُّ نجمٍ يكونُ، من قَبْلِ أَنْ يَبْ
دو سديماً، عن العيون خفياً
إِنْ يَكُ الموتُ قد مضى بأبيه
ما مضى بالشعور فيك وفيّا
وشقاءٌ يُولدُ الرفقَ فينا
لَهُوَ الخَيْرُ بالشقاءِ تزيّاً
لا تقولوا مَنْ أُمُّهُ؟ مَنْ أبُوهُ؟
فأَبُوهُ وَأُمُّهُ سَوِيّاً
فأعينوه كي يعيشَ وينمو
ناعماً البَالُ في الحياةِ رضيّاً
رُبَّ ذَهْنٍ مِثْلَ النَّهَارِ مُنِيرٍ
صارَ بالبؤسِ كالظلامِ دَجِيّاً
كم أثيمٌ في السَّجْنِ لو أدركتُهُ
رحمةُ اللهِ كان حُرّاً سَرِيّاً
حاربوا البؤسَ في الصُّغارِ صغاراً
قبلَ أَنْ يستبدَ فيهم قوياً
كُلُّهُمْ ذاكَ الجريحُ الملقَى
فلنكنْ كلنا الفتى «السَّامِرِيّاً»^(١)

(١) قصته في القرآن الكريم (سورة طه، الآيات : ٨٥ وما بعدها). وهو الذي أخرج لقوم موسى العجل الذهبي بعد خروجهم من مصر.

٢٢ - المجنون

[مختلط]

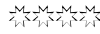
أطار عني النوم صوتُ في الدجى
كأنه دمدمةُ الشلالِ
يصرخُ والريحُ تردُّ الصدى
في أذنِ الفخياءِ والتلالِ
يا ليلُ قفْ هنيهةً قُبالي
تري البرايا وأرى الليالي
أنا الشَّادي، أنا الباكي،
أنا العاري، أنا الكاسي
أنا الخمرة والبدنُ
أنا السَّاقِي، أنا الحاسي



خلعتُ ثوباً لم تفصلهُ يدي
وهمتُ في الوادي بلا سربال
وخلُتُني انطلقتُ من سلاسلِي
وخلُصتُ ذاتي من الأوحالِ
فلم أزلُ أرسفُ في أغلالِي
ولم أزلُ في حنْدَسِ المَحالِ
فما أبكي من الغُربِ
سنة عن جارٍ وعن خَدَنِ
فقد يرجعُ جيرانِي
وتُنْفَى غُرْبَتِي عَنِّي



عرفتُ في النهارِ كلَّ مُقبلٍ
ومُدبرٍ، وما عرفتُ حالي
واسْتَتَرْتُ عني السَّهولُ والرُّبَا
تحت الدُّجَى، والبحرُ ذو الأهوالِ
لكنَّما لم تستترْ أمالي
عني ولا نقصي ولا كمالي
ولا ضروفي ولا عزمي
ولا قُبُحي ولا حسني
فكم أهربُ من نفسي
ومالي مهربُ مني



فقلتُ: من هذا ؟ فقال صَحيبي:
مُوسَوُسٌ يَهْذي من الخيالِ
يأوي إلى الأدغال في نهاره
كأنه جزءٌ من الأدغالِ
وفي الدُّجَى له صراخٌ عالٍ
كأنه والليلَ في نضالٍ
كأنَّ الليلَ يوثقُه
ببُاعِلالٍ وأمراسٍ
ويضربُ جسمَه العاري
بسَوطِ الظالم القاسي



مما إن رآه أحَدٌ إلا رآ
هَشاخَصَ الطَّرَفِ إلى الأعالي

كأنما يرقبُ رُكْباً صاعداً
أو هابطاً وليس غيرَ الآل^(١)
كأنما يخشى على الهلالِ
وسائرِ الشُّهبِ من الزوالِ
فصاحَ الصوتُ : ما أرجوه
في نفسي وما أحتذرُ
فمهمَّما رُحْبَ الأفقِ
فنفسِي الأفقُ الأكبرُ



ليس جلالُ الليلِ ما أدهشني
وإنما أدهشني جَلالي
ولا جمالُ الشُّهبِ ما حَيَّرني
وإنما حَيَّرني جمالي
إن كان بي شَوْقٌ إلى وَصالِ
فإنما شوقي إلى خيالي
توشَّحتُ الضُّحى والليدِ
لَ في أنفسي وفي حزني
فما زاد الدَّجى خوفاً
ولا زاد الضُّحى أماناً



لم أهجرِ الناسَ فأصنافُ الورى
من السُّلاطينِ إلى الموالى
إلى ذوي العلمِ إلى أهلِ الغنى
من واصلٍ وهاجرٍ وسالٍ

(١) السراب .

وحاضرٍ وسابقٍ وتالٍ
 في قبضتي «اليمنى» بلا جدالٍ
 تلاق الأحمق الجَاهُ
 لُ والوعالمُ في كَفِّي
 ومَن كان له إلفُ
 ومَن كان بلا إلفٍ



وفي يدي «الشُّمالُ» أشكالُ المنى
 وصورُ اليقِينِ والضَّلَالِ
 وكلُّ ما لعاقِلٍ أو جاهِلٍ
 مَن لَذَّةٌ أو ألمٌ قَتَّالُ
 وسائرُ الأمورِ والأحوالِ
 وكلُّ شيءٍ قال شخصٌ: ذا لي
 وكان السَّليلُ قد أزمَ
 عَ أن يحدو مطاياهُ
 فساد الصَّمْتُ في الوادي
 كأن الموتَ يغشاهُ



فسرتُ، والفجرُ دليلٌ، باحثاً
 في الغابِ والسَّفوحِ والتلالِ
 فلم أجدَ غيرَ صريعِ هامِدٍ
 منطرحٍ في جانبِ الشَّلَالِ
 «لا شيء» في قبضته الشُّمالِ
 وليس في اليمنى سوى «صُلصال»!



٢٣ - قطرة الطلّ

[مجزوء الرمل]

إِنْ تَرَزْهَرَةً وَرْدٍ، فَوْقَهَا لَطْلٌ قَطْرَةٌ
فَتَأْمَأْمُهَا كَالْغُزِّ غَامِضٍ تَجْهَلُ سِرَّهُ
وَلَتَكُنْ عَيْنُكَ كَفًّا، وَلِيَكُنْ لَمَسُكَ نَظْرُهُ
لَيْسَتْ الْحَمْرَاءُ جِمْرَةً؛ لَا وَلَا الْبَيْضَاءُ دُرَّهُ



رُبَّ رُوحٍ مِثْلِ رُوحِي عَافَتْ الدُّنْيَا الْمُخْزِرَةَ
فَارْتَقَتْ فِي الْجَوِّ تَبْغِي مَنْزِلًا فَوْقَ الْمَجْرَةِ
عَلَّهَا تَحِيًّا قَلِيلًا فِي الْفَضَاءِ الْحَرْحَرَةَ
ذَرَفَتْهَا مُقْلَةً الظُّلُمَاءِ عِنْدَ الْفَجْرِ قَطْرَهُ



٢٤ - نار القرى^(١)

[الكامل]

رُوحِي الَّتِي بِالْأَمْسِ كَانَتْ تَرْتَعُ
فِي الْغَابِ مِثْلَ الظَّبْيَةِ الْقَمَرَاءِ
تَقْتَاتُ بِالثَّمَرِ الْجَنِيِّ فَتَشْبَعُ
وَيُبْلُغُ غُلَّتَهَا رِشَاشُ الْمَاءِ
نَظَرْتُ إِلَيْكَ فَأَصْبَحْتَ لَا تَقْنَعُ
بِالْمَاءِ وَالْأَفْيَاءِ فِي الْغَبَرَاءِ
تُصْغِي وَتُنْصِتُ، وَالْحَمَامَةُ تَسْجَعُ
إِصْغَاؤُهَا لَكَ لَيْسَ لِلرُّوقَاءِ
نَادِيَتَهَا فَلَهَا إِلَيْكَ تَطْلُعُ
هَذَا التَّطْلُعُ كَانَ أَصْلَ شِقَائِي
جَنَحْتَنِي كَيْمَا أَطِيرَ فَلَمْ أَطِرُ
هِيَ هَاتِ إِنَّكَ قَدْ طَوَيْتَ سَمَائِي



قَدْ كَانَ يَسْبِينِي الْجَمَالُ الرَّائِعُ
حَتَّى لَمَحْتُكَ فَهُوَ لَا يَسْبِينِي
عَصَفْتُ بِصَدْرِي لِلْيَقِينِ زَوَابِعُ
ثَلَّتْ عُرُوشُ تَوْهَمِي وَظَنُونِي
فَأَنَا عَلَى مَا ضَاعَ مِنِّي جَازِعُ
إِنَّ الَّذِي قَدْ ضَاعَ جِدُّ ثَمِينِ

(١) رمز، في الشعر القديم، لمواطن الوحي وضوئه، تعشو إليه الأنظار .

لولاكِ ما مات الخيالُ اليافعُ
أفتعجبينَ إذا كرهتُ يقيني
هذا صنيعُكِ بي، فما أنا صانعُ
قد شاءَ بحركِ أن تَخلُ سَفيني
جَرَدتِ هذا الطينَ من أوهامِهِ
وَكَبِرتِ عن قارورةٍ من طينِ



كيف الوصولُ إليكِ يا نارَ القرى
أنا في الحضيضِ وأنتِ في الجوزاءِ
لي ألفُ باصرةٍ تَحَنُّ كما ترى
لكنَّ دونَكَ ألفُ ألفِ غِطاءِ
لو من ثرىٍّ، مزَّقَتْها بيدُ الثُّرى
لكنها سِجْفٌ من الأضواءِ
ساءلتُ قلبي إذ رأى فتحيِّرا
ماذا شربتَ فَمِدَّتْ؟ قال : دمائي
يا لَيْتَهُ قد ظلَّ أعمى كالورى
فلقد نَعَمْتُ، وكان في ظلماءِ
قد شَوَّشتُ كَفُّ النِّهارِ سَكِينَتِي
يا هذه رُدِّي إليَّ مَسائِي



أَمَسَيْتُ حينَ لَمَسْتَنِي بِيَدِكَ
لي ألفُ باصرةٍ وألفُ جِناحِ
ولمحتُ نارَ الوحيِ في عَيْنِكَ
والوحيُّ كان سُلَافَةَ الأرواحِ
فَنَشَرْتُ أَجْنَحَتِي وَحَمْتُ عَلَيْكَ
متوهِّماً أَنِّي وَجَدْتُ صَباحِي

قد كان حَتَفِي فِي الدُّنُو إِلَيْكَ
حَتَّفَ الْفَرَّاشَةَ فِي فَمِ الْمَصْبَاحِ
فَسَقَطَتْ مُرْتَعِشاً عَلَى قَدَمَيْكَ
النَّارُ مَهْدِي وَالدُّخَانُ وَشَاحِي
يَا لَيْتَ نَوْرِكَ حِينَ أَحْرَقَنِي انْطَوَى
فَعَلَى ضِيَائِكَ قَدْ لَمَسْتُ جِرَاحِي

٢٥ - ابن الليل

[مجزوء الرمل]

أشرفَ البدرُ على الغابةِ في إحدى الليالي
فرأى الثعلبَ يمشي خلسةً بين الدوالي
كلَّما لاحَ خيالُ خافٍ من ذاك الخيالِ
واقشعراً

ورأى ليثاً هصوراً واقفاً عند الغديرِ
كلما استشعرَ حساً ملأ الوادي زئيرُ
فإذا بالماء يجري خائفاً عند الصخورِ
مُكفهرًا

ورأى البدرَ ابنُ أوى يتهادى في الفضاءِ
كمَليكٍ حوله الشُّهبُ جنودٌ وإماءُ
قال: لو كنتُ رفيقَ البدرِ، أو بدرَ السماءِ
أو خياله

عشتُ حُرّاً جيرتي الشُّهبُ، ولي الظلماءُ مركبُ
أمناءُ، ألعبُ بالبرقِ وطوراً بي يلعبُ
لا أبالي سطوةَ الراعي ولا الكلبِ المجربُ
وصياله

غيرَ أن الليثَ لما أبصرَ البدرَ الضحوكا
قال: يا ابن الليلِ مهما أشتي لا أشتيكا
أنت وضاحٌ ولكن قاحلٌ لا صيدَ فيكا
أو حيالكُ

لَكَ هَذَا، الْأُفُقُ لَكِنْ هُوَ أَيْضاً لِلْكَوَاكِبِ
إِنَّمَا لَوْ كُنْتَ لَيْثاً ذَا نِيُوبٍ وَمَخَالِبِ
لَمْ تَعِثْ فِي وَجْهِكَ الْوَضَّاحِ الْحَاظُ الثَّعَالِبِ
صُنْ جَمَالَكَ

٢٦ - أنا

[الكامل]

حُرٌّ وَمَذْهَبُ كُلِّ حُرٍّ مَذْهَبِي
مَا كُنْتُ بِالْغَاوِي وَلَا الْمَتْعَصِبِ
إِنِّي لِأَغْضَبُ لِلْكَرِيمِ يَنْوِشُهُ
مَنْ دُونَهُ وَالْيَوْمُ مَنْ لَمْ يَغْضَبْ
وَأُحِبُّ كُلَّ مَهْذَبٍ وَلَوْ أَنَّهُ
خَصَمِي، وَأَرْحَمُ كُلِّ غَيْرِ مَهْذَبٍ
يَأْبَى فَوَادِي أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْأَذَى
حُبُّ الْأَذِيَّةِ مِنْ طِبَاعِ الْعَقْرِبِ
لِي أَنْ أَرُدَّ مَسَاءً بِمَسَاءٍ
لَوْ أَنَّنِي أَرْضَى بِبَرْقِ خُلْبٍ
حَسَبُ الْمَسِيئِ شَعُورُهُ، وَمَقَالُهُ
فِي سِرِّهِ: يَا لِي تَنِي لَمْ أَذْنِبْ



أَنَا لَا تَغْشُنِي الطَّيَالِسُ وَالْحُلَى
كَمْ فِي الطَّيَالِيسِ مِنْ سَقِيمٍ أَجْرَبِ
عَيْنَاكَ مِنْ أَثْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ
وَيَدَاكَ مِنْ أَخْلَاقِهِ فِي سَبَبٍ
وَإِذَا بَصُرْتَ بِهِ بَصُرْتَ بِأَشْمَطِ
وَإِذَا تُحَدِّثُهُ تَكْشِفُ عَنْ صَبِي

إني إذا نزلَ البَلَاءُ بِصَاحِبِي
 دافعتُ عنه بِنَاجِذِي^(١) وبِمُخْلِبي
 وشدتُ سَاعِدَهُ الضَّعِيفَ بِسَاعِدِي
 وسترتُ مَنْكِبَهُ العُريَّ بِمَنْكِبِي
 وأرى مَسَاوِئَهُ كَأَنِّي لَا أَرَى
 وأرى مُحَاسِنَهُ وَإِنْ لَمْ تُكْتَبْ
 وَأَلُومُ نَفْسِي قَبْلَهُ إِنْ أَخْطَأْتُ
 وَإِذَا أَسَاءَ إِلَيَّ لَمْ أَتَعَتَّبْ
 مُتَقَرِّبٌ مِنْ صَاحِبِي، فَإِذَا مَشَتْ
 فِي عِطْفِهِ الْغُلُوءُ^(٢) لَمْ أَتَقَرَّبْ
 أَنَا مِنْ ضَمِيرِي سَاكِنٌ فِي مَعْقِلٍ
 أَنَا مِنْ خَالِي^(٣) سَائِرٌ فِي مَوْكَبٍ
 فَإِذَا رَأَيْتُ ذُو الْغُبَاوَةِ دُونَهُ
 فَكَمَا يَرَى فِي الْمَاءِ ظِلَّ الْكَوْكَبِ

(١) السِّنَّ بَيْنَ النَّابِ وَالْأَصْرَاسِ (الجمع : نواجد) .

(٢) الْغُلُوءُ : الْغُلُوفُ وَالشُّطُطُ .

(٣) الْخَلَّةُ : الْخَصْلَةُ، مِنْ صِفَاتِ النَّاسِ .

٢٧ - الإله الشرثار

[الخفيف]

زعمَ المرءُ أنَّما هُوَ رَبُّ
كم يَلُوكَ الكلامَ هَذَا الإلهُ!
يلفظُ البحرُ، وهو ملحٌ أُجاجٌ
لؤلؤاً يبهر العيونَ سناه
ما ادَّعى الدرُّ أنه صورةُ البَحْدِ
—رٍ ولا قالَ: إنني إِيَّاه
لا ولا قــــال كلُّ شيءٍ إلى المحُ
ووما خُصَّ بالخلودِ سِواه
إنْ تَكُنْ للخلودِ ذائِكُ في الدنِّ
ييا، فماذا الأمرُ الذي تهواه؟
وإذا صِرتَ غيرَ شخصِكَ في الأخُ
رَى، فهذا الفَنّا الذي تخشاه
في التُّرابِ الذي تدوسُ عليه
ألفُ دنيا وعالمٌ لا تراه
أنتَ جزءٌ من الكيانِ، وفيه
كثُرَاهُ كَنَبُتِه كَحَاصاه
كالورودِ التي تُحبُّ شَذَاهَا
والبعوضِ الذي تخافُ أذاه
ما لحيَّ بالموتِ عنه انفصالُ
إنَّ دنياهُ هَذِهِ أُخْراه

٢٨ - الأشباح الثلاثة

[المتدارك]

رَأَوْدُنِي النَّوْمُ وَمَا بِرِحَا
حَتَّى طَاطَأْتُ لَهُ رَاسِي
أَطَبَقْتُ جَفُونِي فَأَنْفَتَحَا
بَابَ الرُّؤْيَا وَالْوَسْوَاسِ

أَبْصَرْتُ كَأَنِّي فِي مَوْضِعٍ
مَا فِيهِ غَيْرُ الْأَرْوَاحِ
فَوَقَفْتُ بُعِيداً أَتَطَلَّعُ
فَلَمْ حَتِّ ثَلَاثَةَ أَشْبَاحِ

وَلَدَيْتَهُادِي فِي الْعَشْرِ
وَفَتَى فِي بُرْدِ الْعِشْرِينَ
وَالثَّالِثُ شَيْخٌ فِي طِمْرٍ^(١)
ذُو جِسْمٍ يَحْكِي الْعُرْجُونَ^(٢)

وَإِذَا بِالْأَوَّلِ يَقْتَرِبُ
مَنِي كَالطَّائِرِ فِي الْوُتْبِ
فَشَعَرْتُ كَأَنِّي أَضْطَرُّ
وَكَأَنَّ خَطَاةً عَلَى قَلْبِي

(١) الطَّمْر: الثوب الخلق البالي (وجمعه أطمار) .

يا نفسي ما هذا الفَرْقُ ؟
لا رمحٌ مـمـعه ولا نـبـلٌ
ولماذا الخَشْيَةُ والْقَلَقُ
والخُلُقُ أَحَبُّهُمْ الطُّفْلُ

وإذا بالطُّفْلِ يَخَاطِبُنِي
بـكـلامٍ لا يـتـكـأفـه
ويُـمـازِحُنِي ويُداعِبُنِي
فـكـأنِّي شـخـصٌ يـعـرُفُه:

«ما بالكَ مِنْكُمْ شَأْ كَمِدا؟
قم نلعب في فيء الشَّجَرِ
ونَهْزُ الأَغْصَنُ والعُمُودا
ونذود الطير عن التَّمَر

أو نصنعُ خَيْلاً من قَصَبِ
أو طيِّـاراتٍ من ورقِ
ومُدَى وسيوفاً من خشبِ
ونَجُولُ ونركضُ في الطُّرُق

أو نأتي بالفحم القاتمُ
ونصوِّرُ فوق الأبوابِ
تَنَيناً في بحرِ عائمٍ
أو لـيـثاً يـخـطـرُ في غابِ

أَوْ كَلِيبًا يَعْدُو، أَوْ حَمَلًا
يَرْعَى، أَوْ نَهْرًا، أَوْ هَضْبَةً
أَوْ دِيكًا يَنْقُدُ^(١) أَوْ رَجُلًا
يَمْشِي، أَوْ مُهْرًا، أَوْ عَرَبَةً

أَوْ نَجْبُلُ مَاءً وَتَرَابًا
وَنَشِيدُ بِيوتًا وَقِبَابًا
أَوْ نَجْعُلُ مِنْهُ أَنْصَابًا
أَوْ نَصْنَعُ حُلُومًا وَكَبَابًا»

مَتَّلتُ الطِفْلَ وَدَنِيَاهُ
فَأَحَبَّتْ نَفْسِي دَنِيَاهُ
وَوَدِدْتُ لَوْ أَنِّي إِيَّاهُ
بَلْ خِلْتُ كَأَنِّي إِيَّاهُ

فَضَحَكَتُ وَلَجَّ بِيَ الضَّحْكُ
حَتَّى اسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي
فَاسْتَيْقَظَ فِي الْوَلَدِ الشُّكُّ
فَتَوَقَّفَ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي

وَيَقُولُ: أَيَا هَذَا قَدَكَا^(٢)
فَوَحَقَّكَ ذَا الطَّيْشِ الْأَكْبَرِ
مَا تَضَحَكُ مِنِّي بَلْ مِنْكَ
إِيَّاكَ أَنَا لَو تَتَذَكَّرُ!

(١) نقد الطائر الحب : لقطه واحدةً واحدة .

وتَوَارَى عَنِّي وَاحْتَجَبَا
كَالْمَوْجَةِ فِي عُرْضِ النَّهْرِ
فَتَضَايَقَ قَلْبِي وَاضْطَرَبَا
وَارْتَجَّتْ رُوحِي فِي ص_____دْرِي

وَإِذَا الشَّيْبُ الثَّانِي أَقْبَلَ
يَتَرَنَّحُ مِثْلَ الْخَمُورِ
الْلَّيْلُ عَلَى الدُّنْيَا مُسَدَّلٌ
وَعَالِيهِ وَشِاحٌ مِنْ نَوْرِ

مَعَصُوبُ الْمُقْلَةِ، وَالدَّرْبُ
وَعَرٌّ وَكَثِيرُ الْأَفَاتِ
كَسَفَيْنِ لَيْسَ لَهَا رَبٌّ
تَجْرِي فِي بَحْرِ الظُّلُمَاتِ

مَاذَا فِي الْأَفْقِ؟ فَقَدْ وَقَفَا
يَتَأَمَّلُ فِيهِ وَيَبْتَئِسُ
هَلْ لَاحَ لَهُ وَجْهٌ عَرَفَا
أَمْ هَزَّ جَوَارِحَهُ نَغَمٌ؟

أَمْ أَبْصَرَ آلِهَةَ الْحُبِّ
تَدْعُوهُ إِلَيْهَا إِيْمَاءُ
لَا شَيْءٌ فِي الْأَفْقِ الرَّحْبِ
وَكَأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءُ

الطَّيْرُ تُغْنِي لِلزَّهْرِ
ويظنُّ الطَّيْرُ تُسَاجِلُهُ
والزَّهْرُ تَرْحُبُ بِالْفَجْرِ
ويظنُّ الزَّهْرُ تُغَازِلُهُ

ونظرتُ إليه في البَرِّ
يتمنَّى لو خاضَ البحرا
ونظرتُ إليه في البحرِ
يتمنَّى لو بلغَ البَرَّ

يَتَأَفَّفُ من بَطءِ الدهرِ
والدهرُ يسيرُ به وتبَا
وينامُ ليحلمَ بالفجرِ
والفجرُ يضيءُ له الدُّرْبَا

ويُسَائِلُ عن كأسِ الخمرِ
ويُسَائِلُهُ عنها الناسُ
في الليل وفي وضح الفجرِ
والخمرةُ فيه والكأسُ

فصبرتُ ولازمتُ الصِّمْتَ
حتى داني الظلُّ الظلُّ
فأشرتُ إليه : من أنتا ؟
فأجاب: أنا ذاكَ الطفلُ

ومضى كالظلّ إذا انتقلا
وأنا أرجو لو لم يمضِ
فأعدتُ لنفسي ما ارتجلاً
فتعجبَ بعُضي من بعُضي

الشمسُ تزلُّ عن الأفقِ
كالروح المُحتضر السَّاجي
غمَرَتْهَا أمواجُ الغسقِ
فتوارتْ خلفَ الأمواجِ

والغيمُ الأسودُ يحتشدُ
طبَقاً في الجوِّ على طبَقِ
والليلُ يطولُ ويَطُرِدُ
والأرضُ كسارٍ في نفقِ

وإذا شِخُّ في صحراءِ
كالزورقِ في عُرْضِ البحرِ
أعياءُ الصلحِ مع الماءِ
وأضاعُ الدربِ إلى البرِّ

يمشي في الأرضِ على مَهَلٍ
وعلى حذرٍ، لكنْ يمشي
كالشاةِ تُساقُ إلى القتلِ
بعضاً جبَّارٍ ذي بطشِ

يا شيخ.. لماذا لا تَقِفُ
دَمِيتَ رجلاًكَ من الـرُكُضِ
فأجابَ بصوتٍ يرتجفُ:
الأرضُ تسيـرُ على الأرض!

يا شيخ.. رويداً فالـبدرُ
سيضيءُ الدربَ فتستهدي
فأجابَ: ويتلوهُ الفجرُ
لكن سيضيءُ لِمَن بـعدي

أيلدُ لغصنٍ منك سِرٍ
عَرتَهُ الـريحُ من الـورقِ
أن يبصرَ في ضوءِ القمرِ
ما كان عليه على الطُّرُقِ

ما لذةٌ مِيتٍ في الرَّمسِ
بالزهرِ الفواحِ العَطِرِ
نورٌ لا يشرقُ في النفسِ
كغنائٍ في أذنِ الحَجرِ

ما استخَفَّتْ عني الأفلاكُ
والشُّهْبُ بل استخفى حَبِّي
لم تملأْ دربي الأشـشـواكُ
إنَّ الأشـشـواكَ لَفي قـلـبي !

يا شيخ.. شَجَّاني ما قُلْتَا
وزرعتَ بِنَفْسِي أَلَمَكُ
من أنتَ ؟ أَجَابَ: أَنَا أَنْتَا
أَنَا ذَاتُكَ تَمْشِي قَدَّامَكَ

كم أَبَحْتُ بَيْنَ الْأَجْزَامِ
عَنِّي، وَأَنْقَبْتُ فِي الْأَرْضِ
أَحْلَامِي تَطْمُرُ أَحْلَامِي
بِعُضِي مَدْفُونٌ فِي بَعْضِي

لَمْ أَبْصِرْ ذَاتِي بِالْأَمْسِ
فِي لَوْحِ زَجَاجٍ أَوْ مَاءٍ
بَلْ لَاحَتْ نَفْسِي فِي نَفْسِي
فَهِيَ الْمَرْئِيَّةُ وَالرَّائِي

٢٩ - العليقة

[مجزوء الرمل]

ذاتُ شوكٍ كالحرابِ، أو كأظفار العقابِ
ربّضتُ في الغابِ كاللصِّ، لِفَتْكَ واستلابِ
تَقَطَّعَ الدَّرَبَ على الفلاح والمولى المُهَابِ
صُنْتُ عنها حُرَّ وجهي، فتَصَدَّتْ لثيابي
كَلَّمَا أَفَلَتُ من نابٍ تَلَقَّيْنِي بنابِ
فلها نهشُ الأفاعي، ولها لسعُ الذبابِ
وأذاها في سكوني، كأذاها في اضطرابي
وهي كالقَيْدٍ لساقِي، ولِجَيْدِي كالسُّخَابِ^(١)
فكأنَّنا في عِناقٍ، لا نضالٍ ووِثابِ
قلتُ يا ساكنةَ الغابِ ويا بنتَ التَّرابِ
لا تَلُجِّي في اجتذابي، أو فَالُجِّي في اجتذابي
إنَّ عُدُوداً فيه ماءٌ ليس عُدُوداً لاحتِطابِ
أنا في فجرِ حياتي، أنا في شَرَحِ شبابي
الهُوى ملءُ فؤادي؛ والصَّبُّ ملءُ إهابي
والمنى تَنَبَّتُ في دربي، وتمشي في ركابي
أنا لم أضجرُ مِنَ العيش ولم أَمْلُلُ صِحابي
لم أزلُ أَلحُ طيفَ المجدِ حتى في السَّرَّابِ
لم أزلُ أَسْتَشْعِرُ اللَّذَّةَ حتى في العذابِ
لم أزلُ أَسْتَشْرِفُ الحُسْنَ ولو تحتِ نِقابِ

(١) القلادة

ما بنفسي خشية الموت ولا مِنْهُ ارتِهابي
أنا للأرض، وإن طالَ عن الأرضِ اغترابي
غيرَ أني لم يزلْ ضِرْعِي لَمَرِّي^(١) واحتلاب
لم أهبُ كلَّ الذي عندي، ولم يفرغْ وطابي^(٢)
أنا نهرٌ لم أتممَّ بعدُ في الأرضِ انسيابي
أنا روضٌ لم أذعُ كلَّ عبييري وملايبي^(٣)
أنا نجمٌ لم يمزقْ بعدُ جِلبَابَ الضُّباب



أنا فجرٌ لم تتوَجَّ فِضَّتِي كلُّ الرُّوابي
لي رِغَابٌ لم تلدْ بعدُ فتُبُلَى بالتُّباب^(٤)
وبنفسي ألفُ مَعْنَى لم يُضمَّنْ في كتاب



فإذا استنفدتُ ما في دَنِّ نفسي من شراب
وإذا أنجمُ آمالي توارتْ في الحِجاب
وإذا لم يبقَ في غَيْمي ماءٌ لانسِكَاب
وإذا ما صِرتُ كالْعُأْيِقِ^(٥) تمثالَ اكتئاب
لا يُرجِّيني مَحْتَاجٌ، ولا يطمعُ سَابِ^(٦)
فاجذبيني.. إنْ يَكُنْ مِنِّي نفعٌ للتراب



(١) مرى الضرع : مسحه ليدّر .

(٢) الوطب والوطاب : إناء اللبن من الجلد .

(٣) المَلَاب : ضرب من الطيب

(٤) الهلاك وضعف الشيخوخة .

(٥) نبت يتعلق بالشجر .

٣٠ - هي^(١)

[السريع]

أروي لَكُمْ عن شاعرٍ ساحرٍ
حكَايَةً يُحْمَدُ رَاوِيَهَا
قَالَ: دَعَا أَصْحَابَهُ سَيِّدُ
فِي لَيْلَةٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
فَانْتَظَمَتْ فِي قَصْرِهِ عُصْبَةٌ
كَرِيمَةٌ لَا وَاعِلٌ فِيهَا
مِنْ نُبَلَاءِ الشَّعْبِ، سَادَاتِهَا
وَخَيْرَةُ الْغَيْدِ غَوَانِيهَا
حَتَّى إِذَا جَلَسُوا كُلُّهُمْ
وَطَافَ بِالْأَكْوَابِ سَاقِيهَا
قَامَ أَمِيرُ الْقَصْرِ فِي كَفِّهِ
كَأْسٌ أَعَارَتْهُ مَعَانِيهَا
وَقَالَ: يَا صَاحِبُ عَلَى ذِكْرِكُمْ
اُمْلُؤْهَا حُبًّا وَأَحْسُوهَا
وَذِكْرُ مَنْ قَلْبِي عَبْدٌ لَهَا
وَمُهِجَتِي إِحْدَى جَوَارِيهَا
حَبِيبَتِي «لِيَاءُ»، سَمِيَّتْهَا
وَلَمْ أَكُنْ قَبْلًا أُسَمِّيَهَا

(١) اتهمه أحمد زكي أبو شادي بنقلها إلى العربية، عن أحد شعراء الإنجليز، ولم ينكر أبو ماضي التهمة .

فَشَرِبُوا كُلُّهُمْ سِرَّهَا
وَهَتَفُوا كُلُّهُمْ تَبِهَا
فَأَجْزَلَ الشُّكْرَ لِأَصْحَابِهِ
الشُّكْرُ لِلنَّعْمَةِ يُبْقِيهَا
وَصَاحَ بِالسَّاقِي عَلَيْنَا بِهَا
فَطَافَ بِالْأَكْوَابِ سَاقِيهَا
وَقَالَ لِلْأَضْيَافِ: سَمِعُوا فلي
كَلِمَةً، الْعَدْلُ يُمْلِيهَا
مَا أَنَا وَحَدِي الصَّبُّ فَيْكُمْ وَلَا
كُلُّ الْعَذَارَى مَنْ أَنْجَاهَا
فَكُلُّ نَفْسٍ مِثْلُ نَفْسِي، لَهَا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَمَانِيهَا
وَكُلُّ قَلْبٍ مِثْلُ قَلْبِي، لَهُ
حَسَنَاءُ تَرْجُوهُ وَيَرْجُوهَا
يَا صَاحِبُ مَنْ كَانَتْ بِهِ صَبُوءٌ
يُغْلِنُهَا الْآنَ وَيُبْدِيهَا
فَنَهَضُوا ثَانِيَةً كُلُّهُمْ
وَرَفَعُوا الْكَاسَاتِ تَنْوِيهَا
كُلُّهُمْ يَشْرَبُ سِرًّا التِّي
يَهْوَى مِنَ الْغَيْدِ وَيُطْرِيهَا



وَكَانَ فِي الشُّرْبِ فَتًى بَاسِلٌ
طَلَعَتْهُ تَسْحَرُ رَائِيهَا
شَارَكَ فِي أَوَّلِ أَقْدَاحِهِمْ
وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ بِثَانِيهَا

وأنت ؟ قال الصَّحْبُ، واسْتَخْجَكُوا:
هل لك حَسَنَاءٌ تُحْيِيهَا ؟
قال: أجل! أَشْرَبُ سُرِّ الَّتِي
الروح تفديني وأفديها
صُورَتْهَا فِي الْقَلْبِ مَطْبُوعَةً
لا شيءَ حَتَّى الْمَوْتِ يَمْحُوهَا
لا تَتَرَضَّيَ رِيَاءً وَلَا
تَلْتُمْنِي كِذْباً وَتَمْوِيهَا
يَضِيعُ مَالِي وَيَزُولُ الصَّبَا
وَحُبُّهَا بَاقٍ وَحُبِّيهَا
قَدْ وَهَبْتُني رُوحَهَا كُلَّهَا
ولم تَخَفْ أَنِّي أَضْحِكُهَا
سُرِّ الَّتِي لَا عَادَةَ بَيْنَكُمْ
مَهْمَا سَمَتْ فِي الْحَبِّ تَحْكِيهَا
فَأَجْفَلُوا مِنْهُ كَمَنْ حَيَّةٌ
نَهَّاشَةٌ قَدْ عَزَّ رَاقِيهَا
وَقَالَتِ الْغَفَادَاتُ: أَفَّ لَهُ
قَدْ شَوَّهَ الْمَجْلِسَ تَشْوِيهَا
لَوْ ظَلَّ فِي مَا بَيْنَنَا صَامِتاً
لَمْ تَسْمَعْ الْأَذَانَ مَكْرُوهَا
وَقَلِقَلِ الْفَتِيَانُ أَسِيَا فَهَمْ
فَأَوْشَكَتْ تَبْدُو حَوَاشِيهَا
وَتَعَتَعَ الشَّادِي بِأَلْحَانِهِ
وَمَاجَتِ الدَّارُ بِمَنْ فِيهَا

وقال قومٌ: خَلَبَتْهُ الطُّلَا
وقال قومٌ: صارَ مَعْتُوها
فصاحَ ربُّ الدارِ: يا سيِّدي
وصَفَّتْها لِمَ لا تُسمِّيها
أَتَخْجُلُ بِاسْمٍ مِنْ تَهْوَى؟
أَحْسَناءٌ بِغَيْرِ اسمٍ؟
فأَطْرَقَ غَيْرَ مَكْتَرَثٍ
وتمتمَ خاشعاً... أُمِّي!

٣١ - لا أنت ولا أنا

[الكامل]

قلتُ: السعادةُ في المُنَى، فرددتني
وزعمتُ أنَّ المرءَ آفتهُ المُنَى
ورأيتُ في ظلِّ الغِنَى تمثالها
ورأيتُ أنتَ البؤسَ، في ظلِّ الغِنَى
ما لي أقولُ بأنها قد تُقتنى
فتقولُ أنتَ بأنها لا تُقتنى!
وأقولُ: إنَّ خُلُقْتُ فقد خُلِقْتُ لنا
فتقولُ: إنَّ خُلُقْتُ فلم تُخْلَقْ لنا
وأقولُ: إني مؤمنٌ بوجودها
فتقولُ ما أحراكَ ألاَّ تؤمِنَا
وأقولُ: سرٌّ سوفَ يُعلنُ في غدٍ
فتقولُ: لا سرٌّ هناك ولا هنا
يا صاحبي! هذا حوارٌ باطلٌ
لا أنت أدركتَ الصَّوابَ ولا أنا

٣٢ - الناسكة

[السريع]

أَبْصَرْتُ فِي الْحَقْلِ قُبَيْلَ الْمَغِيبِ
سَنَبْلَةً فِي سَفْحِ ذَاكَ الْكَثِيبِ
حَانِيَةً مُطْرِقَةَ الرَّأْسِ
كَأَنَّمَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ
أَوْ أَنَهَا تَتْلُو صَلَاةَ الْمَسَاءِ



فَمَلْتُ عَنْ رَاهِبَةِ الْحَقْلِ
وَسَرْتُ لَا أَلْوِي عَلَى ظِلِّي
أَلَسْتُ تَقُطُّ الْحَبَّ وَأَذْرِيه
وَتَارَةً فِي النَّارِ أَلْقِيهِ
مُسْتَخْرِجاً مِنْهُ لَجَسْمِي غِذَاءً



قَدْ غَابَتِ الشَّمْسُ وَرَاءَ الْقِمَمِ
وَسَكَتَ الطَّيْرُ الَّذِي لَمْ يَنْمِ
لَكِنْ نَارِي لَمْ تَزَلْ تَرْعُجُ^(١)
وَلَمْ أَزَلْ أَكُلُ مَا تُنْضِجُ
يَا حَبْذَا النَّارُ وَنَعِمَ الشَّوَاءُ



وَإِنِّي فِي مَرَحِي وَالِدِدِ
إِذَا صَاحَ بِي صَوْتُ بَلَا مُوْعِدِ

(١) رجع البرق : اضطرب وتتابع .

ما الحُبُّ يا هذا ولا السُّنْبُلُ
ما تَأْكُلُ النارُ وما تَأْكُلُ
وإنما أسلافُكَ الأصْفِياءُ



لا بِشَرٍّ لا طَائِرٌ ماثِلُ
يا عَجَباً ! نُطْقُ ولا قائلُ
من أين جاء الصوتُ ؟ لا أدري
لكنَّما ناسكَةُ البُرِّ^(١)
قد رفعتْ هامَتَها للعلاءِ



(١) يريد : طاحونة القمح (النسيكة : الذبيحة) .

٣٣. عيد النُّهى^(١)

في اليوبيل الذهبي لـمجلة المقتطف.

[الكامل]

قلْ للحمائم في ضفاف الوادي:
يا ليتكنَّ على شَغَافِ فُؤادي
لِتَرَيْنَ كيف تبعثرتُ أحلامه
وجَرتُ به الألامُ خَيْلَ طِرَاد
كانت تَشيعُ على جوانبه المني
فخَبْتُ وبُدِّلَ جمرها برَمَاد
أسعِدْنَه فَعسى يخفُّ وَلَوْعُه
إن الشَّجِيَّ أحقُّ بالإسعاد^(٢)
ذهب الصَّبَّاءُ وبقيتُ في حَسْرَاتِه
ليت الأسي مثل الصَّبَّاءِ لِنَفَاد
إن الشباب هو الغنى فإذا مضى
وأقمتَ لا ينفكُّ ففُورُكَ بادي
أمسيتُ أنظر في الحياة فلا أرى
إلا سِوَاداً أَخْذاً بسِوَاد
ألقي الصَّبَّاحَ فلا يطولُ تَأْمُلي
حتى يحولُ شعاعُه لَصُّعَاد^(٣)
وإذا تقابلني النجومُ تخاوصتُ^(٤)
فكأنما هي أعينُ الحُسَّاد

(١) جمع نُهىة، وهي العقل .

(٢) شارك ووقف إلى جانبه .

(٣) أصعدت السفينة إصعاداً : مدت شراعها فذهبت بها الريح صعداً .

(٤) ضيق عينه في النظر، ومثله تخاوص .

ما ثم من ذكرى إذا خطرت على
 قلبي استراح، سوى خيال الوادي
 أفلا تزال الشمس تصبغ وجهه
 بالورس أونة وبالفرصاد^(١)
 أفلا يزال يذوب في أمواجه
 ذهب الأصيل وفضة الآراد
 لهفي إذا رد الرفاق عشيّة
 وذكرت أني لست في الورد
 وإذا الحمام شدا وصفق موجه
 ألا أصفق للحمام الشادي
 وإذا النخيل تطاولت أظلاله
 ألا يكون مظلتني ووسادي
 وإذا الكواكب رصعت أفاقه
 ألا يكون لرعيهن سهادي
 ذقت الهوى وعرفته في شطه
 إن الهوى للمرء كالميلاد
 لا تدرك الأكباد سر وجودها
 حتى يجلو الحب في الأكباد
 ما عشت لم يمسس جوانحك الهوى
 لم تدبر ما في العيش من أمجاد
 لا تبصر العين الرياض وحليها
 إلا على ضوء الصباح الهادي



(١) التوت الأحمر .

وَطَنَانِ أَشْوَقُ مَا أَكُونُ إِلَيْهِمَا
مِصْرُ الَّتِي أَحْبَبْتُهَا وَبِلَادِي
وَمَوَاطِنُ الْأَرْوَاحِ يَعِظُمُ شَأْنُهَا
فِي النَّفْسِ فَوْقَ مَوَاطِنِ الْأَجْسَادِ
حِرْصِي عَلَى حُبِّ (الْكِنَانَةِ) دُونَهُ
حِرْصُ السَّجَّينِ عَلَى بَقَايَا الزَّادِ
بَلَدُ الْجَمَالِ خَفِيٍّ وَجَلِيٍّ
وَالْفَنُّ مِنْ مُسْتَتِطْرِفٍ وَتِلَادِ
عَرَضَتْ مَوَاكِبُهَا الشُّعُوبُ فَلَمْ أَجِدْ
إِلَّا بِمِصْرَ نَضَارَةَ الْأَبَادِ
كَمْ مِنْ دَفِينٍ فِي ثَرَاهَا لَمْ يَزَلْ
كَالْحَيِّ ذَا مِقَّةٍ وَذَا أَحْقَادِ
وَمَشِيدٍ لِلنَّاسِ إِذْ يَغْشَوْنَهُ
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ خَشْيَةُ الْعُبَّادِ
عَاشَ الْجَدُودُ وَأَتَلُوا مَا أَتَلُوا
وَالْيَوْمَ يَنْبَعَثُونَ فِي الْأَحْفَادِ
الْمُسْبِغِينَ عَلَى النَّوَابِغِ فَضْلَهُمْ
كَالْفَجْرِ مَنْبَسِطاً عَلَى الْأَطْوَادِ^(١)
أَبْنَاءَ مِصْرَ النَّاهِضِينَ تَحِيَّةً
كَوِدَادِكُمْ إِنْ لَمْ أَقُلْ كَوِدَادِي



مِنْ شَاعِرٍ كَلَفَ بِكُمْ وَبَارَضَكُمْ
أَبْدَأُ يُوَالِي فِيكُمْ وَيُعَادِي
إِنْ تُكْرِمُوا شَيْخَ الصَّحَافَةِ تُكْرِمُوا

(١) الطود : الجبل .

أَسْنَى الْكَوَاكِبِ فِي سَمَاءِ الضَّادِ
خَلَعَ الشَّبَابُ عَلَى الْكِنَانَةِ مِطْرُقًا
هُوَ كَالرَّبِيعِ عَلَى رَبَاءٍ وَوَهَادِ
مَا زَالَ يَقْحَمُ فِي الْجِهَالَةِ نُورُهُ
حَتَّى تَقَاصِرَ لَيْلُهَا الْمَتَمَادِي
بِصَحِيفَةِ نُورِ الْعَيُونِ سَوَادُهَا
وَبِيَاضُهَا مِنْ نَاصِعِ الْأَجْيَادِ
يَنْبُوعُ مَعْرِفَةٍ وَهَيْكُلُ حِكْمَةٍ
وَوَعَاءُ آدَابٍ وَكَنْزُ رَشَادِ
أَعْلَى الْمَوَاهِبِ وَالْعُقُولِ رَأْيُتُهَا
سَكَنْتْ قُصُورَ مَهَارِقِ^(١) وَمِدادِ
ذِكْرُ الْمَجَاهِدِ فِي الْحَقِيقَةِ خَالِدُ
وَيَزُولُ رَبُّ السَّيْفِ وَالْأَجْنَادِ
لَوْلَا جَبَابِرَةُ الْقِرَائِعِ لَمْ يَسِرْ
فِي الْأَرْضِ ذِكْرُ جَبَابِرِ الْقُوَادِ
مَا ذُلَّتْ سَبُلُ الْمَعَالِي أُمَّةٌ
إِلَّا بِقُوَّةٍ مُصْلِحٍ أَوْ هَادِ



(صَرُوفُ)^(٢) يَسْأَلُكَ الْأَنَامُ فَقُلْ لَهُمْ:
كَمْ فِي حَيَاتِكَ سَاعَةٌ اسْتَشْهَادِ
طَلَعَ الْقَنُوطُ عَلَيْكَ مِنْ أَغْوَارِهِ
فَرَدَدَتْ طَائِرُهُ وَجَأَشُكَ هَادِ
وَمَضَيْتَ تَسْتَقْصِي الْحَيَاةَ وَسَرَّهَا

(١) المَهْرَقُ : الصحيفة البيضاء، يكتب فيها (والجمع : المهارق) .

(٢) يعقوب صرّوف : منشى (المقتطف) وصاحبها .

في كل عاقلة وكل جماد
 حتى لكدت تحس هاجسة المنى
 وتبين كم في النفس من أضداد
 أنت الذي أسرته به عزماته
 والدرب غامضة على الرواد
 والليل آفات على أغوارها
 والهول أنجاد على الأنجاد^(١)
 إن الحقائق أنت ناشر بندها
 في حين كان العلم كالإلحاد
 والعقل في الشرقي من أوهامه
 كالنسر في الأوهاق^(٢) والأصفاد
 تشقى، متى تشقى، الشعوب بجهلها
 وتعز حين تعز بالأفراد
 الساهرين الليل مثل، نجومه
 فكانهم للدهر بالمرصاد
 البازلين نفوسهم لم يسألوا
 وعلى النفوس مدارع الفولاذ
 خفضوا جناحهم وتحت برودهم
 هم الملوك وصولة المراد
 لهم الزمان قديمه وحديثه
 ما الناس في الدنيا سوى الأحاد
 إن الأنام على اختلاف عصورهم
 جعلوا لأهل العلم صدر النادي
 ما العيد للخمسين بل عيد النهى

(١) أنجد : ارتفع . يريد تراكم الأهوال والمصاعب في الطريق .

(٢) الوهق : الحبل الذي تشد به الخيل حتى لا تبتعد .

وفنونهِ والخاطرِ الوَقْد
عيدُ الحِصافةِ والصحافةِ كُلِّها
في مصرَ، في بيروتَ، في بغداد
ما العيشُ بالأعوامِ كم من حِقْبَةٍ
كالْحَوْفي عمرِ السوادِ العادي
العمرُ، إلا بالمآثرِ، فارغُ
كالقفرِ طالَ به عَناءُ الحادي
وسوى حياةِ العبقرِ نقيسُها
فَتُقاسُ بالأَجالِ والْأَمادِ

٣٤ - موت العبقري

في رثاء سليمان البستاني^(١)

[الخفيف]

كُلُّ مَيِّتٍ مَهْمَا عَلَا فِي حَيَاتِهِ
كُلُّ ثَاوٍ تَحْتَ النَّوْرِ مِنْ لِدَاتِهِ
لَا حُدُودٌ وَلَا مَقَايِيسٌ فِي الْمَوْتِ
تَسَاوَى الْجَمِيعُ فِي سَاحَاتِهِ
حَاصِدٌ حَقْلُهُ الْوُجُودُ، وَمَا الْأَحَدُ
يَبْقَى إِلَّا كَشَوْكَةٍ وَنَبَاتَةٍ
مَنْ نَجَا مِنْهُ وَهَوَّ فِي رُوحَاتِهِ
إِنَّمَا قَدْ نَجَا إِلَى غُدُوَاتِهِ
لَيْسَ زَرْعُ الْغُصَّاتِ مِنْهُ لَثَارٌ
لَيْسَ حَصْدُ اللَّذَاتِ مِنْ لَذَاتِهِ
إِنَّهُ يَسْلُبُ الْغَوَايَةَ كَالرَّشْدِ
بَدٌّ، فَلَيْسَ التَّمْيِيزُ مِنْ عَادَاتِهِ
لَا تَقْلُ: مَا وَرَاءَهُ؟ ذَاكَ سِرٌّ
خَبَائِثُ الْحَيَاةِ فِي ظُلُمَاتِهِ
رُبَّ قَبْرِ نَمَشِي عَلَيْهِ وَفِيهِ
شَهَوَاتٌ تُرَبِّي عَلَى ذُرَاتِهِ
كُلُّ ذِي رَغْبَةٍ دَنَتْ أَوْ تَسَامَتْ
سَوْفَ يَمْضِي يَوْمًا بِلَا رَغْبَاتِهِ

(١) مترجم الإلياذة إلى العربية شعراً .

ليس عمرُ الفتى وإن طالَ إلا
ما حوَّتْهُ الحَيَاةُ من مَكْرُمَاتِهِ
يَعِظُ النَّابِغُ الْخَلَائِقَ حَيًّا
إنما موْتُهُ أَجْلٌ عِظَاتِهِ



ظهر الموتُ للعيونِ جديداً
أَمَسَ فِي بَطْشِهِ وَفِي فَتَكَاتِهِ
وهو تَرَبُّ الْإِنْسَانِ مِنْذُ اسْتَوَى فِي الدُّ
أَرْضٍ حَيًّا مَشَى عَلَى خُطَوَاتِهِ
ما الرَّدَى بِالْحَدِيثِ فِي النَّاسِ لَكُنْ
نَكْبَةُ الْعِلْمِ ضَاعَفَتْ رُوعَاتِهِ
فَقَدَّ الْخَلْقُ وَاحِداً مِنْ بَنِيهِ
وَأَضَاعَ الْقَرِيضُ خَيْرَ حُمَاتِهِ
شَاعِرٌ كَانَ يَرْقِصُ الدَّهْرُ أَحْيَاناً
وَيَبْكِي حِيناً عَلَى نَغَمَاتِهِ
ذَهَبَ السَّاحِرُونَ وَالسَّحَرُ بَاقٍ
فِي عَيُونِ الْمَهَا وَفِي كَلِمَاتِهِ
مِنْ شَيْءٍ رَقَّ لَفْظُهُ كَسَجَايَا
هُ وَرَفَّ الْجَمَالُ فِي جَنْبَاتِهِ
تَوَجَّ «الضَّادَ» بِالْمَلَا حَةَ حَتَّى
خَالَهَا الْقَوْمُ بَعْضَ مُخْتَرَعَاتِهِ
نَقَلَ الْأَعْصَرَ الْخَوَالِي إِلَيْنَا
فِي كِتَابِ اللَّهِ، مِنْ مَعْجَزَاتِهِ
فَرَأَيْنَا «هُومِيرٌ» يَنْشُدُ فِينَا
شَعْرَهُ مِثْلَ وَاحِدٍ مِنْ رَوَاتِهِ

كان في دولة السُّيوفِ وزيراً
 المَعِيَّاً، ودولةً في ذاته
 ما بكينا الرِّفَاتَ لَمَّا بكينا
 كم رفاتٍ في الأرض مثلُ رفاته؟
 بل بكينا لأننا قد حُرْمنا
 بالمَنونِ المَزِيدَ من آياته
 رَاعَنا أن يزولَ عَنَّا، وأنَّا
 لم نُطِقْ أن نطيلَ حبلَ حياتهِ
 قد أردنا حملَ البشائرِ للعد
 م فكَنَّا لأهلِهِ من نُعَاتهِ
 إنَّ في «مصرَ» والشَّامِ دويّاً
 ما سمعناه قبلَ يومِ وفاته
 وأحسَّ «العراقُ» حينَ أتاهُ النَّد
 نَعْيِ طعمِ الرَّدَى بماءِ (فُراتهِ)
 و«لبنانَ» رجفةً تَتمشَّى
 في ينابيعِهِ وفي نَسَمَاتهِ
 فَتَحَ الموتُ، حينَ أغمضَ عَينِيهِ،
 عيونَ الوريِّ على حَسَنَاتهِ
 فَهُوَ ماضٍ لهُ جلالُهُ أَت
 من فتوحاتِهِ ومن غزواتهِ
 والفتى العبقريُّ يولدُ إذ يو
 لدُ في مَهْدِهِ، ويومَ مماتهِ

٣٥ - الغدير الطموح

[مجزوء الكامل]

قال الغديرُ لنفسه:
يا ليتني نهرٌ كبيرٌ
مثلُ الفراتِ العذبِ أو
كالنيلِ ذي الفيضِ الغزيرِ
تجري السفائنُ موقراً
تفيه بالرزقِ الوفيرِ
هيهاتَ يرضى بالحقيرِ
من المني إلا الحقييرِ
وانسابَ نحو النهرِ لا
يلوي على المرجِ النضيرِ
حتى إذا جاءه
غلبَ الهديرُ على الخرييرِ

٣٦ - الطلاس

[مجزوء الرمل]

جئتُ، لا أعلمُ من أين، ولكنني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدَّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟..

لستُ أدري!

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجودُ
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائدٌ نفسي في حياتي أم مَقُود
أتمننى أنني أدري ولكن.

لستُ أدري!

وطريقي! ما طريقي؟ أطويلٌ أم قصيرٌ؟
هل أنا أصعدُ أم أهبطُ فيه وأغور
أأنا السائرُ في الدربِ أم الدربُ تسير
أم كلانا واقف والدهر يجري؟....

لستُ أدري!

ليت شعري وأنا في عالم الغيبِ الأمينِ
أتراني كنتُ أدري أنني فيه دفين
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون
أم تُراني كنتُ لا أدركُ شيئاً

لستُ أدري!

أُتْرَانِي قَبْلَمَا أَصْبَحْتُ إِنْسَاناً سَوِيّاً
كُنْتُ مَحَوّاً أَوْ مَحَالّاً أَمْ تُرَانِي كُنْتُ شَيْئاً
أَلْهَذَا اللَّغْزُ حُلٌّ؟ أَمْ سَيَبْقَى أَبَدِيّاً
لَسْتُ أُدْرِي وَلِمَاذَا .. لَسْتُ أُدْرِي ؟
لَسْتُ أُدْرِي!



البحر

قَدْ سَأَلْتُ الْبَحْرَ يَوْمًا: هَلْ أَنَا يَا بَحْرُ مِنْكَ؟
أَصْحِيحُ مَا رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنِّي وَعَنْكَ؟
أَمْ تُرَى مَا زَعَمُوا زَوْراً وَبِهْتَاناً وَإِفْكَاً؟
ضَحَكْتُ أَمَوَاجُهُ مِنِّي وَقَالَتْ :
لَسْتُ أُدْرِي!

أَيُّهَا الْبَحْرُ أَتَدْرِي كَمْ مَضَتْ أَلْفٌ عَلَيْكَ
وَهَلِ الشَّاطِئُ يَدْرِي أَنَّهُ جَاءَتْ لَدَيْكَ
وَهَلِ الْأَنْهَارُ تَدْرِي أَنَّهَا مِنْكَ إِلَيْكَ
مَا الَّذِي الْأَمَوَاجُ قَالَتْ حِينَ ثَارَتْ ؟
لَسْتُ أُدْرِي!

أَنْتِ يَا بَحْرُ أَسِيرٌ أَهْ مَا أَعْظَمَ أَسْرَكَ!
أَنْتِ مِثْلِي أَيُّهَا الْجَبَّارُ لَا تَمْلِكُ أَمْرَكَ
أَشْبَهْتُ حَالَكُ حَالِي وَحَكِي عَذْرِي عَذْرَكَ
فَمَتَى أَنْجُو مِنَ الْأَسْرِ وَتَنْجُو؟
لَسْتُ أُدْرِي!

تُرْسِلُ السُّحْبَ فَتَسْقِي أَرْضَنَا وَالشَّجَرَ
قَدْ أَكَلْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ أَكَلْنَا الثَّمَرَ
وَشَرَبْنَاكَ وَقَلْنَا قَدْ شَرَبْنَا الْمَطَرَ
أَصَوَابٌ مَا زَعَمْنَا أَمْ ضَلَالٌ؟
لَسْتُ أُدْرِي!

قد سألتُ السُّحْبَ في الأفاقِ هل تذكرُ رملَكَ؟
وسألتُ الشجرَ المورقَ هل يعرفُ فضلَكَ؟
وسألتُ الدرَّ في الأعناقِ : هل تذكرُ أصلَكَ؟
وكأنني خلتُها قالتُ جميعاً :

لستُ أدري!

يرقص الموجُ وفي قاعِكَ حربٌ لن تزولا
تخلُقُ الأسماكَ لكن تخلقُ الحوتَ الأَكولا
قد جمعتَ الموتَ في صدركَ والعيشَ الجميلاً
ليت شعري أنتَ مهْدٌ أم ضريحٌ ؟

لستُ أدري!

كم فتاةٍ مثلَ ليلَى وفتىً كابنِ الملوحِ!
أنفقا الساعاتَ في الشاطئِ تشكو وهو يشرح
كلما حدثَ أصغَتْ وإذا قالتَ ترنَّحْ
أحفيفُ الموجِ سرُّ ضيِّعاهُ ؟

لستُ أدري!

كم ملوكٍ ضربوا حولكَ في الليلِ القَبابا
طلَعَ الصبحُ ولكن لم يجدْ إلا ضبابا
ألهُم يا بحرُ يوماً رجعةً أم لا مآبا؟
أهْمُ في الرَّمْلِ ؟ قال الرَّمْلُ: إني:

لستُ أدري!

فيكَ مثلي أيها الجَبَّارُ أصدافُ ورملُ
إنما أنتَ بلا ظلٍّ ولي في الأرضِ ظلٌّ
إنما أنتَ بلا عقلٍ ولي يا بحرُ عقلُ
فلماذا يا تُرى أمضي وتبقى ؟

لستُ أدري!

يا كتابَ الدهرِ قل لي: ألهُ قبلُ وبعدُ؟
أنا كالزورقِ فيه، وهو بحرٌ لا يحدُّ
ليس لي قصدٌ؛ فهل للدهرِ في سِرِّي قصدٌ؟
حبُّذا العلمُ ولكنَّ كيف أدري؟

لست أدري!

إنَّ في صدري يا بحرُ لأسراراً عجاباً
نزل السُّترُ عليها وأنا كنتُ الحجاباً
ولذا ازدادُ بعداً كلما ازددتُ اقتراباً
وأراني كلَّما أوشكتُ أدري...

لست أدري!

إنني يا بحرُ بحرُ شاطئاهُ شاطئاكَا
الغدُ المجهولُ والأمسُّ اللذان اِكتنفاكَا
وكلانا قطرةٌ يا بحرُ في هذا وذاكَا
لا تسلني ما غدٌ ما أمسُّ؟ إني

لست أدري!

في الدير

قيلَ لي في الديرِ قومُ أدركُوا سرَّ الحياةِ
غيرَ أني لم أجِدْ غيرَ عُقولِ أسناتِ
وقلوبِ بليتٍ فيها المُنَى فهي رُفاتِ
ما أنا أعمى فهل غيَّري أعمى؟

لست أدري!

قيلَ أدري الناسُ بالأسرار: سَكَّانُ الصَّوامِ
قلتُ: إن صحَّ الذي قالوا فإنَّ السرَّ شائع
عجباً كيف ترى الشمسَ عيونُ في براقع

والتي لم تتبرقع لا تراها؟ ...

لست أدري!

إنَّ تَكُ العزلة نُسكاً وتُقَى، فالذنبُ راهبٌ

وعَرِينُ الليث دِيرٌ حُبُهُ فرضٌ وواجبٌ

ليت شعري أيميت النُّسكُ أم يُحيي المَوَاهِبُ؟

كيف يمحو النُّسكُ إثمًا وهو إثمٌ؟

لست أدري!

لست أدري!

إنني أبصرتُ في الدَّيرِ وروداً في سياجٍ

قنعتُ، بعد الندى الطاهر، بالماء الأجاج^(١)

حولها النورُ الذي يُحيي، وترضى بالدَّيَّاجي^(٢)

أمنَ الحكمة قتلَ القلبِ صبراً؟ ...

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ عند الفجرِ كالفجرِ الطُّروبُ

وتركتُ الدَّيرَ عند الليلِ كالليلِ الغُضوبُ

كان في نفسي كُربٌ صار في نفسي كُروبُ

أمنَ الدَّيرِ أم الليلِ اكتئابِي؟ ...

لست أدري!

قد دخلتُ الدَّيرَ أَسْتَنطقُ فيه الناسكِنا

فإذا القومُ من الحَيْرَةِ مثلي باهتُونَا

غلبَ اليأسُ عليهم فهمُ مُستسلمُونَا

(١) الشديد الملوحة .

(٢) الظلمات (دجية - دجى).

وإذا بالباب مكتوبٌ عليه:...

لست أدري!

عَجَباً لِلنَّاسِكِ الْقَانِتِ وَهُوَ اللُّوْذَعِيُّ^(١)
هَجَرَ النَّاسَ وَفِيهِمْ كُلُّ حُسْنِ الْمُبْدَعِ
وَمَضَى يَبْحَثُ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ الْبَلَقِ
أَرَأَى فِي الْقَفْرِ مَاءٌ أَمْ سَرَاباً؟...

لست أدري!

كَمْ تُمَارِي أَيُّهَا النَّاسِكُ فِي الْحَقِّ الصَّرِيحِ
لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَلَّا تَعْشَقَ الشَّيْءَ الْمَلِيحَ
كَانَ إِذْ سَوَّاكَ سَوَّاكَ بَلَا قَلْبٍ وَرُوحِ
فَالَّذِي تَفْعَلُ إِثْمٌ.. قَالَ: إِنِّي ...

لست أدري!

أَيُّهَا الْهَارِبُ! إِنْ الْعَارَ فِي هَذَا الْفِرَارِ
لَا صِلَاحٌ فِي الَّذِي تَصْنَعُ حَتَّى لِلْقِفَارِ
أَنْتَ جَانٌ، أَيْ جَانٌ، قَاتِلٌ فِي غَيْرِ ثَارٍ؟
أَفِيرْضَى اللَّهُ عَنْ هَذَا وَيَعْفُو؟...

لست أدري!

بين المقابر

وَلَقَدْ قُلْتُ لِنَفْسِي وَأَنَا بَيْنَ الْمَقَابِرِ
هَلْ رَأَيْتِ الْأَمْنَ وَالرَّاحَةَ إِلَّا فِي الْحَفَائِرِ
فَأُشَارَتْ فَعَدَا لِلدُّودِ عَيْثُ فِي الْحَاجِرِ
ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا السَّائِلُ إِنِّي...

لست أدري!

(١) لذع برأيه : أسرع في الفهم كإسراع النار إلى الإحراق، فهو (لوذعي)

أُنْظِرِي كَيْفَ تَسَاوَى الْكُلُّ فِي هَذَا الْمَكَانِ
وَتَلَاشَى فِي بَقَايَا الْعَبْدِ رَبُّ الصَّوْلَجَانِ
وَالْتَقَى الْعَاشِقُ وَالْقَالِي^(١) فَمَا يَفْتَرِقَانِ
أَفَبِذَا مُنْتَهَى الْعَدْلِ ؟ فَقَالَتْ :
لَسْتُ أُدْرِي!

إِنْ يَكُ الْمَوْتُ قِصَاصاً أَيْ ذَنْبٌ لِلطَّهَارَةِ
وَإِذَا كَانَ ثَوَاباً، أَيْ فَضْلٌ لِلدَّعَاةِ
وَإِذَا كَانَ وَمَا فِيهِ جَزَاءٌ أَوْ خَسَارَةٌ
فَلِمَ الْأَسْمَاءُ : إِثْمٌ وَصَلَاحٌ ؟
لَسْتُ أُدْرِي!

أَيُّهَا الْقَبْرِ تَكَلَّمْ وَاخْبِرِينِي يَا رِمَامَ^(٢)
هَلْ طَوَى أَحْلَامَكَ الْمَوْتُ وَهَلْ مَاتَ الْغَرَامُ ؟
مَنْ هُوَ الْمَائِتُ مِنْ عَامٍ وَمِنْ مَلْيُونٍ عَامٍ ؟
أَيَصِيرُ الْوَقْتُ فِي الْأَرْمَاسِ مَحَوّاً ؟
لَسْتُ أُدْرِي!

إِنْ يَكُ الْمَوْتُ رُقَاداً بَعْدَهُ صَحْوٌ طَوِيلٌ
فَلِمَاذَا لَيْسَ يَبْقَى صَحُونَا هَذَا الْجَمِيلُ ؟
وَلِمَاذَا الْمَرْءُ لَا يَدْرِي مَتَى وَقْتُ الرَّحِيلِ ؟
وَمَتَى يَنْكَشِفُ السَّرُّ فَيَدْرِي ؟
لَسْتُ أُدْرِي!

(١) المَبْغُضُ (قِلَادَه).

(٢) بَقَايَا .

إِنْ يَكُ الْمَوْتُ هُجُوعاً يَمَلَأُ النَّفْسَ سَلَاماً
وَانْعِتَاقاً لَا اعْتِقَالاً وَابْتِدَاءً لَا خِتَاماً
فَلِمَاذَا أَعَشَقْتُ النَّوْمَ وَلَا أَهْوَى الْحَمَامَا
وَلِمَاذَا تَجَزَّعَ الْأَرْوَاحُ مِنْهُ ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

أَوْرَاءَ الْقَبْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ بَعَثٌ وَنُشُورٌ
فَحَيَاةٌ فَخُلُودٌ أَمْ فَنَاءٌ فَدُثُورٌ
أَكَلَامُ النَّاسِ صَدَقٌ أَمْ كَلَامُ النَّاسِ زُورٌ
أَصْحِيحُ أَنْ بَعْضَ النَّاسِ يَدْرِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

إِنْ أَكُنْ أُبْعِثُ بَعْدَ الْمَوْتِ جُثْمَاناً وَعَقْلاً
أَتُرَى أُبْعِثُ بَعْضاً أَمْ تُرَى أُبْعِثُ كُلّاً
أَتُرَى أُبْعِثُ طِفْلاً أَمْ تُرَى أُبْعِثُ كَهْلاً
ثُمَّ هَلْ أَعْرِفُ بَعْدَ الْبَعَثِ ذَاتِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

يَا صَدِيقِي لَا تُعَلِّلْنِي بِتَمْزِيقِ السُّتُورِ
بَعْدَمَا أَقْضِي، فَعَقْلِي لَا يَبَالِي بِالْقَشُورِ
إِنْ أَكُنْ فِي حَالَةِ الْإِدْرَاكِ لَا أُدْرِي مَصِيرِي
كَيْفَ أُدْرِي بَعْدَمَا أَفْقِدُ رُشْدِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

القصر والكوخ

وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قَصْرًا شَاهِقًا عَالِي الْقَبَابِ
قَلْتُ مَا شَادَكَ مَنْ شَادَكَ إِلَّا لِلْخَرَابِ

أنت جزءٌ منه لكنْ لستَ تدري كيف غابُ
وهو لا يعلمُ ما تحوي .. أيدري؟
لستُ أدري!

يا مثلاً كان وهماً قبلما شاء البناءُ
أنتَ فكرٌ من دماغٍ غيّبته الظلماتُ
أنتَ أمنيّةٌ قلبٍ أكلته الحشراتُ
أنتَ بانِيكَ الذي شادكَ.. لا . لا
لستُ أدري!

كم قصورٍ خالها الباني ستبقى وتدومُ
ثابتاتٍ كالرؤاسي، خالداتٍ كالنجوم
سحبَ الدهرُ عليها ذيلُهُ فهي رسوم
مالنا نبني وما نبني لهدمٍ؟
لستُ أدري!

لم أجد في القصرِ شيئاً ليس في الكوخِ المهينِ
أنا في هذا وهذا عبدٌ شكّي ويقىني
وسجينُ الخالدين: الليلِ والصبحِ المبينِ
هل أنا في القصرِ أم في الكوخِ أرقى؟
لستُ أدري!

ليس لي في الكوخِ أو في القصرِ من نفسي مهربُ
إنني أرجو وأخشى، إنني أَرْضَى وأغضبُ،
كان ثوبي من حريرٍ مُذهبٍ أو كان قِنْبُ
فلماذا يَتَمَنَّى الثوبَ عارٍ؟
لستُ أدري!

سأئلُ الفجرَ أَعندَ الفجرِ طينٌ ورخامُ؟
واسأئلُ القصرَ ألا يُخفيه كالكوخِ الظلامُ؟

واسألِ الأنجمَ والريحَ وسلُ صوبَ الغمامِ
أتُرى الشَّيءَ كما نحن نراه ؟
لستُ أدري!

الفكر

رُبَّ فكرٍ بانَ في لوحةِ نفسي وتجلَّى
خلَّتْهُ مِنِّي ولكنَّ لم يُقَمَّ حتَّى توَلَّى
مثلَ طيفٍ لاحَ في بئرٍ قليلاً، واضمحلاً
كيف وافى ولماذا فرَّ مِنِّي ؟
لستُ أدري!

أتراه سائحاً في الأرض من نفسٍ لأخرى
رأبه مِنِّي أمرٌ فأبى أن يستقرَّ
أم تراه مرَّ في نفسي كما أُعبرُ جسراً
هل تراه قبل نفسي غيرُ نفسي ؟
لستُ أدري!

أتراه بارقاً أومضَ حيناً وتوارى
أم تُراه كان مثلَ الطير في سجنٍ فطارا
أم تُراه انحلَّ كالموجة في نفسي وغارا
فأنا أبحثُ عنه وهوَ فيها ؟
لستُ أدري!

صراع وعراك

إنني أشهدُ في نفسي صراعاً وعِراكاً
وأرى ذاتي شيطاناً وأحياناً ملاكاً
هل أنا شخصان يأبى ذاك مع هذا اشتراكا
أم تُرانِي وإِهماً فيمّا أراه ؟
لستُ أدري!

بينما قلبي يَحكي في الضحى إحدَى الخَمائلُ
فيه أزهارٌ، وأطيّارٌ تُغني، وجداول
أقبلُ العصرُ فأَمسى موحشاً كالقفرِ قاحل
كيف صار القلبُ روضاً ثم قَفراً ؟

لستُ أدري!

أين ضحكي وبكائي وأنا طفلٌ صغيرٌ
أين جهلي ومِرَاحي وأنا غضٌ غَريِرٌ
أين أحلامي وكانت كيفما سِرْتُ تسيرُ
كلّها ضاعتُ ولكن كيف ضاعتُ ؟

لستُ أدري!

ليَ إيمانٌ، ولكن لا كإيماني ونُسْكي
إنني أبكي، ولكن لا كما قد كنتُ أبكي
وأنا أضحكُ أحياناً ولكن أيّ ضحكٍ!
ليت شِعري ما الذي بدّلَ أمري ؟

لستُ أدري!

كلُّ يومٍ لي شأنٌ، كلُّ حينٍ لي شعورٌ
هل أنا اليومَ أنا، منذُ ليالٍ وشهور
أم أنا عندَ غروبِ الشمسِ غَيري في البُكُور
كلّما ساءلتُ نفسي جاوبتني:

لستُ أدري!

ربّ أمرٍ كنتُ، لمّا كان عندي، اتَّقِيهِ
بتّ لمّا غاب عني وتوارى أَشْتَهِيهِ
ما الذي حَبَّبَهُ عندي وما بَغَضَنيهِ
أأنا الشخصُ الذي أَعرضُ عنه ؟

لستُ أدري!

رُبَّ شَخْصٍ عَشْتُ مَعَهُ زَمْنًا أَلْهُو وَأَمْرُ
أَوْ مَكَانٍ مَرَّ دَهْرٌ وَهُوَ لِي مَسْرَى وَمَسْرَح
لَا حَ لِي فِي الْبُعْدِ أَجْلَى مِنْهُ فِي الْقُرْبِ وَأَوْضَح
كَيْفَ يَبْقَى رَسْمُ شَيْءٍ قَدْ تَوَارَى ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

رُبَّ بَسْتَانٍ قَضَيْتُ الْعُمْرَ أَحْمِي شَجَرَهُ
وَمَنْعْتُ النَّاسَ أَنْ تَقْطِفَ مِنْهُ زَهْرَهُ
جَاءَتْ الْأَطْيَارُ فِي الْفَجْرِ فَنَاشَتْ ثَمَرَهُ
أَلْأَطْيَارِ السَّمَاءِ الْبَسْتَانُ أَمْ لِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

رُبَّ قُبْحٍ عِنْدَ زَيْدٍ هُوَ حُسْنٌ عِنْدَ بَكْرٍ
فَهُمَا ضِدَّانِ فِيهِ، وَهُوَ وَهُمْ عِنْدَ عَمْرٍو
فَمَنْ الصَّادِقُ فِيمَا يَدَّعِيهِ لَيْتَ شِعْرِي
وَلِمَاذَا لَيْسَ لِلْحُسْنِ قِيَاسٌ ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

قَدْ رَأَيْتُ الْحُسْنَ يُنْسَى مِثْلَمَا تُنْسَى الْعُيُوبُ
وَيَطْلُوعُ الشَّمْسُ يُرْجَى مِثْلَمَا يُرْجَى الْغُرُوبُ
وَرَأَيْتُ الشَّرَّ مِثْلَ الْخَيْرِ يَمْضِي وَيُؤْوِبُ
فَلِمَاذَا أَحْسَبُ الشَّرَّ دُخِيلًا ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

إِنَّ هَذَا الْغَيْثَ يَهْمِي حِينَ يَهْمِي مُكْرَهَا
وَزَهْوُ الرُّوْضِ تُفْشِي مُجْبِرَاتٍ عِطْرَهَا
لَا تَطْلُقُ الْأَرْضُ تَخْفِي شَوْكَهَا أَوْ زَهْرَهَا
لَا تَسْلُ: أَيُّهُمَا أَشْهَى وَأَبْهَى ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

قد يصيرُ الشُّوكُ إكليلاً لِمَلِكٍ أو نبيٍّ
ويصيرُ الوردُ في عُرْوَةٍ لصٍّ أو بغيٍّ
أيغارُ الشُّوكُ في الحقلِ من الزهرِ الجَنِيِّ
أم تُرى يَحَسَبُهُ أَحَقَرُ مِنْهُ ؟

لستُ أدري!

قد يقيني الخطرُ الشُّوكُ الذي يجرحُ كَفِّي
ويكونُ السُّمُّ في العطرِ الذي يملأُ أنفي
إنما الوردُ هو الأفضلُ في شرعي وعُرفي
وهو شرعٌ كُلُّهُ ظلمٌ ولكنْ

لستُ أدري!

قد رأيتُ الشُّهْبَ لا تدري لماذا تُشرقُ
ورأيتُ السُّحْبَ لا تدري لماذا تُغدِقُ
ورأيتُ الغابَ لا تدري لماذا تُورِقُ
فلماذا كلها في الجهلِ مثلي ؟

لستُ أدري!

كلما أيقنتُ أني قد أَمَطْتُ السِّتْرَ عَنِّي
وبلغتُ السِّرَّ سِرِّي، ضحكتُ نفسي مِنِّي
قد وجدتُ اليأسَ والحيرةَ لكن لم أجِدْني
فهل الجهلُ نعيمٌ أم جحيمٌ ؟

لستُ أدري!

لَذَّةٌ عِنْدِي أن أسمعَ تغريدَ البلابلِ
وحفيفَ الورقِ الأخضرِ أو همسَ الجداولِ
وأرى الأنجمَ في الظلماءِ تبدو كالمشاعلِ
أُتْرى منها أم اللَذَّةُ مِنِّي ؟

لستُ أدري!

أُتْرَانِي كُنْتُ يَوْمًا نَغْمًا فِي وَتَرٍ
أَمْ تُرَانِي كُنْتُ قَبْلًا مَوْجَةً فِي نَهَرٍ
أَمْ تُرَانِي كُنْتُ فِي إِحْدَى النُّجُومِ الزُّهْرُ
أَمْ أَرِيجًا أَمْ حَفِيفًا أَمْ نَسِيمًا ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

فِيَّ، مِثْلُ الْبَحْرِ، أَصْدَافٌ وَرَمْلٌ وَلَّالٌ
فِيَّ كَالْأَرْضِ مَرْوَجٌ وَسَفُوحٌ وَجِبَالٌ
فِيَّ كَالْجَوِّ نَجُومٌ.. وَغَيُومٌ وَظِلَالٌ
هَلْ أَنَا أَرْضٌ وَبَحْرٌ وَسَمَاءٌ ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

مِنْ شَرَابِي الشُّهْدُ وَالْخَمْرُ وَالْمَاءُ الزُّلَالُ
مِنْ طَعَامِي الْبَقْلُ وَالْأَثْمَارُ وَاللَّحْمُ الْحَالِلُ
كَمْ كِيَانٍ قَدْ تَلَاشَى فِي كِيَانِي وَاسْتَحَالَ
كَمْ كِيَانٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كِيَانِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

أَأَنَا أَفْصَحُ مِنْ عَصْفُورَةِ الْوَادِي وَأَعَذِبُ ؟
وَمِنْ الزَّهْرَةِ أَشْهَى ؟ وَشَذَا الزَّهْرَةِ أَطِيبُ ؟
وَمِنْ الْحَيَّةِ أَدْهَى ؟ وَمِنْ النَّمْلَةِ أَغْرَبُ ؟
أَمْ أَنَا أَوْضَعُ مِنْ هَذِي وَأَدْنَى ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

كُلُّهَا مِثْلِي تَحْيَا، كُلُّهَا مِثْلِي تَمُوتُ
وَلَهَا مِثْلِي شَرَابٌ، وَلَهَا مِثْلِي قُوَّةٌ
وَرَقَادٌ وَانْتِبَاهٌ وَحَدِيثٌ وَسُكُوتٌ
فَبِمَا أَمْتَا زُ عَنْهَا لَيْتَ شِعْرِي ؟

لَسْتُ أُدْرِي!

قد رأيتُ النملَ يسعى مثلما أسعى لرزقي
وله في العيش أوطارٌ وحقٌ مثلُ حقِّي
قد تساوى صمتهُ في نظرِ الدهرِ ونطقي
فكلانا صائرٌ يوماً إلى ما...

لستُ أدري!

أنا كالصَّهْبَاءِ، لكنْ أنا صَهْبَائِي ودنِّي
أصلُّها خافٍ كأصلي، سجنُها طينٌ وسجني
ويزاحُ الختمُ عنها مثلما ينشقُّ عني
وهي لا تفقهُ معناها، وإني...

لستُ أدري!

غَلَطَ القائلُ: إنَّ الخمرَ بنتُ الخابِيَةِ
فهِيَ قبلَ الرِّقِّ كانت في عُروقِ الدَّالِيَةِ
وحواها قبلَ رَحْمِ الكَرَمِ رَحْمُ الغادِيَةِ
إنما من قبلِ هذا أينَ كانت ؟

لستُ أدري!

هي في رأسي فِكْرٌ وهي في عيني نورٌ
وهي في صدري أَمالٌ وفي قلبي شُعورٌ
هي في جسمي دَمٌ يسرُّبُ^(١) فيه ويمر
إنما من قبلِ هذا كيفَ كانت؟

لستُ أدري!

أنا لا أذكرُ شيئاً من حياتي الماضيَةِ
أنا لا أعرفُ شيئاً من حياتي الآتيَةِ

(١) سرب في الأرض : ذهب على وجهه

لِي ذَاتُ غَيْرَ أَنِّي لَسْتُ أُدْرِي مَا هِيَ
فَمَتَى تَعْرِفُ ذَاتِي كُنْهُ ذَاتِي ؟
لَسْتُ أُدْرِي!
إِنِّي جِئْتُ وَأَمْضِي، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ
أَنَا لَغَزٌ، وَذَهَابِي كَمَجِيئِي طِلْسَمٌ
وَالَّذِي أَوْجَدَ هَذَا اللَّغْزَ لَغَزٌ مُبْهِمٌ
لَا تُجَادِلْ ذَا الْحِجَا مِنْ قَالٍ: إِنِّي
لَسْتُ أُدْرِي!

المحتوى
الديوان الثالث
(الجداول)

٥٥٣	■ مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة
٥٥٥	١ - الفاتحة
٥٥٧	٢ - الغنقاء
٥٦١	٣ - السجينة
٥٦٤	٤ - الضفادع والنجوم
٥٦٦	٥ - السماء
٥٦٩	٦ - برّدي يا سَحْبُ
٥٧١	٧ - العَيْر المتكرر
٥٧٢	٨ - تعالَيّ
٥٧٤	٩ - ريع الشمال
٥٧٧	١٠ - الحجر الصغير
٥٧٩	١١ - الطين
٥٨٥	١٢ - التينة الحمقاء
٥٨٧	١٣ - في القَفْر
٥٩٠	١٤ - التمثال
٥٩٢	١٥ - المساء
٥٩٥	١٦ - الكمنجة المحطّمة

٥٩٩	١٧ - زهرة أفحوان
٦٠١	١٨ - الأسرار
٦٠٢	١٩ - العميان
٦٠٤	٢٠ - الزمان
٦٠٧	٢١ - اليتيم
٦٠٩	٢٢ - المجنون
٦١٣	٢٣ - قطرة الطلّ
٦١٤	٢٤ - نار القرى
٦١٧	٢٥ - ابن الليل
٦١٩	٢٦ - أنا
٦٢١	٢٧ - الإله الثرثار
٦٢٢	٢٨ - الأشباح الثلاثة
٦٣٠	٢٩ - العليقة
٦٣٢	٣٠ - هي
٦٣٦	٣١ - لا أنتَ ولا أنا
٦٣٧	٣٢ - الناسكة
٦٣٩	٣٣ - عيد النُّهى
٦٤٥	٣٤ - موت العبقري
٦٤٨	٣٥ - الغدير الطموح
٦٤٩	٣٦ - الطلاسّم
٦٦٥	■ المحتوى

الديوان الرابع

(الخمائل)

الطبعة الأولى (مطبعة جريدة «السمير» - نيويورك ١٩٤٠).

يضم سبعة وخمسين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير، يقع ضمنها نصُّه الكبير المعروف «الأسطورة الأزلية». وهو آخر ديوان صدر له في حياته، وتمّ طبعه في مطبعة جريدته «السمير»، قبل وفاته بسبعة عشر عاماً (١٩٥٧).

١ - المدخل

[الخفيف]

وقعتُ نَحْلَةً على الأَقْحُوَانِ
فإذا في القَفِيرِ شُهُدٌ
ومشتُ بعدها على الأغصانِ
دودةٌ فالغصونُ جُرْدُ



وهَمَى الغيثُ في الحقولِ ففيها
شَجَرٌ وارِفٌ وزهَرٌ
وأطابَ الرِّمَالُ كي يُحْيِيها
فهُمَا مَيِّتٌ وَقَبْرُ



أنا غيثٌ، فإنْ وجدتُكَ حَقْلًا
فأنا العشبُ والشجرُ
غيرَ أَنِي، إذا لَقِيتُكَ رَمْلًا،
لستُ شيئاً حتى المطرُ



وأنا الأَقْحُوَانُ سَيَّانٌ عِنْدِي
عشتُ يوماً أو بعضَ يومٍ
لا أُبالي الفناءَ إنْ كانَ مجدي
في فنائي أو مجدُ قومي



إِنْ تَغِبْ فِي فِرَاشَةِ الْوَانِي
فَأَنَا زَهْرَةٌ تَطِيرُ
وَإِذَا انْحَلَّ فِي الشُّعَاعِ كِيَانِي
فَأَنَا فِي الضُّحَى عَبِيرُ



جَنَّبُونِي الْفَنَاءَ فِي الدِّيدَانِ
إِنَّهُ الْمَصْرَعُ الْكَرِيمُ
وَأَنْعَمْدَامُ الْأَرِيحِ وَالْأَلْوَانِ
وَأَنْدَثَارُ لَا مَجْدَ فِيهِ



كُنْ شُعَاعاً يَبِينُ فِيهِ كِيَانِي
لَا ظِلَامٌ وَلَا رَغَامٌ^(١)
وَلَأَعِشْ فِي الشُّعَاعِ بَضْعَ ثَوَانِ
فَهِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَامٍ



(١) التراب.

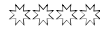
٢ - الشاعر والملك الجائر

[مختلط]

أَمَرَ السُّلْطَانُ بِالشَّاعِرِ يَوْمًا فَأَتَاهُ
فِي كِسَاءٍ حَائِلٍ الصَّبْغَةِ وَاهٍ جَانِبَاهُ
وَحِذَاءٍ أَوْشَكَتْ تُفَلَّتْ مِنْهُ قَدَمَاهُ
قَالَ: صِفْ جَاهِي، فَفِي وَصْفِكَ لِي لِلشَّعْرِ جَاهُ
إِنَّ لِي الْقَصْرَ الَّذِي لَا تَبْلُغُ الطَّيْرُ ذِرَاهُ
وَلِي الرُّوْضَ الَّذِي يَعْبَقُ بِالمَسْكِ ثِرَاهُ
وَلِي الْجَيْشَ الَّذِي تَرشَحُ بِالمَوْتِ ظُبَاهُ^(١)
وَلِي الغَابَاتُ وَالشُّمُ الرُّوَاسِي والمِيَاهُ
وَلِي النَّاسُ .. وَيُؤْسُ النَّاسُ مِنِّي وَالرَّفَاهُ
إِنْ هَذَا الْكُونُ مُلْكِي، أَنَا فِي الْكُونِ إِلَهُ!



ضَحَكَ الشَّاعِرُ مِمَّا سَمِعْتَهُ أَذْنَاهُ
وَتَمَنَّى أَنْ يُدَاجِيَ^(٢) فَعَصَّتْهُ شَفْتَاهُ
قَالَ: إِنِّي لَا أَرَى الْأَمْرَ كَمَا أَنْتَ تَرَاهُ
إِنْ مُلْكِي قَدْ طَوَى مُلْكَكَ عَنِّي وَمَحَاهُ



الْقَصْرُ يُنْبِئُ عَنْ مَهَارَةِ شَاعِرٍ
لَبِيقٍ، وَيُخْبِرُ، بَعْدَهُ عَنكَ

(١) الظبة: حد السيف.

(٢) المداجاة: المداراة.

هو للألى يَدرونَ كُنْهَ جِماله
 فاذا مَضُوا فكَانَه دُكا
 سَتَزولُ أنت ولا يَزولُ جلاله
 كالْفُلكِ تَبقى، إن خَلَتْ، فُلكا
 والروضُ؟ إن الروضَ صَنعَةُ شاعرٍ
 سَمَحَ طُروبٍ رائِقٍ جَزَلٍ
 وشئى حَواشِيَه وَزِينَ أرضَه
 بِرِوائِعِ الأَلوانِ وَالظَّلِّ
 لِفراشَةٍ تحيا له، ولنَحلةٍ
 تحيا به، ولشاعرٍ مِثلي!
 وَلِدِيمةٍ تَذري عليه دَموعَها
 كِما تَقِيه غِوائِلُ المَحَلِ
 وَلِبَلَبِلٍ غَرِدٍ يَساجِلُ بَلَبَلًا
 غَرِداً، وَلِلنِسماتِ وَالطَّلِّ
 فاذا مَضى زَمَنُ الرَبيعِ أَضَعَّتْهُ
 وَأقامَ في قَلبي وفي عَقلي!



والجيشُ مَعقودٌ لَوَاؤُكَ فَوَقَه
 ما دَمَتَ تَكسُوهُ وتَطعِمُه
 لِلخَبزِ طاعَتُهُ وَحَسَنُ وِلائِهِ
 هو « لائِه » الكَبَرى و« بَرَهْمَه »^(١)
 فاذا يَجوعُ بِظِلِّ عَرشِكَ ليلَةً
 فَهو الَّذي بِيَدِيهِ يَحْطِمْهُ
 لَكَ مِنْهُ أَسِيْفُهُ^(٢) وَلَكِنْ في غَدٍ
 لِسِوَاكَ أَسِيْفُهُ وَأَسْهُمُهُ

(١) يريد: اللات. وبراهما الإله الذي خلق العالم واتحد به في عقائد الهندوكية، والنسبة إليه: برهمي.

(٢) يجمع السيف، في معاجم اللغة، على: أسياف وسيوف.

أتراهُ سارَ إلى الوغى مُتهللاً
لولا الذي الشعراءُ تَنظِمُهُ؟
وإذا ترنَّم هلْ بغيرِ قصيدةٍ
من شاعرٍ مثلي ترنُّمُهُ؟



والبحرُ، قد ظفِرتُ يداكَ بدرِّه
وحصاهُ، لكن هل ملكتَ هديرَه؟
هُوَ للدجى يُلقِي عليه خشوعَه
والصبحُ يسكُبُ، وهو يضحكُ، نورَه
أمرجتَ أنتَ مياهُهُ؟ أصبغتَ أُنْ
تَ رمالَهُ؟ أجَبلتَ أنتَ صخورَه؟
هو للرياحِ تهزُّه وتثيرَه
والشهبُ تسمعُ في الظلامِ زئيرَه
للطيرِ هائمهً به مفتونهً
لا للذين يروُّعونَ طيورَه
للشاعرِ المفتونِ يخلقُ لاهياً
من مَوجهِ حُوراً ويعشقُ حورَه
ولنْ يشاهدُ فيه رمزَ كيانه
ولنْ يجيدُ لغيره تصويرَه
يا مَنْ يصيدُ الدرَّ من أعماقه
أخذتَ يداكَ من الجليلِ حقيِرَه
لا تدَّعيه.. فليس يُملِكُ، إنه
كالروضِ جهدُكَ أنْ تشمَّ عبيِرَه



ومررتُ بالجبلِ الأشمِّ فما زوى
عني محاسنُهُ ولستُ أميرا

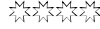
ومررت أنت فما رأيت صخوره
ضحكت ولا رقصت لديدك حُبورا
ولقد نقلت لنمله ما تدعي
فتعجبت، مما حكيت، كثيرا
قالت: صديقك ما يكونُ؟ أقشعماً
أم أرْقماً؟ أم ضيغماً هيصُورا؟^(١)
أيحوكُ مثل العنكبوت بيوته
حوكاً؟ ويبني كالنَّسور وكورا؟
هل يملأ الأغوار تبراً كالضحى
ويرد كالغيث الموات نضيرا؟
أيلف كالليل الأباطح والربا
والمنزل المعمور والمهجُورا؟
فأجبتها: كلا! فقالت: سمّه
في غير خوفٍ، «كائناً مغروراً!»



فاحتدم السلطان أيّ احتدام
ولاح حبُّ البطش في مقلتيه
وصاح بالجلاد: هاتِ الحسام!
فأسرعَ الجلاد يسعي إليه
فقال: دحرج رأسَ هذا الغلام
فرأسه عبءٌ على منكبيه
قد طبع السيفُ لحرَّ الرقاب
وهذه رقبةُ ثرثار

(١) القشعم: النسر الذكر العظيم. والأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها. والضيغم: الأسد. يريد بالهيصور: الهصور

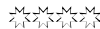
اقتله.. واطرح جسمه للكلاب
ولتذهب الروح إلى النار



سمعا وطوعا سيدي! وانتضى
عَضْباً^(١) يموج الموت في شفرتيه
ولم يكن إلا كبرق أضأ
حتى أطار الرأس عن منكبيه
فسقط الشاعر مغروراً
يُخدش الأرض بـكلتا يديه^(٢)
كأنما يبحث عن رأسه
فاستضحك السلطان من سجدته
ثم استوى يهمس في نفسه
«ذو جنة»^(٣) أمسى بلا جنّة



أجل، هكذا هلك الشاعر
كما يهلك الآثم المذنب
فما غص في روضة طائر
ولم ينطفئ في السما كوكب
ولا جزع الشجر الناضر
ولا اكتب الجدول المطرب
وكوفي عن قتله القاتل
بمال جزيل وخد أسيل
فقال له خُلقه السافل،
ألا ليت لي كل يوم قتيل!



(١) السيف القاطع (عضب: قطع).

(٢) المرمي بما يقتله ويرميه معترضاً بم على الأرض. (٣) السترة.

في ليلة طامِسَةِ الأنجم
تَسْلَلُ الموتُ إلى القصرِ
بين حرابِ الجنَدِ والأسْهُمِ
والأسْيُفِ الهنديَّةِ الحُمْرِ
إلى سَرِيرِ الملكِ الأعْظَمِ
إلى أُميرِ البَرِّ والبحرِ!!
ففارقَ الدنيا ولمَّا تزلْ
فيها خُمُورٌ وأُغَارِيدُ
فلم يَمِدْ حُزنًا عليه الجبلُ
ولا ذوى في الروضِ أُمْلُودُ



في حَوْمَةِ الموتِ وظلُّ البَيْلَى
قد التَقَى السلطانُ والشاعرُ
هَذَا بلا مَجْدٍ، وهذا بلا
ذلٍّ، فلا باغٍ ولا ثائرُ
عَانَقَتِ الأسمالُ تلكَ الحُلَى
واصطَحَبَ المقهورُ والقاهرُ
لا يَجْزَعُ الشاعرُ أنْ يُقْتَلَ
ليس وراءَ القبرِ سيفٌ ورمحُ
ولا يبالي ذاك أنْ يُعْذَلَ
سَيَّانٍ عندَ الميْتِ ذمٌّ ومدحُ



وتوالتِ الأجيالُ تَطَّرَدُ
جيلٌ يغيبُ وآخرٌ يَفِدُ

أَخْنَتُ عَلَى الْقَصْرِ الْمَنِيْفِ فَلَا
الْجِدْرَانُ قَائِمَةٌ وَلَا الْعُمْدُ
وَمَشَتْ عَلَى الْجَيْشِ الْكَثِيْفِ فَلَا
خَيْلٌ مُسَوِّمَةٌ وَلَا زَرْدُ
ذَهَبَتْ بَمَنْ صَلُّحُوا وَمَنْ فَسَدُوا
وَمَضَتْ بَمَنْ تَعَسُّوا وَمَنْ سَعِدُوا
وَبِمَنْ أَذَابَ الْحَبُّ مَهْجَتَهُ
وَبِمَنْ تَأْكُلَ قَلْبَهُ الْحَسَدُ
وَطَوَتْ مَلُوكًا مَا لَهُمْ عَدَدُ
فَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا وَجَدُوا
وَالشَّاعِرُ الْمُقْتُولُ بِأَقْيَمَةٍ
أَقْوَالُهُ فَكَأَنَّهُهَا الْأَبَدُ
الشَّيْخُ يَلْمِسُ فِي جَوَانِبِهَا
صُورَ الْهَوَى، وَالْحِكْمَةُ الْوَلَدُ

٣ - الدمعة الخرساء

[الكامل]

سَمِعْتُ عَوِيلَ النَّائِحَاتِ عَشِيَّةً
فِي الْحَيِّ يَبْتَغِي الْأَسَى وَيُثِيرُ
يَبْكِينَ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ صَبِيَّةً
إِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الشَّبَابِ مَرِيرٌ^(١)
فَتَجَهَّمْتُ وَتَلَقَّيْتُ مُرْتَاعَةً
كَالظَّبْيِ أَيْقَنَ أَنَّهُ مَأْسُورٌ
وَتَحَيَّرْتُ فِي مَقْلَتِيهَا دَمْعَةً
خَرَسَاءُ لَا تَهْمِي وَلَيْسَ تَغُورُ
فَكَأَنَّهَا بَطْلٌ تَكْنُفُهُ الْعِدَا
بَسِيوْفُهُمْ وَحُسَامُهُ مَكْسُورُ
وَجُمْتُ فَأَمْسَى كُلُّ شَيْءٍ وَاجِماً
النُّورُ وَالْأُظْلَالُ وَالْدِّيَجُورُ
الْكُونُ أَجْمَعُ ذَاهِلٌ لَذَهْوِهَا
حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ لَيْسَ تَدُورُ
لَا شَيْءَ مِمَّا حَوْلَنَا وَأَمَامَنَا
حَسَنٌ لَدِيهَا وَالْجَمَالُ كَثِيرُ
سَكَتَ الْغَدِيرُ كَأَنَّمَا التَّحَفَ الثَّرَى
وَسَهَا النَّسِيمُ كَأَنَّهُ مَذْعُورُ
وَكَأَنَّمَا الْفَلَكَ الْمُنُورُ بُلُقَعُ

(١) يريد: مرّ، على الشائع في الاستعمال.

والأنجمُ الزهراءُ فيه قبور
كانت تمازجُني وتضحكُ، فانتَهى
دورُ المزاح، فَضَحَها تفكير
قالت، وقد سَلَخَ ابتسامَتُها الأسي،
«صَدَقَ الذي قال: الحياةُ غرور»
أكذا نموتُ وتنقضي أحلامُنا
في لحظةٍ، وإلى التُّرابِ نصيرُ
وتموجُ ديدانُ الثُّرى في أَكْبَدٍ
كانت تموجُ بها المُنَى وتمورُ
«خيرُ إن منّا الألى لم يولدوا
ومن الأنعامِ جَلامدٌ وصخور»
«ومن العيونِ مكاحِلٌ ومَراوِدُ
ومن الشِّفاهِ مساحِقٌ وذُرور»
«ومن القلوبِ الخافقاتِ صِبابَةٌ
قَصَبٌ لَوَقَعَ الرِّيحُ فيه صَفير»
وتوقفتُ، فشَعَرْتُ، بعد حديثِها،
أن الوجودَ مُشَوَّشٌ مَبْتورُ
الصيفُ يَنْفُتُ حَرَّهُ من حولنا
وأنا أَحَسُّ كَأَنَّني مَقْرور
صارت إلى قلبي الشكوكُ فنَغُصْتُ
لَيْلِي، وليس مع الشكوكِ سُرور
وخشيتُ أن يغدو، مع الرِّيبِ، الهوى
كالرسمِ، لا عِطَرُ، وفيه زهور
وكدُمِيَّةِ المَنائِلِ حُسْنُ رَائِعُ
ملاً العيونَ وليس ثَمَّ شعور
فأجبتُها: «لتَكُنْ لديدانِ الثُّرى

أجسامُنا! إنَّ الجسومَ قُشورُ
 «لا تجزعي فالموتُ ليس يَضيِرُّنا
 فلَنا إِيابٌ بَعدَهُ ونُشورُ»
 «إنَّا سَنَبقى بَعدَ أن يَمضي الوريُّ
 وَيَزولَ هَذا العالَمُ المَنظورُ»
 «فالحُبُّ نورٌ خالِدٌ مُتَجَرِّدٌ
 لا يَنطوي إلا لَيسطعَ نورُ»
 «وَبِنو الهوى أحلامُهم ورؤُؤُهم
 لا أَعينُ ومَراشِفُ ونَحورُ»
 «فإِذا طَوَّتنا الأرضُ عن أَزهارها
 وِخلا الدجى مِننا وفيه بدورُ»
 «فستَرجَعينَ خَميلَةً مَعطارةً
 أنا في ذُراها بَلبلُ مَسحورُ»
 «يَشدو لها وَيَطيِرُ في جَنباتها
 فَتَهشُّ إِذ يَشدو، وَحينَ يَطيِرُ»
 «أو جَدولاً مُتَرَقِّقاً مُتَرنِّماً
 أنا فيهِ موجُ ضاحِكٌ وَخَيرُ»
 «أو تَرجِعينَ فَراشَةً خَطَّارةً
 أنا في جَناحيها الضُّحى الموشُورُ»^(١)
 «أو نَسمَةً أنا هَمسُها وَحَفيقُها
 أَبداً تُطوِّفُ في الرُّبا وَتَدورُ»
 «تَغشى الخِمالَ في الصَباحِ بَليلَةً
 وَتَوَّوبُ، حينَ تَوَّوبُ، وَهي عَبيرُ»
 «أو تَلتقي عَندَ الكُثيبِ، عَلى رِضا

(١) الوشُر: تحديد الأسنان وترقيقها. لعله يريد: شفافية النور في الضحى.

وقناعة، صفصافةً وغدير
 «تمتدُّ فيه وفي ثراه عروقُها
 ويسيلُ تحت فروعِها ويسيرُ
 «ويغوصُ فيه خيولُها فيلْفُ
 وَيَشْفُ فهو المُنطوي المنشور»
 «يأوي إذا اشتدَّ الهجيرُ إليهما
 الناسكان: الظبي والعصفور»
 «لهما سكينتُها ووارفُ ظلِّها،
 والماءُ إن عطِشا لديه وفيه»
 «أعجوبتان: زَبْرَجْدٌ متهَدِّلٌ
 نام، تدفَّقَ تحتَه البُلُور»^(١)
 «لا الصبحُ بينهما يحولُ ولا الدجى
 فكلاهما بكليهما مغمور»
 «تتعاقبُ الأيامُ وهي نضيرةٌ
 مخضرةُ الأوراق وهو نَمير»
 «فالدهرُ أجمعهُ لديها غبطةٌ
 والدهرُ أجمعهُ لديه حُبور»
 فتَبَسَّمَتْ، وبدا الرضا في وجهها،
 إذ راقها التمثيلُ والتَّصوير
 عالجَتْها بالوهم، وهي قَريرةٌ،
 وَلَكَمْ أَفَادَ الْمُوجَعَ التَّخْدِيرُ
 ثم افتَرَقْنَا ضاحِكَيْنِ إلى غدٍ
 والشَّهْبُ تَهْمُسُ فوقنا وتشير
 هي كالمسافرِ أبَ بعد مشقَّةٍ
 وأنا كإني قائدٌ منصور

(١) الزبرجد: جوهر يقال إنه الزمرد.



لكنني لما أُوتيت لمضجعي
خَشْنُ الفراش عليّ وهو وثير
وإذا سراجي قد هتّ وتلجّلت
أنفاسه، لكأنه المصدور
وأجّلت طرفي في الكتاب فلاح لي
كالرسم مطموساً وفيه سطور
وشربتُ بنتَ الكرم أحسبُ راحتي
فيها، فطاشَ الظنُّ والتقديرُ
فكأنني فُلكٌ هتّ أمراسُها
والبحرُ يطغى حولها ويثور
سلبَ الفؤادِ رؤاه والجفنَ الكرى
همُّ عَراً فكلاهما مَوتور
حامتُ على روعي الشكوكُ كأنها
وكانهنَّ فريسةٌ وصقور
ولقد لجأتُ إلى الرجاء فعقّني
أما الرجاء فخائبٌ مدحور
يا ليل! أين النور؟ إني تائه،
مُرْ يَنْبَتِقْ، أم ليس عندك نور
أكذا نموتُ وتنقضي أحلامنا
في لحظةٍ، وإلى الترابِ نصير

٤ - الفيلسوف المجنح

[الكامل]

يا أيها الشّادي المغرّد في الضحى
أهواك إن تُنشد وإن لم تنشد
الفنُّ فيك سَجِيَّةٌ لا صَنَعَةٌ
والحبُّ عندك كالطبيعةِ سَرْمَدِي
فإذا سكتَ فأنتَ لحنٌ طائرٌ
وإذا نطقتَ فأنتَ غيرٌ مقلّد
للهِ درُّكُ شاعراً لا ينتهي
من جيّدٍ إلا صَبَا للأجود
مرحُ الأزاهرِ في غنائك، والشّذا،
وطلاقةُ الغُدرانِ والفجرِ النّدي
وكانَ زورُك فيه ألفُ كمنجّةٍ
وكانَ صدركَ فيه ألفُ مُردّدٍ
كم زهرةٍ في السّفحِ خادرةٍ^(١) المُنَى
سكنتُ على يأسٍ سكونَ الجَلْمَدِ
غنّيَتها فاستيقظتُ وترنّحتُ
وتألّقتُ كالكوكبِ المتوقّدِ
وجرى الهوى فيها، وشاعَ بشاشةٌ
مَنْ لم يُحبَّ فإنه لم يولدِ
وكأنني بك، حينَ تهتفُ، قائلُ
للزهر: إنَّ الحسنَ غيرُ مُخلّدِ

(١) الخادر: الفاتر الكسلان.

فاسْتَنفِدي في الحبِّ أيامَ الصِّبَا
واسْتَرشديه فهوَ أصدقُ مُرْشِدٍ
واسْتَشْهَدي فيه، فَمِنْ سُخْرِ القَضَا
أن لا تذوقيه وأن تُسْتَشْهَدي



يا فيلسوفاً قد تلاقى عندهُ
طَرَبُ الخَلِيٍّ وحرْقَةُ المتوجِّد^(١)
رفعَ الربيعُ لك الأرائكَ في الرُّبَا
وكَسَا حواشِيها بُرودَ زَبَرَجَدٍ
أنتَ المليكُ له الضياءُ مَقَاصِرُ
وتعيشُ عَيشَ الناسِكِ المتزهِدِ
مستوفزاً فوق الثرى، متنقلاً
في الدَّوْحِ، من غصنٍ لغصنٍ أُمْلَد^(٢)
متزوداً من كلِّ حُسْنٍ لمحَّةً
شأنُ الحبِّ الثائرِ المُتَمَرِّدِ
وإذا ظفِرتَ بنفحةٍ وبقطرةٍ
فلقد ظفرتَ بِرَوْضَةٍ وبمَورِدِ
تشدو وتبْهتُ حائراً متردداً
حتى كأنك حين تُعْطِي تَجْتَدِي
وتمدُّ صوتَكَ في الفضا متلهِّفاً
في ذَلَّةِ المسترحمِ المستنجدِ
فكأنما لك موطنٌ ضيِّعتهُ
خلفَ الكواكبِ في الزمان الأبعد

(١) من الوجد الذي هو الحزن.

(٢) الأملد والأملود: الناعم.

وطنٌ جميلٌ كنتَ فيه سيِّداً
فمضى، ودامَ عليكُ همُّ السيِّدِ
طوردتَ عنه إلى الحضيضِ فلم تزلْ
متلفّثاً كالخائفِ المتشرّدِ
يبدو لعينكُ في العقيقِ خيالُهُ
وتراهُ في ورقِ الغصونِ الميِّدِ
صورٌ مُعدّدةٌ لغيرِ حقيقةٍ
كالآلِ (١) لاحَ لمُعطشٍ في فدّقدِ (٢)
فَتَهُمُّ أن تدنو إليه، وتنثني
حتى كأنك خائفٌ أن تهتدي!
وكأنه حلمٌ يصحُّ مع الكرى
فإن انتهيتَ مع الكرى يتبدّدِ
كم ذا تفتّشُ في السفوحِ وفي الذُّرا
عنقاءً (٣) أقربُ منه للمتصيدِ



يا أيها الشادي المغرّدُ في الضحى
أهواك إن تنشدُ وإن لم تُنشدِ
طوباك إنك لا تفكّرُ في غدٍ
بدءَ الكأبةِ أن تفكّرُ في غدٍ
إن كنتَ قد ضيّعتَ إلفكَ إنني
أبكي على إلفي الذي لم يوجد!



(١) السراب.
(٢) الفلاة التي لاشيء فيها.
(٣) العقاب.

٥ - ماء وطنين

[الخفيف]

سألتني وقد رجعتُ إليها
وعلى مفرقي غبارُ السنينَا:
أي شيءٍ وجدتَ في الأرضِ بعدي؟
قلتُ: إني وجدتُ ماءً وطينَا
جمعَ الحُسنِ والدمامةِ والإقْدَامِ
دامَ والخوفَ والنُّهى والجنونا
والرجاءَ الذي يصيرُ به الفَدُّ
فَدُّ^(١) روضاً وشوكهُ نَسرينَا
والقنوطَ الذي يُعري من الأَوْدِ
راق، في نشوة الربيع، الغصونا
ووجدتُ الهوى كما كان قَدماً
ثِقَةً تارةً، وطوراً ظنونَا
وشباباً سكراناً من خمرة الوَهْدِ
م يخالُ الحالُ أمراً يقيُنَا
فإذا شاخَتِ الرؤى وتلاشتْ
وصحَا، باتَ جَزْمُهُ تَحْمِينَا
لا يزالُ الإيمانُ نوعاً من الرُّهْ
بَةِ، والحُسْنُ للغرورِ خَدِينَا
لا يزالُ الغنى يُختالُ في الأَرْدِ
ض وإنْ كانَ جاهلاً مأفُونَا

(١) المغارة الواسعة الخالية.

كُلُّ مَنْ قَدْ لَقِيَْتُ مِثْلَكَ يَأْنَفُ
سَيِّئٌ فِي مَا تُبْدِي أَوْ تُخْفِي نَا
فَانْظُرِي مَرَّةً إِلَيْكَ مَلِيًّا
تُبْصِرِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

٦ - الإبريق

[الطويل]

ألا أيها الإبريقُ ما لك والصِّلفُ
فما أنتَ بَلَّورٌ ولا أنتَ من صَدَفُ
وما أنتَ إلا كالإبريقِ كَلِّها
ترابٌ مَهِينٌ قد ترقى إلى خَرْفِ
أرى لك أنفاً شامخاً غير أنه
تلفَّعَ أثوابُ الغبارِ وما أنِفِ
ومسَّتْهُ أيدي الأذنياءِ فما شكا
ومصَّتْهُ أفواهُ الطُّغامِ فما وجفِ
وفيكَ اعتزازٌ ليس للديكِ مثلهُ
ولستَ بذِي ريشٍ تضاَعَفَ كالزَّغَفِ^(١)
ولا لك صوتٌ مثلهُ يصدعُ الدُّجى
وتهتِفُ فيه الذكرياتُ إذا هَتَفِ



وأنصتُ أستوحيه شيئاً يقولهُ
كما يسكتُ الزَّوارُ في معرضِ التُّحَفِ
وبعد ثوانٍ خِلْتُ أني سمعتهُ
يُثرثرُ مثلَ الشيخِ أدركهُ الخَرْفِ
فقال: «سقيتُ الناسَ»، قلتُ له: أجلُ
سقيتهمُ ماءَ السَّحابِ الذي وكَفِ

(١) زغفت البئر: كثر ماؤها، وزغف كلاماً كثيراً: زاد فيه بالكذب.

ودمعَ السواقى والعيونِ الذي جرى
وماءَ الينابيع الذي قد صَفَا وَشَفُ
فقال: لِيَذْكُرْ فَضليَ الماءَ وَلِيُشَدُّ
بمدحي أَلَمْ أَحْمِلْهُ؟ قلتُ: لك الشُّرْفُ!
فقال: أَلَمْ أَحْفَظْهُ؟ قلتُ: ظَلَمْتَهُ
فلولاهُ لم تُنْقَلْ ولولاك ما وَقَفَا!

٧. أمنيّة إلهة

[مختلط]

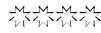
أَحَبَّ إِلَهُ فِي صِبَاةِ إِلَاهَةٍ
جَرَى السَّحَرُ فِي أَعْطَافِهَا وَالتَّرَائِبِ^(١)
تَمَنَّتْ عَلَيْهِ آيَةٌ لَمْ يَجِءْ بِهَا
إِلَهُ سِوَاهُ فِي الْعَصُورِ الذَّوَاهِبِ
لِيُمْسِيَ عَلَى الْأَرْبَابِ أَجْمَعَ سَيِّدًا
وَتُمْسِيَ تُبَاهِي كُلَّ ذَاتِ ذَوَائِبِ
وَكَانَ إِلَهًا جَامِحًا مَتَضَرِّمًا
هُوًى، فَآتَى بِالْمُعْجِزَاتِ الْغَرَائِبِ
كَسَا الْأَرْضَ بِالزَّهْرِ الْبَدِيعِ لِأَجْلِهَا
وَرَصَّعَ أَفَاقَ السَّمَاءِ بِالْكَوَاكِبِ
وَمَا زَالَ حَتَّى عَلَّمَ الطَّيْرَ مَا الْهُوَى
فَحَنَّتْ وَغَنَّتْ فِي الذُّرَا وَالْمَنَاكِبِ^(٢)
وَأَنْشَأَ جَنَاتٍ وَأَجْرَى جَدَاوِلًا
وَمَدَّ الْمَرْوَجَ الْخَضِرَ فِي كُلِّ جَانِبِ
وَشَاءَ فِشَاعَ الْعَطْرِ فِي الْمَاءِ وَالضِّيَاءِ
وَفِي كُلِّ صَوْتٍ أَوْ صَدًى مُتَجَاوِبِ
~~~~~  
وَمَسَّ الضُّحَى فَارْفَضَ تَبْرًا عَلَى الرُّبَا  
وَسَالَ عَقِيقًا فِي حَوَاشِي السَّبَاسِبِ<sup>(٣)</sup>

(١) موضع القلادة من الصدر (مفردتها: تريبة).

(٢) يقصد: سفوح الجبال، مادن ذراها.

(٣) السبسب: الأرض القفر البعيدة.

وقال لأحلام البحار: تجسّدي  
مواكب ألوان وجيش عجائب  
فكانت لآل في الشطوط، وفي الفضاء  
غُيومٌ، وموجٌ ضاحكٌ في الغوارب<sup>(١)</sup>  
ولما رأى الأشياء أحسن ما ترى  
وتمت له دنيا بغير معائب  
دعاها إليه كي تبارك صنعه  
ولم يدرك إن الحب جم المطالب  
فقالت له أحسنت! أحسنت مُبدعاً  
فيا لك ربّاً عبقرى المواهب  
ولكن لي أمنية ما تحققت  
إذا لم تُنلنيها فما أنت صاحبي!



فدنياك هذي على حُسنها  
وسحر مشاهدِها والصور  
تُشاركني سائر الألهات  
لذاذاتها ونساء البشر



أريد دنيا فيها شعاع  
يبقى إذا غابت النجوم  
أريد دنيا تُحس نفسي  
فيها نفوساً بلا جُسوم  
أريد خمراً بلا كؤوس  
من غير ما تُنبِت الكروم

---

(١) غوارب الماء: أعاليه.

أريد عطرًا بلا زهورٍ  
يسري وإن لم يكن نسيم



وزادت فقالت: أريد أنيناً  
يشوش روعي ولا مُحْتَضِرُ  
وماءً يموج ولا جـدولُ  
وناراً بلا حطبٍ تستعر  
فأطرق ذاك الإله الفتي  
وفي نفسه ألمٌ مُستتر  
وقال: أمهليني ثلاث ليالٍ  
أدللُ فيها المراد العسير!



وداحٍ يجوبُ رحابَ الفضاء  
يحدوه شوقٌ ويدعوه سرٌّ  
فسال مع الشمس فوق الربا  
وغلغل في الحنْدِسِ<sup>(١)</sup> المعتكر  
وأصغى إلى نسيمات المروج  
وأصغى إلى نفحات الزهر  
وبعد ثلاث ليالٍ أتاهـا  
فظننته جاء لكي يعتذر  
فقال: وجدت الذي تطلبين  
لدى شاعرٍ ساحرٍ مُبتكر  
وأخرج خيطاً قصير المدى  
بلون التراب ولين الشعر

---

(١) الظلمة.



فلما رآته عراها الأسي  
وغور إيمانها واندثر  
فصاحت بغیظ: أتسخر مني؟  
إن فاحمل العار، أو فانتحر!  
أجاب: رؤيدك يا ربتي  
فما في التعجل إلا الضرر!  
وشد إلى آلة خيطه  
ودغده صامتا في حذر  
ففاضت خمور وسالت دموع  
وشعت بروق ولاحت صور!  
فصاحت به وهي مدهوشة:  
ألا إن ذا عالم مختصر!  
فيا ليت شعري ماذا يسمى؟  
فقال لها: إن هذا الوتر!

\*\*\*\*

## ٨ - ليل الأشواق

[الخفيف]

رُبَّ لَيْلٍ نَجْوَاهُ ضَاكِكَاتُ  
مِثْلُ أَحْلَامٍ غَادَةٍ فِي صَبَاها  
لَسْتُ إِصْبَعُ السَّكِينَةَ أَشْوَا  
قِي فَهَبْتُ مَذْعُورَةً مِنْ كَرَاهَا  
كَطَيُورٍ فِي الْأَسْرِ تَبْغِي انْعِتَاقاً  
قَبْلَ أَنْ يُفْسِدَ الْإِسَارُ لُغَاها  
أَبَقَ<sup>(١)</sup> النَّوْمُ، فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى النَّهْ  
رِ بِنَفْسٍ كَادَتْ تَسِيلُ دِمَاها  
وَمَعِيَ صَاحِبُ رَقِيقِ الْحَوَاشِي  
تَجِدُ النَّفْسُ فِي رُؤَاهِ رُؤَاها  
إِنْ دَجَّتْ لَيْلَةٌ أَرَاكَ ضُحَاها  
أَوْ ذَوْتَ زَهْرَةٍ أَرَاكَ شَذَاها



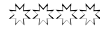
قال: ما أجمل الكواكب! ما أحلى  
لى سناها! فقلت: ما أحلاها  
قال: لا شوق، لا صبابة لولا  
ها! فتمتتم قائلًا: لولاها!  
قال: هل تشتهي الوصول إليها؟  
قلت: إني لا أشتهي إلاها!



---

(١) هرب.

كان طرفي يجولُ في العالم الأء  
لى وروحي تجول في مَغْنَاهَا  
وجَلِيسِي يظنُّ في الشُّهْبِ قصدي  
وأنا أحسبُ الجَلِيسَ عَنَاهَا  
قال: والنهرُ كم طوى من صَبَابَا  
ت! فأطرقتُ استشفِ المِيَاهَا  
فإذا النهرُ فيه رِيشَةُ رُوحِي  
حين يَدْوِي فيها صدى ذِكْرَاهَا  
قال: والليلُ.. قلتُ حُسْبُكَ إَعْنَا  
تُ لِنَفْسِي وحَسْبُ نَفْسِي دُجَاهَا  
فانقَطَعْنَا عن الكلام وبتْنَا  
كلُّ نفسٍ لِذَاتِهَا نَجَوَاهَا



خِلْتُ أَنِي إِذَا بَعُدْتُ سَائِسَا  
ها ويطوي الزمانُ سِفْرَ هَوَاهَا  
وتَوَهَّمتُ أَنَنِي سوفَ أَلْقَى  
ألفَ لَيْلَى، وألفَ هِنْدٍ، سِوَاهَا  
فإذا الحبُّ كالْفَضَاءِ وقلبي  
طائرٌ في الفَضَاءِ ضَلَّ وَتَاهَا  
أنا في عالمِ قَصِيٍّ سَحِيقٍ  
لا أراها لكنَّ رُوحِي تَراها  
قد نَشِيقْتُ<sup>(١)</sup> الأزهارَ في كلِّ أَرْضٍ  
يا شِذَاهُنَّ لستَ مِثْلَ شِذَاهَا!

---

(١) نشيق: شم.

كيف أنسى وأينما سِرْتُ في الدُّ  
نيا أراني أسيرُ في دنياها  
وإذا ما لمحتُ في الأرض حُسناً  
فكأنني لمحتُها إياها  
وإذا داعبَ النسيمُ رِدائي  
قلتُ: قد علّمتُهُ هذا يداها!  
هي أدنى من الأمانِي إلى قلبي  
جبي، وقلبي يصيحُ: ما أقصاها!  
لستُ أشكو النوى مَلاً ولكنْ  
طَرِبُ الروحَ أن تُذيعَ جَواها<sup>(١)</sup>



قال قومٌ: إنَّ المحبَّةَ إثمٌ!  
ويَحَ بعضُ النفوسِ ما أغباها!  
إنَّ نفساً لم يُشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدرِ ما معناها  
خوفوني جهنَّماً ولظاها  
أيُّ شيءٍ جهنَّمٌ ولظاها؟  
ليس عندَ الإلهِ نارٌ لذي حبٍّ  
ونارُ الإنسانِ لا أخشاها!  
أنا في الحبِّ قد وصلتُ إلى نفسي  
وبالحبِّ قد عرَفْتُ الله!



---

(١) الجوى: الحرقه وشدة الوجد.

## ٩ - عِشَ لِلْجَمَالِ

[البسيط]

عِشَ لِلْجَمَالِ تَرَاهُ الْعَيْنُ مُؤْتَلِقاً  
فِي أَنْجَمِ اللَّيْلِ أَوْ زَهْرِ الْبَسَاتِينِ  
وَفِي الرُّبَا نَصَبَتْ كَفُّ الْأَصِيلِ بِهَا  
سُرَادِقاً مِنْ نُضَارٍ لِلرِّيَّاحِينَ  
وَفِي الْجِبَالِ إِذَا طَافَ الْمَسَاءُ بِهَا  
وَلَفَّهَا بِسَرَابِيلِ الرُّهَابِينَ<sup>(١)</sup>  
وَفِي السُّوَاقي لَهَا كَالطِّفْلِ ثَرَثَةٌ  
وَفِي الْبُرُوقِ لَهَا ضِحْكُ الْمَجَانِينِ  
وَفِي ابْتِسَامَاتِ «أَيَّارٍ» وَرُوعَتِهَا  
فَإِنْ تَوَلَّى، فَفِي أَجْفَانِ «تَشْرِينَ»  
لَا حِينَ لِلْحَسَنِ لَا حَدٌّ يَقَاسُ بِهِ  
وَإِنَّمَا نَحْنُ أَهْلُ الْحَدِّ وَالْحَيْنِ  
فَكَمْ تَمَاجٍ فِي سِرْبَالِ غَانِيَةٍ  
وَكَمْ تَأَلَّقَ فِي أَسْمَالِ مِسْكِينِ  
وَكَمْ أَحْسَنَ بِهِ أَعْمَى فَجُنَّ لَهُ  
وَحَوْلَهُ أَلْفُ رَأٍ غَيْرِ مَفْتُونِ

---

(١) الرهبان.

عِشْ لِلْجَمَالِ تَرَاهُ هَهْنَا وَهَهْنَا  
وعِشْ لَهُ وَهُوَ سِرٌّ جِدُّ مَكْنُونٍ  
خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ لَا حَنِينَ لَهُمْ  
إِلَى الْجَمَالِ، تَمَائِيلُ مِنَ الطُّيُنِ

\*\*\*\*

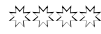
## ١٠ - وقائلة

[الوافر]

وقائلة: هَجَرْتَ الشَّعْرَ حَتَّى  
تَغْنَى بِالسَّخَّافَاتِ الْمُغْنَى  
أَتَى زَمَنُ الرِّبِّيعِ وَأَنْتِ لَاهٍ  
وَقَدْ وَلَّى وَلَمْ تَهْتِفْ بِأَحَنِ  
وَنَفْسُكَ كَالصَّدَى فِي قَاعِ بئرٍ  
وَمِثْلِ الْفَجْرِ مَلْتَحِفًا بِدَجْنٍ<sup>(١)</sup>  
فَمَا لَكَ لَيْسَ يَسْتَهْوِيكَ حُسْنُ  
وَأَنْتِ الْمَرْءُ تَعْشِقُ كُلَّ حُسْنٍ  
أَتَسْكُتُ وَالشَّبَابُ عَلَيْكَ ضَافٍ  
وَحَوْلُكَ لِلْهَوَى جَنَاتٌ عَدْنُ؟  
رَكَودُ الْمَاءِ يَوْرُثُهُ فِسَادًا!  
فَقُلْتُ لَهَا: اسْتَكِينِي وَاطْمَئِنِّي  
فَمَا حَطَمْتُ يَدُ الْأَيَّامِ رُوحِي  
وَإِنْ حَطَمْتُ أَبَارِيقِي وَدَنِّي  
وَلَمْ أَعْقِدْ عَلَى خَوْفٍ لِسَانِي  
وَلَا ضَنْئًا عَلَى الدُّنْيَا بِفَنِّي  
وَلَكِنِّي أَمْرُؤُ لِلنَّاسِ ضِحْكِي  
وَلِي وَحْدِي تَبَارِيحِي وَحُزْنِي  
إِذَا أَشْكُو إِلَى خِذْنِ هُمُومِي  
وَفِي وَسْطِ السُّكُوتِ، ظَلَمْتُ خِذْنِي

(١) الغيم المطبق في السماء.

وَتَأْبَى كَبِيرَائِي أَنْ يَرَانِي  
فَتَى مُغْرورَقاً بِالدمعِ جَفَنِي  
فَأَسْتَرْ عَبرْتِي عَنْهُ لئَلَا  
يَضِيقُ بِهَا وَإِنْ هِيَ أَحْرَقَتْني  
وَيَبْكِي صَاحِبِي فَأِخَالُ أَنِي  
أَنَا الْجَانِي وَإِنْ لَمْ يَتَّهِمْنِي  
فَأَمْسَحُ أَدْمَعاً فِي مَقَلَّتِيهِ  
وَإِنْ حَكَتِ اللّٰهِيْبَ، وَإِنْ كَوَّتْنِي  
لَأَنِّي كَلَّمَا رَفَّهْتُ عَنْهُ  
طَرِبْتُ كَأَنَّنِي رَفَّهْتُ عَنِّي  
كَذَلِكَ كَانَ شَأْنِي بَيْنَ قَوْمِي  
وَهَذَا بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ شَأْنِي  
أَقُولُ لِكُلِّ نَوَاحٍ رَوِيْدًا  
فَإِنَّ الْحُزْنَ لَا يُغْنِي، وَيُضْنِي  
وَجَدْتُ الدَّمْعَ بِالْأَحْرَارِ يُزْرِي  
فَلَيْتَ الدَّمْعَ لَمْ يُخْلَقْ بِجَفَنِي!



سَبِيلُ الْعِزِّ أَنْ تَبْنِي وَتُعْلِي  
فَلَا تَقْنَعُ بِأَنْ سَوَاكَ يَبْنِي  
وَلَا تَكُ عَالَةً فِي عُنُقِ جَدٍّ  
رَمِيمِ الْعِظَمِ أَوْ عِبْئاً عَلَى ابْنِ  
فَمَنْ يَغْرِسْ لِكِي يَجْنِي سِوَاهُ  
يَعِشْ، وَيَمُوتْ مَنْ يَحْيَا لِيَجْنِي!





أَلَا تَمَتِّي أَتَرْكِينِي فِي سَكُونِي  
وَلُومِي مَنْ يَضِجُ بِغَيْرِ طِحْنٍ<sup>(١)</sup>  
إِذَا صَارَ السَّمَاعُ بِلَا قِيَّاسٍ  
فَلَا عَجَبٌ إِذَا سَكَتَ الْمَغْنِي  
أَنَا وَلَيْتَنُ سَكَتُ وَقَالَ غَيْرِي  
وَجَعَجَعَ صَاحِبُ الصَّوْتِ الْأَرْنُ  
إِذَا أَنَا لَمْ أَجِدْ حَقْلًا مَرِيعًا<sup>(٢)</sup>  
خَالَقْتَ الْحَقْلَ فِي رُوحِي وَذِهْنِي  
فَكَادَتْ تَمَلُّ الْأَثْمَارُ كَفِّي  
وَيَعْبُقُ بِالشَّدَا الْفَوَّاحِ رِدْنِي

\*\*\*\*

---

(١) الدقيق.

(٢) الخصب.

## ١١ - موميّات

[المجتث]

عَرَّجَ صَاحِبُ الدِيَوَانِ فِي إِحْدَى سَفَرَاتِهِ عَلَى فَنْدَقٍ فُخْمٍ، فَلَمْ يَرَ إِلَّا عَجَائِزَ فَقَالَ:  
لِمَنْ يَضُوعُ الْعَبِيرُ؟  
لِمَنْ تُغْنِي الطُّيُورُ؟  
لِمَنْ تُصَفُّ الْقِنَانِي؟  
لِمَنْ تُصَبُّ الْخُمُورُ؟  
وَلَا جَمَالَ أَنْيَقُ  
وَلَا شَبَابَ نَضِيرِ  
بَلْ مُومِيَّاتٌ عَلَيْهَا  
أَطَالِسٌ وَحَرِيرِ  
رَاحَتٌ تُقَعِّعُ حَوَلِي  
فَكَادَ عَقْلِي يَطِيرِ  
وَلَاذِقًا لِي بِصَدْرِي  
كَأَنَّهُ عَصْفُورِ  
لَا حَتَّ لَهُ فِي الْأَعْمَالِي  
بِوَأَشِقُّ وَصَقُورِ  
وَقَالَ: ضُويِّقَتَ فَاهِرِبُ!  
قُلْتُ: الْفِرَارُ عَسِيرِ  
مَالِي جَانَحٌ وَلَا لِي  
سَيَّارَةٌ أَوْ بَعِيرِ  
صَبْرًا فَهَذَا بَلَاءُ  
مَقْدَرٌ مَسْطُورِ

وَرَحْتُ أَسْأَلُ رَبِّي  
 وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ  
 أَيْنَ الْحِسَانُ الصَّبَايَا  
 إِنْ كَانَ هَذَا النِّشُورُ؟  
 لَيْتَ الْحُضُورَ غِيَابُ  
 وَالْغَائِبِينَ حُضُورُ  
 بَلْ لَيْتَ كُلَّ نَسِيحٍ  
 بِبَرَّاقِعٍ وَسُتُورِ  
 فَقَدْ أَضْرَرَ وَأَذَى  
 عَيْنِي هَذَا السُّفُورُ



هَذَا الْعُصُورُ الْخَوَالِي  
 تَطُوفُ بِي وَتَدُورُ  
 مِنْ كُلِّ شَمَطَاءٍ وَلَى  
 شَبَابُهَا وَالْغُرُورُ  
 كَأَنَّمَا الْفَمُ مِنْهَا  
 مَقْقَطُ مَزْزُورُ  
 كَأَنَّمَا هُوَ جَرَحُ  
 مَرَّتْ عَلَيْهِ شَهْرُورُ  
 يَا طَالِبَ الشُّهْدِ أَقْصِرْ  
 لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَفِيرُ<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّمَا الْوَجْهُ مِنْهَا  
 قَدْ عَضَّه الزَّمْهَرِيرُ

---

(١) خلية النحل.

كَالْبَدْرِ حِينَ تَرَاهُ  
 يُعِينُكَ «الناظر»  
 تَبْدُو لِعَيْنَيْكَ فِيهِ  
 بِرَارِخٍ وَبِحُورِ  
 وَأَنْجُودٌ وَوَهَادٌ  
 لَكِنَّهُ مَهْجُورُ!  
 مِثْلُ الْمِسْنِ وَلَكِنْ  
 لَا مَاءَ فِيهِ يَمُورُ  
 مَا لِبَعُوضَةٍ فِيهِ  
 قَوْتُ بِلِ التَّخْزِيرِ  
 وَلَا يُوْتَرُ فِيهِ  
 نَابٌ وَلَا أَظْفُورُ  
 وَلِلْيَدَيْنِ ارْتِمَاشُ  
 وَلِلْعِظَامِ صَرِيرُ  
 أَمَّا الْعَيُونَ فُغَارَتْ  
 وَلَا تَزَالُ تُغُورُ  
 مَغَاوِرٌ، بِلِ صَحَارَى  
 بِلِ أَكْهَفٍ، بِلِ قُبُورِ  
 وَالْخَصِرُ، عَفْوًا وَصَفْحًا!  
 كَانَتْ لِهِنَّ خُصُورُ!



هُنَّ السُّعَالَى<sup>(١)</sup> وَلَكِنْ  
 سُعَالُهُنَّ كَثِيرُ

(١) السُّعَالَى: أخبث الغيلان، مما خلقته المخلية.

حَدِيثُهُنَّ اَنْتُفَاضُ  
 وَضِحْكُهُنَّ هَرِيرٌ<sup>(١)</sup>  
 وَمَشْيُهُنَّ ارْتِبَاكُ  
 وَتَوَارَةُ تَقْدِيرِ  
 يَغْضَبْنَ اِنْ مَالٌ ظَلُ  
 وَاِنْ شَدَا شُحْرُورِ  
 وَاِنْ تَهَادَتْ غُصُونُ  
 وَاِنْ تَسَارَى<sup>(٢)</sup> عُبَيْرِ  
 وَاِنْ تَمَّا يَلْ عَشْبُ  
 وَاِنْ تَمَّا وُجْ نَوْرِ  
 فَكُلُّ شَيْءٍ قَبْبِيحُ  
 وَكُلُّ شَيْءٍ حَقْقِيرِ  
 وَكَيْفَ يَفْرَحُ قَلْبُ  
 رَجَاؤُهُ مَدْحُورِ؟  
 مَا لِرَّمَادٍ لَهَيْبُ  
 مَا لَجَالِدٍ خَرِيرِ



مِنْ حَوْلِهِنَّ الْأَقْحَاحِي  
 وَالْوَرْدُ وَالْمِنْثُورِ  
 وَهِنَّ مَكْتَنَّبَاتُ  
 كَأَنَّهِنَّ صُخُورِ  
 لَا يَبْتَسِمَنَّ لَشَيْءٍ  
 أَمَّا لِهِنَّ تُغْوِرِ؟

(١) صوت الكلب دون نباحه.

(٢) تفاعل من (سرى) !

بلى، لهنَّ ثُغُورٌ  
وإنمَّا لاشِعُورُ!  
كأنمَّا الحُسْنُ في الأُرُ  
ضِ كُلُّهُ تَزْوِيرُ



في فُندقِ أنَا أم في  
جهنمِ محشُورُ؟  
وهل أنا فيه ضيفُ  
لساعةٍ أم أسيرُ  
يا لليتني لم أزرهُ  
وليتَّهُ مَهْجُورُ  
فليس يهنأ فيه  
إلا الأصمُّ الخُريرُ!



## ١٢ - هدايا العيد

[الخفيف]

خَرَجَ النَّاسُ يَشْتَرُونَ هَدَايَا الْ  
عِيدِ لِلأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ  
فَتَمَنَّيْتُ لَوْ تُسَاعَفَنِي الدُّنْ  
يَا فَأَقْضِي فِي الْعِيدِ بَعْضَ رِغَابِي  
كَنتُ أَهْدِي، إِذْنًا، مِنَ الصَّبْرِ أَرْطَا  
لَا إِلَى الْمُنْشَيْنِ وَالْكَتَّابِ  
وَالِى كُلِّ نَابِغٍ عِبْقَرِيٍّ  
أُمَّةً أَهْلَهَا ذُووُ الْبَابِ  
وَالِى كُلِّ شَاعِرٍ عَرَبِيٍّ  
سَأَلَهُ مِنْ فَوَاكِهِ الْأَلْقَابِ  
وَالِى كُلِّ تَاجِرٍ حُرِّمِ التَّوْ  
فِيَقَ زَقَيْنٍ مِنْ عَصِيرِ الْكَذَابِ  
وَالِى كُلِّ عَاشِقٍ مُقْلَةٍ تُبْ  
صِرُّكُمْ مِنْ مَلَاخَةِ فِي التُّرَابِ  
وَالِى الْغَادَةِ الْجَمِيلَةِ «مَرَأً  
ةً» تُرِيهَا ضَمَائِرَ الْعُزَابِ  
وَالِى النَّاشِئِ الْغَرِيرِ مِرْأَا  
وَالِى الشَّيْخِ عَزْمَةً فِي الشُّبَابِ  
وَالِى مَعْشَرِ الْكَسَالَى قُصُورًا  
مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجِدٍ فِي السُّحَابِ  
عَلَّنِي أَسْتَرِيحُ مِنْهُمْ فَقَدْ صَا  
رُوا كَظْلِي فِي جَيْئَتِي وَذَهَابِي

وإلى ذي الغنى الذي يرهبُ الفقرُ  
رَازِديَادَ الذي به من عذاب  
كَلَمَا عَدَّ مَالَهُ مَطْمَئِنًّا  
أَبْصَرَ الْفَقْرَ وَاقِفًا بِالْبَابِ  
وإلى الصاحبِ المُراوِغِ وجهًا  
أَسْوَدًا حَالِكًا كَوَجْهَ الْغُرَابِ  
فَإِذَا لَاحَ فَرَّتِ النَّاسُ ذُعْرًا  
من طَرِيقِ الْمَنَافِقِ الْكَذَّابِ  
وإلى الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا مِنَ الشُّكِّ  
كَوَبَعْضِ الْإِيمَانِ لِلْمُرْتَابِ  
وإلى مَنْ يَسْبُبُنِي فِي غِيَابِي  
شَرَفًا كِي يَصُونَهُ مِنْ سِبَابِي  
وإلى حَاسِدِي عُمَرَا طَوِيلًا  
لِيَدُومَ الْأَسَى بِهِمْ مَمَّا بِي  
وإلى الْحَقْلِ زَهْرِهِ وَحُلَاهُ  
مَنْ نَدَى لَامِعٍ وَمِنْ أَعْشَابِ  
فَقَبِيحٍ أَنْ نَرْتَدِي الْحُلَّ الْقُشْدَ  
حَبَّ وَتَبَقَى الرُّبَا بِغَيْرِ ثِيَابِ  
لَمْ يَكُنْ لِي الَّذِي أُرَدْتُ، فَحَسْبِي  
أَنْنِي بِالْمَنَى مَلَأْتُ وَطَابِي<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ صَاحِبُ عَقْلٍ  
كَنْتُ أَهْدِي إِلَى الزَّمَانِ عِتَابِي

\*\*\*\*

---

(١) الوطوب والوطاب: سقاء اللبن.



### ١٣ - الفراشة المحتضرة

[البسيط]

لو كان لي غير قلبي عند مَرَاكِ  
لما أضافَ إلى بلواه بَلَوَاكِ  
فيمَ ارتجاجُكِ؟ هل في الجو زلزلةٌ؟  
أم أنت هاربة من وجه فَتَّاكِ؟  
وكم تدورين حول البيت حائرةً  
بنت الربا، ليس مأوى الناسِ مأواكِ  
قالوا: فراشة حقل لا غناء بها،  
ما أفقر الناس في عيني وأغناكِ!  
سيماء غاوية، أطوار شاعرة،  
على زهادة عُبَادٍ ونُسَّاكِ  
طُغْرَاءُ<sup>(١)</sup> مملكة وشى حواشيها  
من ذوب الشمس ألواناً ووشاكِ  
رأيت أحلام أهل الحب كلهم  
لما مثلت أمامي، عند شُبَّاكِ  
من نائمين على دُلٍّ ومُتَرَبِّةٍ  
ومن تجارٍ وأشرافٍ ومُلَّاكٍ<sup>(٢)</sup>  
وقصَّ شكواكِ قلبي قصةً عجباً  
من قبل أن سمعتُ أدناي شكواكِ

(١) الطُّغْرَاءُ: الطرة في أعلى الرسائل، تتضمن نعت الحاكم وألقابه.

(٢) المترية: الفاقة والمسكنة.

أليس فيك من العُشَّاقِ حَيَّرْتَهُمْ؟  
فكيف لا يفهمُ العُشَّاقُ نجواك؟



حَلِمْتُ أَنْ زَمَانَ الصَّيْفِ مَنْصَرُمٌ  
ويلاه! حَقَّقْتُ الْيَّامُ رُؤْيَاكَ  
فقد نَعَاهُ إِلَيْكَ الْفَجْرُ مُرْتَعِشاً  
وليس منعاهُ إِلَّا بَعْضَ مَنْعَاكَ  
فَالزَّهْرُ فِي الْحَقْلِ أَشْلَاءُ مُبَعَثَرَةٌ  
وَالطَّيْرُ؟.. لَا طَائِرٌ إِلَّا جَنَاحَاكَ  
مَدَّ النَّهَارُ إِلَيْهِ كَفٌّ مَخْتَلِسٍ  
وَفَتَّحَ اللَّيْلُ فِيهِ عَيْنَ سَفَاكَ  
شَاءَ الْقَضَاءُ بَأَنْ يَشْقَى فَجَرَدَهُ  
مِنَ الْحُلِيِّ وَإِنْ تَشْقَى فَبُيُوقَاكَ  
لَمْ يَبْقَ غَيْرَكَ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهِ  
وَلَا مِنَ الْعَابِدِينَ الْحَسَنَ إِلَّاكَ  
تَزُودُ النَّاسُ مِنْهُ الْأُنْسَ وَانصَرَفُوا  
وَمَا تَزُودُ إِلَّا الْيَأْسَ جَفَنَاكَ



يَا رَوْضَةً فِي سَمَاءِ الرُّوضِ طَائِرَةً  
وطائراً كَالْأَقَاخِي ذَا شَذَا ذَاكَ  
مَضَى مَعَ الصَّيْفِ عَهْدٌ كُنْتَ لَاهِيَةً  
عَلَى بَسَاطٍ مِنَ الْأَحْلَامِ ضَحَّاكَ  
تُمْسِينَ عِنْدَ مَجَارِي الْمَاءِ نَائِمَةً  
وَلِلْأَزَاهِرِ وَالْأَعْشَابِ مَغْدَاكَ  
فَكَلَّمَا سَمِعَتْ أَذْنَكَ سَاقِيَةً  
حَثَّتْ لِلْسَفْحِ مِنْ شَوْقٍ مَطَايَاكَ

وكلّما نورّت في السفح زنبقَةٌ  
صفّقت من طربٍ واهتزّ عطفاك  
فما رشفت سوى عطرٍ ولا انفتحت  
إلا على الحسنِ المحبوبِ عيناك  
وكم لثمتِ شفاهَ الوردِ هائِمةً  
وكم مسحتِ دموعَ النرجسِ الباكي  
وكم ترجّحت في مهد الضياء على  
توقيعِ لحنِ الصبّا أو رجّعه الحاكي



وكم ركضتِ فأغرّيتِ الصغارَ ضحىً  
بالركض في الحقل ملهاهم وملهاك!  
منّوا بأسرهم إياك أنفسهم  
فأصبحوا بتمنّيتهم أسارك  
جروا قصاراهم حتى إذا تعبوا  
وقفتِ ساخرةً منهم قُصاراك  
لولا جناحاك لم تسلّم طريدتهم،  
قد نجّياك، ولكن أين منجّاك؟  
ها أنتِ كالحقل في نزعٍ وحشرجةٍ  
وهتِ قُواك كما استرخى جناحاك  
أصبحتِ للبوّس في مغناكِ تائهةً  
كأنه لم يكن بالأمس مغناكِ



فراشةُ الحقل.. في روعي كآبتهُ  
مما عَراهُ ومما قد تولّاكِ  
أحببتهُ وهو دارٌ تلعبين بها  
وسوف تهواه نفسي وهو مثواكِ

قد بات قلبي في دنيا مشوشة  
منذ التفت إلى آثار دنياك  
لا يستقر بها إلا على وجل  
كالطير بين أحابيل وأشراك



خَلْتُ أرائك كانت أمس أهلة  
غناءً، فالיום لا شاد ولا شاك  
أرض خلاء وجو غير ذي ألق  
بلى، هناك ضباب فوق أشواك  
فيا رياح الخريف العاتيات كفى  
عصفاً فقد كثرت في الأرض قتلاك  
كيف اعتذارك إن قال الإله غداً:  
هل الفراشة كانت من ضحاياك؟  
يا نعمة تتلاشى كلما بعدت  
إن غبت عن مسمعي ما غاب معنك  
ما أقدر الله أن يحييك ثانية  
مع الربيع، كما من قبل سواك  
فيرجع الحقل يزهو في غلائله  
وترجعين، وأغشاه فإلحاق!



## ١٤ - ابتسم

[الكامل]

قال: «السَّمَاءُ كُئِيبَةٌ!» وتَجَهَّمَا  
قلتُ: ابتسم، يكفي التَّجَهُّمُ فِي السَّما!  
قال: الصَّبَا وَلِي! فقلتُ لَهُ: ابتسم  
لن يُرْجِعَ الْأَسْفُ الصَّبَا الْمُتَصَرِّمًا!  
قال: التي كانت سَمَائِي فِي الْهوى  
صارتُ لِنَفْسِي فِي الْغَرَامِ جَهَنَّمًا  
خانتُ عهودِي بَعْدَ مَا كُتُّهَا  
قلبي، فكيف أُطِيقُ أَنْ أَتَبَسَّمَ؟  
قلتُ: ابتسمْ واطْرَبْ فلو قَارَنْتَهَا  
قَضَيْتُ عَمْرَكَ كُلَّهُ مُتَأَلِّمًا!  
قال: التَّجَارَةُ فِي صِرَاعٍ هَائِلٍ  
مِثْلُ الْمَسَافِرِ كَادَ يَقْتُلُهُ الظُّلْمَا  
أَوْ غَادَةً مَسْلُولَةً مُحْتَاجَةً  
لِدَمٍ، وَتَنْفُثَ، كُلُّمَا لَهَثَتْ، دَمَا!  
قلتُ: ابتسمْ مَا أَنْتَ جَالِبَ دَائِهَا  
وَشِفَائِهَا، فَإِذَا ابْتَسَمْتَ فَرِيئًا...  
أَيَكُونُ غَيْرُكَ مُجْرِمًا وَتَبَيْتُ فِي  
وَجَلٍّ، كَأَنَّكَ أَنْتَ صَرْتَ الْمَجْرِمَا؟



قال: الْعِدَا حَوْلِي عَلَتْ صَيِّحَاتُهُمْ  
أَأُسَرُّ وَالْأَعْدَاءُ حَوْلِي فِي الْحِمَى؟

قلت: ابتسم، لم يطلبوك بدمهم  
لو لم تكن منهم أجل وأعظما!



قال: المواسم قد بدت أعلامها  
وتعرضت لي في الملابس والدمى  
وعلي لأحباب فرض لازم  
لكن كفي ليس تملك درهما  
قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل  
حيًا، ولست من الأحبة معدما!



قال: الليالي جرعتني علقماً  
قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما  
فلعل غيرك إن رآك مرئماً  
طرح الكابة جانباً وترئماً  
أترك تغنم بالتبرم درهماً  
أم أنت تخسر بالبشاشة مغنماً؟  
يا صاح، لا خطر على شفقتك أن  
تتئلاً، والوجه أن يتحطماً  
فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى  
متلاطم، ولذا نحب الأنجماً!  
قال: البشاشة ليس تسعد كائناً  
يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغماً  
قلت: ابتسم ما دام بينك والردى  
شبر، فإنك بعد لن تتبسماً!



## ١٥ - لو أستطيع

[مجزوء الكامل]

لو أستطيع سَكَبْتُ رُو  
حي خَمْرَةً فِي كَاسِهَا  
حتى إِذَا حَالُ النُّوَى  
بيني وبين كِنَاسِهَا<sup>(١)</sup>  
وتجَاهَلْتُ أَوْ أَنْكَرْتُ  
أُمْرِي لَدَى جُلَاسِهَا  
أَطَلْتُ مِنْ أَجْفَانِهَا  
وجريتُ مَعَ أَنْفَاسِهَا!

\*\*\*\*

---

(١) بيت تلجہ الظباء والبقر، تستكنّ فيه من الحر.

## ١٦ - يا نفس

[السريع]

يا نفس لو كنتِ ترين الشُّؤنُ  
كما يراها سائرُ الناسِ  
لما رماني بعضُهم بالجنونِ  
ولم أجِدْ في الناسِ من باسِ



بالأمسِ مرَّ الموكبُ الأكبرُ  
فيه الفتى الراكبُ والناعِلُ  
واقبلتْ غيْدُ الحمى تخطِرُ  
يهتفن: عادَ البطلُ الباسِلُ  
مالكِ يا هذي لا تهتفينِ  
لصاحبِ الدولةِ والباسِ؟  
فقلتِ لي ضاحكةً تسخرين:  
ويلك! هذا قاتلُ الناسِ!



ومجلسٍ دارتْ به الأَكْؤُسُ  
فشربَ القومُ ولم تشربي  
وامتلأتْ بالطربِ الأنفسُ  
وأنتِ في صممتكِ لم تطربي  
كأنما غيَّبَكَ الحِنْدِسُ  
أو تاهتِ اللذاتُ في سَبَسبِ<sup>(١)</sup>

---

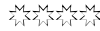
(١) المفازة والقفر.



مالكِ يا هذي لا تضحكين  
للحبِّ الضاحكِ في الكاسِ؟  
قالت: نهاني أن موجَّ السنين  
سيغمرُ الأقداحَ والحاسي!



وسرَّت في الروضة شاعَ الجمالُ  
فيها، وشاعَ الحبُّ بين الطيورِ  
الطلُّ فيها كدموعِ الدَّلَّالِ  
والشوكُ فيها كحديثِ الغرورِ  
مَشيتِ في أرجائها كالخيالِ  
يطوفُ في الظلماءِ بين القبورِ  
كأنَّما لا وردَ في الياسمينِ  
كأنَّما لا عطَّرَ في الآسِ  
ويحك! لا في عزلي تطربينِ  
ولا إذا كنتِ مع الناسِ



كان زمانُ كنتِ تستأنسينِ  
بكلِّ وهمٍ خادعٍ كالسُّرابِ  
حتى إذا أسفرَ وجهُ اليقينِ  
رأيتِه كالوهمِ شيئاً كذابِ  
دنيا الورى ليلٌ وصبحٌ مُبينِ  
وليس في دنياكِ إلا الضُّبابِ  
ما لاحَت الأشجارُ للناظرينِ  
إلا رأيتِ شبحَ الفاسِ!

ولا سمعتِ الكاسَ ذاتَ الرنينِ  
إلا سمعتِ حطمةَ الكاسِ!



مَسَحَتْ فِي عَيْنِي لَوْنَ النَّهَارِ  
لَمَّا لَحَتِ اللَّيْلَ بِالرَّصَدِ  
وَمَاتَ فِي أُذُنِي لَحْنُ الْهَزَارِ  
لَمَّا سَبَقَتِ الصَّمْتَ لِلْمُنْشِدِ  
فَرَرْتُ بِاللَّذَاتِ قَبْلَ الْفِرَارِ  
فَضَاعَ يَوْمِي حَائِراً فِي غَدِي  
خَالَفْتُ مَقْيَاسَ الْوَرَى أَجْمَعِينَ  
فَكَيْفَ يَرْضَوْنَ بِمَقْيَاسِي؟  
مَا بَرِحَ النَّاسُ كَمَا تَعْلَمِينَ  
وَلَمْ أَزَلْ فَرِداً مِنَ النَّاسِ



## ١٧ - الكنار الصامت

[مجزوء الكامل]

نَسِيَ الْكَنَارُ نَشِيدَهُ  
فَتَعَالَ كِي نَنسَى الْكَنَارُ  
وَلِيَقْذِفَنَّ بِهِ الْمَلَأُ  
مِنَ الْقُصُورِ إِلَى الْقِفَارِ  
وَلِتَرْمِيَنَّ بَرِيْشَهُ  
لِلْأَرْضِ عَاصِفَةُ النُّفَارِ<sup>(١)</sup>  
وَلِنَسْتَعْضُ عَنْهُ بِطَيْرِ  
مِنَ لُجَجَيْنِ أَوْ نُضَارِ<sup>(٢)</sup>  
لَا، لَا، فَإِنْ سَكَتَ الْكَنَا  
رُفْلَمْ يَزَلْ ذَاكَ الْكَنَارُ  
أَوْ كَانَ فَارَقَهُ الصُّدَا  
حُفْلَمْ يَفَارِقَهُ الْوَقَارُ  
صَمْتُ الْكَنَارِ، وَإِنْ قَسَا  
خَيْرٌ مِنَ النَّعْمِ الْمُعَارِ  
صَبْرًا فَسَوْفَ يَعُودُ اللَّتَا  
تَغْرِيدِ إِنَّ عَادَ النَّهَارُ

\*\*\*\*

---

(١) الهرب أو التفرق والمجانبة.

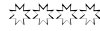
(٢) الفضة أو الذهب.

## ١٨ - لم يبق غير الكأس

[الكامل]

لم يبقَ ما يُسليكَ غيرُ الكاسِ  
فاشربْ، ودعُ للناسِ ما للناسِ!  
ذهب الشبابُ على الشجون تبثُّها  
لأخٍ مُؤاسٍ أو لغيرِ مُؤاسٍ  
وعلى الحياةِ تحارُ في أطوارها  
وتحارُ في تعليلِ كلِّ نطاسي  
ثمَّ استفتقتَ وليس في روضِ المنى  
إلاَّ الضبابُ، وغيرُ شوكِ الياس  
وجراحُ نفسٍ ينظرُ الآسى لها  
فـيـعـودُ لآخرِ آسٍ  
الحسُّ مجلبةُ الكآبةِ والآسى  
قُمْ نَنطَلِقْ من عالمِ الإحساسِ  
وأرى السعادةَ لا وصولَ لعرشِها  
إلاَّ بأجنحةٍ من الوسواسِ  
فكأنَّما هي صورةٌ زيتيَّةٌ  
للشيطِ فيه مراكبٌ ومَراسي  
تبدو لعينيك السُفائنُ عُمَماً  
وتكادُ تسمعُ رَعشةَ الأُمَراسِ  
لكنَّ إذا أدنيتَها ولَسَّتَها  
لم تَلَقْ غيرَ الصَّبغِ والقِرطاسِ

دنيا مُزَيَّفَةٌ ودهرٌ مَازِقٌ<sup>(١)</sup>  
ما في انفلاتكَ منهما من باس  
إِنَّ اللَّذَاتِ الَّتِي ضَيَّعْتَهَا  
رَجَعْتُ إِلَيْكَ عُصَارَةً فِي الْكَاسِ  
فَاصْبِغْ رُؤَاكَ بِهَا تَعُدْ ذَهَبِيَّةً  
عِطْرِيَّةَ الْأَلْوَانِ وَالْأَنْفَاسِ  
وَاخْلُقْ لِنَفْسِكَ بِالْمُدَامَةِ جَنَّةً  
فِي الْأَرْبَعِ الْمَهْجُورَةِ الْأُدْرَاسِ<sup>(٢)</sup>  
الْحُبُّ فِيهَا بَلْبِلٌ وَخَمِيلَةٌ  
وَنَدَىٌّ وَأَضْوَاءٌ عَلَى الْأَغْرَاسِ  
لِلْقَصْرِ يَخْلُقُهُ خِيَالُكَ رَوْعَةً  
كَالْقَصْرِ مِنْ جُذُرٍ وَمِنْ أَسَاسِ



يَا أَيُّهَا السَّاقِي! أَدْرِ كَاسَاتِهَا  
كَمْ شَاعِلِ الرَّهْبَانِ فِي الْأَغْلَاسِ<sup>(٣)</sup>  
وَأَنْسَ الْهَمُومَ فَلَيْسَ يَسْعَدُ ذَاكِرٌ  
وَاسِقِ النُّجُومَ فَإِنَّهَا جَلَّاسِي  
وَاصْرَعْ بِهَا عَقْلَ النَّدِيمِ وَلُبَّهُ  
مَا نَغَضَ الْحَاسِي كَعَقْلِ الْحَاسِي  
وَاهْجِرْ أَحَادِيثَ السِّيَاسَةِ وَالْأَلَى  
يَتَعَلَّقُونَ بِحَبْلِ كُلِّ سِيَاسِ  
إِنِّي نَبَذْتُ ثَمَارَهَا مَذْذَقْتُهَا  
وَوَجَدْتُ طَعْمَ الْغَدْرِ فِي أَضْرَاسِي

(١) المذَّق: قلة الإخلاص.

(٢) الرُّبْع الدَّارِس: العافي بفعل الزمن.

(٣) الغُلَس: ظلمة آخر الليل.

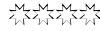
وغسلتُ منها راحتي فغسلتُها  
 من سائر الأوضار والأدناس  
 وتركْتُها لاثْنَيْنِ: غُرٌّ ساذجٍ،  
 ومُشْعَوذٍ، وكُذْبُذِبٍ<sup>(١)</sup> دَسَّاس  
 يرضى لموطنه يصيرُ مَواطِناً  
 وتصيرُ أُمَّتُهُ إلى أجناس  
 ويبيعُها بدراهمٍ معدودةٍ  
 ولو أنَّها جاءتْ من الخُنَّاسِ<sup>(٢)</sup>  
 ما للمنافقِ من ضميرٍ رادعٍ  
 أيُّ الضميرِ لِحَيَّةِ الأجراسِ؟  
 ولربَّ قائلةٍ تعاتِبُني على  
 صمتي، وبعضُ القولِ حَزُّ مَواسي<sup>(٣)</sup>؛  
 اثنانِ ما لاقيتُ أقسى منهما:  
 صمتُ الدجى والشاعرِ الحَسَّاسِ  
 فأجبتُها: أقسى وأهولُ منهما  
 في مِسْمَعِي: هذا العتابُ القاسي  
 لم تعلمي، والخيرُ ألا تعلمي،  
 كم في السكوتِ فواجِعاً<sup>(٤)</sup> ومَاسي  
 قالتُ: أظنُّكَ قد نسيتَ. فقلتُ: لا  
 ما كنتُ بالناسي ولا المتناسي  
 لكنَّ جرحاً كلَّما عالجتهُ  
 غمر القنوطُ جوارحي وحواسي

(١) تتعدد الصيغ في العربية لتسمية الكاذب، ومنها: الكيْذُبان ومكْذِبان وكُذْبُذِب.

(٢) خنس: تأخر وغاب. والخناس: الشيطان لأنه يغيب عند ذكر الله.

(٣) الموصى الذي يخلق به، وشفرته حادة وجمعه: مواسٍ.

ولو أنه في الرأسِ كنتُ ضَمَدْتُهُ  
لكنّه في القلبِ لا في الراسِ  
إن الألى قد كنتُ أرمي دونهم  
غُلُّوا يديَّ وحرِّطُوا أقواسي  
واستبدلوا سيفي الجُرَّارَ<sup>(١)</sup> بأسيفٍ  
خشبٍ، وباعوا عَسْجِدِي بنحاسي  
والطَّلَّ غَيْرُ الماسِ، إلا أنهم  
خُدَعُوا برقِرةِ النَّدَى عن ماسي  
وإذا حَسِبْتَ الروضَ تُغْنِي صورةً  
عنه، فذلك مُنْتَهَى الإفلاسِ  
أَسَدُ الرُّخَامِ وإن حكى في شكله  
شكلَ الغَضَنَفِرِ، ليس بالفَرَّاسِ



قد كان لي حُلْمٌ جميلٌ مُونِقٌ  
فأَضَعْتُهُ لِمَا أَضَعْتُ نَعَاسِي  
فكُفِّرْتُ في ما نحن فيه كَأَمَّةٍ  
وضربتُ أُخْمَاسِي إلى أَسَدَاسِي  
فرجعتُ أَخِيْبٌ ما يكونُ مُؤَمِّلٌ  
راجٍ وأُخْسَرَ ما يكونُ الْخَاسِي<sup>(٢)</sup>  
نرجو الخلاصَ بغاشمٍ من غاشمٍ  
لا يُنْقِذُ النَّخَّاسُ من نَخَّاسٍ  
ونقيسُ ما بين الثُّرَيَّا والثُّرَى  
وأمرُنا تجري بغيرِ قِيَّاسٍ

---

(١) القاطع.

(٢) الخيس: التغير والنقص والخيانة والغدر.

نغشى بلادَ الناسِ في طلبِ العُلا  
وبلادُنَا مَترُوكَةٌ للناسِ!  
ونكادُ نَفتَرِشُ الثُّرى، وبأَرْضِنَا  
للأجَنبِيِّ مَوَائِدُ وَكَرَاسِ  
ونلومُ هاجِرَها على نَسيانِهِ  
واللائمُ الناسِينَ أولُ ناسِ  
ونبيتُ نَفخرُ بالصُّوارمِ والقَنَا  
ورقَابُنَا ممدودَةٌ للفاسِ  
كَمْ صِيحَةٍ لِلدَّهْرِ في أَذانِنا  
مرَّتْ كَمَا مرَّتْ على أُرْمَاسِ!

\*\*\*\*



## ١٩ - رأي الأكثرية

[البسيط]

لَمَّا سَأَلْتُ عَنْ الْحَقِيقَةِ قِيلَ لِي:  
الْحَقُّ مَا اتَّفَقَ السَّوَادُ عَلَيْهِ  
فَعَجِبْتُ كَيْفَ ذَبَحْتُ ثَوْرِي فِي الضُّحَى،  
وَالْهِنْدُ سَاجِدَةٌ هُنَاكَ لَدَيْهِ  
نَرْضَى بِحُكْمِ الْأَكْثَرِيَّةِ مِثْلَمَا  
يَرْضَى الْوَلِيدُ الظَّالِمَ مِنْ أَبْوِيهِ  
إِمَّا لَغْنَمٍ يَرْتَجِيهِ مِنْهُمَا  
أَوْ خَيْفَةً مِنْ أَنْ يُسَاءَ إِلَيْهِ

\*\*\*\*

## ٢٠ - كتابي

[الطويل]

وسائلة: أيُّ المذاهب مذهبي  
وهل كان فرعاً في الديانات أم أصلاً  
وأيُّ نبيٍّ مُرسلٍ أقتدي به  
وأيُّ كتابٍ مُنزلٍ عندي الأعلى؟  
فقلتُ لها: لا يفتني المرءُ مذهباً،  
وإنْ جلَّ، إلّا كان في عنقه غُلاً  
فما مذهبُ الإنسان إلّا زجاجةٌ  
تقيدهُ خمرًا وتضبطه خلاً  
فإنْ كان قُبْحاً لم يبدله لوئها  
جمالاً، ولا نُبلًا إذا لم يكن نُبلًا  
أنا آدميٌّ كان يحسبُ أنه  
هو الكائنُ الأسمى وشِرعتهُ الفضلى  
وأنْ له الدنيا التي هو بعضُها  
وأنْ له الأخرى إذا صامَ أو صلّى  
أمنُّ على الصّادي<sup>(١)</sup> إذا ما سقيتهُ  
وألزّمهُ شكري، ولستُ أنا الوَبلا  
وَأزهي إذا أطعمتُ جَوْعَانَ لُقمةً  
كأني خلقتُ الحبَّ في الحقل، والحقلا  
تتلمذتُ للإنسان في الدهرِ حقبةً  
فلقّنتني غيّاً، وعلمني جهلاً

---

(١) الصادي: العطش (والفعل: صدى).

نهاني عن قتل النفوس، وعندما  
 رأى غيرة مني تعلّم بي القتلا!  
 وذم إليّ الرقّ ثم استرقّني  
 وصوّر، ظلماً فيه، تمجيداً عدلاً  
 وكان يُريني الإثم في كلّ ما أرى  
 وكلّ نظامٍ غير ما سنّ مُختلاً  
 فصار الوريّ عندي: عدوّاً وصاحباً،  
 وأنفسهم صنفين: علياء أو سُفلى  
 وصرتُ أرى بغضاً، وصرتُ أرى هوىً،  
 وصرتُ أرى عبداً، وصرتُ أرى مولىً  
 ويا ربّ شرّ خلّته الخير كلّهُ،  
 ويا ربّ خير، خلّته نكبةٌ جُلّى  
 إلى أن رأيتُ النجمَ يطلّعُ في الدجى  
 لذي مُقلّةٍ حَسْرَى، وذي مُقلّةٍ جَذَلَى  
 وشاهدتُ كيف النهرُ يبذلُ ماءهُ  
 فلا يبتغي شكراً ولا يدّعي فضلاً  
 وكيف يزيّنُ الطلّ ورداً وعَوْسَجاً  
 وكيف يُروّي العارضُ<sup>(١)</sup> الوعرَ والسهلاً  
 وكيف تُغذيّ الأرضُ ألّامَ نبتِها  
 وأقبحه شكلاً كأحسنه شكلاً  
 فأصبح رأبي في الحياة كرايها  
 وأصبحتُ لي دينٌ سوى مذهبي قَبلاً

(١) السحاب، لأنه يعترض الأفق.

وصار نبيي كلُّ ما يُطلقُ العقْلا  
وصارَ كتابي الكونُ لا صحفٌ تُتلى



فَدِينِي كَدِينِ الرُّوضِ يَعْبُقُ بِالشَّدَا  
ولو لم يكنْ فيه سوى اللصِّ مُنْسَلَا  
فليستْ تُخَوِّمُ المالكِيةُ تُخَوِّمُهُ  
وإنَّ له، إنَّ يَعْلَمُوا، غيرَهم أهلا  
فكمْ هَشَّ لِلأنسامِ والنورِ والنَّدَى  
وأوى إليه الطيرَ والذَّرَّ والنملا  
وكمْ بَعَثَتْهُ للحياة من البلى  
قريحةً فنَّانٍ، فأورقَ واخْضَلَا  
وأصبح يُجلى «طيفُهُ» في قصيدةٍ  
وفي رُقعةٍ أو لوحةٍ «وهو» لا يُجلى  
وَدِينِي الذي اختارَ الغديرَ لنفسه  
ويا حُسْنَ ما اختارَ الغديرُ وما أحلى!  
تَجِيءُ إليه الطيرُ عطشى فترتوي  
وإنَّ وَرَدَتْهُ الإبلُ لم يَزْجُرِ الإبلا  
ويغتسلُ الذئبُ الأثيمُ بمائه  
فلا إثمُ ذا يُمحي، ولا طُهرُ ذا يَبلى!  
وَدِينِي كَدِينِ الشُّهْبِ تبدو لعاشقٍ  
وقال<sup>(١)</sup>، وفيها ما يُحبُّ وما يُقلى  
فما استترتْ كيما يضلُّ مسافرٌ  
ولا بزغتْ كي يَسْتَنيرَ الذي ضلَّ

---

(١) من القلي: البغض (قلاد - يقليه).

وليس لها أن تمنع الناس ضوءها  
ولو فتلوا منه، لتكبيلاها، حبلاً  
ودينني كدين الغيث إن سح لم يُبل  
أروى الأقاحي أم سقى الشوك والدقلى<sup>(١)</sup>  
فلم يتخير في الفضاء مسيره  
ولم ينهمر جوداً ولم ينحبس بخلا  
وإن لم أكن كالروض والنجم والحيا  
فحسبي اعتقادي أن خطتها المثلى



يرى النحل غيري إذ يرى النحل حائماً  
وأبصر قرص الشهد إذ أبصر النحلا  
والمح واحات من النخل في النوى  
إذا جرف الإعصار من واحتى النخلا  
وإن أشرب الصهباء أعلم أنني  
شربت بشاشات الزمان الذي ولّى  
وما همستهُ الريح في أذن الثرى  
وما ذرفت في الليل نجمته الثكلى  
وغصّات من ماتوا على اليأس في الهوى  
فيا شاربها هل لمحت دم القتلى؟  
وإن مربّي طفل رأيت به الورى  
من المثل الأدنى إلى المثل الأعلى  
فيا لك دنيا حسنّها بعض قبحها  
ويا لك كوناً قد حوى بعضه الكلا



---

(١) الأصل: لم يبال .

## ٢١ - كن بلسماً

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها صاحب الديوان في المأدبة الكبرى التي أقامتها الطائفة الأرثوذكسية، على شرف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي في بروكلن - نيويورك .

كن بلسماً إن صار دهرُكَ أرقمًا<sup>(١)</sup>  
وحلاوةً إن صار غيرُكَ علقماً  
إن الحياةَ حَبَّتْ كُلُّ كَنُوزِهَا  
لا تبخلنْ على الحياةِ ببعض ما...  
أحسنْ وإن لم تُجْزَ حتى بالثنا  
أيُّ الجزاءِ الغيثُ يبغي إن همى؟  
من ذا يكافئُ زهرةً فواحَةً؟  
أو من يُثيبُ البلبَلُ المُترنماً؟  
عُدَّ الكرامَ المحسنينَ وقِسُّهُمْ  
بهما تجدُ هذينَ منهم أكرما  
يا صاحِ خُذْ عِلْمَ المحبَّةِ عنهما  
إني وجدتُ الحبَّ عِلْماً قَيِّماً  
لو لم تَفُحْ هذي وهذا ما شداً  
عاشتْ مُذَمِّمةً وعاشَ مُذَمِّماً  
فاعملْ لإسعادِ السَّوى وهنائهم  
إن شئتَ تسعدَ في الحياةِ وتنعم<sup>(٢)</sup>



(١) الحية التي فيها سواد وبياض.

أَيَقْظُ شَعُورَكَ بِالْمَحَبَّةِ إِنْ غَفَا  
لَوْلَا الشُّعُورُ: النَّاسُ كَانُوا كَالدُّمَى  
أَحِبُّ فَيَغْدُو الْكُوْخُ كَوْنًا نَيْرًا  
أُبْغَضُ فَيَمْسِي الْكُوْنُ سَجْنًا مُظْلَمًا  
مَا الْكَأْسُ لَوْلَا الْخَمْرُ غَيْرُ زَجَاجَةٍ  
وَالْمَرْءُ لَوْلَا الْحُبُّ إِلَّا أَعْظَمًا  
كَرِهَ الدُّجَى فَاسْوَدَّ إِلَّا شُھْبَهُ  
بَقِيْتُ لَتَضْحَكُ مِنْهُ كَيْفَ تَجْهَمَا  
لَوْ تَعَشَّقُ الْبَيْدَاءُ أَصْبَحَ رَمْلُهَا  
زَهْرًا، وَصَارَ سَرَابُهَا الْخَدَاعُ مَا (١)  
لَوْلَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَبْغُضٌ  
لَتَبَرَّمْتُ بِوُجُودِهِ وَتَبَرَّمَا  
لَا حَ الْجَمَالُ لَذِي نُهَى فَأَحْبَهُ  
وَرَأَاهُ ذُو جَهْلٍ فَظَنَّ وَرَجَمَا  
لَا تَطْلُبَنَّ مَحَبَّةً مِنْ جَاهِلٍ  
الْمَرْءُ لَيْسَ يُحِبُّ حَتَّى يُفْهَمَا  
وَارْفُقْ بِأَبْنَاءِ الْغُبَاءِ كَأَنَّهُمْ  
مَرْضَى، فَإِنَّ الْجَهْلَ شَيْءٌ كَالْعَمَى  
وَلَهُ بَوْرِدُ الرُّوضِ عَنْ أَشْوَاكِهِ  
وَأَنْسَ الْعَقَارِبَ إِنْ رَأَيْتَ الْأَنْجَمَا



يَا مَنْ أَتَانَا بِالسَّلَامِ مُبَشِّرًا  
هَشَّ الْحِمَى لَمَّا دَخَلْتَ إِلَى الْحِمَى  
وَصَفُّوكَ بِالتَّقْوَى وَقَالُوا: جَهْدُ،

---

(١) ماء.

علامة، ولقد وجدتُك مثلاً  
 لفظُ أرقُّ من النسيم إذا سرى  
 سحراً، وحلو كالكرى إن هوماً  
 وإذا نطقتَ ففي الجوارح نشوة  
 هي نشوة الروح ارتوت بعد الظما  
 وإذا كتبتَ ففي الطروس حدائق  
 وشئ حواشيها اليراعُ ومنما  
 وإذا وقفتَ على المنابر أوشكتُ  
 أخشابها للزهو أن تتكلما  
 إن كنتَ قد أخطاك سربالُ الغنى  
 عاش ابنُ مريمَ ليس يملكُ درهماً  
 وأحبُّ حـتى من أحبُّ هلاكه  
 وأعان حتى من أساء وأجرماً  
 نام الرعاة عن الخراف ولم تنم  
 فإليك نشكو الهاجعين النوماً  
 عبدوا الإله لمغنم يرجونه  
 وعبدت ربك لست تطلب مغنماً  
 كم روعوا بجهنم أرواحنا  
 فتألت من قبل أن تتألما!  
 زعموا الإله أعدّها لعذابنا  
 حاشا، وربك رحمة، أن يظلمنا  
 ما كان من أمر الورى أن يرحموا  
 أعداءهم إلا أرق وأرحمنا  
 ليست جهنم غير فكرة تاجر  
 الله لم يخلق لنا إلا السما



\*\*\*\*

## ٢٢ - الخمر والدنيا

[الرجز]

يشربُ بنتَ الكرمِ بعضُ الناسِ  
لِكُربَةٍ في النفسِ أو وسواسِ  
وبعضُهمُ لأنه قد ظفِرا  
وبعضُهمُ لأنه قد خَسِرا  
وبعضُهمُ لأنه في فرحٍ  
وبعضُهمُ لأنه في ترحٍ  
وبعضهمُ كي يستردَّ الأُمسا  
وبعضهمُ يجرعُها كي ينسى  
وبعضُهمُ ليستفيدَ قوَّة  
وبعضهمُ لسورةِ الفتوة  
وبعضُهمُ كيما يحلَّ مشكله  
وبعضُهمُ لأنه لا شُغلَ له  
وبعضُهمُ عن رغبةٍ وعن هوى  
وبعضُهمُ لعلَّه يُرضي السَّوى  
وبعضُهمُ من حُبِّه للبائعِ  
وبعضُهمُ نكايةً للمانعِ!  
وبعضُهمُ يشربُها أحيانا  
وبعضُهمُ في أيِّ وقتٍ كانا  
وبعضُهمُ مع صحبِهِ في الدارِ  
وبعضُهمُ في حانةِ الخَمَّارِ

وبعضُهم في زمرةِ النُّدْمانِ  
وبعضُهم في وَحدةِ الرُّهبانِ  
وبعضُهم في الصيفِ ذي الرَّمْضاءِ  
وبعضُهم في زمنِ الشِّتاءِ  
وبعضُهم عندِ انْجِيابِ الظُّلْمَةِ  
وبعضُهم عندَ طُلُوعِ النُّجْمِ  
وبعضُهم يذُمَّها استهْجاناً  
وبعضُهم يمدِّحُها استحساناً  
لكنَّهم كلُّهم يحسُّوها  
المادِّحُوها والمقْبِحُوها  
فما وجدتُ في زمانِي رجلاً  
وقلتُ: هل تحبُّها؟ فقال: لا  
وسِرُّ هذا أنَّها كالدنْيا  
تؤذي ولكن مع أذاها تُهوى

\*\*\*\*

## ٢٣ - لَمَّا

عَجِباً لَمَنْ أَمْسَى وَكُلُّ فَخَّارِهِ  
بِنُضَارِهِ الْمَخْبُوءِ فِي الصَّنَدُوقِ  
مَاذَا يَقُولُ إِذَا اللَّصُوصُ مَضَوْا بِهِ  
وَأَقَامَ بَعْدَ نُضَارِهِ الْمَسْرُوقِ؟  
إِنْ يَرْفَعِ الْمَالُ الْكَرِيمَ فَإِنَّهُ  
لِلنَّذْلِ مِثْلُ الْحَبْلِ لِلْمَشْنُوقِ  
لَمَّا صَدِيقِي صَارَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى  
أَيَقْنْتُ أَنِّي قَدْ أَضَعْتُ صَدِيقِي!..

\*\*\*\*\*

## ٢٤ - تأملات

[الكامل]

ليت الذي خلق الحياة جميلةً  
لم يُسدلِ الأستارَ فوقَ جمالِها  
بل لِيَتَهُ سَلَبَ العقولِ فلم يكنْ  
أحدٌ يَعْلَلُ نفسه بِمُناها  
للهِ كم تُغري الفتى بوصالِها  
وتضنُّ، حتى في الكرى، بوصالِها  
تُدنيه من أبوابها بِيَمِينِها  
وتردُّه عن خِدرِها بِشِمَالِها  
كم قلتُ: هذا الأمرُ بعضُ صوابِها  
فوجدته بالخُبَرِ بعضُ مَحَالِها  
ولَكم خُدِعْتُ بِأَلِها<sup>(١)</sup> وذممتُ  
ورجعتُ أَظْمَأْ ما أَكونُ لآلِها  
قد كنتُ أَحسِبُنِي أَمِنْتُ ضَلالِها  
فإذا الذي خَمَّنْتُ كلَّ ضلالِها  
إنَّ النفوسَ تَغْرِها آمالِها  
وتظلُّ عاكفةً على آمالِها  
ذهبَ الصَّبَا وأنا أعالجُ سرَّها  
مُتَحَيِّراً في كُنْهِها ومالِها  
حتى رأيتُ الشمسَ تُلقِي نورَها  
في الأرضِ، فوقَ سهولِها وجبالِها

---

(١) القَلَّة: الذروة.

ورأيتُ أحقرَ ما بناه عنكبُ  
 متلففاً ومطوّقاً بحبالها  
 مثلُ القصورِ العالياتِ قبأُها  
 الشَّامخاتِ على الذُّرا بِقَالَها<sup>(١)</sup>  
 فعَلِمْتُ أَنَّ النفسَ تخطرُ في الحُلَى  
 والوشى، مثلُ النفسِ في أسَمالها  
 ليستَ حياتُكَ غيرَ ما صوّرتُها  
 أنتَ الحياةُ بصممتِها ومقالها  
 ولقد نظرتُ إلى الحمائمِ في الرُّبا  
 فعجبتُ من حال الأنامِ وحالها  
 للشُّوكِ حظُّ الوردِ من تغريدها  
 وشريكه، من بَعْدُ، في إغوالها  
 تشدو وصائدُها يمدُّ لها الردى  
 فاعجبْ لمحنةٍ إلى مُغتالها  
 فغِبطتُها في أَمْنِها وسلامِها  
 ووددتُ لو أُعطيتُ راحةً بالها  
 وجعلتُ مذهبَها لِنَفْسِي مذهباً  
 ونسجتُ أخلاقي على منوالها  
 من لَجٍّ في ضيَمي تركتُ سماءَهُ  
 تبكي عليّ بشمسِها وهلالها  
 وهجرتُ روضتَهُ فأصبحَ ورْدُها  
 لليس، كالأشواكِ في أدغالها  
 وزجرتُ نفسي أن تميلَ كَنَفْسِهِ  
 عن كوثرِ الدنيا إلى أحوالها

(١) الصل: الحية التي تقتل إذا نهشت، من ساعتها.

نَسِيَانَكَ الْجَانِي الْمَسِيءَ فَضِيلَةً  
وخمودُ نارٍ جَدَّ في إشعالها  
فاربأُ بنفسيك، والحياةُ قصيرةٌ،  
أن تجعلَ الأضغانَ من أحمالِها



زمنَ الشباب رحلتَ غيرَ مُذمَّمٍ  
وتركتَ للحسراتِ قلبي الوالِها  
دبَّتْ عقاربُها إليه تنوشُهُ  
ورمتْ بقاياها إلى أصلالها<sup>(١)</sup>  
لم يبقَ من لذَّاته إلا الروى  
ومن الصَّبابةِ غيرُ طيفِ خيالها  
ومن الكؤوسِ سوى صدَى رنَّاتها  
والرَّاحِ غيرُ خُمارها وخَبالها  
يا جنَّةً عُوْجِلَتْ عن أثمارها  
ولذاذةً عُرِّيتُ من سِرِّبِالها  
ما عابها شيءٌ سوى اضمحلالِها  
والذنبُ للأقدارِ في اضمحلالِها



ومليحةٍ في وجهها أَلَقُ الضُّحَى  
والسُّحْرُ والصَّهْبَاءُ في أقوالها  
قالت: أينسى النازحون بلادَهُمْ؟  
ما هاجَ حُزنَ القلبِ غيرُ سُؤالِها  
الأرضُ، سوريًّا أحبُّ ربوعِها

(١) المطر.

(٢) الأسد.

(٣) خيمة الناطور

(٤) الطائر، ومفرده: قطاة.

عندي، ولبنانُ أعزُّ جبالها  
 والناسُ أكرمُهم عليَّ عشيرُها  
 روحي الفداء لرهطِها ولآلِها!  
 والشُّهْبُ أسطعُها التي في أفقِها  
 ليس الجلالُ الحقُّ غيرَ جلالِها  
 وأحبُّ غيثٍ ما هَمَى في أرضِها  
 حتى الحَيَا<sup>(١)</sup> الباكي على أطلالِها  
 مرحُ الصِّبَا الجذلانِ في أسحارِها  
 ومُنَى الصِّبَا الولهانِ في أصالِها  
 إنني لأعرفُ ريحها من غيرِها  
 بنَوافحِ الأشْذَاءِ في أذيالِها  
 تلكَ المنازلُ كمَ خَطَرْتُ بساحِها  
 في ظلِّ ضَيِّغِها<sup>(٢)</sup> وعطفِ غزالِها  
 وشدوتُ معَ أطيارِها، وسهرتُ معَ  
 أقمارِها، ورقصتُ معَ شلالِها  
 وسجدتُ للإلهامِ معَ صفصافِها  
 وضحكتُ للأحلامِ معَ وزالِها<sup>(٣)</sup>  
 وملأتُ عقلي من حديثِ شيوخِها  
 وأخذتُ شعري من لُغَى أطفالِها  
 تشتاقتُ عيني قَبْلَ يَغْمُضُها الردى  
 لو أنها اكتحلتُ ولو برمالِها  
 مرَّتْ بي الأعوامُ تقفُو بعضَها  
 ونُبَّ القَطَا<sup>(٤)</sup> تعدو إلى أجالِها  
 وتعاقبتُ صورُ الجمالِ فلم يَدَمْ  
 في خاطري منها سِوَى تِمثالِها

(١) الكوكب الدرِّي: النجم المضيء.



\*\*\*\*

## ٢٥ - شاعر الشهور

[مخلع البسيط]

«أيار» يا شاعرَ الشُّهورِ  
وبسمةَ الحبِّ في الدهورِ  
وخالقَ الزهرِ في الروابي  
وخالقَ العطرِ في الزهورِ  
وباعثَ الماءِ ذا خَريرِ  
ومُوجدَ السُّحرِ في الخريزِ  
وغاسلَ الأفقِ والدراري<sup>(١)</sup>  
والأرضِ، بالنورِ والعَبيرِ  
لقد كسوتَ الثرى لباساً  
أجملَ عندي من الحريرِ  
ما فيك قُرٌّ ولا هجيرٌ  
ذهبتَ بالقرِّ والهجيرِ  
فلا ثلوجٌ على الروابي  
ولا غمامٌ على البدورِ  
أتيتَ فالكونُ مِهْرَجَانُ  
من اللذاتِ والحُبورِ  
أيقظتَ في الأنفسِ الأمانِ  
والابتساماتِ في التُّغورِ  
وكدتَ تُحيي الموتى البوالي  
وتُنبتُ العُشبَ في الصخورِ  
وتجعلُ الشُّوكَ ذا أريجٍ

وتجعلُ الصَّخْرَ ذا شعور  
فأينما سِرَتْ صوتُ بُشْرَى  
وكيفَ فما مِلَتْ طيفُ نور  
تشكو إليك الشَّتَاءَ نفسي  
وما جنَّاهُ من الشُّرور  
كم لذَّعَ الزَّمهريرُ جُلدي  
ودبَّ حتَّى إلى ضَميري  
فلذتُ بالصُّوفِ أَتَقِيهِ  
فاختَرَقَ الصُّوفَ كالحرير  
وكم ليالٍ جالستُ وحدي  
مُنْقَبِضَ الصِّدْرِ كالأسير  
يهتَزُّ مع أنملي كتابي  
ويرجفُ الحَبْرُ في السُّطور  
تُعَوِّلُ فيها الرياحُ حولي  
كنائحاتٍ على أمير  
والغيثُ يهْمِي بلا انقطاعٍ  
والرعدُ مستتبِعُ الزَّئير  
والليلُ مُحَلِّوْلُكُ الحواشي  
وصامتُ البَدءُ والأخير  
والشُّهْبُ مرتاعةٌ كطيرٍ  
مُخْبِئَاتٍ من الصُّقور  
في غرفتِي موقدٌ صَغِيرٌ  
لله من موقدي الصَّغِيرِ!  
يكاد ينقذُ جانباهُ

من شدة الغيظ لا السَّعِير  
لولا لظاهُ رقصتُ فيها  
بغير دُفٍّ على سريري  
وساعةً وجهُها صفيقُ  
كأنه وجهُ مُستَعِير  
أبطأ في السَّير عَقرِباها  
فأبطأ الوقتُ في المسير  
حتى كأنَّ الزمانَ أعمى  
يمشي على الشَّوكِ في الوعر  
كنا طوينا المُنَى وقلنا:  
ما للأمانِيٍّ من نشور  
فلو يزورُ الصدورَ حُلُمٌ  
عَرَّجَ منها على قبور  
لقد تولَّى الشتاءُ عنَّا  
فصَفَّقِي يا مَنى وطيري!

\*\*\*\*

## ٢٦ - الكأس الباقية

[الخفيف]

دمعة على جبران خليل جبران  
أيُّها الشَّاعِرُ الَّذِي كَانَ يَشْدُو  
بَيْنَ ضَاخٍ مِنَ الْجَمَالِ وَضَاخِ  
جَلِّ أَنْ يَصِيدَكَ الْقَدْرُ الْأَعْمَى  
وَيَمْشِي مِقْصَةً فِي جَنَاحِ  
مَوْكِبِ الشُّعْرِ تَائِهًا فِي فُضَاءٍ  
لَيْسَ فِيهِ سِوَى حَاطِيمِ سِلَاحِ  
وَالْبَسَاتِينِ، وَالْبَلَابِلِ فِيهَا  
تَتَغَنَّى، حَزِينَةً لِرَوَاحِ  
قَنِيعَتِ الْبُلْبُلِ مِنْكَ فَلَمَّا  
زَالَ عَاشَتْ بِذَكَرِيَّاتِ نَوَاحِ  
وَالدُّجَى، وَالنَّجُومُ تُسْطَعُ فِيهِ،  
وَاجِمٌ حَسْرَةً عَلَى مَصْبَاحِ  
تَلْمِسِ الْعَيْنِ أَيْنَمَا لَمَسَتْهُ  
جَمَرَاتِ التِّيَاجِنَا وَالتِّيَاحِ<sup>(١)</sup>  
قَدْ تَوَلَّتْ جَلَالَةُ السُّحْرِ عَنْهُ  
وَاضْمَحَلَّتْ مُذْ صَارَ غَيْرَ وَشَاحِ



هَبِطْتُ رَبَّةَ الْحَيَاةِ لَكِي تَسْ  
كُؤُوبَ خَمَرِ الْجَمَالِ فِي أَقْدَاكِ  
فَإِذَا أَنْتَ فِي السَّرِيرِ مُسَجَّى

صامتٌ كالطيوفِ في ألواحِ  
فتولّت مذعورةً تلطمُ الوجّه  
ه وتبكيك، يا قتيلَ سَماحِ!  
سَبَقَتْهَا إلهةُ الموتِ كي تحُ  
ظى ولو باليسيرِ من أفراحِ  
ويحها! ويح حبّها من أثيمِ  
طردتنا ولم تُقمِ في سَاحِ  
أيبستُ روضَكَ الجميلَ، ولم تظُ  
فَرُ بغيرِ التُّرابِ من أدواحِ  
ذهبَ الموتُ بالكؤوسِ جميعاً  
غيرَ كأسِ مَلأتها من جِراحِ!

\*\*\*\*

## ٢٧ - الشجاع

[الخفيف]

لا أُحِبُّ الْإِنْسَانَ يَرْضَخُ لِلْوَهْدِ  
مَ وَيَرْضَى بِتَأْفَهَاتِ الْأَمَانِي  
إِنَّ حَيًّا يَهَابُ أَنْ يَلْمَسَ النُّوْ  
رَ كَمِيتٍ فِي ظُلْمَةِ الْأَكْفَانِ  
وَحَيَاءٌ أَمَدٌ فِيهَا التَّوَقُّي  
لا تَوَازِي فِي الْمَجْدِ بَضْعَ ثَوَانِ  
الشَّجَاعُ الشَّجَاعُ عِنْدِي مِنْ أَمِ  
سَى يَغْنِي وَالْدَمْعُ فِي الْأَجْفَانِ

\*\*\*\*

---

(١) عش الطائر في جبل أو جدار (أقل من الوكر).

## ٢٨ - أبي

[الطويل]

طوى بعضَ نفسي، إذ طواكَ الثرى عني  
وذا بعضُها الثاني يفيض به جفني  
أبي! خانني فيك الردى فتقوّضتْ  
مقاصيرُ أحلامي كَبَيْتٍ من التَّبْنِ  
وكانتْ رياضي حالياتٍ ضواحاً  
فأقوتُ، وعفى زهرها الجَزَعُ المُضني  
وكانتْ دِناني بالسُرورِ مليئةً  
فطاحتْ يدُ عمياءَ بالخمِرِ والدَّنِ  
فليس سِوَى طَعْمِ المنيّةِ في فمي  
وليس سِوَى صوتِ النوادبِ في أُذني  
ولا حَسَنٌ في ناظريّ وقَلَمًا  
فَتَحَّتُهُما من قبلُ إلا على حُسْنِ  
وماصُورُ الأشياءِ بعَدِكَ غيرها  
ولكنّما قد شوّهتُها يدُ الحزنِ  
على منكبي تَبَرُّ الضُّحى وعقيقه  
وقلبي في نارٍ وعيناي في دَجَن<sup>(١)</sup>  
أَبَحْتُ الأَسَى دَمعي وأنهبْتُه دمي  
وكنْتُ أَعَدُّ الحزنَ ضرباً من الجُبْنِ  
فَمَسْتَنَكِرٌ كيف استحالتْ بشاشتِي

(١) ضعف الرأي (ومنه: مأفون).

(٢) العبد القن: هو العبد المملوك هو وأبواه.



كمستنكرٍ في عاصفٍ رَعِشَةِ الغصن  
يقولُ المعزِّي ليس يُجدي البُكا الفتى  
وقولُ المعزِّي لا يُفيدُ ولا يُغني



شَخَصْتُ بروحي حائراً متطلِّعاً  
إلى ما وراء البحرِ أدنو وأُستدني  
كَذاتِ جناحٍ أدركَ السيلُ عَشَّها  
فطارَتْ على رَوْعٍ تحومُ على الوُكُنِ<sup>(١)</sup>  
فَوَاهِياً لو أَنِّي كنتُ في القومِ عندما  
نظرتُ إلى العُودِ تسألهمُ عَنِّي  
ويا ليتَما الأرضُ انطوى لي بساطُها  
فكنتُ مع الباكينَ في ساعةِ الدفنِ  
لَعَلِّي أَفي تلكَ الأبْوَةَ حَقَّها  
وإنْ كانَ لا يُوفى بـكِيلٍ ولا وزنٍ  
فأَعْظَمُ مَجْدِي كانَ أنكَ لي أبٌ  
وأَكْبَرُ فَخْرِي كانَ قولُكَ: ذا إبْنِي!  
أقولُ: لو أَنِّي.. كي أُبرِّدَ لوعَتي  
فيزدادُ شَجْوي كَلِّما قلتُ: لو أَنِّي!  
أحتى وداعُ الأهلِ يُحرِّمُهُ الفتى؟  
أيا دهرُ هذا منتهى الحَيْفِ والغَبَنِ!  
أبي! وإذا ما قلتُها فكأنني  
أنادي وأدعوا يا ملاذِي ويا رُكنِي  
لن يلجأَ المكروبُ بعدكَ في الحِمَى  
فيرجعَ رِيَّانَ المُنَى ضاحِكِ السَّنِّ؟

خلعت الصِّبَا في حَوْمَةِ المَجْدِ ناصعاً  
وَنَزَهَ فَيْكِ الشَّيْبِ عَنْ لُوثَةِ الْأَفْنِ<sup>(١)</sup>  
فذهنُ كَنَجْمِ الصَّيْفِ في أَوَّلِ الدُّجَى  
ورأيٌ كَحَدِّ السَّيْفِ أوْ ذَلِكِ الذَّهْنِ  
وكنْتَ ترى الدُّنْيَا بغيرِ بَشَاشَةٍ  
كَأَرْضٍ بِلَا مَاءٍ وَصَوْتٍ بِلَا لَحْنٍ  
فَمَا بَكَ مِنْ ضُرٍّ لِنَفْسِكَ وَحَدَاها  
وَضِحْكُكَ وَالْإِنْسَانُ لِلْجَارِ وَالْخِدْنُ  
جَرِيٌّ عَلَى الْبَاغِي، عَيُوفٌ عَنِ الْخَنَا،  
سَرِيعٌ إِلَى الدَّاعِي، كَرِيمٌ بِلَا مَنْ  
وكنْتَ إِذَا حَدَّثْتَ حَدَّثَ شَاعِرٌ  
لَبِيبٌ دَقِيقُ الْفَهْمِ وَالذَّوْقِ وَالْفَنِّ  
فَمَا اسْتَشَعَرَ الْمُصْغِي إِلَيْكَ مَلَالَةً  
وَلَا قَلْتَ إِلَّا قَالِ مَنْ طَرَبَ: زِدْنِي!



بِرَغْمِكَ فَارَقْتُ الرِّبْوَعَ، وَإِنَّا  
عَلَى الرِّغْمِ مَنَّا، سَوْفَ نَلْحَقُ بِالظُّلْعِ  
طَرِيقُ مَشْيِ فِيهَا الْمَلَائِكُ قَبْلَنَا  
مِنَ الْمَلِكِ السَّامِيِّ إِلَى عَبْدِهِ الْقِنْ<sup>(٢)</sup>  
نَظُنُّ لَنَا الدُّنْيَا وَمَا فِي رَحَابِهَا  
وَلَيْسَتْ لَنَا إِلَّا كَمَا الْبَحْرُ لِلْسُّفْنِ  
تَرْوَحُ وَتَغْدُو حُرَّةً فِي عُبَابِهِ  
كَمَا يَتَهَادَى سَاكِنُ السَّجَنِ فِي السَّجَنِ  
وَزَنْتُ بِسَرِّ الْمَوْتِ فِلْسَفَةَ الْوَرَى

---

(١) طير أبيض. والذكر قُمْرِي.

فشالت، وكانت جعجاتٍ بلا طَحْنٍ  
فأُصدقُ أهلَ الأرضِ معرفةً به  
كأكثرهم جهلاً يُرجمُ بالظنِّ  
فذا مثلُ هذا حائرُ اللبِّ عندهُ  
وذاك كهذا ليس منه على أَمْنٍ  
فيا لكَ سِفرًا لم يزلْ جدَّ غامضٍ  
على كثرةِ التفصيلِ في الشَّرْحِ والمَتْنِ  
أيا رمزَ لبنانٍ جلالاً وهيبةً  
وحصنَ الوفاءِ المحضِ في ذلك الحِصْنِ  
ضريحكُ مهما يستسرُّ، وبلدةُ  
أقمتَ بها تبني الحامدَ ما تبني  
أحبُّ من الأبراجِ طالتَ قبائبُها  
وأجملُ في عينيَّ من أجملِ المدنِ  
على ذلك القبرِ السلامُ فذكرهُ  
أريجٌ به نفسي، عن العِطْرِ تستغني

\*\*\*\*

---

(١) الصحيح «أحد».

## ٢٩. ذكرى

[الكامل]

إِنِّي أَمُرُّوْ لَا شَيْءٍ يُطْرِبُ رُوحَهُ  
وَيَهْزُهَا كَالزَّهْرِ وَالْأَلْحَانِ  
الْحَنُّ مِنْ قُمْرِيَّةٍ<sup>(١)</sup> أَوْ مُنْشِدٍ  
وَالزَّهْرُ فِي حَقْلٍ وَفِي بَسْتَانٍ  
هَذَا يُحَرِّكُ بِي دَفِينَ صَبَابَتِي  
وَيَهْزُ ذَاكَ مَشَاعِرِي وَكَيَانِي  
يَهْوَى الْمَلَاةَ نَاطِرِي صَوْرًا تُرَى  
وَأَحْبُبُهَا فِي مَسْمَعِي أَغَانٍ  
وَأَحْبُبُهَا نَوْرًا جَمِيلًا صَافِيًا  
مَتَأَلِّقًا فِي النَّفْسِ وَالْوَجْدَانِ  
وَأَحْبُبُهَا سِحْرًا يَرْفُءُ مَعَ النَّدَى  
وَيَمُوجُ فِي الْأَلْوَانِ كَالْأَلْوَانِ  
وَأَحْبُبُهَا ذِكْرِي تُطِيفُ بِخَاطِرِي  
لَأَخِ هَوَيْتُ، وَغَادَةَ تَهْوَانِي  
أَوْ مَجْلِسُ لَحَبٍّ فِي ظِلِّ الصَّبَا  
إِنْ الْحَيَاةَ جَمِيعَهَا هَذَانِ  
أَوْ فِي خِيَالِ مَنَازِلٍ أَشْتَاقُهَا  
كَمْ مِنْ جَمَالٍ فِي خِيَالِ مَكَانٍ  
وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْكُمْ فَكَأَنَّمَا  
أَنَا فِي الرَّبِيعِ، وَفِي رَبَا لِبْنَانٍ  
أُصْغِي إِلَى النَّسَمَاتِ تَرْوِي لِلرُّبَا

ما قالت الأشجار للغدران  
والى السواقي وهي تُنشد للصبا  
والحب، في الفتيات والفتيان  
والى الأزاهر كلما مرت بها  
عذراء ذات ملاحاةٍ وبيان  
متهامسات: « ما نظنّ (فلانة) »  
أحداً<sup>(١)</sup> بها أولى من (ابن فلان)  
يا ليت ينثرنا الغرام عليهما  
من قبل ينثرنا الخريف الجاني  
ألفت مجاورة الأنام فأصبحت  
وكأنّها شيء من الإنسان  
فإذا نظرت إليهما متاملاً  
شاهدت حولك وحدة الكوان

\*\*\*\*

## ٣٠ - يا جنّتي

[الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ  
وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفْتِكَ  
وَنَشَقَّتْ مِنْ فَوْدِكَ نَدًّا عَاطِرًا  
لَمَّا مَشَتْ كِفَاكِ فِي فَوْدِكَ  
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مَتَوَجِّيًا  
وَالْفَلَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ  
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ أَرْوَاحِ الصُّبَا  
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تُهَزُّ مِنْ عِطْفِكَ  
أَيَقْنَتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَالِبَةٌ  
فَحَنَنْتُ، مِنْ بَعْدِ الْمَشِيبِ، إِلَيْكَ  
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً  
يَا جَنَّتِي، كَيْمَا يَحُومُ، عَلَيْكَ  
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنِّهَا لَوْلَمْ تَكُنْ  
فِي رَاكِتِكَ هَوَتْ عَلَى قَدَمَيْكَ

\*\*\*\*\*

---

(١) الذي يعيي الأطباء.

### ٣١ - الشاعر في السماء

[مخلع البسيط]

رَأْنِي السَّلَـةُ ذَاتِ يَـوْمٍ  
فِي الْأَرْضِ أَبْـكِي مِنَ الشَّقَاءِ  
فَرَقَّ، وَاللَّهُ ذُو حَنَانٍ،  
عَلَى ذَوِي الضُّرِّ وَالْعَنَاءِ  
وَقَالَ: لَيْسَ التُّرَابُ دَاراً  
لِلشَّعْرِ، فَارْجِعْ إِلَى السَّمَاءِ!  
وَشَادَ فَوْقَ السَّمَاءِ بَيْتِي  
وَمَدَّ مُلْكِي عَلَى الْفَضَاءِ  
فَالْتَفَتَ الشُّهُبُ حَوْلَ عَرْشِي  
وَسَارَ فِي طَاعَتِي الْخُيَاءِ  
وَصُرْتُ لَا يَنْطَوِي صَبَاحُ  
إِلَّا بِأَمْرِي وَلَا مَسَاءُ  
وَلَا تَسْوِقُ الْغَيُومُ رِيحُ  
إِلَّا وَلِي فَوْقَهَا لَوَاءُ  
فَالْأَمْرُ بَيْنَ النُّجُومِ أَمْرِي  
لِي الْحُكْمُ فِيهَا وَلِي الْقَضَاءُ  
لَكِنِّي لَمْ أَزَلْ حَزِيناً  
مُكْتَنِبَ الرُّوحِ فِي الْعِلَاءِ  
فَاسْتَغْرَبَ اللَّهُ كَيْفَ أَشْقَى  
فِي عَالَمِ الْوَحْيِ وَالسَّنَاءِ

وقال: ما زال آدميًّا  
يصبو إلى الغيد والطلاء  
ومسُّ رُوحِي واستلَّ منها  
شوقي إلى الخمر والنساء  
وظنُّ أني انتَهَى بلائي  
فلم يَزِدْني سوى بلاء  
واشتدَّ نوحِي وصارَ جهرًا  
وكانَ من قَبْلُ في الخفاء  
وصارَ دمعي سيولَ نارٍ  
وكانَ قَبْلًا سيولَ ماء



يا أيُّها الشَّاعرُ المعنَّى  
حيِّرنِي داؤُكَ العَفاء<sup>(١)</sup>  
هل تشتهي أن تكونَ طيرًا؟  
فقلتُ: كلاً، ولا غِناء!  
هل تشتهي أن تكونَ نجمًا؟  
أحببتُ: كلاً، ولا بَهَاء!  
هل تبتغي المالَ؟ قلتُ: كلاً  
ما كانَ من مطلبي الثَّراء  
ولا قصوراً، ولا رياضاً  
ولا جنوداً ولا إماء  
وليس ما بي يا ربُّ داءً  
ولا احتياجي إلى دواء  
ولا حنيني إلى القناني

---

(١) الجبل.



ولا أَشْتِياقي إلى الظُّبَاءِ  
 ولا أريدُ الذي لِيَغْيِرِي  
 ذا حكمةٍ كانَ أُمَ مَضَاءِ  
 لكنَّ أمنيَّةً بِنَفْسِي  
 يَسْتَرُهَا الخوفُ والحِياءُ!  
 فقال: يا شاعراً عجيباً  
 قُلْ لي: إذن ما الذي تَشَاءُ؟  
 فقلتُ: يا ربِّ فصلَّ صيفٍ  
 في أرضِ لبْنانٍ أو شتاءٍ  
 فإنني ههنا غريبٌ  
 وليس في غُربةٍ هِنا!  
 فاستضحكَ اللهُ من كلامي  
 وقال: هذا هو الغُباءُ  
 لبْنانُ أرضُ كُلِّ أرضٍ  
 وناسُهُ والوَرَى سَوَاءُ  
 وفيه بُؤْسَى وفيه نَعْمَى  
 و أَردياءُ وأَتَقِياءُ  
 فأَيُّ شيءٍ تَشْتاقُ فيه؟  
 فقلتُ: ما سِرُّني وسَاءُ!  
 تحنُّ نفسي إلى السَّواقِي،  
 إلى الأَقْباحِي، إلى الشَّذَاءِ  
 إلى الرُّوابي تَعْرَى وتُكْسَا  
 إلى العَصافير والغَناءِ  
 إلى العِناقِيدِ والدُّوالي

(١) الظُّلَّة: حدَّ السيف.. وجمعها في المعاجم: ظُبات (ولامها واو: ظُبوت).

والماء والنور والهواء!  
فأشرف الله من علأه  
يشهد «لبنان» في المساء  
فقال: ما أنت ذا جنون  
وإنمما أنت ذو وفاء  
فإن لبنان ليس طوذاً،<sup>(١)</sup>  
ولا بلاداً، لكن سماء!

\*\*\*\*

---

(١) السادة والقادة.

## ٣٢ - كلوا واشربوا

[المقارب]

كُلُوا واشربوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ  
وإن مَلَأَ السُّكَّ الْجَائِعُونَ  
ولا تَلْبَسُوا الْخَزَّ إِلَّا جَدِيداً  
وإن لَبَسَ الْخِرْقَ الْبَائِسُونَ  
وَحُوطُوا قِصُورَكُمْ بِالرِّجَالِ  
وَحُوطُوا رِجَالَكُمْ بِالْحِصُونِ  
فلا تُبْصِرُونَ ضَحَايَا الطُّوَى  
ولا يُبْصِرُونَ الَّذِي تَصْنَعُونَ  
وإن سَاءَ كُفُّهُمْ فِي الْوُجُودِ  
وَأَزَعَجَكُمْ أَنَّهُمْ يُعْوِلُونَ  
مُرُوا فَتَصُولُ الْجُنُودُ عَلَيْهِمْ  
تَعْلَمُهُمْ كَيْفَ فَتَكَ الْمُنُونِ  
فَهُمْ مَعْتَدُونَ، وَهُمْ مَجْرُمُونَ،  
وَهُمْ مَقْلِقُونَ، وَهُمْ ثَائِرُونَ  
وَتِلْكَ الْعِصْيُ لَتِلْكَ الرُّؤُوسِ  
وَتِلْكَ الْحِرَابُ لَتِلْكَ الْبُطُونِ  
وَتِلْكَ السُّجُونُ لِمَنْ شَدَّتْ مُوْهَاهَا  
إِذَا لَمْ تَزْجُوهُمْ فِي السَّجُونِ؟  
كُلُوا لِلطُّبَا<sup>(١)</sup> حَلَقَ هَامَاتِهِمْ  
فإنَّ الْمُلُوكَ كَذَا يَفْعَلُونَ  
إِذَا الْجَنْدُ لَمْ يَحْرُسُوهُمْ وَأَنْتُمْ

سَرَاةٌ<sup>(١)</sup> الْبِلَادِ فَمَنْ يَحْرُسُونَ؟  
وإِنْ هُمْ لَمْ يَقْتُلُوا الْأَشْقِيَاءَ  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، مَنْ يَقْتُلُونَ؟  
وَلَا يَحْزَنُنَاكُمْ مَوْتُهُمْ  
فَإِنْهُمْ لِلرَّدَى يُؤَلَدُونَ  
وَقُولُوا كَذًا قَدْ أَرَادَ الْإِلَهُ  
وإِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا يَكُونُ  
وَيَا فُقَرَاءَ مَاذَا التَّشْكِي؟  
أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ أَلَا تَخْجَلُونَ؟  
دَعُوا الْأَغْنِيَاءَ وَلِذَاتِهِمْ  
فَهُمْ مِثْلُ لِدَاتِهِمْ زَائِلُونَ  
سَيُْمْسُونَ فِي «سَقَرٍ» خَالِدِينَ  
وَتَمْسُونَ فِي جَنَّةٍ تَنْعُمُونَ  
فَلَا تَعْطَشُونَ، وَلَا تَسْغَبُونَ،  
وَلَا يَرْتَوُونَ، وَلَا يَشْبَعُونَ  
لَكُمْ وَحْدَكُمْ مَالُكُوتُ السَّمَاءِ  
فَمَا بِالْكُمْ لَسْتُمْ تَقْنَعُونَ؟  
فَلَا تَحْزَنُوا أَنْكُمْ سَاهِرُونَ  
فَسَوْفَ تَنَامُونَ مَلَأَ الْجَفُونَ  
سَتَتَّكِنُونَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ  
تَظَلُّ الْكُمْ وَارْفَاتُ الْغُصُونِ  
يَضُوعُ السَّنَا حَوْلَكُمْ بِالشَّدَا  
وَتَجْرِي الطَّلَا أَنْهَرًا وَعُيُونَ  
وَتَسْقِيكُمْ الْخَمْرَ حُورٌ حَسَنَاتُ  
كَمَا يَشْتَهَيْنَ، كَمَا تَشْتَهَوْنَ

كُذِّبَ وَعَدَ اللَّهُ أَهْلَ التُّقَى  
وَأَنْتُمْ هُمْ أَيُّهَا الْمَتَعَبُونَ  
أَلَا تَوْمِنُونَ بِقَوْلِ الْكِتَابِ؟  
فَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْكُمْ كَافِرُونَ!

\*\*\*\*

---

(١) مزامير النبي داود (الزبور). و(اسحق الموصلي) و(معبد) من مغني التراث الغنائي العربي في العصرين الأموي (معبد) والعباسي (الموصلي).

### ٣٣. حديث موجة

[الكامل]

قالها في حفلة تكريم سامي الشّوا التي أقامتها له الجالية في مدينة نيويورك عندما زارها.

عندي لكم نبأً عجيبٌ شيقٌ  
سأقصُّه عليكم تفسيره  
إني رأيتُ البحرَ أخرسَ ساهياً  
كالشيخ طال بما مضى تفكيره  
فسألتُ نفسي حائراً متلجلجاً:  
يا ليت شعري أين ضاع هديره؟  
«بالأمس» قالت موجةٌ ثرثارةٌ  
ومضتْ، فأكملتُ الحديثَ صخوره:  
بالأمس مرّ بنا فتى من قومكم  
رقتُ شَمائِلُهُ ودقَّ شُعوره  
مُترنحٌ من خمرةٍ قُدسيّةٍ  
فيها الهوى وفتونه وفتوره  
مترفقٌ في مشبهٍ يطأ التُّرى  
وكأنما بين النجوم مسيره  
يلهو بأوتار الكمنجة والدُّجى  
مرخيّةٌ، فوق العُبابِ، ستوره  
يهدي إلى الوطن القديم سلامه  
ويُنشدُ الوطنَ الذي سيزوره  
فشجاً الخضمَّ نشيدهً وهتافه  
فسهّا، فضاعَ هديره وزئيره

أَعْرِفْتُمُوهُ؟.. إِنَّهُ هَذَا الْفَتَى  
هَذَا الَّذِي سَحَرَ الْخِضَمَّ مُرُورَهُ  
«دَاوُدُ» وَالْمَزْمَارُ فِي نَغَمَاتِهِ  
و«الْمُوصِلِيُّ» وَ«مَعْبُدٌ» وَسِرِيرُهُ<sup>(١)</sup>  
يَا ضَيْفَانَا، وَالْأَنْسُ أَنْتَ رَسُولُهُ  
وَبَشِيرُهُ، وَالْفَنُّ أَنْتَ أَمِيرُهُ  
لَوْ شَاعَ فِي الْفَرْدُوسِ أَنْكَ بَيْنَنَا  
لَمْ شَتَّ إِلَيْنَا سَافِرَاتِ حُورِهِ  
ذَهَبَ الرَّبِيعُ وَجِئْتَنَا فَكَأَنَّمَا  
جَاءَ الرَّبِيعُ، زَهْوَرُهُ وَطَيُورُهُ  
الْفَنُّ هَشٌّ إِلَيْكَ فِي أَمْرَائِهِ  
وَتَفْتَتَّحَتْ لَكَ دُورُهُ وَقَصُورُهُ  
إِنَّ الْجَوَاهِرَ بِالْجَوَاهِرِ أَنْسَاهَا  
أَمَّا التُّرَابُ فَبِالتُّرَابِ حُبُورُهُ  
يَا شَاعِرَ الْأَلْحَانِ! إِنِّي شَاعِرٌ  
أَمْسَى ضَيْئَالاً عِنْدَ نَوْرِكَ نُورُهُ  
أَسْمَى الْكَلَامِ الشُّعْرُ إِلَّا أَنَّهُ  
أَسْمَاهُ<sup>(٢)</sup> مَا أَعْيَا الْفَتَى تَصْوِيرُهُ  
وَأَحَبُّ أَزْهَارِ الْحَدَائِقِ وَرْدُهَا  
وَأَحَبُّ مَنْ وَرَدَ الرِّيَاضِ عُبَيْرُهُ  
أَنْتَ الْفَتَى، لَكَ فِي النِّسِيمِ حَفِيفُهُ،  
وَلَكَ الْغَدِيرُ صَفَاؤُهُ وَخَرِيرُهُ  
الْقَوْمُ صَاغِيَةٌ إِلَيْكَ قُلُوبُهُمْ  
وَاللَّيْلُ مُنْصِتَةٌ إِلَيْكَ بِدُورِهِ  
وَبِهَذِهِ الْأَوْتَارِ سَحَرَ جَائِلٌ

متململٌ كالوحي حانَ ظهوره  
 إن كنتَ لا تهتاجُهُ وتُثيره  
 فمنَ الذي يَهْتَاجُهُ ويُثيره؟  
 دغدغَ بريشتِكَ الكمنجةَ ينطلقُ  
 ويدبُّ في أرواحِنَا تائثيره  
 وامشِ بنا في كلِّ لحنٍ فاتنٍ  
 كالماءِ يجري في الغصونِ ظهوره  
 وأدرِ على الجُلاسِ أكوابَ الهوى  
 في راحتِكَ سُلَّافُهُ وعصيره  
 فيخِفُ في الرجلِ الحليمِ وقاره  
 ويراجعُ الشيخَ المسنَّ غروره  
 وتنامُ في صدرِ الشَّجِيِّ همومه  
 ويُفَيِّقُ في قَلْبِ الحزينِ سروره  
 هذي الجموعُ الآنَ شخصٌ واحدٌ  
 لك حكمه، وكما تشاءُ مصيره  
 إن شئتَ طالَ هُتافُهُ ونشيدُهُ  
 أو شئتَ دامَ نُواحُهُ وزفيرُهُ  
 إنا وهبُناكَ القلوبَ ولم نهبْ  
 إلا الذي لك قبَلُنا تدبيرُهُ!

\*\*\*\*

(١) قبضوم كل شيء: مقدّمه وصدره.

(٢) النجر والنجار: الأصل والحسب.



## ٣٤ - ابسمي

[الرمل]

ابسمي كالورد في فجر الصُّبَا  
وابسمي كالنجم إنَّ جَنَّ المساءِ  
وإذا ما كَفَّنَ الثلجُ التُّرَى  
وإذا ما سَتَّـرَ الغيمُ السَّـمَاءِ  
وتَعَرَّى الروضُ من أزهاره  
وتواری النورُ في كهفِ الشتاءِ  
فاحلُمي بالصيفِ ثم ابْتسمي  
تخلُقي حولك زَهْرًا وشَدَاءِ  
وإذا سَرَّ نفوساً أَنَّها  
تُحسِنُ الأخذَ فسُرِّي بالعطاءِ  
وإذا أعياكِ أن تُعطي الغنى  
فافرحي أنكَ تُعطينَ الرجاءِ

\*\*\*\*

---

(١) السحاب لأنه يعترض في الأفق.

## ٣٥ - مجاهد

[الكامل]

ألقى هذه القصيدة في الحفلة التذكارية التي أقامتها جمعية الشُّبَّان المسلمين في مسرح «أكادمي أوف ميوزك» في بروكلين لفقيد الأمة موسى كاظم باشا الحسيني:

قالوا قضى «موسى» فقلتُ قد انطوى  
عَلَمٌ، وَأُغْمِدَ صَارِمٌ بَتَّارُ  
فَتَشَوَّشَتْ صُورُ الْمُنَى وَتَنَاثَرَتْ  
كَالزَّهْرِ بَدَدَ شَمَلِهَا الْإِعْصَارُ  
وَكَأَنَّمَا وَتَرَ الرَّدَى كُلَّ أَمْرٍ  
لَمَّا تَوَلَّى ذَلِكَ الْجَبَّارُ  
جَزَعَتْ لِمَصْرَعِهِ الْبِلَادُ كَأَنَّمَا  
قَدْ غَابَ عَنْهَا جَحْفَلُ جَرَّارُ  
وَبَكَتْ «فِلَسْطِينُ» بِهِ قَيْدُومَهَا<sup>(١)</sup>  
إِنَّ الرِّزَايَا بِالْكَبَارِ كِبَارُ  
لَمَّا نَعَوْهُ نَعَوْا إِلَيْنَا سَيِّدًا  
شَرُفَتْ خَلَائِقُهُ وَطَابَ نَجَارُ<sup>(٢)</sup>



لَيْسَ الصَّبَا وَنَضَاهُ غَيْرَ مَدْنَسٍ  
كَالنَّجْمِ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ الْأَوْضَارُ  
وَمَشَى الْمَشْيَبُ بِرَأْسِهِ فَإِذَا بِهِ

---

(١) النضار: الذهب الخالص.

(٢) السراب.

كالحقل فيه الزَّهرُ والأثمار  
 وتَطاولت أَعوامُهُ، فإذا بهِ  
 كالطُّودِ فيه صلابَةٌ ووقار  
 ترتدُّ عنه العاصفاتُ كليلَةً  
 ويزلُّ عنه العارضُ<sup>(١)</sup> المِدرار  
 أُوذِي فلم يَجزعْ، وضيَمَ فلم يَهِنْ  
 إِنَّ الكَرِيمَ على الأذى صَبَّار  
 صقلتْ مُكَافَحَةُ الشدائدِ نفسَهُ  
 والروضُ تجلو حُسْنَهُ الأمطار  
 فله من الشَّيخِ الأصالةُ، والفتى  
 إقدامُهُ، إذ لالفتى أوطار  
 يتهيَّبُ الفُجَّارُ صدقَ يقينهِ  
 وبرأيه يستترشدُ الأحرار  
 ما زالَ يَزأُرُ دونَ ذِيكَ الحمى  
 كالليثِ ريعَ فما له استقرار  
 ويجشَّمُ النفسَ المخاطرَ هادئاً  
 كيلاً تُلمَّ بقومِهِ الأخطار  
 حتى استقرَّ به الرَّدَى في حُفرةٍ  
 وخلا، لغيرِ جوادهِ، المِخْمار  
 فاعجبْ لمن ملأَ المسامعَ ذِكْرُهُ  
 تطويه في عُرضِ الثُّرى أشبار!



(١) مبالغة من (ساخر).

(٢) يريد: الطائرة (والعقاب: الطير).

(٣) السم الناقع: البالغ الثابت.



## ٣٦ - الكريم

[مجزوء الكامل]

قالوا: أَلَا تَصِفُ الْكَرِيمَ لَنَا؟ فَقُلْتُ عَلَى الْبَدِيَّةِ:  
إِنَّ الْكَرِيمَ لَكَالرْبِيعِ، تَحُبُّهُ لِّلْحُسْنِ فِيهِ  
وَتَهْشُ عَنْدَ لِقَائِهِ، وَيَغِيبُ عَنْكَ فَتَشْتَهِيهِ  
لَا يَرْضِي أَبَدًا لِّصَاحِبِهِ الَّذِي لَا يَرْضِيهِ  
وَإِذَا اللَّيَالِي سَاعَفَتْهُ لَا يُدَلُّ<sup>(١)</sup> وَلَا يَتِيهِ  
وَتَرَاهُ يَبْسُمُ هَازِنًا فِي غَمْرَةِ الْخَطْبِ الْكَرِيهِ  
وَإِذَا تَحَرَّقَ حَاسِدُوهُ بِكَيِّ وَرَقٍ لِّحَاسِدِيهِ  
كَالْوَرْدِ يَنْفَحُ بِالشَّذَا حَتَّى أَنْوَفَ السَّارِقِيهِ

\*\*\*\*

---

(١) أصل المعنى: أدل به: وثق. وأكسبها هنا معنى التفاخر والتيه.

## ٣٧ - عَبدُ

[المتدارك]

فوقَ الجُمَيْزَةِ سَنَجَابُ  
والأَرْنَبُ تَمْرَحُ فِي الحَقْلِ  
وَأَنَا صَيَّادٌ وَثَّابٌ  
لَكِنَّ الصَّيْدَ عَلَى مِثْلِي  
مَحْظُورٌ إِذْ إِنِّي عَبْدٌ  
وَالسَّيِّدُ الْأَبْيَضُ فِي الْقِنِّ  
يَخْتَالُ كَيُوسُفَ فِي الْحُسْنِ  
وَأَنَا أَتَمَنَّيْ لَوْ أَنِّي  
أَصْطَادُ السَّيِّدِ وَلَكِنِّي  
لَا أَقْدِرُ إِذْ إِنِّي عَبْدٌ  
وَفَتَاتِي فِي تِلْكَ الدَّارِ  
سُودَاءُ الطُّلْعَةِ كَالْقَارِ  
سَيَجِيءُ وَيَأْخُذُهَا جَارِي  
يَا وَيْحِي مِنْ هَذَا الْعَارِ!  
أَفَلَا يَكْفِي أَنِّي عَبْدٌ؟!

\*\*\*\*

## ٣٨ - لبنان

[الكامل]

في حفل توديع صديق لبناني ، عائد إلى الوطن .  
اثنانِ أعيَا الدهرَ إن يُبْلِيهما :  
لبنانُ والأملُ الذي لذويه  
نشتاقهُ والصَّيفُ فوقَ هضابه  
ونحبُّهُ والثَّلَجُ في واديه  
وإذا تمَدَّ له ذُكَاؤُ حبالِها  
بقلائدِ العُقَيانِ تستَغويه  
وإذا تُنقِطُ السَّمَاءُ عَشِيَّةً  
بالأنجمِ الزَّهراءِ تسترضيه  
وإذا الصُّبَايا في الحقولِ كزهرها  
يضحكنَ ضِحْكَاً لا تكُفُّ فيه  
هَنَ اللواتي قد خَلَقْنَ لِي الهوى  
وسَقَيْنَنِي السَّحَرِ الذي أسقيه  
هذا الذي صانَ الشبابَ من البلى  
وأبى على الأيامِ أن تَطْويه



ولربما جبلُ أشبَّهَهُ به  
مُسْتَرْسلاً مع روعةِ التشبيهِ  
فأقولُ يحكيه، وأعلمُ أنه  
مهما سما هيئاتُ أن يحكيه  
يا لذةً مكذوبةً يلهو بها  
قلبي ويعرفُ أنها تؤذيه

إني أذكّرهُ بذِيّكَ الحِمَى  
وجَمالِهِ وإِخالِني أَنسِيهِ  
وَإِذا الحَقائِقُ أخرجتُ صدرَ الفتى  
ألقى مقالِدَهُ إلى التَّمَوِيهِ  
وطِني ستبقى الأرضُ عِندي كُلُّها  
- حتّى أعود إِلَيهِ - أرضَ التَّئِيهِ  
سألوهُ الجَمالَ فقال: هذا هيكلي  
والشُّعَرَ قال: بنيتُ عرشي فيه



الأرضُ تستجدي الخِضَمَّ مياهُهُ  
وكنوزَهُ والبحرُ يستجديهِ  
يُمسي ويُصبحُ وهو منطرحٌ على  
أقدامِهِ طمعاً بما يحويه  
أعطاهُ بعضَ وقارِهِ حتّى إذا  
استجداهُ ثانيَةً سخا ببنيهِ  
لبنانُ صُنْ كنزَ العِزائمِ واقتصدْ  
أخشى، مع الإسرافِ، أن تُفنيهِ



غيري يراهُ سياسةً وطوائِفاً  
ويظِلُّ يَزعمُ أَنه رائِيهِ  
ويروحُ من إشفاقِهِ يَبكي له  
لبنانُ أنتَ أحقُّ أن تَبكيهِ  
لا يَسْفِرُ الحسنُ النزيهَ لناظرٍ  
ما دامَ مِنْهُ الطَّرْفُ غيرَ نزيهِ





قُلْ لِلأُلَى رَفَعُوا التُّخُومَ لِأَرْضِهِ  
ضَيِّقْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِيهِ  
وَلَمَنْ يَقُولُونَ: الْفِرْنَجُ حُمَاتُهُ  
اللَّهُ قَبْلَ سَيُوفِهِمْ حَامِيهِ



يَا صَاحِبِي يَهْنِيكَ أَنْكَ فِي غَدٍ  
سَتَعَانِقُ الْأَحْبَابَ فِي نَادِيهِ  
وَتَلْدُ بِالْأَرْوَاحِ تَعْبَقُ بِالشَّذَا  
وَتَهْزُكُ الْأَنْغَامُ مِنْ شَادِيهِ  
إِنْ حَدَّثُوكَ عَنِ النُّعِيمِ فَاطْنَبُوا  
فَاشْتَغَفَتْهُ لَا تَنْسَ أَنْكَ فِيهِ!



## ٣٩. أَنْتِ وَالْكَأْسُ

[مجزوء الخفيف]

أَنْتِ وَالْكَأْسُ فِي يَدِي  
فَلَا مَنَ أَنْتِ فِي غَدٍ؟  
فَاسْتَشَاطْتُ لِقَوْلَتِي  
غَضَباً فِي تَمَرْدُ  
وَأَشَاحْتُ بِوَجْهِهَا  
وَادَّعْتُ أَنْ نُنِي رَدِي!  
كَاذِبٌ فِي صَبَابَتِي  
مِمَّا ذُقْتُ<sup>(١)</sup> فِي تَوْدُدِي  
قُلْتُ: عَفِواً فَإِنَّهَا  
سَوْرَةٌ مِنْ مُعَرَّبِد  
وَجَرَى الصَّلْحُ وَالْتَقَى  
تَغْرِهَا تَغْرِي الصَّدي<sup>(٢)</sup>  
أَذَعَنَ الْقَلْبُ طَائِعاً  
بَعْدَ ذَاكَ الَّتِي تَمَرَّدُ  
فَنَعِمْنَا هُنَا بِهَـ  
بِالْوَلَاءِ الْمَجْدِدِ  
بَيْنَ مَاءٍ مَصْفُوقٍ<sup>(٣)</sup>  
وَهَـ زَارٍ مُغَرَّدُ

(١) لم يخلص في ودّه. (منق - يمدق).

(٢) صديّ صدى: عطش.

(٣) تصفيق الماء: تحويله من إناء إلى إناء.

تُثَمَّ عَادَتْ وَسَاوَسِي  
فَلَأْنَا فِي تَرْدُ  
رَاعَهَا مَنِّي السُّكُو  
تُفْذَمْتُ تَبْأُدي  
قَالَتْ: الْحَبُّ سَرْمَدُ  
قُلْتُ: لَا شَيْءَ سَرْمَدِي  
أَتُحِبُّ بِيَدِي إِذَا  
زَالَ مَجْدِي وَسُؤْدِي؟  
فَأَجَابَتْ لِفُورِهَا  
أَنْتَ، لَا الْمَجْدُ، مَقْصَدِي  
قُلْتُ: هَلْ تَحْفَظِينَ عَنْهُ  
سَدِي إِذَا ضَاعَ عَسْجَدِي؟  
فَأَجَابَتْ بِرُقَّةٍ  
أَنْتَ، مَا عَشْتُ، سَيِّدِي  
كُنْتُ كَالشَّمْسِ فِي الْغَنَى  
أَمْ فَقِيرًا كَجُودِ  
حَسَنًا.. قُلْتُ ضَاكًا:  
يَا مَلَائِكِي وَفَرَّقَدِي  
إِنَّمَا هَلْ يَدُومُ لِي  
حُبُّكَ الْمُسْتَرْقُ النَّدِي  
إِنْ حَنَى الدَّهْرُ قَامَتِي  
وَمَحَا الشَّيْبَ أَسْوَدِي  
وَانْطَوَى رَوْنَقُ الصَّبَا  
مِثْلَ بَرْقٍ بِفَدْفَدٍ<sup>(١)</sup>

---

(١) الغلاة التي لا شيء فيها .

قَالَتْ: الشُّكُّ أَفْئَةُ الْ  
 حُبِّ فَأَنْبِئْهُ تَسْعَدُ  
 لَيْسَ حُبِّكَ لِمَنْ صَبَا  
 لَسْتُ فِيهِ بِأَوْحَدٍ  
 بَلْ لَمَّا فَيْكَ مِنْ صِفَا  
 تٍ وَمِنْ طَيِّبٍ مَحْتَدٍ  
 قَالَتْ وَالشُّكُّ رَائِحٌ  
 فِي ضَمِيرِي وَمُعْتَدٍ:  
 وَإِذَا غَالَنِي الْحَمَامَا  
 مٌ وَأَصَابَ بَحْتُ فِي غَدٍ  
 جُنَّةٌ لَفَّهَا التُّرَى  
 بِالْظِلَامِ الْمُؤَيَّدِ  
 لَيْسَ فِيهَا لِصَاحِبِ  
 أَرْبٍ أَوْ لَحُوسٍ سَدٍ  
 وَسَرَى الدَّوْدُ حَوْلَهَا  
 يَتَغَذَّى وَيَعْتَدِي  
 وَمَرَرْتُ الْغَدَاةَ بِي  
 فَمَرَرْتُ بِجَأْمِدٍ (١)  
 وَنَظَرْتُ فَلَمْ تَرِي  
 غَيْرَ عَظْمٍ مُجَرَّدٍ  
 بَعَثَرْتُهُ يَدُ الْبِلَى  
 كَنَفَايَاتِ مَوْقِدٍ  
 هَلْ تَحْبُبِينَ نَنِي إِذْنُ  
 لَخَلَالِي وَمَحْتَدِي؟

(١) الجلمد والجلمود: الصخر.

وَيُكَ! صَاحَتْ وَدَمْعُهَا  
 كَجُمَانٍ<sup>(١)</sup> مُبَدَّدٌ  
 كَمْ تَظُنُّ الظَّنُّونَ بِي  
 أَيُّهَا الزَّائِغُ اهْتَدِ  
 أَشْهَدُ الصَّبْحَ فَائِضاً  
 فِي مَرُوجِ الزَّيْجَرِ جَدٍ<sup>(٢)</sup>  
 أَشْهَدُ اللَّيْلَ لَابِساً  
 طَيِّبَ أَلْسَانِ التَّمَرُّدِ  
 أَشْهَدُ الْغَيْثَ مُعْطِياً  
 أَشْهَدُ الْحَقْلَ يَجْتَدِي  
 وَذَوَاتِ الْجَنَنِ نَاحٍ مِنْ  
 بَاغِمٍ<sup>(٣)</sup> أَوْ مُفْغَرِّدٍ  
 وَالْأَزَاهِيرَ وَالشَّذَا  
 فِي وَهْجَادٍ وَأَنْجَدٍ  
 أَشْهَدُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ  
 أَشْهَدُ اللَّهَ مُوجِدِي  
 سَوْفَ أَحْيَا كَمَا تَرَى  
 لِهَوَى وَالتَّوَجُّدِ  
 فَأَنَاجِيكَ فِي الضُّحَى  
 وَهُوَ أَمْرَاسُ عَسْجَدٍ<sup>(٤)</sup>

(١) اللؤلؤ.

(٢) الجواهر المعروف (لعله: الزمرد).

(٣) البغام: الصوت.

وَأَنَاجِيكَ فِي الْمَسَا  
 وَالْأَصِيلِ الْمَوْرِدِ  
 فِي الرُّبَا تَخْلَعُ الْجَمَا  
 لَ بُرُوداً وَتَرْتَدِي  
 وَالسَّوَاقي لَهَا غَنَا  
 كَالْحَانِ (مَعْبَدِ)<sup>(١)</sup>  
 وَالْعَصَافِيرِ أَقْبَلَتْ  
 نَحْوَهَا لِتَبْرُدَ  
 أَسْهَرُ اللَّيْلِ وَحِشَّةٌ  
 بِفَوَادٍ مَشْدَدٍ  
 وَإِذَا نِمْتُ نَمْتُ كِي  
 يَطْرُقُ الطُّيُفُ مَرْقَدِي  
 فَيُظِلُّ الْهَيْامُ بِي  
 يَنْتَهِي حَيْثُ يَبْتَدِي  
 وَبِحُزْنٍ تَنْهَدُ  
 فَاسْتَجَاشَتْ تَنْهَدِي  
 فَاغْتَنَقْنَا سُوَيْعَةً  
 مِثْلَ جَفْنِي مَسْهَدِ



أَقْلَتِ الْأَمْسُ هَارِباً  
 وَغَدُ؟ لَيْسَ مِنْ غَدِ!  
 صُرْتُ وَحْدِي وَلَيْسَ لِي  
 أَرْبٌ فِي التَّوْحِدِ  
 يَا نَدِيمِي إِلَى الْكُؤُودِ  
 سِوَا مُنْشِدٍ أَنْشُدِ

(١) من مغني العصر الأموي.

زِدْ لِي الْخَمْرَ كَأَمَّا  
قُلْتُ: «يَا صَاحِبِي زِدْ»  
لَا تَقْلُ أَيُّ مَوْسِمٍ  
ذَا، فَذَا يَوْمٌ مَوْلَدِي!  
أَنَا، مَا زِلْتُ فِي الْحَيَاةِ،  
لِي شَبَابِي وَسُؤْدَدِي  
وَلُجْجِي وَعَسْجَدِي  
وَحَالِي وَمَحْتَدِي  
إِنَّمَا «تِلْكَ» أَخْلَفْتُ  
قَبْلَ لَيْلِ مَوْعِدِي  
لَمْ تَكُنْ .. لَا، وَإِنَّمَا  
أَصْبَحْتُ فِي سَوَى يَدِي!



أَفَنُحْهُ الْحَبَّ أَنَّهُ  
فِي قَلْبِ وَأَكْبَدِ  
فَهُوَ كَالنَّارِ لَمْ تَدْمُ  
فِي هَشِيمِ لَوْقِدِ!



## ٤٠. الشباب والحب

[الطويل]

بكيت الصَّبَا من قبل أن يذهب الصَّبَا  
فيا ليت شعري ما تقول إذا ولي؟  
توهَّمته يَبْقَى إذا أنت صُنَّته  
عن الشفة الحمراء والمُقْلَة الكحلا  
وخلت الهوى جهلاً فلم يَكُن الهدى  
أخيراً سوى الأمر الذي خَلَّته جهلا  
خشيت عليه أن يطوِّحه الهوى  
فألقاك هذا الخوف في الهوة السفلى  
أُلجم ماء النهر عن جريانه  
مخافة أن يفنى؟ إذن فاشرب الوحلا  
سيبلى الصَّبَا مهما حرَّصت على الصَّبَا  
فدعه يذوق الحب من قبل أن يَبْلَى



فما ديمة صَبَّت على الصخر ماءها  
فما أنبتت زهراً ولا أطلعت بَقلا  
بأضيع من بُرد الشباب على امرئ  
إذا استطعمته النفس أطعمها العذلاً  
فلا تك مثل الأقحوانة راعها  
من الحقل أن تُجنى فلم تسكن الحقلا  
وأعجب بها الوادي فلاذت بقاعه  
فجاء عليها السيل في الليل واستتلى



فما عانقتُ نورَ الكواكبِ في الدُّجَى  
ولا لثمتُ فجرًا ولا رشفتُ طَلًا  
وزالتْ فلم يستشعرِ النورُ والندى  
على فَقْدِها غمًّا كأنْ لم تكن قبلاً  
ولا تكُ كالصِّدَاحِ إذ خالَ أنه  
إذا انْخَرَّ الألحانَ أكسبها نُبلاً  
فضنَّ بها والشمسُ تنثرُ تَبْرَها  
وفضَّتها والأرضُ ضاحكةٌ جَذلى  
فلما مضى نورُ الربيعِ عن الربأِ  
ودبَّ إلى أزهارها الموتُ مُنْسَلًا  
تحفُّزَ كي يشدو فلم يلقَ حَوْلَهُ  
سوى الورقِ الهاوي كأحلامه القَتلى!

\*\*\*\*

## ٤١ - الغابة المفقودة

[السريع]

يا لهفة النفس على غابة  
كنت وهنداً نلتقي فيها  
أنا كما شاء الهوى والصبا  
وهي كما شاءت أمانيتها  
تكاد من لطف معانيها  
يشربها خاطر رائيها  
أمنت بالله وأياته  
أليس أن الله باريها؟



نُباغت الأزهار عند الضحى  
متكئات في نواحيها  
ألوى على الزنبق نسرينها  
والتف عاريها بكاسيتها  
واختلجت في الشمس ألوانها  
كأنها تذكر ماضيها  
تألفت فالماً من حولها  
يرقص، والطير تغنيها  
من لقن الطير أناشيدها؟  
وعلم الزهر تأخيها؟  
يا هند هذي معجزات الهوى  
وانها فينا كما فيها

لا يستحي الزهرُ بإعلانها  
 فما لنا نحن نُوارِيها؟  
 وتهتِفُ الطيرُ بها في الربُّا  
 فما لنا نحن نُعمِّيها؟  
 لله في الغابةِ أيّامُنا  
 ما عابَها إلاّ تلاشيها  
 طوراً علينا ظلُّ أدواحيها  
 وتارةً عطفُ دواليها  
 وتارةً نلهو بأعنانِها  
 وتارةً نُحصي أقاحيها  
 تسكتُ إذ نشكو شحاريرُها  
 كأنّما التغريدُ يؤذِيها  
 وإنّ تضحكُنا سَمعنا الصدى  
 يضحكُ معنا في أقاصِيها  
 وإنّ مَشِينا فوق كُتُبَانِها  
 لاحَتْ فَشَاقَتْنَا أدانيها  
 وفوقنا الأغصانُ معقودةٌ  
 ذوائبُ طال تدلِّيها  
 إذا هَزَزْنَاهَا على غِرَّةٍ  
 ألقتْ من الذُّعْرِ لآليها  
 نسيرُ من كهفٍ إلى جدولٍ  
 نكتشفُ الأرضَ ونطويها  
 والنورُ عطرُ في تعاريجِها  
 والعطرُ نورُ في حواشيها  
 وتختبي هندُ فاشتاقها  
 وأختبي عنها فأغريها

كم أُوهِمْتُني الخوفَ من طاريٍّ  
تُشجِي بذا نفسي فتُشجِيها  
فرُحْتُ أعدو نحوَهَا مُشفَقاً  
فكان ما حاذرتُ تمويها!  
فَاعْجَبْ لأطواري وأطوارها  
تَعَبْتُ مِنِّي وَأَجَارِيها!



اللهَ لو دَامَ زَمَانُ الهَوَى  
ودَامَ من هَنَدٍ تَجَنَّبُها  
لا غَابَتِي اليومَ كعهدي بها  
ولا التي أَحْبَبْتُها فيها  
ولا تَلالُ كَنهْودِ الدُّمَى  
ولا سَفوحُ كَتَرِاقِيها<sup>(١)</sup>  
ولا الندى دَرَّ على عُشْبِها  
ولا الأَقاحي في روابِيها  
ولا الخُحى يُلقِي على أرضِها  
شِبَاكَ تَبَرٍّ مِنْ أعاليها  
أهْبَطَنِي أَمْسٍ إلى حِضْنِها  
شوقي إلى سَجْعِ قُمَارِيها<sup>(٢)</sup>  
فلم تخمُّشني بأوراقِها  
ولم تهلِّلْ لي سواقِيها  
قد بَدَّلَ الإنْسَانُ أطوارها  
واغتصبَ الطيرُ مأويها

(١) الترقوة: العظم بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) القُمري: طائر يشبه الحمام (والجمع: القماري).

وفت بالبارودِ جُلمودَهَا  
واجتث بالفأسِ دواليها  
وشادَ من أحجارها قريةً  
سكَّانُها الناسُ وأهلوها  
يا لهفةَ النفسِ على غابةٍ  
كنتُ وهنداً نلتقي فيها  
جنَّةُ أحلامي وأحلامِها  
ودارُ حبي وتصابيها  
نبكي من اليأسِ على شوكتها  
وكان يُدميني ويُدْمِيها  
كانت تُغطِّينا بأوراقها  
فصارت الدُّورُ تغطِّيها!

\*\*\*\*

## ٤٢ - أبو غازي

[الوافر]

أَبَا غَازِي السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنَّا  
وعَفَوْا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ  
فَمَا ضَاقَ الْكَلَامُ بِنَا وَلَكِنْ  
وَجَدْنَا الْحَزْنَ أَرْخَصَهُ الْكَلَامُ  
وخطبُكَ لَا يَفِيهِ دَمْعُ بَاكِ  
ولو أَنَّ الَّذِي يَبْكِي الْغَمَامَ  
ونحنُ أَحَقُّ أَنْ نُبْكِيَ وَنُورِثِي  
فمَوْتُكَ مِنْ بَنِي الْعُرْبِ انْتِقَامُ  
خَبَا نَبْرَاسُنَا، وَاللَّيْلُ دَاجٍ،  
ومَوْجُ الْحَادِثَاتِ لَهُ الْتِطَامُ  
وكنْتَ لَنَا الدَّلِيلَ، فغَبْتَ عَنَّا  
وكنْتَ حُسَامَنَا، فَنبَا الْحُسَامُ!  
كَأَنَّكَ قَدْ وَتَرْتَ الْمَوْتَ قِدْمًا  
وهَابَكَ فِي كِنَانَتِكَ السُّهَامُ  
فدَبَّ إِلَيْكَ مِثْلُ اللَّصِّ لَيْلًا  
وكانَ الْمَوْتُ لَيْسَ لَهُ ذِمَامُ  
طَوَى الدُّنْيَا نَعْيُكَ فِي ثَوَانِ  
فَرِيعِ الْبَيْتِ وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ  
و«دَجَالَةٌ» كَالطَّعِينِ لَهُ أَنْيْنُ  
وفي «بَرْدَى» التِّيَاعُ وَاضْطِرَامُ

وَرَحْنَا بَيْنَ مَصْعُوقٍ وَسَاهٍ  
 كَمَنْ صَرَعَتْ عَقُولُهُمُ الْمُدَامُ  
 كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ مَادَتْ وَقُضَّتْ  
 عَنْ الْمَوْتِ الصَّفَائِحُ وَالرَّجَامُ<sup>(١)</sup>  
 فَمَنْ لِلْبَيْضِ<sup>(٢)</sup> وَالْجُرْدِ الْمَذَاكِي<sup>(٣)</sup>؟  
 وَ«فِيصْلُ» بَاتَ يَحْوِيهِ الرَّغَامُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمَنْ لِلْحَقِّ يَنْشُرُهُ لَوَاءً  
 بِهِ لِلنَّاسِ هَدْيٌ وَاعْتِصَامُ  
 تَوَارِي الْمَجْدُ فِي كَفَنٍ وَلَحْدُ  
 وَغَابَتْ فِي التُّرَابِ مُنَى عِظَامِ  
 مَضَى وَحْدَيْتُهُ فِي النَّاسِ بَاقٍ  
 كَعُمُرِ الشَّمْسِ لَيْسَ لَهُ انْتِصَامُ  
 فَيَا جَدَثًا حَوَاهُ لَسْتُ قَبْرًا  
 وَلَكِنْ أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَسَامُ



حَيَاتُكَ « يَا أَبَا غَازِي » حَيَاةٌ  
 كَفَصْلِ الصَّيْفِ: زَهْرٌ وَابْتِسَامُ  
 وَقَدْ تُحْصَى الْكَوَاكِبُ وَالْأَقَاخِي  
 وَلَا تُحْصَى أَيْادِيكَ الْجِسَامُ  
 مَدَدْتَ إِلَى مُنَى الْعَرَبِ الْغَوَافِي  
 يَدًا، فَتَفْتَقَتْ عَنْهَا الْكِمَامُ  
 وَأَمْسَى بَنَدُهُمْ<sup>(٥)</sup> وَلَهُ خُفُوقُ  
 وَأَمْسَى عِقْدُهُمْ وَلَهُ نِظَامُ

(١) حجارة ضخام تجمع على القبور.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) الجرد المذاكي: الخيل الأصيلة.

(٤) التراب.

(٥) العلم أو الراية.

وكم أسقمتَ جسمَكَ كي يَصحُّوا  
وحالفتَ السُّهادَ وهمُ نيام  
وكم جازيتَ عن شرٍّ بخيرٍ  
وكم جازاكَ بالغدرِ الأنام  
خُذلتَ فما عَتَبْتَ على صديقٍ  
ولم تحنِّقْ وقد كَثُرَ المَلَام  
وكم قد فُزتَ في حربٍ وسَلِمَ  
فلم يلعبْ بِعطفِكَ العُرام<sup>(١)</sup>  
خلائقُ مَنْ له عِرْقُ كَرِيمٍ  
وخطُّهُ مَنْ له قلبٌ عِصَام  
خذوا الخُلُقَ الرفيعَ من الصَّحَارَى  
فإنَّ النفسَ يُفسِدُهَا الزَّحَام  
وكم فَقَدْتَ جلالَتَهَا قِصُورُ  
ولم تفقِدْ مروءَتَهَا الخيام



وقالوا اندكَّ عرشُكَ في دمشقٍ  
كأنَّ العرشَ أخشابٌ تُقامُ  
وكيف تَهْدُ سُدَّتَكَ العَوالي  
ولم يسلبْكِهَا الموتُ الزَّوَام  
فما كان انتصارَهُمْ علاءً  
ولا كان انكسارُكَ فيه ذامٌ  
إذا لم تَنْصُرِ الأرواحَ مَلُكاً  
فأحسنُ ما حَوَى جِثَّتُ وهَام  
وما زالتْ لك الأرواحُ فييها  
وما زالتْ عشيرتُكَ الشَّام

---

(١) الحدة والشرس.



تصفقُ لاسمِكَ الأمواهُ فيها  
ويهتفُ في خمائلِها الحَمَام  
ويذكرُ أهلُها تلكَ السَّجَايا  
فيُشرقُ من تذكُّرِها الظلام  
وليس أحبُّ من حُرِّ مُؤاسٍ  
إلى شعبٍ يساءُ ويُستَضَام



فقلْ للسَّاخطينَ على الليالي  
ومَنْ سَكَنُوا على يأسٍ وناموا  
سينحَسِرُ الضُّبابُ عن الروابي  
ويبدو الوردُ فيها والخُزَام  
ويصفو جَوُّنا بعد انكدارٍ  
ويَسْقِي أرضَنا المطرُ الرَّهَام<sup>(١)</sup>  
ونرجِعُ أُمَّةً تُرجى وتُخشَى  
وإنْ كَرِهَ الزَّعَانفُ والطَّغَام



---

(١) الرهمة: المطر الدائم الصغير القطر.

## ٤٣ . فلسطين

[المقارب]

ديارُ السَّلامِ، وأرضُ الهنا  
يشقُّ على الكلِّ أنْ تحزنَّا  
فخطبُ فلسطينَ خطبُ العُلا  
وما كان رزءُ العُلاهيينا  
سَهْرُنَا له فكان السيوفُ  
تحزُّ بأكبادنا ههنا  
وكيف يزورُ الكرى أعيننا  
ترى حولها للردي أعيننا؟  
وكيف تطيبُ الحياةُ لقومٍ  
تُسدُّ عليهم دروبُ المني  
بلادهم عُرْضَةً للضياع  
وأمتهم عُرْضَةً للفنا  
يريدُ اليهودُ بأنْ يصلبوها  
وتأبى فلسطينُ أنْ تُذعننا  
وتأبى المروءةُ في أهلها  
وتأبى السيوفُ، وتأبى القنا  
أَرْضَ الخيـالِ وأيـاتِه  
وذاتَ الجلالِ، وذاتُ السَّـنـا  
تصيرُ لغوغائهم مسرحاً  
وتغدو لِشُذْذَانِهِم مَكْمَنا



بنفسي «أردنّها» السلسبيلُ  
 ومن جاوروا ذلك الأردننا  
 لقد دافعوا أمسِ دون الحمى  
 فكانت حروبهم حربنا  
 وجادوا بكلّ الذي عندهم  
 ونحن سنبذل ما عندنا  
 فقلّ لليهود وأشياءهم  
 لقد خدعتم بروق المني  
 ألا ليت «بلفور»<sup>(١)</sup> أعطاكم  
 بلاداً له لا بلاداً لنا  
 «فلندن» أرحب من قُدرنا  
 وأنتم أحبُّ إلى «لندننا»  
 ومنّاكم وطناً في النجوم  
 فلا عربيّ بتلك الدُّنا  
 أيسلب قومكم رشدهم  
 ويدعوهم قومكم محسنا!  
 ويدفع للموت بالأبرياء  
 ويحسبهُ معشر دينا!  
 ويا عجباً لكم توغرون  
 على العربِ «التامز والهدسنا»<sup>(٢)</sup>  
 وترمونهم بقبيح الكلام  
 وكانوا أحقّ بضافي الثنا  
 وكلُّ خطيئاتهم أنهم  
 يقولون: لا تسرقوا بيتنا

(١) اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا، وصاحب الوعد الذي وجهه إلى الثري اليهودي (روتشيلد).

(٢) نهر التايمز في بريطانيا. والهدسن: في أمريكا.

فليست فلسطينُ أرضاً مَشاعاً  
 فَتُعْطَى لمن شاء أن يَسْكُننا  
 فإنَّ تَطْلُبوها بِسُمْرِ القنا  
 نردُّكم بِطِوَالِ القَننا  
 ففي العربيِّ صفاتُ الأنام  
 سِوى أن يخافَ وأن يَجْبُننا  
 وإن تحجلوا بيننا بالخداع  
 فلن تَخْدَعُوا رجلاً مؤمناً  
 وإن تهجروها فذلك أولى  
 فإنَّ «فلسطين» مُلكُ لنا  
 وكانت لأجدادنا قَبْلَنا  
 وتبقى لأحفادنا بَعْدَنا  
 وإن لكم بسواها غِنى  
 وليس لنا بسواها غِنى  
 فلا تحسَبوها لكم موطناً  
 فلم تك يوماً لكم موطناً  
 وليس الذي نبتَغيه مُحالاً  
 وليس الذي رُمْتُم مُمكناً  
 نصحناكم فارعوها وانبذوا  
 «ببلفور» ذِيالك الأرعنا  
 وإمَّا أبيتُم فأُوصِيكمُ  
 بأن تحمِلوا معكم الأَكْفُننا  
 فإنَّا سنجعلُ من أرضها  
 لنا وطناً ولكم مَدْفَناً!

\*\*\*\*

## ٤٤ - الغبطة فكرة

[مجزوء الرمل]

أقبل العيْدُ، ولكنْ ليس في الناس المسرَّةُ  
لا أرى إلَّا وجوهاً كالبحاتِ مُكْفَهَرَه  
كالركايا<sup>(١)</sup> لم تدعْ فيها يدُ الماتحِ قطره  
أو كمِثْلِ الروضِ لم تتركْ به النكباءُ<sup>(٢)</sup> زهره  
وعيوناً دنَّقت<sup>(٣)</sup> فيها الأمانى المستَحَرَّة<sup>(٤)</sup>  
فهِيَ حَيْرَى ذاهلاتُ في الذي تهوى وتكره  
وخدوداً باهتاتٍ قد كساها الهمُّ صُفْرَه  
وشِفاهاً تحذرُ الضحكَ كأنَّ الضحكَ جَمْرَه  
ليس للقومِ حديثٌ غيرَ شكوى مُستمره  
قد تساوى عندهمُ لليأسِ نفعٌ ومضره  
لا تسَلْ ماذا عَراهمُ، كلُّهمُ يَجْهَلُ أمره  
حائرٌ كالطائرِ الخائفِ قد ضيَّعَ وكُره  
فوقه البازيُّ، والأشْرَاقُ في نجدٍ وحُفْرَه<sup>(٥)</sup>  
فهو إنْ حطَّ إلى الغبراءِ شكَّ السَّهمُ صدره  
وإذا ما طارَ لاقى قَشْعَمَ<sup>(٦)</sup> الجوِّ وصقره  
كلُّهم يبكي على الأمسِ ويخشى شرَّ «بُكره»

(١) الركبة: البئر.

(٢) الريح.

(٣) دنَّقت العين: غارت، والوجه هزل.

(٤) المرتفعة الحرارة لقوتها (المستعرة).

(٥) يريد الأرض العالية، والحفرة الغائرة في الأرض.

فَهُمْ مِثْلُ عَجُوزٍ فَقَدَتْ فِي الْبَحْرِ إِبْرَهُ  
أَيُّهَا الشَّاكِي الْيَالِي إِنَّمَا الْغِبْطَةُ فِكْرُهُ  
رَبِمَا اسْتَوْطَنْتِ الْكُوخَ وَمَا فِي الْكُوخِ كَسْرُهُ  
وَخَلَتْ مِنْهَا الْقُصُورُ الْعَالِيَاتُ الْمُشْمَخِرُهُ  
تَلْمَسُ الْغُصْنَ الْمَعْرَى فَإِذَا فِي الْغُصْنِ نَضْرُهُ  
وَإِذَا رَفَّتْ عَلَى الْقَفْرِ اسْتَوَى مَاءٌ وَخُضْرُهُ  
وَإِذَا مَسَّتْ حَصَاةً صَقَلَتْهَا فَهِيَ دُرُّهُ  
لَكَ، مَا دَامَتْ لَكَ، الْأَرْضُ وَمَا فَوْقَ الْمَجَرِّهِ  
فَإِذَا ضَيَّعَتْهَا فَالْكَوْنُ لَا يَعْدِلُ ذَرَّةَ  
أَيُّهَا الْبَاكِي رَوِيداً لَا يَسُدُّ الدَّمْعُ تُغْرُهُ  
أَيُّهَا الْعَابِسُ لَنْ تُعْطَى عَلَى التَّقْطِيبِ أُجْرُهُ!  
لَا تَكُنْ مُرّاً، وَلَا تَجْعَلْ حَيَاةَ الْغَيْرِ مُرَّهُ  
إِنَّ مَنْ يَبْكِي لَهُ حَوْلٌ عَلَى الضَّحْكِ وَقُدْرُهُ  
فَتَهَلَّلْ وَتَرَنَّمْ فَالْفَتَى الْعَابِسُ صَخْرُهُ  
سَكَنَ الدَّهْرُ وَحَانَتْ غَفْلَتُهُ مِنْهُ وَغَرَّهُ  
إِنَّهُ الْعَيْدُ.. وَإِنَّ الْعَيْدَ مِثْلُ الْعُرْسِ مُرَّهُ

\*\*\*\*

## ٤٥. الفتى الأفضل (معربة)

[المقارب]

مضى زمنٌ كان فيه الفتى  
يُباهي بما قومه أثلوا<sup>(١)</sup>  
ويرفعه في عيون الأنام  
ويخفض من قدره المُنزلُ  
فلا تقعدن عن طلاب العُلا  
وتعذل بلادك إذ تُعذل<sup>(٢)</sup>  
فإن الخلاق حتى عداك  
متى ما سبقتهم هألوا  
فثابروا بجدٍّ على نيلها  
فليس يخيبُ الذي يعمل  
وكن رجلاً ناهضاً ينتمي  
إلى نفسه عندما يُسأل  
فلست الثياب التي ترتدي  
ولست « الأسامي » التي تحمل  
ولست البلاد التي أنبتتكَ  
ولكنما أنتَ ما تفعلُ  
إذا كُنْتَ من وطنٍ خاملٍ  
وفُزْتَ فأنتَ الفتى الأفضل

\*\*\*\*

(١) من الأثلة: وهي أصل كل شيء. والتأثيل: التعظيم والتمكين.

(٢) من العذل: اللوم.

## ٤٦ - مَنْ أَنَا

[المتقارب]

أنا، مَنْ أَنَا يَا تُرَى، فِي الْوُجُودِ؟  
وَمَا هُوَ شَأْنِي وَمَا مَوْضِعِي؟  
أَنَا قَطْرَةٌ لَمَعَتْ فِي الْخُضَى  
قَلِيلًا عَلَى ضِفَّةِ الْمَشْرِعِ<sup>(١)</sup>  
سَيَأْتِي عَلَيْهَا الْمَسَاءُ فَتَغْدُو  
كَأَنَّ لَمْ تُرْقِرْ وَلَمْ تَلْمَعَ  
أَنَا نَغْمَةٌ وَقَعَتْهَا الْحَيَاةُ  
لَمْ قَدْ يَلْعِي وَلَمْ لَا يَلْعِي  
سَيَمْشِي عَلَيْهَا السَّكُوتُ فَتُمْسِي  
كَأَنَّ لَمْ تَمُرَّ عَلَى مَسْمَعٍ  
أَنَا شَبَّحٌ رَاكِضٌ مُسْرِعٌ  
مَعَ الزَّمَنِ الرَّاكِضِ الْمُسْرِعِ  
سَيُرْخَى عَلَيْهِ السَّتَارُ وَيَخْفَى  
كَأَنَّ لَمْ يَجِدْ وَلَمْ يُهْطَعْ<sup>(٢)</sup>  
أَنَا مَوْجَةٌ دَفَعَتْهَا الْحَيَاةُ  
إِلَى أَوْسَعِ فَرَسٍ إِلَى أَوْسَعِ  
سَتَنْحَلُّ فِي الشَّطِّ عَمَّا قَلِيلٍ  
كَأَنَّ لَمْ تَدْفَعْ وَلَمْ تُدْفَعْ

(١) يريد: مشرعة الماء، مورد الشاربة.

(٢) أھطع في عدوه: أسرع.



فـيـا قـلـبُ لا تـغـتـرِ بِالشَّبابِ  
 ويا نـفـسُ بالخُلْدِ لا تـطـمـعـي  
 فـإن الكـهـولـةَ تـمـضـي كـما  
 تـولـى الشـبـابُ ولم يـرجـعِ  
 و لكن فـيـها جـمـالاً بـديعاً  
 وفـيـها حـنـينٌ إلـى الأبدع  
 و من لا يـرى الحُسنَ في ما يـراهُ  
 فـما هـو بالرجـلِ الألعـي  
 بـني و طـنـي من أنا في الوجودِ،  
 و ما هـو شـأني و ما مـوضـيعي؟  
 أنا أنـتـمُ إن ضـحـكـتـمُ لأمرٍ  
 ضـحـكـتُ، وأدمعـتـمُ أدمـعـي  
 و مُطـربُ أرواحـكـمُ مُطـربـي  
 و مـوجـعُ أكـبادكـمُ مـوجـعـي  
 أما نـحنُ مِن مـصـدرٍ و احـدٍ  
 ألسـنـا جـمـيعاً إلـى مـرجـعٍ؟  
 رـفـعـتـمُ مـقـامـي و أعـلـيـتـمـوهُ  
 لـمّا قـد صـنـعـتـمُ ولم أصـنـعِ  
 أحـقُّ بـأكـرامـكـمُ طـائـرُ  
 يُغـرِّدُ في الرـوضِ و البـلـقـعِ  
 و أولـى بـه كـوكـبُ طـالـعٍ  
 عـلـى سـهـدٍ و عـلـى هـجـعٍ  
 أنا و احـدٌ مـنـكـمُ يا نـجـومَ  
 بـلـادي، مـتـى تـسـطـعـوا أسـطـعِ  
 فـمـن قـام يـمـدحـني بـيـنـكـمُ  
 فـقـد تـمـدحُ الكـفُّ بالإصـبعِ

وما الغيثُ غيرُ الخضمِّ، وليس  
الغديرُ سوى السُّحْبِ الهُمِّعِ<sup>(١)</sup>  
فلولاكم لم أكن بالخطيبِ  
ولا الشاعرِ السَّاحِرِ المبدعِ  
أنا الآن في سَكْرَةٍ لا أعِي  
فيا ليتني دائماً لا أعِي  
فذي ليلةً بجميعِ الزمانِ  
إذا كان في الدهرِ من أجمعِ  
فيا أيها الليلُ باللهِ قفْ  
ويا أيها الصبحُ لا تطلُعِ  
إذا كنتُ قد بِنْتُ عن مَرْبِعي  
فإني وجدتُ بكم مَرْبِعي<sup>(٢)</sup>  
يميناً سأحملُ في أضلعي  
هواكم ما بقيتُ أضلعي  
وأشكرُكم بلسانِ النسائمِ  
والروضِ والجدولِ المُتَرَعِ  
فلا عذرَ للطيرِ إمّا رأى  
جمالَ الربيعِ ولم يسجَعِ  
إذا لم أكن معكم في غَدِ  
فإني سأمضي وأنتم معي

\*\*\*\*

---

(١) همع: سال.

(٢) المنزل والمحلة.

## ٤٧ - كمنجة الشَّوَا

[السريع]

كمنجَة «الشَّوَا» عليك السَّلَامُ  
بهيكَلِ الوَحْيِ وعَرشِ الغَرَامِ  
فيكِ التَّقَتُ أرواحُ أهلِ الهوى  
نجوى وشكوى وبُكا وابتسام  
وأودعتُ فيكِ الصَّبَا هَمْسَهَا  
وخبَّأَ الأسرارَ فيكِ الظلام  
وذابَ فيكِ الحبُّ ذوبَ النَّدى  
في مَبْسَمٍ<sup>(١)</sup> الوردِ وجفنِ الخُزامِ  
رُدِّي إلينا اليومَ دنيا الرُّوى  
فإننا نشقى بدنيا الحُطامِ  
أجنحةُ الأشواقِ مقصوصةٌ  
أو موثَّقاتٌ، والأمانِي رِمَامِ<sup>(٢)</sup>  
قد انقضى العمرُ وأرواحُنا  
مفطومَةٌ بالحرصِ، بنَسِ الفِطامِ  
ننأى عن الحُسْنِ ونشتاقُه  
ونَهْجُرُ الماءَ ونشكو الأَوَامِ<sup>(٣)</sup>  
ويبعثُ الحقلُ إلينا الشَّدَا  
ونحنَ لا نَنشِقُ إلا الرِّغَامِ<sup>(٤)</sup>

(١) الثَّغَرُ.

(٢) البَقَايا.

(٣) العطش الشديد.

نَسِيرُ وَالْأَضْوَاءُ مِنْ حَوْلِنَا  
كَأَنَّنا فِي هَبْوَةٍ أَوْ قَتَامٍ<sup>(١)</sup>  
وَالْمَاءُ يَجْرِي حَوْلِنَا كَوْثَرًا  
وَنَحْنُ نَسْتَسْقِي السَّحَابَ الْجَهَامَ<sup>(٢)</sup>  
وَنَسْهَرُ اللَّيْلَ لِغَيْرِ الْهَوَى  
مَا تَنْفَعُ الْيَقْظَةُ وَالْقَلْبُ نَامَ  
حَتَّى نَسِينَا كَيْفَ لَوْنُ الضَّحَى  
وَلَمْ نَعُدْ نَذْكُرْ سَجْعَ الْحَمَامِ  
خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَةِ عِنْدِي الْكَرَى  
إِنْ كَانَتْ الْغِبْطَةُ بَنَتْ الْمَنَامَ  
خِلْنَا الْهَوَى تَرْجِعُ أَيَّامُهُ  
لَمْ يَرْجِعِ الْحُبُّ وَلَا الْمَالُ دَامَ  
فِيَا فَتَى «الشَّهْبَاءِ» يَا شَاعِرًا  
قَدْ رَفَعَ الْفَنُّ لِأَسْمَى مَقَامَ  
رَجَعْتَ بِالسَّحْرِ وَكَانَ انْطَوَى  
وَجِئْتَنَا بِالْوَحْيِ فِي غَيْرِ جَامِ  
هَذَا عَصِيرُ الْوَحْيِ فِي آلَةٍ  
خَرَسَاءَ يَجْرِي فِتْنًا لِلْأَنَامِ  
فَإِنْ تَجِدْنَا حَوْلَهَا عُكْفًا  
فَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ  
فَدَغْدَغِ الْأَوْتَارَ لَا تَكْتَرِثُ  
أَنْ تَذْهَبَ الْفِتْنَةُ بِالْإِحْتِشَامِ

(١) الهبوة: الغبار، والقتام مثله.

(٢) السحاب الذي لا ماء فيه.

سَعَادَةُ الْأَنْفُسِ فِي نَشْوَةِ  
مِنْ صَوْرَةٍ أَوْ نَغَمٍ أَوْ مُدَامٍ  
وَقُلْ لِمَنْ يَحْذَرُ أَنْ يَشْتَكِيَ  
وَيَحْبِسُ الدَّمْعَ لَيْلًا يُلَامِ  
اسْمِعْ! فَهَذَا وَتَرُنَائِحُ  
وَانْظُرْ! فَهَذَا خَشَبٌ مُسْتَهَامٌ



نِيُويُورِكُ! يَا ذَاتَ الْبُرُوجِ الَّتِي  
سَمَتْ وَطَالَتْ كَيْ تَمْسُ الْغَمَامُ  
لَنْ تَبْلُغِي وَاللَّهِ بَابَ السَّمَاءِ  
إِلَّا بِأَوْتَارِ كِنَارِ الشَّامِ  
فَاصْغِي إِلَى أَلْحَانِهِ لِحِظَةٍ  
تَحْتَ قِرِي كُلِّ صَنُوفِ الْكَلَامِ  
وَتَدْرِكِي أَنْ قِصُورَ الْمُنَى  
تَبْقَى وَتَنْهَدُ قِصُورَ الرَّجَامِ<sup>(١)</sup>  
فَرَحِّبِي مَعْنَا بِهِ وَاهْتِفِي:  
هَذَا أَمِيرُ الْفَنِّ، هَذَا الْإِمَامُ!



---

(١) حجارة ضخام قد تجمع على القبر.

## ٤٨ - إذا

[الهمزج]

إذا جَدَفْتَ جُوزِيَتَ عَلَى التَّجْدِيفِ بِالنَّارِ  
وإن أَحَبَبَّتْ عُيَّيْرَتَ مِنَ الْجَّارَةِ وَالْجَّارِ  
وإن قَامَرْتَ أَوْ رَاهَنْتَ فِي النَّادِي أَوْ الدَّارِ  
فَأَنْتَ الرَّجُلُ الْأَثَمُ عِنْدَ النَّاسِ وَالْبَارِي



وإن تَسَكَّرَ لَكِي تَنْسَى هُمُومًا ذَاتَ أَوْقَارِ  
خَسِرْتَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا وَلَمْ تَرْبِحْ سِوَى الْعَارِ



وإن قُلْتَ: إِنَّ فَالْعَاشِ أَوْزَارُ بَأْوَزَارِ  
وإنَّ الْمَوْتَ أَشْهَى لِي إِذَا لَمْ أَقْضِ أَوْطَارِي  
وَأَسْرَعْتَ إِلَى السَّيْفِ أَوْ السُّمِّ أَوْ النَّارِ  
لَكِي تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَا ذَوُوهَا غَيْرُ أَحْرَارِ  
فَهَذَا الْمَنْكَرُ الْأَعْظَمُ فِي سِرٍّ وَإِضْمَارِ  
إِنَّ فَاحِيَّ وَمَتَّ كَالنَّاسِ: عَبْدًا غَيْرَ مُخْتَارِ!



## ٤٩ - شبح

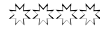
[الكامل]

رسالة من لبنان إلى أبنائه المهاجرين، قالها في حفلة.  
بأبي خيالٍ لاح لي متلففاً  
بعبابة من عهدٍ فخر الدين  
يمشي على مهلٍ ويرسل طرفة  
في حيرة المستوحش الحزون  
من أنت يا شبحاً كئيباً صامتاً؟  
قل لي فأئك قد أثرت شجوني  
أخيالٍ خصمٍ أتقي نزواته؟  
أم أنت يا هذا خيالٍ خدين؟  
فأجابني مترقفاً متحبباً  
فسمعت صوت أبٍ أبر حنون



يا شاعري قل للألى هجروني  
أنا ما نسيتكم فلا تنسوني  
ما بالكم طولتم حبل النوى  
يا ليت هذا الحبل غير متين  
قد طفتم الدنيا فهل شاهدتم  
جبلاً عليه مهابتي وسكوني؟  
أوردتم كمناهلي؟ أنشقتم  
كأزاهري في الحُسن والتلوين؟  
ولقد تظلمتم بأشجار فهل  
رقت غصون فوقكم كغصوني؟

وَسَمِعْتُمْ شَتَّى الطَّيُورِ صَوَادِحاً  
أَسْمَعْتُمْ أَشْجَى مِنَ الْحُسُونِ؟<sup>(١)</sup>  
هَلْ أَنْبَتَتْ كَالْأَرْضِ غَيْرِي بِقَعَةً  
فِي مَجْدِهِ وَجَلَالِهِ الْمَيْمُونِ؟  
أَرَأَيْتُمْ، فِي مَا رَأَيْتُمْ، فِتْنَةً  
كَالْبَدْرِ حِينَ يُطْلُ مِنْ صَنِينِ؟<sup>(٢)</sup>  
أَوْ كَالْغَزَالَةِ وَهِيَ تَنْفُضُ تَبْرَهَا  
عِنْدَ الْمَغِيبِ عَلَى ذُرَا حَرْمُونِ؟<sup>(٣)</sup>  
مَرَّتْ قُرُونٌ وَانْطَوَتْ وَكَأَنَّني  
لِحَاسِنِي كُؤِنْتُ مِنْذُ سَنَيْنِ  
أَبْلَيْتُهَا وَبَقَيْتُ، إِلَّا أَنِّي  
لِلشَّوْقِ كَادَ غِيَابَكُمْ يُبْلِينِي



لِبْنَانُ! لَا تَعْذِلْ بَنِيكَ إِذَا هُمْ  
رَكَبُوا إِلَى الْعُلِيَاءِ كُلِّ سَافِينِ  
لَمْ يَهْجُرُوكَ مَلَالَةً لَكُنَّ هُمْ  
خُلِقُوا لَصِيدِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ  
وَرَثُوا اقْتِحَامَ الْبَحْرِ عَنْ فِينِيقِيَا  
أَمْ الثَّقَافَةِ مَصْدَرِ التَّمْدِينِ  
لَمَّا وَلَدَتْهُمْ نَسُوراً حَلَّقُوا  
لَا يَقْنَعُونَ مِنَ الْعُلَا بِالْدُّونِ  
وَالنَّسْرُ لَا يَرْضَى السَّجُونَ وَإِنْ تَكُنْ  
ذَهَباً، فَكَيْفَ مُحَابِسٌ مِنْ طِينِ

(١) الطائر الحسن الصوت.

(٢) الجبل، في المتن الشمالي من لبنان.

(٣) الجبل (حرمون).



الأرضُ للحشراتِ تزحفُ فوقها  
والجوُّ للبازيِّ والشَّاهين<sup>(١)</sup>



فأجابني والدمعُ ملءُ جفونه  
كم ذا تسأليني ولا تُسأليني؟<sup>(٢)</sup>  
أنا كالعرينِ اليومَ غابَ أسوده  
وتفرّقوا عنه لكلِّ عرين  
الأرمنيُّ على سفوحٍ والرُّبا  
يبني الحصونَ لنفسه بحصوني  
وبنو يهوذا ينصبونَ خيامَهُمْ  
في ظلِّ أوديتي وفوق حُزوني<sup>(٣)</sup>  
وبنيَّ عني غافلونَ كأتني  
قد صرْتُ في الأشياءِ غيرَ ثمين  
أنتم ديونٌ لي على أميركا  
ومن المروءة أن تُردَّ ديوني  
أو ليس من سُخْرِ القضاءِ وهُزْته  
أنْ يأخذَ المُثري من المسكينِ؟  
عودوا فإنَّ المالَ لا يُغنيكمُ  
عني، ولا هو عنكم يُغنيني



فشجيتُ ممَّا قاله لكنني  
لمَّا رأيتمُ نسيتُ شُجوني  
لبنانُ فيكم مائلٌ إن كنتمُ  
في مصرَ أو في الهندِ أو في الصَّينِ

(١) من الطيور التي تُطلق للصيد.

(٢) أسلاهُ: كشف عن همه.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض.

إِنْ بِنْتُمْ عَنْهُ فَمَا زَالِ الْهُوَى  
يُدْنِيكُمْ مِنْهُ كَمَا يُدْنِيَنِي  
وَحَرَآكُكُمْ<sup>(١)</sup> لِعَلَّائِهِ وَسَكُونُكُمْ،  
وَالِي تَرَاهُ حَنِينُكُمْ وَحَنِيَنِي  
لَوْ أَمَسَتْ الدُّنْيَا لِغَيْرِي كُلُّهَا  
وَرَبَّاهُ لِي، مَا كُنْتُ بِالْمَغْبُونِ  
أَنَا فِي حِمَاكُمْ طَائِرٌ مُتَرَنِّمٌ  
بَيْنَ الْأَقْحَاحِ الْغَضُّ وَالنَّسْرَيْنِ  
أَنْتُمْ بَنُو وَطَنِي وَأَنْتُمْ إِخْوَتِي  
وَأَنَا أَمْرُ دِينِ الْمَحَبَّةِ دِينِي

\*\*\*\*

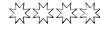
---

(١) الحركة.

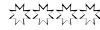
## ٥٠ - أنا وابني

[مجزوء الرمل]

قالَ ابْنِي وَهُوَ حَيْرَانُ بِمَا يُحْكِي وَيُقْرَأُ  
كَيْفَ كَانَ اللَّهُ؟ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ اللَّهَ سِرًّا  
أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ بِهِ خَيْرًا وَشَرًّا  
فَأَفْدَنِي . قُلْتُ: يَا ابْنِي أَنَا مِثْلُ النَّاسِ طُرًّا  
لِي فِي الصَّحَّةِ آراءٌ وَفِي الْعِلَّةِ أُخْرَى  
كَلَّمَا زَحْزَحْتُ سِتْرًا خَلَّتْنِي أُسْدِلْ سِتْرًا  
لَسْتُ أَدْرِي مِنْكَ بِالْأَمْرِ وَلَا غَيْرِي أَدْرِي!



أَحْسَبُ اللَّهَ الَّذِي صَاغَ مِنَ الذَّرَاتِ صَخْرًا  
وَالَّذِي شَاءَ فَصَارَتْ قَطْرَاتُ الْمَاءِ بَحْرًا  
وَالَّذِي شَاءَ فَضُمَّ الْبَحْرُ أَصْدَافًا وَدُرًّا  
وَأَرَادَ الضَّوْءَ أَجْرَامًا فَصَارَ الضَّوْءُ زُهْرًا<sup>(١)</sup>  
إِنَّ هَذَا اللَّهَ لَمَّا شَاءَ هَذَا كَانَ « فِكْرًا »،



ثُمَّ لَمَّا نَظَّمَ الْأَلْوَانَ فِي الْأَرْضِ زَهْرًا  
وَرَأَى أَنْ يَعْلَنَ الْحُبَّ غِنَاءً وَحُبُّورًا  
فَتَمَشَّى فِي حَوَاشِي الْأَرْضِ سِحْرًا وَعُطُورًا  
وَتَهَادَى فِي حَوَاشِي الْأَفْقِ أَطْيَافًا وَنُورًا  
عِنْدَمَا أَوْجَدَ هَذَا كَانَ « حِسًّا وَشُعُورًا »



(١) الأنجم الزهر. والزُّهرة هي الكوكب الأبيض.

مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ جَبَّاراً وَفَتَّاكاً وَقَاهِرَ  
فَأَنَا أَهْوَاهُ رَسَّاماً وَفَنَّاناً، وَسَاحِرَ  
وَأَرَاهُ فِي النَّدَى وَالزَّهْرِ وَالشَّهْبِ السَّوَافِرِ  
فَإِذَا الْأَنْجُمُ غَارَتْ وَانْطَوَتْ كُلُّ الْأَزَاهِرِ  
وَتَلَّاشَى كُلُّ مَا أُنْشَا وَسَوَّى مِنْ مَنَاطِرِ  
لَا حَ لِي فِي حَسَنِهِ الْأَكْمَلِ فِي دِيْوَانِ شَاعِرِ!

\*\*\*\*

## ٥١ - عبد الله البستاني

[السريع]

يا مَيِّتاً فيه جمالُ الحياةُ  
ما حازَ منك اللحدُ إلا الرفاتُ  
أنت الفتى الباقي بآثاره  
ما أنتَ بالمرءِ إذا ماتَ مات!  
وكيف يمتدُّ إليك الردى  
وذاتكَ الحسناءُ في ألفِ ذات؟  
إذا اختفى في الوردِ لونُ الضحى  
فالذنبُ ذنبُ الأعينِ الناظرات  
يصوحُ الزهرُ ويبقى الشدا  
ويذهبُ المرءُ وتبقى الصِّفات



يا نائماً أغفى عن التُّرَّهاتِ  
إني وجدتُ الموتَ في التُّرَّهاتِ  
أإنْ مضى الشيءُ نقولُ انقضى  
إذن فمن أين تجيءُ الحياة؟  
أليس دنيا الصَّحْوَ دنيا الكرى  
ومثلُ ظلِّ العيشِ ظلُّ الممات؟  
تُقسِّمُ الأشياءُ أفهامُنَا  
وليسَت النخلةُ إلا النواة  
وفي الغدِ الأمْسُ، ولكنَّنا  
للجهلِ قلنا: الدهرُ ماضٍ وآت

بعضُ الردى فيه نجاةُ الفتى  
وربما كان الردى في النجاة



يا قَروياً عَظُمْتَ نَفْسُهُ  
حتى تَرْضَتْهَا نَفوسُ العُتَاةِ  
وحَسَدَتُهُ الصَّيْدُ فِي كُوخِهِ  
وحَسَدَتْ قَرِيَّتَهُ العاصِمَاتِ  
تلك السجايا لم تزل بيننا  
ساطعة كالأنجم الزاهرات  
وعلمك الزاخر باقٍ لنا  
ما بقيت في الأرض أم اللغات  
في أنفُسِ الناسِ وألبابِهِمْ  
وفي بطونِ السَّيَرِ الخالداتِ  
وفي تلاميذك أهلِ الحِجَا  
والأدبِ الجمِّ الجميلِ السُّمَاتِ  
من شاعرٍ كالروضِ أشعارُهُ  
تسمعُ همسَ الحبِّ فيه الفتاة  
وسامرٍ تحسبُ أقوالَهُ  
مسروقةً من مُقلِّ الغانياتِ  
وكاتبٍ تُشرقُ ألفاظُهُ  
كالدرِّ المختارةِ المُنتَقاةِ  
وصُحْبٍ<sup>(١)</sup> أخلاقُهُم كالمنى  
يروونَ عنك الحِكمَ الغالياتِ

---

(١) مثل عَجَزٍ وقُصْرٍ...

لَمْ يَخْتَرْمَكَ الْمَوْتُ يَا دُوحَةً  
بِاسْقَةٍ قَدْ خَلَّفَتْ بِاسْقَاتِ



يَا حُجَّةَ الْفُصْحَى وَدِهْقَانَهَا<sup>(١)</sup>  
وَبَحْرَهَا الطَّامِي وَشَيْخَ النَّقَاتِ  
«الضُّادُ» مِنْ بَعْدِكَ فِي مَائِمٍ  
حَاضِرُهَا وَالْأَعْصُرُ الْغَابِرَاتِ  
فَلَيْسَ فِي لَبْنَانَ غَيْرُ الْأَسَى  
وَلَيْسَ غَيْرُ الْحَزَنِ حَوْلَ الْفُرَاتِ  
فَمَنْ يَعْزِي جَبلاً وَاحِداً  
عَزَى الرُّوَاسِي فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ



سَلَخْتُهَا سَبْعِينَ مِنْ أَجْلِهَا  
فِي عَالَمِ الطُّرْسِ وَدُنْيَا الدُّوَاةِ  
النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ فِي قِيْلِهِمْ  
وَأَنْتَ كَالْعَابِدِ وَقْتَ الصَّلَاةِ  
غَنِيَتَ (بِالضُّادِ) وَأَسْرَارِهَا  
عَنِ الْغَوَانِي وَالطَّلَا وَالسُّقَاةِ  
أَنْتَ الَّذِي رَدَّ إِلَيْهَا الصَّبَا  
إِنَّ الْهَوَى يَجْتَرِحُ الْمَعْجَزَاتِ  
فَاخْتَلَجَتْ أَوْضَاعُهَا بِالْمَنَى  
وَجَاءَ مَاءُ الْحُسْنِ فِي الْمَفْرَدَاتِ  
وَلَهَجَتْ بِاسْمِكَ أَفَاقُهَا  
وَرَدَّدَتْهُ فِي الْبُؤَادِي الْحُدَاةِ

---

(١) التاجر (فارسي معرب).

وَحَنَنْتِ النَّوْقُ إِلَى سَمْعِهِ  
 وَطَرِبْتُ مِنْ ذِكْرِهِ الصَّافِنَاتُ<sup>(١)</sup>  
 فَيَا شَبَاباً يَطْلُبُونَ الْعُلَا  
 إِنَّ الْعُلَا لِلْأَنْفُسِ الْمَاضِيَاتِ  
 وَيَا فَقِيراً يَتَمَنَّى الْغِنَى  
 هَلَّا تَمَنَّيْتَ غِنَى الْمَكْرُمَاتِ؟  
 وَيَا سَرَاةً<sup>(٢)</sup> يَبْذُلُونَ اللَّهْيَ<sup>(٣)</sup>  
 هَذَا فَقِيرٌ كَانَ يَعْطِي السَّرَاةَ!  
 مِنْ رُوحِهِ لَا فَيُخِضُ أَمْوَالَهُ  
 إِنَّ هِبَاتِ الرُّوحِ أَسْمَى الْهَبَاتِ  
 لَا يَقْتَضِي قَاصِدَهُ حَمْدَهُ  
 وَيَشْكُرُ الْعَافِي<sup>(٤)</sup> الَّذِي قَالَ: هَاتِ  
 وَإِنْ مَضَى الْعَافُونَ عَنْ بَابِهِ  
 سَارَتْ عَطَايَاهُ وَرَاءَ الْعُفَاةِ  
 فَكَانَ كَالْكَوَاكِبِ يَمْشِي عَلَى  
 ضِيَائِهِ الرُّكْبُ وَذَنْبُ الْفَلَاةِ  
 وَكَانَ كَالْغَيْثِ إِذَا مَا هَمَى  
 أَصَابَ فِي الْأَرْضِ الْحَصَى وَالنَّبَاتِ  
 وَكَانَ كَالْيَنْبُوعِ يَرْتَادُهُ  
 ذُو الشَّيْمِ الْحَسَنِ وَذُو السَّيِّئَاتِ

(١) يريد الخيل (والصافن منها: القائم على ثلاث).

(٢) السري: الرئيس (والجمع: سَرَاة).

(٣) اللُّهْيُ: العطية، (والجمع: اللُّهْي).

(٤) السائل: (عفا الرجل: سأل).



وكالفضاءِ الرَّحْبِ في حِلْمِهِ  
يضطربُ البازي به والقَطَاةُ  
يا صاحبَ «البستان»<sup>(١)</sup> نمُ آمِناً  
فإنَّ في الموتِ زوالَ الشُّكَاةِ  
ما غاب ماءً غابَ تحتَ التُّرى  
فأُطْلِعَ النُّبْتَ وأحيا الموات

\*\*\*\*

---

(١) معجم (البستان) لعبد الله البستاني.

## ٥٢ - كم تشتكي

[الكامل]

قالها في مهرجان (بردجفيل)

كم تشتكي وتقول: إنك مُعْدِمٌ  
والأرضُ ملكُكَ والسَّماءُ والأنجمُ  
ولك الحقولُ وزهرها وأريجها  
ونسيمها والبلبلُ المترنمُ  
والماءُ حولك فضةٌ رَقَراقَةٌ  
والشمسُ فوقك عَسْجَدٌ يتضرَّمُ  
والنورُ يبني في السُّفوح وفي الذُّرَا  
دُوراً مزخرفةً، وحيناً يهدمُ  
فكأنَّه الفنَّانُ يعرضُ عابثاً  
آياته ، قُدَّامَ مَنْ يتعَلَّمُ  
وكأنَّه لصفائه وسنائه  
بحرٌ تعومُ به الطيورُ الحُومُ  
هشَّتْ لك الدنيا فمالك واجماً،  
وتبسَّمتُ فعلامَ لا تتبسَّمُ؟  
إن كنتَ مُكتئِباً لعزٍّ قد مضى  
هيهات يُرجعه إليك تندمُ  
أو كنتَ تُشفقُ من حلولِ مُصيبَةٍ  
هيهات يمنعُ أنْ تحلَّ تجهمُ  
أو كنتَ جاوزتَ الشبابَ فلا تقلُ  
شاخَ الزمانُ فإنه لا يهْرَمُ

انظرُ فما زالت تَطُلُّ من الثُّرى  
 صورُ تكادُ لحسنِها تتكَلَّمُ  
 ما بين أشجارٍ كأنَّ غصُونَهَا  
 أَيْدٍ تُصَفِّقُ تارةً وتُسَلِّمُ  
 وعيونُ ماءٍ دافقاتٍ في الثُّرى  
 تشفي السَّقِيمَ كأنما هي زمزم  
 ومسارحُ فُتْنِ النَّسِيمِ بحسنِها  
 فسَرَى يدندنُ تارةً ويهمهم  
 فكأنَّه صَبَّ ببابِ حبيبِهِ  
 متوسِّلُ مستعطِفٍ مُسترحِمِ  
 والجدولُ الجَذْلانُ يضحكُ لاهياً  
 والنرجسُ الولهانُ مُغْفٍ يَحْلُمُ  
 وعلى الصَّعيدِ مَلَأَةٌ من سُنْدُسٍ  
 وعلى الهضابِ لكلِّ حُسْنٍ مِبْسَمُ  
 فهنا مكانٌ بالأريجِ معطَّرُ  
 وهناك طودٌ بالشعاعِ مُعَمَّمُ  
 صُورٌ وآياتٌ تفيضُ بشاشةً  
 حتى كأنَّ اللهَ فيها يَبْسِمُ  
 فامشِ بعقلِكَ فوقها متفهِماً  
 إن المَلَحَةَ مِلْكُ من يتفهمُ  
 أتزورُ روحَكَ جَنَّةً فتَفُوتُها  
 كيما تزوركَ بالظُّنونِ جهنَّمَ  
 وترى الحقيقةَ هيكلًا متجسِّداً  
 فتعافُها لوساوسِ تَتَوَهَّمُ

يَا مَنْ يَحْنُ إِلَى غَدٍ فِي يَوْمِهِ  
قَدْ بَعْتَ مَا تَدْرِي بِمَا لَا تَعْلَمُ!



قَمِ بَادِرِ اللَّذَاتِ قَبْلَ فَوَاتِهَا  
مَا كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ هَذَا مُوسَمٌ  
وَأَشِرْ بِسِرِّ الْحَصْنِ سِرَّ شَبَابِهِ  
وَارَوْ أَحَادِيثَ الْمَرْوَةِ عَنْهُمْ  
الْمَعْرُضِينَ عَنِ الْخَنَا، فَإِذَا عَلَا  
صَوْتُ يَقُولُ: «إِلَى الْمَكَارِمِ» اقْدَمُوا  
الْفَاعِلِينَ الْخَيْرَ لَا لَطَمَاعَةٍ  
فِي مَغْنَمٍ، إِنَّ الْجَمِيلَ الْمَغْنَمِ  
أَنْتَ الْغَنِيُّ إِذَا ظَفَرْتَ بِصَاحِبِ  
مَنْهُمْ وَعِنْدَكَ لِلْعَوَاطِفِ مِجَنَّمٌ  
رَفَعُوا لِدِينِهِمْ لَوَاءً عَالِيًا  
وَلَهُمْ لَوَاءٌ فِي الْعُرُوبَةِ مُعْلَمٌ  
إِنْ حَازَ بَعْضُ النَّاسِ سَهْمًا فِي الْعُلَا  
فَلَهُمْ ضُرُوبٌ لَا تُعَدُّ وَأَسْهَمُ  
لَا فَضْلَ لِي إِنْ رَحْتُ أَعْلَنُ فَضْلَهُمْ  
بِقِصَائِي. إِنَّ الضَّحَى لَا يُكْتَمُ  
لَكِنِّي أَخْشَى مَقَالَةَ قَائِلِ  
هَذَا الَّذِي يُثْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ!  
أَحِبَّابُنَا مَا أَجْمَلَ الدُّنْيَا بِكُمْ!  
لَا تَقْبُحُ الدُّنْيَا وَفِيهَا أَنْتُمْ!



## ٥٣ - فلوريدا

[البسيط]

يا جِنَّةً قَبْلَمَا حَلَّتْ بِهَا قَدَمِي  
أَحْبَبْتُهَا قِصَّةً وَاشْتَقْتُ رَاوِيَهَا  
كَانَتْ لَهَا صُورَةٌ فِي النَّفْسِ حَائِرَةٌ  
مِثْلُ الْقَصِيدَةِ لَمْ تُنْسَجْ قَوَافِيهَا  
وَدِدْتُ لَوْ أَنَّهَا تَمَّتْ فَيُبْصَرُهَا  
غَيْرِي، وَتُسَكِّرُهُ مِثْلِي مَعَانِيهَا  
وَكَيْفَ تَكْمُلُ فِي ذِهْنِي وَلَمْ أَرَهَا  
وَمَا لَصُورَتِهَا شَيْءٌ يُحَاكِيهَا؟  
وَأَيُّمَا نَغْمَةٍ أَدَّى عَذُوبَتَهَا  
كَلَامُ رَاوٍ وَلَا شَادٍ يَغْنِيهَا  
أَأَنْشَقُ الْعَطْرَ لَمْ أَهْبِطْ خُمَائِلَهَا؟  
وَأَشْرَبُ السَّحَرَ لَمْ أَسْمَعْ قَمَارِيهَا؟<sup>(١)</sup>  
وَتَصْعَدُ النَّفْسُ مِنِّي لِلسَّمَاءِ وَلَا  
حِبَالُ نُورٍ تَدَلَّتْ مِنْ دَرَارِيهَا؟  
كَانَتْ سَعَادَةُ نَفْسِي فِي تَصَوُّرِهَا  
وَالنَّفْسُ يُسْعِدُهَا وَهُمْ وَيُشْقِيهَا  
بِالْوَهْمِ تَوْجِدُ دُنْيَا لَا وَجُودَ لَهَا  
وَتَنْطَوِي عَنْكَ دُنْيَا أَنْتَ رَائِيهَا  
فَكَمْ ظَمَنْتُ وَفِي رُوحِي جَدَاوِلُهَا  
وَكَمْ رَوَيْتُ وَغَيْرِي فِي سَوَاقِيهَا

(١) القُمَرِي: طير أبيض يشبه الحمام، (والجمع: القماري).

قد كنتُ من قبلُ مثلَ الناسِ كلِّهمُ  
أقولُ: إنَّ إلهَ الكونِ باريها  
حتى نظرتُ إليها في جلالِتها  
فصار كلُّ يقيني أنَّه فيها!  
لَمَّا رأيتُ الجمالَ الحقُّ أدركني  
زُهدٌ بكلِّ جمالٍ كان تمويها  
كأنَّما الحورُ مرَّتْ في شواطئها  
في ليلةٍ طَفُلَةٍ<sup>(١)</sup> رَقَّتْ حواشيها  
ففي الرمالِ سَناءٌ من تضاحكِها  
وفي المياهِ أريجٌ من أغانيها  
أتيتُها بشبابٍ ضاعَ أكثرُه  
وغيبَتْهُ الليالي في مطاويها  
فاسترجعَ الحبُّ قلبي فهو مُغْتَبِطٌ  
وعادتِ الروحُ خضراءَ أمانِها



سئلتُ ما راقَ نفسي من محاسِنِها؟  
فقلتُ للناس: باديها وخافيها  
وما حبَّبتَ من الأشجار؟ قلتُ لهم:  
إنِّي افتتنتُ بكاسيها وعاريها  
وما هويتَ من الأزهار؟ قلتُ لهم:  
الحبُّ عندي لناميها وذوايها  
قالوا: وما تتمنَّى؟ قلتُ مبتدراً:  
يا ليتني طائرٌ أو زهرةٌ فيها  
فربُّ أنشودةٍ من بلبلٍ غرد  
حوتَ حكايةَ حبٍّ خِفْتُ أحكيها

---

(١) الرخصة الناعمة.

وربُّ روحٍ كروحي في بنفَسَجَةٍ  
وَسُنَى، أَطَلَّتْ عَلَى رُوحِي تُنَاجِيهَا  
وربُّ قَطْرَةٍ مَاءٍ لَا غَنَاءَ بِهَا<sup>(١)</sup>  
شَاهَدْتُ مَصْرَعَ دُنْيَا فِي تَلَاشِيهَا  
كُلُّ الَّذِي لَاحَ لِي فِي أَرْضِهَا حَسَنٌ  
وَأَحْسَنُ الْكُلِّ فِي عَيْنِي أَهَالِيهَا  
إِلَّا ذَوِي السَّحَنِ السُّودَاءِ وَاعْجَبًا  
أَجَنَّةً وَذُبَابٌ فِي نَوَاحِيهَا؟  
إِنِّي لَيَكْبِتُ رُوحِي أَنْ أَلَاظَهُمْ  
بِمَقْلَةٍ أَبْصَرْتُ فِيهَا غَوَانِيهَا  
دَعِ الْمَسَاوِيَّ فِي الدُّنْيَا فَمَا بَرِحْتُ  
فِيهَا مُحَاسِنُ تُنْسِينَا مَسَاوِيهَا  
كَمْ حَاوَلَ اللَّيْلُ أَنْ يَطْوِي كَوَاكِبَهُ  
فَكَانَ يَنْشُرُهَا مِنْ حَيْثُ يَطْوِيهَا  
وَإِذَا كَرُّ أَكَارِمَ قَوْمٍ طَابَ عَنْصَرُهُمْ  
وَأَشْبَهُوا بِسَجَايَاهُمْ أَقَاحِيهَا  
بَنِي بِلَادِي! وَفِيكُمْ مِنْ خَمَائِلِهَا  
جَمَالُهَا وَالتَّسَامِي مِنْ رَوَابِيهَا  
تَسَلَّتِ النَّفْسُ عَنْ أَحْبَابِهَا بِكُمْ  
لَوْلَاكُمْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يُسَلِّيُهَا  
أَكْرَمْتُ مُنُونِي فَشُكْرًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ  
دَوَامُ شُكْرِكَ لِلنَّعْمَاءِ يُبْقِيهَا

\*\*\*\*

---

(١) لَا تَفِي بِشَيْءٍ.

## ٥٤ - بين مدّ وجزر

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم صديقه الشاعر جورج صيدح عندما زار نيويورك.  
سَيَّرْتُ في فجر الحياة سفينتي  
واختَرْتُ «قلبي» أن يكون إمامي  
فجَرْتُ على الأمواج قصراً من رؤى  
ملء الفضأ، ملء المدى المُترامي  
وأقلّ منها البحر حين أقلّها  
دنيا من الأضواء والأنغام  
ومشى الخيال على الحياة بسحره  
فإذا الهوى في الماء والأنسام  
وإذا الرّمال أزهَرُ فوَاحَةً  
والشَّطُّ هيكُلُ شاعرٍ رسّام  
وإذا العُبابُ ملاعبٌ ومراقصُ  
وإذا أنا من صَبْوةٍ لغرام  
أَتَلَقَّفُ اللَّذَاتِ غيرَ مُحَاذِرٍ  
وأعْبُ في السُّرْلَاتِ والآثام  
لا أكتفي وأخافُ أنِّي أكتفي  
فكأنّما في الإكتفاء حِمَامِي  
وكان هديّ أن تطول ضالّاتي  
وكان رِيّ أن يـدوم أوامي<sup>(١)</sup>

---

(١) حرّ العطش.



مررتُ بي الأعوامُ تتلو بعضَها  
وأنا كائنٌي لستُ في الأعوام  
كالموجِ ضَحِكِي، كالخُيَّاءِ ترنُّجِي،  
كالفجرِ زَهْوِي، كالخِضَمِّ عُرَامِي<sup>(١)</sup>  
حتى إذا هتَفَ المشيبُ بِلُمَّتِي  
ودنتُ يَدُ الماحي إلى أحلامي  
صرخَ «الحِجَا» بي ساخِطاً مُتَهَكِّماً:  
«هذا الغِنَى شَرٌّ من الإعدام»  
«أَسَلَمَتَنِي للقلبِ وهو مُضَلَّلٌ  
فأُضِرَّنِي وأُضِرَّكَ استسلامي»  
«يا صاحبي! أطلقني من سجنِ الرؤى  
أنا تائه! أنا جائع! أنا ظامي!»  
وأرادَ «عقلي» أن يقودَ سفينتي  
للشَطِّ في بحرِ الحياةِ الطَّامِي  
فطويتُ أعلامَ الهوى وهجرتُها  
ونسيتُ حتى أَنَّها أعلامي!  
وحسبتُ ألامي انتهت لِمَا انتهى  
فإذا النِّهايةُ أعظمُ الآلام  
وإذا الطريقُ مَخَافٌ وَوَسَاوِسٌ  
وإذا أنا من هَبْوَةٍ لِقَتَامٍ<sup>(٢)</sup>  
أبغى الثِّراءَ ولم يكنْ من مطلبي  
وأرى الجمالَ بناظرٍ مُتَعَامٍ  
وأشيدُ، مثلَ الناسِ، مجداً زائفاً  
وأشدُّ حولَ الروحِ ثوبَ رَعَامٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الشدة والقوة والشراسة.

(٢) الهَبْوَ والقَتَام: الغبار المخطط بالغبار.

فإذا أنا والأرضُ ملكي والسَّما،  
 قد صرتُ عبدَ الناس، عبدَ حُطامي  
 فتضايقَ القلبُ السَّجينُ وقال لي:  
 «يا أيُّها الجاني! قتلتَ هَيَّامي!»  
 «القفرُ بالأحلام روضٌ ضاحكٌ  
 فإذا تلاشتُ فالرياضُ مَوامي»<sup>(١)</sup>  
 «أين العيونُ تُذِيبُني حركاتُها  
 وتموتُ في سَكَنَاتِها ألامِي»  
 «وأطلَّ من أهدابها السَّكرى على  
 ظلٍّ، وأنَّداءٍ، وزهرٍ نَام»  
 «لَمَّا عصاني أنْ أَشْبَّ حرامَها  
 أعيَا عليها أنْ تشبَّ حرامِي»  
 «الخمْرُ ملءُ الجام لكن قد مضى  
 شوقي إلى الخمرِ التي في الجام»  
 «أَسَلَمَتْنِي «للعقل» وهو مُضَلَّلٌ  
 فأضَرَّنِي وأضَرَّكَ استسلامِي»  
 «انظُرْ، أَلَسْتَ تراك في أوهامِهِ  
 أشقى وأتَعَسَ منك في أوهامِي»  
 «المالُ! من ذا يشتريه كُلُّهُ  
 مِنِّي بليلِ صَبَابَةٍ وغرام؟»  
 «يا صاحبي أطلقني من سجنِ النُّهى  
 أنا تائه! أنا جائعُ! أنا ظامي»



(١) المومة: الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس.

لا تسألوني اليومَ عن قيثارتي  
قيثارتي خشبٌ بلا أنغام!  
يا شاعراً غنى فرداً لي الصُّبا  
فإذا مواكبُهُ تسيرُ أمامي  
إنّا التقينا في الشباب وفي الهوى  
في حَوْمَتَيْنِ - الشَّعْرِ والإلهام  
وسنلتقي وإن افترقنا في غَدٍ  
في حُبِّ لبنانٍ وحُبِّ الشَّامِ  
وستلتقي رُوحِي وروحُكَ بعدما  
تفنى الهيكلُ في الإلهِ السَّامي  
أهلاً بذِي الأدبِ الصُّراحِ المصطفى  
بِالْفَاتِحِ الرُّوحِيِّ بِالمِقْدَامِ  
بِالشَّاعِرِ الغرِيدِ في الحانِهِ  
عَبَقُ الرِّبِيعِ وَنَضْرَةُ الأَكْمَامِ  
هو إنْ ذَكَرْتَ الشَّعْرَ مِنْ أُمْرَائِهِ  
وَإِذَا ذَكَرْتَ المَجْدَ فَهُوَ عِصَامِي

\*\*\*\*

## ٥٥ - مستشفى تل شيجا

[الوافر]

أنشدها في مهرجان أقامته لجنة المستشفى في مدينة دترويت.  
أَبَاعِيَّةُ الْمَطَايَا مِنْ حَدِيدٍ  
كَأَسْرَابِ الْقَطَا لِلْعَالَمِينَا  
رُكَّائِبٌ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ تَسْرِي  
تُقَلُّ الذَّاهِبِينَ الْآيِبِينَ  
تَقْصُّ عَلَى الْمَدَائِنِ وَالْقَرَايَا<sup>(١)</sup>  
حِكَايَةَ قَوْمِكَ الْمُسْتَنْبِطِينَ  
وَكَيْفَ الْعَقْلُ يُخْلَقُ مِنْ زُرِّيٍّ  
مَهِينٍ، لَا زُرِّيٍّ وَلَا مَهِينَا  
وَيَنْفَخُ فِي الْجِمَادِ قُوًى وَحْسًا  
فَيَرْكُضُ تَارَةً وَيَطِيرُ حِينَا  
وَيَهْتَفُ بِالْقَصَائِدِ وَالْأَغَانِي  
وَقَدْ ذَهَبَ الرَّدَى بِالْمُنْشِدِينَ  
لَقَدْ حَسَدْتُكَ أُمَّ الْفَنِّ «رُومَا»  
كَمَا حَسَدْتُكَ ضَرْثُهَا «أَثِينَا»  
فَمَجْدِكَ فَوْقَ مَجْدِهِمَا عَلَاءً  
وَحُسْنِكَ فَوْقَ حُسْنِهِمَا فُتُونَا  
نَزَلْنَا فِي حِمَاكَ فَقَرَّبِينَا  
وَبَارَكُنَا ثَرَاكَ فَبَارَكِينَا  
فَمَا لَطَمَاعَةٌ<sup>(٢)</sup> بِنُضَارٍ «فُورِدٍ»

(١) تجمع القرية في معاجم اللغة، على: قرى.

(٢) الأصل في المعجم: طماعية.

وفضّته إليك اليوم جينا  
فما هو في سَمَاحته «كمعن»<sup>(١)</sup>  
وليسَتْ نُوقُهُ للذَّابِحينا  
ولكنْ فيك إخوانْ هَوِينا  
لأجلهمْ جميعَ السَّاكنينا  
أحبُّونا كأنَّهمْ ذوونا  
وأنَسونا بلُطفهمْ ذوينا  
وعَاهَدناهمْ إذْ عَاهَدونا  
فلمْ ننكُثْ ولا نكُتُّوا يميننا  
إذا غَضِبوا على الدنيا غَضِبْنَا  
وإنْ يرضوا على الدنيا رَضِينا  
دعاهمُ للعلَا والخيرِ دَاعٍ  
من «الوادي» فلبُّوا أجميعنا  
أَيخِذُلْ «جَارَةَ الوادي» بنوها؟  
معَاذَ الله! هذا لن يكونا  
فما لاقيتُ «زَحْلِيًّا»<sup>(٢)</sup> جباناً  
ولا لاقيتُ «زَحْلِيًّا» ضَنِينَا  
تأملْ كيف أضْحَى «تَلُّ شِيحَا»  
يُحاكي في الجلالةِ «طُورَ سِينَا»  
فعَنْ هَذَا تحدَّرتِ الوَصَايَا  
وفي هذا وجدْنَا المُحْسِنينا  
على جنبَاتِهِ وعلى ذُرَاهُ  
جمالٌ يبهرُ المتأمِّلينا  
فلمْ أرْ مثلهُ للخيرِ دنيا

(١) معن بن زائدة أحد كرماء العرب في التاريخ.

(٢) نسبة إلى رحلة في لبنان.

ولم أر مثله فتحاً مبیناً  
 فیا أشبال «لبنان» المُفدّی  
 ویا إخواننا وبني أبینا  
 ترنّج عَصْرُكُمْ فخرأ وهشتُ  
 لصنعكم عِظامُ المائتینا  
 تباری الناسُ فی طلب المعالی  
 فکنتم فی المجال السَّابقینا  
 بنی الأهرام «فرعون» فدامتُ  
 لتخبرَ کیف کان الظَّالمونا  
 وکم أشقی الجموعَ الفرْدُ منهم  
 وکم طَمَسَ الألوْفَ لکی یبینا  
 وشِدْتُم معهداً فی «تلّ شِیحا»  
 سیبقی ملجأً للبائسینا  
 یطلّ الفجرُ مُبتَسِماً علیه  
 ویرجعُ مطمئنّاً مُستَکینا  
 ویمضي یملأُ الوادی ثناءً  
 علیکم والأباطحَ والحُزونا  
 أرى غَیْتَینِ یستبقان جُوداً  
 هما مطرُ السَّما والغائِثونا  
 لئن حَجَبَ الغمامُ الشَّمسَ عَنّا  
 فلم یطمِسْ ضیاءَ اللّهِ فینا  
 ولم یسترْ سبیلَ الخیرِ عنکم  
 ولم یُقْبِضْ أَکْفُ الباذلینا  
 وجدتُ المرءَ حبُّ الخیرِ فیه  
 فإنْ یفقدْهُ صارَ المرءُ طینا  
 تَکْمَشُ فی الحقولِ الشوکُ بُخلاً

فذلَّ وعاش مُكْتَبِباً حزيناً  
وأَسْنَى<sup>(١)</sup> الوردُ، إذ أعطى شَذاهُ،  
مكانتَهُ، فكن في الواهِبِينَا  
سألتُ الشُّعْرَ أن يُثْنِي عَلَيكُمْ  
فَقَالَتْ لي القوافي: قد عَيِينَا  
سَيَجْزِيهِمْ عن البؤْسَاءِ ربُّ  
يكافئُ بالجميلِ المُحْسِنِينَا

\*\*\*\*

---

(١) أَسْنَى الورد مكانته: رفعها (أَسْنَاه: رفعه).

## ٥٦ - أفاتحة أم ختام

[السريع]

قالها في رثاء الأسقف عمانوئيل أبو حطب  
ما وعظ الإنسان مثل الحمَام  
فليتَّعِظْ بالصَّمتِ أهلُ الكلامِ  
أفصحُ من كلِّ فصيحٍ بنا  
هذا الذي أعياه ردُّ السَّلامِ  
إنِّي أراه وهو في صمِّته  
أروعُ من جيشٍ كبيرٍ لهُام<sup>(١)</sup>  
نامتْ جفونٌ سَهَرَتْ للعلَا  
من قَبْلِ أنْ ينجابَ جنحُ الظلامِ  
وسَكَنَ الوَثابُ في صدره  
من قَبْلِ أنْ يُدركَ كلَّ المرامِ  
يا لهفةَ القومِ على كوكبٍ  
لأخٍ قليلاً واختفى في الغمامِ  
ولهفةَ الدِّينِ على سيِّدٍ  
كان يُرجى في الخطوبِ الجِسامِ  
وصاحبٍ قد كان في صحَّبه  
كالروضِ فيه أَرَجُ<sup>(٢)</sup> وابتسامِ  
ما غابَ عنَّا وكأني به  
يفصِّلُهُ عن صحَّبه ألفَ عامٍ!

(١) الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء.

(٢) انتشار فوح الطيب (أرج - يَارج).



مَنْ الَّذِي يُطْفِئُ مِنْ بَعْدِهِ  
 فِي الْمُهْجِ الْحَرَّى ذِكِّي الضُّرَام؟  
 مَنْ الَّذِي يَمْسَحُ دَمْعَ الْأَسَى  
 وَمَا سَحُ الْأَدْمَعِ تَحْتَ الرُّغَام؟<sup>(١)</sup>  
 يَا نَائِمًا مُسْتَغْرِقًا فِي الْكَرَى  
 خَطْبُكَ قَدْ أَقْلَقَ حَتَّى النِّيَام!  
 خَبِّرْ فَإِنَّ الْقَوْمَ فِي حَايِرَةٍ  
 هَلِ الرَّدَى فَاتِحَةٌ أَمْ خِتَام؟  
 وَهَلِ صَحِيحٌ أَنْ كُلَّ الْمُئْنَى  
 يَطْحَنُهَا صَرَفُ<sup>(٢)</sup> الرَّدَى كَالْعِظَام؟  
 وَهَلِ حَقِيقٌ أَنْ أَهْلَ الْعُلَا  
 وَالْفَضْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِثْلُ الطَّغَام؟<sup>(٣)</sup>  
 أَمْ بَعْدَ هَذَا يَقْظَةُ حَالٍ  
 يَنْسَى بِهَا الْمَرْءُ الشَّقَا وَالسَّقَام؟  
 وَيَصْبِحُ النَّأْبُ فِي مَأْمَنٍ  
 مِنْ عَنَتِ الْمَالِ وَعَيْثِ الْحُسَام؟  
 وَتَسْتَوِي الْحَالَاتُ فِي حَالَةٍ  
 لَاحِيفٍ فِيهَا، لَا أَدَى، لَا انْتِقَام؟  
 خَبِّرْ، وَحَدِّثْ، كَلَّنَا حَائِرٌ  
 ذُو الْجَهْلِ مِنَّا وَالْأَرِيبُ الْهُمَام

(١) التراب.

(٢) صرف الدهر: نوائبه.

(٣) أوغاد الناس.

لَأَيِّمًا أَمْرٍ يَعِيشُ الْوَرَى؟  
لَأَيِّمًا أَمْرٍ يَمُوتُ الْأَنَام؟  
وَأَيْنَ دَارٌ لَيْسَ فِيهَا شَقَا  
إِنْ لَمْ تَكُنْ هَاتِيكَ دَارَ السَّلَام؟  
نَمْ أَمْنًا، فَالْمَرْءُ بَعْدَ الرَّدَى  
كَالْفَكْرِ، لَا يُزْرَى بِهِ، لَا يُضَامُ

\*\*\*\*

## ٥٧ - الأسطورة الأزلية

[السريع]

توطئة:

كان زمانٌ لم يزلْ كائنًا  
وحالةٌ ما برحتْ باقيةً  
ملَّ بنو الإنسانِ أطوارَهُمْ  
وبرموا بالسقم والعافية  
فاستصرخوا خالقَهُم واشتَهوا  
لو أنه كَوْنُهُم ثانِيه  
وبالغتْ أصواتُهُم عَرْشَهُ  
في ليلةٍ مُقَمِرَةٍ صافيةٍ  
فقال إنِّي فاعلٌ ما اشتَهوا  
لعلَّ فيه حِكْمَةٌ خافيةٍ  
وشاهدوه هابطاً من علٍ  
فاحتشدوا في السَّهْلِ والرَّابِيه  
من القرى القانعة الطاوية  
والمَدُنِ الجامحة الغادية  
تألَّبوا من كلِّ صَوْبٍ كما  
تَجْتَمِعُ الأمطارُ في السَّاقِيه  
يُسابقُ الصُّعْلوكُ ربَّ الغنَى  
والأبلهُ الباقعة<sup>(١)</sup> الداهية  
ويدفعُ الشَّيْخُ التَّوَى عودَهُ  
وصار مثلَ الرَّمَّةِ الباليه

(١) الداهية.

فتى مضى الفجر ولمّا تزل  
 روعته في وجهه باقيه  
 وتزحم الحسنا مكمورة<sup>(١)</sup>  
 خلابة كالروضة الحاليه  
 دميمه تشبه في قبحها  
 مدينه مهجوره عافيه<sup>(٢)</sup>  
 فصاح رب العرش: ما خطبكم  
 ما بالكم صرخاتكم عاليه؟  
 هل أصبحت أرضكم عاقراً؟  
 أم غارت الأنجم في هاويه؟  
 أم أقلع الماء فلا جدول؟  
 وماتت الطير فلا شاديه؟  
 أم فقدت أعينكم نورها؟  
 أم غشيت أرواحكم غاشيه؟  
 أين الهوى؟ إن لم يكن قد قضى  
 فكل جرح واجد أسيه<sup>(٣)</sup>

#### الفتى

قال الفتى: يا رب إن الصبا  
 صدد أحزاني وآلامي  
 أبستنيه مونيماً بعدما  
 أبلاه أخوالي وأعمامي

(١) المستديرة الخصر، المحفوفة.

(٢) عفا الرسم: زال وامحى.

(٣) الأسى: الطبيب.

وصار، في مذهبِهم، عصره  
 ففترة زلاتٍ وأثام  
 فاختلفت حالي وحالاتهم  
 كأنني في غير أقوامي  
 وصيرت كالجدول في فدفد<sup>(١)</sup>  
 أو شاعرٍ ما بين أصنام  
 والأخضر المورق في يابس  
 أو مثل صاحٍ بين نؤام  
 دنياهم دنياي لكنما  
 أعلامهم ليست كأعلامي  
 عندهم الروضة أشجارها  
 والروض عندي الزهر النامي  
 والطير لحمٌ ودمٌ عندهم  
 وليس عندي غير أنغام  
 سُكري بها أو بالندى والشذا  
 وسُكرهم بالخمير في الجام  
 يسخر قلبي بلياليهم  
 ويسخر الدهر بأيامي  
 كأنني جئت لتبكيتهم  
 كأنهم جاعوا لإيلامي  
 عبءٌ على نفسي هذا الصبا  
 ألجأش المستوفز الطامي  
 يزرع حولي زهرات المني  
 وشوكها في قلبي الدامي

(١) الفدفد: المفازة الواسعة.

فَانِ لَهُ فِي كُلِّ فَانٍ هَوًى  
فَانٍ، وَلَا يَنْجُو مِنَ الذَّمِّ  
خُذْهُ، وَخُذْ قَلْبِي وَأَحْلَامَهُ  
فَانِّنِي أَشَقَى بِأَحْلَامِي  
وَمُرَّيْمُرُ الدَّهْرِ فِي لَحْظَةٍ  
كَالطَّيْفِ أَوْ كَالْبَرْقِ قُدَّامِي  
وَأَزْرَعُ نَجُومَ الشَّيْبِ فِي لِمَّتِي  
فَيَنْجِلِي حِنْدِسُ أَوْهَامِي  
فَأُبْصِرُ الْحِكْمَةَ فِي ضَوْئِهِ  
إِنِّي إِلَيْهَا جَائِعٌ ظَامِي

الشيخ

وَجَاءَ شَيْخٌ حَائِرٌ وَاجِفٌ  
مُشْتَغِلُ الْأَمَّةِ بِالْيِ إِهَابُ  
كَأَنَّمَا زَلْزَلَتْهُ تَحْتَهُ  
لَمَّا بِهِ مِنْ رَعِشَةٍ وَاضْطِرَابِ  
فَصَاحَ: يَا رَبَّاهُ! خُذْ حِكْمَتِي  
وَارِدْهُ عَلَى عَبْدِكَ عَصْرَ الشَّبَابِ  
إِنَّ أَمَانِي الرُّوحِ أَزْهَارُهَا  
وَإِنْ رُوحِي الْيَوْمَ قَفَرٌ يَبَابُ  
لَا جَدُولَ لَا بَلْبَلَ مُنْشِدُ  
بَلَى، بِهَا الْوَحْشَةُ وَالْإِكْتِئَابُ  
تِلْكَ الْأَمَانِيُّ عَلَى كِذْبِهَا  
لَمْ تَكُنِ اللَّذَّةُ فِيهَا كِذَابُ  
زَالَتْ وَمَا زَلْتُ، وَإِنَّ الشَّقَا  
أَنْ تُطْمَسَ الْآيُ وَيَبْقِيَ الْكِتَابُ

وَتُسَلَبُ السَّرْحَةُ أَوْرَاقُهَا  
 وَلَمْ تَزَلْ أَعْرَاقُهَا فِي التُّرَابِ  
 كُنْتُ غَنِيًّا فِي زَمَانِ الصُّبَا  
 وَكُنْتُ صِفْرَ الْكَفِّ صِفْرَ الْوِطَابِ<sup>(١)</sup>  
 صَحَوْتُ مِنْ جَهْلِي فَأَبْصَرْتُنِي  
 كَأَنَّنِي سَفِينَةً فِي الْعُجَابِ  
 قِيلَ لَهَا: فِي الْبَحْرِ كُلِّ الْمُنَى  
 فَلَمْ تَجِدْ فِي الْبَحْرِ إِلَّا الضُّبَابِ  
 نَأَتْ عَنِ الشَّطِّ وَلَمْ تَقْتَرِبْ  
 شَبْرًا مِنَ السَّرِّ الَّذِي فِي الْحِجَابِ  
 وَلَوْ تُرَجِّى أَوْبَةً لَأَشْتَفَتْ  
 لَكِنَّمَا عَزَّ عَلَيْهَا الْإِيَابِ  
 مُرُّ تَقْفِ الْأَيَّامِ عَنْ سَيْرِهَا  
 فَإِنَّهَا تَرْكُضُ مِثْلَ السَّحَابِ  
 وَضَعْتُ أَمَامِي، لَا وَرَائِي، الْمُنَى  
 وَطَوَّلَ الدَّرْبَ وَزِدْ فِي الصَّعَابِ  
 مَا لَدَّتِي بِالمَاءِ أُرْوَى بِهِ  
 بَلْ لَدَّتِي فِي الْعَدُوِّ خَلْفَ السَّرَابِ

#### الحسنة

وَقَالَتْ الْحَسَنَاءُ: يَا خَالِقِي!  
 وَهَبْتَنِي الْحُسْنَ فَأَشَقَيْتَنِي  
 وَجْهِي سَنِيٌّ مُشْرِقٌ إِنَّمَا  
 مَرَعَى عَيُونِ الْخَلْقِ وَجْهِي السَّنِي

(١) الوطاب: أنية اللبن (سقاؤه).

حَظِّيْ مِنْهُ حَظُّ وَرْدِ الرُّبَا  
من عطره الفواحِ والسَّوسِنِ  
ومثلِ حَظِّ السَّروِ في فيئه  
والطَّيرِ من تغريدها المُتَقَنِ  
ومثلِ حَظِّ النِّجمِ من نوره  
في الحِنْدِسِ المُعْتَكِرِ الأُدْجَنِ  
للِقَائِلِ الفِيءِ، ولِلسَّامِعِ التُّ  
تَغْرِيدُ، والزَّهْرَةُ لِلْمُجْتَنِي  
والنُّورُ لِلْمَدْلَجِ والمُجْتَلِي  
والدُّرُّ لِلْقَانِصِ والمُقْتَنِي  
كم رِيْبَةٌ دَبَّتْ إِلَى مَخْجَعِي،  
وتَهْمَةٌ حَامَتْ عَلَى مَسْكَنِي  
كَأَنَّمَا لَا أَدَبُ مِمَّكَ  
مع الجَمَالِ الرَّائِعِ المِمَكَنِ  
إِنْ عَشَقْتُ نَفْسِي فَوَيْلٌ لَهَا  
وَالْوَيْلُ لِي إِنْ رَجُلٌ حَبَّبَنِي  
السُّمُّ وَالشُّوْكَ وَجَمْرُ الغَضَا  
أَهْوَنُ مِنْ كَاشِحَةِ الأَلْسَنِ  
كم تَقْتَفِينِي نَظَرَاتُ الخَنَا  
وَيْلِي مِنْ خَائِنَةِ الأَعْيُنِ  
لَمْ يَبْقَ فِي رُوحِي مِنْ مَوْضِعٍ  
يَا رَبُّ لَمْ يُخْدَشْ وَلَمْ يُطْعَنْ  
إِنَّ الغِنَى فِي الوُجْهِ لِي أَفْءُ  
يَا لَيْتَنِي دَمِيمَةٌ لَيْتَنِي!



## الجارية

وسكّنتُ، فصاحتِ الجاريةُ  
بأكيّةً من بُؤْسها شاكيةً  
ذنبي إلى هذا الورى خِلَقَتِي  
فهل أنا المجرِمةُ الجَانِيه؟  
إن أخطأ الخِزافُ في جَبْلِهِ الطُّ  
طِينَ فَأَيُّ الذَّنْبِ لِلْأَنِيهِ؟  
أليس مَنْ يَسْخَرُ رَبِّي يَزْدَرِي  
بِالْقُوَّةِ الْمُوجِدَةِ الْبَارِيهِ؟  
لو كنتُ حسناءً بَلَغْتُ الْعُلَا  
فللجمالِ الرُّتْبَةُ الْعَالِيهِ  
وباتَ مَنْ أَسْجُدُ قَدَامَهُ  
صَاغِرَةً يَسْجُدُ قَدَامِيهِ  
فإِنَّنِي فِي مَلَأٍ ظَالِمٍ  
أَحْكَامُهُ جَائِرَةٌ قَاسِيهِ  
ليس لَذَاتِ الْقُبْحِ مِنْ غَافِرٍ  
وفيه مَنْ يَغْفِرُ لِلزَّانِيهِ  
نَفْسِي جُزْءٌ مِنْكَ يَا خَالِقِي  
وإنْهَا عَاقِلَةٌ رَاقِيهِ  
أليس ظُلماً، وَهِيَ بِنْتُ الْعُلَا،  
إِنْ تَكُ بِالْقُبْحِ إِنَّ كَاسِيهِ  
فَلْيَكُنِ الْحُسْنُ رِداءً لَهَا  
تَرْفُلُ بِهِ أَوْ فَلْتَكُنْ عَارِيهِ

## الفقير

وأقبل الصُّعلوك مُستَرِحاً  
في مُقْلَاتِيهِ شَبَحُ اليأسِ  
يصرُخُ: يا رَبَّاهُ حتّى متى  
تُحَكِّمُ الموسِرَ في نفسي؟  
وتضعُ التاجَ على رأسِهِ  
وتضعُ الشُّوكَ على رأسِي؟  
ويشربُ اللَّذاتِ من كأسِهِ  
وأشربُ الغصّاتِ من كأسِي  
وتتجلّى الشُّهبُ في ليلِهِ  
ضاحكَةً كالغيدِ في عرسِ  
ويتوارى في نهاري السَّنا  
أو يتبدّى حانقَ الشَّمسِ  
يا ربَّ لا تنقلهُ عن أنْسِهِ  
وإنّما انقلُّني إلى الأنسِ  
فإن تَشَأْ ألا يذوقَ الهنا  
قلبي، فجَرِّدْني من الحِسِّ  
لو لم يكن غيري في غِبْطَةٍ  
ما شعرتُ رُوحِي بالبؤسِ

## الغني

وقال ذو الثروة: ما أَشْتَهِي  
لا أَشْتَهِي أَنِّي ذو ثروةٍ  
أنفقتُ أيّامي على جمعِها  
وخِلَّتْني أدركتُ أمنيّتي

فاستَعَبَدْتُني في زمان الصُّبَا  
 وأوقرتُ بالهمَّ شيخُوخَتِي  
 قد مَلَكْتُني قَبْلَما حُرْتُها  
 ومَلَكْتُني وهيَ في حَوْزَتِي  
 كَنَحْلَةٍ أَمْسَكَهَا شَهْدُها  
 مِنَ الجَنَاحِينَ فَلَمْ تُفَلَّتْ  
 حَسِبْتُها تُكْسِبُنِي قُوَّةً  
 فافتَرَسَتْ قُوَّتُها قُوَّتِي  
 جَنَتْ عَلَى نَفْسِي وَأَحْلَامِها  
 جَنَايَةَ الشُّوكِ عَلَى الْوَرْدَةِ  
 يَنْمُو فَتَذَوِي فَهِيَ عُلْيَقَةٌ  
 يَحْذَرُها الطَّائِفُ بِالرَّوْضَةِ  
 مَنْ قَائِلٌ عَنِّي لَنْ خَالَني  
 أَمْرَحُ مِنْ دُنْيَايَ فِي جَنَّةٍ  
 لَا تَنْظُرُ الْأَضْوَاءَ فِي حُجْرَتِي  
 وَانْظُرْ إِلَى الظُّلَمَاءِ فِي مُهْجَتِي  
 وَلَا يَغُرَّنَّكَ قَصْرِي فَمَا  
 قَصْرِي سِوَى سِجْنٍ لِحُرِّيَّتِي  
 إِنِّي فِي الْقَصْرِ الرَّفِيعِ الذُّرَا  
 كَطَائِرٍ فِي قَفْصٍ، مَيِّتٌ  
 كَمْ فِي عِبَابِ الْبَحْرِ مِنْ سَابِجٍ  
 قَدْ مَاتَ ظَمَانًا إِلَى قَطْرَةٍ  
 مَوْتُ الطَّوْى شَرٌّ، وَلَكِنَّمَا  
 أَفْظَعُ مِنْهُ الْمَوْتُ بِالتُّخْمَةِ  
 كَمْ مِنْ فَقِيرٍ مَرَّبٍّ ضَاكِكًا  
 كَأَنَّمَا يَسْخَرُ مِنْ كُرْبَتِي

رَأَيْتُهُ بِالْأَمْسِ مِنْ كُتُوتِي  
فَخِلَّاتُنِي أَنْظِرْ مِنْ هُوَّةٍ  
وَكُنْتُ كَالْحَوْتَ رَأَى مَوْجَةً  
ضاحكةً ترقصُ كالطُّفْلَةِ  
أَوْ حَيَّةً تَدْبُ فِي مَنَاجِمِ  
تَرْنُو إِلَى فَرَأْشَةٍ حُرَّةٍ  
قَدْ اخْتَفَتْ ذَاتِي فِي بُرْدَتِي  
فَمَا يَرَى الْخَلْقُ سِوَى بُرْدَتِي  
فَهُمْ إِذَا مَا سَلَّمُوا سَلَّمُوا  
عَلَى خِيوطِ الْبُرْدِ وَالْجُبَّةِ  
رَبَّاهُ أَطْلُقْ مِنْ عِقَالِ الْغِنَى  
رُوحِي، فَإِنِّي مِنْهُ فِي مِحْنَةٍ!  
وَانزِعْ مَعَ الدِّينَارِ مِنْ قَبْضَتِي  
صَلَابَةَ الدِّينَارِ مِنْ سِجْنَتِي  
وَحَوِّلِ الْمَالَ إِلَى رَاحَةٍ  
وَحَوِّلِ الْقَصَرَ إِلَى خِيَمَةٍ

الأبله

وَصَرَخَ الْأَبْلَهُ مُسْتَفْسِراً:  
مَا الْقَصْدُ مِنْ خَلْقِي كَذَا مَا الْمُرَادُ؟  
أَلَمْ يَكُنْ يَكْمُلُ هَذَا الْوَرَى  
إِلَّا إِذَا أَوْجَدْتَنِي فِي فَسَادٍ؟  
لِي صُورَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ  
مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ أَوْ رُقَادٍ  
لَكِنْ لُبِّي غَيْرُ الْبَابِ لَهُمْ  
فَإِنَّهُ مَكْتَنَفٌ بِالسَّوَادِ

يُعْجِزْنِي إِدْرَاكُ مَا أُدْرِكُوا  
كَأَنَّ عَقْلِي فَحْمَةٌ أَوْ رَمَادٌ  
إِنْ كُنْتُ «إِنْسَانًا» فَلَمْ يَأْتِرْ  
لَسْتُ بِإِدْرَاكِي كَبَاقِي الْعِبَادِ؟  
أَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَمُرْنِي أَكُنْ  
جَرَادَةً أَوْ أَرْنَبًا أَوْ جَوَادَ  
فَالنِّدُّ لَا يَعْدَمُ مِنْ نِدِّهِ  
ذَرِيعَةً لِلسُّلْمِ أَوْ لِلجِهَادِ  
لَا تَسْخَرُ النَّمْلَةُ مِنْ نَمْلَةٍ  
وَلَيْسَ يُزْرِي بِالْقُرَادِ الْقُرَادُ<sup>(١)</sup>  
أَمْ أَنْتَ كَالْحَقْلِ عَلَى رَغْمِهِ  
يَنْمُو مَعَ الْحَنْطَةِ فِيهِ الْقَتَادُ؟

#### الأريب

وَجَاءَ بَعْدَ الْأَبْلَةِ الْمُسْتَرِيبِ  
الْأَلْعَى الْعَبْقَرِيُّ اللَّبِيبُ  
فَقَالَ: إِنِّي تَائِهٌ حَائِرٌ  
أَنَا غَرِيبٌ فِي مَكَانٍ غَرِيبٍ  
أَبْحَثُ عَنْ نَفْسِي فَلَا أَهْتَدِي  
وَلَيْسَ يَهْدِينِي إِلَيْهَا أَرِيبُ  
أَنَا عَلِيمٌ حَيْثُ لَا عَالِمُ  
أَنَا لَبِيبٌ عِنْدَ غَيْرِ اللَّبِيبِ  
لَوْ أَنَّني كُنْتُ بَلَا فِطْنَةٍ  
سِرْتُ وَلَمْ تَكُنْ أُمَامِي الدُّرُوبُ  
وَكَانَ عَقْلِي كَعَقُولِ الْوَرَى  
وَكَانَ قَلْبِي مِثْلَ بَاقِي الْقُلُوبِ

(١) دُوبِيَّةٌ تَعُضُ الْإِبِلَ.

وصار عندي كالنُّجومِ الوري  
فلا عدو فيهم أو حبيب  
ولم أجد في ضحكهم والبُكا  
شيئاً سوى الضحك وإلا النحيب  
ولم أسأل كوكباً طالماً:  
ما لك تبدو ولماذا تغيب  
ولم أقف في الروض عند الضحى  
يُذهلني لونٌ وشكلٌ وطيب  
ولم أقل ما كنت من قبل ما  
كنت ولا ما في سجل الغيوب  
ما العقول يا رب سوى محنة  
لولا لم تكتب علي الذنوب

#### الخاتمة

لما وعى الله شكايا الوري  
قال لهم: كونوا كما تشتهون  
فاستبشر الشيخ، وسرّ الفتى  
والكاعب الحسناء، والحيزبون  
لكنهم لما اضمحل الدجى  
لم يجدوا غير الذي كانا!



هم حدّوا القبح فكان الجمال  
وعرّفوا الخير فكان الصلاح  
وليس من نقص ولا من كمال  
فالشوك في التحقيق مثل الأقاح  
وذرة الرمل كل الجبال  
وكالذي عزّ الذي هانا!



## المحتوى

### الديوان الرابع (الخمائل)

|     |                          |
|-----|--------------------------|
| ٦٦٩ | ١ - المدخل               |
| ٦٧١ | ٢ - الشاعر والملك الجائر |
| ٦٧٨ | ٣ - الدمعة الخرساء       |
| ٦٨٣ | ٤ - الفيلسوف المجنح      |
| ٦٨٦ | ٥ - ماء وطن              |
| ٦٨٨ | ٦ - الإبريق              |
| ٦٩٠ | ٧ - أمنية إلهة           |
| ٦٩٤ | ٨ - ليل الأشواق          |
| ٦٩٧ | ٩ - عش للجمال            |
| ٦٩٩ | ١٠ - وقائلة              |
| ٧٠٢ | ١١ - موميات              |
| ٧٠٧ | ١٢ - هدايا العيد         |
| ٧٠٩ | ١٣ - الفراشة المحتضرة    |
| ٧١٣ | ١٤ - ابتسم               |
| ٧١٥ | ١٥ - لو أستطيع           |

- ١٦- يا نفس ..... ٧١٦
- ١٧ - الكنار الصامت ..... ٧١٩
- ١٨ - لم يبق غير الكأس ..... ٧٢٠
- ١٩ - رأي الأكثرية ..... ٧٢٥
- ٢٠ - كتابي ..... ٧٢٦
- ٢١ - كن بلسمًا ..... ٧٣٠
- ٢٢ - الخمر والدنيا ..... ٧٣٣
- ٢٣ - لَمَّا ..... ٧٣٥
- ٢٤ - تأملات ..... ٧٣٦
- ٢٥ - شاعر الشهور ..... ٧٤٠
- ٢٦ - الكأس الباقية ..... ٧٤٣
- ٢٧ - الشجاع ..... ٧٤٥
- ٢٨ - أبي ..... ٧٤٦
- ٢٩ - ذكرى ..... ٧٥٠
- ٣٠ - يا جنّتي ..... ٧٥٢
- ٣١ - الشاعر في السماء ..... ٧٥٣
- ٣٢ - كلوا واشربوا ..... ٧٥٧
- ٣٣ - حديث موجة ..... ٧٦٠



|     |                        |
|-----|------------------------|
| ٧٦٣ | ٣٤ - ابسمي             |
| ٧٦٤ | ٣٥ - مجاهد             |
| ٧٦٩ | ٣٦ - الكريم            |
| ٧٧٠ | ٣٧ - عبد               |
| ٧٧١ | ٣٨ - لبنان             |
| ٧٧٤ | ٣٩ - أنت والكأس        |
| ٧٨٠ | ٤٠ - الشباب والحب      |
| ٧٨٢ | ٤١ - الغابة المفقودة   |
| ٧٨٦ | ٤٢ - أبو غازي          |
| ٧٩٠ | ٤٣ - فلسطين            |
| ٧٩٣ | ٤٤ - الغبطة فكرة       |
| ٧٩٥ | ٤٥ - الفتى الأفضل      |
| ٧٩٦ | ٤٦ - من أنا            |
| ٧٩٩ | ٤٧ - كمنجة الشّوا      |
| ٨٠٢ | ٤٨ - إذا               |
| ٨٠٣ | ٤٩ - شبح               |
| ٨٠٧ | ٥٠ - أنا وابني         |
| ٨٠٩ | ٥١ - عبد الله البستاني |

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٨١٤ | ٥٢ - كم تشتكى         |
| ٨١٧ | ٥٣ - فلوريدا          |
| ٨٢٠ | ٥٤ - بين مدّ وجزر     |
| ٨٢٤ | ٥٥ - مستشفى تل شيجا   |
| ٨٢٨ | ٥٦ - أفاتحة أم ختام   |
| ٨٣١ | ٥٧ - الأسطورة الأزلية |
| ٨٤٣ | - المحتوى             |

\*\*\*\*

# الديوان الخامس

## (تبروتراب)

الطبعة الأولى (دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٠).

يضم تسعة وخمسين نصاً شعرياً، جمعها الشاعر المهجري جورج صيدح، صديق أبي ماضي، من المجلات والصحف التي نُشرت فيها، وكثير منها يتكون من أبيات قليلة، ألحقت بدواوين الشاعر الأربعة، وكونت ديوانه الخامس - الأخير. وما تبقى من شعر الشاعر، خارج هذه الدواوين الخمسة، ألحقناه بها، بعد أن وُثِّقَ مصادره .

\*\*\*\*



## ١ - وطن النجوم

[مجزوء الكامل]

وطنَ النُّجُومِ.. أنا هنا حدِّقْ.. أتذكرُ من أنا؟  
ألمحتَ في الماضي البعيدِ فتىً غريباً أرعنا؟  
جَذْلانَ يمرحُ في حقولِكَ كالنَّسيمِ مُدْندِنَا  
المُقتَنَى المملوكُ ملعبُهُ وغيَرُ المُقتَنَى!  
يتسلَّقُ الأشجارَ لا ضَجَرًا يُحسُّ ولا ونى  
ويعودُ بالأغصانِ يبريها سيوفاً أو قنا  
ويخوضُ في وَحْلِ الشِّتَا مُتهللاً مُتَيْمِّناً  
لا يتقي شرَّ العيونِ ولا يخافُ الألسُنَا  
ولكُم تشيطنَ كي يقولَ الناسُ عنه: « تَشَيِّطْنَا »  
أنا ذلك الولدُ الذي دنياهُ كانت ههنا!  
أنا من مياهِك قطرةً فاضتْ جداولَ من سَنَا<sup>(١)</sup>  
أنا من تُرابِكَ ذرَّةً ماجتْ مواكبُ من مُنى  
أنا من طيورِكَ بُلبُلٌ غنىً بمجدِكَ فاغتنى  
حملَ الطلاقَةَ والبشاشةَ من ربوعِكَ للُدُنَا  
كم عانقتُ رُوحِي رُبَاكَ وصَفَّقْتَ في المنحنى؟  
للأرزِ يهزأُ بالرياحِ وبالدهورِ وبالفَنَا  
للبحرِ ينشرُهُ بنوكَ حضارةٍ وتمدُّنا  
للليلِ فيكَ مُصلِّياً للصباحِ فيكَ مُؤدِّناً  
للشمسِ تُبْطِئُ في وداعِ ذُرَاكَ كيلا تحزنَا

---

(١) النور.

للبدْرِ في نَيْسانَ يَحْلُ بِالضَّيَاءِ الْأَعْيُنَا  
فَيَذُوبُ في حَدَقِ الْمَهَا سِحْرًا لَطِيفًا لِيَّنَا  
لِلْحَقْلِ يَرْتَجُلُ الرِّوَاءُ زَنْبَقًا أَوْ سَوْسَنَا  
لِلْعُشْبِ يَرْتَجُلُ النَّدى لِلْغَصَنِ أَثْقَلُهُ الْجَنَى  
عَاشَ الْجَمَالَ مَشْرَدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكُنَا  
حَتَّى انْكَشَفَتْ لَهُ فَأَلْقَى رَحْلَهُ وَتَوَطَّنَا  
وَاسْتَعْرَضَ الْفَنُّ الْجِبَالَ فَكُنْتَ أَنْتِ الْأَحْسَنَا  
لِلَّهِ سِرُّ فَيْكَ يَا لِبَنَانٍ لَمْ يُعْلِنْ لَنَا  
خُلُقَ النُّجُومِ وَخَافَ أَنْ تُغْوِيَ الْعُقُولَ وَتُفْتِنَا  
فَأَعَارَ أَرْزَكَ مَجْدَهُ وَجَلَالَهُ كَيْ نُوْمِنَا  
زَعَمُوا سَلَوْتُكَ.. لِيَتَّهَمُ نَسَبُوا إِلَيَّ الْمُمَكِّنَا  
فَالْمَرْءُ قَدْ يَنْسَى الْمُسِيءَ الْمُفْتَرِيَّ وَالْحَسِنَا  
وَالْخَمْرَ وَالْحَسَنَاءَ وَالْوَتَرَ الْمَرْنَجَ وَالْغِنَا  
وَمِرَارَةَ الْفَقْرِ الْمُذِلَّ بَلَى، وَلِذَاتِ الْغِنَى  
لَكِنَّهُ مَهْمَا سَلَا هِيَهَاتَ يَسْلُو الْمَوْطِنَا

\*\*\*\*

## ٢ - تحية الشام

[الكامل]

حيّ الشام مُهنّداً وكتابا  
والغوَطةَ الخضراءَ والمحَرابا  
ليستَ قِبَاباً ما رأيتُ وإنما  
عزمٌ تمرّدٌ فاستطالَ قِبَابا  
فالتُّمُّ بروحكِ أرضَها تلثمُ عَصُو  
رأى للعُلا سَكَنَتْ حصىً وترابا  
واهبطِ على بَرْدِي يُصَفِّقُ ضاحكاً  
يستعطفُ التلعات<sup>(١)</sup> والأعشابا  
روحُ أطلّ من السَّماءِ عشيّةً  
فرأى الجمالَ هنا فحنَّ فذابا  
وصَفَا وشَفَّ فأوشكتُ ضِفَّاتُهُ  
تنسابُ مِن وَجْدٍ به مُنسابا  
بل أدمعُ حورُ الجنانِ ذَرَفْنَها  
شوقاً، ولم تملكْ لهنَّ إيابا  
بردي! ذكركَ للعَطاشِ فارتووا  
وبني النُّهى<sup>(٢)</sup> فترشُّفوكِ رُضابا  
مرّت بك الأدهارُ لم تخبُّتْ ولم  
تفسد، وكم خبَّتْ الزمانُ وطابا



(١) التلعة: ما ارتفع أو انخفض من الأرض (من الأضداد).

(٢) النهى: العقل (والجمع: نهى).

بِأَبِي وَأُمِّي فِي الْعَرَاءِ مُوسِّدٌ  
 بَعَثَ الْحَيَاةَ مَطَامِعاً وَرِغَابَا  
 لِمَا تُؤْوِي فِي مَيْسَلُونَ تَرْتَحْتُ  
 هَضْبَاتُهَا وَتَنْفَّسْتُ أَطْيَابَا  
 وَأَتَى النُّجُومَ حَدِيثُهُ فَتَهَافَتْتُ  
 لَتَقُومَ حُرَّاساً لَهُ حُجَّابَا  
 مَا كَانَ يُوسُفُ وَاحِداً بَلْ مُوَكَّبٌ  
 لِلنُّورِ غُلْغُلَ فِي الشَّمْسِ فَغَابَا  
 هَذَا الَّذِي اشْتَاقَ الْكَرَى تَحْتَ الثَّرَى  
 كَيْ لَا يَرَى فِي جُلُوقِ الْأَغْرَابَا  
 وَإِذَا نَبَا الْعَيْشُ الْكَرِيمُ بِمَا جَدِ  
 حُرٌّ رَأَى الْمَوْتَ الْكَرِيمَ صَوَابَا  
 إِنِّي لَأُزْهِى بِالْأَفْتَى وَأُحِبُّهُ  
 يَهْوَى الْحَيَاةَ مَشَقَّةً وَصِيعَابَا  
 وَيَضُوعُ عَطِراً كَلِمَا شَدَّ الْأَسَى  
 بِيَدَيْهِ، يَعْزُكُ قَلْبَهُ الْوُثْبَا  
 وَيَسِيلُ مَاءً إِنْ حَوَاهُ فَدَفْدُ<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا طَوَاهُ اللَّيْلُ شَعَّ شِهَابَا  
 وَإِذَا الْعَوَاصِفُ حَجَّبَتْ وَجْهَ السَّمَاءِ  
 جَدَلَ الْعَوَاصِفَ لِلْسَّمَاءِ أَسْبَابَا  
 وَإِذَا تَقَوَّضَ صَرْحُ أَمَالِ بَنَى  
 أَمْلاً جَدِيداً مِنْ رَجَاءٍ خَابَا  
 فَابْنُ الْكَوَاكِبِ كُلُّ أَفْقٍ أَفْقُهُ  
 وَابْنُ الضَّرَاغِمِ لَيْسَ يَعْدِمُ غَابَا



(١) الغلاة لا شيء فيها .



عجباً لقومي والعدو ببابهم  
 كيف استطابوا اللهو والألعاب؟  
 وتخاللت أسيافهم عن سحقه  
 في حين كان النصر منهم قاباً<sup>(١)</sup>  
 تركوا الحسام إلى الكلام تعللاً  
 يا سيف ليتك ما وجدت قراباً!  
 دنياك يا وطن العروبة غابة  
 حشدت عليك أراقماً<sup>(٢)</sup> وذئاباً  
 فالبس لها ماء الحديد مطارفاً  
 واجعل لسانك مذبذباً أو ناباً  
 لا شرع في الغابات إلا شرعها  
 فدع الكلام شكايه وعتاباً  
 هذي هي الدنيا التي أحببتّها  
 وسقيت غيرك حُبّها أكواباً  
 وضحكت مع أحلامها وبكيت في  
 آلامها، وجرعت معها الصاباً<sup>(٣)</sup>  
 وأضلّ روحك في السرى وأضلّها  
 ما خلّته ماءً فكان سرباً  
 ونظرت، والأوصاب تنهش قلبها  
 فرأيت كل لذاعة أوصاباً<sup>(٤)</sup>  
 شاء الظلوم خرابها فإذا الورى  
 لا يُبصرون سوى نُهاه خراباً

(١) قريباً (قاب الرجل: قُرْب).

(٢) الأرقم من الحيات: ما فيه بياض وسواد.

(٣) عصارة شجر مرّ.

(٤) الوصب: المرض.

دنيا تَأْلَقُ أَمْسُهَا فِي يَوْمِهَا  
 فاستجمعَ الأنسابَ والأحسابا  
 وسرى سناءً الوحي من آفاقِهَا  
 يغشى العصورَ ويغمرُ الأحقابا  
 الحقُّ ما رَفَعَتْ به جدرانُهَا  
 والخيرُ ما زانتْ به الأبوابا  
 فاستنطقِ التَّاريخَ هل في سِفْرِه  
 مجدٌ يُضَاهِي مجدها الخلابا؟  
 شابتْ حضاراتٌ، ودالتْ وانطوتْ  
 أممٌ، ومجدٌ أُمِّيَّةٌ ما شَابا  
 الأمسُ كان لها وإنَّ لها غداً  
 تتلفَّتُ الدنيا له إعجابا  
 غَنِيَّتَ من قبلُ المَحْوِلَة والعَرا  
 أفلا تغني الروضة المِخْصَابا؟<sup>(١)</sup>  
 عَطَفَتْ لِيَالِيَهَا عَلَيْكَ بِشاشَةً  
 فانسَ الليالي غُرْبَةً وَعَذَابا  
 وانشرْ جناحَكَ فالفضاءُ مَنْوَرٌ  
 واملأْ كؤُوسَكَ قد وَجَدْتَ شَرابا  
 فَلِشَدْوٍ مِثْلِكَ كُؤُنْتُ، وَلِثَلْهَا  
 خَلَقَ الإلهُ البُلْبُلَ المِطْرَابا



ليت الرِّياضَ تُعِيرُنِي ألوانُهَا  
 لأصوغَ منها للرئيس خطابا

(١) المَحْوِلَة: الجدب، وانقطاع المطر وبيوسة الأرض.

وأقول: إني عاجزٌ عن شكره  
عَجَزَ الْأَنَامِلُ أَنْ تَلُمَّ عُبَابَا  
أشكو إلى نفسي العِيَاءَ، فتشتكي  
مثلي، وتصمْتُ لا تحيرُ جوابا  
فلقد رأيتُ البحرَ حينَ رأيتهُ  
فوقفتُ مضطربَ الرؤى هيَّابا  
أعميدَ سوريّا وكاشفَ ضُرّها  
خَلَقْتُ يَدَاكَ مِنَ الشَّيْخِ شَبَابَا  
وبَلَابِلُ كَانَتْ تَنْسُجِيْنَهُ  
أَطْلَقْتَهَا وَأَطْرَقْتَهَا أُسْرَابَا  
يا صَاحِبَ الْخُلُقِ الْمَصْفَى كَالنُّدَى!  
لو لم تكنُ بَشَرًا لَكُنْتَ سَحَابَا  
أَمَلُ الشَّبِيْبَةِ فِي يَدَيْكَ وَدِيْعَةٌ  
فَارْفَعْ لَهَا الْأَخْلَاقَ وَالْأَدَابَا  
فَالْجَهْلُ، أَنَّى كَانَ، فَهُوَ عَقُوْبَةٌ  
وَالْعِلْمُ، أَنَّى كَانَ، كَانَ ثَوَابَا  
يا وَيْحَ نَفْسِي كَمْ تَطَارَدُنِي النَّوَى  
وتهدُّ مني القَلْبَ وَالْأَعْصَابَا  
وَدَعْتُ خَلْفَ الْبَحْرِ أَمْسَ أَحِبَّةً  
وَعِدًّا أَوْدَعُهَا هُنَا أَحِبَابَا

\*\*\*\*

### ٣ - الشاعر والكأس

[مجزوء الخفيف]

بات، والكأسُ في الظلام،  
في حـــــــــــــــــديثٍ ولا كلامٍ  
هي في صمَّتِها تضيءُ  
وهو في صمَّتِه يُضام  
شاعرٌ أنفق الصَّبَا  
من غــــــــرامٍ إلى غــــــــرام  
ذاهلُ النَّفسِ بالرؤى  
عن حُطامٍ وذئ حُطامٍ  
وعنِ الفَقْرِ والغنى  
وعن الحُرِّ والسَّلام  
بالشفاهِ التي طفا  
بين أهدابِها الأوام<sup>(١)</sup>  
بالغواني تُطيعه  
والغواني لها احتكام  
بالشُّذا وهو فائحٌ  
والشُّذا وهو بالكِمام<sup>(٢)</sup>  
بالسُّحابِ الذي يسُّحُ  
حُ وبِالخداعِ الجَهَام<sup>(٣)</sup>

---

(١) حرارة العطش.

(٢) الكم: وعاء الطلع وغطاء النور، في الزهر.

(٣) السحاب لا ماء فيه.

بِالْأَغَارِيدِ وَالْبَلَا  
لِ وَالنُّورِ وَالْخُزَامِ  
حَوْلَهُ الْكَوْنُ فِي وَغَى  
وَهُوَ وَالْكَوْنُ فِي وَنَام



مِمَّا لَهُ الْآنَ وَحْدَهُ  
سَاكِنُ الْعِرْقِ كَالنِّيَامِ  
سَاهِرٌ غَيْرَ أَنَّهُ  
خَادِرُ الرُّوحِ وَالْعِظَامِ  
صَامِتٌ مِثْلُ كُتُبِهِ  
وَكَدَنِيَا بِلَا أَنْامِ  
أَتُرَى عِضَّهُ الطُّوَى؟  
لَا! فَفِي بَيْتِهِ طَعَامِ  
لَمْ تَزَلْ كَأَسْهُ لَدَيْهِ  
لَهُ وَفِي كَأَسِهِ مُدَامِ  
وَلَهُ تَضْحَكُ الْبُورِ  
قُ وَيَبْكِي الْحَيَا السَّجَامِ<sup>(١)</sup>  
وَلَهُ تَرْتَعِي الْكَوَا  
كِبُ فِي مَسْرَحِ الظَّلَامِ  
وَلَهُ تَلْبَسُ الرُّبَا  
بُرْدُ النُّورِ وَالْغَمَامِ  
وَلَهُ يُعَبِّقُ الشَّذَا  
وَلَهُ تُعْصِرُ الْمُدَامِ

---

(١) الحيا: المطر والخصب. وسجم سجاماً: سال.

وله يال مع الندي  
 وله يسجج الحمام  
 وله الغداة المائي  
 حة والفارس الهمام  
 كلها. كلها له  
 وعلى غير حرام  
 وهو ساه كائنما  
 بسواها له مرام  
 وجهه غير وجهه!  
 أم على وجهه لئام  
 كالتماثيل حوله  
 من نحاس ومن رخام  
 لا اكتئاب ولا رضا  
 لا بكاء ولا ابتسام  
 ليلة ما أمرها  
 ليلة اليأس ألف عام  
 بقي الحسن إنمما  
 مات في الشاعر الهيام  
 فإذا الكون عنده  
 جددت كله رمام<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الرمة: القطعة البالية من الحبل، والجمع رُمم ورمام.

## ٤ - موكب التراب

[الكامل]

في يوم من أيام الصيف الشديدة الحر كان الشاعر جالساً مع بعض أصحاب له،  
أمام داره، فهبت ريح شديدة أثارت الغبار وعقدته في الفضاء كالسرايق. وكان في مشهد  
الغبار ما حمله على التفكير فنظم القصيدة التالية :

مِنْ أَيْنَ جِئْتُ؟ وَكَيْفَ عُجْتُ بِبَابِي؟  
يَا مُوكِبَ الْأَجْيَالِ وَالْأَحْقَابِ  
أَمِنْ الْقُبُورِ؟ فَكَيْفَ مَنَ حَلُّوا بِهَا؟  
أَهْنَاكَ ذُو أَلَمٍ وَذُو تَطْطَرَابِ؟  
وَلَهُمْ صَبَابَاتٌ لَنَا؟ أَمْ غُودِرُوا  
فِي بَلْقَعٍ مَا فِيهِ غَيْرُ خَرَابِ؟



أَمَرْتُ بِالْأَعْشَابِ فِي تِلْكَ الرُّبَا  
وَذَكَرْتُ أَنَّكَ كُنْتَ فِي الْأَعْشَابِ  
حَوْلَ الصُّخُورِ النَّائِمَاتِ عَلَى الثُّرَى  
وَعَلَى حَوَاشِي الْجُدُولِ الْمُنْسَابِ  
وَعَلَامَ تَصْعَدُ كَالسَّحَابَةِ فِي الْفُضَا  
وَالِى التَّرَابِ مَصِيرُ كُلِّ سَحَابِ؟  
لَمَّا طَلَعْتَ عَلَى الشَّعَاعِ مَوْزِعاً  
مُتَرَجِّجاً كَخَوَاطِرِ الْمُرْتَابِ  
وَذَهَبْتَ فِي عَرَضِ الْفُضَاءِ كَخِيْمَةٍ  
رُفِعَتْ بِلَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابِ<sup>(١)</sup>

---

(١) الطَّنْبُ: حبل الخباء.

قال الصَّحَابُ لِي : استترُ، وتراكضوا  
للذُّعْرِ يَعْتَصِمُونَ بِالْأَبْوَابِ  
وَهَبِ اتَّقِيْتُكَ بِالْحِجَابِ فَأَنْنِي  
لَا بَدْ خَالِعُهُ وَأَنْتَ حِجَابِي!  
كم سَارِحٍ فِي غَابَةٍ عِنْدَ الضُّحَى  
جَاءَ الْمَسَاءُ فَكَانَ بَعْضَ الْغَابِ!  
وَمَصْفُوقٍ لِلْخَمْرِ فِي أَكْوَابِهِ  
طَرِبَاءً، وَطِيفُ الْمَوْتِ فِي الْأَكْوَابِ  
أَنَا لَوْ رَأَيْتُ بِكَ الْقَذَى، مُحَضَّ الْقَذَى،  
لَسْتَرْتُ وَجْهِي عَنْكَ مِثْلَ صِحَابِي  
لَكِنْ شَهِدْتُ شَبِيبَةً وَكَهْلَةً  
وَمَنْىً، وَأَحْلَاماً بِغَيْرِ حِسَابِ  
وَالشَّارِبِينَ بِكُلِّ كَأْسٍ، وَالْأُلَى  
عَاشَوْا عَلَى ظَمَأٍ لِكُلِّ شَرَابِ  
وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ سَيْفٍ فِي الْوَعَى  
وَالْخَانِعِينَ لِكُلِّ ذِي قِرْضَابٍ<sup>(١)</sup>  
وَالصَّارِفِينَ الْعَمَرَ فِي سُوقِ الْهَوَى  
وَالصَّارِفِينَ الْعَمَرَ فِي الْمِحْرَابِ  
وَالْغِيدَ بَيْنَ جَمِيلَةٍ وَدَمِيمَةٍ  
وَالْعَاشِقِينَ : الصَّبِّ وَالْمُتَصَابِي  
وَالْعَبْدَ فِي أَغْلَالِهِ وَحَبَالِهِ  
وَالْمَلِكَ فِي الدِّيبَاجِ وَالْأَطْيَابِ  
أَبَوْا جَمِيعاً فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ  
الْخَاسِرُ الْمَسْبِيُّ مِثْلُ السَّابِي

---

(١) آلة القرص، وهو القطع.



فضحكتُ من حرصي على مُلكِ الصُّبَا  
وعجبتُ كيف مضى عليه شبابي  
ووقعتُ أنتَ على ترابٍ ضاحكٍ  
لَمَّا وقعتَ عليَّ في جِلْبَابِي  
وكذاك أشواقُ التراب: مآلها  
ولئن تقادمَ عهدُها، لِتُراب

\*\*\*\*

## ٥. أين عصر الصبا

[السريع]

ما لي وما لِرَشَاءِ الْأَعْيَدِ  
خَلْتُ مِنَ الْحُبِّ وَمِنْهُ يَدِي  
نَأَى فَمَا فِي قَرْبِهِ مَطْمَعٌ  
لَا تَصِلُ الْكَفُّ إِلَى الْفَرْقَدِ  
قَطَّعْتُ بِالْيَأْسِ خِيوطَ الْمُنى  
وَقَلْتُ لِلْسُّلُوفِ : لَا تَبْعُدِ  
وَصِرْتُ لَا يُطْرِبُنِي مُنْشِدُ  
وَلَا أَنَا أَصْبُو إِلَى مُنْشِدِ  
أَسِيرُ فِي الرُّوضَةِ عِنْدَ الضُّحَى  
حَيْرَانٌ كَالْمُدْلَجِ فِي فَدْفَدِ<sup>(١)</sup>  
أَمَامِي الْمَاءُ وَلَا أَرْتَوِي  
وَحَوْلِي النُّورُ وَلَا أَهْتَدِي  
يَا لَيْتَ شِعْرِي: أَيْنَ عَهْدُ الصَّبَا؟  
وَأَيْنَ أَحْلَامُ الْفَتَى الْأَمْرَدِ؟  
وَلَى وَلَّتْ كَخِيَالِ الْكَرَى  
يَلُوحُ فِي الذَّهْنِ وَلَمْ يُوجَدْ  
فِيَا قُلُوبَ الْكَاشِحِينَ اسْكُنِي  
وَيَا عَيُونَ الْحَاسِدِينَ ارْقُدِي

---

(١) المفارقة الواسعة لا شيء فيها .

ويا شِياهاً تَتَقِي صَوْلَتِي  
قَلَّمْتُ أَظْفَارِي فَاسْتَأْسِدِي!



يا سائلي عن أمس: كيف انقضى؟  
دَعُهُ، وَسَلِّني يا أخِي عن غَدِ  
أروَحَ لِلنَّفْسِ وَأَهْنَأَ لَهَا  
إنْ تحسِبِ المَاضِي لم يُولد



## ٦ - الصَّيْف

[الرَّمْل]

عَادَ لِلْأَرْضِ مَعَ الصَّيْفِ صِبَاَهَا  
فَهِيَ كَالْخَوْدِ<sup>(١)</sup> الَّتِي تَمَّتْ حُلَاهَا  
صُورٌ مِنْ خُضْرَةٍ فِي نَخْزِرَةٍ  
مَا رَأَاهَا أَحَدٌ إِلَّا اشْتَهَاهَا  
ذَهَبُ الشَّمْسِ عَلَى أَفَاقِهَا  
وَسَوَادُ اللَّيْلِ مِسْكٌ فِي ثَرَاهَا  
وَنَسِيمُ الْفَجْرِ فِي أَشْجَارِهَا  
وَشَوْشَاتٌ يُطْرِبُ النَّهْرَ صَدَاهَا  
وَالسَّوَاكِي فِتْنٌ رَاقِصَةٌ  
ضِحْكُهَا شَدْوٌ وَتَهْلِيلٌ بُكَاهَا  
وَالْأَقَاحِي صُورٌ خَلَابَةٌ  
وَأَغَانِي الطَّيْرِ شِعْرٌ لَا يُضَاهِي  
إِنَّهَا الْجَنَّةُ فَاعْجِبْ لَامْرئٍ  
هُوَ فِيهَا وَقَلِيلًا مَا يَرَاهَا  
أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَنْ أَزْهَارِهَا  
لَكَ، لَوْ تَعْلَمُ يَا هَذَا، شَذَاهَا  
أَيُّهَا النَّائِمُ عَنْ أَنْجُمِهَا  
خَلَقَ اللَّهُ لِعَيْنَيْكَ سَنَاها  
أَيُّهَا الْكَابِحُ عَنْ لَذَاتِهَا

---

(١) الحسناء الشابة.

نفسه، هيهات لن تُعطي سواها  
لا تُؤجِّل لغدٍ ليس غدٌ  
غيرَ يومٍ كالذي ضاع وتاها  
وإذا لم تُبصِرِ النفسُ المُنَى  
في الضحَى كيف تراها في مَسَاها  
هذه الجنةُ فأسرَّحْ في رُبَاها  
واشهدِ السَّحرَ زهوراً ومِياها  
واستمعْ للشَّعرِ من بُلْبُلِها  
فهو الشَّعرُ الذي ليس يُضَاهِي



ما أُحيلَى الصَّيفُ! ما أكرمهُ!  
ملاً الدنْيا رِخاءً<sup>(١)</sup> ورَفَاهَا  
عندما رَدَّ إلى الأرضِ الصَّبَا  
رَدَّ أحلامي التي الدهرُ طَوَاهَا  
كنت أشكو مثلاً تشكو الضَّنَى  
فشَفَى آلامَ نفسي وشَفَاهَا



---

(١) سعة الحال.

## ٧ - الغد لنا

[الطويل]

تَبَدَّلَ قَلْبِي مِنْ ضَلَالَتِهِ رُشْدًا  
فَلَا أَرَبُ فِيهِ لِهَنْدٍ وَلَا سَعْدَى  
وَلَمْ تَخْبُ نَارُ الْوَجْدِ فِيهِ وَلَا انْطَوَتْ  
وَلَكِنْ هُيَامِي صَارَ بِالْأَنْفَعِ الْأَجْدَى  
وَمَا الزُّهْدُ فِي شَيْءٍ سِوَى حُبِّ غَيْرِهِ  
أَشَدُّ الْوَرَى نُسْكَاً أَشَدَّهُمْ وَجْداً  
أَحَبُّ سِوَايَ الْعَيْشِ لِهَوَاً وَرَاحَةً  
وَأَنْكَرْتَهُ لِهَوَاً فَأَحْبَبْتُهُ كَدًا  
وَمَا دَامَ فِي الدُّنْيَا سُمُورُ وَرَفْعَةٌ  
فَمَا أَنَا مِنْ يَرْضَى وَيَقْنَعُ بِالْأَرْدَا



هُوَ الْمَوْتُ أَنْ نَحْيَا شَيْهَاءاً وَدِيعَةً  
وَقَدْ صَارَ كُلُّ النَّاسِ مِنْ حَوْلِنَا أُسْدَا  
وَأَنْ نَكْتَفِي بِالْأَرْضِ نَسْرَحُ فَوْقَهَا  
وَقَدْ مَلَكُوا مِنْ فَوْقِنَا الْبَرْقَ وَالرَّعْدَا  
وَأَنْ يَنْشُرُوا فِي كُلِّ أَفْقٍ بُنُودَهُمْ<sup>(١)</sup>  
وَأَلَا نَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup> لَنَا بَنْدَا



(١) الرايات.

(٢) أحد النجمين النيرين في السماء.

تأملتُ ماضينا المجيدَ الذي انقضى  
فرَكلزلَ نفسي أنه انهارَ وأنهدأ  
وكيف امّحتْ تلك الحضاراتُ كُلُّها  
وصارتْ بلادُ أنبتَتْها لها لَحدا  
وصيرنا على الدنيا عِيالاً وطالما  
تعلمَ منا أهلُها البذلَ والرُفدا  
ونحن الألى كان الحريرُ برودهم  
على حينَ كان الناسُ ملبسهم جِلدا



إذا الأمسُ لم يرجعْ فإنَّ لنا غداً  
نُضيء به الدنيا ونملؤها حمداً  
وتلبسُنا في الليلَ أفأقه سنأ<sup>(١)</sup>  
وتنشرنا في الفجر أنسامه ندأ  
فإن نفوسَ العُربِ كالشُّهبِ، تنطوي  
وتخفي، ولكن ليس تبلى ولا تصدأ  
ومثلُ اللآلي لا يخيسُ جمالُها  
وإن هي لم تُرصفْ ولم تنتظم عِقدا  
إذا اختلفتْ رأياً فما اختلفتْ هوى،  
أو افترقتْ سعيّاً فما افترقتْ قصدا



---

(١) النور.

## ٨ - قنبلة الفناء

[المتقارب]

إذا سَحَقْتُ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَةَ  
كما يسحقُ الحجرُ الخَرْدَلَةَ  
وقوُضَ مفعولُها الراسيات  
فصارتْ عُباراً له جَلْجَلَه  
ودبَّ الفنا في ذوات الجَنَاح  
وغُلْغَل في النَّبْتِ فاستأصله  
وفي الماشيات وفي الزاحفات  
عليها، إلى آخر السُّلْسَلَه  
فلا زَهَرَ يَأْرَجُ<sup>(١)</sup> في روضَةٍ  
ولا ديكٌ يَصْدَحُ في مَزْنِلَه  
وضاعَ الزمانُ ومقياسُه  
وأشْشَبَهَ أخْـمَرُه أَوَّلَه  
ولم يبقَ حيٌّ على سطحها  
وأصبحَ عَزْزِيلُ لا شُغْلَ لَهُ  
فذلكَ خطبُ يَهْـوُلُ النُّفُوسَ  
تصوُّره قبل أن تَحْمِلَه  
ولكنَّ أمراً يعزِّي الجميعَ  
إذا سَحَقْتُ أَرْضَنَا الْقُنْبُلَه  
فلنَّ يدعَ الموتُ حَيًّا يَلُومُ  
سِوَاهُ على هذه المَقْتَلَه!

\*\*\*\*

---

(١) أَرَجَ الطيب: فاح (أَرَجَ - يَأْرَج).



## ٩. تلك السنون

[الكامل]

في حفلة اليوبيل الفضي لجريدة «السمير»  
تلك السنون الغاربات ورائي  
سِفَرُ كَتَبْتُ حُرُوفَهُ بِدُمَائِي  
ما عَشْتُهَا لِأَعْدْهَا، بل عَشْتُهَا  
لَتَبِينَ فِي سِيَمَائِهَا سِيَمَائِي  
سَيَّانٍ، لو أَنِي قَنِعْتُ بِعَدْهَا،  
عَمْرِي وَعَمْرُ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ  
وَلَبَذْنِي يَوْمَ التَّفَاخُرِ شَاطِئُ  
ما فيه غَيْرُ رَمَالِهِ الْخَرَسَاءِ  
لَا حَتَّ لِي الْعُلَيَاءُ فِي أَفَاقِهَا  
فَأَرَدْتُهَا دَرْباً إِلَى الْعُلَيَاءِ  
وَمَحَبَةً لِلْخَيْرِ تَسْرِي فِي دَمِي  
وَرِعَايَةً لِلضُّعْفِ وَالضُّعْفَاءِ  
وَعِبَادَةً لِلْحَقِّ أَيْنَ وَجَدْتُهُ  
وَالْحَسَنَ فِي الْأَحْيَاءِ وَالْأَشْيَاءِ  
لِتَدُورَ بَعْدِي قِصَّةٌ عَنْ شَاعِرٍ  
رَقَصَتْ بِهِ الدُّنْيَا جَنَاحَ ضِيَاءِ  
نَشَرَ الطُّيُوبَ عَلَى دُرُوبِ حَيَاتِهِ  
وَسَرَى هَوًى فِي الطُّيْبِ وَالْأَنْدَاءِ  
وَأَظْلَمَ مِنْ قَلْبِ الْبَخِيلِ سَمَاحَةً  
وَشَجَاعَةً فِي السُّلْمِ وَالْهَيْجَاءِ

ومشى إلى المظلوم بارقَ رحمةٍ  
وهوى على الظلام سوطَ بلاء  
فتعزّ دنيا قد طوت أبائي  
وتَهَشُّ دنيا أطلعتُ أبنائي



تلك السنون ببؤسها ونعيمها  
مالت بعودي وانطوت برؤائي<sup>(١)</sup>  
أين الشَّبابُ أُلْفُ أحلامي به  
ليس الشَّبابُ الآن لي برداء  
نفسي تُحسُّ كأنما أثقالها  
قد خُيِّرْتُ فتخيَّرتُ أعضائي  
كم من رؤى طلعت على جنباتها  
رَكُوباً من الأضواء والأشذاء  
قلَّبتُ فيها، بَعْدَ لَآيٍ، ناظري  
فتَعَثَّرْتُ عيناى بالأشلاء  
يا لِّلضحايا، لا يرفُّ لموتها  
جفنٌ، ولا تُحصى مع الشهداء  
ودَعْتُ لَذَاتِ الخيال وعِفَّتُها  
ورضيتُ أن أشقى مع الحُكماء  
فَعَرَفْتُ مِثْلَهُمُ بَأَنِي مُوجِدٌ  
بؤسي، وأني خالقُ نَعْمَائِي



إنني أراني بعد ما كابدتهُ  
كالْفُلْكِ خارجةً من الأنواء

---

(١) الرؤاء: حسن المنظر.

وكسائحٍ بلغَ المدينةَ بعدما  
ضلَّ الطريقَ وتاه في البَيداءِ  
شكراً لأصحابي فلولا حبُّهمُ  
لم اقتربُ من عالمِ اللآلئِ  
بهمُ اقتحمتُ العاصفاتِ بمركبي  
وبهمُ عقدتُ على النجومِ لوائي



شكراً لأعدائي فلولا عيُّتهمُ  
لم أدر انهمُ من الغَوغاءِ  
نهشَ الأسى لما ضحكتُ قلوبهمُ  
عرَّسُ المحبةِ مآتمُ البغضاءِ  
ذنبي إلى الحُسادِ أني فُتُّهمُ  
وتركتهمُ يتعنَّثونَ ورائي  
وخطيئتي الكبرى إليهمُ أنهمُ  
قَعَدُوا ولم أقعدُ على الغُبراءِ<sup>(١)</sup>  
عفوَ المروءةِ والرجولةِ، إنني  
أخطأتُ حينَ حسبتُهمُ نُظرائي



شكراً لكلِّ فتى مزجتُ بروحهِ  
روحي، فطابَ ولاؤهَ وولائي  
من كان يحلمُ بالسَّماءِ فإنني  
في قلبِ إنسانٍ وجدتُ سَمائي  
ليس الجمالُ هو الجَمالُ بذاته  
الحُسنُ يوجدُ حينَ يوجدُ راءِ

---

(١) الأرض.

ما الكون؟ ما في الكون لولا آدمُ  
إلا هَبَاءٌ عَالِقٌ بِهَبَاءٍ  
وأبو البريةِ ما أبان وجوده  
وأتمَّ غايتهُ سوى حواءِ  
إني سكبتُ الخمرَ حين سكبتُها  
للناس، لا للأنجمِ الزَّهراءِ  
لا تشربُ الخمرَ النجومُ وإن تَكُنْ  
معصورةً من أنفُسِ الشعراءِ



تلك السنون. عقيمُها كولوِدها  
حلُولدي. كذا يَشَاءُ وفائي  
فالليلةُ العسراءُ من عمري وعمُ  
رِ الدهر مثل الليلةِ السَّحَاءِ  
يا مَنْ يقول: « ظلمتَ نفسَكَ فَاتَّئِدْ »  
دعني فلسْتُ بِحَامِلٍ أَعْبَائِي  
إن الحياةَ الروحُ بعضُ عطائها  
وأنا ثمارُ الروحِ كلُّ عطائي  
ما العمرُ؟ إنْ هُوَ كالإناءِ، وإنني  
بالطيبِ الغالي ملأتُ إنائي  
فإذا بقيتُ فللجمالِ بقائي  
وإذا فنيتُ ففي الجمالِ فنائي



له ما أحلى وأسنى ليَلتي  
هي في كتابِ العمرِ كالطُّغراءِ<sup>(١)</sup>

---

(١) الطُّرَّة في رأس الكتاب، تتضمن النعوت والألقاب.

يا صَحبُ لَن أنسى جَميلَ صَنِيعِكمُ  
حتى تَفارقَ هيكلي حَوبائي<sup>(١)</sup>  
وتقول عيني «قد فُقدتُ ضيائي»  
ويقول قلبي « قد فُقدتُ رجائي»

\*\*\*\*

---

(١) النفس.

## ١٠ - امتنان

[الخفيف]

في حفلة ميلاد ديوانه (الخمائل)  
ما لقلبي يَلِجُ في الخَفَقَانِ  
لا أنا عاشقٌ ولا أنا جَانِ  
ابتغي أن أقولَ شيئاً فيَعْصَا  
ني لساني، والسَّحَرُ تحت لساني  
أنا كالطائر الذي اندفق السُّحْرُ  
— ر عليه، فغَصَّ بالألحانِ  
أو كَفُّكَ في البحر أوفى عليها  
عارضٌ<sup>(١)</sup> بعدَ عارضٍ هَتَّانِ  
غلبتني عواطفُ الصَّحْبِ حتى  
صِرْتُ في حاجةٍ إلى تَرْجَمَانِ  
أين في موكبِ القريضِ لوائي  
قد طواه بيائهم وطواني  
أيُّها المادحونَ خَمري رويداً  
منكمُ الخَمْرَةُ التي في دِناني  
من أنا؟ ما صنعتُ كي تعصِبوا بالتَّ  
— تاجِ رأسي، وأيُّ شَانٍ شاني؟  
لا افْتِخَارٌ لِنَحْلَةٍ وجدتُ حَقْلاً  
فعادت من زهره بالمَجَانِي<sup>(٢)</sup>

---

(١) العارض: السحاب يعترض الأفق.

أَنَا مِنْ رَوْضِكُمْ قُطِفْتُ أَزَاهِيدِ  
رِي، وَمِنْ بَحْرِكُمْ غُرِفْتُ جُمَانِي  
إِنْ أَكُنْ فَرَقَدًا فَأَنْتُمْ سَمَائِي  
أَوْ هَزَارًا فَأَنْتُمْ بُسْتَانِي  
أَيُّ بَدْعٍ إِنْ أَخْرَجَ الْحَقْلُ لَنَا  
سِ صُنُوفَ النَّبَاتِ فِي نَيْسَانَ؟  
لَيْسَ لِي مِنْ قِصَائِدِي غَيْرُ أَوْزَانِ  
نِ، وَلَيْسَتْ أَصِيلُهُ أَوْزَانِي  
أَصْدَقُ الشَّعْرِ فِي الْحَيَاةِ وَفِيكُمْ،  
لَيْسَ غَيْرُ الْأُظْلَالِ<sup>(١)</sup> فِي دِيَوَانِي



مَا هُوَ الشَّعْرُ؟ إِنَّنِي مَا رَأَيْتُ أَثْرَ  
نَيْنٍ إِلَّا وَفِيهِ يَخْتَصِمَانِ  
قَالَ قَوْمٌ: « وَحْيٌ يُنَزَّلُهُ اللَّهُ  
لَهُ »، وَقَوْمٌ: « نَفَثٌ مِنَ الشَّيْطَانِ »  
ضَلَّ هَذَا وَذَا، فَمَا حَفَزَ الْإِنْسَانَ  
سَانَ شَيْءٌ لِلشَّعْرِ كَالْإِنْسَانِ  
يَعِشُّ الْمَرْءُ ذَاتَهُ فِي سِوَاهُ  
وَيَحِبُّ « الْإِنْسَانَ فِي الْأَكْوَانِ  
أَنَا مِنْ أَجْلِهِ بَنَيْتُ قُصُورِي  
وَفَرَشْتُ الدَّرُوبَ بِالرَّيْحَانِ  
أَنَا مِنْ أَجْلِهِ سَكَبْتُ خُمُورِي  
وَشَدَدْتُ الْأَوْتَارَ فِي عِيدَانِي  
أَنَا مِنْ أَجْلِهِ رَجَعْتُ مِنَ الرُّو  
ضَةِ، فِي رَاحَتِي، بِالْأَلْوَانِ

---

(١) يجمع الظل على ظلال وأظلال وظلول.

واستعرتُ التهلِيلَ من جدولِ الوا  
 دي، وضحكَ الرُّضَا من الغُدران  
 ومن الشَّمسِ في الأصائلِ والأصْدُ  
 بَاح<sup>(١)</sup> ذوبَ اللُّجَيْنِ والعِقيان<sup>(٢)</sup>  
 وحَمَلْتُ الجلالَ من أرضِ (سوريّ  
 يَا) إليه، والسَّحَرِ من (البنان)  
 نحن أهل الخيالِ أسعدُ خلقِ الد  
 ه، حتى في حالةِ الحرمان  
 كم زهدنا بثروةٍ من نُضارٍ  
 وقنينا بثروةٍ من أمانٍ  
 وانطوينا في موكبٍ من ضياءٍ  
 وسَطَعْنَا في غمرةٍ من دُخان  
 نتراءى على الصَّعيدِ ص  
 عاليكَ ولكنْ أرواحنا في العَنان<sup>(٣)</sup>  
 إن ظَمِيننا وعَزَّ أن نَرِدَ الما  
 ءَ رَوَانَا تصوُّرُ الغُدران  
 وإذا غابت النجومُ اهتدينا  
 بالرُّؤى، بالرجاء، بالإيمان  
 لا يَعدُ الورى علينا الليالي  
 نحن قومٌ نعيشُ في الأزمان



رُدَّ عني الكؤوسُ يا أيُّها السَّا  
 قي، فرُّوحِي نشوَى بخمرِ المعاني

(١) جمع (الصبح).

(٢) اللجين: الفضة، والعقيان: الذهب الخالص.

(٣) الصعيد: الأرض المرتفعة أو الأرض إطلاقاً. والصلوك: الفقير الذي لا اعتماد له. والعنان هنا: السحاب.



بالقوافي (جداولاً) من وفاءٍ  
 والأغاني (خَمائلاً) من حنانٍ  
 زَهَدَ الناسُ حين دارتْ عليهمُ  
 بالَّتِي في كؤُوسهمُ والقَناني  
 أيُّها الليلُ! أنت أبهى من الفَجْ  
 رٍ وإن كنت أسودَ الطَّيلسانِ  
 بالوجوهِ الزهراءِ، بالأنفُسِ السَّمِ  
 حاءِ، من يَغْرُبُ ومن غَسَّانِ  
 بملوكِ البيانِ، بالأدبِ الرأى  
 نِع، بالُنشدينَ، بالألحانِ  
 بالغواني، فديتهنَّ، فأسمى الشَّ  
 شِعْرِ والفنِّ في الحياة الغواني  
 هذه الشَّمْسُ هل رأى الناسُ وجهاً  
 مثَلَهَا في البهاءِ واللمعانِ  
 تتجلَّى لنا على اليُسْرِ والعُسْرِ  
 رٍ ونمشي في نورها الفَتَّانِ  
 قد نسينا شعاعها وسَناها<sup>(١)</sup>  
 عندما أشرقَتْ وجوهُ الحِسانِ  
 قُسِّمَ الدهرُ: أنت يا ليلُ شَطْرُ  
 مِن حياتي، والعُسْرُ شَطْرُ ثانٍ  
 أنت عصرٌ مُستَجْمَعٌ في سُويعا  
 تٍ، ودنيا رحيبةٌ في مكانٍ  
 قد تلاقت فيك القلوبُ على الحُبِّ  
 عٍ تلاقي الأَجفانِ بالأَجفانِ

(١) الضوء والنور.

لا تقولوا دقائِقُ وثوانٍ  
زاهباتُ فالعمرُ هذي التَّواني



أنا ما عِشتُ سوف أذكرُ بالشُّكرِ  
رِجَميلَ الرِّفاقِ والإِخوانِ  
وَإِذا مِتُّ في غَدٍ فسيأتي  
كَمْ ثَنائي من ظُلْمَةِ الأكفانِ



## ١١ - اسألوها

[الخفيف]

اسألوها، أو فاسألوا مُضَنَّاها:  
أي شيء قالت له عينهاها؟  
فهو في نشوة وما ذاق خمراً  
نشوة الحب هذه إياها  
ذاهل الطرف شارد الفكر، لا يد  
مَح حسناً في الأرض إلا رآها  
السَّواقِي لكي تحدث عنها  
والأقاحي لكي تذيع شذاها  
وحَفيفُ النَّسيم في مَسْمَعِ الأُذُنِ  
راقٍ نجوى تبتُّها شفتاها  
يحسبُ الفجرَ قُبْسَةً من سناها  
ونجومَ السَّماءِ بعضَ حُلاها  
وكذاك الهوى إذا حلَّ في الأر  
واح، سارت في موكبٍ من رؤاها  
كان ينهى عن الهوى نفسه الظُّم  
أى، فأمسى يلومُ من ينهاها  
لمسَ الحبِّ قلبه فهو نارٌ  
تتلظى ويستلذُّ لظاها!  
كلُّ نفسٍ لم يشرقِ الحبُّ فيها  
هي نفسٌ لم تدركِ ما معناها

\*\*\*\*

## ١٢ - أم القرى

[الرمل]

هذه « ملفرد<sup>(١)</sup> » قد لاحت رُبَّاهَا  
فانسَ يا قلبُ الليالي وأذاها  
واشهدِ الفنَّ سُفوحاً وذُرّاً  
والهوى الصَّافي أريجاً ومياها  
ههنا أودعتُ أحلامَ الصَّبَا  
أفما تلمحُ نوراً في ثراها؟  
ههنا بالأمسِ في دارِ تَهَا  
كنتُ مثلَ النَّسْرِ حُرّاً في ذُراها  
أتلقى الوحيَ عن بلبلِهَا  
وهو ولهانٌ يغني لربَّاهَا  
وتُحسُّ الوحيَ رُوحِي هابِطاً  
من سماها، في ضحاها ومساها  
ذهبتُ عشرونَ في فُرْقَتِهَا  
ليتها فيها انقضتْ لا في سواها  
كم جلسنا تحت صفصافتِهَا  
اشتكي وجدي، وتشكولي هواها  
والسَّواقي استترتْ إلا غناها  
والروابي هَجَعَتْ إلا شَذَاها  
والصُّدى في الغابِ لم ننيسْ معاً  
نُبْسُهُ إلا وعاءها وحكاها

(١) هي ملفرد في ولاية بنسلفانيا حيث أقام الشاعر في صباه، وخطب فتاة أحلامه، وعاد إليها في فصل الشتاء.

نَتَنَاجَى وَيَدِي فِي يَدِهَا  
فَإِذَا لَاحَ خَيْالٌ نَتَلَاهَى  
أَنَا دُنْيَا مِنْ شَبَابٍ وَهَوًى  
وَهِيَ كَالرَّوْضَةِ قَدْ تَمَتْ حَلَاهَا  
أَحْسَنُ الْأَيَّامِ فِي الْعَصْرِ انْقَضَتْ  
أَهْ لَوْ يَنْشُرُهَا مَنْ قَدْ طَوَاهَا  
صُرْتُ فِي نِيُويُورْكَ طَيْفًا شَارِدًا  
مَعَ طَيُوفٍ حَائِرَاتٍ فِي سُرَاهَا  
طَرَحْتُ عَنْهَا رُؤَاهَا وَمَضْتُ  
تَنْشُدُ الْمَجْدَ الَّذِي فِيهِ شَقَاهَا  
كَنَعَاكِ عَمِيَّتْ أَبْصَارُهَا  
وَوَهَتْ فِي طَلَبِ الْعُشْبِ قُورَاهَا  
كَلَّمَا جَدْتُ لَكَ تَدْرِكُهُ  
وَجَدْتُهُ صَارَ فِي الْأَرْضِ وَرَاهَا!  
أَيْنَ فِي نَفْسِي رُؤًى تُسَعِدُهَا؟  
سَرَقْتُ (نِيُويُورْكَ) مِنْ نَفْسِي رُؤَاهَا  
فِي يَدِي أَمْرِي وَلَا أَمَلِكُهُ  
وَمَعِيَ ذَاتِي وَأَخْشَى أَنْ أَرَاهَا!  
هَذِهِ « أُمُّ الْقُرَى » قَفْ فِي حِمَاهَا  
تَسْتَرْحُ نَفْسِي مِنْ بَعْضِ جَوَاهَا  
هَهْنَا الْإِنْسَانُ يُلْقَى ذَاتَهُ  
هَهْنَا لَا يَحْجُبُ الْمَالُ إِلَهَهَا  
لَا تَقْلُ لِي جِنَّتُهَا عَارِيَةً  
فَقَرُّهَا عِنْدِي جَمِيلٌ كَغِنَاهَا  
لَمْ يَزَلْ لِلصَّيْفِ فِيهَا عَبَقُ  
وَسَمَاءُ الصَّيْفِ مَا زَالَتْ سَمَاهَا

لا يزالُ الحبُّ في شلالِها  
وبواديها حديثاً وانتباهاً  
لم يجردها الشُّتَا من وشيها  
بل كساها روعةً فوق بهاها  
فهِيَ في ديباجةٍ من صِبْغهِ  
ما رآها أحدٌ إلا اشتَهاها

\*\*\*\*

### ١٣ - « من اشتهى الخمر فليزرع دواليها »

[البسيط]

خُذْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا  
لَكِنْ تَعَلَّمْ قَلِيلاً كَيْفَ تُعْطِيهَا  
كُنْ وَرَدَةً طَيِّبَةً حَتَّى لَسَارِقِهَا  
لَا دِمْنَةَ<sup>(١)</sup> خُبْنُهَا حَتَّى لَسَاقِيهَا  
أَكَانَ فِي الْكَوْنِ نُورٌ تَسْتَضِيءُ بِهِ  
لَوْ السَّمَاءُ طُوتْ عَنْهَا دَرَارِيهَا  
أَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ أَزْهَارٌ لَهَا أَرْجٌ  
لَوْ كَانَتْ الْأَرْضُ لَا تُبْدِي أَقَاحِيهَا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الطَّيْورَ الدُّمَى سَيَّانٍ فِي نَظَرِي  
وَالْوَرَقُ إِنْ حُبِسَتْ هَذِي أَغَانِيهَا  
إِنْ كَانَتْ النَّفْسُ لَا تَبْدُو مُحَاسِنُهَا  
فِي الْيُسْرِ صَارَ غَنَاهَا مِنْ مَخَازِيهَا



يَا عَابِدَ الْمَالِ قُلْ لِي هَلْ وَجَدْتَ بِهِ  
رُوحاً تَوَاسِيكَ أَوْ رُوحاً تَوَاسِيهَا  
حَتَّامَ يَا صَاحِ تَخْفِيهِ وَتَطْمَرُهُ  
كَأَنَّمَا هُوَ سُوءَاتُ تَوَارِيهَا؟  
وَتَحَرِّمُ النَّفْسَ لَذَاتٍ لَهَا خُلِقَتْ  
وَلَمْ تَصَاحِبْكَ يَا هَذَا لِتُؤْذِيهَا

(١) من معاني الدمنة: الأثر، والضغينة، وبقيّة الماء في الحوض.

(٢) الأرج: توهج ريح الطيب (أرج - يأرج).

انظرُ إلى الماءِ إنَّ البذلَّ شيمتهُ  
يأتي الحقولَ فيرويهَا ويحييها  
فما تعكّرُ إلا وهو مُنحَسٌّ  
والنفسُ كالماءِ تحكيه ويحكيها  
السَّجْنُ للماءِ يؤذيه ويُفسدهُ  
والسَّجْنُ للنفسِ يؤذيها ويُضنّيها  
وانظرُ إلى النَّارِ إنَّ الفتكَ عادتُها  
لكنَّ عادتَها الشنْعاءُ تُرديها  
تُفني القُرى والمغاني وهي ضاحكةُ  
لجَهِلِها أن ما تُفنيه يُفنيها  
أرسلتُ قولي تمثيلاً وتشبيهاً  
لعلَّ في القولِ تذكيراً وتنبيهاً  
لا شيءَ يُدرِكُ في الدنيا بلا تعبٍ  
مَنْ اشتهى الخمرَ فليزرعْ دواليها

\*\*\*\*



## ١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملا

[الكامل]

لم أنسَ حينَ مشيتُ إليَّ تَلُومُني  
لَمَّا رأتني باسماً مُتَهَلِّلاً  
قالتُ: أَطربُ والمنايا حُومٌ  
في الأرض، كيف رمتُ أصابتُ مَقْتَلًا  
انظرُ فقد خَلَّتِ البيوتُ من الشُّبا  
بِولا جمالٍ لِنزْلِ مِنْهُمْ خلا  
فسألتُها: أو ليس من أجل العُلا  
وهنأنا خاضوا الوغى؟ قالت : بلى  
يا هذه إذا بكيتِ لِبُعْدِهِمْ  
يتبسمون؟ أجابتِ الحسناءُ : لا  
كُفِّي الملامَ إنن، فما أنا جاهلٌ  
ما تعلمين، وكيف لي أن أجهلا  
لكن بعثتُ الفكرَ في آثارهم  
في البحر، في الأجواءِ، في عُرْضِ الفلا  
فرأيتُ نورَ المجدِ فوق بنودهم  
ورأيتهم يمشونَ من نصرٍ إلى ..  
سدُّوا على الباغِي المسالكَ كُلَّها  
فالموتُ إنْ ولى وإنْ هوَ أَقبلا

فإذا شَممتِ اليومَ رائحةَ الدِّمَا  
وَطالعتْ عَيْنُكَ أَثَارَ البِلَى  
فاسْتَبْشِرِي فِغْداً إِذَا النِّقْعُ<sup>(١)</sup> انْجَلَى  
سَتَعُودُ دُنْيَانَا أَحَبَّ وَأَجْمَلَا

\*\*\*\*

---

(١) الغبار.

## ١٥ - رؤيا

[الكامل]

رؤيا مَنام.. رَبِّ حُلْمٍ فِي الْكَرَى  
فِيهِ تَلَوُّحُ حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ  
إِنِّي حَلَمْتُ كَأَنَّمَا أَنَا سَائِرٌ  
فِي رَوْضَةٍ خَلَابَةٍ غَنَاءِ  
النُّورِ مَفْرُوشٌ عَلَى طُرْقَاتِهَا  
وَالْعَطَرُ فِي النِّسَمَاتِ وَالْأَفْيَاءِ  
وَالْعِشْبُ فِيهَا سُنْدُسٌ مَتَمُوجٌ  
وَالْجَوُّ أَضْوَاءٌ عَلَى أَضْوَاءِ  
وَإِذَا بِصَوْتٍ كَالْهَرِيرِ<sup>(١)</sup> يَطْنُ فِي  
أُذُنِي، وَأَنْيَابٌ تُصْرُ وَرَائِي  
فَأَدْرْتُ طَرْفِي بَاكِتًا مُتَعَجِّبًا  
مِمَّا سَمِعْتُ. وَلَسْتُ فِي بَيْدَاءِ  
فَإِذَا وَرَائِي فِي الْحَدِيقَةِ نَابِحٌ  
ضَارِي الْمَحَاجِرِ ضَامِرُ الْأَحْشَاءِ  
كَأَدْتُ تُطَلُّ عُرُوقُهُ مِنْ جِلْدِهِ  
وَتُطَلُّ مَعَهَا شَهْوَةٌ لِدِمَائِي  
أَشْفَقْتُ يِعْلَقُ نَابُهُ بِرِدَائِي  
فَرَفَسَتْهُ غَضَبًا فَطَارَ حَذَائِي

---

(١) هريز الكلب: صوته دون نباحه.

فَطَوَى نَوَاجِذَهُ عَلَيْهِ كَأَنَّمَا  
عَضَّتْ نَوَاجِذُهُ عَلَى الْعُنُقَاءِ<sup>(١)</sup>!  
وَمَضَى بِهِ لِرَفَاقِهِ فَتَهَلَّلُوا  
وَتَقَاسَمُوا فَكَانَ خَيْرَ عِشَاءٍ!  
لَا يَعْجِبُنْ أَحَدٌ رَأْيِي حَافِيَاً  
أَبْلَتْ نَعَالِي أَلْسُنُ السُّفَهَاءِ!

\*\*\*\*

---

(١) طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم ! أو الداهية عموماً.

## ١٦ - رؤيا ثانية

[الكامل]

وحَلَمْتُ ثَانِيَةً، وَكَانَ الْكَوْنُ لَمْ  
تَبْرَحْ عَلَيْهِ كَلَاكُلٌ<sup>(١)</sup> الظُّلُمَاءِ  
أَنِّي رَأَيْتُ جَرَادَةً مَطْرُوحَةً  
فِي سَبْخَةٍ<sup>(٢)</sup> مِنْهُوَكَةِ الْأَعْضَاءِ  
تَرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْبَعِيدِ بِمُقْلَةٍ  
كُلْمَى، وَتَشْتِمُ أَنْجَمَ الْجُوزَاءِ  
فَسَأَلْتُهَا: مَاذَا عَرَاكَ فَلَمْ تُجِبْ  
فَسَأَلْتُ عَنْهَا زُمْرَةَ الرُّفَقَاءِ  
قَالُوا: رَفِيقَتُنَا شَهِيدَةٌ هُزِنَتْهَا  
بِنَصَائِحِ الْعُقَلَاءِ وَالْحُكَمَاءِ!  
كَانَتْ إِذَا جَاعَتْ فَحَبَبَةٌ خَرْدَلٍ  
تَكْفِي، وَإِنْ عَطِشَتْ فَنَقْطَةُ مَاءٍ  
سَمِعْتُ بِنَهْرٍ فِي السَّمَاءِ وَجَنَّةٍ  
لَيْسَتْ لَتَصَوِّحِ<sup>(٣)</sup> وَلَا لِفَنَاءِ  
الْعَطْرِ فِي أَثْمَارِهَا، وَالشَّهْدُ فِي  
أَنْهَارِهَا، وَالسَّحَرُ فِي الْأَنْدَاءِ  
فَاسْتَنْكَفَتْ أَنْ تَسْتَمِرَّ حَيَاتُهَا  
فِي الْأَرْضِ جَائِمَةً عَلَى الْأَقْدَاءِ

(١) الكلال والكلال: الصدر.

(٢) الأرض السبخة: ذات ملح ونز.

(٣) صَوَّحَ النَّبْتُ: تَمَّ يَبْسُهُ.

فمضتْ تحلُّقُ في الفضاء، ولم تنزلْ  
حتى وهتْ، فهوتْ إلى الغبراء<sup>(١)</sup>  
رجعتْ إلى الدنيا التي خُلِقَتْ لها  
لم تُخلَقِ الحشراتُ للأجواء  
هذي حكايتها وفيها عبرةٌ  
للطائشينَ كهذه الحَمَقاء

\*\*\*\*

---

(١) الأرض.

## ١٧ - أيلول الشاعر

[الكامل]

من قصيدة يصف بها المناظر الرائعة التي مر بها في طريقه إلى مونتريال  
الحُسْنُ حَوْلَكَ فِي الْوَهَادِ وَفِي الذُّرَا  
فَانْظُرْ، أَلَسْتَ تَرَى الْجَمَالَ كَمَا أَرَى؟  
«أيلول» يَمْشِي فِي الْحَقُولِ وَفِي الرُّبَا  
وَالْأَرْضُ فِي أَيْلُولٍ أَحْسَنُ مِنْظَرَا  
شَهْرٌ يَوْزَعُ فِي الطَّبِيعَةِ فَنَّهُ  
شَجَرًا يُصَفِّقُ أَوْ سَنَا مُتَفَجِّرَا  
فَالنَّوْرُ<sup>(١)</sup> سِحْرٌ دَافِقٌ، وَالْمَاءُ شِعْرٌ  
رَائِقٌ، وَالْعِطْرُ أَنْفَاسُ النَّثْرِ  
لَا تَحْسَبِ الْأَنْهَارَ مَاءً رَاقِصًا  
هَذَا أَغَانِيهِ اسْتَحَالَتْ أَنْهَارَا  
وَانْظُرْ إِلَى الْأَشْجَارِ تَخْلَعُ أَخْضَرًا  
عَنْهَا، وَتَلْبَسُ أَحْمَرًا أَوْ أَصْفَرَا  
تَعْرِى وَتُكْسَى فِي أَوَانٍ وَاحِدٍ  
وَالْفَنُّ فِي مَا تَرْتَدِيهِ وَفِي الْعَرَا  
فَكَأَنَّمَا نَارٌ هُنَاكَ خَفِيَّةٌ  
تَنْحَلُّ حِينَ تَهْمُ أَنْ تَسْتَشْعِرَا<sup>(٢)</sup>  
وَتَذُوبُ أَصْبَاغًا كَالْوَانِ الضُّحَى  
وَتَمُوجُ أَلْحَانًا وَتَسْرِي عُنْبَرَا

(١) زهر الشجر الأبيض.

(٢) تهم أن تنعقد وتشب.

صورٌ وأطيفٌ تلوحٌ حفيفةً  
وكأنها صورٌ نراها في الكرى  
للهِ من « أيلول » شهرٌ ساحرٌ  
سبقَ الشهورَ وإنْ أتى متأخراً  
من ذا يُدبِّجُ أو يحوِّكُ كوشْييهِ  
أو من يصوِّرُ مثلما قد صَوَّرا؟  
لمستُ أصابعهُ السماءَ، فوجهُها  
ضاحٍ ومَرٌّ على الترابِ فنَوَّرا  
ردَّ الجلالَ إلى الحَيَاةِ وردَّنِي  
من أرضِ نيويوركٍ إلى أمِّ القُرى<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) هي (ملفرد) في ولاية بنسلفانيا . انظر النص السابق رقم ١٢



## ١٨ - يا رفاقي

[الرمل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في حفلة تكريم الدكتور ظافر الرفاعي وزير خارجية سوريا والدكتور فريد زين الدين سفير سوريا في واشنطن ومندوبها الدائم في الأمم المتحدة.

جُعْتُ والخَبْزُ وفِيرٌ في وَطَابي<sup>(١)</sup>  
والسُّنا حولي، وروحي في ضبابٍ  
وشربتُ الماءَ عَذْباً سائِغاً  
وكأنني لم أذُقْ غَيْرَ سَرابٍ  
حيرةٌ ليس لها مِثْلٌ سِوى  
حَيْرَةِ الزُّورِقِ في طَافي العُبابِ  
ليس بي داءٌ وَلَكِنِّي امرؤٌ  
لستُ في أرضي ولا بينَ صِحابي  
مَرَّتِ الأعوامُ تَتَلو بعضُها  
للورى ضِحكِي، ولي وحدي اكْتِئابِي  
كَلِّمًا اسْتَوْلَدَتْ نَفْسِي أَملاً  
مدَّت الدنيا له كَفًّا اغْتِصَابِ  
أَفَلَتْتُ مِنِّي حُلُواتُ الرُّؤْيِ  
عندما أَفَلْتُ من كَفِّي شَبابي  
بِتُّ لا إِلَهَامُ بابٌ مُشَرَعٌ  
لي، ولا الأحلامُ تَمشي في رِكابِي

(١) الوطْب والوطاب: سقاء اللبن. يريد: وعاء الزاد.

أشتهي الخمرَ وكأسي في يدي  
وأحسُّ الروحَ تَعْرِى في ثيابي  
يا رفاقي! حطُّمُوا أَقْداحَكُمْ  
ليس في دَنِّي خمرٌ لَأَنسِكَاب  
جَفَّ ضَرَعُ الشَّعْرِ عِنْدِي وَذَوَى  
ولَكُمْ عاشِ لِمَرِّي<sup>(١)</sup> واحتِلاب



أيها السائلُ عَنِّي مَنْ أَنَا؟  
أنا كالشمسِ إلى الشَّرْقِ انتسابي  
لغةُ الفولاذِ هاضتُ<sup>(٢)</sup> لغتي  
لا يعيشُ الشَّدْوُ في دنيا اصْطِخاب  
لست أشكو إن شكا غيري النُّوى  
غربةُ الأجسامِ ليست باغتراب  
أنا كالكَرَامَةِ لو لم تَغْتَرِبْ  
ما حواها الناسُ خمرًا في الخوابي  
أنا كالكَرْمَةِ لو لم تَغْتَرِبْ  
ما حواها الناسُ خمرًا في الخوابي  
أنا كالسَّوسَنِ لو لم يَنْتَقِلْ  
لم يُتَوَجَّ زَهْرُهُ رَأْسَ كَعَاب<sup>(٣)</sup>  
أنا في نيويوركَ بالجسمِ وبالرُّ  
رُوحٍ في الشَّرْقِ على تلك الهَضاب  
في ابتسامِ الفجرِ، في صمتِ الدُّجَى  
في أَسَى تَشْرِينَ، في لَوْعَةِ آبِ

(١) مَرَى الضَّرْعُ: مسحهُ ليدِرَّ.

(٢) هاض الشيءَ هِضًا: كسره.

(٣) المرأةُ كَعَبٌ ثديها (ظهر)، فهي كاعب وكَعَاب.

أنا في الغُوطَةِ زَهْرٌ وَنَدَى  
أنا في « لَبْنَان » نَجْوَى وَتَصَابِ  
رَبِّ هَبْ بَنِي لِبْلَادِي عَوْدَةً  
وَلِيَكُنْ لِلغَيْرِ فِي الأُخْرَى ثَوَابِي



أَيُّهَا الْآتُونَ مِنْ ذَاكَ الْحِمَى  
يَا دُعَاةَ الْخَيْرِ يَا رَمَزَ الشُّبَابِ  
كَمْ هَشَشْنَا وَهَشَشْتُمْ لِمَنَى  
وَبَكَيْتُمْ وَبَكَيْنَا فِي مُصَابِ!  
وَاشْتَرَكْنَا فِي جِهَادٍ أَوْ عَذَابِ  
وَالْتَقَيْنَا فِي حَدِيثٍ أَوْ كِتَابِ  
وَعَرَفْتُمْ وَعَرَفْنَا مِثْلَكُمُ  
أَنَّمَا الْحَقُّ لَدِي ظُفْرِ وَنَابِ  
كُلُّ أَرْضٍ نَامَ عَنْهَا أَهْلُهَا  
فَهِيَ أَرْضٌ لَاغْتِصَابٍ وَانْتِهَابِ  
إِنَّنِي أَلْحُ فِي أَوْجِهَكُمُ  
دَفْقَةَ النُّورِ عَلَى تِلْكَ الرُّوَابِي  
وَأَرَى أَشْبَاحَ أَعْوَامٍ مَضَتْ  
فِي كِفَاحٍ وَنِضَالٍ وَوِثَابِ  
وَأَرَى أَطْيَافَ عَصْرِ زَاهِرٍ  
طَالِعٍ كَالشَّمْسِ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ  
لَيْتَهُ يُسْرِعُ كِي أَبْصَرَهُ  
قَبْلَ أَنْ أَغْدُو تَرَاباً فِي التُّرَابِ



## ١٩. لوس أنجيلوس

[الكامل]

القصيدة التي ألّفها الشاعر في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت على شرفه في لوس أنجيلوس، برعاية الجمعية السورية اللبنانية، في فندق أمباسادور.

أنا لستُ في دنيا الخيال ولا الكرى  
وكأنني فيها لِرَوْعةٍ ما أرى  
يا قومُ هل هذي حقائقُ أم رؤى  
وأنا؟ أصاح أم شربتُ مُخدراً؟  
لا تعجبوا من دهشتي وتَحيرِي  
وتعجبوا إن لم أكن مُتَحَيِّراً  
كيفَ التَفَتُ رأيتُ آيةَ شاعرٍ  
لَبِقٍ تَعَمَّدَ أن يُجيدَ لِيَبْهَراً  
مَسَحَتْ بِإصْبَعِها الحِياةُ جفونَهُ  
فرأى المحاسنَ فانتقى وتخيَّراً  
ما «لوس أنجيلوس» سوى أنشودة  
اللهُ غَنَّاها فَجَنَّ لها الوردى  
خلعَ الزمانُ شِبابَهُ في أرضِها  
فهو أخضرارٌ في السُّفوحِ وفي الذُّرا  
أخذتُ من المدنِ العواصمِ مجدَها  
وجلالِها وَحَوَتْ حلاواتِ القُرَى  
هي واحدةٌ للمتعبين، وجَنَّةٌ  
للعاشقين، وملعبٌ لذوي الثُّرا  
كَفَّنْتُ في نيويوركَ أحلامَ الصُّبا  
وطويْتُها. وحسبْتُها لن تُنْشَرا

لَكُنَّيْ لِمَا لَمَحْتُ زَهَوَهَا  
شَاهَدْتُ أَحْلَامِي تُطِلُّ مِنَ النَّثْرِ  
تَتَنَفَّسُ الْهَضَبَاتُ فِي رَأْدِ<sup>(١)</sup> الضُّحَى  
تَبْرَأُ وَفِي الْأَصَالِ مِسْكَاً أَذْفَرَا<sup>(٢)</sup>  
فَالسَّحَرُ فِي ضِحْكِ النَّدَى مُتَرْقِراً  
كَالسَّحَرِ فِي رَقْصِ الضِّيَاءِ مُعْطِراً  
قُلْ لِلأُلَى وَصَفُوا الْجِنَانَ وَأُطْنَبُوا  
لَيْسَتْ جِنَانُ الْخُلْدِ أَعْجَبَ مَنْظَرَا  
كُلُّ الْفُصُولِ هُنَا رَبِيعٌ ضَاكٌ  
فَإِذَا تَرَى شَهْراً رَأَيْتَ الْأَشْهَرَا  
إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ مَا حَكَايَاتُ الْهُوَى  
فَانصِتْ لَوْشَوْشَةَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى  
وَانْظُرْ إِلَى الْغُبَرَاءِ تُنَبِّتُ سُنْدساً  
وَتَأْمَلُ الْغُدْرَانَ تَجْرِي كَوَثْراً  
وَاشْرَبْ بِعَيْنَيْكَ الْجَمَالَ فَإِنَّهُ  
خَمْرٌ بَغِيرِ يَدِ الْهُوَى لَنْ تُعْصَرَا  
حَاوَلْتُ وَصْفَ جَمَالِهَا فَكَأَنِّي  
وَلَدْتُ بِأَنْمَلِهِ يَحْوِشُ الْأَبْحَرَا  
وَاسْتَنْجَدْتُ رُوحِي الْخِيَالَ فَخَانَنِي  
وَكَبَا جَوَادُ فَصَاحَتِي وَتَعَثَّرَا  
أَدْرَكْتُ تَقْصِيرِي وَضَعْفِي عِنْدَمَا  
أَبْصَرْتُ مَا صَنَعَ الْإِلَهُ وَصَوَّرَا  
إِنِّي شَهِدْتُ الْحُسْنَ غَيْرَ مُزَيَّفٍ  
بِئْسَ الْجَمَالُ مُزَيِّفاً وَمُزَوَّراً

(١) رَأْد الضُّحَى: رَوْنَقُهُ، أَوْ ارْتِفَاعُهُ حِينَ يَطْلُو النَّهَارُ.

(٢) الْأَذْفَرُ: كُلُّ رِيحٍ مُمْتَشِرَةٍ مِنْ طَيِّبٍ أَوْ غَيْرِهِ.

أُحِبُّبْتُ حَتَّى الشَّوْكَ فِي صَحْرَائِهَا  
وَعَشَقْتُ حَتَّى نَخْلَهَا الْمُتَكَبِّرَا  
الْبَلَسَ الْوَرَقَ الْيَبِيسَ تَنْسُكاً  
وَالْمُشْمَخِرَ إِلَى السَّمَاءِ تَجَبُّرَا  
هُوَ آدَمُ الْأَشْجَارِ أَدْرَكَهُ الْحَيَا  
لَمَّا تَبَدَّى عُرْيُهُ فَتَسْتَرَا  
ابْنُ الصَّحَارَى قَدْ تَحَضَّرَ وَارْتَقَى  
يَا حُسْنَهُ مُتَبَدِّياً مُتَحَضِّراً  
وَبَدَتْ غِيَاضُ الْبُرْتِقَالِ فَأَشْبَهَتْ  
جَلْبَابَ خَوْدٍ بِالنُّضَارِ<sup>(١)</sup> مُزْرَرَا  
مِنْ فَوْقَهَا انْتَشَرَ الْخِيَاءُ مَلَاءَةً  
مِنْ فَوْقِهِ جَوُّ صَفَا وَتَبَلُّورَا  
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقُصُورُ عَلَى الرُّبَا  
عَقْدُ لُغَانِيَةٍ هَوَى وَتَبَعَثَرَا  
لَمَّا تَرَأَتْ مِنْ بَعِيدٍ خَلَّتْهَا  
سُفُنًا وَخَلَّتْ الْأَرْضُ بَحْرًا أَخْضَرَا  
نَفَضَ الصَّبَاحُ سَنَاةً فِي جُدرَانِهَا  
وَأَتَى الدَّجَى فَرَأَى مَنَائِرَ لِلْسُّرَى  
مُتَالِقَاتٍ كَابِتْسَامَاتِ الرُّضَا  
تُنْسِيكَ رُؤْيُتُهَا الزَّمَانَ الْأَعْسَرَا  
أَنَا شَاعِرٌ مَا لَاحَ طَيِّفٌ مَلَا حَةَ  
إِلَّا وَهَلَّلَ لِلْجَمَالِ وَكَبَّرَا  
وَزَعَتْ نَفْسِي فِي النَفُوسِ مَحَبَّةً  
لَا شَاكِيَاً أَلَا وَلَا مُتَخَجِّرَا

(١) الخود: الحسناء الشابة. والنضار: الذهب الخالص.

ومَشَيْتُ في الدنْيا بقلْبٍ يابِسٍ  
حتَّى لقيْتُ أُحْبِيتِي فَاخْضَوْضَرا  
قد كُنْتُ أَحْسَبُنِي كَياناً ضائعاً  
فإذا أنا شَخْصٌ يَعِيشُ مَكْرَرا  
فكأنَّني ماءُ الغَمَامِ إذا انْطَوَى  
في الأرضِ رَدَّتُهُ نَباتاً مُثْمِرا  
ما أَكْرَمَ الأشْجارَ في هَذَا الحِمَى  
فِيها لِقاصِدِها البِشاشَةُ والقِرَى<sup>(١)</sup>  
تَقْرِي الفَقِيرَ على خِصاصةِ حالِهِ  
كَرَماً كَما تَقْرِي الغَنِيَّ المُوسِرا  
البِذْلُ دَيْدَنُها، سِواءُ جِئْتِها  
مُتَقَدِّماً أَمْ جِئْتِها مُتَأَخِّرا  
فكأنَّها مِنْكُمْ تَعَلَّمَتِ النَّدَى  
كَيْما تُغِيثُ النّاسَ إِنْ خَطَبُ عَرا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الإحسان إلى الضيف (قراه - يقريه).

(٢) عراه - يعروه: غشيه.

## ٢٠ - عصر الشبيبة

[الكامل]

القصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت - هوليوود بكاليفورنيا.

يا ليتَما رجعَ الزمانُ الأولُ  
زمنُ الشبابِ الضاحكُ المُتهلُّ  
عهدُ ترحَلتِ البَشاشةُ إذ مضى  
وأتى الأسى فأقامَ لا يترحلُ  
ولَّى الصَّبَا وتبددتْ أحلامه  
أودى به وبها قضاءٌ حوْلُ<sup>(١)</sup>  
حصدتْ أناملُهُ المُنَى فتساقطتْ  
صرعى كما حصدَ السنابلُ منجلُ  
فالروحُ قيثارُ وهتْ وتقطعتْ  
أوتارُهُ، والقلبُ قفْرُ مُمحلِ  
والشبيبُ يضحكُ برقُهُ في لِمَتِي  
هذي الضوايحُ يا فؤادي أنصلُ  
أشتاقُ عَصْرَكَ يا شبيبةً مثلما  
يشْتَاقُ للماءِ النَمِيرُ الأيلُ<sup>(٢)</sup>  
إذ كانت الدنيا بعيني هيكلاً  
فيه إلهاتُ الجمالِ تُرتلُ

(١) يتحول ويتغير.

(٢) ذكر الوعل.



من كلِّ حسناءٍ كأنَّ حديثَها السُّ  
 سَلَوَى أوِ الوحيُّ الطَّهَوْرُ المُنْزَلُ  
 وأنا وصحبي لا نفكرُ في غدٍ  
 فكأنَّ ليس غدٌ ولا مُستقبلُ!  
 نلهو ونلعبُ لا نُبالِي ضَمَنَّا  
 كوخُ حَقِيرٌ أمْ حَوَانَا مَنَزَلُ  
 نتوهمُ الدنيا لِفَرطِ غرورِنَا  
 كملتُ بنا وبغيرِنَا لا تكملُ  
 ونخالُ أن البدرَ يطلُّ في الدُّجَى  
 كيما يسامرنَا فلا نتملُمُ  
 ونظنُّ أنَّ الرُّوضَ ينشرُ عِطرَه  
 من أجَلِنَا. ولنا يُغني البُلْبُلُ  
 فكأنَّما الأزهارُ سِرْبَ كَواعِبِ  
 وكأنَّما هوشاعِرٌ يَتَغَزَّلُ  
 في كلِّ مَنْظورٍ نراه ملاحَةً  
 وسعادةً في كلِّ ما نَتَخَيَّلُ  
 لا شيءَ يُزعجُ في الحياة نفوسَنَا  
 لا طارئٌ، لا عارضٌ، لا مُشكِـلُ  
 فكأنَّنا في عالمٍ غيرِ الذي  
 تَتَزاحمُ الأيدي به والأرجُلُ  
 وكأنَّنا رَهْطُ الكواكبِ في الفَضا  
 مهما جرى في الأرض لا تَتَزَلْزَلُ

الناسُ في طَلَبِ المَعاشِ وهُمُّنا  
 كأسٌ مُشعِشَةٌ وطَرْفٌ أَكْحَلُ  
 كم عَنَّفُونَا في الهوى واسترسلوا  
 لو أَنَّهُم عَرَفُوا الهوى لم يَعْذُلُوا  
 ولو أَنَّهُم ذاقُوا كما ذُقْنَا الرُّوى  
 شَبِعَتْ نفوسُهُم وإن لم يَأْكُلُوا  
 زعموا تَبَذَّلْنَا ولم يَتَبَذَّلُوا  
 إن الحَقِيقَةَ: كُلُّنا مُتَبَذَّلُ!  
 حُرِّمُوا لَذَاتِ الهُيامِ وفاتنا  
 دركُ الحُطامِ، فأَيْنَا هو أَجْهَلُ؟  
 إني تَأْمَلْتُ الأَنامَ فَرَاعَنِي  
 كيف الحَيَاةُ بهم تَجِدُّ وتهزِلُ  
 لا يَضْبُطُونَ مع الصُّروفِ قِيادَهُمْ  
 إلا كما ضَبَطَ المِياهُ المُنْخَلُ  
 بينا الفتى ملءُ النواظِرِ والنُّهى  
 فإذا به رَقْمٌ خَفِيَ مُهْمَلُ  
 يا صاحبي والعمرُ ظلُّ زائلُ  
 إن كنت تَأْمَلُ فيه أو لا تَأْمَلُ  
 الذِّكْرُ أَثْمَنُ ما اقْتَنَيْتَ وتَقْتَنِي  
 والحبُّ أَنفَسُ ما بَذَلْتَ وتَبْذُلُ  
 قيل: اغْتَنَى زَيْدٌ، فليتك مِثْلُهُ  
 أنا مِثْلُهُ، إن لم أَقُلْ: أنا أَفْضَلُ!  
 الشَّمْسُ لي وله، ولألاءِ الضُّحَى  
 والنِّيرَاتُ، ومِثْلُنا المُتَسَوِّلُ

أما النُّصارُ فإنَّه يا صاحبي  
عَرَضُ يَزُولُ وَسِلْعَةٌ تَتَنَقَّلُ  
ما دُمْتُ في صحبي ودامَ وفاؤُهُمْ  
فأنا الغنيُّ الحقُّ لا المُتَمَوِّلُ  
أنا لستُ أَعْدِلُ بِالمِناجِمِ واحداً  
وأبيعُ من عَقْلوا بما لا يَعْقِلُ

\*\*\*\*

## ٢١ - عطش الأرواح

[الرمل]

زَحَزَحْتُ عَنْ صَدْرَهَا الْغَيْمَ السَّمَاءُ  
وَأَطْلُ النُّورُ مِنْ كَهْفِ الشِّتَاءِ  
فَالرَّوَابِي حُلَّالٌ مِنْ سُنْدُسٍ  
وَالسَّوَاقي ثَرَثَرَاتٌ وَغِنَاءُ  
رَجَعَ الصَّيْفُ ابْتِسَاماً وَشَذَاً  
فَمَتَى يَرْجِعُ لِلدُّنْيَا الصَّفَاءُ  
فَأَرَى الْفَرْدُوسَ فِي كُلِّ حِمَى  
وَأَرَى النَّاسَ جَمِيعاً سُعْدَاءُ  
زَالَتِ الْحَارِبُ وَوَلَّتْ إِنَّمَا  
لَيْسَ لِلذَّعْرِ مِنَ الْحَرْبِ انْقِضَاءُ  
إِنْ صَحَّوْنَا فَأَحَادِيثُ الْوَعَى  
فِي الْحِمَى الْأَهْلِ وَالْأَرْضِ الْعَرَاءِ  
وَإِذَا نَمَنَّا تَرَاءَتْ فِي الْكَرَى  
صُورُ الْهَوْلِ وَأَشْبَاحُ الْفَنَاءِ  
فَهِيَ فِي الْأَوْرَاقِ حَبْرُ هَائِجٍ  
وَعَلَى « الرَّادِيو » فَحِيقُ الْكَهْرِبَاءِ  
نَتَّقِي فِي يَوْمِنَا شَرَّ غَدٍ  
وَإِذَا الصُّبْحُ انْطَوَى خِفْنَا الْمَسَاءَ  
عَجَباً! وَالْحَرْبُ بَابٌ لِلرَّدَى

وطريقٌ لدمارٍ وعَفَاءٍ<sup>(١)</sup>  
 كيفَ يهواها بنو الناسِ، فهلْ  
 كَرِهوا في هذه الدنيا البَقَاءَ؟  
 إن يَكُنْ عِلْمُ الْوَرَى يُشَقِّقُهُمْ  
 يَا إِلَهِي رَدِّ لِلنَّاسِ الْغَبَاءَ  
 وَلِيَجِئْ طُوفَانُ نُوحٍ قَبْلَمَا  
 تَفَرَّقُ الْأَرْضُ بِطُوفَانِ الدَّمَاءِ  
 وَاعصِمِ الْأَسْرَارَ وَاحْجُبْ كُنْهَهَا  
 عَنْ ذَوِي الْعِلْمِ وَأَرْبَابِ الذُّكَا  
 فَلَقَدْ أَكْثَرَتْ أَسْبَابُ الْأَذَى  
 عِنْدَمَا أَكْثَرَتْ فِينَا الْعُلَمَاءُ  
 كَمْ وَجَدْنَا آفَةً مُهْلِكَةً  
 كُلَّمَا زَحْزَحْتَ عَنْ سِرِّ غِطَاءِ  
 قَدْ تَرَقَّى الْخَلْقُ لَكِنْ لَمْ تَزَلْ  
 شَرَعُهُ الْغَابَةِ شَرَعَ الْأَقْوِيَاءِ  
 حُرِّمَ الْقَتْلُ، وَلَكِنْ عِنْدَهُمْ  
 أَهْوَنُ الْأَشْيَاءِ قَتْلُ الضُّعَفَاءِ  
 لَا تَقْلُ لِي هَكَذَا اللَّهُ قَضَى  
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ أَسْرَارَ الْقَضَاءِ  
 جَاءَنِي بِالْمَاءِ أُرْوِي ظَمَأَنِي  
 صَاحِبُ لِي مِنْ صِحَابِي الْأَوْفِيَاءِ  
 يَا صَدِيقِي! جَنَّبِ الْمَاءَ فَمِي  
 عَطَشُ الْأَرْوَاحِ لَا يُرْوَى بِمَاءِ  
 أَنَا لَا أَشْتَاقُ كَاسَاتِ الطَّلَا  
 لَا وَلَا أَطْلُبُ مَجْدًا أَوْ ثَرَاءَ  
 إِنَّمَا شَوْقِي إِلَى دُنْيَا رِضَاً

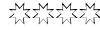
والى عَصْرِ سَلامٍ وإِخاءٍ  
لا تَعِدُنِي بالسُّمَّا يا صاحِبي  
السُّمَّا عِنْدِي قَرَبُ الأَصْدِقاءِ  
وأَرانِي الآنَ في أَكْثَرِ نَافِهمُ  
فأَنا الآنَ كَأَنِّي في السُّمَّاءِ!

\*\*\*\*

## ٢٢ - بلادي

[الكامل]

إني مررتُ على الرياضِ الحاليَّةِ  
وسمعتُ أنغامَ الطيورِ الشَّاديَّةِ  
فطربتُ، لکن لم يُحبَّ فؤاديَّه  
كطُيورِ أرضي أو زهورِ بلادي



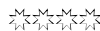
وشربتُ ماءَ النِّيلِ شيخِ الأنهرِ  
فكأنني قد نَقْتُ ماءَ الكوثرِ  
نهرُ تبارک من قديمِ الأعْصُرِ  
عَذْبُ، وَلَکِنْ لَا کِماءِ بلادي



وقرأتُ أوصافَ المروءةِ في السَّيَرِ  
فظننْتُها شيئاً تلاشى واندثر  
أو إنها كالْغُولِ ليس لها أثرٌ<sup>(١)</sup>  
فإذا المروءةُ في رَجالِ بلادي



ورسمتُ يوماً صورةً في خاطري  
لِلْحُسْنِ، إنَّ الحسَنَ ربُّ الشاعِرِ  
وزهبتُ أنشدها فأعْيا خاطري  
حتى نظرتُ إلى بناتِ بلادي



---

(١) إشارة إلى كونه من السَّعالي المتخيلة (توصف بالخُبث والسلطة).

قالوا : أليس الحُسْنُ في كلِّ الدُّنْيا  
فعلامَ لم تَمْدَحْ سِوَاهَا مَوْطِنَا  
فأجبتهم: إِنِّي أَحَبُّ الْأَحْسَنَا  
أَبَدًا، وَأَحْسَنُ مَا رَأَيْتُ بِلَادِي



قالوا: رأيناها فلم نَرَ طيِّبًا  
وَلَّى صِبَاها وَالْجَمَالَ مَعَ الصِّبَا  
فأجبتهم: لِيَتَكُنْ بِلَادِي سَبَسَبَا  
قَفَرًا، فَلَسْتُ أَحَبُّ غَيْرِ بِلَادِي



قالوا: تَأْمَلُ أَيَّ حَالٍ حَالَهَا  
صَدَعَ الْقَضَاءُ صُروحَهَا فَأَمَالَهَا  
سَتَمُوتُ.. إِنِ الدَّهْرُ شَاءَ زَوَالَهَا  
أَتَمُوتُ؟ كَلَّا لَنْ تَمُوتَ بِلَادِي



هي كَالْغَدِيرِ إِذَا أَتَى فَصْلُ الشَّيْثَا  
فَقَدَّ الْخَرِيرَ وَصَارَ يَحْكِي الْمِيَّتَا  
أَوْ كَالْهَزَارِ حَبْسَتَهُ.. لَكِنْ مَتَى  
يَعُودُ الرَّبِيعُ يَعُودُ إِلَى الْإِنْشَادِ



الْكُوكَبُ الْوَضَّاحُ يَبْقَى كُوكَبَا  
وَلَيْتُنْ تَسْتَرَّ بِالْدُّجَى وَتَنْقُبَا  
لَيْسَ الضُّبَابُ بِسَالِبِ حُسْنِ الرُّبَا  
وَالْبُؤْسُ لَا يَمَحُو جَمَالَ بِلَادِي





لَا عِزَّ إِلَّا بِالشَّيْبَابِ الرَّاقِي  
النَّاهِضِ الْعَزَمَاتِ وَالْأَخْلَاقِ  
الْثَائِرِ الْمُتَفَجِّرِ الدَّفَاقِ  
لَوْلَاهُ لَمْ تَشْمَخْ جِبَالُ بِلَادِي

\*\*\*\*

## ٢٣ - روعة العيد

[البسيط]

يا شاعرَ الحُسْنِ هذي روعةُ العيدِ  
فاستنجدِ الوحيَ واهتِفْ بالأناشيدِ  
هذا النعيمُ الذي قد كنتَ تَنشُدُهُ  
لا تُلْهُ عنه بشيءٍ غيرِ موجودِ  
محاسنُ الصَّيفِ في سهلٍ وفي جبلٍ  
ونشوَةُ الصَّيفِ حتى في الجلاميدِ  
ولستَ تُبصِرُ وجهاً غيرَ مُؤْتَلَقِ  
ولستَ تسمعُ إلا صوتَ غِرْيَدِ  
فَمُ حَدِّثِ الناسَ عن لبنانَ كيفَ نجا  
مِنَ الطغاةِ العُتاةِ البيضِ والسُّودِ  
وكيفَ هشتُ دمشقُ بعدَ محنتِها  
واسترجعتُ كلَّ مَسْلُوبٍ ومفقودِ



فاليومُ لا أجنبيُّ يستبِدُّ بنا  
ويستخفُّ بنا استخفافَ عَرَبِيدِ  
يا أرزُ صَفِّقْ، ويا أبناءَهُ ابتَهَجُوا  
قد أصبحَ السُّرْبُ في أَمْنٍ مِنَ السَّيِّدِ<sup>(١)</sup>  
ما بلبلُ كانَ مسجوناً فأطلقَهُ  
سَجَّانُهُ، بعدَ تعذيبٍ وتنكيدِ

---

(١) الذئب.

فراح يطوي الفضاء الرَّحْبَ منطلقاً  
إلى الربُّبا والسَّواقِي والأَمَاليِد<sup>(١)</sup>  
إلى المروجِ يُصَلِّي في مَسَارِحِهَا  
إلى الكُروم يُغْنِي للعَنَاقِيد  
مَنِّي بأَسْعَدَ نَفْساً قد نزلتُ على  
قومي الصَّنَاديِدِ أبناءِ الصَّنَاديِدِ<sup>(٢)</sup>  
سماءُ لَبْنانَ بِشَرِّ في مَلامِحِهِمْ  
وفَجَرُهُ في ثَغُورِ الخُرْدِ الغَيدِ<sup>(٣)</sup>  
إنْ تَسْكَنُوا الطُّودَ صارَ الطُّودُ قِبَلَتَنَا  
أو تَهَيَّطُوا البِيدَ لم نَعشِقُ سِوَى البِيدِ

\*\*\*\*

---

(١) الأملود من النساء: الناعمة المستوية القائمة.

(٢) الصنديد: السيد الشجاع.

(٣) الخريدة: الحسناء الشابة.

## ٢٤ - يا أنشودتي انطلقِي

[البسيط]

أنشودةٌ في ضميري كم أوارِيها  
وما شِفائي إلا أنْ أَعْنِيها  
ولّى الشتاءُ ونفسي في كَابَتِها  
واستُضحكُ الصيفُ إلا في نواحيها  
كأنّها زهرةٌ في الظلِّ نَابِتَةٌ  
لا نورَ يغمُرُها، لا ماءً يَسْقِيها  
كأنّها الحربُ في قلبي زلزلها  
وبعضُ أهلي أقوامٌ تُعانيها  
حِكَايَةٌ أَتَقَلَّى حينَ اسمعُها  
ويأكلُ الحُزنُ قلبي حينَ أروِيها  
وارحمتاهُ لأوربّا فما فَتَكَتْ  
أفعى بأفعى كأهليها بأهليها  
لم يبقَ غيرُ الضُّواري في خلائِقِها  
ومن حَضارتِها إلا مَخازِيها  
كانت تُعِدُّ الدَّواهي في مصانِعِها  
لغيرِها، فأصابَتْها دَواهيها  
وكلُّ طابِخٍ سَمٍّ سوف يأكُلُه  
وكلُّ حافِرٍ بِئرٍ واقعٌ فيها  
لودامَ إيمانُها لم تنطلقْ سَقَرٌ  
بدورها، والأفاعي في مَغانيها

لكنْ أَكَبَّتْ عَلَى الْآلَاتِ تَعْبُدُهَا  
وتستعينُ بها مِنْ دُونِ بَارِيهَا  
فصارَ مَالِكُهَا عَبْدًا لِسُلْطَتِهَا  
وصارَ كُلُّ ضَعِيفٍ مِنْ أَصَاحِيهَا  
وصارَ إِنْسَانُهَا لِلْحَلْبِ أَوْنَةً  
والذَّبْحِ، مِثْلَ الْمَوَاشِي فِي مِرَاعِيهَا  
يا نَفْسُ سَرِّي<sup>(١)</sup>، ويا أَنْشُودَتِي انْطَلِقِي  
مِنْ عَالَمِ الصَّمْتِ، إِنَّ الصَّمْتَ يُؤْذِيهَا  
أَيْشْرِقُ الْأَفْقُ لَمْ يُطْلِعْ كَوَاكِبَهُ  
وتَجْمَلُ الْأَرْضُ لَمْ تُخْرِجْ أَقَاحِيهَا  
الْيَوْمَ يَوْمُ الْقَوَافِي تَهْتَفِينَ بِهَا  
لَا يَشْرَبُ النَّاسُ خَمْرًا لَمْ تَصْبِيَّهَا  
هَذَا هُوَ الْعِيدُ قَدْ لَاحَتْ مَوَاكِبُهُ  
يا قَلْبُ هَلِّ لَهَا، يا شِعْرُ حَيِّهَا

\*\*\*\*

---

(١) سَرِّي عَنْكَ.

## ٢٥ - في قلبك الله

[البسيط]

مرّت ليالٍ وقلبي حائرٌ قلقٌ  
كالفُلِّك في النَّهرِ هاجَ النّوءُ مجراهُ  
أو كالمسافرِ في قَفَرٍ على ظمأٍ  
أضنى المَسِيرُ مطاياهُ وأضناه  
لا أدركُ الأمرَ، أهواه وأطلبه  
وأبلغُ الأمرَ، نفسي ليس تهواه!  
عَجِبْتُ من قائلٍ: إني نسيتكمُ،  
من كان في القلب كيف القلبُ ينساه؟  
إن كنتُ بالأمسِ لم أهبطُ مرابعكمُ  
فالتَّيْرُ يقعدُ مَوْثوقاً جناحاه  
فلا يُقربُه شوقٌ إلى نَهْرٍ  
وليس تنقلُه في الرُّوضِ عيناه  
وليس يشكو ولا يبكي مخافةً أنْ  
تؤذي مسامعَ من يهوى شكاواه  
إني لأعجبُ منّا كيف تخذعنا  
عن الحقائقِ أمثالُ وأشباه  
إذا بنى رجلٌ قصرًا وزخرفه  
سُقنا إليه التَّهاني وامتدحناه  
وما بنى قصره إلا ليحجبَ عن  
أبصارنا في زواياه خطاياهُ

ونمدحُ المرءَ من خَزٍّ ملابسُهُ  
وذلك الخَزُّ لم تنسُجْهُ كَفَّاه  
وإنَّ أتاناً أخو مالٍ يكاثرُنَا  
بالتُّبْرِ تِيهاً رجوناهُ وخِفناهُ  
وقد يكونُ نُضارٌ في خِزائِنه  
دماءً سفكناهُ أو جُهداً بذلناهُ  
لا تحسبِ المجدَ ما عيناك أبصرتا  
أو ما ملكتَ هو السلطانُ والجاهُ  
المالُ مولاكَ ما أمسكتُهُ طمعاً  
فانفقهُ في الخير تُصبحُ أنتَ مولاهُ  
ما دام قلبُكَ فيه رحمةٌ لأخٍ  
عانٍ، فأنتَ امرؤٌ في قلبِكَ الله

\*\*\*\*

## ٢٦ - الرأي الصواب

[الكامل]

يا نفسُ هذا منزلُ الأحبابِ  
فأنسي عذابك في النوى وعذابي  
وتهللي كالفجر في هذا الحمى  
وتألقي كالخمر في الأكواب  
ولتمسح البشري دموعك مثلما  
يمحو الصباح ندى عن الأعشاب  
واسترجعي عهد البشاشة والرضا  
فالدهر عاد تضاحكاً وتصابي  
أنا بين أصحابي الذين أحبهم  
ما أجمل الدنيا مع الأصحاب!  
قد كنت مثل الطائر المحبوس في  
قفص، ومثل النجم خلف ضباب  
يمتد في جنح الظلام تأوّهي  
ويطول في أذن الزمان عتابي  
وأهز أقلامي فترشح حدة  
وأسى، ويندى بالدموع كتابي  
حتى لقيتكم فبت كائنني  
لسرّتي، استرجعت عصر شبابي  
ليس التعبد أن تبیت على الطوى  
وتروح في خرّق من الأثواب



لكنه إنقاذُ نفسٍ معذبٍ  
من ربقةِ الآلام والأوصاب<sup>(١)</sup>  
ليس التعبُّدُ عزلةً وتنسُّكاً  
في الدير، أو في القفر، أو في الغاب  
لكنه ضَبْطُ الهوى في عالمٍ  
فيه الغوايةُ جمَّةُ الأسباب  
وحبائلُ الشيطانِ في جنباته  
والمالُ فيه أعظمُ الأرباب  
هذا هو الرأي الصَّوابُ وغيره  
مهما حلا للناس، غيرُ صواب

\*\*\*\*

---

(١) الوصب: الوجع والمرض (وصب - يوصب - وصباً).

## ٢٧. ليس السرف في السَّنوات

[الكامل]

قُلْ لِلَّذِي أَحْصَى السَّنِينَ مُفَاخِرًا  
يا صاحِ ليس السرف في السَّنوات  
لكنه في المرء كيف يَعِيشُهَا  
في يَفْظَةٍ أَمْ فِي عَمِيقِ سُبَاتٍ  
قُمْ عُدَّ آلَافَ السَّنِينَ عَلَى الْحَصَا  
أَتَعُدُّ شَبَهَ فَضِيلَةٍ لِحِصَاةٍ؟  
خَيْرٌ مِنَ الْفَلَوَاتِ لَا حَدَّ لَهَا  
رَوْضٌ أَغْنَى يُقَاسُ بِالْخَطَوَاتِ  
كَنْ زَهْرَةٍ أَوْ نَغْمَةٍ فِي زَهْرَةٍ  
فَالْمَجْدُ لِلْأَزْهَارِ وَالنَّغْمَاتِ  
تَمْشِي الشُّهُورُ عَلَى الْوُرُودِ ضَحُوكَةً  
وَتَنَامُ فِي الْأَشْوَكَ مَكْتَبَاتِ  
وَتَمُوتُ ذِي الْعُقْمِ قَبْلَ مَمَاتِهَا  
وَتَعِيشُ تِلْكَ الدَّهْرَ فِي سَاعَاتِ  
تُحْصَى عَلَى أَهْلِ الْحَيَاةِ دَقَائِقُ  
وَالدَّهْرُ لَا يُحْصَى عَلَى الْأُمُوتِ  
الْعَمْرِ - إِلَّا بِالْمَأْثَرِ - فَارْغُ  
كَالْبَيْتِ مَهْجُورًا وَكَالْمُومَةِ<sup>(١)</sup>  
جَعَلَ السَّنِينَ مَجِيدَةً وَجَمِيلَةً  
مَا فِي مَطَاوِيهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ

\*\*\*\*

(١) المفازة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس..

## ٢٨ - إِلَيْكَ عَنِّي<sup>(١)</sup>

[الكامل]

كم تستثيرُ بي الصَّبَابَةَ والهوى  
عَنِّي إِلَيْكَ، فَإِنَّ قَلْبِيَ مِنْ حَجَرٍ  
مَا لِي وَلِلْحَسَنَاءِ أُغْرِي مُهْجَتِي  
بوصَالِهَا، وَالشَّيْبُ قَدْ وَخَطَ الشَّعْرَ  
كم « بالجزيرة » لو يَتَّحُ لي الهوى  
من غَادَةٍ تَحْكِي بطلْعَتِهَا القمر  
ولَكَمْ بِهَا مِنْ جَدُولٍ وَحَدِيقَةٍ  
مِنْ صَنْعَةِ الرَّحْمَنِ لَا صُنْعِ الْبَشَرِ  
فِيهَا اللُّوَاتِي إِنْ رَمَتْ أَلْحَظَهَا  
شَلَّتْ يَدَ الرَّامِي وَقَطَّعَتْ الْوَتَرَ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ كَانَ لِي فِي كُلِّ خَوْذٍ مَطْمَعٌ  
وَلِكُلِّ رَائِعَةٍ الْمَحَاسَنِ بِي وَتَرَ<sup>(٣)</sup>  
أَيَّامُ شَعْرِي كَالدَّجَى مُحْلُولِكُ  
أَيَّامُ عَيْشِي لَا يُخَالِطُهُ كَدَرٌ



ذُرْنِي وَأَشْجَانِي، وَجَسْمِي، وَالضُّنَى  
وَيْدِي، وَأَقْلَامِي، وَطَرْفِي، وَالسَّهَرُ

(١) النص مجتزأ من نص طويل موجه إلى (شكري أبي صالح). انظر في شعر الشاعر (خارج الدواوين)، النص رقم (٢) وانظر ما قلنا فيه.

(٢) واحد من أوتار القوس.

(٣) يعني هنا وترًا من أوتار العود.

أَبَيْتُ الْهُوَ وَالْهُمُومُ تُحِيطُ بِي  
وَأَنَامُ عَنْ قَوْمِي، وَقَوْمِي فِي خَطَرٍ!  
صَوْتُ الْمَصْفَقِ مَوْعِدُ مَا بَيْنَنَا  
مَاذَا أَقُولُ لَهُمْ، إِذَا الدِّيكُ اسْتَحَرَ؟<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) استحر الطائر: غرّد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

## ٢٩ - دودة وبلبل

[الخفيف]

نظرت دودة تدبُّ على الأرض  
ض إلى بلبل يطير ويصدق  
فمضت تشتكي إلى الورق السَّ  
قط في الحقل: أنَّها لم تُجنَّح  
فأنت نملَةٌ إليها وقالت  
اقتني واسكُتني فما لك أصلح  
ما تمنَّيت إذ تمنَّيت إلا  
أن تصيري طيراً يُصاد ويذبح  
فألزمني الأرض فهي أحنى على الدُّ  
د وخَلِّي الكلام فالصَّمت أريح

\*\*\*\*

## ٣٠ - هدية العيد

[الخفيف]

أيُّ شيءٍ في العيد أُهدي إليك  
يا ملاكي، وكلُّ شيءٍ لـديك  
أسواراً؟ أم دُمُجاً من نُضارٍ؟<sup>(١)</sup>  
لا أحبُّ القيودَ في معصمَيْك  
أم خُموراً؟ وليس في الأرض خمرٌ  
كالتّي تسكبين من لحظَيْك  
أم وروداً؟ والوردُ أجملُّه عندُ  
سدي الذي قد نَشَقَّتْ من خديك  
أم عقيقاً كمُهَجَّتِي يتَلَطَّى؟  
والعقيقُ الثمينُ في شفَتَيْك  
ليس عندي شيءٌ أعزُّ من الرو  
ح وروحي مَرهُونُهُ في يديك

\*\*\*\*

---

(١) الدُمُجُ والدملُج: السوار من الحليّ، ويغطي العضد. والنضار : الذهب الخالص.

### ٣١ - إن الحياة قصيدة!

ما للقبور كأنما لا ساكنٌ  
فيها وقد حوتِ العُصورَ الماضيه  
طَوَّتِ الملايينَ الكثيرةَ قبلاً  
ولسوفَ تطويننا وتبقى خاليه  
أين المَهَا وعيونُها وفتونُها  
أين الجبابِرُ والملوكُ العاتيه  
زالوا من الدُّنيا كأنَّ لم يُولدوا  
سَحَقَتْهُمْ كَفُّ القضاةِ القاسيه  
إنَّ الحياهَ قصيدةٌ أعمارُنا  
أبياتُها، والموتُ فيها القافيه  
مَتَّعَ لِحَاظَكَ فِي النُّجُومِ وحُسْنِهَا  
فلسوفَ تمضي والكواكبُ باقيه

\*\*\*\*

## ٣٢ - ليالي بوسطن

[الرمل]

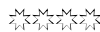
إِنْ أَغْبَ يَا صَحْبُ عَنْ ذَاكَ الْحَمَى  
لَمْ أزلْ مَعَكُمْ كَمَا أَنْتُمْ مَعِي  
فَإِذَا الْأَنْجَمُ شَعَّتْ فِي السَّمَاءِ  
قُلْتُ هَذَا أَنْتُمْ فِي مَجْمَعٍ  
وَإِذَا الشَّادِي بِلَحْنٍ رَنَّمَا  
خِلْتُهُ أَصَوَاتَكُمْ فِي مَسْمَعِي



أَهْ لَوْ يُغْنِي خَيَالٌ عَنْ عِيَانٍ  
كَانَ كَالْمَنْهَلِ، رَسَمَ الْمَنْهَلِ  
وَلِعَاشَ الْمَرْءُ فِي دُنْيَا الْأَمَانِي  
يَقْطَعُ الدُّنْيَا وَلَمْ يَنْتَقِلِ  
وَسَلَوْنَا عَنْ مَكَانٍ بِمَكَانٍ  
وَلَأَغْنِيَنِي أَخْرُ عَنْ أَوَّلِ



وَلَنَابَتْ عَنْ نَجُومٍ نَيَّيرَاتٍ  
صُورٌ مَطْبُوعَةٌ فِي الْوَرَقِ  
وَكَتَفِينَا بِخَرِيرِ السَّاقِيَاتِ  
فِي الدُّجَى عَنْ مَائِهَا الْمُنْدَفِقِ



يَا لِيَالِي « بَوْسَطُنْ » هَلْ تَرْجَعِينَ  
فَأَرَى صَحْبِي الْكَرَامَ الْبَرَّةَ



ويزولُّ الهمُّ عن قلبي الحزينُ  
بالوجوه المشرقاتِ النَّضِيرَةُ  
إنه يسألني في كلِّ حينٍ:  
أين تلك الجنةُ المختصرة؟



ذهبتُ يا قلبُ إلا ذكرياتُ  
كبروقٍ ضحكتُ في الغسقِ<sup>(١)</sup>  
تأسُّ العينُ بها في الظلماتِ  
وهي تَفْنِي في رِحابِ الأفقِ  
يا ليالي بوسَطُنْ لَيْتَ الحياءُ  
عَدَلْتُ فِينَا فلم نَفْتَرِقْ



---

(١) الغسق: أول ظلمة الليل.

### ٣٣ - صوت من سوريا

[مجزوء الرمل]

صوتُ سوريا الجميلة  
صوتُك العذبِ الرخيم  
ضاحكٌ مثلَ الخميْلَه  
لاعبٌ مثلَ النَّسيمِ



يا أخا الورقَاءِ (١) غنَّ  
فالغننا شعرُ السماءِ  
فهو في الغُصْنِ تَنَنُّ  
وهو في النَّجمِ بهاء



صوتُ سوريا الجميلة  
صوتُك العذبِ الرخيم  
ضاحكٌ مثلَ الخميْلَه  
لاعبٌ مثلَ النَّسيمِ



غنَّنا حتى نَمِيلا  
مثلَ أغصانِ الأراكِ (٢)  
كم بنا صبباً عليلا  
لا يداويه سِواكِ



(١) الحمامة في لونها بياض وسواد.

(٢) شجر أغصانه طيبة الرائحة، يتخذ منها السواك.

صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرِّخِيمِ  
ضاحِكٌ مِثْلَ الْخَمِيلِ  
لَاعِبٌ مِثْلَ النَّسِيمِ



أَيُّهَا الْمَحْزُونُ هَيَّا  
وَاسْمِعِ الْيَوْمَ الْكَنَّارَ<sup>(١)</sup>  
سَاجِعاً سَاجِعاً شَجِيّاً  
ذَاكَ رَأً تِلْكَ الدِّيارِ



صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرِّخِيمِ  
ضاحِكٌ مِثْلَ الْخَمِيلِ  
لَاعِبٌ مِثْلَ النَّسِيمِ



لِيَتَنَا كُنَّا طَيِّورَا  
حَوْلَ عَيْنٍ أَوْ غَدِيرٍ  
نَرشِفُ الْمَاءَ نَمِيرَا<sup>(٢)</sup>  
نَلْقُطُ الْحَبَّ النَثِيرَ



صَوْتُ سَوْرِيَا الْجَمِيلِ  
صَوْتُكَ الْعَذْبُ الرِّخِيمِ

---

(١) الكناري طائر حسن الصوت، منسوب إلى جزر الكناري الإسبانية في المحيط الأطلسي.

(٢) الماء النмир: الماء الناجع.

ضاحكٌ مثلُ الخَمِيلِ  
لاعبٌ مثلُ النَّسِيمِ



موطنٌ نهوى سُهولَه  
مثالما نهوى رُبَاهُ  
الصَّبَا فيه عَلِيلَه  
تَتَدَاوَى بِـنَدَاهُ



كم بدا البدرُ ضَحْوَگَا  
راقصاً فوق الكُرومِ  
واسْتَوَى اللَّيْلُ مَايَكَا  
لابساً تاجَ النُّجُومِ  
صوتٌ سوريَا الجمِيلَه  
صوتُكَ العَذْبُ الرخِيمِ  
ضاحكٌ مثلُ الخَمِيلِ  
لاعبٌ مثلُ النَّسِيمِ



## ٣٤ - حكمة المتنبي

[الطويل]

جلستُ أناجي روحَ أحمدَ في الدُّجى  
وللهمَّ حَولي كالظلامِ سُدُولُ  
أفكّر في الدنيا وأبحثُ في الورى  
وعيني ما بين النجوم تَجُولُ  
طويلاً، إلى أن نال من خاطري الونى<sup>(١)</sup>  
ورأى على طَرْفي الكليلِ ذُبُولُ  
فأطرقتُ أمشي في سطورِ كتابه  
بطرفي، فالفيتُ السطورَ تقولُ  
« سِوى وجعِ الحُسَّادِ دأوَ فإنه  
إذا حلَّ في قلبٍ فليس يَحُولُ »  
« فلا تَطْمَعَنَّ من حاسدٍ في مودةٍ  
وإن كنتَ تُبديها له وتُنِيلُ »

\*\*\*\*

---

(١) الضعف والفتور والإعياء.

### ٣٥ - أنفُسُ العُشَّاقِ

[مجزوء الكامل]

بالأمسِ بادرنِي صديقُ حائرٍ يُستَفهمُ  
أجهنمُ نارٌ، كما زعمَ الهداةُ وعالموا؟  
أم زمهريرُ قارسٍ قاسٍ وكونٌ مظالم؟  
فأجبتُهُ: ما الزمهريرُ وما اللَّظى المتضرِّمُ  
بجهنمٍ!.. لكنَّما ألا تُحبُّ جهنمُ  
يا صاحبي إنَّ الخواءَ هو العذابُ الأعظمُ  
القلبُ، إلا بالمحبة، منزلٌ مُتردِّمٌ<sup>(١)</sup>  
هي للجراحةِ مرهمٌ، هي للسَّعادةِ سُلَّمٌ  
هي في النُّجومِ تالِقٌ، هي في الحياةِ ترنُّمٌ  
هي أنفُسُ العُشَّاقِ في غسقٍ<sup>(٢)</sup> الدُّجى تَتَبَسَّمُ

\*\*\*\*

---

(١) متهدم (يملؤه الردم).

## ٣٦. رُوحِي فِدَاكَ

[الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ الْوَرْدَ فِي خَدِّكَ  
وَشَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِي شَفَتَيْكَ  
وَعَلَى جَبِينِكَ مِثْلَ قَطْرَاتِ النَّدَى  
وَالنَّرْجِسُ الْوَسْنَانَ فِي عَيْنَيْكَ  
وَنَشَقْتُ مِنْ فَوْدِكَ<sup>(١)</sup> نَدَاءً عَاطِراً  
لَمَّا مَشَتْ كَفَّاكَ فِي فَوْدِكَ  
وَرَأَيْتُ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مُتَوَجِّجاً  
وَالْقُلُ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدِكَ  
وَسَمِعْتُ حَوْلَكَ هَمْسَ نَسَمَاتِ الصَّبَا  
عِنْدَ الصَّبَاحِ، تَهَزُّ مِنْ عَطْفِكَ<sup>(٢)</sup>  
أَيَقْنَتُ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَلَابَةٌ  
فَحَنَنْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِ إِلَى  
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتُ قَلْبِي نَحْلَةً  
يَا جَنَّتِي، حَتَّى يَحُومَ عَلَيْكَ  
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنَّهَا لَوْلَمْ تَكُنْ  
فِي رَاحَتِكَ، هَوَتْ عَلَى قَدَمَيْكَ..

\*\*\*\*\*

---

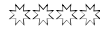
(١) جانباً الرأس.

(٢) العطفان: الجانبان عن يمين وشمال.

## ٣٧ - لو

[السريع]

لو أنني يا هندُ بدرُ السَّما  
نزلتُ من أفقي إلى مَحْدَعِك<sup>(١)</sup>  
وصِرتُ عِقْداً لكِ أو خاتِماً  
في جيدِ النَّاصعِ أو إصْبَعِ  
أو بَلْبَلِ الروضِ ما لذَّ لي  
الإنشادُ إن لم يكن في مَسْمَعِ  
ولو أكونُ الأرجَ الذَّاكي  
لما هجرتُ الروضَ لولاكِ  
وما حواني غيرُ مَغْنَاكِ  
ولم أفحِ حتى تكوني معي



فيكِ وفي الوردِ سِرُّ الصِّبَا  
وفي الصِّبَا سِرُّ الهوى والجمالِ  
فإنْ تَرَيْني واجماً باهتاً  
حيالها أخشى عليها الزَّوالِ  
فإنْني شاهدتُ طيفَ الرِّدى  
ينسلُّ كالسَّارقِ بين الظُّلالِ

---

(١) المَحْدَعُ: الحجرة في البيت.



ولاح لي في الورق النّامي  
منطرحاً في الأرض قُدّامي  
أشباح أمالي وأحلامي  
أحلام من؟ أحلام مُضُنّاك

\*\*\*\*

## ٣٨ - مقلتان

[السريع]

رَأَيْتُ فِي عَيْنَيْكَ سِحْرَ الْهَوَى  
مُنْدَفِقاً كَالنُّورِ مِنْ نَجْمَتَيْنِ  
فَبِتُّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِهِ  
مَنْ رَدَّ عَنْهُ عَارِضاً<sup>(١)</sup> بِالْيَدَيْنِ؟  
يَا جَنَّةَ الْحُبِّ وَدُنْيَا الْمُنَى  
مَا خِلْتُنِي أَلْقَاكِ فِي مُقْلَتَيْنِ

\*\*\*\*

## ٣٩ - فردوسي

بَنَيْتُ فِرْدُوسِي وَزَخْرَفْتُهُ  
حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ ضَيِّعَتُهُ  
أَجْرَيْتُ فِي أَنْهَارِهِ كَوْثِراً  
فَذَاقَهُ النَّاسُ وَمَا ذُقْتُهُ

\*\*\*\*

---

(١) العارض هنا: ما يعترض المقدم على الأمر.

## ٤٠ - ثَقِيل

[الخفيف]

وثَقِيلٌ كَأَنَّهُ بَرْدٌ كَانُوا  
نَ قَلِيلِ الحَيَاءِ جَمُّ الكَلَامِ  
ليس يدري بَأَنَّهُ ليس يدري  
إِنَّ بَعْضَ الأَنَامِ كالأَنَعَامِ  
يَتَمَنَّى يَا بُعْدَ مَا يَتَمَنَّى  
لَوْ جَرَى ذِكْرُهُ عَلَى الأَقْلَامِ  
والَّذِي أَطْمَعَ اللُّئِيمَ وَأَغْرَا  
هُ بِسَبِّ الكِرَامِ حِلْمُ الكِرَامِ  
والَّذِي صَيَّرَ الكَرِيمَ حَلِيمًا  
كُرْهُهُ أَنْ يُعَدَّ صِنُوهُ الطُّغَامِ<sup>(١)</sup>  
مَنْعَ البُومِ أَنْ يُصَادَ وَيُرْمَى  
كَوْنُهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلطَّعَامِ!

\*\*\*\*

---

(١) أَوْغَاد النَّاسِ.

## ٤١ - وداع

[الكامل]

ذهبَ الربيعُ ففي الخُمائلِ وَحْشَةً  
مثلُ الكَابَةِ من فِرَاقِكَ فِينَا  
لو دُمْتَ لم تَحْزَنْ عَلَيْهِ قُلُوبُنَا  
ولئن أَضَعْنَا الوردَ والنَّسْرِينَا  
فلقد وَجَدْنَا فِي خِلَالِكَ زَهْرَهُ الـ  
مُفْتَرًّا والماءَ الَّذِي يَرْوِينَا  
ونسيمَهُ السَّارِي كَأَنْفَاسِ الرِّضَا  
وشعاعَهُ يَغْشَى المَرْجَ فُتُونَا  
حُزَّتِ المحاسنُ فِي الربيعِ وَفُتَّتْ  
إِذْ لَيْسَ عِنْدَكَ عَوْسَجٌ<sup>(١)</sup> يَدْمِينَا



يَا أَشْهَرًا مَرَّتْ سِرَاعًا كَالْمُنَى  
لو أَسْتَطِيعُ جَعَلْتُكَ سِنِينَا  
وأمرتُ أَنْ يَقِفَ الزَّمَانُ عَنِ السُّرَى  
كَيْلَا نَمُرَّ بِسَاعَةٍ تُبْكِينَا  
ونمدُّ أَيْدِينَا فَتَرْجِعُ لَمْ تُصِبْ  
وتعودُ فَوْقَ قُلُوبِنَا أَيْدِينَا  
خَوْفًا عَلَيْهَا أَنْ تَسَاقُطَ حَسْرَةً  
أَوْ أَنْ تَفِيضَ لَوَاعِجًا وَشُجُونَا

---

(١) شجر من شجر الشوك (المفرد عوسجة).

قد كنتُ خِلْتُ الدهرَ حطْمَ قوسه  
حتى رأيتُ سهامه تُصمينا  
فكأنما قد ساءَ وأمضه  
أنا تمتعنا بقربك حيناً

\*\*\*\*

## ٤٢ - تحية الشاعر

[الرمل]

قالها في بعض الشعراء وأهل الفكر في الوطن والمهجر «في يوبيل شكيب أرسلان»  
امنحيني يا نجوم الألقا  
وهبيني يا زهور العبقا  
أبعث الشعير إلى الدنيا هوى  
وضياءً وغناءً شائقا  
فإذا خامر نفساً طربت  
وإذا لامس قلباً خفقا  
وإذا يتلى لمشتاق سلا  
وإذا يروى لبك صفا  
فمن الشعير لقوم حكمة  
ومن الشعير لأقوام رقى<sup>(١)</sup>  
أنا لا أستعذب الشعير إذا  
لم أجده روضة أو أفقا



حبذا ليلتنا من ليلة  
يكرم الأحرار حراً لبقا  
شاعر ما إن جرى في حلبة  
أبدأ إلا وكان الأسبقا  
كاتب لا بل سحاب هتن<sup>(٢)</sup>  
كم روى الأرواح خمراً وسقى!

(١) الرقية: العوذة.

(٢) هتن المطر: هطل.

قُلْ لِمَن حَاوَلَ أَن يُلْحِقَهُ  
 إِنَّ هَذَا عَارِضٌ<sup>(١)</sup> لَّن يُلْحَقَا  
 قَلَمَ يَهْمِي عَلَى أُمَّتِهِ  
 رَحْمَةً إِذْ تُمَطِّرُ الدُّنْيَا شَقَا  
 وَإِذَا مَا أُودِيتُ أَوْ ظُلِمْتُ  
 أَمْطَرَ الدُّنْيَا شُؤْظَا<sup>(٢)</sup> مُحْرِقَا  
 وَدَوْتُ زَعَقَاتِهِ كَابِنِ الشَّرَى  
 رِيْعَ فِي عَرِيْسِهِ أَوْ ضَوِيْقَا<sup>(٣)</sup>  
 هُوَ لِحَقٍّ إِلَى أَن يَنْجَلِي  
 وَعَلَى الْبَاطِلِ حَتَّى يُزْهَقَا  
 أَنْفَقَ الْعُمَرَ عَلَى خِدْمَتِهَا  
 أَهْ مَا أَعْلَى الَّذِي قَدْ أَنْفَقَا!  
 قُلْ لِمَن أَرْجَفَ كِي يُقْلِقَهُ  
 فِي حِمَاهُ: إِنَّهُ لَن يُفْلِقَا  
 وَلِمَن حَاوَلَ أَن يُغْضِبَهُ:  
 إِنَّهُ أَعْلَى وَأَسْمَى خُلُقَا  
 أَمِيرٌ تَتَّقِيهِ دَوْلَةٌ  
 يَتَوَقَّى كَاشِحًا مُخْتَلِقَا؟  
 وَهُوَ مِثْلُ الشَّمْسِ لَن يَبَاغَهَا  
 صَاعِدُ مَهْمَا تَعَالَى وَارْتَقَى  
 إِنَّ يُوْبَيْلَكَ يُوْبَيْلُ النُّهَى  
 هُنَّاتُ (بَغْدَادُ) فِيهِ (جَلُّقَا)<sup>(٤)</sup>

\*\*\*\*

(١) السحاب يعترض الأفق.

(٢) القطعة من النار.

(٣) الشَّرَى: موضع تنسب إليه الأسود، ويقال: للشجعان: هم أسود الشَّرَى. وعريسة الأسد (دون تشديد) ما يجمعه في مأواه لأشباهه، كالعش للطائر.

## ٤٣ - أخو الورقاء

[الكامل]

رسالة إلى الشاعر القروي أُلقيت في الحفلة الوداعية التي أُقيمت في ولاية تكساس وقد تعذّر على الناظم حضورها.

لله من عَبَثِ القَضَاءِ وسُخْرِهِ  
بالنَّاسِ والحالاتِ والأشياءِ  
كم دُرَّةٍ في التَّاجِ، أَلْفُ مِثْلُهَا  
في القَاعِ، لم تَخْرُجْ من الظُّلَمَاءِ!  
ولكم تَعَثَّرَ بِالْغَبَارِ سَمِيدَعٌ<sup>(١)</sup>  
وانداحتِ الأطْوَادُ لِلْجُبْنَاءِ  
ولكم جَنَى عِلْمٍ عَلَى أَرْبَابِهِ  
وجَنَى الْهِنَاءِ جَمَاعَةُ الْجُهْلَاءِ  
أَرَأَيْتَ أَعْجَبَ حَالَةٍ مِنْ حَالِنَا  
أَرْفَ الرَّحِيلُ وَلَمْ نَفْزُ بِلِقَاءِ!  
عاشتْ شُهُوراً بِالرَّجَاءِ قُلُوبُنَا  
وبلحظةٍ أُمِسَتْ بِغَيْرِ رَجَاءِ  
ماتتْ أُمَانِينَا الْحَسَنُ أَجَنَّةً  
لم تَكْتَحِلْ أَجْفَانُهَا بِضِيَاءِ  
فكَأَنَّهَا بَرَقُ تَالِقٍ وَانْطَوَى  
في الليلِ، لم تَلْمَحْهُ مُقْلَةٌ رَاءِ  
وَكأنَّنَا كُنَّا نَحْلُقُ فِي الْفَضَا  
صُعْدًا لِنَلْمَسَ مَنَكِبَ الْجُوزَاءِ

(١) السيد الكريم السخي الشجاع السريع (جمعه: سمادع وسمادعة) .



حتى إذا حان الوصولُ.. رَمَتْ بِنَا  
 نَكْبَاءً عَاتِيَةً إِلَى الْغَبْرَاءِ<sup>(١)</sup>!  
 وَكَأَنَّ « تِكْسَسَ » وَهِيَ فِي هَذَا الْحِمَى  
 صُقْعٌ<sup>(٢)</sup> « كَسَانْبُولٍ » قَصِيٌّ نَاءٍ  
 طُوبَى لَهَا، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَهْلُهَا  
 أَنَّ النُّزِيلَ بِهَا أَخُو الْوَرَقَاءِ<sup>(٣)</sup>  
 كَانَتْ مَسَارِحَ « لِلرُّعَاةِ » فَأَصْبَحَتْ  
 لَمَّا أَتَاهَا، كَعْبَةٌ الشُّعْرَاءِ  
 هُوَ بَلْبَلٌ عَبَقَ النُّبُوَّةُ فِي أَغَا  
 نِيهِ، وَفِيهَا، نَكْهَةٌ الصَّهْبَاءِ  
 وَجَلَالُ لِبْنَانٍ وَقَدْ غَمَرَ الْمَسَا  
 هَضْبَاتِهِ، وَانْسَالَ فِي الْأَوْدَاءِ  
 غَنًى، فَفِي النَّسَمَاتِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْ  
 غُدرَانِ أَعْرَاسٌ بِلا ضَوْضَاءِ  
 وَيَكِي، فَشَاعَ الْحُزْنُ فِي الْأَزْهَارِ وَالْ  
 أَظْلَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَضْوَاءِ  
 هُوَ نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ هَبْطَتْ إِلَى  
 هَذَا التُّرَى مِنْ عَالَمِ اللَّأَلَاءِ  
 لَوْ عَادَ لِلدُّنْيَا الْبُرَاقُ وَحُزْنَتُهُ  
 مَا كَانَ إِلَّا نَحْوَهُ إِسْرَائِي<sup>(٤)</sup>  
 أَشْكَو الْبِعَادَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَشْتَكِي  
 فَسَمَاؤُهُ مَوْصُولَةٌ بِسَمَائِي

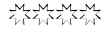
(١) الأرض.

(٢) الناحية والجهة والمحلة.

(٣) الحمامة الورقاء: الرمادية اللون.

(٤) البراق: مركب الرسول (ص) ليلة الإسراء والمعراج.

ما حال بين نفوسنا: ما حال بيد  
نَ جُـسُومنا من أَجْبَلٍ وفضاء  
فلَـكُم نظرتُ إلى الربِّا فلمحتُه  
في الأَقْـحوانِ الخَيْرِ المِعْطاء  
وسمعتُ ساقيةً تَنُنُّ فخلتُني  
لِبُكائه أوطانه إصغائي  
وإذا تلوح لي الجبالُ ذكرتهُ  
فالشاعرُ القرويُّ طودُ إباء  
مَن كان يحلمُ بالغدير فإنَّه  
يبدو له في كلِّ قطرةِ ماء  
إنَّ كنتُ لم أره فقدُ شاهدتهُ  
بُعُيونُ أصحابي، وذاك عَزائي



أَفَتَى القَوافي كالشُّواظ على العدا  
وعلى قلوبِ الصَّحْبِ كالأنداء  
سارت إليك تحيَّتي ولو أنني  
خُيِّرْتُ، كنت تحيَّتي ودُعائي

\*\*\*\*

## ٤٤ - شاعر الديار

[البسيط]

أُلقيت في حفلة تكريم الشاعر مسعود سماحة.  
عادت رياض القوافي وهي حالية  
وكان صوح فيها الزهر والعشب  
واسترجعت دوله الأقلام نخوتها  
وكان أدركها الإعياء والتعب  
بشاعر عبقرى، في قصائده  
عطر وخمر وسحر رائق عجب  
فاشرب بروحك خمراً كلها أرج  
وانشق بروحك عطراً كل طرب  
وامرح بدنيا جمال من صورته  
فإنها السحر إلا أنه أدب  
والبس مطارف حاكته يراعت  
تبقى عليك ويبلى الخز والقصب<sup>(١)</sup>  
كم درة يتمنى البحر لو نسبت  
إليه، باتت إلى مسعود تنتسب  
لو أنها فيه لم تهتج غواريه<sup>(٢)</sup>  
لكنها لسواه فهو يصطخب  
فلا جناح إذا قال شاعرنا  
للبحر: يا بحر أغلى الدر ما أهب!



(١) الخز: الحرير، والقصب: أنابيب من جوهر. والمطرف: الرداء من الحرير (والجمع: مطارف).

(٢) غرب كل شيء حده.

يا شاعر «الدير»<sup>(١)</sup> كم هلَّلتَ قافيةً  
غنى الرواةُ بها واختالتِ الكتبُ  
طلاقةَ الفجرِ فيها وهو منبتُّ  
ورقةَ الماءِ فيها وهو منسكب  
مرّتْ على هضباتِ الديرِ هائِمةً  
فكادَ يورقُ فيها الصَّخرُ والخطب  
إذا تساقى الندامى الراحَ صافيةً  
كانت قوافيكِ في الراحِ التي شربوا  
فأنتَ في ألسنِ الأشياءِ إنْ نطقوا  
وأنتَ في همَمِ الشُّبانِ إنْ وثبوا



مسعودُ عيدك والشَّهرُ الجميلُ<sup>(٢)</sup> معاً  
قد أقبلَا وأنا في الأرضِ أضطرب  
يحزُّ نفسي أني اليومَ مبتعدُ  
وأنتَ من حولك الأنصارُ والصَّحبُ<sup>(٣)</sup>  
البِيدُ «والناس» ما بيني وبينكم  
ليت المَهامةُ<sup>(٤)</sup> تُطوى لي فأقترِبُ  
ما كان أسعدني لو كنتُ بينكم  
كيما يؤدي لساني بعضَ ما يجب  
لصاحبِ أنا تيّاهُ بصُحبته  
وشاعرٍ طالما تاهتْ به العَرَبُ



---

(١) دير القمر بلدة الشاعر سماعة.

(٢) شهر أيار ١٩٣٩

(٣) الصَّحبُ: (على الأصل) وجمعها أصحاب.

(٤) المهمة: المفازة البعيدة، وجمعها (مهامه).

## ٤٥ - لا يُدركُ الهرمُ النجوم

[مجزوء الكامل]

قصيدة بعث بها إلى صديقه الشاعر المرحوم مسعود سماحة.

يا شاعراً حلّو المودّة في الحضور وفي الغياب  
شَهْدٌ ولأوكَ والأنامُ ولأوهمُ شَهْدٌ وصَابُ<sup>(١)</sup>  
أنا إن شكوتُ إليك منك، وسالَ في كُتُبي العِتَابُ  
فحكايتي كحكايةِ الظمانِ في قَفْرِ يَبَابٍ  
لم يَرَوْهُ لَمَعُ السُّرَابِ فراحَ يستسقي السُّحَابَ  
فهمى فكان الخيرُ فيه للأباطحِ والهَضابِ  
« مسعودُ » أهونُ بالمشيبِ فما أمحى إلا الخُضابِ  
ماذا عليك من الثلوجِ وفي ضلوعِكَ حَرٌّ أب  
الكأسُ أجملُ في النواظرِ إذ يرصُّعُها الحَبَابُ<sup>(٢)</sup>  
إن شَابَ منك المَفْرقانِ فما أظنَّ القلبَ شَابَ  
لا تزعُمنَّ له المتابَ فإنَّ توبيته كذاب  
ما زالَ يخفقُ بالهوى، ويفيضُ بالسَّحرِ العُجَابُ  
ويُريكَ دنيا لا تُحَدُّ، ومن ورائك أَلْفَ بابٍ  
دنيا من اللذاتِ والأفراحِ في دنيا عَذَابٍ  
ويُريكَ جنّاتِ الجَمالِ وأنت في الطُّللِ الخرابِ



أفتى القوافي الشاديّاتِ كأنها أطيّارُ غاب

(١) الصاب: عصارة شجر مرّ (واحدته صابة).

(٢) الفقاعات التي تعلو سطح الشراب (اليعاليل).

إِنْ قِيلَ إِنَّكَ صِرْتَ شَيْخاً قُلْ: أَجَلَ شَيْخِ الشَّبَابِ  
أَتُرَى إِذَا الْعَنْوَانَ ضَاعَ يَضِيعُ مَضْمُونُ الْكِتَابِ؟  
السَّيْفُ لَيْسَ يَعْيبُهُ مَشْيُ الْخُلُوقَةِ فِي الْقِرَابِ<sup>(١)</sup>  
وَالْخَمْرُ خَمْرٌ فِي إِنَاءٍ مِنْ لُجَيْنٍ أَوْ تِرَابِ  
وَحْيَاةٍ مِثْلِكَ لَيْسَ تَدْخُلُ فِي قِيَّاسٍ أَوْ حِسَابِ  
فَعْدُ زَمَانُكَ مِثْلُ أَمْسٍ وَإِنْ مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ  
لَا يَدْرُكُ الْهَرَمُ النُّجُومَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا شِهَابِ  
وَإِذَا يُعَابُ عَلَى الْمَشِيبِ فَتَى فَمَنْ ذَا لَا يُعَابِ  
أَوْ كَانَ يُمدَحُ بِالسَّوَادِ فَمَنْ تُرَى مَدَحَ الْغُرَابِ؟



يَا نَفْحَةً مِنْ شَاعِرٍ  
أَرْجَ الْكِتَابُ بِهَا وَطَابُ  
الْفَجْرُ أَهْدَى لِي السَّنَا  
وَالرُّوضُ أَهْدَى لِي الْمَلَابِ<sup>(٢)</sup>



---

(١) قراب السيف: غمده. والخلوقة بفعل القدم والاستعمال.  
(٢) السنا: النور. والملاب: ضرب من الطيب كالخلوق والزعفران.

## ٤٦. بنت القصر

[الوافر]

أرسل الشاعر مسعود سماعة إلى صاحب الديوان القصيدة التالية مصحوبة بكمية من البنِّ الفاخر.

أَدْرِهَا قَهْوَةً كَعَصِيرِ بَكْرٍ  
تَجَلَّتْ فِي الْكُؤُوسِ بِكَفٍّ بِكَرٍ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ الْمَسْكَ يَغْلِي حِينَ تَغْلِي  
وَيَجْرِي فِي الْأَوَانِي حِينَ تَجْرِي  
تُعِيدُ إِلَى الضَّعِيفِ قُوًى وَتُهْدِي  
إِلَيْهِ غَبِطَةً وَصَفَاءَ فِكْرٍ  
تَعَشِّقُهَا الشُّعُوبُ فَكُلُّ شَعْبٍ  
أَعَدَّ لَهَا الثَّغُورَ وَكُلَّ قُطْرٍ  
تَلُوحُ حُبُّهَا فِي كُلِّ كُوخٍ  
وَلَا حَافِئَ لَهَا فِي كُلِّ قَصْرِ  
يَضُوعُ عَبِيرُهَا بِرِمَالٍ نَجْدٍ  
وَيَعْبِقُ عَطْرُهَا بِقُصُورِ مِصْرٍ  
تَمْشِي عَنَابَرًا فِي كُلِّ أَنْفٍ  
وَتَنْزِلُ قَرْقَفًا<sup>(٢)</sup> فِي كُلِّ ثَغْرِ  
وَيَزْرِي طَعْمُهَا حُلُوءًا وَمُرًّا  
بِمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حُلُوءٍ وَمُرٍّ



(١) القهوة البكر، والفتاة البكر.

(٢) الخمر.

وَسَمَرَاءُ إِذَا زَادَتْ صَبَاحاً  
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَيْضِ وَسُمْرِ  
 يَحُوكُ لَهَا الْبَخَارُ رِداءً نَدًّا<sup>(١)</sup>  
 وَيَكْسُوها الْحُبَابُ وَشَاحَ دُرٌّ  
 كَسَرَتْ الدُّنَّ مِنْ عَهْدٍ بَعِيدٍ  
 فَأَمْسَتْ بَعْدَ خَمْرِ الدُّنِّ خَمْرِي  
 فَإِنْ حَلَّتْ قُؤَاكُ جِيُوشُ ضَعْفٍ  
 وَهَالِكَ عَبَاءُ هُمْ مُسَبَّطِرٌ<sup>(٢)</sup>  
 عَلَايِكَ بِقَهْوَةٍ رَقَّتْ وَرَاقَتْ  
 كَشِعْرِكَ لَا يُجَارَى أَوْ كَشِعْرِي  
 (مسعود)

#### فأجابه بالقصيدة التالية:

شَرِبْنَاها عَلَى سِرِّ الْقَوَافِي  
 وَسِرِّ الشَّاعِرِ السَّمْعِ الْأَبْرِ  
 سَقَانَا قَهْوَتَيْنِ (بَغِيرِ مَنْ)  
 عَصِيرِ شُجَيْرَةٍ وَعَصِيرِ فِكْرِ  
 فَنَحْنُ اثْنَانِ: سَكْرَانُ لَحِينٍ  
 عَلَى أَمْنٍ، وَسَكْرَانُ لَدَهْرِ  
 فَمَنْ أَمْسَى يَهِيمُ بِبَنْتٍ قَصْرِ  
 فَإِنَّا هَائِمُونَ بِبَنْتٍ قَفْرِ  
 إِذَا حَاضَرَتْ فَذَلِكَ يَوْمٌ سَعْدٍ  
 وَإِنْ غَابَتْ فَذَلِكَ يَوْمٌ قَهْرِ  
 لَهَا مِنْ ذَاتِهَا سِتْرٌ رَقِيقٌ  
 كَمَا صَبَغَ الْحَيَاءُ جَبِينَ بِكْرِ

(١) ضرب من الطيب يدخن به.

(٢) اسبطر: اضطلع وامتمد.



إِذَا دَارَتْ عَلَى الْجُلَاسِ هَشُّوا  
 كَأَنَّ كَوْؤَسَهَا أَخْبَارُ نَصْرٍ  
 وَنَرَشْفُهَا فَنَرَشْفُ رَيْقِ خَوْدٍ<sup>(١)</sup>  
 وَنَنَشَقُّهَا فَنَنَشَقُّ رِيحَ عَطْرِ  
 وَلَا نَخْشَى مِنَ الْحُكَّامِ حَدًّا  
 وَعِنْدَ اللَّهِ لَمْ تَوْصَمْ بِوِزْرِ  
 فَمَا فِي شَرِبِهَا إِثْمٌ وَنُكْرٌ  
 وَشَرِبُ الْخَمْرِ نُكْرٌ أَيْ نُكْرٌ  
 وَلَيْسَتْ تَسْتَخْفُ أَخَا وَقَارٍ  
 وَبِئْسَ الدَّنُّ بِالْأَحْلَامِ<sup>(٢)</sup> تُزْرِي  
 وَتَحْفَظُ سِرَّ صَاحِبِهَا مَصُونًا  
 وَبِئْسَ الْكِرْمُ تَفْضَحُ كُلَّ سِرٍّ  
 وَلِلصِّهْبَاءِ أَوْقَاتٌ، وَهَذِي  
 شَرَابُ النَّاسِ فِي حَرٍّ وَقَرٍّ  
 وَتَصْلَحُ أَنْ يُطَافَ بِهَا مَسَاءً  
 وَتَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ شَرَابَ ظُهُرٍ  
 فَلَوْ عَرَفْتَ مَزَايَاهَا الْغَوَانِي  
 لَعُلِّقَ حَبُّهَا فِي كُلِّ نَحْرٍ  
 كَأَنَّ حَبْوَبَهَا خُضْرًا وَصُفْرًا  
 فَصُوصُ زُمُرْدٍ وَشَذُورُ<sup>(٣)</sup> تَبَرٍ  
 كَأَنَّ الْجَنَّ قَدْ نَفَثَتْ رُؤَاهَا  
 عَلَى أَوْرَاقِهَا فِي ضَوْءِ فَجْرِ  
 أَلَسْتَ تَرَى إِلَيْهَا كَيْفَ تَطْغَى  
 وَكَيْفَ تَتَوَّرُّ إِنْ مُسَّتْ بِجَمْرِ

(١) الحسناء الشابة .

(٢) العقول . (العلم: العقل) .

(٣) الشذرة: هي، في الأصل، القطعة من الذهب .

كَأَنَّ نَخِيلَ مِصْرٍ قَدْ حَسَاها  
 وَإِلَّا مَا اهْتِزَّازُ نَخِيلِ مِصْرٍ؟  
 جَلَوْتُ بِهَا مِنَ الْأَكْدَارِ ذَهْنِي  
 كَمَا أَنِّي غَسَلْتُ هُمُومَ صَدْرِي  
 وَمَا هِيَ قَهْوَةٌ تُطَهِّي وَتُحْسِي  
 وَلَكِنْ نَفْحَةٌ مِنْ رُوحِ حُرٍّ  
 حَوَى فِي شِعْرِهِ عَبَثُ (ابن هاني)  
 وَزَادَ عَلَيْهِ فِلَسْفَةً (المَعْرِي)<sup>(١)</sup>  
 فَيَا لَكَ شَاعِرًا لَبِقًا لَعُوبًا  
 كَأَنَّ يَرَاعَهُ أَنْبُوبُ سِحْرِ  
 يَفِيضُ سَلَاسَةً فِي كُلِّ لَفْظٍ  
 وَيَجْرِي رَقَّةً فِي كُلِّ سَطْرِ  
 حَوَتْ دَارُ «السَّمِيرِ» هَدِيَّتِيهِ  
 وَتَحْوِي هَذِهِ الْأَوْرَاقُ شُكْرِي

\*\*\*\*

---

(١) ابن هاني هو أبو نواس، والمَعْرِي هو أبو العلاء.

## ٤٧ - تلك المنازل

[الكامل]

ألقاها في حفلة تكريم الأستاذ كمال جنبلاط.  
تلك المنازل.. كيف حال مُقيمِها<sup>(١)</sup>  
إنّا قنِعْنَا بَعْدَهَا.. بِرُسُومِهَا  
تمشي على صُورِ الطيورِ لِحَاظِنَا  
نَشْوَى، كَمَنْ يُصْغِي إِلَى تَرْنِيمِهَا  
ونكادُ نَعشُقُ في الأزاهيرِ الدُّمَى  
أزهارها ونُحْسُ نَفْحَ شَمِيمِهَا  
نَشْتَاقُهَا في بؤْسِنَا ونَعِيمِنَا  
ونُحِبُّهَا، في بؤْسِهَا ونَعِيمِهَا  
لولا الخيالُ يُعِينُ أَنْفُسَنَا لِمَا  
سَكَنْتُ ولم يهدأ صُراخُ كَلِمِهَا  
ولكان شُهْدُ الأرضِ في أفواهِنَا،  
وهو اللذيذُ، أَمَرٌ مِنْ رَقُومِهَا<sup>(٢)</sup>  
يا حاملاً في نفسه وحديثه  
أحلامَ أَرْزَتْهَا وَلُطْفَ نَسِيمِهَا  
حدّتْ بَنِيهَا شَيْخَهُمْ وَفَتَاهُمْ  
عن ليثٍ غابَتْها وَظَبْيٍ صَرِيمِهَا<sup>(٣)</sup>

(١) يريد السؤال عن المقيمين فيها.

(٢) كل طعام يقتل (في المعاجم: طعام أهل النار).

(٣) الصريم: أرض لا تنبت شيئاً. والقيصوم: نبات قريب منه، كثير في البادية.

خَبَّرَهُمْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ لَمْ تَنْزَلْ  
تَحْنُو عَلَى الْعِشَاقِ بَيْنَ كُرُومِهَا  
مَازَالَ بُلْبُلُهَا يُغَنِّي لِلرُّبَا  
وَالسِّحْرُ تَنْفُثُهُ لَوَاحِظُ رِيمِهَا  
وَالرَّيْحُ تَلْتَقِطُ الشَّدَا وَتُذِيعُهُ  
(١) مِنْ شَيْحِهَا طَوْرًا وَمِنْ قَيْصُومِهَا  
وَهَضَابُهَا يَلْبَسُنَ عَسْجَدَ شَمْسِهَا  
حِينًا، وَأَحْيَانًا لُجَيْنَ نَجُومِهَا (٢)  
وَالْفَجْرُ يَرْقِصُ فِي السُّهُولِ وَفِي الذُّرَا  
مَتَهَلَّلًا فَتَهَشُّ بَعْدَ وُجُومِهَا  
إِنْ بُدِّلَتْ مِنْهَا التُّخُومُ فَإِنَّهَا  
مَا بُدِّلَتْ وَاللَّهِ غَيْرَ تَخُومِهَا  
حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلِهَا وَنَجُومِهَا  
وَعَنِ الْهَوَى فِي لَيْلِهَا وَنَجُومِهَا  
وَعَنِ الشُّطُوطِ الْحَالِمَاتِ بَعُودَةٍ  
لِلْغَائِبِينَ، وَرَجْعَةٍ لِنَعِيمِهَا  
وَعَنِ الرُّوَابِي الشَّاخِصَاتِ إِلَى السَّمَاءِ  
الْعَالِقَاتِ رُؤُوسُهَا بَغِيومِهَا  
فَكَأَنَّهَا سُحْبٌ هَوَتْ مِنْ حَالِقٍ  
وَرَسَتْ عَلَى وَجْهِ التُّرَى بِهِمُومِهَا  
وَعَنِ الْحَيَاةِ جَمِيلِهَا وَقَبِيحِهَا  
وَعَنِ النُّفُوسِ صَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا  
وَعَنِ الْأَلَى مَلَكُوا فَلَمْ يَتَوَرَّعُوا  
عَنْ سَلْبِ أَعْزَلِهَا وَظُلْمِ يَتِيمِهَا

(١) الشبيح: نبت سهلي رائحته طيبة قوية.

(٢) العسجد: الذهب. واللجين: الفضة.

وعن الثعابين التي في أرضها  
وعن الذئاب العُصْل<sup>(١)</sup> خَلَفَ تُخُومِهَا  
الجاهليَّةُ، أَهٍ مِنْ أَصْنَامِهَا  
بوركْتَ يَا مَنْ جَدَّ فِي تحطيمِهَا  
والطائفِيَّةُ أَنْتَ أَوَّلُ مِعْوَلٍ  
في سورِهَا، ثابِرٌ على تَهْدِيمِهَا  
حتى تَعُودَ وَوَاحِدٌ أَقْنُومُهَا  
ويحلُّ رُوحُ اللَّهِ في أَقْنُومِهَا<sup>(٢)</sup>  
قل للشَّيْبِيَّةِ أَنْ تُبَيِّنَ وجودَهَا  
وتُعَزِّزْ أَنْفُسَهَا بِهَوْنِ جِسْمِهَا  
كمَ ذَا تَشِعُّ وَلَا تُضِيءُ عِلُومُهَا  
سُرُجُ الظَّلامِ إِذْ جَلِيلُ عِلُومِهَا  
يا وَاحِدًا مِنْهَا يُحْمَلُ نَفْسَهُ  
أَلَامَ عَانِيهَا وَلَيْلَ سَلِيمِهَا<sup>(٣)</sup>  
إِنْ أَكْرَمَتْكَ نَفُوسُنَا فِي لَيْلَةٍ  
فَلَكُمْ قَضَيْتَ الْعَمَرَ فِي تَكْرِيمِهَا

\*\*\*\*

(١) العُصْل: الالتواء والاعوجاج والصلابة (أعصل، عصلاء) يشير إلى الأنبياء.

(٢) الأَقْنُوم: الأصل.

(٣) العاني: الأسير، يريد هنا: المتعب والمعاني. والسليم: اللديع (السَّلم: لدغة الحية). يريد هنا: المصاب.

## ٤٨ . دمة الشاعر

### إلى روح الشاعر خليل مطران

[مجزوء الرمل]

(مرات يتفجع فيها صاحب الديوان على الراحين من زملائه الشعراء).  
عندما أبدعَ هذا الكونَ ربُّ العالمينا  
ورأى كلَّ الذي فيه جميلاً وثنميناً  
خلقَ الشاعرَ... كي يخلُقَ للناسِ عُيوناً  
تُبصرُ الحُسْنَ... وتهواه حَراكاً وسكوناً  
وزماناً، ومكاناً، وشُخوصاً وشؤوناً  
فارتقى الخلقُ... وكانوا قَبْلَهُ لا يرتقُونَا  
واستمرَّ الحُسْنُ في الدنيا ودام الحبُّ فينا

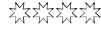


إنه روحٌ كريمٌ لبسَ الطينَ المَهينَا  
ونبيُّ بهرَ الخلقِ وما أعلن ديننا  
يلمحُ النُّجمَ خفياً، ويرى العِطرَ دفينَا  
ويُرينا الطُّهرَ حتى في الجنَّةِ الأثمينَا  
ويُحسُّ الفرحَ الأسمى جريحاً أو طعينَا  
كلَّما شاعت دِمَاهُ أملاً في البائسينَا



مَنْ سِوَاهُ ثائرٌ فيه وقارُ الناسِ كينَا  
مَنْ سِوَاهُ عابدٌ فيه جنونُ الثائرينَا  
مَنْ سِوَاهُ عانقُ الله يَقيناً لا ظنونَا

من تُرى إِلَهٌ يَحْيَا نَفَمَاتٍ وَلُحُونَا  
من تُرى إِلَهٌ يُفْنِي ذَاتَهُ.. فِي الْآخِرِينَا



لَوْ أَبَى اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَا  
عَادَتِ الْأَرْضُ وَهَادَأَ شَاحِبَاتٍ وَحُزُونَا<sup>(١)</sup>  
تَرْتَدِي الْوَحْشَةَ وَالْهَوْلَ ضَبَاباً وَدُجُونَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَقَاحِيهَا هَشِيمًا لَا أُرِيحَاً وَفُتُونَا  
وَسَوَاقِيهَا سَرَاباً هَازِئاً بِالظَّامِئِينَا  
وَشَوَادِيهَا<sup>(٣)</sup> دُمَى خَرَسَاءَ تُوْذِي النَّاطِرِينَا  
وَاسْتَفَاقَ الْجَدُولُ الْحَالِمُ غَيْظاً وَجُنُونَا  
وَاسْتَوَى النَّهْرُ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى جُرْحاً تُخِينَا  
وَانْطَوَتْ دُنْيَا الرُّؤْيِ فِيهَا.. وَمَاتَ الْحَالِمُونَا



أَيُّ رَبِّي، لَوْ مَضَى الشَّاعِرُ عَنَّا لَشَقِينَا  
وَلَعِشْنَا بَعْدَهُ فِي غُصَصٍ لَا يَنْتَهِينَا  
وَلَأَمْسَى اللَّهُ مِثْلَ النَّاسِ مَغْمُومًا حَزِينَا!



زَعَمُوا وَلَّى وَلَنْ يَرْجِعَ... وَيَحَ الْجَاهِلِينَا  
لَمْ يَمُتْ مَنْ كَانَ لِلَّهِ خَلِيلًا وَخَدِينَا  
عَاشَ حِينًا، وَسَيَحْيَا بَعْدَمَا غَابَ قُرُونَا



---

(١) الأرض فيها خدود غليظة.

(٢) الدجن: الغيم المطبق في السماء.

## ٤٩ - مازال في الأرض حياً

[الخفيف]

قال الشاعر هذه القصيدة عندما جاءه نبأ وفاة صديقه الأديب أمين الريحاني، وقد تأثر بالنبأ المفاجيء.

أَيُّ خُطْبٍ دَهَا فَبَاتَ الْمَهْجَرُ  
مِثْلَ حَقْلٍ مَرَّتْ عَلَيْهِ صَرْصَرٌ<sup>(١)</sup>  
ضَرَبْتُ عِقْدَ زَهْرِهِ فَتَبَعْتُ  
وَمَشَتْ فَوْقَ عُشْبِهِ فَتَنَكَّرَ  
بَعْدَ أَنْ كَانَ عِبْهَرِيًّا<sup>(٢)</sup> نَدِيًّا



قَدْ سَمِعْنَا يَا لَيْتَنَا لَمْ نَسْمَعْ  
نَبَأَ زَعَزَعَ الْقُلُوبَ وَضَعَعَ  
فَجَزَعْنَا وَحَقَّقْنَا أَنْ نَجْزَعَ  
لِفِرَاقِ الْفَتَى الْأَدِيبِ الْأَلْعُ  
وَذَرْفْنَا دَمْعاً سَخِيناً سَخِيًّا



قَدْ بَكَيْنَا كَمَا بَكَى لِبْنَانُ  
وَحَنَنْتُنَا كَأَرْزِهِ الْأَحْزَانُ  
لَيْسَ بَعْدَ الْأَمِينِ ثُمَّ مَكَانُ  
غَيْرِ مُسْتَوْحِشٍ وَلَا إِنْسَانِ  
ذُو وَفَاءٍ لَمْ يَبْكِ ذَاكَ الْوَفِيًّا



---

(١) باردة.

(٢) العبهري: الياسمين أو النرجس..



ألمعيُّ قد غابَ تحت الرِّغَامِ<sup>(١)</sup>  
إنَّما لم يغب عن الأفهام  
فهو باقٍ فينا مدَى الأيام  
فعاليه تحييتي وسلامي  
عاش حراً ومات حُراً أبياً



لم يُعَفِّرْ جبينَه في الترابِ  
لم يواربُ في موقفٍ، لم يُحابِ  
لم يَبِعْ قَومَه من الأغرابِ  
لم يَسِرْ في سوى طريقِ الصَّوابِ  
لم يكن خائناً ولا إمَّعيّاً<sup>(٢)</sup>



عاش في الأرض مثلَ زهرِ البنفسجِ  
كلَّما زادَ فَرْكُهُ يتأرجحُ<sup>(٣)</sup>  
وكنجمٍ في بُرجِه يتوهجُ  
لا يَبْبالِي أحَبَّه من أدلجِ<sup>(٤)</sup>  
أمْ أحبَّ الليلَ البهيمَ الدَّجِيّاً<sup>(٥)</sup>



فابسِمي فوقَ قبرِه يا نجومُ  
وترنِّم منْ حوله يا نسيمُ

---

(١) التراب.

(٢) الإمعة: الذي لا رأي له، يتابع كل أحد، ولا يثبت على شيء.

(٣) الأرج: نفحة الطيب، ويتأرجح: تنتشر رائحته.

(٤) الدُّلجة: سير السحر أو سير الليل كله.

(٥) دجا الليل: هداً وسكن، مع انتشار سواده وخفوت نجمه. والبهيم من الإبهام.

فالدفينُ الذي هناك يُقيمُ  
بَطْلُ مُصْلِحِ رُوحِ كَرِيمِ  
ولسانُ تَخَالُهُ نَبَوِيًّا  
وتَنصَّتْ إِذَا رَأَيْتَ الْأَقْصَا حِي  
جاثياتٍ في هَيْكَلِ الْأَرْوَاحِ  
قائلاتٍ بِلَهْجَةِ النَّصَّاحِ  
أيها الناسُ! بَعْضَ هَذَا النُّوَاحِ  
« فَأَمِينٌ » مَا زَالَ فِي الْأَرْضِ حَيًّا

\*\*\*\*

## ٥٠ - يا قائد القوم

[البسيط]

رثى بها صديقه الحميم الدكتور رزق حداد ألقاها في الحفلة التأبينية.  
يا أيها الشَّعْرُ أَسْعِفْنِي فَأَرِثِيهِ  
ويا دَمَوْعُ أَعِينِينِي فَأَبْكِيهِ  
بحثتُ لي عن مُعَزٍّ يَوْمَ مَصْرَعِهِ  
فلم أَجِدْ غَيْرَ مَحْزُونٍ أَعَزِّيهِ  
وما سألتُ امْرَأَةً فِيمَا تَفَجَّعُهُ  
إلا وَجَابُوبَ: « إِنِّي مِنْ مُحَبِّبِيهِ »  
كَأَنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ أَضَاعَ أَخَاهُ  
أو انْطَوَتْ فَجَاءَةً دُنْيَا أَمَانِيهِ  
فَذَا أَسَاهُ لَهَيْبٍ فِي أَضَالَعِهِ  
وَذَا أَسَاهُ دَمَوْعٍ فِي مَآقِيهِ  
فَهَلْ دَرَى أَيُّ سَهْمٍ فِي الْقُلُوبِ رَمَى  
لَمَّا نَعَاهُ إِلَى الْأَسْمَاعِ نَاعِيهِ؟  
يا شَاعِرَ الْحُسْنِ هَذَا الرُّوضُ قَدْ طَلَعَتْ  
فِيهِ الرِّيَّاحِينَ وَافْتَرَّتْ أَقَاخِيهِ  
وَشَاعَ « أَيَّارُ » عِطْرًا فِي جَوَانِبِهِ  
وَنَضْرَةً وَاخْضِرَارًا فِي رَوَابِيهِ  
فَأَيْنَ شِعْرُكَ يَسْرِي مَعَ نِسَائِمِهِ؟  
وَأَيْنَ سِحْرُكَ يَجْرِي فِي سَوَاقِيهِ؟  
هَجَرَتْهُ فَا مَحَتْ مِنْهُ بِشَاشَتَهُ  
مَاتَ الْهُوَى فِيهِ لَمَّا مَاتَ شَادِيهِ  
أَغْنَى عَنِ الدَّرِّ فِي الْقِيَعَانِ مُخْتَبِئًا  
دُرُّ يَسَاقِطِهِ الْحَدَادُ مِنْ فِيهِ

وكان للسحر تأثيرٌ فأبطلهُ  
 بالسحرِ يجري حلالاً في قوافيه  
 بلاغةُ «المتنبي» في مدائحه  
 ودمعُ «خنساء صخر»<sup>(١)</sup> في مراثيه  
 لا يعذبُ الشعرُ إلا حين ينظمهُ  
 أو حين ينشده أو حين يرويه  
 ويا طبيباً يداوي الناسَ من عللٍ  
 داءُ الأسى اليومَ فيهم من يداويه؟  
 أمسى الذي كان يشجينا ويطربنا  
 لا شيءَ يطربهُ لا شيءَ يشجيه  
 لقد تساوى لديه شدوٌ ساجعةٌ  
 وصوتُ نائحةٍ في الحيِّ تبكيه<sup>(٢)</sup>  
 صارتُ ليالِيهِ نوماً غيرَ منقطعٍ  
 ولم تكنْ هكذا قبلاً ليالِيهِ  
 قد كان نبراسنا في المعضلات إذا  
 ما ليلُها جنَّ وارتدتْ نواصِيهِ<sup>(٣)</sup>  
 فَمَنَ لنا في غدٍ إن أزمهُ عرضتُ  
 وليس فينا أخو حزمٍ يضاهيه  
 منَ للحزينِ يُواسِيهِ ويُسعدُهُ  
 وللمريضِ يداويه فيَشْفِيهِ  
 يا قائدَ القومِ إن تسألُ فإنَّهُم

(١) (الخنساء) الشاعرة التي بكت (في صدر الإسلام) أخاها (صخرًا) في مراثٍ ذائعة.

(٢) سجع الحمامة، يريد: الغناء والشدو.

(٣) الناصية: مقدم شعر الرأس.

(٤) تيه اليهود في سيناء، أربعين عاماً، بعد خروجهم من مصر، مع موسى عليه السلام.

باتوا حَيَارَى كإِسْرَائِيلَ فِي التَّيِّهِ<sup>(٤)</sup>  
لَمَّا رَأَوْكَ مُسَجِّى بَيْنَهُمْ عَلِمُوا  
مَا الْعِيشُ غَيْرُ أَخَابِيلِ<sup>(١)</sup> وَتَمُوِيهِ  
يَا رِزْقُ قَلْبِي عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْفَطِرُ  
وَكُلُّ قَلْبٍ كَقَلْبِي فِي تَشْطَظِيهِ  
لَمْ يَحْوِ نَعْشُكَ جَسَماً لَا حَرَكَ بِهِ  
بَلْ أَنْتَ أَمَالِنَا مَوْضُوعَةٌ فِيهِ  
غَدَاً يُوَارِيكَ عَنْ أَبْصَارِنَا جَدَثُ  
لَكِنْ فَضْلُكَ لَا شَيْءٌ يُوَارِيهِ

\*\*\*\*

---

(١) الخبال: الفساد، والأخابيل جمع (أخبولة).

## ٥١ - لِيَتَّهِمُ عَرَفُوهُ!

[الكامل]

رثى بها صديقه يعقوب روفائيل صاحب مجلة (الأخلاق).

يا نفسُ قد ذَهَبَ الرفيقُ الأُلعي  
فَتَجَلَّدي لفراقِهِ أو فاجزَعي  
هذي النهايةُ لا نهايةَ غيرها  
للحيِّ إن يُسرِعْ وإن لم يُسرِعْ  
للموتِ مَنْ مَلَكَ البسيطةَ كُلَّها  
أو حازَ مَنْ دنياه بضعةَ أُنزِعْ  
فازرعْ طريقَكَ بالورودِ وبالسَّنَا<sup>(١)</sup>  
لا يحصدُ الإنسانُ إن لم يزرعْ  
واعملْ لكي تمضي وتبقى رقةٌ  
في مَبْسَمٍ أو نغمَةٍ في مَسْمَعٍ  
أو صورةً مثلُ الربيعِ جميلةً  
في خاطرٍ أو ناظرٍ مُستَمْتِعٍ



يا صَحْبَ يعقوبٍ ويا عُشْرَاءَ  
مَنْ مِنْكُمْ أبكي ولا يَبكي معي؟  
إنَّا تَسَاوِينَا فَبَيْنَ ضُلُوعِكُمْ  
نارٌ ومثلُ سَعِيرِها في أضْلَعِي



---

(١) النور.



حَدَّثَتْ قَوْمَكَ حِقْبَةً فَتَسْمَعُوا  
والآن دورٌ حديثهم فتسمع  
هَجَرُوا الْكَلَامَ إِلَى الدَّمُوعِ لِأَنَّهُمْ  
وَجَدُوا الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا فِي الْأَدْمَعِ  
كَيْفَ التَّفْتُ وَسِرْتُ لَا أَلْقَى سِوَى  
مُتَوَجِّعٍ يَشْكُو إِلَى مُتَوَجِّعٍ  
حَتَّى الْأَلَى نَفَثُوا عَلَيْكَ سُمُومَهُمْ  
حَزَّ الْأَسَى أَكْبَادُهُمْ كَالْمِبْضَعِ<sup>(١)</sup>  
عَرَفُوا مَكَانَكَ بَعْدَ مَا فَارَقَتْهُمْ  
يَا لَيْتَهُمْ عَرَفُوهُ قَبْلَ الْمَصْرَعِ  
وَلَكُمْ تَمَنُّوا لَوْ تَعُودُ إِلَيْهِمْ  
أَنْتَ الشَّبَابُ، إِذَا مَضَى لَمْ يَرْجِعِ



حَنُّوا إِلَى أَرْجِ الْأَزَاهِرِ بَعْدَمَا  
عَبَثَتْ بِهَا أَيْدِي الرِّيحِ الْأَرْبَعِ  
وَاسْتَعَذَبُوا الْمَاءَ الْمَسْلُسَ بَعْدَمَا  
نَضَبَ الْغَدِيرُ وَجَفَّ مَاءُ الْمَشْرِعِ<sup>(٢)</sup>  
يَا لَوْعَةَ الْأَحْبَابِ حِينَ تَسَاءَلُوا  
عَنْهُ، وَعَادُوا بِالْجَوَابِ الْمَوْجِعِ  
إِنَّ الَّذِي قَدْ كَانَ مَعَكُمْ قَدْ مَضَى  
مَنْ مَوْضِعٍ أَدْنَى لِأَرْفَعِ مَوْضِعِ

---

(١) مبضع الجراح.  
(٢) مشرعة الماء: مورد الشارب.



من عالمٍ متكلفٍ متصنعٍ  
تشقى نفوسٌ فيه لم تتصنع  
للعالم الأسمى الطهور، ومن مجا  
ورة الأنعام إلى جوار المبدع

\*\*\*\*

## ٥٢. سكت الشادي وبُحّ الوتر!

[الرمل]

قالها يرثي رفيقه الشاعر ندره حداد وقد فاجأته المنية في حفلة عرس.  
لا تسْلُ أين الهوى والكُوثرُ  
سكت الشادي وبُحّ الوترُ  
فجأةً.. وانقلبَ العرسُ إلى  
مأتمٍّ.. ماذا جرى؟ .. ما الخبر؟  
ماجتِ الدارُ بمن فيها، كما  
ماجَ نهرٌ ثائرٌ مُنْكَدِرُ  
كلُّهم مُستفسرٌ صاحبه  
كلُّهم يؤذيه من يستفسرِ  
همسَ الموتِ بهم همستَه  
إنَّ همسَ الموتِ ریحٌ صرصرُ  
فإذا الحَيرةُ في أحداقهم  
كيفما مالوا وأنى نظروا  
علموا... يا ليتهم ما علموا  
أن دنيا من رُؤى تُحتَضِرُ!  
والذي أطربهم عن قُدره  
بات لا يَفْقُوى ولا يَفْقَتِدِرُ  
يبسَ الضحكُ على أفواههم  
فهو كالسُخرِ وإن لم يسخرُوا  
وإذا الآسي.. يدُ مَخْذولَةٍ  
ومُحيّا.. اليأس فيه أَصْفَرُ<sup>(١)</sup>

(١) الآسي: الطبيب.

شاع في الدار الأسى حتى شكتُ  
أرضُها وطائته والجُدرُ  
فعلى الأضواء منه فترةٌ  
وعلى الألوانِ منه أثرُ  
والقناني صورُ باهتة  
والأغاني عالمٌ مُندثرُ  
الهنا أفلتَ من أيديهمُ  
والأمانى؟ .. إنها تَنَتَحرُ  
ذُبَحَتْ أفراحُهم في لَمَحَةٍ  
قوةٌ تَجَنِي ولا تَعْتَذِرُ  
تَقْلَعُ النَّبْتَ الذي تَغْرُسُهُ  
والشُّذا فيه. وفيه الثُّمرُ  
إعْبَثِي ما شئتِ يا دنيا بنا  
وتَحَكَّمْ ما تَشَا يا قَدَرُ  
إن نكنُ زهراً فما أَمَجَدْنَا  
أو نكنُ شوكةً فهذا الخَطَرُ  
فلنعشْ في الأرض زهراً وليَطُلْ  
أجلُ الشُّوكِ الذي لا يُزْهَرُ

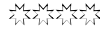


رحلَ الشاعِرُ عن دارِ الأذى  
وانقضتْ معه الليالي الغُرُ(١)  
كم حَوْتَهُ وَحَاوَاهَا مَلَكاً  
دولةُ الرُّوحِ التي لا تُقْهَرُ

---

(١) الأغر: الأبيض.

عاشَ لَا يُنْكِرُ إِلَّا ذَاتَهُ  
إِنْ حَبَّ الذَّاتِ شَيْءٌ مُنْكَرُ  
شَاعِرٌ أَعْجَبُ مَعْنَى صَاغَهُ  
لِلْبَرَايَا.. مَوْتُهُ الْمُبْتَكَرُ  
الْجَمَالُ الْحَقُّ مَا يَعْبُدُهُ  
وَالْجَمَالُ الزُّورُ مَا لَا يُبْصِرُ  
وَالْحَدِيثُ الصَّفْوُ مَا يَنْشُرُهُ  
وَالْحَدِيثُ السُّوءُ مَا يَخْتَصِرُ  
إِنَّهُ كَانَ مَلَكَاً بَشِيراً  
فَمَضَى عَنْهُ الْمَلَكُ الْبَشَرُ  
وَنَفُوسُ الْخَلْقِ إِمَّا طِينَةٌ  
لَا سَنَّا فِيهَا، وَإِمَّا جَوْهَرُ



يَا رَفِيقِي! مَا بَلَغْتَ الْمُنْتَهَى  
لَيْسَتْ الْحَدَّ الْأَخِيرَ الْحُفَرُ  
فَاعْبُرِ النَّهْرَ إِلَى ذَاكَ الْحَمَى  
حَيْثُ «جَبْرَانُ»<sup>(١)</sup> الْعَمِيدُ الْأَكْبَرُ  
«وَرَشِيدُ» نَغْمَةٌ شَادِيَةٌ  
«وَنَسِيبُ» نَغْمٌ مُسْتَبْشِرُ  
«وَجَمِيلُ» فِكْرَةٌ هَائِمَةٌ  
«وَأَمِينُ» أَمَلٌ مُخَضَّوْضِرُ<sup>(٢)</sup>  
قُلْ لَهُمْ إِنَّا غَدُونَا بَعْدَهُمْ  
لَا حَدِيثُ طَيِّبٍ لَا سَمَرُ

---

(١) جبران خليل جبران عميد الرابطة القلمية، وكان الشاعر عضواً فيها .

كسماءٍ ليس فيها أنجمٌ  
أو كروضٍ ليس فيه زهر  
كلُّنا منتظرٌ ساعتهُ  
والمَصيرُ الحقُّ ما ننتظر

\*\*\*\*

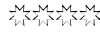
## ٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين

[البسيط]

رثى بها رفيقه الشاعر نسيب عريضة.  
لم يبرح الروض فيه الماء والزهر  
ولم يزل في السماء الشمس والقمر  
لكنها الآن في أذهاننا صور  
شوهاً، لا القلب يهواها ولا النظر  
قد انطوى حسنها لما انطوى الشاعر



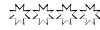
قل للمغني الذي قد غص بالنعيم  
إنني نظيرك قد خان الكلام فمي  
ومثل ما بك بي من شدة الألم  
أما العزاء فشيء زال كالحلم  
كيف السبيل إلى خمر ولا عاصراً



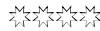
مضى الذي كان في البلوى يعزينا  
وكان يحيي - إذا ماتت - أمانينا  
ويسكب السحر أنغاماً ويسقينا  
مضى « نسيب » النبي المصطفى فينا  
وصار جسماً رميماً في يد القابر



كم جاعنا في الليالي السود بالآلق  
وبالندى من حواشي القفر والعبق  
وبالأغاني وما من صادق لبق  
وإنما هو سحر الحبر والورق  
السحر باق ولكن قد مضى السّاحر!



كالشمس يسترّها عند المسا الغسق<sup>(١)</sup>  
ونورها في رحاب الأرض منطلق  
تدوي الورود ويبقى بعدها العبق  
حتى لمن قطفوا منها ومن سرقوا  
كعالم غابر في عالم حاضر



إن كان مات « نسيب » كالملايين  
من العبيد الموالى والسلاطين  
فالحى في هذه الدنيا إلى حين  
لكن نسيب إلى كل الأحياء  
وإن نأى وسما للعالم الطاهر



لسوف يرجع عطراً في الرياحين  
أو نسمة تتهاذى في البساتين  
أو بَسْمَةٌ في ثُغور الخُرْدِ العين<sup>(٢)</sup>  
فالموت ما هدى إلا هيكَل الطّين  
لا تحزنوا، فنسيب غائب حاضر



---

(١) أول ظلمة الليل.

(٢) المرأة الخريذة: الحسنة التي لم تُمسس قط. والعيناء، الواسعة العين. والعين: أَرادها للجمع.

## ٥٤. ربح الردى

[الرملى]

عَصَفْتُ رِبْحُ الرَّدَى بِالمِشْعَلِ  
فَحَبَا



أَيُّهَا النَّائِمُ عَنَّا وَالْعَيُونُ  
فِي سَهْرُ  
نَحْنُ مِنْ بَعْدِكَ أَسْرَى لِلشُّجُونُ  
وَالْكَدْرُ  
تَشْتَكِي أَرْوَاحُنَا ظِلْمُ الْمَنُونِ  
وَالْقَدْرُ

لِلسَّمَاءِ. لِلَّيْلِ. لِلْفَجْرِ الْجَلِيِّ  
لِلرُّبَا



لِلأَقْصَا حِي الذَّبَابَاتِ الذَّادِيَّةِ  
كَالْأَمَانِي  
لِلسَّوَاقي النَّائِحَاتِ الْبَاكِيَّةِ  
كَالْغَوَانِي  
سَلَبَ الدَّهْرُ حُلَاهَا الْغَالِيَّةِ  
فِي ثَوَانِ  
وَبِشْشَاشَاتِ الزَّمَانِ الْأَوَّلِ  
وَالصَّبَا





يا ربّيعاً من وفاءٍ وكرمٍ  
في بدنٍ  
من رأى قبلك دنيا من شيمٍ  
في كفنٍ  
خالصت روحك من سجنِ الألم  
والشجنِ  
ومضى للبحر ماءً الجدولِ  
طرباً



يا كريم الأصل قد زانك فعلاً  
وصفاتك  
عشت للناس كأنّ الكلّ أهلك  
ولداً  
لهم كلّ الذي تحوي وتملك  
وحياتك!  
كنت في دنيا الضباب المُسدّل  
كوكباً



عصفت ریح الردى بالمشعل  
فخباً  
فإذا كلّ قُصُورِ الأمل  
كالهبأ

\*\*\*\*

## ٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه

### الماهدون في المهجر

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامها المجلس المّلي في مونتريال كندا بمناسبة مرور  
٤٠ سنة على تأسيسه.

الأربعون لو أنها تتكلم  
لرّوت لنا قصص العظائم عنكم  
ولحدّثتنا كيف عن أعشاشكم  
طرّتم بأجنحة المني إذ طرتم  
يوم الفراق كظمتكم ألامكم  
وأخف من ألم الفراق جهنم  
وبكى الأحبة حولكم، وجفونكم  
تعصي البكا، حزن الجبابر أبكم  
أيد تودّع موطننا وعشيرة  
ومطامح خلف البحار تسلم  
ضاقت على أحلامهم تلك القرى  
فاخترتم الدنيا الوساع لتحلموا  
وغزوتهم الأفاق لا زاد لكم  
إلا الصبا المتوئّب المتخزّم  
كالليث ليس له سلاح في السرى  
إلا مخالبه التي لا تُثلم  
تتخيلون البحر شقّ لتعبّروا  
وانداح بين الشاطئين لتسلموا  
والدرّ مخبوءاً لكم في قاعه  
كي تُخرجوه وتغنّموا ما شئتم

والموجُ إذ يطغى ويهدر حولكم  
 جَوْقاً لطرْدِ همومكم يترنم  
 وإذا النجومُ تَأَلَّقَتْ تحت الدُّجَى  
 خلتم لأجلكم تُضيءُ الأنجم  
 وحسبتم شَمَّ الجبالِ سالماً  
 نُصِبَتْ لَكُمْ كي تصعدوا فصعدتم  
 والشمسُ مَنْجُمٌ عَسَجِدٍ<sup>(١)</sup> متكشفٌ  
 لذوي الطُّمُوحِ وأنتم أنتم هم  
 ولكم تلئمتِ الحقائقُ بالرؤى  
 كالأرضِ يغشاها السَّرَابُ الموهم  
 لِيَتَظَلَّ من أرواحنا أشواقها  
 فنطوفُ حولَ خُدورها ونحوم  
 لم تقنعوا كالخاملين بأنكم  
 لكم شرابُ في الحياة ومَطْعَم  
 لو أن تكونَ حياتكم كحياتهم  
 عَبَثاً، يموتُ به الوقارُ ويُعدم  
 وتَأْفُفُ في الليل وهو منورٌ  
 وتبرُّماً في الصبح وهو تبسمٌ  
 لو أن يكونَ ثرائكم كترائهم:  
 قَصْرٌ عفا أو هيكَلٌ مُتردِّم<sup>(٢)</sup>  
 وحديثُ أسلافٍ قد التحفوا الفنا  
 فهم سواءٌ في القياسِ وجُرْهم<sup>(٣)</sup>

(١) العسجد: الذهب.

(٢) جرى فيه الإصلاح (تردَّمَ ثوبه: رقعته وأصلحه).

(٣) قبيلة كانت تقطن مكة المكرمة.

من يقترب من أمسٍ يبعد عن غدٍ  
 ويعش مع الموتى ويصبح منهم!!  
 وكرهتُم أن تنقضي أيامُكم  
 شكوى لمن يرثي ومن لا يرحم  
 أو أن يبيت على الحضيضِ مقامكم  
 والدود يزحف فوقه والأرقم<sup>(١)</sup>  
 فنفرتم كالنحل، ما من زهرةٍ  
 فيها جنى، إلا وفيها مغنم  
 في كل شطٍّ ماردٍ، في كل طودٍ  
 قشعَم، في كل وادٍ ضيغم<sup>(٢)</sup>  
 المجد مطلبكم وأنتم سهد  
 والمجد حلمكم وأنتم نوم  
 لا شيء صعبٌ عندكم حتى الردى  
 الصعب عند نفوسكم أن تحجموا  
 ما بضعةً من أمةٍ، هي أمةٌ  
 في ذاتها، ولها طرازٌ معلّم  
 فيكم جميع صفاتها وخلالها  
 والروض يحويه عطوراً قمقم  
 إن الألى عابوا الجهادَ عليكم  
 علكوا مداركهم ولم يستطعموا!  
 طلبوا السلامة في القعود ففاتهم  
 دركُ الثراء وبعدَ ذا لم يسلموا!  
 هؤلاء دودُ القنز أحسن منهم  
 وأجل في نظر الحياة وأفهم

(١) الحية فيها بياض وسواد.

(٢) الضيغم: الأسد. والقشعَم: من أسمائه.

قالوا: كهولٌ قد تصرَّم عَصْرَهُمْ  
ليتَ الشَّبَابَ من الكهولِ تعلَّموا  
إن لم تَشِيدُوا كالأوائلِ «تدمراً»  
أو « بعلبك » فإنَّكم لم تَهْدِمُوا  
ولكنَّكم غدٌ وجماله وبهاؤه  
ولكنَّكم من الأمسِ النَّفيسِ القيمِ



حدثتُ نفسي والقِطارُ يخبُّ بي  
عَجَلانَ يَخْتَرِقُ الدُّجى ويُدْمدِم  
فسألتُها مُستفهِماً. ولربما  
سألَ العلِيمُ سواهَ عَمَّا يَعْلَمُ:  
ما أحسنُ الأيامِ؟ قالت: يومُكُمْ!  
والناسِ؟ فابتدرتُ وقالت: أنتمُ  
والدُّورِ؟ قالت: دُورُكُمْ. والمالِ؟  
قالت: إن أحسنَه الذي أنفقتمُ  
والحُسْنِ؟ قالت: كلُّ ما أحببتُمُ  
والأرضِ؟ قالت: أينما استوطنتمُ  
ما كان أكملَ يومَكُمْ وأتمَّهُ  
لولم يكن في مهد عيسى مائَم  
وكذا الحياةُ قديمُها وحديثُها:  
ذكرى نُسرُّ بها، وذكرى تُؤْلِمُ



## ٥٦. قف يا قطار بنا

[الكامل]

ألقاها في المأدبة الكبرى التي أقامتها مؤسسة وطنية في مدينة كانتون، أوهايو.

منذُ افترقنا لم أدُقْ وسَنَا  
لله ما صنعَ الفراقُ بنا!  
قُلْ لِلْخَلِيِّينَ: الَهْنَاءُ لَكُمْ  
الحبُّ قد خلقَ العذابَ لنا  
لم أنسَ قولتَها التي ملأتْ  
نفسي أسىً وجوانحي شَجَنًا  
ماذا جَنِينَا كي تُفَارِقَنَا  
أَمَلْتُنَا وسئمتَ صُحْبَتَنَا؟  
فأجبتُها بلسانٍ مُعتذرٍ:  
لم تجنني أنتِ ولا مَلَأْتَ أَنَا  
لكن رأيتُ الماءَ منطلقاً  
ريّاً، فإنْ هولم يَسِرْ أَجَنًا<sup>(١)</sup>  
والسَّيْفُ إن طال التَّوَأُّ به  
يصدأُ ويصبحُ حِدُهُ خَشِنًا  
والسُّحْبُ إن وقفتُ وما هطلتُ  
لم تَرَوْ أودِيَّةً ولا قُنَنًا<sup>(٢)</sup>  
إن الحياةَ مع الجمودِ قَذَى  
ومع الحَرَاكِ بشاشةٌ وهَنًا

---

(١) أجن الماء يأجن: تغير طعمه ولونه.

لا تعذّليني فالقُرى أربي  
 حيث الحياةُ رغائبٌ ومُنَى  
 حيثُ النجومُ تلوحُ سافرةً  
 لم تلتحفُ سِتْرًا ولا كَفْنَا  
 والفجرُ ملءُ جِيوبِهِ أَرْجُ  
 والطيرُ يملأُ شدوها الوُكُنَا<sup>(١)</sup>  
 وعلى الرُّبَا الأظلالُ راقصةٌ  
 ويدُ النَّسيمِ تُداعِبُ الغُصُنَا  
 ويحُ المدائنُ إنْ ساكنَها  
 كالميتِ لم يُطمَرْ ولا دُفِنَا  
 كم رُحْتُ استسقي سحائبَها  
 فَهَمْتُ ولكنْ مِحْنَةٌ وَضَنَى  
 ولكم سهرتُ فلم أجِدْ قمرًا  
 ولكم شدوتُ فلم أجِدْ أُنْثَا  
 لو كان يَأْلَفُ بلبلٌ غَرْدُ  
 قفصاً، أحبُّ الشاعرُ المَدُنَا  
 كرهَ الورى طولَ المُقامِ بها  
 فاستنَبَطوا العجالاتِ والسُّفُنَا  
 ولقد ظفرتُ بمركبٍ لَجِبِ  
 فخرجتُ أطوي السهلَ والحَزَنَا<sup>(٢)</sup>  
 والشوقُ يَدْفَعُهُ ويدفعني  
 حتى بلغتُ المنزلَ الحَسَنَا



(١) الوكن: عش الطائر في حديقة أو جدار (الوكن: عش الطائر).

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض (الحزونة).

قف يا قطارُ على ربوعِهِمْ  
إنَّ الأحبَّةَ يا قطارُ .. هُنَا  
هذي منازلُهُمْ تهشُّ لنا  
أخطأتُ.. بل هذي منازلُنا!  
ما حلَّ منهمُ موضعاً أحداً  
إلا وصارَ لكلِّنا وطننا  
«سوريَّةُ» في «كانتِن» نغمٌ  
عذبٌ، «ولبنانُ» شذاً وسناً<sup>(١)</sup>  
إنَّ تنطفئُ زهُرُ النجومِ ففي  
هذي الوجوه عن النجومِ غنى  
وإذا الحياةُ طوتْ محاسنها  
عني وصار نعيمُها مِحْناً  
مَنَّا لُتُّهُمْ في خاطري فإذا  
دنيايَ فيها للسرورِ دُنا



يا قومُ هذا اليومُ يومكمُ  
من ينتهزُهُ ينلُ رِضاً وثناً  
فلتنبسطُ أيديكمُ كَرَمًا  
السُّحْبُ أنفعُها الذي هَتَّنا  
أنا لا أرى مثلَ البخيلِ فتى  
يَضُوى ويُهْزَلُ كلِّما سَمِنَا  
من لا يَشِيدُ بِماله أثراً  
أو يَسْتَفِيدُ بِماله مِنَّا  
ويعيشُ مثلَ العنكبوتِ يعشُ  
في الناسِ مَذْموماً ومُمتَهاً

---

(١) السنا: النور.



فابنوا وشيدوا تكرموا رجلاً  
كم قد سعى من أجلكم وبنى  
وطن وأهل لائذون بكم  
أفتخذون الأهل والوطننا؟  
« قَطْنَا » بنوك اليوم قد نهضوا  
فتمجدي ببنيك يا « قَطْنَا »

\*\*\*\*

## ٥٧ - «ميامي فلوريدا»

[البسيط]

ألقاها في المأذبة التي أقامها النادي السوري اللبناني الأميركي في ميامي فلوريدا  
تكريماً له.

ما طائرُ كان في بيدا مُوحشة  
فساقه در نحو البساتين  
فبات تُسعدُه فيها بلباها  
حيناً ويسعدُها بعضُ الأحايين  
مني بأسعدَ حظاً مُدُّ نزلتُ بكم  
يا معشرَ السادةِ الغرِّ الميامين  
فررتُ من بردِ كانونٍ فقابلني  
في أرضكم بالأقاحي شهرُ كانون  
أنسامُ «أيار» تسري في أصائلها  
وفي عشاياتها أنفاسُ «تشرين»  
توزعُ السحرَ شطراً في مغارسها  
وأخرُ في لحاظِ الخردِّ العين<sup>(١)</sup>  
كلُّ الشتاءِ ربيعٌ في شواطئها  
وكلُّ أيامها عيدُ الشعانين<sup>(٢)</sup>  
لكنَّ ميامي وإنْ جلتْ مفاتنها  
لولا وجودكم ليستَ لتغريني  
إني لأشهدُ دنيا من عواطفكم  
أحبُّ عندي من دنيا الرياحين

(١) العيناء: الواسعة العين.

(٢) عيد عند المسيحيين، يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس.

وكَلَّمَا سَمِعَتْ نَجْوَاكُمْ أُذْنِي  
ظَنَنْتُ أَنِّي فِي دُنْيَا تَلَا حِينَ  
لَأَنْتُمْ النُّورُ لِي وَالنُّورُ مَنْطَمَسٌ  
وَأَنْتُمْ الْمَاءُ إِذَا لَا مَاءَ يَرُونِي  
أَحْبَبْتُكُمْ حُبَّ إِنْسَانٍ لِإِخْوَتِهِ  
إِذَا لَيْسَ بَيْنَكُمْ فَوْقِي وَلَا دُونِي  
إِنْ كَانَ فِيكُمْ قَوِيٌّ لَا يُقَاهِرُنِي  
أَوْ كَانَ فِيكُمْ ضَعِيفٌ لَا يُدَاجِينِي<sup>(١)</sup>  
قُلْ لِمَرِيٍّ مِثْلَ قَارُونَ بِثَرْوَتِهِ  
إِنِّي أَمْرٌ بِصِحَابِي فَوْقَ قَارُونَ<sup>(٢)</sup>  
مَنْ يَكْتَسِبُ صَاحِبًا تَبَقَى مَوَدَّتُهُ  
فَهُوَ الْغَنِيُّ بِهِ لَا ذُو الْمَالَيْنِ  
فَاخْتَرْتُ صِحَابَكَ وَانْظُرْ فِي اخْتِيَارِهِمْ  
إِلَى الطُّبَّانِعِ قَبْلَ اللَّوْنِ وَالْدِّينِ  
لَيْسَ الْوِدَادُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى أَبَدٍ  
مِثْلَ الْوِدَادِ الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينٍ  
وَالْمَرْءُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا عَوَاطِفُهُ  
إِنْ تَنْدَرَسُ، فَهُوَ بَيْتٌ غَيْرُ مَسْكُونٍ  
وَإِنْ عَاطِفُهُ هَذَا مَظَاهِرُهَا  
مَنْ عَالَمُ الرُّوحِ لَا مَنْ عَالَمِ الطُّنِّينِ  
لَوْ فَاتَنِي كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَهَبٍ  
وَلَمْ تَفْتُنِّي فَإِنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ  
لَوْ الْقَوَافِي تَوَاتَيْنِي شَكَرْتُكُمْ  
كَمَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ لَا تَوَاتَيْنِي

(١) المداجاة: المداراة.

(٢) من وزراء أحد فراعنة مصر. يضرب مثلاً في الغنى والغرور، وإليه تُنسب البحيرة في الفيوم.

لا يَمْدَحُ الْوَرْدَ إِنْسَانٌ يَقُولُ لَهُ:  
يَا وَرْدُ إِنَّكَ ذُو عَطْرِ وَتَلَوِينِ  
فَاسْتَنْطِقُوا الْقَلْبَ عَنِّي فَهُوَ يُخْبِرُكُمْ  
فَالْحُبُّ وَالْقَلْبُ مَكْنُونٌ بِمَكْنُونٍ  
لَوْلَا الْمَحَبَّةُ صَارَ الْكُونُ أَجْمَعُهُ  
طَوْبَى الْأَفْعَايِ وَفِرْدَوْسَ السَّرَاحِينِ<sup>(١)</sup>  
إِنِّي سَأَحْفَظُ فِي قَلْبِي جَمِيلَكُمْ  
وَسَوْفَ أَذْكُرُهُ فِي الْعُسْرِ وَاللَّيْنِ

\*\*\*\*

---

(١) السَّرْحَانُ: الذَّنْبُ.

## ٥٨ - ضَرَّةٌ جَلِقَ

[الكامل]

ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في مونتريال.  
لا تَقْلَقِي يومَ النَّوَى أوْ فَاقَلَقِي  
يا نفسُ كُلُّ تَجَمُّعٍ لِتَفَرُّقٍ  
اللهُ قَدَرٌ أَنْ تَمَسَّ يَدُ الْأَسَى  
أرواحنا كيما ترقُّ وترتقي  
أوفى على الشُّهْبِ الدُّجَى فتَأَلَّقَتْ  
لولا اعتكارُ الليل لم تتَأَلَّقْ  
والفحمُ ليس يُضِيءُ إن لم يضطرمْ  
والندُّ ليس يَضُوعُ إن لم يُحَرِّقْ  
لا أَضْرِبُ الأمثالَ مَدْحاً لِلنَّوَى  
ليتَ الفراقَ ويومَه لم يُخْلَقْ  
ما في الوداعِ سِوَى تَلْعَثُ السِّنِّ  
وذهولِ أرواحٍ وهَمٍّ مُطَبِّقِ



عَنَّفْتُ قلبي حين طال خُفُوقُهُ  
فأجاب: بل لُْمَنِي إذا لم أَخْفِقْ  
أنا طائرٌ قد كان يمرحُ في الرُّبَا  
وعلى ضفافِ الجدولِ المترقِّقِ  
فطوى القضاءَ مَروِجَهُ وفِضَاءَهُ  
لِيُزَجَّ في قَفْصِ الحَديدِ الضَّيِّقِ

لا، بل أنا مَلِكٌ صَحَوْتُ فَلَمْ أُجِدْ  
عرشي ولا تاجي ولا إِسْتَبْرِقِي<sup>(١)</sup>  
هانتُ مَعَاذِيرِي وضاعتُ حِكْمَتِي  
لما سمعتُ حكايةَ القلبِ الشَّقِي  
لو تعدلُ الدنيا بنا لم ينتثرْ  
شَمْلُ نَظْمِنَاهُ، ولم نَتَفَرَّقْ



للهِ مونتريالُكُم ذاتُ الحُلِي  
ومدينةُ الطُّودِ الأشمُ الأَبْلَقُ  
كَمْ وقفةٍ لي عند شاطئِ نهرها  
لا أَسْتَقِي منه، وروحي تَسْتَقِي  
مُتَعَلِّماً منه التَّواضَعُ والنَّدَى  
والصفحُ عن عِبَثِ الجَهولِ الأَحْمَقِ  
أعطى الحقولَ حياتها ومضى كأنْ  
لم يُعْطِها شيئاً ولم يَتَصَدَّقْ  
من كان لا يدري فَيَقْظُهُ زَرْعُهَا  
من فَضِّلَ هذا الهاجعِ المستَغْرِقِ  
ضَيَّعتُ عند الواعظينَ سعادتي  
ووجدتُها في واعظٍ لم يَنْطُقْ  
ملءُ المدائنِ والقُرى أَلَاؤُهُ  
وهِبَاتُهُ، ويعيشُ عَيْشُ المُمْلِقِ  
لولاهُ لم يَخْضَرْ قاعُ مُجْدِبْ  
لولاكُم شجرُ المُنَى لم يُورِقْ

---

(١) الإِسْتَبْرِقُ: الديباج (مغرب).

عرضتُ محاسنها الحياةُ عليكمُ  
فأخذتُم بأحبِّها والأليق  
أنا منكمُ في روضةٍ معطارةٍ  
من مُونقٍ فيها اللِّحَاطُ لمُونق  
العطرُ يعبِقُ من جميعِ وُودها  
ما إن مررتُ بزهرةٍ لم تعبَق



للهِ مونتريالكمُ وجلالها  
هي رومةُ الصُّغرى وضرةُ جِلَق  
رَقَّتْ عليَّ نجومُها وتواضعتْ  
حتى لكدتُ أحسَّها في مَفرقي  
فكأنما هي أنتمُ وكأنما  
أرواحكمُ من نُورها المتدفَّق  
رجعَ الشبابُ إليَّ حين هبطتُها  
واليومَ أخرجُ من شبابي الرِّيق  
سأطيرُ عنها في غدٍ بحُشاشةٍ  
مَكْلُومةٍ وبناظرٍ مُغرورِق  
ويغيبُ عني طودُها وقبَابُها  
وقصورُها خلفَ الفضاءِ الأزرق  
وتظلُّ صورتُها تلوحُ بخاطري  
بعضُ الرؤى سلوى وإن لم تصدُق



## ٥٩ - الشباب أبو المعجزات

[المقارب]

سَلامٌ عَلَیْكُمْ رَجَالَ الْوَفَاءِ  
وَأَلْفُ سَلامٍ عَلَی الْوَافِیَاتِ  
وِیَا فَرَحَ الْقَلْبِ بِالنَّاشِئِینَ  
فَفِی هَؤُلَاءِ جَمَالُ الْحَیَاةِ  
هُمُ الزُّهْرُفُ فِی الْأَرْضِ إِذْ لَا زَهْوَرُ  
وَشُھْبٌ إِذْ الشُّھْبُ مُسْتَخْفِیَاتِ  
إِذَا أَنَا أَكْبَرْتُ شَأْنَ الشَّبَابِ  
فَإِنَّ الشَّبَابَ أَبُو الْمَعْجَزَاتِ  
حُصُونُ الْبِلَادِ وَأَسْوَارُهَا  
إِذَا نَامَ حُرَّاسُهَا وَالْحُمَاةُ  
غَدُّ لَهُمْ وَغَدُّ فِیهِمْ  
فِیَا أَمْسٍ فَاخِرٌ بِمَا هَوَاتِ  
وِیَا حَبِّذَا الْأُمَّهَاتِ الْلَوَاتِ  
یَلْدُنَ النَّوَابِغُ وَالنَّابِغَاتِ  
فَكَمْ خَلَدَتْ أُمَّةٌ بَیْرَاعِ  
وَكَمْ نَشِئَتْ أُمَّةٌ فِی دَوَاةِ



أَنَا شَاعِرٌ أَبَدًا تَائِقُ  
إِلَى الْحُسْنِ فِی النَّاسِ وَالْكَائِنَاتِ  
أُحِبُّ الزُّهْوَرَ وَأَهْوَى الطُّیُورَ  
وَأَعْشَقُ ثَرِثَةَ السَّاقِیَاتِ



ورقُصَ الأشعة فوق الروابي  
وضحك الجداول والقَهَقَهَاتُ  
تطالعُ عيناى في ذا المكانِ  
روائعُ فاتنةٍ ساحرات  
كأن الفضاء وفيه الطيورُ  
بحورُ بها سفنُ سباحات  
كأن الزهور تُرقرقُ فيها  
سقيطُ الندى أعينُ باكيات  
ومن بلبلٍ ساجعٍ لمُغنٍ  
من زهرة غضةٍ لفتاة



فما أجملَ الصيفَ في الخلوات  
وأروعَ آياته البيِّنات!  
نضًا السَّترَ عن حسناتِ الوجودِ  
وكانتْ كَأَسْرارِهِ الْمُضْمَرَاتُ  
وأحيا رَغَائِبَنَا الذابلاتِ  
فَعَاشَتْ وكانت كَأَرْضٍ مَوَاتُ  
ففي الأرضِ سحرٌ، وفي الجوِّ عطرٌ  
فيا لَكريمِ ويا لَلهَبَاتِ  
أمامكم العيشُ حرٌّ رَغِيدُ  
ألا فاغْنَمُوا العيشَ قَبْلَ الفَوَاتِ



## المحتوى

### الديوان الخامس (تبروتراب)

- ١ - وطن النجوم ..... ٨٤٩
- ٢ - تحية الشام ..... ٨٥١
- ٣ - الشاعر والكأس ..... ٨٥٦
- ٤ - موكب التراب ..... ٨٥٩
- ٥ - أين عصر الصبا ..... ٨٦٢
- ٦ - الصيف ..... ٨٦٤
- ٧ - الغد لنا ..... ٨٦٦
- ٨ - قبيلة الفناء ..... ٨٦٨
- ٩ - تلك السنون ..... ٨٦٩
- ١٠ - امتنان ..... ٨٧٤
- ١١ - أسألوها ..... ٨٧٩
- ١٢ - أم القرى ..... ٨٨٠
- ١٣ - من انتهى الخمر فليزرع دواليها ..... ٨٨٣
- ١٤ - ستعود دنيانا أحب وأجملا ..... ٨٨٥
- ١٥ - رؤيا ..... ٨٨٧
- ١٦ - رؤيا ثانية ..... ٨٨٩
- ١٧ - أيلول الشاعر ..... ٨٩١
- ١٨ - يا رفاقي ..... ٨٩٣
- ١٩ - لوس انجيلوس ..... ٨٩٦
- ٢٠ - عصر الشبيبة ..... ٩٠٠

|     |                                         |
|-----|-----------------------------------------|
| ٩٠٤ | ٢١ - عطش الأرواح                        |
| ٩٠٧ | ٢٢ - بلادي                              |
| ٩١٠ | ٢٣ - روعة العيد                         |
| ٩١٢ | ٢٤ - يا أنشودتي انطلقى                  |
| ٩١٤ | ٢٥ - في قلبك الله                       |
| ٩١٦ | ٢٦ - الرأي الصواب                       |
| ٩١٨ | ٢٧ - ليس السر في السنوات                |
| ٩١٩ | ٢٨ - إليك عني                           |
| ٩٢١ | ٢٩ - دودة وبلبل                         |
| ٩٢٢ | ٣٠ - هدية العيد                         |
| ٩٢٣ | ٣١ - إن الحياة قصيدة                    |
| ٩٢٤ | ٣٢ - ليالي بوسطن                        |
| ٩٢٦ | ٣٣ - صوت من سورية                       |
| ٩٢٩ | ٣٤ - حكمة المتنبي                       |
| ٩٣٠ | ٣٥ - أنفاس العشاق                       |
| ٩٣١ | ٣٦ - روجي فداك                          |
| ٩٣٢ | ٣٧ - لو                                 |
| ٩٣٤ | ٣٨ - مقتلان                             |
| ٩٣٤ | ٣٩ - فردوسي                             |
| ٩٣٥ | ٤٠ - ثقل                                |
| ٩٣٦ | ٤١ - وداع                               |
| ٩٣٨ | ٤٢ - تحية الشاعر (في يوبيل شكيب أرسلان) |
| ٩٤٠ | ٤٣ - أخو الورقاء                        |

|     |                                                 |
|-----|-------------------------------------------------|
| ٩٤٣ | ٤٤ - شاعر الدير                                 |
| ٩٤٥ | ٤٥ - لا يدرك الهرم النجوم                       |
| ٩٤٧ | ٤٦ - بنت القفر                                  |
| ٩٥١ | ٤٧ - تلك المنازل                                |
| ٩٥٤ | ٤٨ - دمة الشاعر (إلى روح الشاعر خليل مطران)     |
| ٩٥٦ | ٤٩ - ما زال في الأرض حياً                       |
| ٩٥٩ | ٥٠ - يا قائد القوم                              |
| ٩٦٢ | ٥١ - ليتهم عرفوه                                |
| ٩٦٦ | ٥٢ - سكت الشّادي وُجّ الوتر                     |
| ٩٧٠ | ٥٣ - لم يهدم الموت إلا هيكل الطين               |
| ٩٧٢ | ٥٤ - ربح الردى                                  |
| ٩٧٤ | ٥٥ - الشاعر في حفلات تكريمه (المأهون في المهجر) |
| ٩٧٨ | ٥٦ - قف يا قطار بنا                             |
| ٩٨٢ | ٥٧ - ميامي فلوريدا                              |
| ٩٨٥ | ٥٨ - ضرة جلق                                    |
| ٩٨٨ | ٥٩ - الشباب أبو المعجزات                        |
| ٩٩٠ | المحتوى                                         |

\*\*\*\*

## ( ما لم تجمعه الدواوين )

جمعه الدكتور جورج ديمتري سليم من الصحف والمجلات العربية والمهجرية، التي نشر فيها، في كتاب سماه «إيليا أبو ماضي ١٨٨٩ - ١٩٥٧»، دراسات عنه، وأشعاره المجهولة - ووثّقها بالرجوع إلى مصادرها، فسمّاها وحدّد تواريخها وأعداد أبياتها.

**الطبعة الأولى (دار المعارف. القاهرة ١٩٧٧).**

تضم المجموعة خمسة وستين نصّاً شعريّاً، بين طويل ومعتدل وقصير. وهي سعة ديوان كامل من دواوين الشاعر، أو تزيد على بعضها، وتكوّن ما يزيد على خمس مجموع شعره في الدواوين الخمسة، وتُكمّله، في تغطية المناسبات والأحداث والمواقف، على امتداد حياته، في لبنان ومصر وأمريكا .

\*\*\*\*



## ١ - إلى بطل الوطنية

الشيخ عبد العزيز جاويز<sup>(١)</sup>

[الوافر]

لئن حَجَبُوكَ عَنْ مُقَلِّ الْبَرَايَا  
فَمَا حَجَبُوا هَوَاكَ عَنِ الصُّدُورِ  
وإن تَكُ قَدْ حُبِسْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ  
فكم في الحبس من أَسَدٍ هُصُورِ  
كبيرُ القومِ أَكْبَرُهُمْ خُطُوباً  
لذاكَ رُمِيتَ بِالخُطْبِ الْكَبِيرِ  
لقد أَعْلَيْتَ قَدْرَ السَّجْنِ حَتَّى  
أَحَبَّ السَّجْنَ سَكَانُ الْقُصُورِ  
ولا عَجَبٌ إِذَا أُسْكَنْتَ فِيهِ  
فَكَمْ فِي اللَّيْلِ مِنْ قَمَرٍ مُنِيرِ  
تَعَدَّدَتِ الطُّيُورُ فَلَا حَبِيسُ  
سِوَى الْغُرْدِ الْجَمِيلِ مِنَ الطُّيُورِ  
يقول الشَّامَتُونَ: السَّجْنُ يُزْرِي  
لئن صَدَقُوا فَبِالْجَانِي الْكَفُورِ  
وما في صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ عَيْبُ  
على الدَّاعِي إِلَى تَرْكِ الشُّرُورِ

---

(١) رأس تحرير جريدة (اللواء) لسان حال الحزب الوطني الذي أنشأه زعيمه مصطفى كامل (ت ١٩٠٨) قبضت عليه سلطات الاحتلال الإنجليزي أكثر من مرة وأودع السجن لأسباب متعددة تتعلق بمواقفه الوطنية ومقالاته في

فصبراً، يا نزيلَ السُّجُنِ، صبراً  
فما عَرَفَ الهَنَاءَ سِوَى صَبْرِ  
وحَسْبُكَ عَطْفُ هَذَا الشَّعْبِ فَخْراً  
وحَسْبُ عِدَاكَ تَوْبِيخُ الخُمَيْرِ

\*\*\*\*



## ٢ - مصر والاحتلال

[الرمل]

خَلَّنِي أَسْتَصِرْخُ الْقَوْمَ النَّيَامَا  
أَنَا لَا أَرْضِي لـ « مَصْرٍ » أَنْ تُضَامَا  
لَا تَلُمُ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ فَتِيَّ  
هَاجَهُ الْعَابَثُ بِالْحَقِّ فَلَامَا  
أَوْ فُلْمَنِي إِنْ قَلْبِي كُلَّمَا  
زِدْتَ فِي تَعْنِيْفِهِ زَادَ هُيَامَا  
سَوْفَ أَشْكُو الْهَمَّ إِنْ أَحْرَجَنِي  
رُبَّمَا خَفَّفَتْ الشُّكُوى السَّقَامَا<sup>(١)</sup>  
وَقِفَّةً فِي شَاطِئِ « النَّيْلِ » مَعِي  
نُقْرِئُ « النَّيْلَ » التَّحَايَا وَالسَّلَامَا  
وَأَنَاجِيْهِ أَمَّانِي أُمَّةً  
مَنْعُوهَا مَاءَهُ إِلَّا لِمَامَا  
عَلَّاهُ يَبْعَثُ مِنْ أَسْرَارِهِ  
قُوَّةً تَبْعَثُ فِي الشَّعْبِ اعْتِزَامَا<sup>(٢)</sup>  
قَسَمًا بـ « النَّيْلِ » لَوْ أَنَّ بِهِ  
مَا بِنَفْسِي مِنْ جَوَى<sup>(٣)</sup> سَالِ ضِرَامَا  
لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَةً بَتُّ بِهَا  
وَالْأَسَى يَدْفَعُ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامَا

---

(١) المرض.

(٢) العزيمة.

(٣) الجوى: الحرقه وشدة الوجد من الحزن أو غيره.

أَرْقَبُ الْأَقْمَارِ فِي أَفْلَاكِهَا  
 مَثَلَمَا يَرْقَبُ رَاعِيهَا السَّوَامَا<sup>(١)</sup>  
 لَمْ يُورِّقْنِي اشْتِيَاقُ أَوْ هَوَى  
 مَا الْهَوَى بُغْيَةً مَنْ بِالْمَجْدِ هَامَا  
 رَاعَ نَفْسِي أَنْ «مَصْرًا» رُوِّعَتْ،  
 بِأَبِي «مَصْرَ» وَمَنْ فِيهَا أَقَامَا!  
 حَسَبُ «مَصْرٍ» أَنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي  
 إِمَّنَ اللَّهُ بِهَا «الْبَيْتَ الْحَرَامَا»  
 وَبَنِيهَا أَنْهُمْ نَسْلُ الْأَلَى  
 عَرَكُوا الدَّهْرَ فَتِيًّا وَغَلَامَا  
 كَرُمْتُ «مَصْرُ» وَأَهْلُوهَا فَمَا  
 نَقَضَتْ عَهْدًا وَلَا خَانُوا زِمَامَا  
 كَانَ لِلْأَحْرَارِ فِيهَا مَوِئْلُ  
 يَعَصِمُ الْحُرَّ فَلَا يَخْشَى اهْتِضَامَا  
 ثُمَّ هَاضَ الدَّهْرُ مِنْ جَانِبِهَا  
 إِنَّمَا يَهْتَضِمُ<sup>(٢)</sup> الدَّهْرُ الْكَرَامَا  
 أَرَبِي «مَصْرُ» عَلَى رَغْمِ الْعِدَا  
 لَسْتُ أَعْنِي بِالْعِدَا إِلَّا الطُّغَامَا<sup>(٣)</sup>  
 لَسْتُ مَصْرِيًّا وَلَكِنْ نَسَبَةً  
 بَيْنَنَا تَجْمَعُ «مَصْرًا» وَ«الشَّامَا»  
 أُمَّةٌ تَرْتَقِبُ اسْتِقْلَالَهَا  
 مَثَلَمَا يَرْتَقِبُ الصَّادِي<sup>(٤)</sup> الْغَمَامَا

(١) سامت الماشية: رعت، فهي السائمة والسوام.

(٢) هاضه: كسره. وهضمه حقه واهتضمه، فهو مهتضم (مظلوم).

(٣) الغوغاء وأردياء الناس.

(٤) العطشان (صدي - يصدى).

ما لهم يسعون في إيدائها؟  
 ما رمتُ سهماً ولا سلّتُ حساماً  
 زعموا إصلاحها وهي التي  
 ما شكّت غيرهم داءً عَقاماً<sup>(١)</sup>  
 حبسوا «النيل» على نفعهم  
 وأعاضوها<sup>(٢)</sup> من الريّ الأواما<sup>(٣)</sup>  
 فإذا ما صرختُ تشكو الصّدَى  
 جعلوا القانونَ في فيها لجاماً  
 أنكروا خطوتها نحو العُلا  
 «رُبَّ ذي لُبٍّ عن الحقِّ تعمّامى»  
 ورموها بالتّواني، ويحهم  
 أحمولُ أنها تهوى السّلاماً؟  
 قد خلتُ تسعةَ أعوامٍ على  
 شقوةِ «النيل»، سوى عشرينَ عاماً  
 وانقضّى العمرُ ولمّا تنجلوا  
 فلا مَ أيّها القومُ، إلا ما؟



كَبُّوا أَقْلَامَنَا جُهدكم  
 وامنعوا الألسُنَ والصُّحُفَ الكلاما  
 وإذا عزّ عليكم أننّا  
 في وئامٍ، فانشروا فينا الخِصاماً  
 وإذا عزّ عليكم أننّا  
 في حياةٍ، فابعثوا فينا الحِمَاما

(١) لا شفاء منه (العقيم).

(٢) أعطوها العوضَ (عاضه وأعاضه).

(٣) حر العطش (أم - يؤرم).

يَنْزِعُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَجْسَادِهَا،  
أَوْ فَكُونُوا أَنْتُمْ الْمَوْتَ الزُّوَامَا  
إِنَّمَا يَنْقَلِبُ الْأَمْرُ إِلَى  
ضِدِّهِ إِنْ جَاوَزَ الْأَمْرُ التَّمَامَا

\*\*\*\*

### ٣ - روزفلت<sup>(١)</sup> ومصر

[الوافر]

خطيبَ الأمسِ ما أنصفتَ «مصرأً»  
ولا أنصفتَ ماضيكَ القريبَا  
ولكنْ كنتَ للبّاغي عليْنَا  
أقومي! إنَّ للبّاغي ضَريبَا  
لعمركُ ما حَلَلْتَ بنا صديقاً  
ولكنْ كنتَ طوَّافاً مُريبَا  
أطعتَ بنا الوشاةَ، وما عَهدُنَا  
- وحقُّكَ - وأشيأَ إلا كذوبَا  
كأنِّي بـ «العميد»<sup>(٢)</sup> إليك أوحى  
بما أوحى، فقامتَ بنا خطيبَا  
تَحاولُ أن تُحبِّبَهم إلينا  
متى أَلْفَيْتَنَا نَهوى الخُطوبَا؟  
وتأملُ أن نَبِيْتَ على قُنُوطِ  
كأنَّ اليأسَ ما قَتَلَ الشُّعوبَا  
أيا ضيفَ «الكنانة»! جُرْتَ فاقصِدْ<sup>(٣)</sup>  
فما شعبُ «الكنانة» دونَ «كوبا»  
أُرجو أن تكونَ لنا نصيراً  
وترجو لو تكونَ لهم حبيبَا؟  
لقد خَدَعْتُكَ، يا «روزفلت» منهم  
زخارفُ تَخْدَعُ الفُطَنَ الأريبَا

\*\*\*\*

---

(١) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقتها (١٩١٠). خطب في الجامعة المصرية خطبة لم ترض عنها مصر.  
(٢) عميد السلطة الإنجليزية المحتلة (غورست) والشاعر يأتي على ذكره أكثر من مرة.

#### ٤ - عيد الحرية العثماني<sup>(١)</sup>

[البسيط]

هذا مجالٌ، فهل في الحيِّ قوَالُ؟  
إني، على العَجَزِ، في المِضمارِ جَوَالُ  
ما أجملَ القولَ والأذانُ صاغِيَةٌ  
والصَّمْتُ، حيثُ على الأسماعِ إقفالُ!  
حَسْبِي وحسبُكَ أن الشَّمْلَ مُلتَمُّ  
والصفو دانٍ ولأَيامِ إقبالِ  
وحسبُ شِعْرِكَ هذا العيدُ، من سَبَبِ  
إذا نَبَتَ بكُ أسبابُ وأوصالِ  
لم يبقَ في الشَّرْقِ من قُطْرٍ ولا بلدِ  
إلا وفيه احتفالاتٌ وحُفَّال<sup>(٢)</sup>  
فانشِرْ قوافيكَ في الأفاقِ، فهيَ على الـ  
أكبادِ ماءٌ وفي الأذواقِ جِريال<sup>(٣)</sup>  
إني أراك مُطاعاً في شِوارِدها  
ما أنتَ ممَّن على الأشعارِ يحتالِ  
إن القوافي إذا أحكمتَ عُقْدَتَها  
فما يَعْيَبُكَ إكْثَارُ وإقلالِ  
وإنْ أَجَدْتَ فلا تعباً بذِي سَفَهٍ  
فحيثُما كانَ مَجْدٌ كانَ عُذالِ

(١) بمناسبة مرور سنة على إعلان هذا الدستور (١٩١٠).

(٢) حفل القوم: اجتمعوا واحتشدوا، فهم حافلون وحُفَّال.

(٣) جريال: الخمرة.

فَفَيْمَ صَمْتُكَ، لَا وَاشٍ وَلَا رَصَدٌ  
يُخْشَى، وَلَا ظَالِمٌ لِلْحُرِّ يَغْتَالُ؟<sup>(١)</sup>  
إِنْ كُنْتَ تَبْخُلُ بِالْأَقْوَالِ تَمْلِكُهَا  
فَكَيْفَ جُودُكَ بِالدُّنْيَا وَلَا مَالٌ؟



طَالَ السُّكُوتُ، وَمَا لِي فِيهِ مِنْ أَرْبٍ  
وَأِنَّمَا بِي لِهَذَا الْعِيدِ إِجْلَالٌ  
عِيدٌ إِذَا عُدَّ فِي الْأَعْيَادِ زَيْنُهَا  
كَالشَّمْسِ فِي الشُّهُبِ، هَلْ لِلشَّمْسِ أَمْثَالٌ؟  
عِيدٌ رَأَى ذَوُو الْحَاجَاتِ، فَابْتَسَمُوا  
شَوْقًا، وَكَمْ لَذَوِي الْحَاجَاتِ أَمَالٌ  
تَفَاءَلُوا أَنْ «تَمُوزًا» يَكُونُ لَهُمْ  
عِيدًا كَغَيْرِهِمْ، قَدْ يَصْدُقُ الْفَالُ  
«تَمُوز» أَنْتَ مَنْيْلُ الشَّرْقِ بُغْيَتُهُ  
فِي حِينَ أَسْمَحُ<sup>(٢)</sup> قَوْمٌ فِيهِ بُخَالٌ  
بِتَنَا نُوْدُ شُهُورِ الْعَامِ أَجْمَعِهَا  
«تَمُوز» أَوْ أَنْ يَوْمَ الْعِيدِ أَجْيَالُ!



بَادَ الزَّمَانُ الَّذِي تُخْشَى غَوَائِلُهُ  
فَيْنَا، وَبَدَّلَتْ الْأَحْوَالَ أَحْوَالَ  
وَبَاتَ طَاغِيَةُ الْأَمْلَاقِ مَعْتَقَلًا  
لَهُ مِنَ الْهَمِّ أَصْفَادٌ وَأَغْلَالُ  
لَمْ أَنْسَهُ، وَهُوَ فِي «يَلْدِيز» مَمْتَنَعٌ  
خَوْفَ الْمَنِيَةِ، إِنْ الْخَوْفَ قَتَالُ

(١) الرَّصْد: الراصدون (يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث).

(٢) سَمَحَ وَأَسْمَحَ: جَادَ وَأَعْطَى عَنْ كَرَمٍ وَسَخَاءٍ.

والشعبُ قد جاشَ كالبركانِ من غضبٍ  
أو الغَضنفرِ بانتَ عنه أشبال  
والجيشُ مندفعٌ كالسيلِ من حَنَقٍ  
والبيضُ مشرعةٌ والرُمحُ عَسَّال<sup>(١)</sup>  
وللقذائفِ حولَ القصرِ فرقعةٌ  
يكاد يحدثُ منها فيه زلزال  
وللبنادقِ أصواتٌ إذا طَرَقَتْ  
أُذُنِيهِ، أيقنَ أن الشعبَ فَعَّال  
لَمَّا رأى الموتَ أَمسى منه مُقْتَرِباً  
بكى بكاءً صغيرٍ ما له آل  
أَمسَكَ عليك دموعاً غيرَ مُجديةٍ  
دمعُ المُضَيِّعِ دمعُ الشعبِ إِذْلال  
نَقَضْتَ عَهْدَكَ لَمَّا صِرْتَ مُؤْتَمِناً  
لو عَاهَدَ الذئبُ أوفى وهو خَتَّال  
قُمْ فانزعِ التَّاجَ طوعاً قبلَ تنزعه<sup>(٢)</sup>  
عَنكَ العَوَالِي، فقد ضَاقَتْ بنا الحال  
وَدَعُ سَرِيرَ «بني عثمان» عن كَتَبٍ  
ما أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، لَلْمُلْكِ أَقْيَال<sup>(٣)</sup>  
الْمُلْكُ لَاقَ بِهِ مَنْ كـ «الرشاد» حِجَاباً  
هِيَهَاتَ مَا لـ «رشاد» الْمُلْكِ أَمْثَال  
بِهِ الْمَنَازِلُ أَضَحَّتْ وَهِيَ عَامِرَةٌ  
وَكُنْتَ فِيهَا وَكَانَتْ وَهِيَ أَطْلَال



(١) غسل الرمح: اهتز.

(٢) على تقدير: أَنْ تنزعه.

(٣) القِيل في الأصل: الملك من ملوك حمير، وجمعه أقيال.



«دار السلام»! سَقَتِكَ السُّحْبُ هَامِيَةً  
ما دام للسُّحْبِ في الأكوانِ تَجَوُّالٌ  
إني أرى فيكَ «بغداداً» وأُبَصِّرُ في  
بُرْدِ «الرشيد» «رشاد» المُلْكِ يَخْتال  
يَعُدُّني القَوْمُ من نُزَّالِ «مصر» ولي  
قلبٌ على البُعْدِ ممن فيكَ نَزَّالٌ  
إمّا ثَنَتْ بَصْرِي عنكَ الجبالُ فما  
كانت لتَحْجُبَ سَمْعِي عنكَ أَجبالُ  
يا دَرَّةَ الشَّرْقِ، دَمَتِ الدَّهْرُ حَالِيَةً<sup>(١)</sup>  
فالشَّرْقُ لَوْلَاكَ أَمْسَى وهو مِعْطَالُ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الحالي: ذو الحلية (حلي - يحلي).  
(٢) العطل: فقدان الحلي، والمرأة عاطل ومعطال.

## ٥ - نفثة مصدر

[الوافر]

سوى «لبنان» يمْقُتُهُ فؤادي  
وغيرُ بنيهِ أَمْنَعُهُمُ ودادي  
بلادُ اللهِ واسِعَةٌ وَلَكِنْ  
تَضَيِّقُ لَدَيَّ إِنْ ضَاقَتْ بِلَادِي  
بلادٌ قَدْ طُبِعَتْ عَلَى هَوَاهَا  
كَمَا طُبِعَ الزَّمَانُ عَلَى عِنَادِي  
فَمَا أَنْفَكُ أَطْمَحُ لِلْمَعَالِي  
وَلَا يَنْفَكُ يَبْخُلُ بِالْمُرَادِ  
يَصُوبُ كُلَّ حِينٍ كُلَّ سَهْمٍ  
إِلَيَّ فَلَا يُصِيبُ سِوَى فؤادي  
لَقَدْ كَثُرَتْ خُطُوبُ الدَّهْرِ عِنْدِي  
وَلَمْ تَبْرَحْ لَدَيَّ عَلَى ازْدِيَادِ  
لَعَمْرُأَبِيكَ لَوْ كَانَتْ نُضَاراً<sup>(١)</sup>  
أَمِنْتُ عَلَيْهِ مِنْ دَاءِ النَّفَادِ  
نَحَلْتُ مِنَ الْهُمُومِ، فَلَوْ تَرَانِي  
لَمَّا مَيَّزْتَ طَيْفِي مِنْ سَوَادِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَا أَدْرِي وَقَدْ طَالَ اغْتِرَابِي  
لَمْ أَشْكُ وَقَدْ طَالَ انْفِرَادِي

---

(١) الذهب الخالص.

فـلـو لا يَـشـمـتُ الأَعداءُ مِنـي  
 جـرَى دـمـعـي فـأـزـرى بـالـسُّهـاد  
 أَضـى بـه وـلي قـلـبٌ كـرـيـمٌ  
 جـوـادٌ لا يـضـن بـمـسـتـفـاد  
 شـعـوبٌ لا تُـعـدُّ، ولا كـقـومـي  
 تـسـاوَى بـاعـتـقـادـهـمُ اعـتـقـادـي  
 أحـنُّ إلـى لـقـائـهـمُ وأـصـبـو  
 كـما حـنـتُ إلـى المـاءِ الصَّوادي<sup>(١)</sup>  
 يـكـادُ الشَّوْقُ يـنـقـلُـنـي إلـيـهـمُ  
 لو ان الشَّوْقَ يـنـقـلُ غـيـرَ بـاد  
 تـرى، هـل عـنـدـهـمُ أنـي وـدـهـري  
 لأـجـلـهـمُ أبـيـتُ عـلى جـهـاد؟  
 فـفـي أرـقٍ إذا غـفـلـوا ونـامـوا  
 وفـي خـوفٍ لو أمـنـوا العـوادي  
 كـرامٌ فـي زـمـانٍ لـيـس فـيـه  
 كـرـيـمٌ الكـفُّ فـي الكـُـرْبِ الشَّداد  
 يـزـيـنـونَ النُّجـادَ إذا احـتـبَّـوه  
 ويـزـدانُ العـوالمُ<sup>(٢)</sup> بـالنُّجـاد  
 شـمـوسٌ يـسـتـخـضـأُ بـهـمُ، عُيـوثٌ  
 إذا سُئـلـوا، لـيـوثٌ فـي الطُّراد  
 وـلـكـن سـاءتِ الأحـكامُ فـيـهـمُ  
 فـسـاؤوا سُمـعـةً فـي كلِّ نـاد  
 تـمـادوا فـي التـسـاهـلِ مَعَ أنـاسٍ  
 تـمـادوا فـي النـقـائـصِ والفـسـاد

(١) الصادية: العطشى، وجمعه: الصوادي (صدي - يصدى).

فَرَجَ الظُّلْمَ حَتَّى بَاتَ سَهْلًا  
وَإِنَّ الظُّلْمَ أَجْدَرُ بِالْكَسَادِ  
وَبَاتَ الْعَدْلُ مَخْطُوعًا لَدَيْهِمْ  
وَهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ الْإِضْطِرَّادِ  
فِيَا لَهْفِي عَلَى « لَبْنَانَ » يُمَسِّي  
وَأَهْلُوه عَلَى وَشْكِ الْحِدَادِ  
عَلِيلٌ يَسْتَغِيثُ وَلَا طَبِيبٌ  
وَمَأْسُورٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ فَادٍ  
يَسُومُ السَّائِكِينَ الْخَسْفَ غَرًّا  
غَوِيٌّ ضَلَّ عَنْ نَهْجِ الرَّشَادِ  
وَأَحْزَابٌ كَمَا أُدْرِي وَتَدْرِي  
تُنَادِي بِالْوِفَاقِ وَلَا تَنَادِي  
رَأَوْا فِي الشَّعْبِ رَاحِلَةً ذُلُولًا  
عَلَى وَهْنٍ، فَكَانُوا كَالْقُرَادِ<sup>(١)</sup>  
وَفِي « لَبْنَانَ » مُرْتَبِعًا خَصِيبًا  
عَلَى ضَعْفٍ، فَكَانُوا كَالْجِرَادِ  
فَمَا تَرَكُوا لَنَا مَجْدًا طَرِيفًا  
وَلَا أَبْقَوْا عَلَى مَجْدٍ تَلَادِ<sup>(٢)</sup>  
سِتَاتِيهِمْ شَوَارِدُ مُقْلَقَاتٍ  
تَقِيمُ الْهَاجِعِينَ عَنِ الْوَسَادِ  
أَشَدُّ عَلَى النَفُوسِ مِنَ الْمَنَايَا  
وَمِنْ وَقَعِ السِّيُوفِ عَلَى الْهُوَادِي<sup>(٣)</sup>

(١) القُرَاد: دويبة تعض الإبل.

(٢) القديم الأصلي، ضد الطارف.

(٣) الهوادي: أوائل الخيل.

يُحْبِرُهَا فَتَى فِي الشَّعْرِ فُذُّ  
 «حَبِيبٌ» دُونَهُ وَ«أَبُو دُؤَادٍ»<sup>(١)</sup>  
 يَغْرِهُمُ سَكُوتُ الشَّعْبِ حِيناً  
 وَلَا يَدْرُونَ مَا تَحْتَ الرَّمَادِ  
 وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ الشَّعْبَ سَيْلٌ  
 إِذَا مَا أَنْصَبَ أَفْعَمَ كُلَّ وادٍ  
 وَبِحَرِّ لَيْسَ يَسْلَمُ رَاكِبُهُ  
 فَإِنَّ الْبَحْرَ صَعْبُ الْإِنْقِيَادِ  
 فَإِنْ يَرْقُذْ فَإِنَّ لِكُلِّ جَفْنٍ  
 وَلَا نُكْرُ، نَصِيباً فِي الرُّقَادِ  
 لَنَا دَيْنٌ عَلَيْهِمْ غَيْرُ نَذْرٍ  
 وَإِنَّ الدَّيْنَ أَحْرَى بِالسَّدَادِ  
 فَإِنْ دَامَتْ عَمَايَتُهُمْ وَدَامُوا  
 وَدَامَ الظُّلْمُ يَجْرِي فِي الْعِبَادِ<sup>(٢)</sup>  
 فَأَنْذَرَهُمْ بِيَوْمٍ مُسْتَطِيرٍ  
 يَطِيرُ لَهُوْلَهُ قَلْبُ الْجَمَادِ  
 تَنْوِبُ بِهِ عَنِ الْقَلَمِ الْعَوَالِي  
 وَأَنْهَارُ الدَّمَاءِ عَنِ الْمِدَادِ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*\*

(١) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (الشاعر العباسي). وأبو دؤاد الإيادي (الشاعر الجاهلي).  
 (٢) عمّيتهم: الغواية واللجاج في الباطل.

## ٦ - نجوى لبناني<sup>(١)</sup>

[الكامل]

لا الغيدُ تُصْبِيني<sup>(٢)</sup> ولا الأقداحُ  
مهما تَغَالَى فيهما المُدَّاحُ  
إني امرؤُ كَلِفٌ بِإِدْرَاكِ الْعُلَا  
دَأْبِي الْجَهَادُ وَغَايَتِي الْإِصْلَاحُ  
أَهْوَى بِلَادِي دَانِيَاً أَوْ نَائِيَاً  
أُعَلِّي فِي حُبِّ الْبِلَادِ جُنَاحُ؟  
«لبنانُ»، لستَ أباي، ولستَ فتاكُ، إنْ  
صَرَفْتُ فِئَادِي عَنْ هَوَاكَ رَدَّاحُ<sup>(٣)</sup>  
زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّ سَلَوْتُكَ، وَيَحَاهُمُ  
غَيْرُ السَّلَوِّ لَمَنْ أَحَبَّ يُتَاحُ؟  
مَا إِنْ هَجَرْتُكَ عَنْ قَلْبِي لَكُنَّمَا  
قَلْبُ إِلَى نَيْلِ الْعُلَا طَمَّاحُ  
«لبنانُ» حَسْبِي أَنَّنِي لَكَ أُنْتَمِي  
وَكَفَّكَ أَنِّي الْبَلْبَلُ الصَّدَّاحُ  
أَشْدُو بِذِكْرِكَ مَا بَقِيْتُ، وَمِرْقَمِي  
تَجْرِي بِهِ فَوْقَ الطُّرُوسِ الرَّاحُ<sup>(٤)</sup>  
قالوا: سَكَتَ فَقُلْتُ: لَيْسَ بِضَائِرِي  
بَعْضُ السَّكُوتِ كَأَنَّهُ إِفْصَاحُ

(١) أول قصيدة تنشرها له (مرأة الغرب) بعد نزوله سنسَنَاتِي.

(٢) صَبَا: مال إلى الجهل. وأَصْبَاه: أماله.

(٣) امرأة رداح: تامة الخلق.

فلربما صمتتُ شفاه ذوي الهوى  
عمداً، لكي تَتَخاطَبَ الأرواحُ



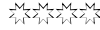
شيخ الرواسي<sup>(١)</sup>! ما لأهلك أصبحوا  
لا الحزنُ يجمعُهُم ولا الأفراح  
كالغصنِ يسكن كلما سكن الصَّبَا  
ويميل أنى مالت الأرياح  
عبثتْ بهم أهواؤُهُم فتفرَّقُوا  
شيعةً، وليس مع الخلاف نجاح  
لا يملكون مع الزمان قيادَهُم  
كالفُلك تجري ما لها مَلّاح  
لله أنت إذ الزَّمانُ مُسالمٌ  
وبَنُوك كوكبٌ سَعَدَهُم وضَّاحٌ  
أيامَ كان عليك من صنْع العُلا  
حُلُلٌ، ومن نسجِ الفَخارِ وشاح  
بالأمس يرهِّبُك الزمانُ وصرفُهُ  
واليوم بات حِمَاكَ وهو مُباح  
لم يبقَ شيءٌ فيكَ لم تَعْلَقْ به أُلٌ  
أكدارٌ، إلا الماءُ فهو قَرّاح<sup>(٢)</sup>  
أضحى صباحاً ليلٌ «مصرَ» بـ «يوسفٍ»  
فعلامَ ليس ليلِنا إصباحاً؟<sup>(٣)</sup>  
سعدتْ به وبعهدِهِ، في أرضنا  
يشقى الأميرُ ويُرهقُ الفلاح

(١) الجبال.

(٢) الماء القراح: الزلال الصافي.

(٣) يقصد النبي يوسف بن يعقوب (عليه السلام).

وتَنالُ كَفُّ الظلمِ كلَّ أخِي نُهىً  
حُرٌّ، ويخفى الحقُّ وهو صُراح  
فكأن «بيت الدين» أصبح «يلدزاً»  
وكأنما هو ذلك السَّفاح<sup>(١)</sup>  
نرجو الصلاحَ من الفساد جهالةً  
هيهات، ليس مع الفساد صلاح



أبناءَ ذا الجيل الأشمُّ! تحيةً  
تزكو ويزكو نشرُها الفيّاح<sup>(٢)</sup>  
حتّام أنتم مغمضونَ على القذى  
لا تنهضون، كأنكم أشباح؟  
أجهلتُم أن البقاءَ تنازعُ؟  
أنسيتمُ أن الحياةَ كفاح؟  
فمتى أراكم طارحينَ خمولكم  
ولكم غدوٌّ لعلَّ ورواح؟  
بالعلم فاعتصموا فلم أرَ سُبَّةً  
كالجهل، فهو لأهله فُضّاح  
فالعلمُ في الرجل القوي فضيلةٌ  
والعلمُ في الرجل الضعيف سلاح  
هؤلاء أهلُ «الغرب» قد بلغوا «السُّها»  
مجداً، وما غيرَ العلوم جَناح<sup>(٣)</sup>  
«فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم»  
إنَّ التشبّهَ بالكرام فلاح»



(١) بيت الدين: قصر الرئاسة في لبنان آنذاك، ويلدز قصر السلطان عبد الحميد في استانبول.

(٢) النشر: الريح الطيبة. وفاح - يفوح - ويفيح.

(٣) السُّها: كويكب خفي الضوء في بنات نعش الكبرى.



## ٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله

[البسيط]

يا روح «إلياس» بالأرواح نفديك  
إن المليكة تُفدى بالماليك  
لولا تجنيك لم أحسُّدُ أخا ولع  
ما كان أسعدني لولا تجنيك  
لم الصَّدودُ وما قلبي بمنصَرَفٍ  
إلى سِوَاكَ، ولا سِرِّي بمَهْتُوكِ؟  
« كَاتَبْتِنَا مَرَّةً فِي الْعُمَرِ وَاحِدَةً  
ثَنِّي وَلَا تَجْعَلِيهَا بِيضَةَ الدِّيكِ »



«نيويورك»، يا من فَتَنْتِ الْخُلُقَ كُلَّهُمْ  
ما كنتِ فاتنتي لولا فتى فيك  
أخو سجايا، لو أنَّ اللَّهَ فَرَّقَهَا  
في الناس، ما أبصرتُ عيني بصعلوك  
هلالٌ لطفٍ وظرفٍ غيرٍ منخسفٍ  
وطودٌ حِلْمٍ وحزمٍ غيرٍ مدكوكٍ  
يجودُ للناسِ بالعِقَيَانِ مَرْقَمُهُ<sup>(١)</sup>  
إن شاء منسبكاً أو غيرَ مسبوكٍ  
فأقتُ كِتَابَتُهُ الْكِتَابَ قَاطِبَةً  
وفأقُ إِعْلَانُهُ إِعْلَانِ «مَأْلُوكِ»!<sup>(٢)</sup>

---

(١) المَرْقَمُ: القلم. والعَيَانُ: الذهب الخالص.



صبراً، فإن تنقُمي أركبِتنِي خَشِناً  
أو تقنَطي فلقد أَشْمَتَ شَانِيكَ  
لَعَلَّما رقعَةُ تحظى العيونُ بها  
من الحبيب فتَشْفِيها وتَشْفِيكَ

\*\*\*\*

## ٨ - اليهودي التائه

[مجزوء الرجز]

أَكَلُ يَوْمٍ مَخْرَقُهُ  
وَقَصَّةٌ مَا فُتِقَتْهُ؟  
مِنْ أَحْمَقِ ذِي غُرَرٍ  
أَوْ جَاهِلِ ذِي فَيَهَقَهُ<sup>(١)</sup>  
وَكُلُّ يَوْمٍ طَارِقُ  
يَأْخُذُكُمْ بِ « الْهَيْبَقَةِ »<sup>(٢)</sup>  
كَذَا الَّذِي طَافَ عَلَيَّ  
كُمُ يَسْتَدِرُّ الصَّدَقَةَ  
وَيَسْتَنْثِيرُ الدِّينَ فِيَّ  
كَمْ، وَهُوَ رَبُّ الزَّنْدَقَةِ  
فَمَا تَرَأَى شَبَحُ  
مِنْكُمْ إِلَّا لَحِقَهُ  
وَمَا أَصَابَ مُوصِداً  
فِي الْحَيِّ إِلَّا طَرَقَهُ  
وَمَا رَأَى مَائِداً  
إِلَّا أَمَالَ عُنُقَهُ  
أَعْجَبَهُ سَمْنُكُمْ  
فَصَارَ مِثْلَ الْعَاقَةِ

(١) تفيقه في مشيئته أو كلامه: تبخر وتعالّم وتشدّق.

(٢) من اللغة المحكية: أخذ الأمور بالمشاغلة وضجيجها.



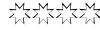
يَمْتَصُّ أُمُومًا الْكُفَّ  
 مَصَّ الْهَجِيرِ<sup>(١)</sup> الزَّنْبِقَ  
 يَمْلَأُ مِنْ جِيُوبِكُمْ  
 جِيُوبَهُ الْمُخَرَّقَ  
 إِنَّ تَسْتَحُوا لَا يَسْتَحِي  
 كَذَا إِلَهُ خَاقَ  
 جَارَى «الْيَهُودِي» تَائِهًا  
 بَلْ بَزَّهْ، بَلْ سَبِّقَ  
 فَالْيَوْمَ فِي مِثْقَلِ  
 وَفِي غَدٍ فِي مِثْقَلِ  
 يَا حَامِلَ «الْكَشْكُولِ» فِي الْ  
 عَاتِقِ أَيْنَ «الْمِثْقَلِ»<sup>(٢)</sup>



مَا عَجَبِي مِنْ رَجُلٍ  
 صَارَ قَفَاهُ مَفْرَقَ<sup>(٣)</sup>  
 بَلْ عَجَبِي مِنْ مَفْرَقٍ  
 قَدْ صَارَ خَلْفَ الْعَنْقِ<sup>(٤)</sup>  
 فَيَا لَهَا مِنْ قَرْعَةٍ  
 بَلْ يَا لَهَا مِنْ مَزْلَقَةٍ!  
 دَائِرَةٌ مِثْلَ الرَّحَى  
 بِيضَاءٍ مِثْلَ «الشَّرَنْقِ»  
 فِي الْبَرْدِ تَغْدُو جَمْدًا  
 وَفِي الْهَجِيرِ مَبْصَقَ

(١) الهجير والهاجرة: نصف النهار، عند الزوال إلى العصر.  
 (٢) ما بين المنكب والعنق. والمنطقة: كل ما شُدَّ به الوسط، مثل (النطاق).  
 (٣) مفريق الرأس: حيث يُفَرَّقُ فيه الشعر.

رَأْسُ تَظْلُ أَرْجَلَ الْ  
بُرْغُوثِ فِيهِ قَلْبُهُ  
فَلَوْ تَرَاهُ حَاسِرًا  
ظَنَنْتَهُ قَدْ حَلَقَهُ  
هَذَا هُوَ «السُّنْدَان» وَالـ  
أَنْفُ الْكَبِيرُ «الْمَطْرِقَةُ»



عَقُّ بَنَانِي قَلَامِي  
أَضَاعَ شِعْرِي رَوْنَقَهُ  
وَلَا أَطَاعَتْنِي الْقَوَا  
فِي الشَّارِدَاتِ الْمُوْنِقَهُ  
إِنْ كُنْتُ لَا أَرْعَاكُمْ  
رَعَى الْجَفُونَ الْحَدَقَهُ  
إِلَامٌ يَسْتَجْهَلُكُمْ  
أَجْهَلُ مَنْ «هَبْنَقَهُ» (١)  
دُمُ الْقُلُوبِ مَالُكُمْ  
فَحَازِرُوا أَنْ يُهْرَقَهُ  
أَتَجْعَلُونَ عِرْقَ الْـ  
أَجْسَادِ مِنْكُمْ «عِرْقَهُ»؟  
أَرَأَيْكُمْ مَنْ طَقَقَهُ؟  
وَقَدْ عَرَفْتُمْ مَنْ طَقَقَهُ  
أَمْ صَوْتُهُ؟ وَصَوْتُهُ  
أَحْسَنُ مِنْهُ النِّقْنَقَهُ  
أَمْ وَجْهُهُ؟ وَلَوْ رَأَى  
هُ الْقِرْدُ «طَاحَ الْحَلَقَهُ»!

---

(١) الهَبْنَقُ: الأحمق (والتاء للمبالغة). وقد أصبح مثلاً يُضرب.

قَوْمُوا اقْرؤُوا تَارِيخَهُ  
 هل فيه إِلَّا مُوَبِّقُهُ؟<sup>(١)</sup>  
 في كل يومٍ يبتغي  
 ضريبَةً أو نفقه  
 كأنكم بُعُولَةٌ  
 كأنه مطْلَقه  
 بل كأنما أحسَّ بالِ  
 إملاق أبدي مَلَقه  
 فصور البحر لكم  
 وهو أجاج<sup>(٢)</sup> «مَرْقَه»  
 وصور الأرض على أد  
 تساعهاك «البندقه»  
 وحاوله عصابة  
 تجهلُ إلا الشَّقْ شَقَه  
 ضمائرُ ميِّتة  
 وألسنُ مفرقة  
 يرمى لها عهدُها  
 كما تُراعي موثقه  
 قد وافقته مثالما  
 «وافق شئ طِبَقَه»  
 لكنها لعيلة  
 قد نزعَتْ منه النِّقَه

(١) الموبق: من المعاصي الكبائر المهلكة.

(٢) ملج مر.

والله، لو كان قِصَا  
صُ «النَّصَبِ» مثلَ السَّرْقَةِ  
لَأَصْبَحَتْ أَيْدِيهِمْ  
مَقْطُوعَةً مَعَاكِهِ  
وَأَبْصَرْتُ أَعْيُنُكُمْ  
أَتَقَاهُمْ فِي الْمِشْنَقَةِ!

\*\*\*\*

## ٩ - وَقُفْ عَلَيْكَ الشَّعْر

(إلى كل حامل كشكول)

[الكامل]

أَسْفِي عَلَى الْكَشْكُولِ كَيْفَ تَمَزَّقَا  
يَا صَاحِبَ الْكَشْكُولِ، طَالَ لَكَ الْبَقَا  
لَا يَحْزُنُنْكَ الْيَوْمَ أَنَّكَ مُخْفِقٌ  
مَا أَنْتَ أَوْلُ ذِي رِيَاءٍ أُخْفَقَا  
عَقَبِي الْحَمَاقَةَ مَا عَلِمْتَ، وَإِنَّمَا  
هِيَ هَاتِ أَنْ تَعْظَ الْحَوَادِثُ أَحْمَقَا  
أَعْيَيْتَ كُلَّ مَهْذَبٍ وَمُؤَدَّبٍ  
حَتَّى الْعَصَا، وَعِيتَ أَنْ تَتَخَلَّقَا  
كَمْ ذَا تَطَوَّفَ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى  
مُتَبَجِّحاً، مُتَنَطِّعاً، مُتَفِيهِقَا  
مُتَوَعِداً كُلَّ امْرِئٍ مُسْتَخَفٍّ  
مُتَمَلِّقاً مَنْ يَعِشُقُ الْمُتَمَلِّقَا  
خَلَّتِ السَّنُونَ وَأَنْتَ تَسْتَجِدِي الْوَرَى  
فَمَتَى أَرَاكَ عَلَى الْوَرَى مُتَصَدِّقَا؟  
جَادُوكِ بِالْمَوْفُورِ حَتَّى أَمْلُقُوا  
وَتَلَفُّتُوا فَرَأَوْكَ مِنْهُمْ أَمْلُقَا  
أَنْفَقْتَ مَا لَهُمْ كَمَا أَنْفَقْتَهُ  
اللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ بَادَ وَأَنْفَقَا  
لَوْ كَانَ شِعِراً كُنْتَ صَاحِبَ لِمَّةٍ  
أَوْ كَانَ لَفْظاً كُنْتَ أَغْزَرَ مَنْطِقَا

بددته وعفوت عن أرواحهم  
لله قلبك ما أرق وأشفقا!  
مال الشحاذة لا يدوم، وإن يدم  
فقد اقتنيت به سعيراً مُحرقاً



كم ذا تشيدُ الباخراتِ وتبتني!  
مهلاً، فإن البحرَ أصبح ضيقاً  
أقلقْتَ حتَّى «الإنكليز»، وطالما  
ظنوا العُبابَ لهم حلالاً مُطلقاً  
هلاً - وقد هيجتْ كامنَ حقدهم -  
صافيتهم وعقدتْ معهم مَوْثِقاً؟  
لا، لا، فإن هم أغرقوها كُلَّها  
بقيتْ لديك «سفينة» لن تغرقا  
أعني المدرعة المصفحة التي  
تخشى العواصفَ حولها أن تُخفقا  
هي طاسةٌ سحريةٌ، مُرها تكن  
في الماء فُلُكاً، في الفضاءِ مُحلّقاً  
قد قال قومٌ: مِغْنَطِيسٌ تحتها  
ويقول قومٌ: إن فيها زئبقاً  
كذبَ الذين تقولوا: يا سيدي!  
الحقُّ أن بها الجنونَ المُطبقاً!



جفَّ القَذالُ<sup>(١)</sup>، وبات أجردَ عارياً  
لو كنتَ تحفظ ماء وجهك أوركاً

---

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس (الجمع: أقدلة وقُدُل) ..

طار السوادُ عن المفارقِ وأمَّحَى  
فاليومَ أصبحَ كلُّ رأسِك مَفْرِقًا  
لو حاولَ البُرغوثُ يمشي فوقَه  
لم يَأْمَنَ البُرغوثُ أن « يتزحلقا »  
ضِيَّعَتَ عمركَ في المعاصي كُلَّه  
فمَتَى تَحَنُّ إلى الفضيلة والتُّقى؟



وَقَفَّ عَلَيْكَ الشَّعْرُ حَتَّى تَرَعَوِي  
وعلى الضُّلَّالِ الحقُّ حَتَّى يُزْهَقَا  
أَنْتَى حَلَلْتَ وَجَدْتَ ثُمَّ شَوَارِدًا  
تُلْهِيكُ إِنْ تَلْهُو وَإِنْ تَتَشَدَّقَا  
مَلَأَ الشُّفَاهُ، فَإِنْ هَمَمْتَ بِلَفْظَةٍ  
نَطَقْتَ بِهَا الْأَفْوَاهُ كِي لَا تَنْطِقَا  
تَغْرِي بِقَلْبِكَ كُلَّ هَمٍّ مَقْلِقٍ  
وتزودُ عَنْكَ النُّومَ حَتَّى تَأْرَقَا  
وتَكُونُ إِمَّا سِرْتَ غَرْبًا مَغْرِبًا  
وتَكُونُ إِمَّا سِرْتَ شَرْقًا مَشْرِقًا  
فَإِذَا رَأَى إِلَى لِقَائِكَ شَيْقُ  
أَمْسَى إِلَى التَّوْدِيعِ مِنْهُ أَشْوَقَا  
لا «مَرْحَبًا» إِمَّا نَزَلْتَ، وَلَا إِذَا  
أَزْمَعْتَ تَسْمَعُ مَنْ يَقُولُ: «إِلَى الْلِقَا»  
يَا سَاكِنِي «كُنْدًا»، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ  
إِنَّ الْمَنَافِقَ بَيْنَكُمْ لَنْ يَنْفُقَا  
وَأَفَاكُمُ ذَاكَ الْغَرَابُ مُبَكَّرًا  
فَمَنْعَتُمُوهُ بَيْنَكُمْ أَنْ يَنْعَقَا

لو لم تكونوا الأسدَ أو أشبالها  
ما خاف أن يعوي ولا أن ينهقا  
ما مرّ ذكركم على ذي مسمعٍ  
إلا تملّكه السرورُ فصفا

\*\*\*\*



## ١٠ - ماذا؟

[البسيط]

ما الطَّيْرُ ضاقتُ بها الأوكارُ فاضطربتُ  
في الأرضِ باحثةً عن مرتعٍ خصبٍ  
تغالبُ الريحَ في الأجواءِ صاعدةً  
وتتقي الناسَ عند الحَسَوِ والنَّغَبِ<sup>(١)</sup>  
حتى إذا هبطتُ في السفحِ مزدرةً  
فيه الفواكهُ من نخلٍ ومن عنبٍ<sup>(٢)</sup>  
وأودعتُ رُغْبَها الأعشاشَ، وانطلقتُ  
تقتاتُ بالبُسْرِ أحياناً وبالرُّطْبِ<sup>(٣)</sup>  
ساقَ القضاءِ إليها كلَّ محتَبِلٍ  
فلم تجزُ عَطْباً إلا إلى عَطْبٍ<sup>(٤)</sup>  
أشقى وأتعسُ حظاً من مُهاجرةٍ  
في «الغرب» شرقيةِ الأنسابِ والحَسَبِ  
كأنما البؤسُ خُلِقَ من خلائقها  
فكلُّما غالبتهُ فازَ بالغَلَبِ  
طَلَبُ النوائِبِ في حلٍّ ومرتحلٍ  
في دارةِ الأرضِ أو في دارةِ الشَّهْبِ  
إنْ تركبَ البحرَ فالسَّمسارُ يرصدها

(١) حسو الطائر الماء، والنَّغَبُ مثله. (نَغَب - يَنْغَب - نَغْباً).

(٢) المزدرع: موضع الزرع، مثل (المزرعة).

(٣) من مراحل نضج التمر: البسر والرُّطْب، والتمر آخرها.

أو تَطْلُبِ الْبِرَّ فَالدَّلَالُ فِي الطَّلَبِ  
 حَامُوا عَلَيْهَا كَمَا حَامَ النَّسُورُ عَلَى  
 جَرَحِي اللَّهَازِمِ<sup>(١)</sup> وَالْهَنْدِيَّةِ الْقُضْبِ  
 أَوْ كَالذَّبَابِ عَلَى صَحْنٍ مِنَ الضَّرْبِ  
 أَوْ كِ «الْيَهُودِ» عَلَى عِجْلٍ مِنَ الذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>  
 كَأَنَّهَا الشَّاةُ، غَالِ الْمَوْتَ رَاعِيَهَا  
 فَكُلُّ ضَرْعٍ عَلَيْهِ كُلُّ مُحْتَلِبٍ  
 هُنَاكَ يَسْلُبُهَا حَكَامُهَا، وَهَنَا  
 أَهْلُ الْكَشَاكِيلِ وَالْأَكْيَاسِ وَالْحُقْبِ  
 بِاسْمِ الْمَسَاكِينِ أَحْيَانًا، وَأَوْنَةً  
 بِاسْمِ الْهِيَائِ كُلِّ وَإِصْلَاحِ وَالْأَدَبِ  
 مَوْتَى الضَّمَائِرِ، مَوْتَى كُلِّ عَاطِفَةٍ  
 فَلَيْسَ فِيهِمْ - وَكَمْ بَيْنَ اللَّصُوصِ - أَبِي  
 إِنْ يُرْهِقُوهَا، وَهُمْ مِنْهَا، فَلَا عَجَبُ  
 لَا يَعْرِفُ السُّوسُ غَيْرَ الْفَتْكِ بِالْخَشَبِ  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُمْ فِي قَتْلِهَا أَرْبُ  
 وَمَا لَهَا أَرْبُ فِي قَتْلِ ذِي أَرْبِ  
 تَغَرَّبْتُ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ، وَاعْتَرَبُوا  
 طَمَاعَةً بِمَجَانِي كُلِّ مُغْتَرِبِ  
 يَا لَيْتَ مَنْ شَاطَرُوهَا مَالَهَا حَمَلُوا  
 شَطَرًا مِنَ الظُّلْمِ، أَوْ شَطَرًا مِنَ التَّعَبِ



يَا أُمَّةَ هَاضَتْ الْأَيَّامَ جَانِبَهُمْ

(١) لَهْذَمَهُ: قَطَعَهُ. وَاللَّهْذَمُ: السَّنَانُ الْقَاطِعُ. وَقُضِبَ: قُطِعَ (يَعْنِي: السِّبُوفُ الْهَنْدِيَّةُ الْقَاطِعَةُ).

(٢) الضَّرْبُ: الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ الْغَلِيظُ.

وطمع الضعف فيهم كل مغتصب  
 لا تأخذوا بأمني مزوقة  
 ما در أهل الأمانى غير مُحشَلَب<sup>(١)</sup>  
 أموالكم، أنتم أولى الأنام بها  
 فراقبوا الله في مستحدث النشب  
 هذا السلاح الذي يُشترى السلاح به  
 هذا المسمى بحق كاشف النوب  
 هذا المنجى من الآفات صاحبه  
 إن تفقدوه فقدتم أنفع الصحب<sup>(٢)</sup>  
 لا تحسبوا أننى بالشح أمركم  
 إن المواطن عندي أفضل السحب  
 وإنما رفدكم من لا خلاق لهم  
 كمليس الخز ذات الظلف والغيب<sup>(٣)</sup>  
 جود الكريم على من يستخف به  
 مضيع، كالحيا<sup>(٤)</sup> في الموضع الخرب  
 ماذا؟ أيعجم أهل اللوم عودكم  
 وأنتم النجب نسل السادة النجب؟<sup>(٥)</sup>  
 وتطربون، وسيف الموت منصلت؟  
 وتلعبون، وشر الناس ذو اللعب  
 إن كان صوتي لم يبلغ مسامعكم  
 فذاك من حسن حظ البوم والخرب

(١) الدرة الزائفة.

(٢) جمع الصاحب: صَحْب.

(٣) ذوات الأظلاف: المجتررة من الحيوان. والغيب والغيب: الجلد تحت الحنك.

(٤) الحيا: المطر.

(٥) عجم: اختبر وجرب وراى ومافى معناها.



ثلاثَةٌ لَا أَصَابَتْ غَيْرَ أَوْلَها  
أَهْلُ النَّفَاقِ وَدَاءُ السُّلِّ وَالْجَرَبِ  
يَقُولُ قَائِلُهُمْ: مَهْلًا إِلَى «رَجَبٍ»  
كَأَنَّني سَوْفَ أَبْقِيهِ إِلَى «رَجَبٍ»!  
إِنْ يَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ فَدَمٍ تَوَعَّدَنِي  
فَإِنَّهُ عَجَبٌ أَدْعَى إِلَى الْعَجَبِ<sup>(١)</sup>  
إِنْ الْغَرِيقُ إِذَا ضَاقَتْ مَذاهِبُهُ  
لَا يَحْمَدُ الْبَحْرَ ذَا التَّيَّارِ وَالْعُيْبِ<sup>(٢)</sup>  
تَبَّ النَّحَاةُ، وَتَبَّ الْمُؤْمِنُونَ بِهِمْ  
أَهْلُ السَّخَافَاتِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَذِبِ<sup>(٣)</sup>  
كَمْ جَوَّزُوا مِنْ كَلَامٍ لَا جَوَّازَ لَهُ  
وَأَوْجَبُوا مِنْ أُمُورٍ قَطُّ لَمْ تَجِبْ  
وَكَمْ رَوَوْا مِنْ أَحَادِيثٍ مَلْفَقَةٍ  
وَزَوَّروا مِنْ حِكَايَاتٍ وَمِنْ خُطَبِ  
النَّحْوِ وَالصَّرْفِ وَالْإِعْرَابِ أَجْمَعِها  
سَفَاسَفٌ، لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلُ فِي « الْعَرَبِ »  
هَٰذَا تَعَالَيْمُ كَسَلَى مَا يُدَلُّ بِهَا  
إِلَّا فَتًى «أَعْجَمِي» الْحَلْقُ وَالنَّسَبُ  
فَلَا حَبَا لِلَّهِ نَحْوِيًّا بِرَحْمَتِهِ  
أَوْلَى بِرَحْمَتِهِ مِنْهُ « أَبُولَهَبِ »  
لَوْلَا أَكَاذِبُهُمْ مَا بَاتَ مُنْتَصِبًا

(١) الْفَدَمُ: الْعَبِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ، التَّحْقِيلُ فِي الْكَلَامِ.

(٢) الْعُيْبُ: الْمَيَاهُ الْمَتَدَفِّقَةُ.

(٣) تَبَّ: هَلَكَ.

(٤) الرِّمَاحُ.

بين العوالي<sup>(٤)</sup> الغوالي فارغُ القَصَبِ  
«ما كنتُ أملُ أن يمتدَّ بي زمني»  
حتى يطاولني قِرْدُ بلا ذَنْبٍ<sup>(١)</sup>  
يا أَجْهَلَ الخُلُقِ - حتى ناقلِ القُرْبِ -  
أربأُ بنفسك أن يَهْتَاجَنِي غضبي  
أو تَطْلَعَنَّ عَلَيْكُمْ كُلُّ أَكْلَةٍ  
ترعى الهشيمَ ولا تُبْقِي على العُشْبِ  
تنقضُّ مثلَ نجومِ الرِّجْمِ هاويَةً  
في إثر كل رَجِيمٍ غير ذي أدب  
فما تُغادرُ قلباً غيرَ منخَلِ  
ولا تُغادرُ حبلاً غيرَ مضطرب  
فإن جَنَحْتُمْ إلى كهفٍ ليحجُبْكُمْ  
وجدتُم الموتَ في الأستارِ والحُجُبِ  
حتى إذا ظنَّ أن الساعةَ اقتربتُ  
جعلتُ كل قريبٍ غيرٍ مقترب  
وما أنا بالذي يهوى البقاءَ لكم  
لو أن في الموت ما في العيش من كُرب

\*\*\*\*

---

(١) لأسعد رستم معارضة شعرية للنص بعنوان (فإنه مثله في الذنب والذنب) (انظر كتاب جورج سليم ص ٢٩٢).

---

(١) الوعل: تيس الجبل.  
(٢) العِلج: الرجل الشديد الغليظ.

## ١١ - حكاية

[المجثت]

رَبَّيْتُ كَلْباً صَغِيراً  
وَكُنَّ ذُنُوبُكَ نَذْراً  
وَقُلْتُ: يَحْرُسُ دَارِي  
إِذَا أَتَى اللَّصُّ سِرّاً  
فَكُنْتُ أَتِيهِ صُبْحاً  
بِاللَّحْمِ، وَالشَّحْمِ عَصراً  
حَتَّى إِذَا اجْتَاكَ سِتّاً  
مِنَ الشَّهْوِ، وَأُخْرَى  
وَأَشْبَهَ الْوَعْلَ<sup>(١)</sup> سَاقاً  
وَأَشْبَهَ الْبَغْلَ ظَهْراً  
وَصَارَ كَالْعِلْجِ<sup>(٢)</sup> عُنْقاً  
وَصَارَ كَالْفِيلِ صَدْرًا  
وَأَفَى إِلَيَّ صِحَابِي  
وَأَنْتَ بِالصَّحْبِ أَدْرَى  
فَأَبْصُرُوا الْكَلْبَ عِنْدِي  
عَيْنَاهُ تَقْدَحُ جَمْرًا  
فَقَالَ مِنْهُمْ ظَرِيفٌ:  
قَنُوتَ، وَاللَّهِ، مُهْرًا!

---

(١) هَرَّ الْكَلْبُ: صَوَّتَ دُونَ نَبَاحٍ.

بِحُرْمَةِ الْوُدِّ إِلَّا  
سَمَّيْتَ ذَا الْكَلْبِ «نِمْرًا»



أَطَعْتُ أَمْرَ صَدِيقِي  
وَقَدْ سُرَرْتُ وَسُورًا  
لَكِنَّمَا الصِّفْرُ صِفْرٌ  
وَإِنْ دَعَوْنَاهُ تَبْرًا



تَرَعْرَعُ الْكَلْبُ «نِمْرٌ»  
فَصَارَ أَعْظَمَ شَرًّا  
يَعْوِي إِذَا النَّاسُ نَامُوا  
فَيُسْمَعُ النَّاسُ نُكْرًا  
وَيَنْبُجُ الْبَدْرُ لَيْلًا  
وَيَنْبُجُ الشَّمْسُ ظَهْرًا  
وَكُلُّ مَا مَرَّ سَارٍ  
أَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ هَرًّا<sup>(١)</sup>  
وَيَتَّبِعُ الضَّئِيفَ حَتَّى  
إِذَا اسْتَقَرَّ اسْتَقَرَّا  
وَيَتْرُكُ الْعَظَمَ مُلْقَى  
وَيَسْرِقُ الْخُبْزَ جَهْرًا  
فَرَوْعَ النَّشْءِ حَتَّى  
مَا تَطْلُبُ الدَّارَ دُعْرًا  
وَنَقَّرَ الطَّيْرَ حَتَّى  
مَا تَأْلَفُ الطَّيْرُ وَكُرًا

---

(١) السحت: الحرام.



فَأَقْبِلَ الْحَيُّ يَشْكُو  
فَقُلْتُ: يَا قَوْمُ، صَبِرَا  
لَوْ كُنْتُ أَكْسِبُ أَجْرًا  
أَوْ كُنْتُ أُحْرِزُ فَخْرًا  
خَنَقْتُ بِالْحَبْلِ «نَمْرًا»  
لَكِنْ لِلْكَلْبِ عُمَرَا



«مَدِينَةُ الْعِلْمِ» كَانَتْ  
لَأَهْلِهِ مُسْتَقَرًّا  
فَخَانَهَا الدَّهْرُ حَتَّى  
بَنَى بِهَا الْجَهْلُ جُحْرًا



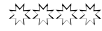
يَا مَنْشَى الْفُلْكِ، مَهْلًا  
لَا تَمْخُرِ الْفُلْكَ بَرًّا  
وَيَا كَثِيرَ الْأَمَانِي،  
شَيْدَتْ فِي الْجَوْقِ صُرَا  
أَضَاقَتْ الْأَرْضُ حَتَّى  
وَلَّيْتَ وَجْهَكَ بِحَرَا؟  
أَتَأْكُلُ الْمَالَ سُحْتًا<sup>(١)</sup>

وَتَقْتَضِي الشَّعْبَ أَجْرًا؟  
أَتَحْسِبُ النَّاسَ حَمَقَى؟  
يَا أَحْمَقَ النَّاسِ طُرًّا  
لَا تَلْبَسِ الدِّينَ ثَوْبًا  
عَصْرُ الْجَهَالَةِ مَرًّا  
وَلَا تَقَاتِلْ بِمَكْرٍ

فَاللَّهُ أَعْظَمُ مَكْرًا



وَأَنْتَ يَا وَائِ «عَمْرُو»  
حَتَّامُ تَتَبِعُ «عَمْرًا»؟  
وَلَسْتُ تَجْلِبُ نَفْعًا  
وَلَسْتُ تَدْفَعُ ضَرًّا  
إِنَّ الْبَلِيَّةَ غِرٌّ  
أَمْسَى يَنْصَرُغِرَا  
لَا تَعْذِلِ الشَّعْرَ إِمَّا  
جَنَى عَلَيْكَ الْأَمْرَا  
قَدْ كُنْتَ قَبْلَ الْقَوَافِي  
أَقْلَّ عَقْلًا وَقَدْرَا



مَا فِي ضَالُوْعِي حَقْدٌ  
وَلَسْتُ أَطْلُبُ ثَارًا  
لَكِنَّمَا الْحُرِّيَّابِيُّ  
أَنْ يَخْدَعَ النَّذْلُ حُرًّا  
وَأَهْلُ «لَبْنَانٍ» أَهْلِي  
وَكُنْتُ بِالْأَهْلِ بَرًّا



---

(١) نَفْطُوِيَه: من نَحْوِيِي الْعَرَبِ.  
(٢) الدَّاءُ الْعُضَالُ: الشَّدِيدُ الَّذِي يَعْجِي الْأَطْبَاءُ.  
(٣) الْآلُ: السَّرَابُ.

## ١٢ - أيا عجل اليهود

[الوافر]

توَعَّدَنِي مُقَلِّدُ «نَفْطُويِه»  
كَمَا تَتَوَعَّدُ الْأُنْثَى الرَّجَالَا<sup>(١)</sup>  
وَيَعْلَمُ أَنَّهُ دُونِي مَقَاماً  
وَلَكِنْ يَنْبَحُ الْكَلْبُ الْهَلَالَا  
وَلَوْ أَغْفَى وَلَا حَ لَهْ خَيَالِي  
لظَنَّ الْمَوْتَ بَاغَتَهُ خِيَالَا  
مَعَاذَ اللَّهِ يَخْلُقُ غَيْرَ شَيْءٍ  
فَمَنْ هَذَا الَّذِي خَلَقَ الْمُحَالَا؟  
وَيَكْذِبُ «آدَمُ» إِمَّا ادَّعَاهُ  
فَإِنَّ النَّاسَ لَا تَلِدُ الْبِغَالَا  
أَبَعْدَ الْيَوْمِ أَعْجَبُ مِنْ عَجِيبٍ  
وَمُقَلِّبُ اسْمِهِ يَبْغِي النُّضَالَا؟  
أُظَنُّ حَيَاتَهُ هَانَتْ عَلَيْهِ  
وَالَا لَا تَقَى الدَّاءَ الْعُضَالَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا اللَّهُ شَاءَ هَلَاكَ نَفْسٍ  
عَلَى ظَمَأٍ، أَرَاهَا الْمَاءَ آلَا<sup>(٣)</sup>  
شَحَافَاهُ فَلَمَّا مَرَّ ذَكَرِي  
بِطَرْفِ لَهَاتِهِ أَمْسَى سُعَالَا<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْتُ نَسِيتُ أَهْلَ الْيَوْمِ حَتَّى

(١) الْمَذَلُّ وَالْمَذَالُ: القلق والضجر (مذل بالشئ: ضاق به).

(٢) الْجَلُّ لِلدَّابَّةِ كَالثَّوْبِ لِلْإِنْسَانِ (والجمع: جلال). والسحال: اللجام.

نظرتُ اليومَ ألامَّهم خِصالاً  
 وما فَكَّرْتُ بالغوغَاءِ حتَّى  
 سمعتُ اليومَ أسخفَهم مقالاً  
 إذا عُدَّ الأفاضلُ كان صِفْراً  
 وصِفْراً يلزم الجَنبَ الشِّمالاً  
 فواعجباً، أَمَاتَ الخَلْقُ حتَّى  
 يمارسَ حِرْفَةَ الأدبِ الكُسَالَى؟  
 ويا لَهْفَ البلاغةِ كيف ذلَّتْ  
 ولهْفَ الشعرِ كيف غدا مَذالاً<sup>(١)</sup>  
 ويا لَهْفَ الصحافةِ يدَّعيها  
 حمارٌ طالما لبس الجِلالاً  
 متى فارقتَ، يا هذا، المِراعي؟  
 وكيف قطعتَ، يا هذا، الحبالاً؟  
 أتَنهَقُ، والغضنفرُ قيدُ باعٍ  
 وتحسبُه وما عافَ القِتالاً؟  
 فما زالتَ مواضعُه حِداداً  
 وما برحتَ مَخالبُه طِوالاً  
 بلى، أنتَ الذي بالأمس شدَّتْ  
 عليكَ يدايَ في السَّفَرِ الرُّحالاً  
 فلستُ بِنابغِ الشُّعراءِ إن لم  
 أَرِدْ عليكَ جُأكَ والسَّحالاً<sup>(٢)</sup>  
 أما، والله، لو طُلْتَ «الثُّرَيَّا»

(١) الشَّيْعُ: أحدُ سبُور النعلِ.

(٢) الفُودان: جانبُ الرأسِ، والقِذال: جماع مؤخر الرأسِ.

(٣) الدحل: حفرة ضيقة من فوق، واسعة من أسفل (الجمع: دِحال ودُحول).

وجاوزت المناكب والقلا  
 لمّا أمسيت إلا دون شِسْعِي  
 ينالُك كيف ملّت وكيف مالا<sup>(١)</sup>  
 فإمّا تستر الفودين عنه  
 فإست بساتر عنه القذال<sup>(٢)</sup>  
 ودعوى الفضل لا تُجديك شيئاً  
 فقد كنت الحقيّر ولن تزال  
 أيا عجل «اليهود»، ولست تبرأ  
 وإلا كنت أحسن منك حالا  
 إذا هزّ العصا «موسى» وأهوى  
 فليس يقيكها قرنّان طالا  
 أتهرب من أمام الليث ذُعراً  
 وتزعم أنه لزم الدحّال<sup>(٣)</sup>؟  
 وتجنّب ثم تدعوه جباناً؟  
 لقد أضحكت، يا هذا، النُّكالي  
 ومن تكن الحماقة فيه طبعاً  
 يكن هذا المال له مالا  
 يدافعني «اللئيم» بكل غرٍّ  
 فلم أرحم، ولا رجم السُّخّالا  
 زعانف لست أرضاها مطايا  
 ولا أرضى رؤوسهم نعالا  
 لقد فرست نفوسهم القوافي  
 وإن الحق يفترس الضلّالا  
 إذا حرم الهجاء على حرام

(١) السِّلّ والسُّلال: الداء يضني ويقتل.

فليس يكون في شيءٍ حلالاً  
ومن يدري ويُغضي عن فسادٍ  
فقد خان الفضيلة والكَمالاً  
لَتَذَرُوهُمْ عَوَاصِفُهَا رِمَالاً  
وَتَنسِفُهُمْ وَلَوْ صَارُوا جِبَالاً  
وَتَرْمِيَهُمْ أَوَائِلُهَا سِهَاماً  
وَتَقْرَعُهُمْ أَوَاخِرُهَا نِصَالاً  
وَتُمْسِي فِي حَنَاجِرِهِمْ جِرَاحاً  
وَتَمْشِي فِي دُمَائِهِمْ سُلَالاً<sup>(١)</sup>  
فإن سَلِمُوا فقد سَلِمُوا لِيَوْمٍ  
تَوْقَاهُ الْأَجَنَّةُ وَالْحَبَالَى

\*\*\*\*

---

(١) الْفَسْلُ: الرديء من كل شيء. وَالْجُعْلُ: من دواب الأرض، أسود اللون.

(٢) الْبَقَاعُ: أراض من لبنان تجاور الحدود السورية اليوم.

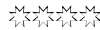
(٣) الْبَاءُ، لُغَةً، تدخل على الذاهب، على غير ما في البيت.

## ١٣ - يا نوح

أين دلائل الطوفان؟

[الكامل]

أهل الفسادِ وزمرة الشَّيْطانِ  
كم تدَّعونَ محبةَ الأوطانِ!  
خلّوا النُّواحِ على الرُّبوعِ وأهلِها  
ما ثَمَّ من خطرٍ على «لبنان»  
أنّى يَضِيعُ، وأهلُهُ أُسْدُ الشَّرِّى  
وله من الدُّولِ خيرُ ضَمانِ  
وإذا الضُّرَّاعُ لم تَصُنْ أَجْمَاتِها  
أيصُونُها فسلُّ من الجُعْلانِ؟<sup>(١)</sup>  
أمّا «البقاعُ» فلا يردُّ بألسُنِ  
ثرثارةٍ، بل بالنَّجِيعِ القاني<sup>(٢)</sup>  
رُدُّوا على الشَّعبِ المُهاجرِ مالَهُ  
لا تُبدلوه حقائِقاً بأمانِ<sup>(٣)</sup>  
فالقومُ حاجتُهُمُ إلى أموالِهِمُ  
مثلُ احتياجِهِمُ إلى العِرفانِ  
تَعِسَ الَّذي رَضِيَ الأمانِي ثروةَ  
إن الأمانِي ثروةُ الكسلانِ



قلتم: ندودُ الضَّيِّمَ عن إخواننا

(١) يشير إلى العَلَمِ الأمريكي.

(٢) السلطان العثماني.

إِخْوَانَكُمْ فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانَ  
 يَحْمِيهِمْ عِلْمُ النُّجُومِ، وَلَمْ يَزَلْ  
 عِلْمُ الْكَوَاكِبِ مُكْرَمَ الضَّيْفَانِ<sup>(١)</sup>  
 هُمْ بَيْنَ أَهْلِيهِ وَفِي أَكْنَافِهِمْ  
 وَكَأَنَّهُمْ فِي الْأَهْلِ وَالْإِخْوَانِ  
 وَزَعَمْتُمْ بِالنَّازِحِينَ غَرَامُكُمْ  
 وَغَرَامُكُمْ بِالْأَصْفَرِ الرِّئَانِ  
 لَوْ صَحَّ زَعَمُكُمْ وَكَنْتُمْ قُوَّةً  
 لَوْ قَيُّتُمُوهُمْ سَطْوَةً «الْعَبْدَانِ»  
 جَارُوا عَلَيْهِمْ، لَمْ يَبَالُوا زَاجِرًا  
 جَوْرَ الْقَوِيِّ عَلَى الضَّعِيفِ الْعَانِي  
 لَهْفِي عَلَيْهِمْ، كَيْفَ رُوِّعَ سِرْبُهُمْ  
 وَتَبَدَّلُوا مِنْ عِزِّهِمْ بِهِوَانِ  
 وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ صَرْخَةً اسْتَنْجَادِهِمْ  
 فَكَأَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى حَيْطَانِ  
 بَاتُوا يُسَامُونَ الْعَذَابَ، وَبِئْسَ  
 تَدْعُونَ بِالْإِعْزَازِ لِلسُّلْطَانِ<sup>(٢)</sup>  
 نِمْتُمْ فَخِلْتُمْ كُلَّ طَرْفٍ نَائِمًا  
 مَا أَجْهَلَ الْوَسَنَانِ بِالْيَقْظَانِ!  
 رُفِعَ السُّتَارُ، وَبَانَ كُلُّ مُكْتَمٍ  
 أَتَقَاتِلُونَ الْحَقَّ بِالْبُهْتَانِ؟  
 لَا غُرُوْا إِمَّا سَبَّيْنِي سَفْهًاؤُكُمْ

(١) يقصد: يعوق (العق: خلاف الرق).

(٢) قلاه: أبغضه. والسنا: الضوء.

(٣) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه أكثر الشعراء القدامى من ذكره في مواطن الشجن. والعقاب: من الجوارح (جمعه: عقبان).

(٤) الهميان: منطقة تشد على الوسط وتجعل فيها النفقة.







عندي لكل منكمما نعلان<sup>(٦)</sup>  
 بل ما لمقلوب اسميه يخفي اسمه  
 والحسن لا يخشى من الإعلان  
 إن التَّحجُّب لو يكون فضيلةً  
 لم يَبْد من خِدرِهما القمران  
 وإذا هتكت السُّتْر عن مُتَكَنِّمٍ  
 لم تلقَ إلا خائفاً أو جاني  
 زعم المؤدِّب أن عَيْراً ساءه  
 ألا يُسار به إلى الميْدان<sup>(١)</sup>  
 فمضى فقصرت القواطعُ ذيله  
 وسطت مواضيها على الآذان  
 حتى إذا جاء المُرُوضُ واعتلى  
 متَّنيه راب الفارس الكَشْحان<sup>(٢)</sup>  
 لكنه ما زال غير مُصَدِّقٍ  
 حتى علا صوتُ كصوت الجان  
 فاستلَّ صارمه فطاح برأسه  
 ورمى بجثَّته إلى الغِربان  
 مادام يصحبُ كلَّ حيِّ صوته  
 فالعيرُ لا يخفيه جلدُ حصان<sup>(٣)</sup>  
 إن تستتر هيهات تستر مفرقاً  
 آثار شِسْعِي فيه كالعُنوان<sup>(٤)</sup>  
 يا أيها الغرُّ الذي من أجله

(١) الأخص: باطن القدم وخصره.

لَعَنَ الْقَرِيضَ مَوْلَفُ الْأَوْزَانِ  
مَا أَنْتَ بِالْعُ مَا وَطَأْتُ بِأُخْمَصِي  
حَتَّى تَنَالَ الْفَرْقَدَيْنِ يَدَانِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) السفير العثماني في واشنطن.  
(٢) المومة: المفارقة الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس.  
(٣) يقصد ما طلع به رستم بك على الناس (الطلعة).  
(٤) السائمة: الإبل الراعية (سامت - تسوم: رعت)

## ١٤ - توديع رستم بك<sup>(١)</sup>

[الخفيف]

زُلْتُ عَنَّا، فلم نُبَلِّ، مثلما زلَّ  
لَ، مع الليلِ طارقُ الأحلامِ  
ما كرهتَ المُقامَ فينَّا، ولكنْ  
يَأْنفُ الذُّنْبُ غيرَ سُكنى المَوامي<sup>(٢)</sup>  
كنتَ ضيفاً فلم يزلْ بك سوءُ الطُّ  
طَلَعِ<sup>(٣)</sup> حتى خسرتَ عطفَ الكِرامِ  
خُلِقَ السُّوءُ في الفتى ليس يُخْ  
فيه جمالُ الرداءِ والهِنْدَامِ  
وإذا المرءُ كانَ غيرَ كريمٍ  
فَخُذْ حَتَّهُ مَظَاهِرُ الإِكرامِ  
لَقِنْتِكَ «الإسلامَ» عصبُهُ شرٌّ  
ليتها لَقِنْتِكَ عِلْمَ الكلامِ  
جئتَ تنفي الإِجرامَ عنهم، فأجرمُ  
تَ إلى الصُّدُقِ أيُّما إِجرامِ  
كيف أنكرتَ ذُبْحَهُمُ أُمَّةَ «الأُرُ  
مَن»، ذُبِحَ الجَزَارُ بعضَ السَّوَامِ<sup>(٤)</sup>

(١) الكأس الدهاق: المترعة الممتلئة (دهق الماء: أفرغه بشدة).

(٢) الداهية، والأمر الفظيع.

(٣) الغادية: السحابة، وجمعها: الغوادي.

(٤) طما الماء طُمياً، فهو طام: إذا ارتفع وملا النهر.

(٥) أرض فروق: استانبول.

ودمُ الأبرياءِ ما جَفَّ، لا جَفُّ  
 فَتَ عليهم مدامُ الأيتامِ؟  
 سَلَبُوا الطفلَ أمَّهُ وأبَاهُ  
 ورمَوْهُ في النارِ ذاتِ الضُّرامِ  
 أحرَقُوا الدُّورَ، رَوَّعُوا ساكنيها  
 وَأَتَوْا كُلَّ مُنْكَرٍ وَحَرَامِ  
 جَرَّعُوهُمْ كَأْسَ الحِمَامِ دِهَاقاً  
 واسْتَسَاغُوا دماءَهُم كالْمُدَامِ<sup>(١)</sup>  
 ما أَثَارُوا حرباً، ولا ارتكبوا إِدْ  
 داً<sup>(٢)</sup> ولم يَبْسُطُوا يداً لِحُسَامِ  
 وَلئنْ صَحَّ أَنَّهُم أَحْدَثُوا إِثْ  
 ماً أَتُنْفِي الآثامَ بِالْآثَامِ؟  
 زَلَّةٌ لَوْ قِيَّتْهَا، لم تُحَقَّرْ  
 مِنْ كِبَارِ النِّفَوسِ والأَحْلَامِ  
 فَتَحَمَلْ، لا شَيَّعَتِكَ الغَوَايِ  
 لا، ولا عَدَّتْ نَحُونَا بِسَلامِ<sup>(٣)</sup>  
 هَكَذَا يَقْذِفُ النَّوَاةَ فَمُ الْآ  
 كِلِ، والجِيفَةُ الخِضَمُ الطَّامِي<sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا مَا بَلَغْتَ أَرْضَ «فَرُوقِ»  
 مَرْتَعِ الظُّلَمِ، مَرَبِعِ الظُّلَامِ<sup>(٥)</sup>  
 حَيْثُ يَقْضِي الحَيَاةَ فِيهَا «ضِيَاءُ»  
 بَيْنَ عُودِ وَقَيْنَةٍ وَغِلَامِ<sup>(٦)</sup>  
 حَيْثُ يَشْقَى الحُرُّ الأَبْيُّ، ولا يَنْدُ  
 عُمٌ إِلَّا زَعَّانُفُ الأَقْـوَامِ

قُلْ لِمَن أَرْقُوا الْعِبَادَ وَنَامُوا:  
إِنَّا سَاهِرُونَ غَيْرُ نِيَامٍ  
نَحْنُ لَا نَمُقْتُ الْحُكُومَةَ، لَكِن  
نَمُقْتُ الْمُسْتَبِيدَ بِالْأَحْكَامِ  
إِنَّ دِينَ «الإسلام» يَبْرَأُ مِنْكُمْ  
أَيُّهَا الْعَابِثُونَ بِـ«الإسلام»  
قَدْ سَلَبْتُمْ مَالَ الرِّعَايَا وَكِدْتُمْ  
تَسْلُبُونَ الْعَيُونَ طَيِّفَ الْمَنَامِ  
كُشِفَ الْخَيْرُ عَنْكُمْ، فَإِذَا أَنْ  
تُمْ لَصُوصُ فِي صُورَةِ الْحَكَامِ

\*\*\*\*

---

(١) المجلة التي كان يصدرها عبد المسيح حداد، وأصبحت تنطق بلسان الرابطة القلمية.

(٢) الشَّنَب: برودة وعذوبة في الأسنان.

(٣) الحُور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

## ١٥ - إلى شاعر «السائح»<sup>(١)</sup>

[المتدارك]

بالقَدِّ الأَهْيَفِ، بالنَّهْدِ  
بالثَغْرِ الأَشْنَبِ<sup>(٢)</sup>، بالخدِّ  
بالمَفْرِقِ، بالشَّعْرِ الجُعْدِ  
بعيونِ الحُورِ<sup>(٣)</sup> السَّحَّارِهُ

ما شدُّ القَيْنَةُ في السَّحَرِ  
وهُتَافِ الطَّيْرِ على الشَّجَرِ  
في الفَجْرِ، ورَنَاتِ الوَتَرِ  
أحلى من صوتِ النِّقَّارِهُ

ذو البلوى يعشقُ ذا البلوى  
فانشُدْ، فغنَّأُك لي سلوى  
لوعطي الشاعرُ ما يهوى  
لتمنَّيْ تُنشِدُ أشعارهُ

أفديك بروحي، يا صاحِ،  
وبكلِّ هَـزارٍ صدَّاحِ  
فلأنتَ حَيَاةُ الأرواحِ  
فانشدْ للمزهرِ أوتارهُ

ضع كفَّكَ، يا ذا، في كفِّي



فَكِلَانَا يَبْحَثُ عَنْ إِلْفٍ  
حَالُوا الْأَخْلَاقِ، أَخِي لَطْفٍ  
مَا بَدَّلَ شَيْءٍ أَطْوَارَهُ

كَمْ تَشْكُو هَمَّكَ لِلنَّاسِ  
وَبِلَاؤُكَ مِنْهُمْ، يَا نَاسٍ  
كَنْ قَاسِي الْقَلْبِ عَلَى الْقَاسِي  
فَالْحَازِمُ يُخْفِي أَسْرَارَهُ

صُنْ دَمْعَكَ عَنْهُمْ فِي الطَّرْفِ  
لَا تُغْزِ الْقُوَّةُ بِالْخُفِّ  
مَا تَرْجُو، يَا رَبَّ الدُّفِّ،  
مِنْ شَعْبٍ يَكْرَهُ أَحْرَارَهُ

قَدْ شِئْتَ وَشِئْتَ بِهِ الْيُسْرَا  
وَأَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْعُسْرَا  
فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْنِيَ الْوِزْرَا  
وَعَلَيْنَا أَنْ نَجْنِيَ عَارَهُ

يَا مَلَكَ بَيْنَ شَيَاطِينِ  
صَرَّحَ بِالْحَقِّ الْمَكْنُونِ  
لَا تَرْهَبْ لَوُؤْمَةِ مَأْفُونِ  
ثَرثارٍ يَخْدُمُ ثَرثارَهُ

قَدْ أَنْ بَانَ يَبْدُو النُّورُ

وَيَبِينُ الْحَقَّ الْمُسْتَوْرُ  
فَلْيَخْرُسْ ذَاكَ الْمَاجُورُ  
مَنْ قَبْلَ نُمَزَّقِ أُسْتَارِهِ

مَا شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ كَانَا  
لَا تَبْغِي الْمَلَّةُ شَيْطَانَا  
الْمَلَّةُ تَطْلُبُ مَطْرَانَا  
لَا يُوْذِي الْجَارَ وَلَا الْجَارُهُ

مَطْرَانَا تَعْرِفُهُ الْأُمَّةُ  
مَطْرَانَا يُخْلِصُ فِي الْخِدْمَةِ  
مَطْرَانَا لَمْ يَحْصِرْ هَمَّهُ  
فِي جَمْعِ الدَّرْهِمِ وَالْبَبَارِهِ

مَطْرَانَا تُغْمَضُ عَيْنَاهُ  
إِلَّا عَنْ خِدْمَةِ مَوْلَاهُ  
يَعْصِي الْخَضْلِيلَ وَدُنْيَاهُ  
وَيُحِبُّ الْعِلْمَ وَأَنْصَارَهُ

يَا شَعْبًا بَاتَ بِلَا أَمَلٍ  
إِنْ ضَاقَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ سَلِ  
كَمْ ذَنْبٍ فِي ثُوبِ الْحَمَلِ  
قَدْ سَنَّ لِقَتِكَ أَظْفَارَهُ!

---

(١) الصنارة: رأس المغزل (في الأصل).

فَارْعَبُ بِالصَّبْرِ عَنِ الْيَاسِ  
وَاحْذِرْ نَزْعَاتِ الْخَنَاسِ  
وَوَسَّاسِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ  
فَوَرَاءِ الطُّعْمِ الصَّنَارُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) الْجُعَلُ: دويبة سوداء.  
(٢) الْغَسَقُ: أول ظلمة الليل.

## ١٦ - انقر يا دف على الطارة

[المتدارك]

بالحق، بأحرار البلاد  
ما دام يراعي طوعَ يدي  
وفؤادي يخفُّ في جسدي  
لا أنصر إلا أنصاره

يا قومي، قد طفح الكيلُ  
وتعالى للقيم السيلُ  
وتنكر للصبح الليلُ  
واستأسد جُعلان<sup>(١)</sup> الحاره

فَدَعُوا « أيارَ » وأطياره  
والخميرَ وربَّ الخُمارة  
ولينفخ كلُّ مزمارة  
لِنَشْنِ على الجهل الغارة

ونقاتل بالصبح الغسق<sup>(٢)</sup>  
ونسد على الشرَّ الطُّرقا  
ونضايقه كي يَخْتَنِقَا

---

(١) الشُّفْر: واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان تثبت عليها الهدب.

(٢) الجبل.

(٣) نهر في أمريكا.

وتــــفكُ يــــداهُ أزراره

ما أثقلَ ذِيكَ الضَّيْفَا  
أرأيتمْ «كانونا» صيفاً؟  
لا حلَّ على طَرْفي طَيِّفا  
أخشى أن يسلبَ أشْفاره<sup>(١)</sup>

إنْ مرَّ على حُسْنِ شأنه  
أو طَوْدٍ<sup>(٢)</sup> زعزعَ أركانَه  
أو قـصـرٍ روعَ سـكـانَه  
أو روضٍ أذبلَ أزهاره

لو تدري الأرضُ به انقلبَتْ  
أو تدري الشمسُ به احتجبتْ  
ومياه «الهدسُن»<sup>(٣)</sup> لاضطربتْ  
والليل لَسَاقَطَ أقماره

تمساحٌ يخطُرُ في حُلّه  
شَرُفي القلبِ مِنَ العلّه  
ظُلُّ الطَّاعونِ ولا ظِلّه  
لا جاور إلا سُمُسهاره

يا هذا، أولى بك السُّفَرُ

---

(١) المِرْقَم: القلم. وانصلت القلم: مضى وسبق.  
(٢) الدمنة: آثار الناس وما سَوَدُوا. والجمع: دِمَن.

في ليلٍ ليس به قمرٌ  
أوفاسكتُ يحمذك البشرُ  
وتُصالحُ جارتها الجارةُ

صمتاً، أو ينطقُ من سكتنا  
فَوحقَّ الشَّعرُ إذا رمتنا  
كَفاهُ، ومِرْقَمُهُ انصَلَّتْنا<sup>(١)</sup>  
هيهات يُفيدُكَ ثرثارهُ

يا حاملَ مَكروبِ الفِتنِ  
قد طال وقوفُكَ في الدِّمَنِ<sup>(٢)</sup>  
لا تُلقِ الأُمّةَ في المِحنِ  
يكفيكَ الشاعِرُ إنذارهُ

\*\*\*\*

---

(١) عبدالمسيح حداد صاحب مجلة (السائح)، وزميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) وكان من المقرّبين إليه قبل أن تسوء العلاقة بينهما.

(٢) طالب رُقْد.

(٣) لعلها: «العضب» وهو السيف القاطع.

## ١٧ - وقائلة

[الوافر]

أيا «عبدَ المسيح»<sup>(١)</sup> عليك مني  
سلامٌ كلُّما ذُكِرَ المسيحُ  
حَبَبْتُكَ لا لأنك ربٌّ وفَرٌّ  
تجودُ به، ولا أنا مُستَمِيعُ<sup>(٢)</sup>  
ولا أنا من يَسِيرُ به هواهُ  
ويَخْفُقُ كلُّما هزَّتْهُ ريحُ  
ولكن شاقني الأدبُ المَصْفَى  
وتَيَمَّنِي بكَ الصدقُ الصَّريحُ  
وأنتُ والوفاءُ على اتصالٍ  
وبينك والرياءُ مدى فسحٍ  
ومنْ عجبٍ، ولم أَصْحَبْكَ عمري  
أحسُّ كأننا جسدٌ وروحُ  
لكَ القلمُ الذي ما اهتزَّ إلا  
تَهَيَّبَ سَطْوَهُ القصبُ الصَّفِيعُ<sup>(٣)</sup>  
لئن أُمسيتَ من قومٍ بغيضاً  
فمكروهٌ من الجَرَبِ الصَّحِيعُ  
وإنَّ الشَّمْسَ، وهي أحبُّ شَيْءٍ  
يَذُمُّ ضياءَها الجفنُ القَرِيعُ  
وهذا المِلحُ يَدْخُلُ كلَّ جوفٍ  
ويخشى مسَّهُ العضوُ الجَرِيعُ  
وكَمْ في الناسِ من مُتْرِكٍ كبيرٍ

ولكن ليس كالسَّمَحِ الشَّحِيحِ  
وقائِلَة: أعاد غرابُ نوحٍ؟  
نعم، عاد الغرابُ، فأين نوحُ؟  
غرابُ ريشه سُرِقَ وخُزَّ  
وصوتُ النّاعقاتِ به فحيح  
ينوحُ على الصُّروحِ وساكنيها  
وما ماتوا، ولا خَلَّتِ الصُّروحُ  
ولكن في الغرابِ النُّوحُ طبعُ  
وأَيُّ غرابٍ سُوءٍ لا ينوحُ؟  
قبيحٌ أن يَذَمَّ الحُسَنَ فينا  
قبيحٌ كلُّ ما فيه قبيحُ  
وأقبح أن يظلَّ اليومَ حيًّا  
ويحوي البلبَلُ الغرِدَ الضَّرِيحُ  
دخيلٌ لو حواه الخُلْدُ أَمْسَى  
جحيماً ليس فيه مُستريحُ  
أتى، لم يدعُه أحدٌ إلينا  
أيا هذا الثَّقِيلَ، متى تروحُ؟  
قد اشتاقَ الذين نزحتَ عنهم  
وملَّ مُقامَكَ القومُ النُّزوحُ  
أهمُّ بأن أحدثَ عنه قومي  
ويُمسِكُنِي الإِبَاءُ فلا أبوحُ  
فأقنعُ بالأشائرَ، وهي نَزْرُ  
لأن القومَ أكثرهمُ فصيحُ  
وإن وراءَها وراءَ صممتي



سَهَاماً لَا تُمَيِّتُ وَلَا تُرِيحُ  
وَصِيحَاتٍ تَزْعَزَعُ كُلُّ طَوْدٍ  
وَتُنْكِرُ بَعْدَهَا الضَّيْفَ الْمُسْوَحَ

\*\*\*\*

---

(١) عَمَدٌ: جمع العمود.  
(٢) قَوْمٌ حِلَّةٌ: حلوا في مكان ونزلوا فيه (المحَلَّة).  
(٣) الرُّذُلُ مِنَ الرِّجَالِ.

## ١٨ - يا قومي!

[المتدارك]

إِنَّ الْمُعْتَزَّ بِأَمْوَالِهِ  
مِثْلُ الْمُعْتَزِّ بِأَخْوَالِهِ  
فَخَرُّ الْإِنْسَانِ بِأَعْمَالِهِ  
لَا بِالْدِينَارِ وَلَا الْبَارَةِ

مَا هَذَا الْقِصَّةُ، يَا عَمَدُ؟<sup>(١)</sup>  
أَرْجَالُ يَرَأْسِهِمْ وَلِدُ؟  
لَمْ يَنْظُرْ قَبْلَكُمْ أَحَدُ  
أُسْدًا تَتَصِيدُهَا فَارَهُ!

وَجِبَالًا تَسْحَبُهَا نَمْلُهُ  
وَبِحَارًا تُخْزِنُ فِي سَلَّةِ  
مِثْلًا أَصْبَحَتْ فِي الْحِلَّةِ<sup>(٢)</sup>  
يَتَنَاقَلُهُ أَهْلُ الْحَارَةِ

أَيُّهَا جُمُوحُ كَاهِنِكُمْ نَزْلُ؟  
وَيَسْبُ أَدْيَبُكُمْ فَسَلُ؟<sup>(٣)</sup>  
أَجْمُودُ فَيَكُمُ أَمْ جَهْلُ؟  
أَمْ تَلِكُ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ؟

---

(١) التَّبْ: الهلاك والخسران (تبت يداه).

يا قـومـي، دعوهُ لا واهٍ  
يومَ الهـيـجاءِ ولا لاهٍ  
بالخـالقِ، بل بـابنِ اللـه  
لا تؤذوا اللـهَ وأنصـاره

تب<sup>(١)</sup> الشـيـطانُ وتبـاعـه  
والشـرُّ ونفـسُ تبـتاعـه  
شـجـرُ مـاعـونِ زراعـه  
مَن مـنـكـم يـعـشـقُ أثـمـاره

بل غـرسٌ يـأكـلُ غـارسـه  
ولـبـاسٌ يـجـرحُ لـابـسـه  
ولـهـيـبٌ يـحـرقُ قـابـسـه  
ومـزارٌ يـهـتـكُ زوارة

إن تغـسـلَ بالوـحـلِ الثـوبـا  
يـزدَدُ إثـمـاً، تـزدَدُ عـيـبـا  
إن تـخـضِبَ بالـلـيـلِ الشـيـبـا  
لا تُخـفِ الـلـيـلَ وأقـمـاره

مَن يـطـلُبُ مـن غـرٍ نـصـرا  
كـالمـطـفـئِ بـالزيتِ الجـمـرا  
مَن يـحـضُنُ، يا قـومـي، الـهـراً  
لا يـجـنـي إلا أقـذاره

---

(١) سماء مدرار: تدرّ بالمطر.

(٢) المناطق الأهلة بالناس.

يا قومي، خلوا الأغراضا  
يا قومي، صُونُوا الأعراضا  
وتوقَّوا ذاك العَضاضا  
من قبل يُحْمَأْكُمْ عَارُهُ

أَوْ مَا فِيكُمْ ذُو إِحْسَاسٍ  
يَنْهَاهُ عَنْ شَتْمِ النَّاسِ؟  
أَنْسِيْتُمْ عَامَ الْإِفْلَاسِ؟  
فَنَقُصُّ عَلَيْكُمْ أَخْبَارَهُ

وَنَقِيْمُ الْمَيِّتِ مِنْ لَحْدِهِ  
وَنَسِلُّ الصَّارِمِ مِنْ غِمْدِهِ  
إِنْ عَادَ الْبَحْرُ إِلَى مَدِّهِ  
لَا يَمْسِكُ شَيْءٌ تِيَّارَهُ

وَنَسِيْرَهَا صُحُفًا صُحُفًا  
تَحْكِي الْمِدْرَارَ<sup>(١)</sup> إِذَا وَكَّفَا  
إِنْ نَرَمِ الطُّوْدَ بِهَا رَجَفَا  
أَوْ حَصَنَّا دَكَّتْ أَسْوَارُهُ

فَتَزُورُ الْمَنْزَلَ وَالْقَصْرَا  
وَتَرْوُدُ الْآهْلَ<sup>(٢)</sup> وَالْقَفْرَا  
وَيَطَالِعُهَا سَطْرًا سَطْرًا  
مَنْ لَيْسَ يُطَالِعُ أَسْطَارَهُ

وَيَرْدِّدُهَا أَهْلُ الْأَدَبِ

ويغنيها أهلُ الطربِ  
وتدارُ بها بنتُ العنبِ  
ويحيي الجارُ بها جاره

عندي أسرارٌ لو تُنشرُ  
لتمني صاحبكم يُقبرُ  
كحديثِ الفِسطانِ الأحمرِ!!  
فليحذرْ ذاك الدوارة

ما دامت دارُك من خَشَبٍ  
لا تقذفْ غيرَكَ بالهَبِ  
إن هِجَتَ اللَّيْثَ بلا سَبَبٍ  
لم يَأْمَنْ جِسْمُكَ أَظْفَارُهُ

\*\*\*\*

---

(١) الفَدَمُ: العبيّ الثقيل.

(٢) المَقُول: اللسان.

## ١٩ - يا هذا!

[المتدارك]

خُذْهَا أَبْيَاتاً مشهورةً  
كصُراخِ النفسِ المقهورة  
ودموعِ البكرِ المذعورة  
قد حملها الجاني عاره

يا هذا الضاربُ في الأرضِ  
في غيرِ مُفيدٍ أو فرضِ  
كم يُغضي الشعبُ ولا تُغضي  
إلا لتَحارب أحارهُ

أُففرَّقُ مالُ الإحسانِ  
ما بين فلانٍ وفلانٍ؟  
من فُذِّمَ مَيِّتِ الوجدانِ  
أو غرَّ يجهل مقداره<sup>(١)</sup>

أو أحرقَ من ذي الخُفَّيْنِ  
شريِرَ المِقْوَلِ<sup>(٢)</sup> والعينِ  
لا يعرفُ إلا شخَصين:  
دلالَ الشرِّ وسمساره

---

(١) يبدو أن القصيدة تدور حول مشروع مريب يقوم على جمع أموال الإحسان، وصرفها في إحياء أرض قفراء،

إِنْ تُقْبِلْ هَـزْ شَوَارِبَهُ  
أَوْ تَدْبِرْ هَـزْ حَوَاجِبَهُ  
وَأَدَارْ عَالِيكَ عَقَّارِبَهُ  
وَأَهْلَانِ اللَّهَ وَمَخْتَارَهُ

أَدِمَاءُ قُلُوبِ الْعَمَّالِ  
مَا بَيْنَ نِسَاءٍ وَرَجَالِ  
تُعْطَى لَغَيْبِي بِطَّالِ  
مَا فَارَقَ بَابَ الْخُمَّارَةِ؟<sup>(١)</sup>

عَجِبُ، بَلْ أَعْجَبُ مِنْ عَجَبِ  
أَنْ يَحْمِلَ شَيْخٌ عَقْلَ صَبِي  
وَجَهْلٌ يَفْخَرُ بِالذَّهَبِ  
فَخُرَ الْأَعْمَى بِالنَّظَّارِهِ

مَا هَذَا شَأْنُ الزَّهَّادِ  
مَا هَذَا شَأْنُ الْعُبَّادِ  
أَضْحَكَتِ الرَّاغِبُ وَالْفَاقِدِ  
وَالْجَارَ وَأَبْنَاءَ الْجَارِ

لِلَّهِ، فَوَادُكَ مَا أَقْسَا  
نَنْسَاكَ وَتَأْبَى أَنْ نَنْسَى  
أُرْدُدْ لِلْأَرْمَلَةِ الْفَأْسَا  
وَاتْرِكْ لِلْعَامِلِ دِينَارَهُ

فَالشَّعْبُ أَحَقُّ بِأَمْوَالِهِ

من ذاك الفقْفُور ومن آله  
ومن السلطان وعمّاله  
وذئاب «التُّرك» الغدّاره

أولى بالمال المجموع  
عندي من ذاك «المشروع»  
شعبٌ في الشرق، من الجوع  
قد أوشك يأكل أطمّاره

يا قومي، أرواح البشر  
أولى بالعطف من الحجر  
فسلوا الطواف، أذا السفر  
أن يرفع عنكم أوزاره

يكفيكم بذل الآلاف  
يكفيكم حمل الأضياف  
من كل بغيض أو جاف  
لا يعرف محتاج داره

ذاك المَعْدوم إذا وجدا  
لا يحيا الشعب إذا فقدا  
أنبيع الوالد والولدا

---

(١) البيت من قصيدة لابن زريق البغدادي (من أصحاب الواحدة) ت ٤٢٠ هـ.

(٢) أرض هبّعة: واسعة ومبسوطة.

(٣) المَقُول: اللسان.

(٤) الرِّبْع: الدار، وجمعها: ربوع وأربع.

(٥) أضالعه الأولى أي بما يخفي صدره. (أضالعه الثانية) تضلع من الطعام: ملأ أضلاعه به، وهو ما يعنيه في هذه الفقرة: ما يأكل مما أخذ من الناس.

(٦) حباله القانص: أداة قنصه. والعافي: طالب المعروف، وجمعه: العفاة.



كي نُحيي القفرَ وأشجاره؟

\*\*\*\*

## ٢٠ - ماذا تقول؟

[البسيط]

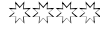
« كَأَنَّمَا هُوَ فِي حَلٍّ وَمُرتَحَلٍ  
مَوَكَّلٌ بِفَضَاءِ اللَّهِ يَذُرُّهُ »<sup>(١)</sup>  
تَخَالُهُ فِي فِجَاجِ الْأَرْضِ مُضْطَرِباً  
فِي قَبْضَةِ الرِّيحِ تَلْوِيهِ وَتَدْفَعُهُ  
كَأَنَّهُ الزَّنْبِقُ الرَّجْرَاجُ مَنْفَلَتٌ  
أَوْ مَهْيَعُ الزَّنْبِقِ الرَّجْرَاجُ مَهْيَعُهُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا يَمُرُّ بِشَخْصٍ لَا يَسْأَلُهُ  
وَلَا يَمُرُّ بِبَابٍ لَيْسَ يَقْرَعُهُ  
وَلَا يَحْرُكُ غَيْرُ الْمَالِ مَقُولَهُ  
وَلَا يَحْرُكُ إِلَّا الشَّرُّ إَصْبَعُهُ<sup>(٣)</sup>  
لَا يَسْأَلُ النَّاسَ عِذْراً عَنْ لَجَاجَتِهِ  
كَأَنَّ أَرْبَعَ هَذَا الْخَلْقِ أَرْبَعُهُ<sup>(٤)</sup>  
لَيْسَ الْبَلَاءُ بِمَا يُخْفِي أَضَالَعَهُ  
لَكِنَّهُ فِي الَّذِي تُخْفِي أَضَالَعُهُ<sup>(٥)</sup>

(١) أَقْضَى الْمُضْجَعِ: خَشِنَ وَنَبَا (الفعل يتعدى ويلزم).

(٢) الْقَطَاةُ: طَائِرٌ كَالْحَمَامِ. وَجَمْعُهُ الْقَطَا.

(٣) الدَّاحِيَةُ: الْأَرْضُ الْمَبْسُوطَةُ.

لو يقنصُ البدرَ أمسى في حبالته  
لكن حمأه من العافي ترفعه<sup>(٦)</sup>  
إني لأغبطُ شخصاً ليس يعرفه  
ولا أهـنّى إلا من يُـودعه



يا جامعَ المالِ ألافاً مؤلفه  
لمن - ولا وارثُ للمال - تجمعه؟  
هل أنت طابخه يوماً فأكله؟  
أم أنت جاعله في الماء تجرعه؟  
أرددُ على العامل المسكين فضته  
فقد أقض على المسكين مضجعه<sup>(١)</sup>  
لا ينفعُ المرءُ ما جادت به يده  
حتى يكون لمحتاجٍ تبرعه  
أليس في الأرض غيرُ القفر تعشفه؟  
وغيرُ صوتِ القطا<sup>(٢)</sup> في القفر تسمعه؟  
أما ترى الشيخ كاد الحزن يقتله؟  
أما ترى الطفلُ كاد الجو يُصرعه؟  
حتّام تُمسك شيئاً لست صاحبه  
وصاحبُ الشيء ما ينفكُ يتبعه؟  
أولى بما بذل الجادون أهلهم  
فكم تخزنُ بما جادوا وتمنعه  
ما البرُّ أن تبتنى داراً بداحية  
لا يُبصرُ المرءُ فيها من يشيعه<sup>(٣)</sup>  
وإنما هو إطعامُ لذي سغبٍ  
الماءُ حلّو على العطشان موقعه

فَجُدْ عَلَيْهِ بِمَا جُدْنَا عَلَيْكَ بِهِ  
يَجْزِيكَ خَيْرًا وَيَرْضَى عَنْكَ مَبْدَعُهُ  
لَا تَجْعَلِ الْمَالَ فَوْقَ الدِّينِ مَرْتَبَةً  
لِلْمَالِ مَوْضِعُهُ، وَالدِّينِ مَوْضِعُهُ  
أُودِعْتَ مَا أُودِعَ الْمَمْلُوكُ فِي يَدِهِ  
فَكُنْ أَمِينًا عَلَى مَا أَنْتَ مُودَعُهُ  
دَعِ التَّصَنُّعَ فِيمَا أَنْتَ قَائِلُهُ  
فَرُبَّمَا فَضَحَ الْجَانِي تَصَنُّعَهُ  
إِنْ كَانَ غَرَّكَ ثَوْبٌ أَنْتَ لَا بَسَّهَ  
فَانْظُرْ إِلَيْكَ مَلِيًّا حِينَ تَخْلَعُهُ  
لَا تَنْصُرِ الْبَغْيَ إِنْ اللَّهُ يَكْرَهُهُ  
جَهَنَّمَ مَرْتَعَ الْبَاغِي وَمَضْجَعُهُ  
مَاذَا تَقُولُ إِذَا جِئْتَ الْإِلَهَ غَدًا  
وَحَبَّرَ النَّاسَ عَمَّا كُنْتَ تَصْنَعُهُ؟

\*\*\*\*

- 
- (١) اختار جورج صيدح من هذا النص المقطعين الأخيرين في (تبر وتراب)، بعد أن أغفل الأبيات الثلاثة الأخيرة من المقطع الأخير، ووضع لهما عنواناً غير عنوان هذا النص (إليك عني). انظر النص رقم ٢٨ في (تبر وتراب). ولم تغفل المقطعين هنا حتى تكتمل صورة النص كما أرادها أبو ماضي، وينتظم السياق فيه.
- (٢) النميقة: الكتاب (نمق الكتاب: يَنْمُقُهُ: كَتَبَهُ وَحَسَّنَهُ وَجَوَّدَهُ).
- (٣) نار إبراهيم الخليل (عليه السلام) التي هي برد وسلام.
- (٤) سقر: جهنم.
- (٥) دياركم: (الرُّبْع: الدار).

---

(١) إشارة إلى المثل المعروف: أصبح أثراً بعد عين.

## ٢١ - إلى شكري أبي صالح<sup>(١)</sup>

[الكامل]

وردتْ نَمِيقَتُكَ الْجَمِيلَةُ وَالصُّورُ  
فَلَكَ الثَّنَاءُ مِنَ الْبَصِيرَةِ وَالْبَصَرِ<sup>(٢)</sup>  
وَعَلَيْكَ مِنِّي أَلْفُ تَحِيَّةٍ  
وَعَلَى الْأَحْبَةِ فِي الْإِقَامَةِ وَالسَّفَرِ  
إِنْ تَحْمِلُوا مِنْ شَوْقِكُمْ وَحَنِينِكُمْ  
نَارَ «الْخَلِيلِ»<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّ فِي قَلْبِي سَقَرًا<sup>(٤)</sup>  
«مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرْنَمَ طَائِرٌ»  
إِلَّا ذَكَرْتُكُمْ، وَمِثْلِي مِنْ ذَكَرٍ  
فَسَلُوا الدُّجَى عَنِّي إِذَا رَقَ الدُّجَى  
عِنْدَ الدُّجَى، عَنِّي وَعَنْ وَجْدِي خَبَرٍ  
وَسَلُوا السَّمَاءَ وَمَا بِهَا مِنْ أَنْجُمٍ  
وَسَلُوا الْغَمَائِمَ وَالنِّسَائِمَ، وَالشَّجَرِ  
وَسَلُوا الْحَمَائِمَ حِينَ تَشْدُو فِي الضَّحَى  
فَأَنَا الَّذِي عَلَّمْتَهَا تِلْكَ السُّورِ  
أَشْتَاقُكُمْ، وَأَحَبُّ مَنْ يَشْتَاقُكُمْ  
وَأَحَبُّ أَرْبُعَكُمْ<sup>(٥)</sup> وَمَنْ فِيهَا اسْتَقَرُّ  
تَاللهِ لَمْ يَشْغَلْ فَوَادِي شَاغِلٌ

(١) وتر القوس.

(٢) الخود: الحساء.

(٣) استحر الطائر: غرد بسحر، يعني: الدعوة إلى النهوض.

(٤) من يحملون الكشكول ويسألون الناس. والنور: (في الأصل) جيل من الناس، دأبهم الترحال، لهم لغة خاصة، ويعيشون على الكدية والسرقة.

عنكم ولكن عاقني صرْفُ القدرِ  
لولا الحوادثُ ما قعدتُ عن اللُّقا  
ورضيتُ، بعدَ العينِ منكم، بالأثر<sup>(١)</sup>  
شكري! وقد عَبَثْتُ بنا أيدي النُّوى  
صبراً فإنَّ اللهَ يَجْزِي من صَبَر  
يُغْنِيكَ صَوْتُ العودِ عن جَسِّ الوترِ  
فاعذرْ أخاك فإنَّ مثلكَ مَنْ عذر



كم تستثير بي الصَّبَابَةَ والهوى  
عني إليك، فإنَّ قلبي من حَجَر  
ما لي وللحسناءِ أُغْري مُهْجَتِي  
بوصالِها والشَّيْبُ قد وَخَطَ الشَّعْرَ  
في الشَّيْبِ مَتَّعَظٌ وفيه مَزْدَجَرُ  
وبما مضى عِظَةٌ وفي الآتي عِبَرُ  
كم بـ «الجزيرة» لو يُتَّاحَ لي الهوى  
من غادةٍ تحكي بطلعتِها القمر  
مثل الغزالِ إذا رنا، مثل القَضِي  
حبٍ إذا انثنى، مثل الصِّباحِ إذا سَفَرُ  
وبـ «سنسناتي» من مسارحِ اللَّمَّها  
من صنعةِ الرحمنِ لا صنعِ البشرِ  
ولكم بها من جدولٍ وحديقةٍ  
تُنْسِيكَ هاتيكِ الخُمائلَ والنَّهْرَ  
فيها اللواتي إن رمتُ ألحاظُها

---

(١) زمّله: لَفَّه في ثوبه. في الكلام إشارة إلى الآية الكريمة: «يا أيها المزمّل».

شَلَّتْ يَدَ الرامي، وقَطَّعَتِ الوتر<sup>(١)</sup>  
قد كان لي في كلِّ خَوْدٍ مَطْمَعٌ  
ولكل رائعة المحاسنِ بي وطَر<sup>(٢)</sup>  
أيام شَعْرِي كالدَّجَى مُحَلَّوْكَ  
أيامَ عيشي لا يخالِطُه كَدَر



ذرني وأشجاني وجسمي والضنَى  
ويدي وأقلامي وطَرْفي والسهرُ  
أَبَيْتُ أَلْهُو والهمومُ تُحِيطُ بي؟  
وأنام عن قومي وقومي في خطر؟  
صوتُ المصَفِّقِ موعِدُ ما بيننا  
ماذا أقول لهم إذا الدَّيْكَ اسْتَحَرَّ؟<sup>(٣)</sup>  
أَقَسَمْتُ بِاللَّهِ العَظِيمِ ثَلَاثَةً  
لَتُمَزَّقَنَّ يَدِي كَشَاكِيلِ النُّورِ<sup>(٤)</sup>  
من كلِّ أحمقَ بيننا متَجَوِّلٍ  
إن غاب غاب الهمُّ أو يَحْضُرُ حَضر  
لا أنثني، لا أنثني، لا أنثني،  
حتى يفوزَ العاملون على البقر



## ٢٢ - و...

[البسيط]

وزاهدٍ همُّه في المدح يسمعه  
من كلِّ من همُّه أن يخلُق الكذبا  
يُعلم الناسَ ألا يعبدوا أحداً  
إلا الإله، ويمسي يعبد الذهبا  
وأنَّ يجودوا بما تحوي خزائنهم  
ولا يجودُ بدينارٍ لمن نُكِبَا  
ضيفٌ يتيه على المُثري وصاحبه  
كما يتيه على المغلوب من غلبا  
ذنبُ المُقِلِّ لديه غيرُ مغتفرٍ  
ومكثُر البذل يقضي بعضَ ما وجبا!  
كأنه دائنٌ طالَ المطالُ به  
كأنه يهبُ الإنسانَ ما وهبا  
يا ذا المزمِّل إنَّ الدين والنشبا  
ضدانَ ما اتفقا يوماً ولا اصطحبا<sup>(١)</sup>  
إن كنتَ من يبتغي الدنيا ويطلبها  
فارغبْ عن الدين واطرحْ ذلك اللُّقبا  
احفظْ لنفسك بين الناس حُرمتها  
من يكسب الذمَّ في مالٍ فما كسبا  
لا تنفخ النارَ، لا تدفع سِواك لها  
إنني لأُشفق أن تغدو لها حطباً





ما إن رأيتُ كقومي في سَماحتهمْ  
كالغيثِ يَسْقونَ حتى الموضعَ الخَرِبِ  
لو كان للذئب أن يَغشى منازلَهُمْ  
ما عاد إلا وفي فكيه ما طَلَبَا  
ضعفُ يُسميه من يُمنى به: «كُرمًا»  
كما يسمى الخُمَارُ المُحتَسِي «طَرِبَا»  
هذا الذي أوجد الكسلانَ بينهمْ  
وأوجد اللهوَ للكسلانِ واللَّعِبَا



وجاهلٍ يدَّعي عِلْمًا ومعرفةً  
شرُّ البلياتِ غِرٌّ يدَّعي الأدبَا  
إذا يساقُ إليه «العُرف» نَكْرُهُ  
وإن رأى «الخفض» في أحواله نَصَبَا  
من «الأعارب» إلا أن منطَقَهُ  
مما يَبْغُضُ فيه «العُجم» و«العَرَبَا»  
أمسى يُشَبَّه من يَحْكِي بسيرته  
«يهودا»، بالذي من أجَلنا صُلْبَا  
لو كان يعرف رأيَ العارفين به  
لراح يُنكرُ ما أُملي وما كُتِبَا



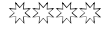
وسافلٍ في حضيض الأرض ملتصِقٍ  
يحوك من أعظم المَوْتَى له نَسَبَا

(١) هو الحدس: الظن والتخمين. (٢) الغلس: أول ظلمة الليل.

(٣) العالم بالأمور، الحاذق بالطب (ومثله: نطيس ونطاسي).

(٤) اللعس: امتلاء مستحسن في باطن الشفة، لامتلائها بالدم.

في كلِّ يومٍ له دينٌ يُدِلُّ به  
ساء المُتاجرُ بالأديان مُنْقَلِبا



وأبْلَهَ سائِرَ مع كلِّ ذي أربٍ  
سَيَرَ الدُّلُولَ، ولا تدري له أربا  
لم يَضْحَكِ الناسُ لو أَمسى له ذَنْبٌ  
لذاك لم يَخْلُقِ المولى له ذَنْبا!



قد أكثر الدهرُ في عيني عجائبه  
حتى غدا عَجَباً ألا أرى عَجَباً  
مَنْ عاشَرَ الناسَ لم يَأْمَنْ دَسائِسَهُمْ  
فاخترُ لنفسك من غير الورى صَحْباً



---

(١) عجز البيت من قصيدة ابن سينا (العينية) المعروفة. ساقه في تحية ضيف نيويورك راعي الطائفة الأرثوذكسية في كندا، الذي تولى حفلة (التعميد).  
(٢) نزع: اشتاق (نزوعاً).  
(٣) الشهاب الثاقب: المضيء.

## ٢٣ - ما كان أحوجني

[البسيط]

ما كان أحوجني يوماً إلى لقَبٍ  
يقاتلُ الشكَّ عني في ذوي الحدسِ<sup>(١)</sup>  
وطيَّاسانٍ به نقشٌ وزرْكشةٌ  
وصولجانٍ كرمحِ الفارسِ الشُّكسِ  
إنَّ لصدَّقني من لا يصدَّقني  
ولو جعلتُ الضحى جزءاً من الغلسِ<sup>(٢)</sup>  
وودَّ من كنتُ قبلَ اليومِ خادمه  
لو أنه خادمي، أو أنه فرسي  
فإنَّ مشييتُ رأيتُ الغيدَ شاخصةً  
ومن هنا وهناك الناس كالحرَسِ  
وإن تكلمتُ قالوا: ليس ذا بشراً  
وإنما هو وحي الروح ذي القدُسِ  
فهانَ عندهمُ بذلُ النفائسِ لي  
إن كان في بذلها إدراكٌ مُلتَمسي  
وأيدوا كلَّ مشروعٍ يؤيِّدني  
فيهم، وإن كان مشروعاً بلا أسُسِ  
وباتَ لثمٌ يدي في عُرْفِ بعضهم  
أشفى له من دواءِ العالمِ النُّطسِ<sup>(٣)</sup>  
يحنو فيملؤها تمرّاً، وظاهرها  
لثماً، كتقبيل ذي وجدٍ لذي لَعسِ<sup>(٤)</sup>  
وقد يكون كلامي بالياً خَلَقاً  
لا روح فيه، وكَفِّي كَفَّ مُخْتَلِسِ  
لو كان ذلك لي، أو كنتُ صاحبه  
ما احتجتُ يوماً إلى سيفٍ ولا تُرسِ

(١) اللوى: منقطع الرمل وادٍ بعينه يتردد ذكره في الشعر القديم.

## ٢٥ - النكبة في سوريا

[السريع]

للهِ ما أحلّى، وما أجَمَلَا  
أنْ تنصرَ المسكينَ ذاتُ الحلّى<sup>(١)</sup>!  
إنّ التي تَقْتُلُ أجفانُها  
أبتُ على البائسِ أنْ يُقْتَلَ<sup>(٢)</sup>  
فأقبلتُ تبذلُ أموالَها  
وتسألُ المُثريَ أنْ يَبْذُلَا  
في اللهِ مسعَاها وإحسانَها  
فهكذا الغَيدُ وإلا فلا

\*\*\*\*

---

(١) و الحلّى: الجمعه: الحلّى. والأبيات في الثناء على السيدات السوريات اللواتي خرجن إلى شوارع نيويورك لجمع الإعانات لإغاثة الجائعين المنكوبين بالوباء في سورية.

(٢) أجفانها: يريد العيون.

## ٢٦ - انقريا دَفَّ على الطَّارَة

[المتدارك]

قد عاد النَّقْرُ على الطَّارَة  
والشَّاعِرُ حَرَّكَ أوتارَه<sup>(١)</sup>  
لِيُعِينَ الحَقَّ وَأَنْصَارَه  
الْأَخْذَ مَالِ المحتَاجِ

يا سَيِّدَنَا رَبَّ التَّاجِ  
ما أَحْلَى الحَقَّ وَأَنْصَارَه !  
لا تَلْعَبْ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ  
وَتَوَقَّ الْبَحْرَ وَتِيَارَه

أَوَ لَيْسَتْ نَفْسُ الْمُسْكِينِ  
أَوْلَى بِالْمَالِ مِنَ الْعَيْنِ؟<sup>(٢)</sup>  
أَوَ لَيْسَتْ قَاعِدَةُ الدِّينِ  
أَنْ يَعْطِيَ ذُو النُّعْمِ جَارَه ؟

إِنْ كُنْتَ حَقِيقاً تُرْكِيّاً  
فَبِرِّكَ صَرِّحْ رَسْمِيّاً

---

(١) كان المهجريون يتناشدونها وأمثالها في سهراتهم.

(٢) يريد الحسنات واسعات الأعين (عيناء).

أَذِعِ المَكْتُومَ المَخْفِيَّ  
وَأَزْحِ عَنْ وَجْهِكَ أَسْتَارَهُ

لَوْ يَلْقَى صَخْرٌ مَا تَلْقَى  
مِنْ وَخْزِ يَرَاعٍ لَأَنْشَقَّا  
لَا تَغْضِبْ إِنَّ قَلْبَنَا الْحَقَّا  
وَذَمُّنَا الْجَهْلَ وَأَضْرَارَهُ

إِنْ كَانَتْ وَخَزَاتُ الدَّاعِي  
لَمْ تُدْمِجْ لَدَى الطَّمَّاعِ<sup>(١)</sup>  
فَتَنَكَّبْ، يَا هَذَا الرَّاعِي  
نَارَ الْحِدَادِ وَمِسْمَارَهُ

\*\*\*\*

---

(١) الذي هو القاتل نفسه (الشاعر).

## ٢٧ - توديع أمين الريحاني<sup>(١)</sup>

[الكامل]

كم ذا يلوُمُ على الهوى المُتَشَدِّقُ  
غيرُ الغرامِ يَجُوزُ فيه المَنَطَقُ  
وإلى متى يُلحى الحبُّ على الهوى  
وأحقُّ باللوَمِ الذي لا يَعشَقُ ؟  
يا صاحبي! هو ذا الغرامُ، مريضُهُ  
لا يُرْتَجَى، وأسيرُهُ لا يُعْتَقُ  
لي مهجَةٌ تأبى الرضوخَ لأمْرٍ  
رضَخْتُ له، وهو المليك المَطْلَقُ  
ضحكُ الألى جهلوا الغرامَ وبطشه  
لَمَّا رأوني في دموعي أَغْرَقُ  
ماذا على اللاحين ؟ لا أجفانُهُمُ  
سَكْرَى، ولا أحشاؤُهُمُ تَمَزَّقُ  
ما شارك العشاقَ في آلامهم  
إلا عليمٌ بالهوى أو شقيقٌ  
يهوى أخو البلوى أخا البلوى، كما  
يهوى الوريق<sup>(٢)</sup> من الغصون المُوْرِقِ  
إنَّ عَنَفَ الخالي الشَّجِيِّ فربما  
لام الذكيُّ على الذكاء الأحمق

(١) في مناسبة سفره إلى فرنسا (١٩١٦).

(٢) الغصن الوريق: الأخضر المكتسي بالورق. وأورق الشجر - يورق: اكتسى بالورق.





لا تحسبوا هذا المشعشعَ خمرةً  
هذي نفوسُ ذوي الهوى تَتَرَفَّقُ<sup>(١)</sup>  
لم تكتسبْ لونَ العقيقِ كؤوسُها  
لو لم تكن من مُهجّتي تتدفق  
فإذا انصرفتُ عن الرّحيقِ فإنني  
أخشى تُذكّرني الحبيبَ فأشْرِقُ<sup>(٢)</sup>  
وإذا بكَيتُ من الفراقِ ووقعه  
لا تعجبوا، هذا عدويّ الأزرق



ما بال نفسي عندما أزف النوى  
فرقتُ<sup>(٣)</sup> وكنتُ أظنُّها لا تَفَرِّقُ  
بل ما لقلبي خافقاً في أضلعي  
أمن السرور أم الكآبة يخفق ؟  
إني أرى حول «الأمين» صحابةً  
كالنيرّاتِ وجوههم تتألق  
فأكاد من فرحي بأنصار الحجا  
وذوي المروءة والوفاء أصفق  
فإذا ذكرتُ غداً وقُربَ مجيئه  
ضغط الأسي نفسي فكادت تُزهق  
في ذمةِ الله الكريم وحفظه  
رجلٌ يباهي الغربَ فيه المشرقُ

(١) المشعشع: غير الكثيف من الشراب والظلال.

(٢) في التقدير: «أن تذكرني..» والشرق: الغصّة (شرق - بشرق).

(٣) خافت (الفرق).

هذا الذي إن قيل ذا رجل النُّهى  
 لا يزدهي عُجْباً ولا يتَفَيِّهُقُ<sup>(١)</sup>  
 دلّ العيونَ عليه صدقُ مقالهِ  
 ولكم يدلّ على النفوسِ المنطقِ  
 ما زال يَسْتَنْدِي الأكفَّ لذي الطَّوى  
 حتى لكادَ بنفسِهِ يَتَصَدَّقُ<sup>(٢)</sup>  
 هو زهرةٌ يحيي النفوسَ أريجُها  
 هو كوكبٌ أنواره لا تُمَحَقُ  
 شَتَمَ المقصرُ عنه كلَّ مبرزٍ  
 لما رآه غبارُهُ لا يُلْحَقُ  
 لم يدِرْ أن البدرَ يُعرَفُ في الدجى  
 والعودُ يَظهرُ طيبُهُ إذ يُحرقُ  
 يا صاحبي! وأخو العلاء مُحَسَّدُ  
 ولأنتَ أعرفُ بالأمورِ وأصدَقُ  
 ما من يكرسُ للبلادِ يَراعهُ  
 مِثْلُ الذي بيَراعهِ يَسْتَرْزِقُ  
 سامحُ عِداتِكَ واغتفرْ زَلَّاتِهِم  
 فالصفحُ أجدرُ بالكَريمِ وأخلقُ  
 ما أنتَ أولُ عِبقريِّ نابغٍ  
 كادَ الطُّغَامُ له ففازَ وأخَفَّقُوا



يا قاصدَ البلدِ البعيدِ، ترفُّقاً  
 ما دام هذا الدهرُ لا يَتَرَفَّقُ

(١) المتكبر، المتوسع في الكلام.  
 (٢) استندى الأكف: استعطاها (الندى: الكرم والعطاء).

إِنْ كَانَ بَعْضُ الْوُدِّ يُخْلَقُهُ<sup>(١)</sup> النَّوَى  
وَيَبْتُ<sup>(٢)</sup>، فَوَدَّ أَنْ لَا يَخْلُقَ  
فَإِذَا رَأَيْتَ الْبَحْرَ يَعْلُو مَوْجَهُ  
فَاعْلَمْ بِأَنْ دُمُوعَنَا تَتَدَفَّقُ  
وَإِذَا رَأَيْتَ النَّجْمَ يَنْظُرُ سَاهِيًا  
فَاعْلَمْ بِأَنْ فِي النُّجُومِ نُحْدَقُ  
وَإِذَا سَمِعْتَ الطَّيْرَ تَهْتِفُ فِي الضُّحَى  
فَاعْلَمْ بِأَنْ قُلُوبَنَا تَتَشَوَّقُ  
إِنَّا سَنَحْفَظُ لَكَ «أَمِينَ» وَلَاءَهُ  
مَهْمَا أَثَارَ الْمَفْسِدُونَ وَأَقْلَقُوا  
وَإِذَا الْجَسُومُ عَنِ الْجَسُومِ تَفَرَّقَتْ  
فَنَفُوسُ أَهْلِ الْوُدِّ لَا تَتَفَرَّقُ

\*\*\*\*

---

(١) يُبْلِيهِ. (خُلِقَ الثَّوبُ - يَخْلُقُ: بَلَى).

(٢) يَقْطَعُهُ (الْبِتُّ: الْقَطْعُ).

## ٢٨ - إكليل توفيق خوري

[الكامل] و[الوافر]

قد قال «ندرا» واصفاً «مِمَاسَكُمُ»  
فأثار بي شوقاً إلى «المِيماس»<sup>(١)</sup>  
ما كنتُ حمصياً، ولكني فتىً  
في سرٍّ «حمص» الآن أشربُ كاسي<sup>(٢)</sup>



أيا ابنَ مدينة «العاصي»<sup>(٣)</sup> الجميله  
تهانئَ شاعرٍ يهوى الفضيله  
وألفاظُ تنمُّ على وفاءٍ  
وإخلاصٍ وإن كانت قليله  
جعلتُ إلى محبتكم دليلي:  
فؤادي، والهوى الصافي دليله  
ملكتمْ مُهْجتي لا بالعوالي  
ولكنْ بالسَّجَّياتِ النبيله<sup>(٤)</sup>  
متى أروي من «العاصي» غليلي ؟  
ويروي كل حمصٍ غليله ؟  
فإني مثلكم أهوى رُبَّها  
كما أهوى نسائِمها العليله

(١) الميماس: من متنزهات حمص المعروفة.

(٢) ارتجل الببتين في بيت صاحب الإكليل في التعقيب على قصيدة ألقاها ندره حداد (وهو في حمص) زميل أبي ماضي في (الرابعة القلمية) والأبيات بعدها ألقيت في الحفلة نفسها.

(٣) الخطاب لتوفيق خوري نفسه (في النص السابق).

فلا يفخرُ على «حمصٍ» قبيلٌ  
بمحتدِه<sup>(١)</sup>، فواحدُكم قبيله  
نفوسُ رجالكم فيها شبابٌ  
وفي شُبَّانكم حزمُ الكُهولة  
لنا ولكَ المسرةُ والتَّهاني  
فقد عاشتُ أمانينا القتيله  
«وأعطِ القوسَ باريها» بيومٍ  
قطفتَ أحبَّ أزهارِ الخميله  
بقيتَ مع «النبِيهة» في صفاءٍ  
ترفُّ عليكما النِّعمُ الجزيله<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

---

(١) المحتد: الأصل.

(٢) النبيهة: اسم العروس.

## ٢٩ - حاملات الطيب<sup>(١)</sup>

[الرمل]

«حاملاتُ الطيب» تشدو طرباً  
بِلِقَاكُمْ، يَا كَرَامُ  
وَتُحْيِي حَبْرَنَا الْمُنْتَخَبَا  
مَنْ لَهُ أَسْمَى مَقَام  
فَانشُرِي عَطْرَكَ، يَا رِيحَ الصَّبَا  
وَتَغْنِ، يَا حَمَامُ  
فَلَقَدْ نَلْنَا الْمُنَى وَالْأَرْبَا  
ووظفـرنا بالمـرام



نَحْمَدُ اللَّهَ الْجَزِيلَ الْمُنَنِّ  
مَنْ نَفَى عَنَّا الْكُورَبُ  
وَحَبَانَا بَعْدَ طَوِيلِ الزَّمَنِ  
بِالرَّئِيسِ الْمُنْتَخَبِ  
ذِي الْمَعَالِي، صَاحِبِ الْقَدْرِ السَّنِيِّ  
خَيْرِ رَاعٍ، خَيْرِ أَبٍ  
عَزَّ فِيهِ الدِّينُ بَعْدَ الْوَهْنِ  
وَعَلَا صَرْحُ الْأَدَبِ



---

(١) نشيد أنشده أعضاء ( جمعية حاملات الطيب ) في الحفلة التي أقامها تكريماً لأسقف (بروكن).

وَلْنَحْيَ بَعْدَ ذَاكَ الْعَلَمَا  
عَلَمَ الْعَدْلِ الْجَمِيلِ  
عِلْمًا فِي ظِلِّهِ الْحَقُّ سَمَا  
فَهُوَ الْحَقُّ كَفِيلِ  
رَافَقَتْ فِيهِ الْخُطُوطُ الْأَنْجَمَا<sup>(١)</sup>  
وَلَهُ ظِلُّ ظِلِّ الْبَيْلِ  
فَلْتَعِشْ «أَمِيرِيكََا» خَيْرَ حِمَى  
أَلْفَ جِيلٍ بَعْدَ جِيلِ

\*\*\*\*

---

(١) عِلْمُ أَمْرِيكََا.

### ٣٠ - ولقد ذكرتك

[الكامل]

ولقد ذكرتك، يا بلادي، بعدما  
ذهبَ الشَّبابُ، ومَرَّتِ الأعوامُ  
فتمتَّلتُ تلكَ الربوعُ لناظري  
خَرَباً<sup>(١)</sup>، عليها وَحْشَةٌ وظَلام  
ورأيت قومي ساقطينَ على التُّرى  
جُثّاً تلوح كأنها أصنام  
يمشي عليها الظالمون بخيلهم  
وينال منها الذئبُ والخِرْغام  
بالأمس كانوا والطيورُ طعامهم  
واليومَ هم للكاسراتِ طعام  
وهنا، نرى إخوانهم، أجفائهم  
مفتوحةً، لكنَّهم نَوَام  
لاهينَ عنهم بالجدالِ كما لها  
بَبَوات<sup>(٢)</sup> «رومة» قبلُ، والأروام  
فبكيتُ، ثم بكيتُ، من فرطِ الأسى  
يا ليت شعري، هل بكى «اللمَّام»؟<sup>(٣)</sup>  
لم يبك، بل أرخى العنانَ لصوته  
يشدو ويرقصُ حولَه الأَقزام  
غنى، وفي تلكَ البلادِ مناحةٌ  
فعلى الجمادِ تحيةٌ وسلام

\*\*\*\*

(١) الخربة: موضع الخراب، والجمع: خرب.

(٢) باباوات، وخُطفت لسلامة الوزن.



## ٣١ - تنصير ابن حنا نحاس

[الوافر]

تكاثرَتِ الكواكبُ والأهْلَةُ  
لذلك غابت الشمسُ المَطْلَةُ  
كواكبٌ لا يُلمُّ بها خسوفٌ  
ولا تُخفي أشعتها الأَكِلَةُ<sup>(١)</sup>  
أُراني بين إخوانٍ وصحبٍ  
بهم ينسى غريبُ الأهلِ أهْلُهُ  
أتينا اليومَ نفرحُ معَ صديقٍ  
جعلنا في جوانحنَا مَحَلَّةً  
يُرجى في الحياةِ كُلُّ حُرٍّ  
لنصرِ فضيلةٍ ولدفعِ عِلَّةٍ  
وحَبْرٍ<sup>(٢)</sup> هام فيه عارفوه  
ولم يُنكرِ عليه الضِدُّ فضله  
به وبمثله في كلِّ نادٍ  
نفاخرُ كلَّ طائفةٍ ومِلَّةٍ  
فما ضرَّ الذي عملتُ يدا  
على تفريقنا لو كان مثله  
أيامَ مولى القلوب، بلا نزاعٍ  
وأكرمَ نازلٍ في ذي المَحَلَّةِ

(١) يبدو أرادها جمعاً (للأكليل) أو (للكتّة) بمعنى الستر، وجمعهما في المعاجم (أكاليل) و(كلل).

(٢) أسقف (بروكلن) جنوبي (نيويورك) الذي تولى عملية التعميد.

لقد خافتُ عليكَ سماءُ «أُزلن»  
فحَاكَتُ من غمائمِها مِظْلَهُ  
و«حنّا» عمّدَ «الفادي» قديماً<sup>(١)</sup>  
وأنتَ اليومَ قد عمّدتَ نجلَهُ

\*\*\*\*

---

(١) أفاد أبو ماضي من اسم أبي الطفل المعمد (حنّا) فذكر معه النبي يحيى (يوحنا) الذي عمّد المسيح (الفادي) في مياه الأردنّ.

## ٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية<sup>(١)</sup>

[الكامل]

إِنَّ الصَّلِيبَ كَانَ أَلَةً نِقْمَةٍ  
أَمْسَى شِعَارَ الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ  
لَا تَعْجَبُوا مِمَّا بِهِ مِنْ حُمْرَةٍ  
هَذَا - وَحَقِّكُمْ - دَمُ الْمَصْلُوبِ  
لَا بَدْعَ أَنْ ظَهَرَتْ عَجَائِبُهُ لَنَا  
فَلَكُمْ أَتَى بِعَجِيبَةٍ وَعَجِيبِ  
هَذَا لَوَاءٍ<sup>(٢)</sup> ضَامِنٌ كَشَفَ الْأَذَى  
عَنْ قَلْبِ كُلِّ مَعَذَّبٍ مِنْكَوَبٍ  
لَمَّا شَهِدْتُ، كَمَا شَهِدْتُمْ، صُنْعَهُ  
طَرِبَ الْفَوَادُ وَكَانَ غَيْرَ طَرُوبِ  
إِنِّي أَحْيِي النَّاهِضَاتِ إِلَى الْعُلَا  
بِاسْمِ الْجَنُودِ، وَبِاسْمِ كُلِّ أَدِيبٍ  
هِنَّ الْكَوَاكِبُ فِي الشَّرُوقِ، وَإِنَّمَا  
هِيَ هَاتِ يُوْذِنُ نَوْرُهَا بِمَغِيبِ  
لَوْ كُلُّ فَاضِلَةٍ تَخَاطَبُ قَوْمَهَا  
قَالَتْ لِكُلِّ لَبِيبَةٍ وَلَبِيبٍ:  
«أَبْنَاءَ «سُورِيَا»، اَحْمِلُوا صَلْبَانَكُمْ  
لِالْخَيْرِ، إِنِّي قَدْ حَمَلْتُ صَلِيبِي!»

\*\*\*\*\*

---

(١) أَلْقَاهَا فِي حَفْلَةٍ أَقَامَتْهَا جَمْعِيَّةُ الصَّلِيبِ الْأَحْمَرِ السُّورِيَّةِ (١٩١٧) وَجَعَلَ رِيْعَهَا لِإِعَانَةِ الْجُنُودِ الْأَمْرِيكِيِّينَ وَالسُّورِيِّينَ.

(٢) يَقْصِدُ: الرَّايَةَ.

### ٣٣ - توديع نعمة تادرس<sup>(١)</sup>

[الكامل]

زمنُ الربيعِ مضى وكنْتُ أحبُّهُ  
فجلستُ بعدَ ذهابه أبكيه  
واليومَ يهجرُنِي حبيبٌ آخرُ  
فكأن ما في القلب لا يكفيه  
اثنان ما للشَّعر بعد نواهما  
معنى يَلوحُ له فَيَسْتَهْوِيهِ  
فصلُ الربيعِ لأنَّه الفصلُ الذي  
يجدُ الفتى كلَّ اللذاتِ فيه  
وأخُ يَسوقُ العُرفَ<sup>(٢)</sup> نحو صديقه  
عفواً، ولا يؤذي الذي يؤذيه  
وإذا يَلوذُ به امرؤُ في نكبةٍ  
فكأنما هو لائذٌ بأخيه  
هذا الذي تأسى القلوبُ لبعدهِ  
عنها، وتَصحبُه لكي تَحْمِيهِ  
ما للكِنَايَةِ والإشارةِ موضعُ  
يا صاحبي أنتَ الذي أعنيه  
شاء الذي خلقَ السَّمَّاحَ وأهلَهُ  
فَبَرَّكَ كي تعلو وكي تُعلِيه

---

(١) تاجر السجاد الشرقي في (نيويورك) الذي أهده أبو ماضي ديوانه الثاني (سماه: الجزء الثاني) وطبعه في نيويورك ١٩١٩ (وهو الذي تبرع لأبي ماضي بتكاليفه).  
(٢) المعروف والجود والإحسان والنصفة وحسن الصحبة.

فإذا يجود ذو النُّضار<sup>(١)</sup> ببعضه  
 جادت يداك بكلِّ ما تحويه  
 لك في القلوب مكانة لو أنَّها  
 كانت لغيرك هزَّ عطف<sup>(٢)</sup> التَّيه  
 كلُّ يودِّع فيك صاحبه الذي  
 بنفسه وبِنفسه يَفديه  
 سيُحبُّك البحرُ الذي تجتازه  
 ويحبُّك البرُّ الذي تطويه  
 ويحبُّك البلدُ الذي تختاره  
 إن كنتَ أو ما كنتَ من أهليه  
 كلُّ المَواطنِ للكَريمِ بلادُه  
 والنَّاسُ منه كلُّهم كذويه  
 سافرَ ترافقَكَ السَّلامَةُ ولتعدَّ  
 باليُمنِ والإقبالِ والتَّنويه  
 لكن برِّكَ لي إليك وصيةُ  
 ليست بأمرٍ، لا، ولا تَنْبيه  
 هي إن تَزُرْ وطناً نَقْدَسُ ذكرَه  
 ونُجِّلُه ونَصُونُه ونَقِيه  
 فانظرُ بأعيننا البلادَ وأهلها  
 ليَرى بك الوطنُ القديمُ بنيه

\*\*\*\*

(١) النضار: الذهب الخالص.

(٢) أحد الجانبين، عن يمين وشمال.

### ٣٤. دار رشيد أيوب<sup>(١)</sup>

[السرير]

كيف تركت الدار، يا صاحبي  
مفتوحة الباب لمن يَطْرُقُ؟  
أليس في هذا الحِمَى سارقٌ؟  
أليس في بيتك ما يُسْرَقُ؟  
أم علم القوم على جهلهم  
أنك ذاك الشَّاعرُ المُفْلِقُ؟<sup>(٢)</sup>  
جميلةً دارك، يا سيدي  
ودربها، والشجر المورق  
لكنها عمياء صماء لا  
عين ولا سمع ولا منطِق  
جئتُ إليها أملاً شيقاً  
وعدتُ منها وأنا أشوق!

\*\*\*\*

---

(١) زار الشاعر داره في ميلفورد (بنسلفانيا) فلم يجد فيها أحداً، ووجد الأبواب مفتحة (١٩٢١) .

(٢) شاعر مُفْلِق: مُجيد، يجيء بالأعاجيب.

### ٣٥ - رثاء المطران أثناسيوس عطا الله<sup>(١)</sup>

[مجزوء الكامل]

زُرْتُ الحديقةَ في الضُّحَى لأرى الغصونَ المورقةَ  
فإذا الطيورُ صوامتُ، وإذا الأزاهرُ مُطرقةَ

وإذا النسِيمُ له أنينٌ كالجريحِ أو الطعِنِ  
ويلاه من ذاك السكوتِ، وأه من هذا الأنينِ

ماذا أصاب الأقحوانَ، فإنه لا يبسمُ  
ماذا دها طير الأراكمة؟ فهو لا يترنمُ!

أيُّ المصائبِ بالرياض؟ فقل لي: نضبَ الغديرُ!  
فالطيرُ والأزهارُ حائرةٌ تفكرُ في المصيرُ

فعرفتُ أني في الحديقة حاضراً في مآتمِ  
وشعرتُ أن الحزنَ يسربُ<sup>(٢)</sup> في عروقي مع دمي

الجنةُ الغناء، يا أبناءَ «حمص»، أنتمُ  
أما الغديرُ فإنه هذا الفقيدُ الأعظمُ

«أثناسيوس»، علّمتنا ووعظتنا حياً وميتاً  
أشرقت إشراقَ الصباح، ومثلما يمضي مضيتنا

---

(١) مطران حمص.

(٢) سرب: مضى وذهب.

اللَّهُ بَارَكَ «حَمَصَ» حِينَ سَكَنْتَ فِي أَرْجَائِهَا  
وَدِيَانَةً قَدْ كُنْتَ فِي دَنِيَاكَ مِنْ رُؤْسَائِهَا

كَمْ مَهْمُهُ<sup>(١)</sup> لِلْيَأْسِ كُنْتَ بِهِ دَلِيلَ التَّائِهِيْنَا  
كَمْ حَوْمَةً لِلْبُؤْسِ كُنْتَ بِهَا مُقِيلَ<sup>(٢)</sup> الْعَاثِرِيْنَا

قَدْ كُنْتَ مَصْبَاحاً إِلَهِيّاً يَضِيءُ لِكُلِّ سَارٍ  
وَقَدْ انْطَفَأَتْ فَكَلَّنا لِلْحَزَنِ يَعْتُرُ فِي النَّهَارِ

عَلِمْتَنَا أَنَّ التَّنَسُّكَ لَيْسَ فِي سُكْنَى السَّبَّاسِ<sup>(٣)</sup>  
بَلْ فِي مَقَارِعَةِ الْخُطُوبِ، وَفِي مَصَارِعَةِ التَّجَارِبِ

لَيْسَ الْفَضِيلَةُ وَالتَّقَى أَلَا يَخُزُّ الْمَرْءُ غَيْرَهُ  
وَيَصُونُ مِنْهُ نَفْسَهُ، بَلْ أَنْ يَسْوَقَ إِلَيْهِ خَيْرُهُ

خَالَفَتْ كُلَّ النَّاسِكِينَ، مِنْ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ  
خُضَّتِ الْمَعَاثِرُ<sup>(٤)</sup> عِنْدَمَا خَافُوا التَّعَرُّضَ لِلْمَعَاثِرِ

قَدْ كَانَ نُسْكُكَ جَرَأَةً عَظْمَى وَنُسْكُهُمْ فَرَاراً  
يَا وَيْحَهُمْ لَمْ يَنْفَعُوا فِي نُسْكِهِمْ حَتَّى الْقِفَارَا

---

(١) المهمة: المفازة البعيدة.

(٢) أقاله من عثرته: أقامه منها.

(٣) السَّبَّاسُ: الأرض القفر البعيدة.

(٤) العثرة: الزلّة. والمعائر: حيث يعثر المرء.



قد كنت تزهد بالجواهر وهي أكوامٌ لديكِ  
وتُسَرُّ إذ تسعى إلى المسكين أو يسعى إليها

ما أحقر التَّيجانَ عندي، إن ذكرتْك، والأرائكُ  
إن الملوكة من الأنعام، وأنت من جنسِ الملائكة

شادوا على الجثث العروشَ وشِدَّتْ عرشك في النفوسِ  
فمضت عروشُهم، وعرشك خالد مثل الشُّموسِ

له كيف حواك لَحْدٌ، أيها البحرُ الكبيرُ  
له كيف خبا سَنَاؤُك، أيها القَبَسُ المُنِيرُ

قد كنت كُلكَ، أيها الراعي الأمينُ، لَكُنَّا  
«أثناسيوس»، نم هانئاً فلکم سهرت لأجلنا

\*\*\*\*

## ٣٦ - جمعية الاتحاد السوري<sup>(١)</sup>

[البسيط]

ما طائرُ كان في قفْرِ على ظمأٍ  
فساقه قدرُ نحو البساتينِ  
فاعتاضَ من لفحاتِ القِيظِ وارفهً  
ممدودةَ الظِّلِ خضراءَ الأفانينِ  
وبات تُنشده فيها بلائها  
حيناً ويُنشدها بعضُ الأحايينِ  
منيّ بأسعدَ نفساً مذُ نزلتُ بكم  
يا معشرَ السادةِ الغُرِّ الميامينِ  
فإن رُوحِي لتمشي من عواطفكم  
مغمورةً بالأقاحي والرياحينِ  
ومقلتي تتمشي، من وجوهكم،  
في أنجمٍ تتجلى لي فتَهديني  
أرنو فيُشرقُ في نفسي جمالكمُ  
كالوحي في خاطرٍ بالوحي مفتون  
إن المروءةَ لو شادتُ أريكتها  
كانت قوائمُها شُمَّ العَرانينِ<sup>(٢)</sup>  
ترقُّ أخلاقكم كالخمَرِ أونهً  
وتارةً تمزجون البأسَ باللينِ

---

(١) أُلقيت في الحفلة التي أقامتها الجمعية لتكريمه (١٩٢٥) بصفته رئيسها السابق. اختار منها جورج صيدح ثلاثة عشر بيتاً في الديوان الذي أصدره من شعر الشاعر (تبروتراپ) : النص ٥٧.

ومن يجربكم في الحالتين يجدُ  
لُطفَ الملائكِ أو حَزَمَ الأساطين<sup>(١)</sup>  
بكمْ أصولٌ على الأيامِ ثائرةٌ  
خطوبُها، وأباهي من يُباهيني  
لأنتم الماءُ لي والنفسُ ظامئةٌ  
وحُبكمْ قمرِي في ليلِ «كانون»  
أحببتُكمْ حباً إنسانٍ لإخوته  
إذ ليس بينكمْ فوقِي ولا دوني  
إن كان فيكمْ ضعيفٌ لا يحاذرني  
أو كان فيكمْ قويٌّ لا يُقاويني  
ولا أُداجي لأمرٍ منكمْ أحداً  
ولا أرى أحداً منكمْ يُداجيني<sup>(٢)</sup>  
نحلتُموني فضلاً لستُ صاحبه  
ولم يكن قطُّ في ظني وتَحْميني  
لكن رأيتمْ خيلاً من فضائلكمْ  
فخِلتمْ أنه خُلقي وتكويني  
والشمسُ إن نظرتُ في الماءِ صورتَها  
رأتُ هنالكَ شمساً ذاتَ تلوين



قُلْ لامرئٍ مثلِ «قارون» بثروته:  
إني امرؤٌ بصحابي فوقَ «قارون»<sup>(٣)</sup>  
من يصطنعُ صاحباً تبقى مودته  
فهو الغنيُّ به لا ذو الملايين

(١) الأساطين: السواري، المفرد: أسطوانة، وهي السارية.

(٢) المداجاة: المدارة.

(٣) من وزراء الفراعنة. يُضرب به المثل في الغنى والغرور، وإليه تنسب البحيرة في الفيوم.

فاخترْ صِحَابَكَ وانظرْ في اختيارِهِمْ  
إلى الغرائزِ قبلَ اللونِ والدينِ



المرءُ في هذه الدنيا عواطفُهُ  
إن تندرُسْ فهو بيتٌ غيرُ مَسْكُونِ  
وإنَّ عاطفَةً هذي مظاهِرُها  
منَ عالمِ الروحِ لا منَ عالمِ الطينِ  
لو فَاتَنِي كُلُّ ما في الأرضِ من ذهبٍ  
ولم تُفُتَّنِي فَإني غيرُ مَغْبُونِ



لو القَوافي تُؤَاتيني شَكَرتُكُمْ  
كما أريدُ، ولكنَّ لا تُؤَاتيني  
فاستنطقُوا القلبَ أو جُسَّوه يخبرُكُمْ<sup>(١)</sup>  
فالحبُّ والقلبُ مَكْنُونٌ بِمَكْنُونِ  
وفي زواياها شِعْرٌ لا وَزانَ له  
ورُبُّ شِعْرٍ جَمِيلٍ غيرِ موزونِ  
إني سأحمدُ يا صاحبي صَنِيعَكُمْ  
حَمْداً إلى الدهرِ لا حَمْداً إلى حينِ



---

(١) وقعت جواباً للطلب، ولكنه ساقها على هذا النحو، حفاظاً على الوزن.

## ٣٧ - نشيد يوسف بك كرم<sup>(١)</sup>

[البسيط]

يا من هزمتَ العِدا في كل مُعْتَرَكٍ  
في مهجتي جيشُ حزنٍ غيرُ منهزمٍ  
لَفُوكَ بِالْعَلَمِ القاني، وما علموا  
أَن التُّقَى والنُّهَى والمجدَ في العَلَمِ  
وغيبوا البطلَ الصَّنديدَ في جدِّ  
وأودعوا في الثُّرى طوداً من الشَّمَمِ  
لا «يوسفُ» آخرُ يَحْمِي مَرايَعَنَا  
مضى الردى بالشجاع الطاهر الشَّيمِ  
ولا فوارسَ حول الأرز رابضةً  
كالأسد في الغاب، كالعقبان<sup>(٢)</sup> في القِمَمِ  
«لبنانُ» بعدك في ليلٍ بلا قمرٍ  
وأرزُ «لبنان» في جوٍّ من الألمِ  
للهِ عهدُك من عهدٍ نَقَّدهُ  
وتَسْتَلِذُّ به الأرواحُ في الحُلُمِ  
لم يبقَ غيرُ خيالاتٍ تطوفُ بنا  
فيا نفوسُ إذا مرَّتْ بكِ ابتسِمي  
يا راقداً في ضريحٍ كلُّهُ شرفٌ

(١) زعيم لبناني تزعم حركة تمرد مسلحة ضد الوالي العثماني. دفن في (اهدن) حيث ولد، بعد أن نفي إلى فرنسا (١٨٢٣ - ١٨٨٩). ابتاعها أحد الموسيقيين (اسكندر المعلوف) ولحنها وسجلها على اسطوانة صارت تباع في الأسواق.

(٢) العقاب: من جوارح الطير (أنثى) وجمعها: عقبان.

قام الأسودُ إلى أسيافهم، فقم  
يا صاحبَ السيفِ، كاد السيفُ يهلكنا  
يا ليثَ «لبنان»! عاثَ الذئبُ بالغنمِ  
أشرفَ بروحك من أوجِ السَّناءِ على  
سهولِ «لبنان» والغاباتِ والأكم<sup>(١)</sup>  
يدعوك للجد «لبنان» وأرزته  
يا ابن الأكارم، هذي ساعةُ الكرمِ

\*\*\*\*

---

(١) الأكمة: التلّ، وجمعها: أكم وأكام.

## ٣٨ - إلى ندره حداد<sup>(١)</sup>

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الْعَيُونَ وَطَالَمَا أُوْدَعْتَ شِعْرَكَ سِحْرَهَا  
حَمَلْتُ عَلَيْكَ فَأَدْرَكْتُكَ، وَأَدْرَكْتُ بِكَ ثَأْرَهَا  
قَدْ كُنْتَ تَخْشَى أَسْرَهَا، فَغَدَوْتَ تَحْمَدُ أَسْرَهَا  
وَإِذَا الْفَتَى عَرَفَ الْهَوَى، عَرَفَ الْحَيَاةَ وَسْرَهَا  
فَأَحْبَبَهَا تَسْقِيهِ حَازِرٌ<sup>(٢)</sup> خَلَّهَا أَوْ خَمَرَهَا  
وَإِذَا رَأَى أَشْوَكَهَا أَغْضَى لِيْلِمَحَ زَهْرَهَا  
وَيَظَلُّ يَرْجُو فَجْرَهَا، وَاللَّيْلُ يَطْمُسُ فَجْرَهَا



قَدَّرُ الْفَتَى فِي حُبِّهِ، فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَدْرَهَا  
«ندره»، صَبَرْتَ عَلَى زَمَانِكَ طَائِعاً لَا مُكْرَهَا  
الْغَيْدُ حَوْلَكَ كَالنَّجُومِ، وَأَنْتَ تَوْثُرُ هَجْرَهَا  
وَلَكِ الشَّبَابُ وَكُلُّ مَا خَدَعَ النُّفُوسَ وَغَرَهَا  
لَا النَّفْسُ زَاهِدَةٌ، وَلَسْتَ كَمَنْ تَكَلَّفَ قَهْرَهَا  
لَكِنْ شُغِلْتَ بِغَادَةٍ تَخَذَتْ قَرِيضَكَ خِدْرَهَا  
مَا زِلْتَ تَنْعَتُهَا وَتَجْهَلُ مِثْلَ غَيْرِكَ أَمْرَهَا  
حَتَّى جَفَّتْ قَصْرَ الْخِيَالِ، وَصَارَ قَلْبُكَ قَصْرَهَا  
فَاشْكُرْ لِدَهْرِكَ جُودَهُ وَاحْمَدُ لِنَفْسِكَ صَبْرَهَا  
وَنَعِمْتُ مَا وَأَمِنْتُ مَا مَدَّ الْحَيَاةَ وَجَزَرَهَا



(١) أرسلها إلى زميله في (الرابطة القلمية) يهنئه فيها بخطبته عام ١٩٢٥. وتلا القصيدة التي بعدها (النص ٣٩) في حفل زواجه.

(٢) الحرز من اللبن: فوق الحامض.

### ٣٩ - في عرس ندره حداد

[مجزوء الخفيف]

شاعرٌ كان حائراً  
أذهبَ الحبُّ حيرتهُ  
طائرٌ كان تائهاً  
وجد الآن جنّته  
صولتهُ الحُسنُ والهوى  
تسلّبُ المرءَ صولتهُ  
إنَّ «نَدْرَةَ» الذي بغى  
أن يُعاصي مشيئتهُ  
أسلمَ اليومَ قلبهُ  
بيديه ومهجته  
لم يكن زاهداً ولا  
جاهلاً قطُّ قوته  
فلكم هدّ قلعةً  
قبل ما هدّ قوته  
بلْ لأمرٍ مـقـدّرٍ  
أخّرَ الدهرُ قُرعتهُ  
يا أسيراً كائنه  
أسرُّ نال بُغيته  
ليس بالعاشقِ امرؤُ  
خافَ في الحبِّ محنته



إِنَّمَا الْحُبُّ ضَالَّةٌ  
لَوْ عَرَفْنَا حَقِيقَتَهُ  
أَنْتَ يَا صَاحِبَ الْبَلِّ  
يَعِشُّ الْكُلُّ نَفْحَتَهُ  
جَدَّدَتْ دَوْلَةُ الْهَوَى  
بِكَ لِلشَّعْرِ دَوْلَتَهُ  
دَمْتَ فِي الْعَيْشِ صَاحِ لَا  
يُخْلَقُ<sup>(١)</sup> الدَّهْرُ جِدَّتَهُ



نَصَبَ الْحُبُّ فُخَّه  
وَهُوَ يَدْرِي قَنِيصَتَهُ  
وَكَمَا صَادَ «نَدْرَةً»  
سَوْفَ يَصْطَادُ إِخْوَتَهُ  
فَ «جَوَاداً» وَ «ثُرِيّاً»  
وَ «خَالِياً» وَ زَمْرَتَهُ  
وَعَدَاً، وَهُوَ مُقْبِلٌ،  
يَعْلَقُ الْكُلَّ عُلْفَتَهُ!

\*\*\*\*

---

(١) أخلق الدهر جدته: أبلاها (خُلِقَ الشيء: بلى).

## ٤٠ - كذا الإله خلقه<sup>(١)</sup>

[مجزوء الرجز]

إلى متى تُضلُّكم  
يا قومُ تلك الورقة؟  
إلام يستجبه لكم  
أجهل من «هَبْنَقَه»؟<sup>(٢)</sup>  
أراقكم مَنْ طَقَّه؟  
وقد عرفتُمْ مَنْ طَقَّه  
أم صَوَّته؟ وصَوَّته  
أحسنُ منه النَقْنَقَه  
أم وجَّهه؟ ولوراً  
هُ القردُ «طاح الحَلَقَه»  
هو الذي طاف عالىً  
كم يستدرُّ الصَّدَقَه  
فما تراءى شبحُ  
منكم إلا لَحَقَه  
وما أصاب مُوصِداً  
في الحي إلا طَرَقَه

---

(١) (جريدة مرآة الغرب ٩ / ١ / ١٩٢٦) ردَّ بها على أبيات ظهرت في جريدة (الهدى) أواخر سنة ١٩٢٥ وأوائل سنة ١٩٢٦ . وعارضها أسعد رستم في أربعين بيتاً (جريدة الهدى ١٥ / ١ / ١٩٢٦) بعنوان: «هل يستحق المشنقة؟» وهو عجز بيت كان أبو ماضي أتى به في أبيات من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ ونقل منها هنا ( على عادته أحياناً ) جملة أبيات ( انظر النص رقم ٨: اليهودي الثاني).  
(٢) يُضرب به المثل في الحمق.

وما رأى مائتة  
إلا أموال عُتْقَه  
أعجبه سَمْنُكُمْ  
فصار مثل العلقه  
يَمْتَصُّ أموالكم  
مصَّ الهجير الزنبقه  
يملاً من جيوبكم  
جيوبه المخرقه  
في كل يوم يبتغي  
ضريبة أو نفقه  
كانكم بعولته  
كانه موطأقه  
بل كما أحسَّ بال  
إملاق أبدي مآقه  
فصور البحر لكم  
وهو أجاج<sup>(١)</sup> «مرقه»  
وصور الأرض على اذ  
تساعها كالبنده  
إن تستحو لا يستحي  
كذا الإله خآقه!

\*\*\*\*

---

(١) شديد الملوحة.

## ٤١ - النار أشْرهُ أَكَل<sup>(١)</sup>

[الطويل]

وَيَا رَبَّ عَاوِظْنِي أَنْ عِوَاءَهُ  
يَقِيهِ - وَلَكِنْ مَا وَقَاهُ - غَوَائِلِي  
يَصِيحُ، وَفَرَطُ الْخَوْفِ يُرْجِفُ رُوحَهُ،  
صِيَاخُ صَفَارِ الطَّيْرِ خَوْفَ الْأَجَادِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَيَبْكِي وَلَمْ تَضْغُطْ عَلَى عُنُقِهِ يَدِي  
فَكَيْفَ إِذَا فَارَتْ عَلَيْهِ مَرَاجِلِي؟  
جَهْلٌ، وَبَعْضُ الْجَهْلِ يُهْلِكُ أَهْلَهُ  
غَبِيٌّ رَأَيْنَا فِيهِ صُورَةَ «بَاقِلِ»<sup>(٣)</sup>  
نَصَحْتُكَ أَلَّا تَجْعَلَ النَّصْلَ مَرْكَبًا  
فَإِنَّ الْمَنَايَا فِي رُكُوبِ الْمَنَاصِلِ  
وَإِنِّي نَارٌ لَيْسَ يَخْبُو سَعِيرُهَا  
فَلَا تَصْطَلِي، فَالنَّارُ أَشْرُهُ أَكَلِ

\*\*\*\*\*

---

(١) ردَّ بها على مقالة ظهرت في جريدة (الهدى) بعنوان (النسناس القول).  
(٢) الأجدل: الصقر.  
(٣) يضرب به المثل في الغباء، في تراثنا.

## ٤٢ - إلى النابح العاوي<sup>(١)</sup>

[البسيط]

يا أيها النابحُ العاوي بلا سببٍ  
أما لِنَفْسِكَ ذودٌ فينْهَهاها؟  
إن كان غرْك أن الحِلْمَ شيمتنا  
فربما خالفتُ نفسُ سجاياها  
نحن النجومُ التي تهدي أشعُتها  
من ضلٍّ، بل نحن أسماها وأسناها  
لكننا نغتدي إن ثار ثائرنا  
نيازكاً تتقي الدنيا شظاياها  
ما حدَّثتنا بغيرِ المجدِ أنفسنا  
ولم نشأ غايَةً إلا بلغناها  
هل يزعجُ الشُّهْبَ نَبَّاحُ بلا ذنبٍ؟  
وهل يعوقُ في الأفلاكِ مَسْراها؟  
إذا سَكَّتنا فإنَّ الليثَ يأنفُ من  
قتلِ البعوضةِ مهما طال قَرْنُها  
إذا نظرنا إلى الجِعْلانِ<sup>(٢)</sup> سارحةً  
ولم نطأها فإننا قد حقَرناها  
وفي الحقائقِ ذاتِ الزهرِ مشغلةً  
عن رؤيةِ الجُعْلِ يمشي في زواياها

(١) كتبها ردّاً على قصائد نشرها أسعد رستم ونشرتها جريدة (الهدى) ١٩٢٦، وعارضها هذا بعد نشرها، بقصيدة أخرى جعل عنوانها (هاها، الدور لي) !  
(٢) المفرد: جُعْل: من دوبيات الأرض.

فيا غيبياً على جهلٍ يطاولُنا  
ورطتَ نفسَكَ فانظرْ كيف عُقباها  
مَنْ أنت ؟ هل أنت ذو قدرٍ فنخفضه  
أو حُرمةٍ تتأذى إن هتَكنّاها ؟  
ما أنت إلا الهَبَاءُ المُستطارُ، فهل  
نَفرِي الهَبَاءَ بِأسيافٍ حَمَلناها ؟



يا كلبَ سوقٍ ويا خنزيرَ مَزبلةٍ  
يا جيفةً ما تحامى الناسُ إلّاها  
على الدروبِ كلابٌ ما لها عددٌ  
لاشك أنك أَعداها وأَعواها  
وإنما الناسُ في أمرٍ قد اختلفوا:  
هل أنت «أسعدُها» أم أنت أشقّاها ؟  
إن السّفالةَ لو تأوي إلى سَكَنٍ  
كالخَلْقِ، لم يكُ إلا أنتَ مأواها  
أعياك أن ترتقي حتى ترى بشراً  
فصيرتَ كالتيسِ نَطّاحاً وتيّاها  
خبئُ قُرونَكَ، واحذر أن تتيهَ بها  
فكم قرونٍ كهذي قد حَطَمناها  
في «الأخطبوط» الذي صاحبته عِظَةٌ  
لو كنت تفهمُ معناها ومَغزاها  
كم مرةٍ قُربتُ منّا كتائبُه  
فلم تكن لحظةً حتى هزَمناها  
فارتدَّ يُعولُ من يأسٍ ومن أَلَمٍ  
عويلَ جاريةٍ قد مات مولاها

أَلَمْ تَكُنْ كَقُرُونِ الْوَعْلِ، شَائِكَةً  
قُرُونُهُ السُّودُ كُتِبَ رَاحُهَا وَصُغِرَ رَاحُهَا ؟  
الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ  
نَحْنُ الَّذِينَ بِأَيْدِينَا كَسَرْنَاهَا  
إِنْ يَسْتَعْنُ بِكَ فَالْغَرَقَانُ لَوْ نَظَرْتُ  
عَيْنَاهُ فِي الْبَرِّ سَعْلَةً<sup>(١)</sup> لَنَادَاهَا  
وَإِنْ تَكُنْ نَفْسُهُ فِي الْجِسْمِ بَاقِيَةً  
فَإِنَّمَا حُبِّثَهَا فِي الْجِسْمِ أَبْقَاهَا  
فَمَا نَجَتْ بُومَةٌ يَوْمًا بِقُوَّتِهَا  
وَإِنَّمَا قُبِّحَها الْمَشْهُورُ نَجَّاهَا  
نَفْسٌ لَوْ انْتَشَرَتْ يَوْمًا نَقَائِصُهَا  
لَعَمَّتْ الْأَرْضَ أَدْنَاهَا وَأَقْصَاهَا  
نَفْسٌ يَشْكُ الْوَرَى فِي اللَّهِ إِنْ زَعَمُوا  
أَنْ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ سَوَّاهَا  
فَإِنَّ «عَزْرِيلَ» يَخْشَى أَنْ تَدْنِسَهُ  
وَالْأَرْضَ إِنْ أَصْبَحَتْ فِي الْأَرْضِ مِثْوَاهَا  
مَا ضَرَّ مَنْ وَصِمَتْ بِالْعَارِ جِبْهُتُهُ  
لَوْ أَنَّهُ بِسِوَى الْأَوْحَالِ غَطَّاهَا  
أَتَيْتُهُ بَعْدَمَا شَأَلْتُ نِعَامَتَهُ  
وَغَيَّبَ الْبَرُّ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا<sup>(٢)</sup>  
فَكَانَ مِثْلَ الَّذِي مَاتَتْ كِرَامَتُهُ  
وَكُنْتُ مِثْلَ الَّذِي قَدْ جَاءَ يَنْعَاهَا



(١) السعلاة: الغول (والجمع السَّعَالِي).

(٢) شالت نعامته: كناية عن التفرق وزوال النعمة، أو الغياب والموت.

يا نذل! والنذل إنسان بلا شَمِّ  
ما سيم من خِطَّةٍ إلا ويرضاها  
زعمتَ خطفَ الظِّباءِ الغيدِ عادتنا  
هل أخبرتك بأننا قد خطفناها ؟  
بالله يا نجل «...»<sup>(١)</sup> معذرةً  
إذا ذكرنا لُباناتٍ قضيناها  
كنا نسينا، ولكن ما برحت بنا  
حتى ذكرنا التي كنا نسيناها  
فاغفرْ خطيئتنا، نغفرْ خطيئتها  
واستغفرِ اللهَ كي نستغفرَ اللهَ



ورُبَّ طاهرةٍ في البيتِ أمنةٌ  
جشمتها خِطَّةً شنعاءَ تباها  
حسبتُها كالتى ساءتِ خلائقُها  
بل كدتَ تحسبُها يا وغدُ إياها  
دنوتَ للوردِ في الخدينِ تقطِفُهُ  
فراح يرتعُ في خديكَ نَعلاها !



سلِ السُّجونَ التى جاورتها زمناً  
كم ليلةٍ بتْ مَلْقَى في زواياها  
وفي قفاكَ نعالُ الجُنْدِ راقصةٌ  
كأنما هو نأديها ومَلْهاها  
شدّوا عليك، وقد خالوا نعالهم  
تُدْمِي قَفاكَ فَاذاها وأدماها !

---

(١) ينبغي أن يكون ذكر أمه على صفةٍ لا تليق.



فانظرْ قذالكَ<sup>(١)</sup> في «المرأة» إنَّ به  
أثارَها وكثيراً من بقاياها !  
إن كان هاجَ بك الشوقُ القديمُ لها  
فعندنا أَلْفُ نعلٍ قد حفظناها



ما تَمَّ في الأرض من عيبٍ نزيدُكُ  
أنتِ المعائبُ أولاهُ وأُخراها  
وما هَجَوْنَاكَ يا «لا شيء» نعرفُ  
بذي القوافي، ولكنَّا هَجَوْنَاها!



---

(١) جماع مؤخر الرأس.

## ٤٣ - دَعُهُ يُنْبِجْ

[الخفيف]

قد سَكَنَّا عن اللئيم طويلاً  
حين كان السكونُ أولى وأصلحُ  
وصفَحْنَا عن ذنبه وعفَوْنَا  
عَفْوَ حُرٍّ، والحُرُّ يعفو ويَصْفَحُ  
وحسبناهِ يرعوي، فتمادى  
وظننَّاهُ ينتهي، فتنطَحُ  
فصفَعناه صفعةً بات منها  
يتلوَّى، وتارةً يترجَّحُ<sup>(١)</sup>  
قُلْ لمن سبَّه لئيمٌ كهذا:  
شبَّ بل شابَّ وهو في اللؤم يسبح  
عَرَفَ الكلبُ أَنه الكلبُ لنا  
سِ ودَعُهُ من بعد ذلك يَنْبِجُ!

\*\*\*\*

---

(١) يتناقل (رجح - يرجح: نقل).

## ٤٤ - خطبة ميشيل حداد

[مجزوء الكامل]

إِنَّ الحَيَاةَ خَمِيلَةٌ والعاشقين زهورها  
الحُبُّ في أَكْبَادِنَا خَفَقَانُهَا وشُعُورُهَا  
والحُبُّ في زهر الرُّبَا ألْوَانُهَا وعَبِيرُهَا  
هو في الجداول شِدْوُهَا، هو في الكواكب نورها  
من حُبِّ كَانَ له الحَيَاةُ: سرُّهَا وسرورُهَا  
ونفوسُ أَبْنَاءِ الغرامِ إلى الخلود مصيرُهَا  
فاشربْ على ذكرى الهوى كَأْساً هَوَاك مُديرُهَا  
«ميشال»، مملكةُ الشبابِ اليومَ أَنْتَ أَمِيرُهَا  
زارتْكَ مِثْلَ الشَّمْسِ في زمن الربيع سَفُورُهَا  
حسناءُ كالظبي الغريرِ دَلَالُهَا ونُفُورُهَا  
قد طاب خُلُقُكَ واستوى وصفَا، ورقَّ ضميرُهَا  
ولها الجمالُ وعَرْشُهُ . ولك المُنَى وقُصُورُهَا  
فَرِحْتَ لِحُبِّكُمْ السَّمَاءَ ونجومُهَا وبُدُورُهَا

\*\*\*\*

## ٤٥ - الجدول الطروب

[مجزوء الكامل]

من علّم الإنشادَ هذا الراقصَ المتبخترا ؟  
إني اهتديتُ به إليه، وكان سرّاً مُختمراً  
يجري طروباً وهُو لا يدري لماذا قد جرى  
الدوحُ حانيةً عليه تخاف أن يتكدراً  
ويأذُّ للأزهار أن ترنُّو إليه وتنظُّرا  
ولقد سمعتُ الطَّيرَ تدعوه الحبيبَ الأكبرا  
فوقفتُ أرمقه وأسألُ حائراً مستفسراً  
ما حبَّبَ الأطيَّارَ والأشجارَ فيه يا تُرى ؟  
أحصاهُ ؟ إن البحرَ يحوي في حشاه جوهرا  
أم ماؤه ؟ إني رأيتُ السَّيلَ منه أغزرا  
أو طُهره ؟ إني وجدتُ الطلَّ منه أطهرا  
ما السرُّ في هذي ولا في كونه يسقي الثرى  
بل كونه يسدي الجميلَ ويستحي أن يظهرا

\*\*\*\*

## ٤٦ - صوت بلادي<sup>(١)</sup>

[الكامل]

ما الروضُ وشَّاهُ الربيعُ بزهره  
وكسا ثراهُ مَفْوْفُ الأبرادِ<sup>(٢)</sup>  
عندي بأجملَ منكمُ في ناظري  
وأحبُّ من أرواحكم لفؤادي  
أبصرتكمُ فرأيتُ صورةَ أمّتي  
وسمعتكمُ فسمعتُ صوتَ بلادي  
«لبنانُ» زودَ بالطموحِ نفوسكمُ  
لما رحلتم في طلابِ الزَّادِ<sup>(٣)</sup>  
وحبَّتكمُ «سوريّةُ» بجمالها  
وجمالها فوقَ الجمالِ العادي  
فأنا أحيي في كهولكمُ النُّهى  
والطُّهرَ والأحلامَ في الأولادِ<sup>(٤)</sup>  
والحُسنَ في فتياتكمُ، والعزمَ في  
فتيانكمُ، ومروءةَ الأجدادِ  
الناسُ عندي كالشهورِ، وإنكم  
في الناسِ كالأحادي والأعيادِ  
فإذا سكتُ فكي أناجيكم وإن  
أنشدُ فليس لغيركمُ إنشادي

\*\*\*\*

(١) استهل بها خطبة ألقاها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له الجالية في توليدو أوهايو (١٩٢٧) .

(٢) الفوف: الزهر. والأبراد: جمع البرد.

(٣) يقصد: طلب العيش.

(٤) النُّهى: العقل، لأنه ينهى. وجمعها: النُّهى.

## ٤٧ - يا ليتني...<sup>(١)</sup>

[السريع]

إذا أطلَّ البدرُ من خِدرِه  
فإنما يطلُّعُ كي تنظريه  
وإن شدا البابلُ في وكرِه  
فإنما يشدو لكي تسمعيه  
وإن يَفُحَّ عطرُ زهور الربا  
فإنما يعبُقُ كي تنشقيهِ  
يا ليتني البدرُ الذي تنظرين!  
يا ليتني الطيرُ الذي تسمعين!  
يا ليتني العطرُ الذي تنشقين!  
أواه لو تصدَّق «يا ليتني»!

\*\*\*\*

---

(١) نشر في ملحق الجداول (دار اليقظة) بعنوان (عروس الجمال).

## ٤٨ - الزمهرير<sup>(١)</sup> في نيسان

[الخفيف]

رجعَ الزمهريرُ أُمسَ إلينا  
ورجعنا نشكو من الزمهريرِ  
جاء «نيسانُ» كالحِ الأفق، عاريَ الـ  
أرض، حيرانَ كاليتيم الفقير  
أو كملكٍ داس الغزاة حمَاهُ  
فهو في حيرةٍ وفي تفكير  
أو فتاةٍ مفجوعةٍ بحبيبٍ  
مات في وجهها ضياءُ السُرور  
إليه «نيسانُ» قد أتيت، ولكن  
بمحيّا إفك<sup>(٢)</sup> وحالةٍ زُور  
لا دليلٌ على وجودك يا شهْ  
رَ الأقاحي سوى غناءِ الطيور  
ليت شعري ماذا دهاك فلم  
تُخرجْ لنا الزهرَ من وراء الستور؟  
نحن لولا الحسابُ خلّناك لم تُو  
لِدْ، وأنَّ الشهورَ غيرُ الشهور!

\*\*\*\*

---

(١) شدة البرد.

## ٤٩ . النجمة الهاوية<sup>(١)</sup>

[مخلع البسيط]

هذا هو المنزلُ الأخيرُ  
إلى هنا ينتهي المَسِيرُ  
وينطوي الخوفُ والترجّي  
وينقضي الحزنُ والسُّرور  
ما كان أحلى الحياة لولم  
يكنْ إلى الحُفرةِ المَصِير  
كم من عصورٍ مضتْ وغابتْ  
فيها ولم تشبَعِ القبور



مررتُ بالزهورِ ذابلاتٍ  
كأنما مسَّها السَّعِيرُ  
فقلت: ماذا عراكِ حتى  
فارقك الزُّهو، يا زُهور؟  
فلم تجاوبيني الأقاحي  
وإنما جاوب الغدير  
فقال: «سلمى» مضتْ، وكانت  
زنبقةً ما لها نظير  
فغاصَ نهرٌ وجفَّ روضُ  
وغاب نجمٌ وانْدكَّ سُرور

---

(١) في رثاء (سلمى ملوك)، قرينة (عزيز عطية). وتليت في مدفنها في نيويورك (١٩٤٠).



يا وحشة الدار بعد «سلمى»  
فقد خبا بدرها المنير  
«سلمى» التي صمتها وقارٌ  
وفي أحاديثها عبير  
فليس في مشيها اختيالٌ  
وليس في نطقها غرور  
كم بئس لاذ في جماها  
وكم رجا رفدها فقير  
أليس جوراً من الليالي  
أن تحتوي اللؤلؤ القبور؟



يا قبر «سلمى»، ما أنت قبرٌ  
بل عالم نيّر طهور  
ففيك مثل الرياض عطرٌ  
وفيك مثل السماء نور  
حوت دنيا نُبل وفضل  
يا أيها الحيّز الصّغير  
لم أر من قبلها ثرياً  
شعاعاً في الثرى تخور<sup>(١)</sup>  
وقبل إخوانها نسوراً  
تبكي، أجل قد بكى النّسور



---

(١) خار - يخور: صاح. يريد هنا: أرسلت نورها.

«عَزِيزٌ»، يَا ضَيْغَمًا<sup>(١)</sup> جَرِيحاً  
وطائراً جُنْحَهُ كَسِير  
الدمع في مقلتيه يَطْفِئُ  
والحزن في صدره يَغُور  
الْخَطْبُ يَا صَاحِبِي كَبِيرٌ  
وأنت يا صَاحِبِي كَبِير  
فكن صَبوراً على الرزايا  
فإنما يُوجَرُ الصَّبُور

\*\*\*\*

---

(١) الضيغم: الأسد.

## ٥٠ - رثاء رشيد أيوب

[الرمل]

نام لَمَّا تَعِبْتُ أَجْفَانُهُ  
وَإِذَا مَا تَعَبَ الْإِنْسَانُ نَامُ  
خَرَجَ الشَّاعِرُ مِنْ دُنْيَا الْأَسَى  
مَثَلَمَا يَنْسَلُ نُورٌ مِنْ قَتَامٍ  
وَمَضَى عَنَّا إِلَى مَوَاطِنِهِ  
وَطَنُ الشَّاعِرِ أَمْنٌ وَسَلَامُ  
لَا تَقْلُ: هَذَا الَّذِي كَانَ انْطَوَى  
مَا انْطَوَى، يَا صَاحِبِي، إِلَّا الرُّغَامُ<sup>(١)</sup>  
سَائِلُوا الْجَدُولَ عَنْ أَلْحَانِهِ  
فَهِيَ فِي الْجَدُولِ وَجْدٌ وَهَيَامُ  
وَسَالُوا الْأَزْهَارَ عَنْ أَحْلَامِهِ  
فَهِيَ فِي الزَّهْرِ أَرِيحٌ وَابْتِسَامُ  
وَسَالُوا «صِنِّينَ»<sup>(٢)</sup> عَنْ شَاعِرِهِ  
إِنَّهُ فِيهِ جَلالٌ وَاحْتِسَامُ  
هُوَ فِي قِمَمَتِهِ عَزَّتْهَا  
وَهُوَ فِي الْوَادِي اتَّضَاعٌ وَاحْتِشَامُ  
لَمْ يَزَلْ مَا بَيْنَنَا أُسْطُورَةٌ  
يَتَلَقَّاها كَرَامٌ عَنْ كَرَامِ



(١) الرُّغَام: التراب.

(٢) الجبل في المتن الشمالي من لبنان. والمرثي من قرية (بسكنتا) في سفحه. وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية).

أيها الشَّاعِرُ لا تخشَ الأذى  
 لستَ بعدَ اليومِ جاراً لأنام<sup>(١)</sup>  
 جهلوا قِيمَةَ أرواحهم  
 فغدا الجَوهَرُ عبداً للحُطامِ  
 لا هِناءَ لِنَفوسٍ صُورَتِ  
 من سِناءٍ<sup>(٢)</sup> معَ نفوسٍ من ظلامِ  
 أَعْتَقْتَ رُوحَكَ من أَغلالِها  
 وأناشيدُكَ من أسِرِّ الكلامِ  
 أنتَ بعدَ اليومِ لا يشكو الطَّوى  
 جِسمُكَ العاني، ولا تخشَ السَّقَامِ<sup>(٣)</sup>  
 أنتَ في الدنِيا التي أَحَبَبَتْها  
 وهي دنيا الحُرِّ فيها لا يُضامِ  
 ليسَ فيها قِيمٌ زائِفَةٌ  
 تخذعُ العقلَ وأمالُ جَهَامِ<sup>(٤)</sup>  
 ليسَ فيها كالتي فارقتَها،  
 أعينٌ يَقطُي وأرواحٌ نيامِ  
 رَوَيْتَ نَفْسُكَ من كوثرِها  
 وبِقِينِنا لِعَناءٍ وأوَامِ<sup>(٥)</sup>  
 نَمُ هَنِيئاً، إن أحلى غِبطَةً  
 - مثلما تعرفُ - رؤيا في مَنامِ!

\*\*\*\*\*

(١) لم تعد جاراً لأحد من الناس.  
 (٢) السناء: الرفعة، وأرادها للنور (السنا).  
 (٣) السقام: المرض. والعاني: المتعب.  
 (٤) الجَهَام: السحاب الذي لا ماء فيه.  
 (٥) الأوَام: العطش. ودُّوار في الرأس.

## ٥١ - إنه الشاعر<sup>(١)</sup>

عندما أنشأ الوجودُ اللهَ  
في زمانٍ في الدهر ما أقصاهُ  
وبَدَتْ في النَّبَاتِ والماءِ والأحيا  
ء والصخرِ يَفْقَظُهُ وانتباه  
فأطَلَّت من السماءِ الدُّراري  
وتجارتْ على الصَّعِيدِ المياه  
وترامى النَّسيمُ في صفحةِ النُّه  
ـرٍ بِأسرارٍ وجَدِه وهوَاهُ  
وسرى الفجرُ يوقظُ الروضةَ الوسْـ  
ـنى ويُذري على المروجِ نَـداه  
ومشى الليلُ بعده يَطْمُسُ الأشْـ  
ـياءَ إلا أحلامَه ورؤاه  
والورودَ الحسناءَ إلا شذاها  
والغديرَ الطروبَ إلا صـداه  
نظرَ الله في السماءِ وفي الأرْـ  
ضِ طويلاً فتمتَمَتْ شفتاه:  
« إنني قد خلقتُ كوناً بديعاً  
كلُّ شيءٍ فيه كما أهواه  
غيرَ أني نسيتُ أخلُقُ شيئاً  
لازماً لا يُـتَمِّمُه إلاه

(١) يبدو أن المعنى فيها: الشاعر الحمصي نسيب عريضة، وهو زميل أبي ماضي في (الرابطة القلمية) .

وهو «عين» ترى الوجود كعيني  
ولسانٌ يقول: ما أحلاه !  
وإذا الله شاءَ أمراً قضاهاً  
أو تمنى وجودَ شيءٍ بَراه  
فإذا كائنٌ له هيكُلُ الطير  
من وفي هيكُلِ الترابِ إليه!  
ذو فؤادٍ تظلُّ فيه الأمانى  
في صباها، وإن تقضى صباه  
كلُّ من يعشقُ الجمالَ أخوه  
كل أرضٍ فيها الهوى مغناه  
هو للحقِّ غيظه ورضاه  
وهو للحبِّ ضحكُه وبُكاه  
من تراه هذا الذي صاغه الله  
له كما يشتهيهِ لما اشتهاه ؟  
إنه الشَّاعرُ الذي كلُّ دنيا  
تنطوي قبلَ تنطوي<sup>(١)</sup> دنياه  
كم سقانا خمراً بغيرِ كووسٍ  
فسكرنا ولم تذُقها الشُّفاه  
وأرانا الصُّباحَ والليلُ يغشا  
نا بأكفانه كما يغشا  
يعشقُ الروضَ في حُلَاه، ويَهْ  
سواهَ معرّىً مجرداً من حُلَاه  
يرتوي الناسُ بالمياه ويروي  
له خريزٌ تصغي له أذناه

(١) في التقدير: « قبل أن تنطوي. ... »

أيها السائلون عنه: لماذا  
ليس يسعى للغنى كسواه ؟  
ما الغنى عندكم ؟ فإني أخشى  
أن تكونوا جهلتم معناه  
أهو المال ؟ ما وجدتُ غنيًّا  
قطُّ إلا ومـالُه مـولاه  
أفمن كان كوكباً يهجرُ الأفق  
قَ لثمسي زجاجةً مـثواه ؟  
والذي الكونُ دارُه، كيف يُرضي  
هـ انزواءً في حَفنةٍ من ثراه ؟  
وجد المالَ عاتياً مستبداً  
فأبى أن يكونَ من أسراه  
لا تقولوا: ماذا اقتنى وحواه ؟  
أيُّ شيءٍ خياله ما حواه ؟  
إنه الشاعِرُ الذي ازدادتِ الدُّنْيا  
بها مـأواه  
فاشربوا، يا رفاقُ، سرِّفتي « العا  
صي » وحيُّوه، إنه إيَّاه !

\*\*\*\*

## ٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان<sup>(١)</sup>

[الكامل]

لم أنسَ حينَ مشتَ إليّ تلوُمُني  
لما رأْتُني باسمًا مُستَهلًا  
قالت: أَطربُ، والمنايا حوْمُ  
في الأرض، كيف رمتَ أصابتَ مقتلا ؟  
انظر، فقد خَلَّتِ البيوتُ من الشُّبا  
بِولا جمالٍ لِنزْلِ منهم خلا  
فسألتها: أوَليس من أجلِ العُلا  
وهنأنا خاضوا الوغى ؟ قالت: بلى  
يا هذه، إذا بكيتِ لِبُعدهمُ  
يتبسَّمونَ ؟ أجابت الحسناء: لا  
كُفِّي الملامَ إنَّ، فما أنا جاهلُ  
ما تعلمينَ، وكيف لي أنْ أَجهلا ؟  
لكن بعثتُ الفكرَ في آثارهمُ،  
في البحر، في الأجواء، في عُرُض الفلا  
فرأيت نورَ المجدِ فوق بُنودهمُ  
ورأيتُهم يمشونَ من نَصْرِ إلى..  
سدُّوا على الباغِي المسالكَ كلِّها  
فالموتُ إنَّ ولَّى وإنَّ هو أقبلا

(١) اقتصر جورج صيدح، من النص على أحد عشر بيتاً الأولى، ونشرها في الديوان الخامس الذي أشرف على إصداره بعد موت الشاعر، باسم (تبر وتراب النص ١٤)، وجعلها بعنوان عجز البيت الحادي عشر: (ستعود دنيانا أحب وأجملاً).



فإذا شممتِ اليومَ رائحةَ الدِّمَا  
 ١ وطالعتَ عينك أثارَ البِلى  
 فاستبشري، فغداً إذا النِّفْعُ <sup>(١)</sup> انجلى  
 ستعودُ دنيانا أحبَّ وأجملاً  
 بالطامحين إلى الكمال، العاملِ  
 ن على الإخاء، الناهضين إلى العُلا  
 ك «الإسطفاني» الذي لا يأتلي  
 حرباً على الباغي وعونَ المُبتلى  
 مستهدياً بـ «الناصري» <sup>(٢)</sup>، مبشراً  
 بالحبِّ والغفران ما بين المَلا  
 حلوا المودة، لا يشوبُ ولاه  
 كَلَفٌ، ولا يسلو الصديق وإن سَلا  
 ما إن دعا داعٍ لنُصرةِ بائسٍ  
 إلا وكان هو المُنْغِيثُ الأوَّلا  
 إن لم يشيّد هيكلاً من مرمرٍ  
 فلقد بنى في كل قلب هيكلاً  
 خُلِقَ كماء المُنْ عَذْب طاهرٍ  
 وسجيّةٌ تحكي الرحيقَ السُّلسَلا  
 يا ابنَ الألى ما دار يوماً ذكرهم  
 في مَحْفَلٍ إلا أضاء المَحْفَلُ  
 كانوا ربيعاً زاهراً في جيلهم  
 ومضوا، وما زالوا ربيعاً مُقْبِلا  
 لبس الحلى <sup>(٣)</sup> قومٌ فما شرفوا بها  
 وعُنيت بالخُلُقِ الرفيعِ عن الحلى

(١) الغبار.

(٢) السيد المسيح (عليه السلام) وقد ولد في الناصرة.

(٣) يريد: الحلى، وجمعه: الحُلَى.

عَبثاً يَحَاوِلُ طَمَسَ فَضْلِكَ مُرْجِفٌ<sup>(١)</sup>  
 لَا يَبْلُغُ النِّجْمَ الْغَبَارُ وَإِنْ عَلَا  
 كَمْ هَاجَمَتْ «لَبْنَانُ» رِيحٌ صَرَصَرٌ<sup>(٢)</sup>  
 لَتَدْكُهُ، أَرَأَيْتُمُوهُ تَزْلُزْلا ؟  
 زَعَمَ الْقَصَائِدَ لَيْسَ تُشْبِعُ جَائِعاً  
 لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ الْوُرُودَ لِتُؤْكَلَا !  
 الْأَنْبِيَا - وَالْوَحْيِ شِعْرَ رَائِع -  
 شَبِعُوا، وَمَا أَكَلُوا الْكِتَابَ الْمُنْزَلَا !  
 الشُّعْرَ رِيحَانُ النِّفُوسِ إِذَا صَفَتْ  
 أَمَّا إِذَا كَشَفَتْ طَبِيعَتَهَا فَلَا  
 فَاغْفِرْ مَسَاءَتَهُ، فَإِنَّ الْحُرَّ مَنْ  
 يَعْفُو عَنِ الْجَانِي الْأَثِيمِ تَفَضُّلاً



سُقْتُ الثَّنَاءَ إِلَيْكَ حُلُوءاً سَائِغاً  
 لَوْلَمْ يَكُنْ فِي مَدْحِ شَخْصِكَ مَا حَلَا  
 هَؤُلَاءِ قَوْمُكَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِهِمْ،  
 وَافُوا كَمَا تَرِدُ الطِّيُورُ الْمَنَهَلَا  
 لَمْ يُكْرَمُوا الْعِشْرِينَ وَالْخَمْسَ الَّتِي  
 مَرَّتْ، بَلِ الْأَدَبُ الصَّحِيحُ الْأَنْبَلَا  
 عِشْ، يَا صَدِيقِي، مِثْلَهَا فِي مِثْلِهَا  
 لِلْعِلْمِ رُكْنًا، لِلْفَضِيلَةِ مَوْئَلَا



(١) أَرْجَفُ: خَاضَ فِي الْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ.  
 (٢) رِيحٌ صَرَصَرٌ: شَدِيدَةُ الْبَرْدِ، وَشَدِيدَةُ الصَّوْتِ.

## ٥٣ - رثاء إلياس عطا الله<sup>(١)</sup>

[الكامل]

دنيا من الآمال والأحلام  
زالت وغابت مثل طيف منام  
عصف الردى بورودها فتناثرت  
ومضى بشاديها وبالألغام  
لم يبق فيها دوحة تحنو على  
تعب، ولا ماء يفيض لظامي  
أرسلت صوتي في جوانبها فلم  
يرجع إلى أذني غير كلامي  
«إلياس» إنك أنت دنياي التي  
ضيعتها، ورجعت بالآلام

يا صاحباً قد كنت أستهدي به  
إن ضاع مصباحي، وجنّ ظلامي  
لا تسألني عن فؤادي، إنني  
سلمت للأحزان قلبي الدامي  
أرفيق روعي، قد أتيت مسلماً  
«إلياس» ما لك لا تردّ سلامي؟  
عجباً، كأنك في زمان غابرٍ  
أو موضعٍ قاصٍ وأنت أمامي

---

(١) ألقاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.

أنا مع رفاقك تائقون لقولة  
أو لفظة، فانطق ولو بلام  
يا عِظْمَ خَيْبَتْنَا، فإننا نبتغي  
خمراً، ولا من خمرة في الجام  
إن الذي قد كان معنا قد سما  
عنا، وصار مع الإله السَّامِي  
ومن استوى في عالم الأرواح لا  
يدنو إليه عالم الأجسام

\*\*\*\*

## ٥٤ - دار «السمير» الجديدة<sup>(١)</sup>

[الرجز]

يا مرحباً بالأصدقاء، مرحباً  
ملأتُ الدار وروحي طَرباً  
ضحكتُ لمّا قيل لي: الصيفُ انقضى  
وأنتمُ حَوَلي كأزهار الربّ  
صيرتموها فلْكَأً مؤْتلقاً  
لما طلعتُ في ذُراها شُهْبا  
وصارتِ الدنيا بعيني جنّةً  
وصار مائي كوْثراً، بل أعذباً  
لوجئتكم من «عقْرِ»<sup>(٢)</sup> بسحرها  
وسُقتُ في شعري الدَّراري<sup>(٣)</sup> موكبا  
لَمّا وفيتُ بعضَ بعضِ دِينكم  
ولا قضيتُ اليومَ شكراً وجباً  
من يستفدُ مثلي صِحاباً مثلكم  
قد استفاد أدباً ونَسباً  
ما كانت «السمير» إلا ورقاً  
لولاكم، والدارُ إلا خَشَباً  
إن كان من حُسْنٍ فمنكم قد أتى  
ما قيمةُ المصباح لولا الكهربا

(١) ألفاها الشاعر في حفل تأبين زميله في (الرابطة القلمية) إلياس عطا الله (١٩٤٣)، في بروكلن، جنوبي نيويورك.  
(٢) أرض الجن التي توحى بالشعر (ولكل شاعر شيطان يتبعه ويوحى إليه)، في الأسطورة المتناقلة. وإليها ينسب الشعراء فيقال (العبقري، والعباقرة).  
(٣) نجوم السماء التي تضيء.

لو كانت «السمير» من أهل الغنى  
سأقتُ تحاياها إليكم ذهباً  
أو روضةً، أهدتُ إليكم زهرها  
أو عطرها مع القبول والصَّبَا<sup>(١)</sup>  
أو فَلَكَاءَ، رَفَّتْ عليكم وَحَنَّتْ  
وعَلَّقَتْ في كل بيتٍ كوكبا  
أو جدولاً، غَنَّتْ لكم مياهُه  
ما دمتُم تُصغونَ حتى تَنضُبَا  
لكنها جريدةٌ قد أنشئت  
لِتَخْدَمَ العِلْمَ وتُعلي الأديبا  
تريد للناس الحياةَ حرَّةً  
للناس طُوراً «عجماً» و«عرباً»  
تنفقُ مما عندها وإنها  
لتنفق العمرَ اللذيذ الطيِّبَا  
لا تطلبوا منها سوى ما ملكتُ  
لا تملك الصَّهْبَاءُ إلا الطُّربَا

\*\*\*\*

---

(١) الريح الندية التي تهب من نجد.

## ٥٥ - إلى عازر داود

[الرمل]

أيها الجالسُ بين النجمتينِ  
غَنِّنا، يا صاحبي، أنشودتينِ  
قد شربنا خمرةَ الكَرَمِ، وإنْ  
أنتَ أنشدتَ شربنا خمرتينِ

\*\*\*\*

## ٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان<sup>(١)</sup>

[الكامل]

هذي تحيَّتُنا إلى «المنصور»  
مشفوعةً بتحيَّةِ الجمهورِ  
مع أنفُسِ الشعراءِ نرسلُ شوقنا  
فاسمع بأذنِ الروحِ لحنَ شعورِ  
وانشِقْ أريجَ قلوبنا، فقلوبنا  
من وجدها كمجامرِ البَخُورِ  
يا نسر «لبنان» المحلَّق في الفضاءِ  
المجدُّ تحت جناحك المنشورِ  
فاسلمْ لأمتك التي تبني لها  
لتزيدها من سعيك المبرورِ

\*\*\*\*

---

(١) أحد الأدباء (انظر النص ٥٢). وألقيت الأبيات في حفلة أقيمت لتدشين كنيسة لبنان ( ألقاها سعيد عقل عريف الحفلة).

## ٥٧ - رثاء نجلاء صباغ<sup>(١)</sup>

[الكامل]

رجع الربيعُ إلى المدائن والقُرى  
نوراً وعطراً في السُّفوح وفي الذُّرا  
لَسْتُ يداه العُودَ أجردَ يابساً  
فإذا به قد صار رطباً أخضرا  
للهِ منه ساحراً ومصوراً  
بهرتُ عجائبه العقولَ وحيِّرا  
عرض الجمالَ وقال للناس: انظروا  
فألهُ قد خلقَ العيونَ لتنظرا  
لكنَّما العينُ التي كانت ترى  
ألقَ الربيعَ وحسنَه ليست ترى  
الموتَ أغمضَها على غير الرؤى  
ما في الردى شيءٌ كأحلام الكرى  
لكنَّما القلبُ الذي يهوى الشُّدا  
والنورَ، قد أمسى دفيناً في التُّرى  
إن لم نرحبْ بالربيع ولم نهمْ  
بالحُسنِ فيه، فحقُّنا أن نُعذرا  
فلقد أضعنا حين جاء إلى الحمى  
في بنت «مَطران» ربيعاً أنورا  
سكتتُ لكي تتحدثَ الدنيا بها  
وغفتُ لكي تبكي العيونُ وتسهرها

(١) زوج أحد أصدقائه (قيصر صباغ). وألقت الأبيات في حفلة دفنها، في ميلفورد بنسلفانيا.



« نجلأءُ » إنك روضةٌ معطارةٌ  
عصف الحمام بها، فعاثَ وبعثرا  
رحلتُ عن القصر البشاشةُ وانطوى  
عهد الصفا والأنس في «أم القرى»<sup>(١)</sup>  
فاليوم لا الأرواح تبسمُ للمنى  
فيه، ولا اللذات تجري كوثرها  
أفنيتِ نفسك كالشموع توقداً  
وقطعتِ عمرَكَ كالكواكب في السرى  
فازددتِ مجداً في الزمان وشهرةً  
وازداد قومك رفعةً بين الورى  
زانتكِ في الدنيا شمائلُ حرّةٍ  
هي كالجواهر إنما لا تُشتري  
فعليكِ يا فخر النساء وفخرنا،  
منا السلام ممسكاً ومعطراً  
ولـ «قيصر» منا العزاء، فـ «قيصر»  
كالنسر هيض جناحه وتكسراً  
بل صار بعدك، يا رفيقةَ عمره،  
وتراً، يغصّ بلحنه مُتعثراً  
إنّا نودّع نجمةً وضاءةً  
زالت، وندفنُ كنز فضلٍ في الترى

\*\*\*\*

(١) لقب ميلفورد بينسلفانيا (انظر النص ٣ من الديوان الثاني، والنص ١٢ من «تبر وتراب»).

## ٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت<sup>(١)</sup>

[مجزوء الكامل]

المرءُ ليس يُقَّاسُ في الدُّ  
—دُنْيَا بعِلْمٍ أو بجهلٍ  
بل بالذي في طَبْعِهِ  
الفطريِّ من كَرَمٍ ونُبْلِ  
فلربَّ ذي عِلْمٍ أَسَا  
ءَ لأهله ولغير أهلٍ  
ولربَّ ذي جهلٍ أَفَا  
دَ النَّاسَ في خِصْبٍ ومَحَلٍ  
لولا ارتفَاعُ نفوسِكُم  
لم يرتفعْ أبداً محَالِي  
لولا عيُونُكُم المحبَّةُ  
ما تراءى قطُّ فخرٍ لي  
دامتْ مكارمُكُم لكي  
يشدو بها الشعراءُ مثلي

\*\*\*\*

---

(١) الأبيات الختامية للقصيدة التي ألقاها الشاعر في الحفلة التي علّق فيها مدير خارجية لبنان وسام الأرز الوطني اللبناني من رتبة ضابط.

## ٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق<sup>(١)</sup>

[الكامل]

أنا إن شكرتُك يا «أبا حسان»  
أعليتُ من قدرِي وقدرِ بياني  
أشرقتَ في نفسي سناً فأريتني  
وجهَ الربيع ولستُ في «نيسان»  
سأتيه أني في زمانك عائشٌ  
ومعي يتيه - كما أتيه - زَماني  
\*\*\*\*

## ٦٠ - في صالة منصور

[مجزوء الرمل]

شربتُ عَيْنَكَ رُوحِي  
فَهِيَ في عَيْنِكَ سِحْرٌ  
وأذاب الحبُّ قَلْبِي  
فهو في كأسِي خمر  
هذه الليلةُ دنيا  
كلُّ ما فيها يسرٌ  
لا تقلُّ ليلٌ ويمضي  
ليس للأذنة عُمُر

\*\*\*\*

---

(١) الخطاب في الأبيات لرئيس جمهورية سورية يومذاك (١٩٤٩) شكري القوتلي.

## ٦١ - في بيت فخري البارودي<sup>(١)</sup>

[السريع]

يا صاحبي! قد كَمَلَ المجلسُ  
ونحن نَحْنُ المَلَأُ الأَقْدَسُ  
لتنعسِ الأنجُمُ في أَفلاكِها  
سنسهرُ الليلَ ولا نَنعَسُ!

\*\*\*\*

## ٦٢ - إلى توفيق فخر<sup>(٢)</sup>

[الرجز]

رافقَكَ ألَهْناءُ، يا رفيقُ  
وعُدْتَ بالتوفيقِ، يا «توفيقُ»  
يا شاعراً أخلاقُهُ كشعرِهِ  
متانَةً، كقلبه رقيقُ  
أنت صديقٌ لا يَحُولُ ودُهُ  
في زمنٍ قلَّ به الصَّدِيقُ

\*\*\*\*

---

(١) في سهرة موسيقية، في بيته. وقد داهم الندامى النعاس.

(٢) كان يعاون الشاعر في تحرير جريدة (السمير)، وكان على أبواب رحلة إلى جمهورية الدومينيك.

## ٦٣ - إلى رشيد أيوب<sup>(١)</sup>

[الطويل]

رَأَيْتُكَ تَحْتَ اللَّيْلِ كَاللَّيْلِ سَاكِتاً  
وَعِنْدَ ضَفَافِ الْبَحْرِ تَهْدُرُ كَالْبَحْرِ  
تَنْنُ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي طَالَ جَوْرُهَا  
وَتَشْكُو مِنَ الدَّهْرِ الْخَوْنِ إِلَى الدَّهْرِ  
بَكَيْتَ فَأَبْكَيْتَ الْجَلَامِدَ فِي التُّرَى  
وَنُحِتَ فَحَرَّمَتِ الرُّقَادَ عَلَى الْبَدْرِ  
فَأَصْبَحَ فِي هَذَا السَّمَوَاتِ حَائِراً  
كَصَاحِبِ إِيْمَانٍ يَمِيلُ إِلَى الْكُفْرِ  
أَرَاهُ بَعِينِي مُصْغِياً كُلَّ لَيْلَةٍ  
لَأَنَّكَ قَدْ عَوَّدْتَهُ رَنَّةَ الشَّعْرِ  
أَرَى فِيكَ مِنْ «شَيْخِ الْمَعْرَِّةِ» نَفْحَةً  
وَفِي نَفْحَاتِ «الشَّيْخِ»<sup>(٢)</sup> شَيْءٌ مِنَ السَّحَرِ  
وَهَبْتُكَ مِنْ شَعْرِي وَعِنْدَكَ مِثْلُهُ  
وَلَوْ كُنْتُ ذَا تَبَرٍ وَهَبْتُكَ مِنْ تَبْرِي  
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا وَلَا ذَاكَ شَافِعاً  
فَإِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ حِمْلِي عَلَى «شَكْرِي»<sup>(٣)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) إثر صدور ديوانه (الأيوبيات). وكان يلقب بالشاعر الدرويش. انظر رثاء أبي ماضي إياه (النص ٥٠).

(٢) أبو العلاء المعري.

(٣) شكري أبو صالح الذي كتب له الشاعر (النص ٢١).

## ٦٤ - «رحلة الفتاة»

[الرمل]

لي فتاةً ملأتُ صدري جَوًى<sup>(١)</sup>  
ذاب فيها القلبُ شوقاً واحترقُ  
كلَّ يومٍ لي منها موعدُ  
في صباحٍ، في مساءٍ، في غسقٍ<sup>(٢)</sup>  
لا تظنوني أثيماً في الهوى  
فـ «فتاتي» من مِدادٍ وورق

\*\*\*\*

## ٦٥ - «شعار» السميع<sup>(٣)</sup>

[الرمل]

أنا لا أهدي إليكم ورَقاً  
غيركم يَرْضَى بحِبرٍ وورقٍ  
إنما أهدي إلى أرواحكم  
فِكْراً تبقى متى الطُّرس<sup>(٤)</sup> احترقُ

\*\*\*\*

---

(١) الحرقّة وشدة الوجد (جَوًى - يجوى).

(٢) أول ظلمة الليل.

(٣) جريدة أبي ماضي التي أصدرها ابتداءً من سنة ١٩٢٩.

(٤) الورق.

## المحتوى

### (ما لم تجمعه الدواوين)

- ١ - إلى بطل الوطنية (الشيخ عبد العزيز جاويش) ..... ٩٤٥
- ٢ - مصر والاحتلال ..... ٩٩٧
- ٣ - روزفلت ومصر ..... ١٠٠١
- ٤ - عيد الحرية العثماني ..... ١٠٠٢
- ٥ - نفقة مصدور ..... ١٠٠٦
- ٦ - نجوى لبناني ..... ١٠١٠
- ٧ - عتاب إلى إلياس عطا الله ..... ١٠١٣
- ٨ - اليهودي التائه (أو كل حامل كشكول) ..... ١٠١٦
- ٩ - وَقَفْ عليك الشعر (إلى كل حامل كشكول) ..... ١٠٢١
- ١٠ - ماذا ؟ ..... ١٠٢٥
- ١١ - حكاية ..... ١٠٣٠
- ١٢ - أيا عجل اليهود ..... ١٠٣٤
- ١٣ - يانوح أين دلائل الطوفان ؟ ..... ١٠٣٨
- ١٤ - توديع رستم بك ..... ١٠٤٤
- ١٥ - إلى شاعر «السائح» ..... ١٠٤٧
- ١٦ - انقر يا دف على الطارة ..... ١٠٥١
- ١٧ - وقائلة ..... ١٠٥٤
- ١٨ - يا قومي! ..... ١٠٥٧
- ١٩ - يا هذا ! ..... ١٠٦١
- ٢٠ - ماذا نقول ؟ ..... ١٠٦٤
- ٢١ - إلى شكري أبي صالح ..... ١٠٦٧

- ٢٢ - و ... ١٠٧٠
- ٢٣ - ما كان أحوجني ١٠٧٣
- ٢٤ - تنصير نور عبد المجيد حداد ١٠٧٤
- ٢٥ - النكبة في سوريا ١٠٧٦
- ٢٦ - انقريا دف على الطارة ١٠٧٧
- ٢٧ - توديع أمين الرحاني ١٠٧٩
- ٢٨ - إكليل توفيق خوري ١٠٨٤
- ٢٩ - حاملات الطيب ١٠٨٦
- ٣٠ - ولقد ذكرتك ١٠٨٨
- ٣١ - تنصير ابن حنّا نحاس ١٠٨٩
- ٣٢ - جمعية الصليب الأحمر السورية ١٠٩١
- ٣٣ - توديع نعمة تادرس ١٠٩٢
- ٣٤ - دار رشيد أيوب ١٠٩٤
- ٣٥ - رثاء المطران أشاثيريوس عطا الله ١٠٩٥
- ٣٦ - جمعية الاتحاد السوري ١٠٩٨
- ٣٧ - نشيد يوسف بك كرم ١١٠١
- ٣٨ - إلى ندره حداد ١١٠٣
- ٣٩ - في عرس ندره حداد ١١٠٤
- ٤٠ - كذا الإله خلقه ١١٠٦
- ٤١ - النار أشهره أكل ١١٠٨
- ٤٢ - إلى النابج العاوي ١١٠٩
- ٤٣ - دعه ينبج ١١١٤
- ٤٤ - خطبة ميشيل حداد ١١١٥



|      |                                   |
|------|-----------------------------------|
| ١١١٦ | ٤٥ - الجدول الطروب                |
| ١١١٧ | ٤٦ - صوت بلادي                    |
| ١١١٨ | ٤٧ - يا ليتني                     |
| ١١١٩ | ٤٨ - الزمهرير في نيسان            |
| ١١٢٠ | ٤٩ - النجمة الهاوية               |
| ١١٢٣ | ٥٠ - رثاء رشيد أيوب               |
| ١١٢٥ | ٥١ - إنه الشاعر                   |
| ١١٢٨ | ٥٢ - تكريم الأب منصور إسطفان      |
| ١١٣١ | ٥٣ - رثاء إلياس عطاالله           |
| ١١٣٣ | ٥٤ - دار «السمير» الجديدة         |
| ١١٣٥ | ٥٥ - إلى عازر داود                |
| ١١٣٥ | ٥٦ - إلى المونسينيور منصور إسطفان |
| ١١٣٦ | ٥٧ - رثاء نجلاء صباغ              |
| ١١٣٨ | ٥٨ - في حفلة تكريمه ببيروت        |
| ١١٣٩ | ٥٩ - في حفلة تكريمه بدمشق         |
| ١١٣٩ | ٦٠ - في صالة منصور                |
| ١١٤٠ | ٦١ - في بيت فخري البارودي         |
| ١١٤٠ | ٦٢ - إلى توفيق فخر                |
| ١١٤١ | ٦٣ - إلى رشيد أيوب                |
| ١١٤٢ | ٦٤ - «زحلة الفتاة»                |
| ١١٤٢ | ٦٥ - شعار «السمير»                |
| ١١٤٣ | - الفهرس                          |

\*\*\*\*

## المحتوى العام

|                                               |     |
|-----------------------------------------------|-----|
| ■ الديوان الأول - الجزء الأول (تذكّار الماضي) | ٧٧  |
| ■ الديوان الأول - الجزء الثاني                | ٢٤٥ |
| ■ الديوان الثالث (الجداول)                    | ٥٥١ |
| ■ الديوان الرابع (الخمائل)                    | ٦٦٧ |
| ■ الديوان الخامس (تبر وتراب)                  | ٨٤٧ |
| ■ ما لم تجمعه الدواوين                        | ٩٩٣ |

\*\*\*\*